العلاّمة الشيخ أحمد كفتارو

أفكار وأساليب

لتجديد نهضة الأمة الإسلامية

إعداد و دراسة

محمد غسّان خليل الجبّان
الجُنيدي الحُسيني

بالتعاون مع قسم الدراسات والنشر في مجمع
الشيخ أحمد كفتارو

الجزء الأول


بسم الله الرحمن الرحيم
لا حول ولا قوة إلا بالله



المشاركون في هذا العمل

د. معتز ياسين الموقِّع
أ. حمدي شرف الدين
أ. محمد بشير العش
أ. طارق ناجي

إصدار

قسم الدراسات والنشر في مجمع الشيخ أحمد كفتارو

البريد الإلكتروني: mail@abunour.net

الموقع الإلكتروني: abunour.net

الطبعة الأولى/ عام ٢٠١٢م



مخطط الكتاب

مخطط الكتاب

(الجزء الأول)

المقدمة

الدكتور محمد شريف الصواف

المشرف العام على مجمع الشيخ أحمد كفتارو

الباب الأول

الشيخ أحمد كفتارو

الفصل الأول: لمحة عن العلاّمة العارف بالله الشيخ أحمد كفتارو وأعماله وإنجازاته.

الفصل الثاني: قالوا عن الشيخ المجدد وجهوده العلمية والدعوية والإنسانية: لعدد من العلماء والدعاة والمفكرين والسياسيين على المستويين المحلي والعالمي

الفصل الثالث: منهج مجمع الشيخ أحمد كفتارو.

الباب الثاني

أفكار وأساليب في التجديد والإصلاح والدعوة الإسلامية

الفصل الأول: التجديد والإصلاح

- **أولاً: الأفكار والنصوص**

المبحث الأول: تجديد التصوف بإعادته إلى قواعد القرآن والسنة، واقتراح ميثاق العمل الصوفي

المبحث الثاني: مفهوم الإسلام في حقيقته وجوهره

المبحث الثالث: القرآن الكريم وموقعه في الحياتين العملية والدعوية عند المسلمين

المبحث الرابع: القرآن الكريم وبناء الحضارة الإسلامية

المبحث الخامس: القرآن الكريم وبناء الحياة المزدهرة على وجه الأرض

المبحث السادس: ضرورة الأخذ بفقه القرآن بمعناه الواسع في حياة المسلمين

المبحث السابع: دور الاجتهاد في الفكر الإسلامي

المبحث الثامن: إصلاح التعليم الديني

المبحث التاسع: ضرورة تملك الأمة الإسلامية للثروة ووسائل التقدم الحضاري

- **ثانياً: الدراسة والتحليل**

الفصل الثاني: الدعوة الإسلامية العالمية

- **أولاً: الأفكار والنصوص**

المبحث الأول: ترشيد جهود الدعوة وتوحيدها في العالم الإسلامي

المبحث الثاني: الدعوة الإسلامية مسؤوليات وأهداف

المبحث الثالث: الواقع المعاصر للأمتين العربية والإسلامية ومستقبل العمل الإسلامي

المبحث الرابع: إعداد الشباب المسلم لتحمل مسؤولياتهم

– حوارات

– الدعوة الإسلامية المعاصرة: طموحات ومشكلات (١)

– الدعوة الإسلامية المعاصرة: طموحات ومشكلات (٢)

– الدعوة الإسلامية المعاصرة: طموحات ومشكلات (٣)

– الدعوة الإسلامية المعاصرة: طموحات ومشكلات (٤)

- **ثانياً: الدراسة والتحليل**

الباب الثالث
أفكار وأساليب في
الوحدة الإسلامية والقضايا الوطنية والسياسية

الفصل الأول: الوحدة الإسلامية

- **أولاً: الأفكار والنصوص**

المبحث الأول: الوحدة الإسلامية ومحاربة التعصب المذهبي

المبحث الثاني: من آثار التقريب بين المذاهب الإسلامية في المجتمع والثقافة والاقتصاد والسياسة

المبحث الثالث: دور السيرة النبوية في تحقيق الوحدة الإسلامية

المبحث الرابع: الوحدة الإسلامية والمذاهب الفقهية

المبحث الخامس: أدب الحوار والاختلاف ودوره في تحقيق الوحدة

- **ثانياً: الدراسة والتحليل**

الفصل الثاني: الإسلام والقضايا الوطنية والسياسية

- **أولاً: الأفكار والنصوص**

المبحث الأول: نداء القدس

المبحث الثاني: نداء للعالمين الإسلامي والمسيحي من أجل القدس

المبحث الثالث: القدس محور السلام

المبحث الرابع: واقع العالم الإسلامي اليوم وما يجب أن يُعمل لإعادته إلى أمجاده

المبحث الخامس: الأسلوب الأمثل للخروج من أزمة التطرف الديني

المبحث السادس: رسالة مفتوحة إلى ملوك ورؤساء بلدان العالم الإسلامي

- **كلمات وحوارات**

١- واقع الأمة الإسلامية: مشكلات وحلول

٢- الجهاد والكفاح التحريري والعنف غير المشروع

٣- العنف في الجزائر

٤- موقف الإسلام من التطبيع مع الكيان الإسرائيلي ومن العمليات الاستشهادية

٥- رد سماحته على الدعوة الموجهة إليه للقاء الحاخام الأكبر في الكيان الإسرائيلي

٦- كلمة سماحته بمناسبة زيارة وفد حركة حماس- برئاسة المجاهد الشيخ أحمد ياسين- مجمعَ الشيخ أحمد كفتارو في دمشق

- **بيانات**

١- بيان المؤتمر الشعبي في جامع يلبغا لنصرة الشعب الجزائري المسلم (في عام ١٩٥٥)

٢- بيان موجه إلى السفارة الأمريكية استنكاراً للعدوان الثلاثي على مصر (في عام ١٩٥٦)

٣- بيان بمناسبة قيام انتفاضة القدس رداً على فتح نفق تحت المسجد الأقصى (في عام ١٩٩٦)

٤- بيان رداً على بناء المستوطنات في القدس (في عام ١٩٩٧)

٥- بيان رداً على الاعتداء على السياح الأجانب والمصريين في مدينة الأقصر (في عام ١٩٩٧)

٦- بيان رداً على التحضير الأمريكي البريطاني للعدوان على الشعب العراقي (في عام ١٩٩٨)

٧- بيان بمناسبة مرور خمسين عاماً على نكبة الشعب الفلسطيني وتشريده (في عام ١٩٩٨)

- **ثانياً: الدراسة والتحليل**

(الجزء الثاني)

الباب الرابع
أفكار وأساليب في
حوار الحضارات والطريق إلى السلام العالمي

الفصل الأول: الحوار مع غير المسلمين

- **أولاً: الأفكار والنصوص**

المبحث الأول: موقف الإسلام من الرسالات السماوية

المبحث الثاني: العمل المشترك بين أتباع الرسالات السماوية

المبحث الثالث: الحوار بين الإسلام والمسيحية: نهاية الحروب الصليبية أم بداية جديدة؟

المبحث الرابع: آفاق المستقبل ودعم الحوار بين المسلمين والغرب

المبحث الخامس: القواسم المشتركة بين الإسلام والمسيحية

المبحث السادس: عطاءات الدين للمجتمع

المبحث السابع: الحوار الإسلامي المسيحي: حقيقة تاريخية وضرورة اجتماعية

المبحث الثامن: العلاقات بين أبناء الرسالات السماوية

المبحث التاسع: الإسلام شفاء للإنسانية ورحمة للعالمين

المبحث العاشر: وجوب العمل المشترك من أجل نصرة المظلومين

- **كلمات وحوارات**

١- حوار مع وفد الكنيسة المصلحة في سويسرة

٢- حوار مع وفد مقاطعة جنوبي ألمانية

٣- نظرة الإسلام إلى التعايش مع غير المسلمين

٤- بيان مشترك مع رابطة الكنائس البروتستانتية في ألمانية الديمقراطية (الشرقية) سابقاً

٥- كفتارو يتحدث عن ميلاد سيدنا عيسى المسيح عليه السلام

٦- احتفاء المسلمين والمسيحيين بميلاد سيدنا عيسى عليه السلام

- **ثانياً: الدراسة والتحليل**

الفصل الثاني: السلام العالمي وإنقاذ الجنس الإنساني

- **أولاً: الأفكار والنصوص**

المبحث الأول: السلام العالمي في الإسلام

المبحث الثاني: نحو عالم تسوده روح الإخاء الإنساني والسلام

المبحث الثالث: الطريق إلى السلام

المبحث الرابع: القيم الخالدة

المبحث الخامس: التربية البيئية في الإسلام

- **ثانياً: الدراسة والتحليل**

الباب الخامس
حوارات مع الصحافة ووكالات الأنباء العالمية

- **أولاً: الأفكار والنصوص**

١- الإسلام والتحدي الحضاري المعاصر

٢- الإسلام والقضايا المعاصرة

٣- الدعوة الإسلامية المعاصرة

٤- الدعوة وأحداث معاصرة

٥- أسباب تخلف المسلمين في عالمنا المعاصر
٦- الإسلام والعلمانية
٧- الوقف الإسلامي والتنمية الاقتصادية
٨- موقف الإسلام من القنوات الفضائية
٩- شهر رمضان المبارك ويوم القدس
١٠- الإفتاء وشهر رمضان
١١- حوار عن رمضان وعن الأحداث المعاصرة

- **ثانياً: الدراسة والتحليل**

الخاتمة

المقدمة






بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الشيخ أحمد كفتارو
وراثة نبوية، ومنهج متميز في تجديد الفكر الإسلامي

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله المصطفى من الخلق، المبعوث هادياً إلى صراط مستقيم، من اتبع هديه واستن بسنته نجا وأنجى، ومن زاغ وبدَّل ضل وغوى، وكان من الخاسرين؛ أما بعد:

فإني في موقف تغشاه الهيبة والإجلال، عندما أمسكت بالقلم لأكتب عن شخصية ربانية استثنائية، ورجل من رجال الفكر والعمل والإنجاز في العصر الحديث، مثل **سماحة الشيخ المجدد المربي الدكتور أحمد كفتارو**، فكيف إذا كان المطلوب أن أكتب فأوجز، وأن أختصر المعاني العظيمة في كلمات قليلة ؟!.

لقد عشت في كنف سماحة شيخنا نحو عشرين عاماً كنت فيها أستشعر عظمة هذا الرجل في كل نظرة من نظراته، وفي كل كلمة من كلماته، وأراه مدرسة متكاملة تهدف إلى بناء شخصية الفرد، وشخصية

الأمة، وسأحاول في هذه العجالة أن أبث بعض جوانب العظمة التي أجدها متجسدة في شخصيته.

كان الشيخ رحمه الله **عالماً متمكناً**، جمع أطراف العلوم، فحفظ القرآن وأتقنه صغيراً على شيخ القراء في بلاد الشام، وأخذ الفقه والأصول والتفسير والحديث والنحو وغيرها عن أساطين العلم في بلاد الشام، وكبار علمائها، ولكنه لم يكن ناقلاً، تراثياً؛ بل **كان ناقداً يصحح ويصوب، ويترك ما يراه غير مناسب لزمانه ومكانه، ويوظف المعلومة فيما يحقق المنفعة للسامع، وكان دائماً يوصي طلاب العلم بالقراءة الواعية الناقدة،** ولا شك في أن هذا من أهم ما ينفع الفرد، وينهض بالأمة.

وكان **مفكراً مصلحاً مجدداً**، يؤمن بأن التراث المنقول إلينا يحتاج إلى تجديد، وتنقية وتصفية، ويعيب على من جعل فهم بعض العلماء للنصوص المقدسة نصاً مقدساً، ومن تعامل مع كتب المذاهب، وحواشي المتون على أنه لا ريب فيها، **ولكن نظرته التجديدية كانت ملتزمة بالضوابط العلمية، فلم يتجاوز الأصول المجمع عليها، والأسس التي قام عليها التشريع**؛ بل كان يؤكد على الانطلاق منها، وعلى فهم مقاصد الشريعة، وقراءة الزمان والمكان قراءة صحيحة، وعرض الأحكام بما يناسب المخاطب.

ولطالما سمع مَن جالَسه إصراره على الخطاب والدعوة إلى الله بالحكمة، التي انتقى لها تعريفاً مازال يكرره ليكون ثابتاً راسخاً في أذهان طلاب العلم: (**الحكمة فعل ما ينبغي، على الشكل الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي**).

وكان عندما يتحدث عن التجديد يضرب لذلك مثالاً فيقول: إن ماء نبع الفيجة الذي يسقي دمشق من أنقى وأعذب مياه الدنيا، يخرج من النبع طاهراً بارداً نقياً، يحمل الحياة، ولكنه يصل إلى بحيرة العتيبة في غوطة دمشق وقد اختلط بالملوثات، فيصبح آسناً، يحمل الموت والأوبئة، وهكذا فإن تجديد الإسلام يكون بالعودة إلى مصادره وأصوله، وقراءتها قراءة علمية صحيحة مشفوعة بفهم المقاصد.

ومن أمثلة ذلك أنه **كان يستغرب كيف يكون الإسلام داعية فقرٍ؟!** وكيف يمدح بعض العلماء الفقر؟! والله هو الذي منَّ على النبي والمسلمين بأنه نقلهم من الفقر إلى الغنى، وقد جعل الله الغنى من أهداف الإسلام؛ حين جعل الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة، **والزكاة أن تملك النِّصاب – يعني أن تكون غنياً –** وتخرج الزكاة من هذا المال، والإسلام يدعوك لدفع الزكاة والصدقات للفقراء، وهذا لا يتحقق إلا إذا كنت غنياً، ويتحدث بإسهاب عن ما شرعه الإسلام من أحكام ليخرج الناس من الفقر إلى الغنى.

وكان يشنع على من ادَّعى التجديد والاجتهاد ليقفز على النصوص، ويخرج من الشريعة، وينطق بالهوى، ويساير أصحاب الأهواء أو الأغراض، وله في ذلك مواقف شجاعة لا تنسى.

وتتمة لذلك كان الشيخ رحمه الله يؤكد على أن **الإسلام هو منهاج الله تعالى الكامل، ومن معاني كماله أنه جاء ليحقق سعادة الإنسان في**

الدنيا قبل الآخرة، ومن لم تتحقق سعادته في الدنيا قبل الآخرة فهذا يدل على أن فهمه وتطبيقه للإسلام ناقص؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [سورة النحل]. ويقول تعالى: ﴿ ..لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ..... ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الزمر].

وكان داعية مبدعاً، عاش حياته كلها يحمل راية التبليغ، رائده في ذلك قول الله تعالى: (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين)، وقد كانت الدعوة إلى الله روح الشيخ وحياته، سخر لها عمره وجاهه وماله، وجعلها رفيقه في حلّه وترحاله، مع الصغير والكبير، مع العامة والخاصة، مع الحكام والشعوب، سافر لأجلها من مشرق الأرض إلى مغربها، وبذل كل طاقته حتى ساعات عمره الأخيرة في سبيلها.

وكان في كل مجلس من مجالسه مع طلابه يحثهم على الدعوة والتبليغ، فيقول: **من تعلم آية فليبلغها لمن وراءه، ومن تعلم حديثاً فليبلغه لمن وراءه**، وكان يستشهد بالصحابة الدعاة رضي الله عنهم الذين غيروا وجه الأرض بالدعوة إلى الله، وكثيراً ما يقول: لو أن الصحابة تعاملوا مع الإسلام مثل تعاملنا اليوم لما تعدى الإسلام حدود مكة والمدينة، ولكن الصحابة كانوا يسمعون الأية أو الحديث من النبي ﷺ فيحملونه لأهل بيتهم، ولقومهم.

وهو يرى أن الدعاة ورثة الأنبياء لأن الأنبياء مهمتهم تبليغ رسالات ربهم، وإنقاذ الإنسانية بإخراجها من الضلال إلى الهدى.

ولكن الشيخ في دعوته كان يؤكد على أن الدعاة يجب أن يعرضوا الإسلام عرضاً صحيحاً، فلطالما قال: **الإسلام قضية رابحة، ولكن المحامي عنها محام فاشل.**

ولطالما قال الذين كفروا بالإسلام عرضت عليهم جثة ملكة الجمال بعد أن أنتنت وتعفنت، وقيل لهم: هذه ملكة الجمال؛ فكفروا بملكة الجمال التي رأوها، ولو عرض الإسلام بحقيقته وجوهره لآمنوا و لم يلحدوا.

ويؤكد على ضرورة العمل في الدعوة من **خلال أدوات العصر كالإعلام بوسائله المتنوعة، واللغات الحية،** وكان يرى أن نشر الإسلام في العالم يحتاج إلى أموال الأغنياء لتمويل جهاد الدعوة، وإلى العلماء الحكماء الذين يتقنون اللغات الحية لتبليغ الرسالة بأعذب بيان.

وكان داعية للوحدة الإسلامية، يكثر أن يستشهد بقوله تعالى: (هو سماكم المسلمين من قبل)، فالله تعالى سمانا المسلمين؛ ونحن سمينا أنفسنا سنة وشيعة، ومالكية وشافعية، وصوفية وسلفية، وغير ذلك مما كان في الأصل حركة سياسية، أو مدرسة علمية لأحد كبار العلماء أو المربين، ثم تعصب لها تلامذته وفرقوا وشتتوا المسلمين.

وقد كانت دعوة الشيخ إلى الوحدة الإسلامية مبكـــرة جـــداً، في الخمسينيات من القرن العشرين؛ ولاقى في سبيلها أذى شديداً، وحرباً شعواء .

ومن أسس دعوة الشيخ وفكره الدعوة **إلى الحوار مع الآخر وبخاصة بين أتباع الشرائع السماوية** والانطلاق من قيمها المـــشتركة في إســـعاد الإنسان، والسير به في دروب النجاة، فالدين عند الله الإسلام، والأديـــان السماوية كلها انطلقت من مشكاة واحدة، وجاءت لهدف واحد، وهـــي وإن اختلفت في كثير من العقائد والمبادئ إلا أن أمامها أخطـــاراً كـــثيرة تتحداها، تنذر بخراب الحضارة الإنسانية، وينبغي أن تتحد في مواجهتـــها، **وأنا أدعو المفكرين والباحثين إلى قراءة متأنية لمحاضرات الشيخ في هـــذا الكتاب الموجهة إلى أتباع الديانات الأخرى، لأن فيها قواعد وخططـــاً تنقذ الإنسانية من كوارث وويلات كثيرة.**

أما أهم ما يميز سماحة الشيخ عن كثير من العلماء والدعاة المنتشرين في أنحاء العالم الإسلامي فهو **أنه عالم ربانيٌّ**، تربى في مجالس الذكر والتربيـــة على يد أعلام من أساتذة هذه المدرسة، ثم أجازه والده العارف بالله الشيخ محمد أمين كفتارو بالطريقة النقشبندية وغيرها من الطرق.

ومن أجل هذا كان الشيخ في مجالسه كلها؛ الخاصة والعامة يكثر مـــن التذكير بمعاني التربية، والتزكية، والصلة بالله تعالى، وحـــب الله، وتزكيـــة النفس، ومعرفة أمراضها، وكثرة ذكر الله، ولا أبالغ حين أقول: لم يخلُ مجلس من مجالس الشيخ من كلمة كان يرددها كثيراً (**أكثروا من ذكر الله**).

والشيخ في ذاته كان فانياً في الله، ذاكراً حاضراً، مراقباً، متوكلاً على الله توكلاً كاملاً، وكان ذلك من أسباب الدعم المعنوي الذي كان يساعده على تحمل الصعاب والأزمات الكبرى التي مرت به.

وقد أوتي **الشيخ ذكاءاً فطرياً نادراً**، فكان قوي الحجة، حاضر البديهة، صاحب طرفة حكيمة يستطيع أن يوظف المواقف والأقوال ليخدم القضية، وينطلق نحو الهدف.

أما علاقة الشيخ بالحاكم فتلك قضية تحتاج إلى تفصيل ودراسة معمقة، فقد وجِد الشيخ في عصر سادت فيه ثقافة مفادها أن التقوى كل التقوى في الابتعاد عن الحكام، بل في الهروب منهم، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من العالم للحاكم لا يكون إلا بالغلظة والفظاظة، وكلما كان العالم أكثر غلظة كلما كان ذلك أحب وأقرب إلى الله.

وكان الناس يصنفون العلماء صنفين اثنين:

الأول: زاهد، أعرض عن الحكام، وخاصمهم وأغلظ لهم، واعتبرهم شرٌ مطلق يجب أن يتره نفسه عنهم، وعن مجالستهم.

الثاني: منتفع منافق، يغشى العلماء فيبرر لهم الباطل، وينتفع منهم فيبيعهم دينه بعرض من الدنيا قليل.

وكان من ملامح التجديد الذي طرحه الشيخ أحمد كفتارو في علاقة الحاكم بالعالم؛ **أن هناك صنفاً ثالثاً غائب عن ساحة التصنيف**، وهو العالم الذي استجاب لأمر الله ورسوله، وعلم أن من واجبه أن ينصح العالم ويذكره، ويرشده، وأن يكون حكيماً في تبليغه ونصحه، شفيقاً رؤوفاً حتى ينتصح الحاكم ويستجيب؛ ويصدق ذلك قول الله تعالى وهو يخاطب موسى وفرعون عليهما السلام: (**إذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولا لينا، لعله يتذكر أو يخشى**).

ومن هنا فإن من واجب العالم أن ينصح وأن يذكر، وأن يقترب من الحاكم ليكون مستشار صدق، ولطالما استشهد الشيخ بالأثر: (الإِسْلامُ وَالسُّلْطَانُ أَخَوَانِ تَوْأَمٌ، لا يَصْلُحُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِلا بِصَاحِبِهِ، فَالإِسْلامُ أُسٌّ وَالسُّلْطَانِ حَارِسٌ، وَمَا لا أُسَّ لَهُ مُنْهَدِمٌ، وَمَا لا حَارِسَ لَهُ ضَائِعٌ).

وقد استطاع الشيخ من خلال تواصله مع الحكومات المتعاقبة في سورية أن يحقق إنجازات كبيرة للعمل الإسلامي.

وبذلك يكون الشيخ قد جمع أسباب النجاح، وتكامل منهجه الدعوي التربوي الفكري، تطبيقاً لمنهج الله تعالى في صناعة الأمم حين قال: (هو الذي بعث في الأميين رسولاً يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة).

أين الشيخ أحمد كفتارو اليوم؟

والسؤال الذي يطرح نفسه بعد كل ماسبق من وصف لشخصية الشيخ الفذة، ومواهبه النادرة، أين الشيخ أحمد كفتارو اليوم؟

والجواب: إن الشيخ مايزال حاضراً بقوة من خلال صور متنوعة كثيرة منها:

١ – فكره الذي مايزال ينتظر الباحثين للدراسة والتعمق، ولعل هذا العمل أحد أهم أبواب توثيق فكر الشيخ وتسجيله.

٢ – تلامذته الذين عاصروه وجالسوه وأخذوا عنه، وهم كثر والحمد لله؛ منتشرون في مشارق الأرض ومغاربها، يحملون همِّ الإسلام، والدفاع عن قضاياه، ودعوة الناس إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، من رآهم واستمع عليهم؛ أدرك مباشرة أنهم من هذه المدرسة التي تحدثنا عن أسسها وأصولها.

٣ – مؤسساته التي استطاع أن يوجدها، ويرسِّخ جذورها في المجتمع ومن أهمها:

- جمعية الأنصار الخيرية: وهي من أقدم وأكبر الجمعيات الخيرية في سورية، وفيها مشاريع خيرية ضخمة للأيتام وتأهيل الفقراء.

- مجمع الشيخ أحمد كفتارو الذي يضم عدداً كبيراً من المؤسسات التعليمية والتربوية؛ ومنها:
- المعهد الشرعي للدعوة والإرشاد.
- المعهد التأهيلي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.
- كلية الدعوة والدراسات الإسلامية بأقسامها: قسم الدعوة والإعلام، قسم اللغة العربية والأدب الإسلامي.
- كلية أصول الدين.
- كلية الشريعة والقانون بأقسامها: قسم الاقتصاد الإسلامي، قسم القانون، قسم الشريعة.
- قسم الدراسات العليا.

وأخيراً لا أدعي أني قدمت جديداً في هذه العجالة؛ لأن من عرف الشيخ سيجدها قاصرة عن التعريف بحقه وفضله، ومن جهل الشيخ لن يصل إلى معرفته من خلال هذه العجالة، أسأل الله أن يرحم شيخنا، وأن يجزيه عنا وعن الإسلام خير الجزاء، وأن يجمعنا به على حوض الحبيب المصطفى ﷺ غير خزايا ولا مفرطين.

ولا يسعني في آخر هذه الكلمات إلا أن أتقدم بجزيل الشكر إلى الداعية الفاضل، والمربي الكبير، **فضيلة الأستاذ محمد غسان الجبَّان** الذي بذل بالتعاون مع قسم الإعلام والنشر في المجمع جهداً كبيراً خلال سنوات طوال لإخراج هذا العمل على هذه الصورة النافعة، وكيف لا يكون

كذلك وقد كان الأستاذ غسان من أقرب الناس للشيخ رحمه الله، ومن أكثر تلامذته أثراً في مسيرته الطيبة المباركة، أسأل الله أن يتقبل منه هذا العمل، وأن يزيده براً بشيخه، وأن ينفع به، وأن يكتب لنا معه أجراً وسهماً، والحمد لله رب العالمين.

دمشق: ١٣/ ربيع الآخر/١٤٣٣هـ الموافق ٢٠١٢/٣/٧م

محمد شريف الصواف

المشرف العام على مجمع الشيخ أحمد كفتارو

رئيس فرع معهد الشام العالي

الباب الأول



الشيخ أحمد كفتارو

(رحمه الله)



عناوين الباب الأول

❋ **الفصل الأول** : لمحة عن العلاّمة العارف بالله الشيخ أحمد كفتارو وأعماله وإنجازاته.

❋ **الفصل الثاني**: قالوا عن الشيخ المجدد وجهوده العلمية والدعوية والإنسانية: لعدد من العلماء والدعاة والمفكرين والسياسيين على المستويين المحلي والعالمي.

❋ **الفصل الثالث**: منهج مجمع الشيخ أحمد كفتارو.

الفصل الأول

لمحة عن:

العلاّمة العارف باللّه

الشيـــخ أحمـــد كفتـــارو

وأعماله وإنجازاته



لمحة عن
العلاّمة العارف بالله الشيخ أحمد كفتارو
و أعماله وإنجازاته

- **الاسم**: أحمد ابن العلاّمة الشيخ محمد **أمين كفتارو**.
- **التولد**: ولد في دمشق في عام ١٩١٢.
- **الوفاة**: توفي- رحمه الله- في عام ٢٠٠٤.
- **علومه الدينية والشرعية**: تلقاها على يد نخبة مختارة من أهل العلم والفضل، وتخصص على أيدي كبار علماء دمشق الأفاضل، الذين شهدوا له بسَعة فهمه وحِدَّة ذكائه، ومنهم: الشيخ محمد أبو الخير **الميداني**، والشيخ إبراهيم **الغلاييني**، والشيخ محمد سليم **الحلواني**، والشيخ محمد **الملكاني**، والشيخ محمد **جزو**، والمُلا **عبد المجيد**، وغيرهم؛ فضلاً على والده وشيخه الشيخ محمد أمين **كفتارو** النقشبندي، رحمهم الله تعالى جميعاً.

مؤهلاته العلمية والأوسمة:

- شهادة الدكتوراه الفخرية في علم الدعوة الإسلامية من جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية في جاكرته في أندونيسية في عام ١٩٦٨.

- وسام نجمة الباكستان الذهبية المقدَّم من الرئيس الباكستاني المشير محمد أيوب **خان** في عام ١٩٦٨، تقديراً لجهوده في نصرة القضية الباكستانية، وتحديداً قضية كشمير، ولإعجابه بالأفكار العملية للشيخ في فهم الدين الإسلامي، ولاسيما فيما يتعلق ببناء القوة الصناعية والاقتصادية والعلمية للدول الإسلامية؛ وجرى ذلك في أثناء زيارته إلى الباكستان لحضور مؤتمر العالم الإسلامي.

- شهادة الدكتوراه في أصول الدين وعلوم الشريعة من جامعة عمر الفاروق في الباكستان في عام ١٩٨٤.

- وسام الاستحقاق، من جامعة عمر الفاروق في الباكستان في عام ١٩٨٤، تقديراً للخدمات الجليلة التي قدمها لرفعة الإسلام وعلومه وشرعه الشريف.

- شهادة الدكتوراه في علوم الدعوة الإسلامية من جامعة أم درمان الإسلامية في السودان في عام ١٩٩٤.

- وسام العلوم من الرئيس المصري حسني **مبارك** في عام ١٩٩٩،

تكريماً له على الإنجازات الكبيرة التي قدمها لخدمة الدعوة الإسلامية العالمية وتقديراً لدوره في صيانة كرامة المسلمين وعزتهم، واعترافاً بدوره في تجديد الإسلام في المسلمين وجهاده لنشر الإسلام في العالم.

- جرى اختياره أحد أهم الشخصيات الدينية في القرن العشرين في مجال الدعوة الإسلامية، في استطلاع لشخصيات القرن العشرين بعنوان: ‹العظماء المئة›، نشرته مجلة **الأهرام العربي** في عددها الثالث والتسعين (٩٣)، الصادر في ١٩٩٩/١/٣.

المناصب والمسؤوليات العملية:

- شارك في تأسيس رابطة العلماء في الجمهورية العربية السورية في عام ١٩٤٦.
- مدرس ديني في دار الفتوى في القنيطرة في عام ١٩٤٨.
- مدرس ديني في دار الفتوى في دمشق في عام ١٩٥٠.
- مفتي دمشق في عام ١٩٥١.
- عضو مجلس الإفتاء الأعلى في عام ١٩٥٢.
- انتخب مفتياً عاماً للجمهورية العربية السورية رئيس المجلس الإفتاء الأعلى منذ عام ١٩٦٤ وحتى وفاته- رحمه الله- في عام ٢٠٠٤.

- رئيس مجمع الشيخ أحمد كفتارو[1] في سورية.
- رئيس جمعية الأنصار الخيرية في سورية، منذ عام ١٩٥٢م وحتى وفاته.
- عضو المجلس المركزي للمنظمة الإسلامية الإفريقية الآسيوية في باندونغ في أندونيسية.
- عضو مؤتمر العالم الإسلامي في الباكستان.
- عضو مجمع التقريب بين المذاهب في إيران.
- عضو القيادة الإسلامية الشعبية العالمية في ليبية.
- عضو ندوة التقريب بين المذاهب الإسلامية، التي أقامتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإسيسكو) في المغرب.
- عضو لجنة التنسيق والعمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة، التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي في جدَّة في المملكة العربية السعودية.

(١) قبل عام ١٩٧٤، كان مصلًّى صغيراً، وبجانبه قبر الأمير **قراجا الناصري**، الذي توفي في عام ٦٠٤هـ، وهو أحد المجاهدين القادة الذين شاركوا في تحرير القدس من أيدي الصليبيين، وكان يُكنى **بأبي النور**، واشتهر المسجد بهذا الاسم، وكذلك المجمع من بعده، ثم تسمى- في بدء القرن الحادي والعشرين- باسم مجمع **الشيخ أحمد كفتارو**، اعترافاً بجهوده الدعوية والعلمية والفكرية والإنسانية على مدار حوالي سبعين سنة.

- عضو مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية في السودان.
- عضو في المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة في القاهرة.
- عضو مكتب التنسيق في المؤتمر العالمي للتصوف الإسلامي- الذي دعا إلى تأسيسه- في ليبية.
- العضو المستشار لَمجْمَع الفقه الإسلامي في السودان.

تأسيسه مجمع الشيخ أحمد كفتارو ونشاطاته التعليمية والأكاديمية [1]:

- كان قد بدأ بالتدريس والإرشاد في حياة والده العلاّمة محمد أمين من بداية الثلاثينات. وبعد وفاة والده- رحمه الله- في عام ١٩٣٨، تولى الإرشاد والتعليم والدعوة والتربية الروحية، واستمرت محاضراته في مجمعه هذا في دمشق حتى وفاته- رحمه الله- في عام ٢٠٠٤، وكان يحضرها الآلاف من الجنسين على اختلاف درجاتهم الثقافية والاجتماعية. وقد تربى على يديه مئات العلماء والدعاة والمفكرين والكتّاب، وصار للكثير منهم شهرة محلية أو عالمية.
- كان يلقي دروسه ومحاضراته بانتظام في أمكنة عدة، ولاسيما

(١) راجع ص ١٧٠

في جامع أبي النور؛ حيث يتحلّق حوله الآلاف.

- فسر القرآن الكريم أربع مرات خلال أكثر من سبعين سنة من المثابرة على التدريس والتوجيه والتربية.

- أسَّس معهد الأنصار للذكور، بمرحلتيه الإعدادية والثانوية، وافتتحه في عام ١٩٤٩.

- أسَّس جمعية الأنصار الخيرية منذ عام ١٩٥٢، وأشهرت رسمياً في عام ١٩٥٩.

- أسَّس معهد بدر للإناث، بمرحلتيه الإعدادية والثانوية، وافتتحه في عام ١٩٦٤.

- أسَّس مجمع الشيخ أحمد كفتارو في دمشق، بطوابقه العشرة في عام ١٩٧١، وهو يضم مسجداً ومعاهد شرعية وكليات جامعية للدراسات الإسلامية ومؤسسات تعليمية وخيرية.

- أسس المعهد الشرعي للدعوة والإرشاد بفرعيه الذكور والإناث في المجمع، وافتتحهما في عام ١٩٧٥.

- أسس دار العلاّمة الشيخ محمد أمين كفتارو لتحفيظ القرآن الكريم في المجمع، وافتتحها في عام ١٩٨١.

- أسس فرعاً لكلية الدعوة الإسلامية في المجمع بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية الليبية، وافتتحه في عام ١٩٨٢.

- أسس دار العلاّمة الشيخ محمد أمين كفتارو لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في المجمع، وافتتحها في عام ١٩٨٨، وهي مخصصة للمغتربين، الذين يريدون تعلم العربية لدراسة العلوم الإسلامية في الكليات الجامعية، وقد تسمت الآن بالمعهد التأهيلي لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

- أسس فرعاً يتبع قسم الدراسات العليا في كلية الإمام الأوزاعي في المجمع، وافتتحه في عام ١٩٩١ .

- أسس فرعاً لكلية أصول الدين في المجمع، بالتعاون مع جامعة أم درمان الإسلامية، وافتتحه في عام ١٩٩٢.

- أسس فرعاً لقسم الدراسات العليا في المجمع، بالتعاون مع جامعة أم درمان الإسلامية، وافتتحه في عام ١٩٩٢.

- أسس قسم الدورات التأهيلية العالمية للأئمة والخطباء والمدرسين الدينيين في المجمع، وافتتحه في عام ١٩٩٣.

- قام بجهود كبيرة لبناء التوسعة الأولى للمجمع في عام ١٩٩٣، بعد أن ضاق- على سعته- بالنشاطات الإسلامية المتنامية.

• أسس قسم الدورات التأهيلية للدعاة الناطقين باللغة الإنكليزية في أوربة وأمريكة في المجمع، وقسماً آخر للدعاة الناطقين باللغة الروسية، وافتتحهما في عام ١٩٩٤.

• أسس مجمعاً للسكن الصيفي للطلبة المغتربين الدارسين في المجمع، واستراحة للأيتام في منطقة بسّيمة من ريف دمشق في عام ١٩٩٥.

• تبرع بمحضر سكني كامل لتنفيذ التوسعة الثانية للمجمع في عام ١٩٩٥، وأشرف بنفسه على المراحل المختلفة للبناء.

• أسس مجمع دار الرحمة لرعاية اليتيمات في عام ١٩٩٨.

• أسس فرعاً لكلية الشريعة والقانون بالتعاون مع جامعة الأزهر عام ٢٠٠١م.

تأريخ عمله الإسلامي محليّاً وعالميّاً:

• حضر أكثر من مئة وخمسين مؤتمراً عالمياً إسلامياً؛ إضافة إلى مؤتمرات عالمية حوارية بين الأديان، ومؤتمرات عالمية بإشراف هيئة الأمم المتحدة مخصصة للسلام العالمي والحفاظ على البيئة والحياة الإنسانية. وقد عُقدت هذه المؤتمرات في دول متعددة (فلسطين، السودان، السعودية، إيران، مصر، ليبية، تونس، الجزائر، المغرب،

الأردن، العراق، لبنان، الإمارات، الكويت، البحرين، عمان، قطر، الصومال، الهند، ماليزية، أندونيسية، الباكستان، أذربيجان، بروناي، تركية، قبرص، مالطة، أوزبكستان، الداغستان، بشكيرية، تَتَرستان، جزر القمر، ألمانية، الفاتيكان، النمسة، الاتحاد السوفييتي السابق، إيطالية، سويسرة، إسبانية، الولايات المتحدة، تشيكوسلوفاكية السابقة، بلغارية، بولونية، بريطانية، اليابان، كورية، الصين، هونغ كونغ، اليونان، كينية، سنغافورة).

• التقى أكثرَ من خمسين رئيس دولة، وعدداً كبيراً من رؤساء الوزراء، والكثير من القيادات السياسية والدينية العالمية، وجميع القيادات السياسية والدينية في سورية، منذ فجر الاستقلال وحتى وفاته- رحمه الله- في عام ٢٠٠٤، وحاورهم وبلّغهم ونصحهم.

ومن الرؤساء والملوك والأمراء الذين التقاهم وبلّغهم وقدم لهم النصيحة:

- الملك عبد العزيز آل **سعود** (السعودية)
- الرئيس شكري القوتلي (سورية)
- الرئيس هواري **بومدين** (الجزائر)
- الرئيس جمال **عبد الناصر** (مصر)
- الرئيس **حافظ الأسد** (سورية)
- الرئيس أحمد **سوكارنو** (أندونيسية)
- الرئيس محمد أيوب **خان** (الباكستان)
- الملك فيصل بن **عبد العزيز** (السعودية)
- الملك سعود بن **عبد العزيز** (السعودية)
- الرئيس عبد الكريم **قاسم** (العراق)
- الرئيس أحمد حسن **البكر** (العراق)
- الرئيس الحبيب **بورقيبة** (تونس)
- الرئيس الحسن **بني الصدر** (إيران)
- المستشار برونو **كرايسكي** (النمسة)
- الملك خالد بن **عبد العزيز** (السعودية)
- العقيد معمر **القذافي** (ليبية)

- الشاه رضا **بهلوي** (إيران)
- الرئيس أريش **هوينكر** (ألمانية الديمقراطية السابقة)
- الرئيس صدام **حسين** (العراق)
- الرئيس محمد أنور **السادات** (مصر)
- الأمير عبد الله السالم **الصباح** (الكويت)
- الرئيس علي ناصر **محمد** (اليمن)
- البابا يوحنا **بولس الثاني** (الفاتيكان)
- الرئيس عمر حسن أحمد **البشير** (السودان)
- الرئيس عبد السلام **عارف** (العراق)
- الملك الحسين بن **طلال** (الأردن)
- الرئيس أندريه **غروميكو** (الاتحاد السوفييتي السابق)
- الرئيس ياسر **عرفات** (فلسطين)
- الرئيس هاشمي **رفسنجاني** (إيران)
- الرئيس شانكر دايال **شارما** (الهند)
- الرئيس عبد الله **الإرياني** (اليمن)
- الرئيس أمين **زروال** (الجزائر)
- آية الله علي **خامنئي** (إيران)
- الشيخ زايد بن سلطان **آل نهيان** (الإمارات العربية المتحدة)
- الملك فهد بن **عبد العزيز** (السعودية)
- الرئيس إلياس **الهراوي** (لبنان)
- الأمير جابر الأحمد **الصباح** (الكويت)
- الرئيس نزار **عليف** (أذربيجان)
- الرئيس بشار **الأسد** (سورية)
- الرئيس زين العابدين **بن علي** (تونس)
- الرئيس ميخائيل **غورباتشوف** (الاتحاد السوفييتي السابق)
- الأمير عيسى بن سلمان **آل خليفة** (البحرين)
- السلطان الحاج حسن **البلقية** (بروناي)
- السلطان قابوس **بن سعيد** (عمان)
- الرئيس كولد **فالدهايم** (النمسة)

ومن رؤساء الوزراء:

- أنديره **غاندي** (الهند)
- مهاتير **محمد** (ماليزية)
- بناظير **بوتو** (الباكستان)
- رفيق **الحريري** (لبنان)

- رشيد **كرامي** (لبنان)
- الحبيب **بن يحيى** (تونس)
- جوليو **أندريوتي** (إيطالية)
- نجم الدين **أربكان** (تركية)
- الشيخ سعد السالم **الصباح** (الكويت)
- الأمير عبدالله بن **عبد العزيز** (السعودية)

• في عام ١٩٥١، حضر مؤتمر العالم الإسلامي، دورة كراتشي في الباكستان.

• في عام ١٩٥٤، كان عضواً في الوفد السوري إلى المؤتمر الإسلامي المسيحي في بحمدون في لبنان.

• في عام ١٩٥٦، زار مصر بدعوة من مجلس قيادة الثورة. وقد دعاه الشيخ محمود **شلتوت** شيخُ الأزهر لإلقاء عدد من المحاضرات في قاعة محمد عبده في جامع الأزهر، حضرها عمداء الكليات وأساتذة جامعة الأزهر.

• في عام ١٩٥٩، زار عدداً من البلدان الأوربية، وهي: سويسرة، وإسبانية، وألمانية، وإيطالية، حيث التقى العديد من المستشرقين والمهتمين بالدراسات الإسلامية، وألقى بضع محاضرات في بعض الجامعات الأوربية، وزار عدداً من المراكز الإسلامية فيها.

• في عام ١٩٦٢، حضر الدورة الخامسة لمؤتمر العالم الإسلامي في العراق.

• في عام ١٩٦٥، مثّل سورية في المؤتمر الإسلامي العراقي الأول

في بغداد.

• في عام ١٩٦٥، ألقى خطاباً شهيراً في المسجد الأقصى في القدس الشريف ليلة الإسراء والمعراج، دعا فيه ملوك العرب والمسلمين ورؤساءهم إلى إصلاحِ أوضاع المسلمين، والأخذ بأسباب التقدم والاتحاد والتماسك، وتحمُّلِ مسؤولياتهم تجاه الإسلام والمسلمين؛ وحذَّر من أنَّ استمرار واقع الأمة بما هو عليه سيؤدي إلى احتلال القدس وأراضٍ إسلامية أوسع. وقد نُقِلَت هذه الخطبة التاريخية عبر معظم الإذاعات العربية على الهواء مباشرة.

• في عام ١٩٦٥، حضر مؤتمر المجلس المركزي للمنظمة الإسلامية الإفريقية الآسيوية في باندونغ بأندونيسية.

• في عام ١٩٦٦، زار الولايات المتحدة بدعوة من رابطة جامعات البحيرات الكبرى، التي تضم أربع عشرة جامعة في ولايات أنديانا وميشيغان وأوهايو؛ حيث ألقى ما يزيد على أربع وأربعين محاضرة، تناولت الإسلام بجوانبه كلها وأهم القضايا المعاصرة. وأطلع فيها الشعب الأمريكي على الإسلام الحق، وناقش الصور المشوهة العالقة في أذهانهم عنه. وكذلك خدم قضية العرب الكبرى، حينما شرح لعدد من أعضاء الكونغرس الأمريكي أهم جوانب قضية فلسطين، وبيَّن لهم التضليلات الإسرائيلية.

• في عام ١٩٦٧، مثَّل سورية في اجتماعات المجلس المركزي للمنظمة الإسلامية الإفريقية الآسيوية في جاكرته في أندونيسية.

• في عام ١٩٦٧، زار لبنان، والتقى مفتي الجمهورية اللبنانية لبحث قضية العدوان الإسرائيلي الغادر على سورية، والبحث في كيفية مساعدة المنكوبين.

• في عام ١٩٦٧، زار الباكستان، وحضر المؤتمر الإسلامي، الذي عقد في كراتشي لمرور أربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم.

• في عام ١٩٦٨، زار الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي السابق تلبية لدعوة رئيس الإدارة الدينية في آسية الوسطى؛ حيث أجرى اتصالات مع المسؤولين من أجل إصلاح عدد من المساجد في آسية الوسطى أو ترميمها أو إعادة فتحها، منها: مسجد الأمير كلال، ومسجد عبد الخالق الغجدواني، ومسجد يوسف الهمذاني، ومسجد زنجي بهلوان في خوارزم. وكذلك أسهم في افتتاح المعهد الإسلامي العالي في طشقند، وعمل على زيادة عدد طلبة المدرسة الدينية مير عرب في بخارى.

• في عام ١٩٦٩، زار لبنان، والتقى فيها رئيسَ المجلس الشيعي الأعلى الإمامَ موسى **الصدر**، ودعا إلى وحدة الكلمة، ورصّ الصفوف تجاه العدو.

• في عام ١٩٦٩، مثَّل سورية في مؤتمر الأديان العالمي في مدينة زاغورسك في الاتحاد السوفييتي السابق. وبحث المؤتمر مسائل التعاون والسلام بين الشعوب.

• في عام ١٩٧٠، ترأس وفد سورية إلى المؤتمر العام للمنظمة الإسلامية العالمية في باندونغ في أندونيسية.

• في عام ١٩٧٠، ترأس وفد سورية إلى الملتقى الرابع للتعريف بالفكر الإسلامي في الجزائر، وألقى محاضرة بعنوان: الإسلام وحتمية الانتصار.

• في عام ١٩٧٢، زار إيران، وألقى محاضرات في جامعات قُم ومشهد وطهران.

• في عام ١٩٧٢، زار الكويت- بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- لحضور الموسم الديني، الذي تقيمه الوزارة بمناسبة شهر رمضان المبارك.

• في عام ١٩٧٣، ترأس وفد علماء سورية، الذي زار الاتحاد السوفييتي السابق.

• في عام ١٩٧٤، ترأس لجنة التوفيق، لإزالة الخلافات بين جماعات إسلامية هندية، وهي لجنة منبثقة عن مؤتمر الندوة الإسلامية العالمية في الهند.

• في عام ١٩٧٤، زار الإمارات لتدعيم العلاقات بين إدارتي

الإفتاء في البلدين.

• في عام ١٩٧٥، حضر المؤتمر الأول لـــ ‹رسالة المسجد› في مكة المكرمة في المملكة العربية السعودية.

• في عام ١٩٧٦، حضر مؤتمر الفقه الإسلامي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في السعودية.

• في عام ١٩٧٦، مثل سورية في المؤتمر العالمي للذكرى الثلاثين لتأسيس الإدارة الدينية لمسلمي آسية الوسطى في طشقند في كازاخستان.

• في عام ١٩٧٨، ترأس المؤتمر الإسلامي المسيحي في براغ عاصمة تشيكوسلوفاكية السابقة، وألقى فيه محاضرة عالج فيها البواعث الدينية في مساعي السلام العالمي من وجهة النظر الإسلامية.

• في عام ١٩٧٩، زار النمسة بدعوة من الكاردينال **كونيغ**، وألقى محاضرات عدة- في جامعة فيينة والمراكز الإسلامية- عن التعاون بين الإسلام والمسيحية.

• في عام ١٩٨٠، زار الاتحاد السوفييتي السابق لحضور المؤتمر الإسلامي العالمي وشعاره: ليكن القرن الخامس عشر الهجري قرن سلم وصداقة بين الشعوب. وقد عقد في طشقند.

• في عام ١٩٨٠، زار جمهورية ألمانية الديمقراطية السابقة بدعوة

من نائب رئيس الدولة، وأجرى لقاءات عدة مع المسؤولين، وحوارات مع الوفد الممثل لكلية اللاهوت في جامعة برلين، وكان برئاسة عميد الكلية. وقد صدر بيان مشترك أكد فيه الطرفان وحدانية الله، وأن عيسى ومحمداً- عليهما الصلاة والسلام- رسولان من عند الله.

• في عام ١٩٨١، ألقى محاضرة في أكاديمية العلوم في موسكو بعنوان: الإسلام والسلام العالمي، وكانت محاضرة حوارية عالية الفكر مع كبار الشخصيات العلمية الأكاديمية في الاتحاد السوفييتي السابق والنظام الشيوعي. وقد دام نقاشه معهم ثلاث ساعات، واستطاع أن يقيم الحجة عليهم ويرفع راية الإسلام.

• في عام ١٩٨١، مثَّل سورية في مؤتمر الدعوة الإسلامية، الذي عُقد في ليبية.

• في عام ١٩٨٢، مثَّل مسلمي العالم في مؤتمر علماء الأديان، الذي عقد في موسكو وألقى فيه كلمة بعنوان: مبادئ السلام العالمي في الأديان السماوية.

• في عام ١٩٨٢، حضر مهرجان الإسلام، الذي أقامته الجمعية الصوفية الإسلامية لعموم الهند في دلهي.

• في عام ١٩٨٢، زار إيران للمشاركة في احتفالات الذكرى الثالثة للثورة الإسلامية الإيرانية، وألقى عدداً من المحاضرات في جامعات

قم ومشهد وطهران.

• في عام ١٩٨٣، ترأس وفد سورية إلى مؤتمر الطاولة المستديرة من أجل السلام العالمي، الذي عقد في موسكو في الاتحاد السوفييتي السابق، وألقى كلمة تحدَّبث فيها عن دور الأديان السماوية في تدعيم قضية السلام العالمي، واقترح فيها تقديم مشروع قرار إلى هيئة الأمم المتحدة باسم الدول المحبة للسلام لمعالجة هذه القضية دولياً، مدعوم من علماء في الأديان ورجال في السياسة والعلم.

• في عام ١٩٨٤، ترأس وفد سورية إلى المؤتمر الإسلامي العالمي لأئمة الجمعة والجماعة، الذي عقد في إيران.

• في عام ١٩٨٤، زار موسكو لحضور مؤتمر الطاولة المستديرة من أجل السلام العالمي، وأجرى في الزيارة لقاءات مع عدد من رؤساء الإدارات الدينية في الجمهوريات الإسلامية السوفييتية السابقة.

• في عام ١٩٨٤، زار ليبية، والتقى الأمينَ العام لجمعية الدعوة الإسلامية وعدداً من الطلبة والعمال السوريين، وتحدث فيهم عن أخطار الهجمة الصهيونية الأمريكية، التي تحيط بالمنطقة العربية، ولاسيما بسورية.

• في عام ١٩٨٥، انتخب نائباً لرئيس المؤتمر الرابع للفكر الإسلامي، الذي أقامته منظمة الإعلام الإسلامي في إيران وألقى كلمة

ارتجالية مهمة بعنوان: واقع العالم الإسلامي اليوم وما يجب أن يعمل لإعادة أمجاده، طُبعت ونشرت في الصحافة العالمية.

• في عام ١٩٨٥، قام بزيارة إلى كلٍّ من الفاتيكان وإيطالية، والتقى البابا يوحنا **بولس** الثاني ورئيس الوزراء وكبار المسؤولين الإيطاليين، وألقى محاضرتين في جامعتي ميلانو والفاتيكان، عنوانهما: ‹الإسلام والتسامح الديني› و ‹تأملات عالمية في الإسلام والمسيحية›.

• في عام ١٩٨٦، مثَّل العلماء السوريين في مؤتمر السلام العالمي، الذي عقد في براغ في تشيكوسلوفاكية السابقة.

• في عام ١٩٨٦، شارك في أعمال المؤتمر الإسلامي، الذي عقد في مدينة باكو في الاتحاد السوفييتي السابق.

• في عام ١٩٨٦، زار لبنان- بدعوة من مفتي الجمهورية اللبنانية سماحة الشيخ حسن **خالد**- لحضور المؤتمر الإسلامي اللبناني الثاني.

• في عام ١٩٨٦، زار ليبية- بدعوة من أمين الإعلام والثقافة الدكتور رجب **أبو دبوسة**- لتوطيد العلاقات الأخوية بين القطرين.

• في عام ١٩٨٦، ترأس المؤتمر الثالث للطاولة المستديرة المنعقد في موسكو وشارك فيه علماء يمثلون الأديان والعقائد كافة، من أجل البحث عن سبيل لدرء الأخطار التي تهدد الحياة الإنسانية بسبب الحرب النووية المخيمة على العالم.

• في عام ١٩٨٦، انتخب نائباً لرئيس مؤتمر الفقه الإسلامي المالكي الرابع في الإمارات العربية المتحدة.

• في عام ١٩٨٧، زار بولونية، وألقى- في جامعاتها ومراكزها العلمية- عدداً من المحاضرات عن الإسلام والسلام العالمي، وعن الإسلام ومشكلات العصر.

• في عام ١٩٨٧، زار بلغارية بدعوة من مفتي المسلمين ووزارة الخارجية، وألقى فيها محاضرة في أكاديمية العلوم بعنوان: الإسلام والسلام العالمي.

• في عام ١٩٨٧، ألقى في مالطة محاضرة عن الوجود المشترك في حوض البحر المتوسط.

• في عام ١٩٨٧، زار الفاتيكان، وعقد قمة حوارية أخرى مع البابا يوحنا بولس الثاني عن مستقبل الإيمان ومواجهة الإلحاد في العالم.

• في عام ١٩٨٧، زار موسكو لحضور المؤتمر الدولي للسلام بدعوة من وزارة الشؤون الدينية.

• في عام ١٩٨٨، قام بزيارة إلى بلغارية؛ حيث شارك في إعادة افتتاح جامع العاصمة صوفية بعد أن أقنع السلطات بفتحه وتجديده. وكذلك أسهم في تأسيس معهد الأئمة في صوفية.

• في عام ١٩٨٨، زار الإمارات- بدعوة من وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف- للمشاركة في إحياء ليالي رمضان المبارك.

• في عام ١٩٨٨، زار الجمهورية الألمانية الديمقراطية السابقة للاشتراك في مؤتمر برلين الدولي، من أجل إقامة مناطق خالية من الأسلحة النووية.

• في عام ١٩٨٨، زار ليبية لإلقاء محاضرة في الملتقى الثاني لخريجي كلية الدعوة الإسلامية وفروعها في العالم.

• في عام ١٩٨٨، ترأس الوفد السوري لزيارة كل من إيطالية والفاتيكان- بدعوة من جمعية إجيدوا- للمشاركة في ندوة الطاولة المستديرة عن الإسلام والسلام في العصر الحديث.

• في عام ١٩٨٨، تلقى دعوة ليكون رئيساً عن الجانب الديني في المنبر العالمي للبيئة والتطور من أجل البقاء الإنساني في جامعة أكسفورد في بريطانية، ولكنه لم يتمكن من الحضور.

• في عام ١٩٨٩، قام بزيارة إلى كل من تركية والاتحاد السوفييتي السابق؛ حيث ألقى بضع محاضرات في عدد من الجامعات والمراكز الإسلامية.

• في عام ١٩٨٩، قام بزيارة إلى الولايات المتحدة، وألقى عدداً من المحاضرات في المراكز الإسلامية، وأجرى لقاءات في عدد من المدن

والولايات الأمريكية.

• في عام ١٩٨٩، قام بزيارة إلى إيران، لحضور مؤتمر مناصرة الثورة الأفغانية، والتقى فيها مرشدَ الثورة الإسلامية آية الله علي **خامنئي**، ورئيس الجمهورية علي أكبر هاشمي **رفسنجاني**، ورئيس مجلس الشورى الإيرانية آية الله مهدي **الكروبي**، ورئيس لجنة الإعلام آية الله **جنتي**، ومجموعة كبيرة من المراجع الدينية الإيرانية، ووزير الخارجية الدكتور علي أكبر **ولايتي**. وقد ناقش رحمه الله- في هذه اللقاءات- مواضيع متعددة تتعلق بوحدة المسلمين، ونبذ خلافاتهم وعصبياتهم المذهبية، والعودة إلى الإسلام الصافي. والتقى- على هامش المؤتمر- الشيخَ صبغةَ الله **المجددي** رئيسَ الحكومة المؤقتة للمجاهدين الأفغان، وتدارسا سبل نصرة الثورة الإسلامية الأفغانية.

• في عام ١٩٨٩، زار الإمارات، والتقى فيها عدداً من المسؤولين، وأجرى محادثات مع وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف.

• في شهر كانون الثاني من عام ١٩٩٠، انتخب ممثلاً عن قادة الأديان الروحيين في العالم لمؤتمر ‹البيئة والتطور من أجل البقاء الإنساني›، إلى جانب ممثل عن البرلمانيين في العالم وآخر عن العلماء المختصين في البيئة، وقد عقد في موسكو بإشراف هيئة الأمم المتحدة، وألقى خطاباً في الكرملين بعنوان: مسؤولية الإنسان تجاه نفسه.

• في عام ١٩٩٠، ترأس في رومة أعمال الجمعية التحضيرية للمؤتمر العالمي للأديان، الذي عقد في الولايات المتحدة في مطلع عام ١٩٩١.

• في عام ١٩٩٠، زار السعودية، والتقى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتورَ عبد الله عمر **ناصيف**. وتناولت المباحثات العلاقات القائمة مع مجلس الإفتاء الأعلى.

• في عام ١٩٩٠، ألقى عدداً من المحاضرات في زيارته إلى الولايات المتحدة، وكان أبرز العناوين: ‹الروحانية في القرن الحادي والعشرين› و ‹القرآن يمد يد العون للإنسانية كلها›.

• في عام ١٩٩٠، زار اليابان لحضور الاجتماع التحضيري لانعقاد مؤتمر الأديان العالمي بعد عامين في طوكيو (في عام ١٩٩٣).

• في عام ١٩٩٠، زار الإمارات، وأجرى محادثات مع حاكم الشارقة سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد **القاسمي**، ومع سماحة الشيخ محمد حسن **الخزرجي**.

• في عام ١٩٩١، زار السعودية على رأس وفد من العلماء، وأجرى محادثات مع المفتي العام والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية.

• في عام ١٩٩١، زار الإمارات، وأجرى محادثات مع وزير الشؤون الإسلامية لتوطيد العلاقات بين البلدين.

• في عام ١٩٩١، قام بزيارة إلى كل من اليابان وكورية والصين؛ حيث أجرى لقاءات مع رؤساء المراكز الدينية والمنظمات الإسلامية. وفي اليابان، ألقى كلمة موجهة إلى طائفة **الأموتو** في كاميوكا. وفي كورية، أجرى حواراً دينياً مع المسؤولين الدينيين. وفي الصين، ألقى عدداً من المحاضرات أمام الآلاف من المسلمين. وقد حققت دعوته نجاحاً كبيراً في اليابان؛ إذ وفد إلى دمشق أربعة من زعماء طائفة الأموتو، فأعلنوا إسلامهم، ثم توجه بهم في رحلة إلى السعودية أدوا فيها مناسك العمرة مع زيارة الحرم النبوي الشريف.

• في عام ١٩٩١، حضر مؤتمر الأديان العالمي المنعقد في السودان، وأجرى عدداً من اللقاءات مع القادة الإسلاميين، وفي مقدّمهم رئيس الجمهورية الفريق عمر حسن أحمد **البشير**، وألقى- في جلسة افتتاح المؤتمر- خطاباً مهماً عن مسؤولية الحكام ورجال المال والإعلام وعلماء المسلمين عن مستقبل العالم والإنسانية، وألقى محاضرة أخرى بعنوان: الطريق إلى السلام العالمي.

• في عام ١٩٩١، زار الكويت لحضور مؤتمر ‹الغزو العراقي في المنظور الإسلامي›، وألقى فيه كلمة مهمة، حمَّل فيها الحكام والعلماء والأغنياء مسؤولية تخلف المسلمين.

• في شهر حزيران من عام ١٩٩١، ترأس الوفد الإسلامي في المؤتمر

المسيحي المنعقد في اسطنبول، وألقى فيه محاضرة بعنوان: دور الأسرة في المجتمع الإسلامي؛ وكذلك أجرى حوارات مع رجال الدين المسيحي.

• في عام ١٩٩٢، دعي إلى مؤتمر ديني بأثينا ليحاضر عن ‹الضمير في الإسلام›، وتعذر حضوره، فألقيت الكلمة بالنيابة عنه.

• في عام ١٩٩٢، زار الكويت- بدعوة من وزارتي الشؤون الإسلامية والإعلام- لحضور المهرجان الإسلامي العالمي للإفراج عن الأسرى الكويتيين، وألقى كلمة دعا فيها الأمة الإسلامية وقياداتها إلى معالجة الأسباب التي أدت إلى الكوارث في ماضيها وحاضرها، وأكَّد أن أهم هذه الأسباب هي تَركُنا لثقافة الإسلام الحق وتعاليمه.

• في عام ١٩٩٢، زار إيران، وألقى محاضرات في عدد من جامعاتها، وكان له لقاء مع كبار المسؤولين الإيرانيين.

• في عام ١٩٩٢، زار لاهور في الباكستان للمشاركة في أعمال مؤتمر بيت المال الباكستاني.

• في عام ١٩٩٢، زار السعودية، والتقى سماحةَ الشيخ عبد العزيز بن باز المفتي العام. وهدفت المحادثات إلى توثيق العلاقات بين إدارتي الإفتاء في البلدين.

• في شهر حزيران من عام ١٩٩٢، تلقى دعوة من هيئة الأمم المتحدة إلى حضور قمة الأرض- التي عقدت في ريوديجانيرو في البرازيل-

ليترأس الجلسة الدينية ويلقي كلمة عن الأديان السماوية بعنوان: جهود متحدة ومسؤوليات مشتركة، ولكنه لم يتمكن من الحضور شخصياً.

• في شهر نيسان من عام ١٩٩٣، ترأس القسم الديني في المؤتمر الدولي لـــ ‹تغيير القيم من أجل البقاء الإنساني›، المنعقد في اليابان، وألقى خطاباً مهماً عنوانه: القيم الخالدة، وهو ترشيد لشعار المؤتمر.

• في عام ١٩٩٣، ترأس الوفد الديني إلى مؤتمر ‹السلام من أجل الإنسانية›، المنعقد في النمسة، وقد ألقى في المؤتمر محاضرة عنوانها: العمل المشترك تحت راية الإيمان.

• في عام ١٩٩٣، تلقى دعوة- من جمعية القديس إجيدوا الإيطالية- لحضور مؤتمر ميلانو ليلقي كلمة عنوانها: الإيمان ووحدة العائلة الإنسانية، وألقيت عنه بالنيابة لعدم تمكنه من المشاركة.

• في عام ١٩٩٣، قام بزيارة إلى اليابان، وألقى بضع محاضرات عن الإيمان ومستقبل الأسرة الإنسانية.

• في عام ١٩٩٣، ترأس الوفد الإسلامي السوري إلى المؤتمر الإسلامي العالمي من أجل البوسنة والهرسك، المنعقد في اسطنبول، بدعوة من رئيس حزب الرفاه التركي البروفسور نجم الدين **أربكان**.

• في عام ١٩٩٣، زار عُمان لإجراء محادثات مع المسؤولين في دار الإفتاء. واجتمع في أثناء الزيارة مع السلطان قابوس **بن سعيد**.

• في عام ١٩٩٣، زار كينية، وأجرى محادثات مع رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، وقابل عدداً من المسؤولين.

• في عام ١٩٩٣، زار جزر القمر لإجراء محادثات مع رئيس الإدارة الإسلامية ووزير العدل والأوقاف.

• في عام ١٩٩٣، حضر المؤتمر الخامس للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر؛ حيث التقى الأمينَ العام للجامعة العربية وعدداً من الشخصيات السياسية والدينية. وقد عقد المؤتمر بعنوان: الصراعات الفكرية وأثرها في استقرار الأمة الإسلامية، وكانت محاضرته بعنوان: الأسلوب الأمثل للخروج من أزمة التطرف الديني.

• في عام ١٩٩٣، زار ماليزية، وأجرى محادثات مع رئيس المجلس الإسلامي ورابطة علماء ماليزية.

• في عام ١٩٩٣، زار قطر، وأجرى محادثات مع وزير الشؤون الإسلامية القطرية بهدف تطوير العلاقات مع مجلس الإفتاء الأعلى في سورية.

• في المدة الواقعة ما بين ١٠ أيلول و٦ تشرين الأول من عام ١٩٩٤، سافر إلى الولايات المتحدة لإجراء عمل جراحي، والتقى- في زيارته- الجاليةَ العربية السورية، ورئيس المراكز الإسلامية في ولاية لوس أنجلوس، وعدداً من علماء الدين الإسلامي.

• في عام ١٩٩٤، قام بزيارة إلى الهند؛ حيث التقى رئيسَ

جمهورية الهند ووزير الخارجية ونائب رئيس البرلمان، وحضر اجتماع أساتذة الجامعة الإسلامية.

• في عام ١٩٩٤، زار مصر- بدعوة من شيخ الأزهر- لحضور اجتماعات الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة.

• في عام ١٩٩٤، ترأس وفد سورية لمؤتمر ‹الذكر والذاكرين› المنعقد في السودان، والتقى عدداً من قيادات الدعوة الإسلامية العالمية والطرق الصوفية، وأجرى لقاءات مع الصحافة المحلية والعالمية والتلفزيون السوداني.

• في عام ١٩٩٤، ترأس الوفد السوري إلى المغرب لحضور الندوة الإسلامية في الرباط.

• في عام ١٩٩٤، زار الأردن والتقى في أثنائها: الملكَ **الحسين**، وولي عهده، ورئيس الوزراء، ووزير الأوقاف والمقدسات الإسلامية. وحضر احتفالات إعادة إعمار قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك.

• في عام ١٩٩٥، حضر المؤتمر العالمي للتصوف الإسلامي- الذي دعا إلى تأسيسه- في ليبية، وألقى محاضرة لتجديد التصوف والعودة به إلى قواعد القرآن والسنة. وكذلك حضر المؤتمر العام الخامس للدعوة الإسلامية، وألقى كلمة في قيادات الدعوة الإسلامية العالمية.

• في عام ١٩٩٥، زار السعودية لأداء العمرة الشريفة، والتقى

أثنائها الملك فهد **بن عبد العزيز**، وتداول معه الحديث في عدد من المسائل الإسلامية العالمية.

• في عام ١٩٩٥، زار لبنان لإجراء مباحثات مع القيادات الدينية في لبنان.

• في عام ١٩٩٥، زار مصر، والتقى فيها: وزيرَ الإعلام، ورئيسَي مجلسَي الشورى والشعب، وشيخ الأزهر، ومفتي مصر، وعدداً من العلماء.

• في عام ١٩٩٥، زار تونس لإجراء محادثات مع المفتي العام التونسي ووزير الشؤون الإسلامية، والتقى رئيسَ الوزراء وعدداً من العلماء.

• في عام ١٩٩٥، زار المركز الإسلامي التابع لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية في مالطه.

• في عام ١٩٩٥، حضر المؤتمر العام للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية المنعقد في قبرص، وألقى كلمة مهمة بعنوان: واقع الأمة الإسلامية المعاصر ومستقبل العمل الإسلامي، وقدم خطة عمل لترشيد الصحوة الإسلامية.

• في عام ١٩٩٦، حضر المؤتمر الثامن للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر. وقد عقد المؤتمر بعنوان: الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري، وألقى فيه محاضرة بعنوان: موقف الإسلام من الأديان السماوية.

• في عام ١٩٩٦، زار الكويت، واستقبله الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ولي العهد، وأجرى مباحثات معه، ثم مع الدكتور فهد السميع تركزت في توطيد العلاقات مع مجلس الإفتاء الأعلى في سورية.

• في عام ١٩٩٦، زار ماليزية لحضور مؤتمر الدعوة الإسلامية، الذي نظمته الجمعية الإسلامية الخيرية الماليزية برعاية منظمة المؤتمر الإسلامي، وألقى فيه كلمة عن ضرورة توحيد الجهود للوقوف في وجه الصعوبات التي يتعرض لها المسلمون في العالم.

• في عام ١٩٩٦، زار سنغافورة، وأجرى محادثات مع الأمين العام للجمعية الإسلامية الدكتور أبي بكر محيي الدين، ومع رئيس المركز الإسلامي الشيخ محمد السيد فرحات.

• في عام ١٩٩٦، زار الإمارات، وأجرى محادثات مع المسؤولين في الشؤون الإسلامية تهدف إلى تعزيز العلاقات بين البلدين.

• في عام ١٩٩٦، زار البحرين، وأجرى محادثات مع كبار المسؤولين بشأن أعمال التخريب في البحرين والسعي إلى إطفاء الفتنة.

• في عام ١٩٩٦، زار تركية لحضور مؤتمر التضامن والتعاون بين الحركات والمؤسسات الإسلامية العالمية، بدعوة من البروفسور نجم الدين أربكان.

• في عام ١٩٩٦، زار أذربيجان -بدعوة من جمعية الدعوة

الإسلامية- لحضور اجتماع الأمانة العامة للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية، الذي افتتح في باكو. وألقى محاضرة، وقدم ميثاقاً للعمل الصوفي العالميّ، يكون ناظماً للحركات الصوفية في العالم وفق قواعد القرآن والسنة. والتقى الرئيسَ نزار عليف، ورئيس الإدارة الدينية، وعدداً من العلماء وأساتذة الجامعات.

• في عام ١٩٩٦، زار لبنان لحضور المؤتمر الإسلامي المسيحي الخاص بمدينة القدس، وألقى محاضرة بعنوان: نداء للعالمين الإسلامي والمسيحي من أجل القدس.

• في عام ١٩٩٧، زار لبنان، وأجرى مباحثات مع رئيس وزراء لبنان رفيق الحريري، ومفتي لبنان الشيخ الدكتور محمد رشيد قباني، ورئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الشيخ محمد مهدي شمس الدين، وقائم مقام شيخ عقل الدروز الشيخ بهجت غيث، وغيرهم، وزار عدداً من المؤسسات الإسلامية في لبنان.

• في عام ١٩٩٧، قام بزيارة إلى دولة الإمارات بدعوة من وزارتي الشؤون الإسلامية والأوقاف والإعلام، والتقى رئيس الدولة سموَّ الشيخ زايد بن سلطان **آل نهيان**، وحاكم الشارقة سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد **القاسمي**.

• في عام ١٩٩٧، قام بزيارة إلى السعودية بدعوة من وزير

الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الدكتور عبد الله ابن عبد المحسن **التركي**، والتقى ولي عهد المملكة سموَّ الأمير عبد الله **ابن عبد العزيز**، وأجرى مباحثات منفصلة مع: وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف، والمفتي العام للمملكة سماحة الشيخ عبد العزيز **بن باز**، ورئيس مجلس الشورى الشيخ محمد **بن جبير**، ووزير الحج الدكتور محمود **سفر**، ورئيس رابطة العالم الإسلامي الدكتور عبد الله بن صالح **العبيد**، ورئيس هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية الدكتور عدنان **خليل باشا**، ورئيس مجموعة دلة البركة وتلفزيون وراديو العرب (art) الشيخ صالح **كامل**، ورئيس جمعية اقرأ العالمية الدكتور محمد عبده **يماني**، والأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي الدكتور مانع حماد **الجهني**، وأمين العاصمة المقدسة الشيخ عمر **القاضي**، ومدير تعليم مكة المكرمة الشيخ سليمان **الزايدي**، ورئيس البنك الإسلامي الدكتور محمد أحمد **علي**. وكذلك التقى مجموعةً من العلماء والدعاة، وفي مقدّمهم الشيخ علي **الطنطاوي** والدكتور معروف **الدواليبي**.

• في عام ١٩٩٧، قام بزيارة إلى سلطنة عمان بدعوة من المفتي العام لسلطنة عمان سماحة الشيخ أحمد **الخليلي**، والتقى فيها السلطان قابوس **بن سعيد**؛ وأجرى محادثات مع وزير العدل والأوقاف، والمفتي العام للسلطنة؛ وزار جامعة السلطان قابوس في مسقط؛ حيث التقى رئيسَها ومجلس إدارتها.

• في عام ١٩٩٧، حضر المؤتمر الإسلامي الأول في مدينة بفالو في الولايات المتحدة، وهو المؤتمر الأول لأبناء مجمع الشيخ أحمد كفتارو المقيمين في الولايات المتحدة. وقد حضر المؤتمر عدد من قيادات الدعوة الإسلامية في الولايات المتحدة، وفي مقدّمهم: الإمام وارث الدين **محمد** زعيم المسلمين السود، والإمام سراج **وهاج**. وألقى ثلاث محاضرات في المؤتمر، وشارك في ندوة عن الحوار الإسلامي المسيحي، على هامش المؤتمر.

• في عام ١٩٩٧، زار مصر- بدعوة من وزير الأوقاف الدكتور محمود حمدي **زقزوق**- للمشاركة في أعمال المؤتمر التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. وقد ألقى محاضرة بعنوان: آفاق المستقبل ودعم الحوار بين المسلمين والغرب، والتقى- على هامش المؤتمر- عدداً من الشخصيات الإسلامية العالمية المشاركة في المؤتمر.

• في شهر تموز من عام ١٩٩٧، ألقى- لتعذر سفره- محاضرة عبر الأقمار الصناعية في مؤتمر ‹الإسلام في العصر الحديث›، بدعوة من جماعة أمة الإسلام، التي يتزعمها لويس **فرقان** في الولايات المتحدة.

• في عام ١٩٩٧، زار دولة البحرين، والتقى أمير دولة البحرين سموَّ الشيخ عيسى سلمان **آل خليفة**، ثم أجرى مباحثات مع المدير العام للأوقاف والشؤون الإسلامية الشيخ ساعي علي **العبيد**.

• في عام ١٩٩٧، زار هونغ كونغ تلبية لدعوة من لجنة الدعوة في الاتحاد الإسلامي، وألقى محاضرة في المركز الإسلامي بعنوان: النهضة

الإسلامية في القرن العشرين.

• في عام ١٩٩٧، زار اليابان للمشاركة في مؤتمر القمة الديني في مدينة كيوتو، وألقى محاضرة بعنوان: عطاءات الدين للمجتمع.

• في عام ١٩٩٧، دعي إلى الباكستان للمشاركة في الاجتماع الخامس للمؤتمر الإسلامي العالمي المنعقد في إسلام أباد، وقدم محاضرة للمؤتمر بعنوان: إعداد الشباب المسلم لتحمل مسؤولياتهم، ألقيت بالنيابة عنه.

• في عام ١٩٩٨، دعا في حفل افتتاح ‹الدورة العالمية السادسة للأئمة والخطباء والمدرسين الدينيين من مختلف بلدان العالم›- التي أقيمت في المجمع بدمشق- إلى أن يتفاعل هؤلاء مع قضايا أممهم وشعوبهم، وأن يسهموا في إخراج مجتمعاتهم من الظلمات إلى النور.. ومن حال التخلف والجهل إلى التقدم والازدهار، وأن يتعاونوا مع رجال الحكم والسياسة من أجل مواجهة التحديات المصيرية المعاصرة.

• في عام ١٩٩٨، استقبل وفد أساقفة كانتربري في بريطانية برئاسة المطران فرانك **سارجنت**، وجرى الحديث عن دور علماء الدينين الإسلامي والمسيحي في تنشيط الحوار المشترك وتفعيله لنشر التآخي بين الشعوب والعمل من أجل سعادة الإنسان.

• وفي عام ١٩٩٨، استقبل وفد الجمعية الصينية الإسلامية، الذي

لبَّى دعوته- رحمه الله-، واستمرت الزيارة أياماً عدة، جرى فيها بحث أوجه التعاون لخدمة قضايا المسلمين في الصين، والدور المشترك في تعزيز العلاقات الصينية العربية.

• في عام ١٩٩٨، وجه دعوة للإمام وارث الدين **محمد** رئيس جماعة المسلمين السود في الولايات المتحدة لزيارة المجمع، وجرى الاتفاق معه على إرسال طلبة أمريكيين لتأهيلهم في الدراسات الإسلامية والدعوة إلى الله، على أن يُقدِّم المجمع لهم مِنَحاً دراسية مجانية.

• في عام ١٩٩٨ وفي لقائه وفداً من الجمهورية الألمانية.. يضم مجموعة من المدرسين التابعين للكنيسة الإنجيلية في فرانكفورت، دعا إلى الاطلاع على التجربة السورية في التعايش بين المسلمين والمسيحيين على اختلاف مذاهبهم. وكذلك دعا إلى ترسيخ قيم التعايش والتعاون والتآخي من أجل إثراء التنوعات الثقافية والتراثية والحضارية.

• في عام ١٩٩٨، التقى رئيس أساقفة ميونخ في الجمهورية الألمانية الكاردينالَ فريدريخ **فايتر** والوفد المرافق له، ودعا إلى تنسيق الجهود لاعتماد سياسات تربوية وإعلامية من أجل تجديد روح الإيمان في الحياة العامة والسلوك الإنساني العام، من أجل صيانة مقومات الوجود والحياة.. وتحقيق كرامة الإنسان ورفاهيته، ليتمكن من أداء دوره الإبداعي في الحفاظ على الحياة وتطويرها.

• في عام ١٩٩٨، استقبل زعيم حركة حماس الشيخ المجاهد أحمد **ياسين** في المجمع، ودعا العالم إلى الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني، الذي عانى كثيراً الظلمَ والقهر والاضطهاد والتصفية الجسدية، على أيدي الصهيونية والقوى الاستعمارية، وهذا يُعَدّ وصمة عار في جبين الإنسانية، وامتهاناً صارخاً لحقوق الإنسان، وقلباً للحقائق، وتشويهاً لها، فالضحية صارت مجرماً وإرهابياً، والمجرم صار ضحية وديعةً. ومن غير المعقول أن يكون الدم اليهودي مقدساً مصاناً، والدم غير اليهودي.. (العربيُّ والمسلمُ).. مباحاً مهاناً.

• في عام ١٩٩٩، التقى البابا **شنودة** رئيس الكنيسة القبطية في العالم والبطريركَ **زكا** الأول لبحث شؤون التعاون الإسلامي المسيحي.

• في عام ١٩٩٩، شارك في افتتاح الندوة الدولية لوضع استراتيجية مشتركة للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وألقى كلمة دعا فيها إلى العودة إلى التوحيد الخالص، والتمسك بالقرآن وبتوجيهات النبي ﷺ، وترك كل ما يؤدي إلى تفريق كلمة الأمة، وتوحيد الجهود لتحقيق الأهداف الكبرى للأمة.

• في عام ١٩٩٩، زار رئيس أساقفة كانتربري الدكتور جورج **كاري** مجمعَ الشيخ أحمد كفتارو. وقد ألقى سماحة الشيخ كلمة جاء فيها أن الدين أصله واحد، وقد سماه الله تعالى في القرآن: الإسلام، وهو يدعو إلى التسامح والتعايش والتعاون.

• في عام ١٩٩٩، التقى الدكتورَ روبرت **شولر** رئيس الكنيسة الكريستالية في الولايات المتحدة، والدكتور وليم **بيكر** المفكر والناشط في الحوار الإسلامي المسيحي رئيس مركز (مسلمون ومسيحيون من أجل السلام)، وقد ألقى كل من سماحته والدكتور شولر كلمة في المجمع عن مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي.

• في عام ٢٠٠٠، التقى السيد خالد **مشعل** رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في فلسطين، وتدارسا بعض أوضاع الشعب الفلسطيني، وسبل دعم المقاومة حتى يتحصل الشعب الفلسطيني على حقوقه كاملة.

• في عام ٢٠٠٠، التقى السيد عبد العزيز **عبد الرحمن** قاضي القضاة في ماليزية، واطلع منه على واقع الدعوة الإسلامية في ماليزية، وقدم سماحته منحاً للطلبة الماليزيين للدراسة في المجمع.

• في عام ٢٠٠١، التقى السيدَ الأكرم محمد **طلحة** وزير الشؤون الدينية في إندونيسية، واطلع منه على واقع التعليم الشرعي في إندونيسية، وقدم سماحته منحاً للطلبة الإندونيسيين للدراسة في المجمع.

• في عام ٢٠٠١، التقى الدكتور أحمد عمر **هاشم** رئيس جامعة الأزهر، وتباحثا لعقد اتفاقية بين المجمع والأزهر لفتح فرع لكلية الشريعة في المجمع.

• في عام ٢٠٠١، التقى الشيخ تيسير **التميمي** أمين سر الهيئة الإسلامية العليا في القدس، والمطران عطا الله **حنا** الناطق الرسمي باسم الكنيسة الأرذثوكسية في القدس وسائر المشرق، وجرى بحث الأوضاع في القدس وكيفية مواجهة المخططات الإسرائيلية لتهويد المدينة المقدسة.

• في عام ٢٠٠١، التقى البابا يوحنا **بولس** الثاني بمناسبة زيارته لسورية ولمسجد بني أمية الكبير في دمشق، وقد ألقى سماحته كلمة دعا فيها إلى التراحم بين الناس واحترام الآخر، واستشهد عليه بواقع العيش المشترك الإيجابي في سورية بين مواطنيها المسلمين والمسيحيين منذ قرون، ودعا رجال الأديان والحكام الشرفاء في العالم إلى تحمل مسؤولياتهم في التصدي للمعضلات التي تعيشها البشرية اليوم، وأن لا يقفوا وقفة المتفرج على ما يرتكبه اليهود الصهاينة منذ قيام دولة إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني مما يخالف كل الشرائع السماوية والأعراف الدولية.

• في عام ٢٠٠١، التقى وزير الشؤون البيئية في الجمهورية التركية، وبحثا توثيق العلاقات بين الشعبين الشقيقين في سورية وتركية.

• في عام ٢٠٠١، التقى الشيخ محفوظ **نحناح** رئيس حركة مجتمع السلم في الجزائر، وبحثا الاستفادة من تجربة المجمع في الجزائر، وإمكانات التعاون مع حركة مجتمع السلم لإقامة دورات تأهيلية للأئمة والخطباء من الجزائر في المجمع.

• في عام ٢٠٠١، التقى الدكتورَ سلمان **الندوي** من ندوة علماء الهند، ودرسا إمكان التعاون بين ندوة العلماء في الهند وبين المجمع، وإرسال أساتذة زائرين.

• في عام ٢٠٠١، التقى الدكتور عبد الله رمضان **شلح** الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وبحثا دعم المقاومة والقضية الفلسطينية. وقد أقيم حفل خاص في المجمع لدعم الانتفاضة.

• في عام ٢٠٠١، التقى الداعية فتحي **يكن**، وآية الله الشيخ حسين **فضل الله**، والشيخ نعيم **قاسم**، كلاً على حدة، وجرى البحث في توثيق العلاقات لخدمة الدعوة وقضايا الأمة الإسلامية.

• في عام ٢٠٠١، التقى السيد خالد **مشعل** رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في فلسطين، وحضرا احتفال نصرة المسجد الأقصى، الذي أقيم في مجمع الشيخ أحمد كفتارو.

• في عام ٢٠٠١، التقى الدكتور الشيخ أحمد علي **الإمام** مستشارَ رئيس الجمهورية السودانية للشؤون الدينية الأمينَ العام لمجمع الفقه في السودان، وبحثا توثيق العلاقات بين مجمع الفقه السوداني وإدارة الإفتاء العام في سورية.

• في عام ٢٠٠١، التقى الشيخ نفيع الله **عشيروف** والشيخ أحمد **قديروف** ضمن وفد من إدارة الإفتاء في روسية الاتحادية، وجرى

البحث في إمكان إرسال طلبة من روسية للدراسة في المجمع، وكذلك الاستفادة من خبرات الدعاة في المجمع لنشر الفكر الوسطي الإسلامي في روسية الاتحادية.

• في عام ٢٠٠١، التقى الشيخ محمد مهدي **الخالصي** المقيم في بريطانية، ودرسا وضع المسلمين والعمل الإسلامي في بريطانية.

• في عام ٢٠٠٢، التقى الشيخ رافي **الكعبي** قاضي القضاة في إندونيسية، وحضرا معاً حفل ختام مسابقة القرآن الرابعة عشرة في المجمع.

• في عام ٢٠٠٢، التقى الشيخ محمود **العراقي** رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية في إيران، والدكتور الشيخ محمد طاهر **القادري** رئيس جامعة المنهاج والقانون الإسلامي في الباكستان، وجرى بحث القضايا التي تهم الأطراف الثلاثة.

• في عام ٢٠٠٢، استقبل السيد علي ناصر **محمد** الرئيس اليمني الجنوبي السابق، وبحثا الأوضاع في اليمن الشقيق.

• في عام ٢٠٠٢، التقى الدكتور محمد أحمد **الشريف** أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في ليبية، وبحثا العلاقات والتعاون بين جمعية الدعوة والمجمع، وجرى الاطلاع على بعض نشاطات جمعية الدعوة في العالم.

• في عام ٢٠٠٢، التقى السيد أحمد **جبريل** الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وأقيمت صلاة الغائب على ابنه الشهيد

جهاد، الذي اغتالته إسرائيل في لبنان.

• في عام ٢٠٠٢، التقى الشيخ تاج الدين **الهلالي** مفتي أستراليا، والشيخ عبد الرحمن شيبان رئيس جمعية علماء المسلمين في الجزائر، كلاً على حدة، وجرى بحث أوجه التعاون المشترك.

• في عام ٢٠٠٢، التقى السيد لويس **فرقان** زعيم أمة الإسلام في الولايات المتحدة، وبحثا إرسال طلبة من الولايات المتحدة لتأهيلهم في المجمع دعاة وأئمة وخطباء.

• في عام ٢٠٠٢، التقى الدكتور عبد الكريم بي آذار **شيرازي** رئيس جامعة المذاهب الإسلامية في إيران مع وفد من الجامعة. وقد اطلع الوفد على النشاطات العلمية والدعوية في المجمع.

• في عام ٢٠٠٢، التقى الشيخ عبد الله **الشمراني** المسؤول الإعلامي في رابطة العالم الإسلامي، والشيخ مسعود **الغامدي** الداعية الإسلامي والإعلامي، وجرى بحث أوجه التعاون بين رابطة العالم الإسلامي ومجمع الشيخ أحمد كفتارو.

• في عام ٢٠٠٢، التقى السيد علي **الهاشمي** مستشار رئيس دولة الإمارات للشؤون الإسلامية، وبحثا أوجه التعاون المشترك مع المجمع.

• في عام ٢٠٠٢، التقى البروفِسور جان **أولف** من جامعة

استكهولم بالسويد، الذي قدم دعوة لسماحته لزيارة الجامعة وإلقاء محاضرات فيها للتعريف بالإسلام.

• في عام ٢٠٠٢، التقى وفداً من جامعة أم درمان الإسلامية يضم عمداء كليات، وجرى بحث التعاون القائم بين جامعة أم درمان ومجمع الشيخ أحمد كفتارو.

• في عام ٢٠٠٣، التقى السيد لودفيك **برينكر** رئيس البرلمان النمساوي بحضور سفير النمسة في دمشق. ودعا سماحته البرلمانيين الأوربيين إلى الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني، لرفع الظلم عنه.. ودعم عودته إلى أرضه.. وإقامة دولته وعاصمتها القدس.

• في عام ٢٠٠٣، التقى عبد الرزاق **سون** رئيس مجلس إدارة المسلمين في كوريا الجنوبية، والسيد إسماعيل **وون لي** رئيس المركز الثقافي الإسلامي هناك، وقدم لهما سماحته منحاً لطلبة من كوريا الجنوبية للدراسة في المجمع لتخريجهم دعاة إسلاميين.

• في عام ٢٠٠٣، التقى السيد فيملي **مادونالاد** رئيس أساقفة اسكتلندة، والسيد يوكا **بارما** رئيس أساقفة فنلندة، وبحثوا آفاق الحوار الإسلامي المسيحي.

• في عام ٢٠٠٣، التقى الدكتور ميتشيل **بارتون** الكاتب والمؤلف الفرنسي، وقد أشهر إسلامه برعاية سماحته وتوجيهاته.

• في عام ٢٠٠٣، التقى وفداً من حزب الرفاه التركي برئاسة السيد أحمد **فوزي** النائب في البرلمان التركي، وجرى البحث عن واقع العمل الإسلامي في تركية دعوياً وسياسياً وملامح مستقبله.

• في عام ٢٠٠٣، التقى المطران ميخائيل لويس **فيزجيرالد** رئيس المجلس الحبري للحوار بين الأديان في الفاتيكان، وبحثا مستقبل الحوار بين الأديان.

• في عام ٢٠٠٣، التقى السيد نايف **حواتمه** الأمين العام للجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين، وبحثا بعض الأمور المتعلقة بالقضية الفلسطينية.

• في عام ٢٠٠٣، التقى الشيخ إبراهيم مبارك **مبومبو** وزير الشؤون الإسلامية في الكاميرون، واطلع منه على أوضاع المسلمين في الكاميرون وسبل دعمهم.

• في عام ٢٠٠٣، التقى الشيخ عبد الله **جامع** رئيس حركة الإصلاح الوطني في الجزائر، وبحثا أوضاع العمل الإسلامي في الجزائر.

• في عام ٢٠٠٣، التقى الشيخ عبد الله **المصلح** رئيس هيئة الإعجاز العلمي في رابطة العالم الإسلامي، والشيخ مسعود **الغامدي** الداعية الإسلامي والإعلامي، وبحثوا أوجه التعاون بين رابطة العالم الإسلامي ومجمع الشيخ أحمد كفتارو.

• في عام ٢٠٠٣، التقى السيد يوسف **الرفاعي** الوزير الأسبق والداعية الإسلامي الكويتي، يرافقه وفد من الكويت الشقيق، وجرى بحث القضايا ذات الاهتمام المشترك.

• في عام ٢٠٠٣، التقى الأستاذ يورجن **سيمونس** مدير المعهد الدانمركي، يرافقه مجموعة من أساتذة الجامعات في الدانمرك. وحضر اللقاء أيضاً الدكتور محمد **أيوب** أستاذ العلاقات الدولية في جامعة ميتشغان في الولايات المتحدة. وجرى استعراض مشكلة انتشار الخوف من الإسلام في أوربة، وهو الذي تروج له دوائر معادية لعلاقات أوربية إسلامية إيجابية تتسم بالتعاون بدلاً عن التصادم.

• في عام ٢٠٠٣، التقى الشيخ عصام **البشير** وزير الشؤون الإسلامية في السودان الشقيق، والشيخ أحمد **الكبيسي** من العلماء والدعاة في العراق الشقيق، كلاً على حدة. وقد ألقى كل منهما محاضرة على طلبة المجمع.

• في عام ٢٠٠٣، التقى وفوداً كنسيّة من الولايات المتحدة ومملكة السويد وفنلندة. فمن الولايات المتحدة، التقى وفداً من أساتذة جامعاتها.. برئاسة القس ديفيد باركس **راماج**، ووفداً من منظمة السلام الدولية.. برئاسة الدكتور إلياس **إيميدون**؛ ومن الكنائس السويدية، التقى وفداً برئاسة الدكتور بيتر **كارلاجر**؛ ومن الكنائس الفنلندية، وفداً برئاسة

البروفِسور سيبو **رازنين**. وبحث معهم التعاون الإسلامي المسيحي ودعم منظمات السلام لمساعدة الشعب الفلسطيني في حصوله على حق تقرير مصيره، والسعي إلى الضغط على أصحاب القرار في الغرب عموماً، ليوقفوا انحيازهم المطلق إلى جانب العدوان الإسرائيلي.

• في عام ٢٠٠٣، التقى السيدَ معتوق **الزبيدي** نائب الأمين العام لجمعية الدعوة الإسلامية الليبية، وبحثا التعاون بين جمعية الدعوة ومجمع الشيخ أحمد كفتارو، وسير العمل في كلية الدعوة الإسلامية في المجمع.

• في عام ٢٠٠٣، التقى السيد (أبو جره **سلطاني**) رئيس حركة مجتمع السلم في الجزائر يرافقه وفد من نواب الحركة، وجرى دراسة أوجه التعاون مع المجمع، ومنها دورات للأئمة والخطباء الجزائريين في المجمع.

• في عام ٢٠٠٤، التقى الدكتور حسن **كونَكاتا** الداعية الإسلامي الياباني، وجرى دراسة أوضاع الطلبة اليابانيين الدارسين في المجمع، وأوضاع الذين تخرجوا فيه، ومستويات نشاطاتهم ومجالات أعمالهم.

• في عام ٢٠٠٤، التقى وفوداً أوربية من إيطالية وروسية وبلجيكة. فقد التقى وفداً إيطالياً برئاسة القس جان ماري **بينجامين** رئيس مؤسسة بياتو أنجيلكو الإيطالية، ووفداً من البرلمان الروسي يضم عدداً من النواب، ووفداً من مجلس الشيوخ البلجيكي برئاسة السيدة

أند ماري **ليزين**. وقد بحث مع الحاضرين حماية حقوق الإنسان في الإسلام، ودعاهم للسعي إلى توعية الرأي العام الغربي بالظلم الفادح، الذي يقع بحق الإنسان الفلسطيني منذ أكثر من نصف قرن، وإلى ضرورة دعم الشعب الفلسطيني للحصول على حقوقه المشروعة.

• في عام ٢٠٠٤، التقى الشيخَ محمد عبد الوهاب **آل محمود** رئيس الجمعية الإسلامية في البحرين، وتباحثا حول إمكانات التعاون بين الجمعية والمجمع، وإسهام المجمع في نشاطات معاهد تحفيظ القرآن في البحرين.

• في عام ٢٠٠٤، التقى الأخ خالد **مشعل** رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، وقد أقيمت صلاة الغائب في المجمع على المجاهد الكبير الشهيد الشيخ أحمد **ياسين**.

• في عام ٢٠٠٤، التقى الوفود المشاركة في الملتقى الإسلامي الأول في سورية، بعنوان: الاجتهاد بين التجديد والتفريط، بالتعاون بين مجمع الشيخ أحمد كفتارو ورابطة العالم الإسلامي. وقد مثل هذه الوفود: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن **التركي** الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، الدكتور العلاّمة الشيخ يوسف **القرضاوي**، القيادي كامل **الشريف** الأمين العام للمنظمة الإسلامية للدعوة والإغاثة، الدكتور عصام **البشير** وزير الإرشاد والشؤون الإسلامية في السودان، الدكتور

أحمد عمر **هاشم** رئيس جامعة الأزهر، الدكتور أحمد محمد **الهليل** وزير الأوقاف في المملكة الأردنية الهاشمية، الدكتور عبد الله **المصلح** الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة التابعة لرابطة العالم الإسلامي، الدكتور جعفر **عبد السلام** الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، الدكتور محمد عبد الرحيم **سلطان العلماء**، الدكتور حسنين محمود **حسنين**. وقد قام سماحته مع الوفود المشاركة بزيارة السيد الرئيس بشار **الأسد**. وقد شارك في الملتقى: الدكتور محمد **زيادة** وزير الأوقاف، الدكتور الشيخ أحمد **حسون** مفتي حلب، الدكتور الشيخ محمد عبد الستار **السيد** معاون وزير الأوقاف. وكذلك حضر الملتقى عدد من كبار علماء بلاد الشام، منهم: الدكتور محمد سعيد رمضان **البوطي**، الدكتور نور الدين **عتر**، الشيخ محمد بشير **الباني**، الدكتور عبد الفتاح **البزم**، الشيخ رجب **ديب**، الشيخ حسام الدين **فرفور**، الدكتور محمد راتب **النابلسي**، الشيخ أحمد **راجح**. وكذلك حضر بعض جلسات الملتقى السيد خالد **مشعل** رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في فلسطين، والدكتور عبد الله رمضان **شلح** الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، والسيد أحمد **جبريل** الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

- في عام ٢٠٠٤، أقام حفلاً في مجمع الشيخ أحمد كفتارو

بمناسبة المولد النبوي الشريف، حضره: الشيخَ الحبيب علي **الجفري**، الدكتور محمد سعيد رمضان **البوطي**، الشيخ عبد الفتاح **البزم**، السيد جاسم **الحمادي** الإعلامي الإسلامي الكويتي، الشيخ محمد بشير **الباني**، الشيخ رجب **ديب**، الشيخ سارية **الرفاعي**، الشيخ بشير **الرز**، الشيخ عمر **الصباغ**، وحشد كبير من العلماء وطلبة العلم الشرعي.

• في عام ٢٠٠٤، التقى الضيوفَ المشاركين في ندوة الوحدة الإسلامية المنعقدة بعنوان: الوحدة الإسلامية أسسها وروادها. وقد أقيمت هذه الندوة بالتعاون بين مجمع الشيخ أحمد كفتارو والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب. ومن الذين التقاهم: آية الله محمد علي **التسخيري** الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب في إيران، الشيخ الحبيب محمد علي **الجفري**، السيد مجتبى **الحسيني** ممثل الإمام **الخامنئي**، السيد عبد الأمير **قبلان** نائب رئيس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان، آية الله واعظ زاده **خراساني**، مولوي محمد إسحاق **مدني**، سماحة السيد عبد الله **نظام**، السيد إبراهيم أمين **السيد**، الشيخ نبيل **حلباوي**. وقد شارك في فعاليات الندوة: العلاّمة الدكتور محمد سعيد رمضان **البوطي**، الدكتور الشيخ أحمد **حسون** مفتي حلب، الشيخ الدكتور محمد عبد الستار **السيد** معاون وزير الأوقاف، الدكتور محمود **عكام**، الدكتور حسام الدين **الفرفور**، الدكتور الشيخ أحمد عبد السلام **الكبيسي**، الشيخ جواد **الخالصي**.

• في عام ٢٠٠٤، التقى فضيلةَ الدكتور عبد الله **بصفر** الأمين العام لهيئة تحفيظ القرآن الكريم في رابطة العالم الإسلامي، وعُقدت اتفاقية بين الهيئة ومجمع الشيخ أحمد كفتارو.

• في عام ٢٠٠٤، التقى الدكتورَ بو عبد الله **علام** وزير الشؤون الدينية والأوقاف الجزائري، والدكتور محمد رفيع **العثماني** رئيس جامعة دار العلوم الباكستانية، وجرى بحث الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

• بعد درس يوم الجمعة ١٣/ ٨/٢٠٠٤، رعى سماحته حفل ختام الملتقى الأول لخريجي المجمع، وألقى فيهم كلمة توجيهية، حثهم فيها على بذل الجهد في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والتسلح بالعلم والتزكية والإخلاص لله تعالى، والانضباط بضوابط الشريعة المطهرة، والثقة بوعد الله تعالى. وقد شارك في إلقاء الكلمات في الخريجين: فضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان **البوطي**، وفضيلة الداعية فتحي **يكن** من لبنان، والدكتور محمد **الزحيلي**. وقد قدم الخريجون لسماحته شهادة تقدير وعرفان بالجهود الكبيرة التي بذلها في التربية والتعليم والتزكية والدعوة إلى الله تعالى، حتى أثمرت جهوده، وانتشرت آثاره في أنحاء العالم قاطبة.

ومن التقديرات الإلهية أن جاء ترتيب هذا اللقاء والتكريم ليكون حفل وداع بين الشيخ- رحمه الله تعالى- وإخوانه وطلبته وأبنائه الدعاة...

وداع لم يحسبوا له حساباً، فأسدل ستوره على سيرة رجل كان أمة، سيرة امتدت نحو سبعين عاماً.. كانت حافلة بالمصاعب والإنجازات الكبيرة..

يومها **قال** لإخوانه وهو يترجّل عن كرسي العلم: (ادعوا لي بالقبول)...

... اللهم إنّا نشهد أنه اجتهد في تبليغ الأمانة ونُصح الأمة ...

فقد بذل- رحمه الله- النصح لطبقات الأمة كافة، صغارها وكبارها، رجالها ونسائها، فقرائها وأغنيائها، أميّيها ومثقفيها، محكوميها وحكّامها...، لم يترك حاكماً عربياً أو مسلماً إلا التقاه في حدود الطاقة، وبَذَلَ له النصيحة، وبلّغ البَلاغ المبين المستند إلى الدليل المقنع، والحقيقة التي لا تشوبها الأغراض والمصالح، فكان مقبولاً عند الجميع على اختلاف توجهاتهم..

رحمه الله تعالى، ورفع مقامه، وزاد في أجره، وجزاه عنا وعن المسلمين خير الجزاء...

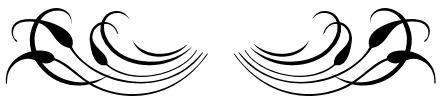


الفصل الثاني

قالوا عن الشيخ المجدِّد
وجهوده العلمية والدعوية والإنسانية

لعدد من العلماء والدعاة والمفكرين والسياسيين

على المستويين المحلي والعالمي



قالوا عن الشيخ المجدِّد
وجهوده العلميّة والدعويّة والإنسانية

هذه كلمات انتخبناها لعدد من العلماء والدعاة والمفكرين والسياسيين على المستويين المحلي والعالمي، قالوها أو دوّنوها في حق سماحة الشيخ رحمه الله[1]:

* الشيخ أحمد عالم مثقف مطلع ناضج العقلية، واسع آفاق الفكر، نشيط في عمله. وقد تمكن من إلغاء البغاء الرسمي في سورية. ومنهجه في الإصلاح يتمثل في وجوب إصلاح المعارف وتوجيهها التوجيه الإسلامي، وهو قوي الأمل عظيم الثقة. لقد **قال** لرئيس أركان

(١) أُخِذَت هذه الكلمات مما دوِّن بأقلام أصحابها في السجلّ الذهبي للزيارات، أو مما ارتجلوه في حضرة الشيخ في لقاءات خاصة في المجمع.. أو بعد المحاضرات التي كان- رحمه الله- يوجه فيها إخوانه صباحات الجُمَع.

الحرب الحاكم العسكري للبلاد: "تستطيع أن تكون زعيماً للبلاد العربية كلِّها.. بل للعالم الإسلامي كلِّه، إذا هيأت لنفسك الزعامة الإسلامية.. واحتضنت خدمة الإسلام".

العلاّمة أبو الحسن علي الحسني الندوي

داعية إسلامي عالمي

رئيس ندوة العلماء في الهند[1]

من كتابه: مذكرات سائح في الشرق العربي، الصادر في عام ١٩٥١[2]

* عالم الشيوخ، وشيخ العلماء.

اللواء محمود شيت خطاب

مفكر وكاتب إسلامي من العراق

* إلى سماحة الشيخ أحمد كفتارو المفتي العام للجمهورية العربية السورية:

... ليعلم الجميع أننا نولي ثقتنا الخاصة في إخلاصكم وشخصكم. ورغبة منا في تقدير خدماتكم للباكستان، فإننا نقلد سماحة الشيخ أحمد كفتارو لقب ومرتبة حامل وسام نجمة الباكستان، مع كل ما يتبعها من

(١) إن المناصب- التي ذُكرت في هذا الكتاب إلى جانب بعض الشخصيات- مرتبطة بزمانها.

(٢) والجدير ذكره أن عمر الشيخ أحمد كفتارو حينذاك كان ٣٩ عاماً.

الحقوق والمكانة. ووفقاً للمراسم التي تخص هذا الوسام، فإنني أقلدكم هذه الميدالية، لتحتلوا المرتبة والمكانة التي يخولكم إياها هذا الوسام.[1]

المشير محمد أيوب خان

رئيس جمهورية الباكستان

* إن شيخنا- الشيخ أحمد كفتارو- قدوة تحتَذَى في العالم الإسلامي. لقد قدم الصورة الحقيقية الناصعة للإسلام في عواصم العالم الكبرى، وتمكن من هدم كثير من الأوهام التي ينشرها أعداء الإسلام، وإن المجمع الإسلامي- الذي أنشأه- نموذج فريد ينبغي تعميمه في العالم الإسلامي وخارج العالم الإسلامي.

إني أتمنى على الرجال- الذين سعدوا بصحبته- أن يقتدوا به ويعمموا هذه الدعوة في مختلف أصقاع الأرض.

الدكتور حامد الغابد

رئيس وزراء النيجر

الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي

الحائز جائزة فيصل العالمية لخدمة الإسلام

١٥/ ٥/ ١٩٩٥

(١) هذا نص المرسوم الجمهوري الباكستاني، الذي جرى بموجبه منح سماحة الشيخ الوسام الباكستاني عام ١٩٦٨.

* بمزيد من العرفان والثناء، حظيت بلقاءات متكررة مع سماحة الشيخ أحمد كفتارو وتلامذته الصالحين المرابطين على ثغر الإسلام، منطلقين من مجمع أبي النور للدعوة بالحسنى والحكمة والتزكية، وهي سلاح العصور كلها مع أبناء البشر كلِّهم، ومع الألوان والأقطار كلِّهم. وقد كان لنا في هذه الزيارة الروحية زادٌ تألَّقَت فيه أرواحنا بالاستماع إلى سماحة الشيخ وهو يصول ويجول بين النصوص والواقع والإنسان، رغبة منه في إيصال الحق بالحق إلى الراغبين في الحق من أصحاب العقول النيرة التوَّاقة لمعرفة اليقين والمعرفة النورانية.

إن مجمع أبي النور رمزٌ للإسلام السمح، واصطرلاب للحق، وثغر لا يأتي منه سوى الخير والحكمة والفضيلة، فطوبى لمن ارتاده وزاره واقتبس منه وتملَّى بمحاسنه. ونرجو له دوام العطاء وموفور الإيمان وواسع الانتشار وعميق الفهم لمعطيات العصر، ما دامت أصوات الحق تبحُّ به، حتى يعمّ خيرها في العالم التواق للخروج من ظلمات الشهوات والشبهات والقبائح، التي لا تقاوم، بل تعالج بالحسنى التي وضع أسسها علاَّمة العصر ووارث النبوة الشيخ أحمد كفتارو.

الداعية المجاهد الشيخ محفوظ نحناح أبو أنس الجزائري

رئيس حـــركة مجتمع السلم الممثّلة لجماعة الإخوان المسلمين في الجزائر

١٤ ربيع الأول ١٤٢٢هـ، ١٠ حزيران ٢٠٠١

* ما أصعب أن تتكلم أو تكتب عن رجل بعد رحيله عن الدنيا وأنت كنت تعيش معه في دنياه أجمل اللحظات والأوقات والمواقف، فكيف إذا كان هذا الرجل عظيماً وكبيراً بحجم سماحة الشيخ العلاّمة أحمد كفتارو رحمه الله، وهو الذي ملأ فضاء سورية والأمة عِلماً وعملاً وتربيةً ودعوة إلى الخير والبناء والجهاد؟

الأستاذ خالد مشعل

رئيس المكتب السياسي لحركة حماس فلسطين

١٩ رجب ١٤٢٥هـ، ٣ أيلول ٢٠٠٤

* أنا فرح بلقائكم. وكنت التقيتكم مرات عدة، فرأيت فيكم إنساناً عالماً، فاهماً، مطلعاً على الأمور، مخلصاً. ونحن نفرح، عندما نسمع منكم أن المستقبل للإسلام.

آية الله علي خامنئي

مرشد الثورة الإسلامية في إيران

مؤتمر مناصرة الثورة الأفغانية، إيران، عام ١٩٨٩

* نحن نتمنى أن نحظى بأمثالكم بين علماء المسلمين.

علي أكبر هاشمي رفسنجاني

رئيـــس الجمهورية الإسلامية الإيرانية

مؤتمر مناصرة الثورة الأفغانية، إيران، عام ١٩٨٩

* لقد سعدت بزيارة دمشق الفيحاء بدعوة من المفتي العام لسورية سماحة الشيخ الجليل أحمد كفتارو، والحقّ أن هذه الزيارة كانت زيارة مباركة على كل الأصعدة والمستويات، فقد دخلتُ سورية الحبيبة جهاراً نهاراً ومن قاعة التشريفات، ولقيتُ رئيسها الرجل الصريح المستقيم الرئيس بشار الأسد ونائبيه، ولقيتُ العلماء الأكرمين في سورية، وأيضاً الشعب السوري الذي غمرني بمواقف الحب والترحيب حيثما ذهبتُ.

إني أعد هذه الزيارة نعمة من الله تعالى، وأرجو أن يكون لها ثمارها الطيبة إن شاء الله. وإني لأشكر كلَّ من كان سبباً لهذا الفضل، ولاسيما مجمع الشيخ أحمد كفتارو. وجزى الله الجميع عني خيراً، وإلى اللقاء في زيارات أخرى إن شاء الله.

فضيلة العلاّمة الشيخ يوسف القرضاوي

دمشق - ٢٠٠٤

* أوجِّه التحية الخاصة للراعي والعلاّمة سماحة المفتي الشيخ أحمد كفتارو صاحب الأيادي البيضاء في نشر دين الله تعالى. إننا- إن شاء الله تعالى- على خطٍّ واحد في العمل على نشر رسالة الإسلام، فالأمة تمتلك القدرات الكبرى والفطرة السليمة، وعلينا بذل الجهد لملء الفطرة بالإصلاح، والاستفادة من القدرات لتسخيرها في خدمة هذا الدين.

فضيلة الشيخ المجاهد نعيم قاسم

نائب الأمين العام لحزب الله في لبنان

* أتشرف بزيارة مجمع الشيخ أحمد كفتارو، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يحفظ مؤسسه وراعيه.. فضيلة الشيخ والأب الكبير.. سماحة المفتي.. الشيخ أحمد كفتارو، بارك الله في عمره، ونفع بعلمه وجهاده الإسلامَ والمسلمين.

إنها لفرصة عظيمة ومناسبة طيبة أن ألتقي طلبة العلم، الذين جاؤوا من مختلف بقاع الأرض لتلَقِّي العلم في هذا الصرح المبارك. وكم هو عظيم أن يتدارس المسلمون أحوالهم وقضاياهم المصيرية، وهل هناك قضية أعز وأقدس من قضية فلسطين.. أولى القبلتين، وأرض الرباط إلى يوم القيامة؟! إن فلسطين هي آية من كتاب الله، مَن فرَّطَ فيها فرَّطَ في الكتاب. وما يقوم به مجمعكم من توعية وتبصير للدعاة، وما يقوم به الدعاة من توعية للناس بحقيقة الجهاد في فلسطين، هو جهاد بعينه، وهو زاد حقيقي للمجاهدين، الذين يقدمون أرواحهم فداء للإسلام وفلسطين نيابة عن الأمة كلِّها.

الدكتور رمضان عبد الله شلح

الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين

١٣/ ٤/ ١٤٢١هـ، ٥/ ٧/ ٢٠٠١

ومن كلمته بعد وفاة الشيخ رحمه الله...

* بقلوب راضية بقضاء الله وقدره، أتوجه باسم فلسطين، وباسم المجاهدين الأبطال، وباسم حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين بأحر التعازي بفقد العالم الرباني الكبير، فقيد فلسطين، وفقيد سورية، وفقيد الأمة العربية والإسلامية، سماحة مفتي سورية الشيخ أحمد كفتارو، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته. إنَّ فقدان الشيخ الكبير لهو خسارة لسورية وكل العرب والمسلمين، ونسأل الله سبحانه أن يعوض المسلمين خيراً بتلاميذه وأحبابه ومريديه.

الدكتور رمضان عبد الله شلح
٢/ ٩/ ٢٠٠٤

* سماحة الشيخ نشكركم على دعوتكم لنا إلى هذا البلد المبارك، إلى مجمعكم، لنجلس مع هؤلاء الشيوخ، الذين أشعر بتواضع كبيرٍ أمامهم، ولنقف كتفاً بكتف مع أولئك الذين أتوا من كلِّ أنحاء العالم، معلنين أنَّه لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله. لقد وجدت رعاية الناس في هذا البلد لأمثالنا تعطي الثقة لقلوبنا، وهذا له معنى خاص في نفسي.

عندما درستُ الدعوة من منظور سماحة الشيخ، علمتُ أنَّه من العقل والفهم الصحيح أن أقدِّم الإسلام لأسرتي بهذا المذاق الحلو الجميل. قد لا يفهم معظمكم كم كان من الصعب أن نقبل هذا المنهج من الحياة، وكم كنَّا محطَّمين في طرقٍ غير طرق الإسلام.. لقد كان

مرتقى صعباً لنا كي نرضخ لأسس الإسلام. ولذلك أشعر بالدَّين الكبير الملقى على عاتقي؛ إذ أعطيتموني الفرصة لأدرس عند علمائكم في هذه المدرسة الكبيرة.

أريد أن أنقل لكم فكرة بسيطة عن أهمية هذا الدين لنا ولكـــم. فعندما آتي إلى القرآن لأقرأه، فإنَّ عينيّ تمتلئان بالدموع. أقول هذا لكم لكي تعلموا أنَّ الله تعالى أعطاكم لغة القرآن ودين الإسلام، وأمنيتي أن تعرفوا تماماً ذلك الفضل الكبير؛ إذ أنكم تستطيعون أن تقرؤوا القـــرآن باللغة التي أُوحي بها.

أيُّها الإخوة: بكلِّ إخلاصٍ أشكركم، وأجعل دعائي لكم، لأنكم استطعتم أن تعملوا في هذا المضمار العمل الرائع، واستطعتم أن تجعلوا التعليم لي ولإخواني ممكناً، سواء كانت مساعدتكم لنا بابتـــسامة، أو مصافحة بالأيدي، أو صبراً على تعليمنا... وإنني أسأل الله تعالى أن لا يعطيكم أقلَّ من الجنة.

الشيخ أبي حامد[1] (دريَل واين رايت)
إمـــام جامع بلتيمور في الولايات المتحدة الأمريكية
من كلمة ألقاها في الدورة التأهيلية في عام ١٩٩٦

(١) هو اسمه بعد إعلان إسلامه.

* لقد سرني ما رأيته في هذا المجمع العظيم لأسباب أربعة..

أوّلها: المنهج الحكيم والطريق القويم، والاعتدال الرائق. وثانيهـــا: التنوع في الأعمال الصالحة والوسائل النافعة. وثالثها: ألفـــة القـــائمين عليه، فهم يألفون ويؤلفون، كالجسد الواحد بفضل الله.

وأما رابعها: فالأجناس المتعددة من عالمنا الإسلامي، الذين يزخر بهم المجمع، فتكاد ترى عالمنا الإسلامي بأجناسه وألوانه وأطيافه يجتمع على قلب رجل واحد، فما أعظمها من صفة، وما أجلَّه من وصف. كلٌّ ذلك إنما كان يوم أن اتسع صدر الشيخ لهذا المجمع، وبعدتْ حكمته، وهو الشيخ أحمد كفتارو.

الشيخ عبد الله المصلح

الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة

في رابطة العالم الإسلامي في المملكة العربية السعودية

* حياة الإنسان لا تتعدى كونها طرفة عين إذا ما قيست بالزمن السرمدي ... ومسيرة الإنسان ليست أكثر من وقفة قصيرة إلا أن الذي يعطي عمر الإنسان أبعاداً تتعدى مفهوم الزمن المجرد (وتجعله موجودا) هو مساهمته في إغناء الإرث الإنساني وإثرائه..

الشيخ أحمد رحمه الله الذي نكتب عنه هنا، من ذوي الحقوق علينا لمساهمته في هذا الإغناء والإثراء ...

هو قامة باسقة في الروحانية والحب الإلهي، فكان إماماً في الدين (وما الدين إلا لله وإن تعددت مسالكه) وكان مجموعاً خيّراً، وبنّاء حكيماً في رفع مداميك بناء الوطن وبنيانه...

الشيخ أحمد رحمه الله شخصية قلّما نجد لها مثيلاً في عصرنا الحديث والمعاصر ليس فقط بحسب علمه وتعليمه، بل بما أعطاه الله من مواهب استثمرها في تعليم حب الإنسان لأخيه الإنسان وحب الوطن ، ورؤيته الصائبة بأن الوطن لا يكون وطناً في الفراغ أو بالفكرة، بل يتلاحم أبنائه مع بعضهم، بغضِّ النظر عن فروقاتهم الدينية والطائفية، فالدين لله والوطن للجميع ـــ ولأنه كان يؤمن بأن لله إرادة في أن نكون مختلفين .. وهو ونحن نؤمن بأن مقصد الله هو التعددية وإلا لخلقنا واحد، ونحن في الحقيقة واحد.

الشيخ أحمد أحد الأقطاب ، كان عندما يصلي فهو خادم لله ترتفع به التقوى، لم يحرم طلابه من المعرفة فزودهم بالصواب والمعرفة... جعل الشيخ أحمد كفتارو من نفسه قدوة مناقبيه في فتاويه، التي كان غرة الانفتاح على الأخ في عشق الله، فراح يفتح الأبواب الموصدة متفوقاً على التقليد الجامد ... مغلباً العيش الواحد بين أطياف الوطن ...

ما فارقته أبداً رصانة المعارف .. هذا المفتي الإنسان رفض القضايا الدنيوية فأدرك أن الكل لهم عليه فأرهق ذاته ليخدم الآخرين. كانت أحاسيس سماحته، أحاسيس إنسان عاش على الانضباط والحرية القائمة على الموضوعية، والانضباط والمناقبية، وهو لم يزعج أحدا، فكانت كلماته تنطلق من باب الذات الواسع منسوجة على نول الأخلاق والإنسانية المنبعثة من سر العشق للذات الإلهية... كان في كل كلمة حملها إلى كل منتدى ومحفل عالمي يرفع اسم سورية بعد الله فأثار إعجاب الدنيا بقوله إن الجميع في سورية واحد مسلمون ومسيحيون.

كان كمن يقول لأبناء سورية: أحبائي... تضامنوا ولا تفرقوا، وأخلصوا لوطنكم فكأنه يصلي معنا في صلواتنا إلى الله من أجل هذا البلد...

إذ تعود بي الذكريات خلال لقاءاتي العديدة معه، أقول بأنني لم أشعر يوماً بأنني أجالس شخصاً عزيزاً أو صديقاً فقط، بل أخاً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى...

سماحة الشيخ أحمد كفتارو،.... أيها الأخ الكريم : لا تعبر الكلمات عن مدى احترامي وحبي وتقديري لسماحتكم ، وأقول لكم: (المخلدون لم يتربعوا على قمة المجد مجاناً). هم فرضوا خلودهم

على الدهر بقوة الإرادة والعزيمة الصادقة وعلو الخلق والسعي إلى محجة المثل العليا.

إني أؤمن بما آمنتم بأن المحبة الحقيقية حسب مشيئة الخالق الواحد الأحد جل جلاله لا تتجسد إلا في العلاقة مع الآخر الذي يختلف عنه، وإن الله يحاسبنا في يوم الدينونة أو الدين (كما تسمونه) عما فعلناه بالأخ والجار والقريب والغريب والحزين...

لقد فجعت سورية بموتكم، ولكن الموت سنة الله في خلقه وحسبنا قول القائل :

وما الناس والأهلون إلا ودائع ولابد يوماً أن ترد الودائع

فلتهنأ روحكم عند الله القدير الذي خدمتم، وسيبقى ذكركم مخلداً في ضمير الأمة.. رحمكم الله ..

أغناطيوس الرابع
بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

* كم أنا سعيد لوجودي في هذا الحرم العلمي الإسلامي مجمع أبي النور الإسلامي. وأسأل الله تعالى أن تمتدَّ أشعة هذه المنارة إلى الجزائر، وأن يمد القائمين على هذا المجمع بمزيد من عونه وتوفيقه،

وأن يطيل حياة المشرف الأعلى على المجمع الإمام العلاّمة الجليل الشيخ أحمد كفتارو.

الشيخ عبد الرحمن شيبان

رئيس جمعية علماء المسلمين في الجزائر

٦ ربيـــع الثاني ١٤٢٣ هـــ، ١٦ يونيو ٢٠٠٢

* لقد سعدتُ شخصياً- وكذلك الوفد المرافق من جامعة أم درمان الإسلامية إلى مجمع أبي النور في دمشق المحروسة بإذن الله تعالى- سعادة بالغة لما رأينا من عمارة المجمع المعنوية والمادية؛ حيث حلقات العلم، والدورات التدريبية للدعاة والأئمة من داخل سورية ومن خارجها، وباللغات الحية؛ إضافة إلى البرامج الأكاديمية الجامعة في الدعوة الإسلامية، والشريعة الغراء، واللغة العربية. كل ذلك بتوفيق الله تعالى، ثم ببركة سماحة الشيخ أحمد كفتارو، وبتعاون المخلصين العاملين في هذا المجمع.

أ. د. محمد عثمان صالح

مدير جامعة أم درمان الإسلامية في السودان

* بكلِّ التقدير، التقيت- في مجمع فضيلة الشيخ أحمد كفتارو، مفتي الجمهورية العربية السورية- نخبةً من الفضلاء والعلماء والنبلاء، وشاهدتُ- عن كَثَب- كيف يموج هذا المجمع المُشرِق والصرح العلمي

العظيم بعلوم الدين واللغة، وإلى أيِّ قدر يؤمه طلبة العلم والمعرفة من سائر دول العالم.

* ويسعدني كل السعادة أن أوقع معهم اليوم اتفاقية التعاون العلمي والثقافي بين المجمع وجامعة الأزهر...، داعياً الله تعالى أن تكون هذه الزيارة العلمية باكورة أعمال علمية ونهضة إسلامية لرفعة أمتنا، وتوحيد كلمتنا، والنهضة بالثقافة الإسلامية الأصيلة قدماً للأمام.

أ. د. أحمد عمر هاشم

رئيس جامعة الأزهر

* نِعْم الأب، والراعي، والمرشد والصالح، وا ضيعة العمر الذي استهلكناه قبل أن نعرفه. شكراً لمن كشف لي ستور الحقيقة، التي طال ما غفلت عنها.. الداعية العالمي فضيلة الشيخ أحمد كفتارو، فقد حجبت الدعاية السوأى حقيقته عن عيني، فعاديته مخدوعاً بأقاويل الجاهلية، حتى إذا قدر الله لي الاتصال به شخصياً.. ثم علمياً، انقدح في قلبي نور المعرفة الصافية، فعلمت هول الخطل الذي عشت في عتمته، وحال بيني وبين هذا البحر. **الشيخ محمد المجذوب**

مـــن كبـــار علمـــاء سورية

الأستاذ في جامعات المملكة العربية السعودية

* لقد يسَّر الله لي زيارة مجمع أبي النور، والتعرُّف إلى مناشطه وبرامجه، والاستماع إلى الإخوة القائمين عليه، فوجدتُ ما سرني من

جدٍّ ومتابعة وحرص على تربية الناشئة، والاهتمام بالأخلاق والسلوك. وإذ أشكر للمجمع ولفضيلة راعيه الشيخ أحمد كفتارو هذه الجهود، أسأل الله أن يستعمل الجميع فيما يرضيه، وأن يوفقهم للنهوض بالرسالة العظيمة. وإنني لما شاهدتُ وسمعت، أتطلَّع إلى مزيد من التعاون في مجال التربية والتعليم ونشر رسالة الإسلام.

الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ــ المملكة العربية السعودية

* وفَّقَنا الله تعالى لزيارة المجمع العلمي الكبير، ... الذي أسَّسه سماحة شيخنا الإمام الكبير الشيخ أحمد كفتارو، حفظه الله تعالى وسدد خطاه، فوجدناه مشروعاً إسلامياً طموحاً، وصرحاً إيمانياً، ومدرسة تفتح صدرها للأجيال من بقاع شتى في الأرض، تربيهم ليُرَبُّوا غيرهم، ويقودوا شعوبهم نحو النور اعترافاً بأفضال مجمع أبي النور.

آية الله الشيخ محمد علي التسخيري

الأمين العام لمجمع التقريب بين المذاهب، إيران

١٣ محرم ١٤٢٢هـ

* إنني أغبط المسلمين، الذين يسمعون منكم؛ لأنهم يستمعون لصوت الحكمة الحقيقية.. والحكمة من الله عز وجل.

القس كونرا دريزر

الأمين العام لمجلس الكنائس العالمي

* إننا نشكر كل العلماء على ما فعلوه وما قدموه لنا من مساعدات إسلامية في الحقبة الماضية، ولكننا لا ننسى- ولن ننسى أبداً- ما كان يقوم به سماحة المفتي العام لسورية؛ إذ كان يحمل إلينا المصاحف والكتب الدينية التي كنا بأمس الحاجة إليها، مُعَرِّضاً شخصه الكريم للمسؤولية[1].

محمد الصادق
مفتي أوزبكستان وآسية الوسطى

* لقد تشرفتُ وزملائي بزيارة مجمع الشيخ أحمد كفتارو، الذي كنت أسمع عنه الكثير من المسلمين في مختلف بلاد العالم... فألفيته أكثر مما سمعت. وكما قيل: ليس من رأى كمن سمع، وكل ذلك بفضل الله عز وجل، ثم بفضل علم الشيخ المبارك أحمد كفتارو وحكمته. وسرنا ما رأينا، إذ هو هدي سيدنا رسول الله ﷺ وسلفه الصالح ومنهجهما.

الشيخ الدكتور عبد الله بصفر
الأمين العام للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم
في رابطة العالم الإسلامي في المملكة العربية السعودية

* لقد تشرَّفتُ بزيارة المجمع العلمي الثقافي في مجمع أبي النور مرات عدة، فأعجبني الجهد الكبير في تهيئة الوسائل الحديثة للدعوة الإسلامية في العلم والتربية والحركية الواعية، وهذا يهيئ لإعداد جيل مسلم جديد يحمل رسالة الإسلام إلى العالم، الذي يحفل بالكثير من

(١) أي من سلطات الإتحاد السوفييتي حينئذ.

التطورات. وإنني حين أعبِّر عن إعجابي، أحب أن أعبِّر عن تقديري وإكباري للعالم الرباني الشيخ أحمد كفتارو، الذي أعتزُّ بصداقته، وأقدِّر إخلاصه وروحانيته ونشاطه الإسلامي.

آية الله الشيخ محمد حسين فضل الله
المـــرجع الشيعي اللبناني الكبير
١ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ

* أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. لقد أتينا إلى هذا البلد كما تعلمون بدعوة من صاحب السماحة الشيخ أحمد كفتارو، وشهدنا أيام رمضان المباركة في هذا الفردوس الروحي. إنني أغبطكم لأنكم مع أستاذ عظيم تتعلمون منه كما تعلَّمنا منه. وإن انطباعي- على حين هو إنسان عادي- أنه في الحقيقة على صلة روحية وإلهام كبير من الله العظيم خالق الكون، والنبي محمد ﷺ. أليس مدهشاً أن تقوم عائلة الأموتو بعد ألف وأربعمئة عام بالدعوة إلى أفكار النبي محمد ﷺ في اليابان!!

كيتارو ديكوشي[1]
رئيس طائفة الأموتو اليابانية

(١) من كلمته في مجمع الشيخ أحمد كفتارو في الليلة الرمضانية الموافقة لـــ ١٩٩١/٤/١٩. وقد نطق في مطلعها بشهادة التوحيد معلناً اعتناقه الإسلام.

* لقد يسر الله لي زيارة هذا المجمع المبارك، والتقيتُ سماحة المفتي حَفِظَه الله، والتقيت في مسجد المجمع نخبة جيدة من طلبة المجمع من كثير من دول العالم الإسلامي الذين احتضنَهم هذا المجمع وتولى تدريسهم وتأهيلهم؛ ليعودوا بعد ذلك دعاة ومعلمين في بلدانهم، فجزى الله القائمين على هذا المَعْلَم المبارك خير الجزاء، وبارك في جهودهم، وحفظ القائمين عليه من كل سوء، وحفظ بلاد الشام من كل شر.

أ. د. عبد الله بن محمد المطلق

عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية

* بتوفيق من الله تعالى زرنا مجمع أبي النور الإسلامي، فوجدناه- بحقّ- منارة إشعاع للفكر الإسلامي الناصع في جميع مجالاته، ومختلف آفاقه، وقد زاد من آمالنا بالمستقبل الواعد لهذه الأمة الشاهدة الرائدة، لتؤدي دورها الحضاري في هذا العالم، الذي يشهد مخاضات ومستجدات، وثورة في عالم الاتصالات والمعلومات، نحتاج معها إلى الفكر الرصين، والخطاب الموضوعي، والأداة المناسبة، وقد اجتمعت هذه العوامل- والحمد لله- في هذا الصرح الإسلامي الكبير؛ إضافة إلى كونه بأيدٍ أمينة كفؤة، يقودها عالم كبير، عَرَفَه العالم الإسلامي- وغيره- رجلَ فكرٍ وعلمٍ وحوارٍ وأدبٍ وعرفان، ذلكم هو الإمام العارف الكبير الشيخ أحمد كفتارو مفتي الديار الشامية، حفظه الله وأبقاه أملاً وذخراً لهذه الأمة.

فضيلة الشيخ محمـــد سعيد نعماني

وكيل رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية في إيران

٢٠ صفر ١٤٢٢هـ، ١٣ أيار ٢٠٠١

* إن مصاب الأمة بفقيدها- سماحة الشيخ أحمد كفتارو- مصاب جلل، وثلمة كبيرة في صفوف العمل الإسلامي العلمي؛ ولكن عزاءنا في ما تركه سماحته من الصرح العالمي العلمي، الذي يحمل أمانة العلم والتعليم، في ظلال المسجد، ومع أصداء الأذان للصلوات الخمس، ليغذي طلبته وكل من فيه بروح العلم والعمل، وفق مناهج علمية مدروسة أفادت من خبرات الجامعات الإسلامية الأصيلة، ومن خبرة العلماء العاملين من أساتذة المجمّع، فكانت مناهج جامعةً بين قوة التعليم واستقامة المنهج، وملاءمة الحاجة الإسلامية، وتلبية مقتضيات العصر. لئن غاب سماحة الشيخ عن الأبصار فهو حاضر في قلوب المريدين.. الذين تلقوا عنه الذكر والأوراد، وحاضر في قلوب طلبة العلم وأساتذة المجمع، الذي حمل اسمه الكريم، ليكون درساً لكل عامل غيور على دينه أن يبذل وسعه لخدمة العلم والدين غير خائب ولا يائس، بل بالأمل وبنصر الله وحفظه وتوفيقه، والثقة بوعد الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الحجر]. رحم الله سماحة الشيخ أحمد كفتارو، وأعلى مقامه في العلماء العاملين المجاهدين في خدمة هذا الدين.

العلاّمة الأستاذ الدكتور نور الدين عتر

الباحث والمؤلف وأستاذ الدراسات الإسلامية العليا في عدد من الجامعات

١٩ رجب ١٤٢٥هـ، ٣ أيلول ٢٠٠٤م

* كل مرة ألتقيكم أجد نفسي غير جدير بوقتكم الثمين، الذي تهبونه لي؛ ولكني لا أرى القدوم إلى دمشق من دون المرور بكم، فإني أرى فيكم قائداً دينياً عالمياً.

الدكتور روبرت ستيرن

رئيس اللجنة البابوية

سكرتير الكنيسة الكاثوليكية في الولايات المتحدة

* سعدنا على مدار ثلاثة أيام بالوقوف على الجهد المبارك، الذي يبذله مجمع الشيخ أحمد كفتارو في نشر العلوم وتبليغه من خلال مؤسساته المتعددة ومناراته المتنوعة، التي غدت مشاعل هدى، ومصابيح دجى في منهجية وسطية تتصل بالأصل وترتبط بالعصر، وهذا كان له الأثر الفاعل في تعميق رسالة النهضة الإسلامية وترشيد مسيرتها، فجزى الله سماحة المفتي والقائمين على أمر المجمع خير ما يجزي عباده الصالحين، وزادهم توفيقاً على مراقي الفلاح.

الشيخ الـــدكتور عصام البشير

وزير الإرشاد والأوقاف السوداني

١٤ / ٤/ ٢٠٠٤

* أتوجه بالشكر مرتين إلى سماحة المفتي العام للجمهورية العربية السورية الشيخ أحمد كفتارو.

الشكر الأول: على دعوتي لإلقاء محاضرة خلال الدورة التأهيلية التي نظمها المجمع للأئمة والخطباء والمدرسين الدينيين من البلدان الناطقة بغير اللغة العربية.

والشكر الآخر: لإتاحة الفرصة لكتابة هذه السطور في مقدمة الكتاب، الذي سيصدره المجمع عن الدورة التأهيلية.

لقد تأملت ملياً هذه المبادرة الطيبة التي قام بها مجمع الشيخ، وتوقفت عند محطتين أساسين لافتتين:

المحطة الأولى: هي ظاهرة التأهيل، التي تفتقر إليها الكليات والمعاهد الشرعية التعليمية افتقاراً شديداً.

المحطة الأخرى: وتتجلى في مبادرة كريمة مضيئة قام بها المجمع؛ من خلال تنظيمه لدورات تأهيلية لأئمة وخطباء ومدرسين ودعاة من أقطار غير عربية.

... أسأل الله تعالى أن... يأجر القائمين عليه والعاملين فيه، وعلى رأسهم سماحة الوالد العلاّمة الشيخ أحمد كفتارو المفتي العام لسورية.

الدكتور فتحي يكن

مؤسس الجماعة الإسلامية في لبنان

رئيس كتلة نواب الجماعة الإسلامية في لبنان

الاثنين الواقع في ١٦/ ٧/ ٢٠٠١

* بسم الله الرحمن الرحيم. إنني أبدأ بهذه الكلمات من الفاتحة، لأنها كلّها تمجد اسم الله، وبسبب أشياء كثيرة تعلمتها من الشيخ أحمد كفتارو، وهي أن نبذل جهدنا في أن نكون ما نقوله وما نسعى إليه..

إنه لفرح عظيم لي أن أكون معكم في دمشق، وأن أكون في حضرة هذا الرجل العظيم التقي الكريم المؤمن النبيل. إنني عندما أكون في حضرته، أشعر بسمو الروح وعروجها في درب الإيمان بالله تبارك وتعالى.

وفي الحقيقة، إن للشيخ كفتارو تأثيره الكبير في الجامعات والمدارس والمحافل العلمية والكنائس في الولايات المتحدة. وإن الشعب الأمريكي ليعلم أن الإنسان المسلم الصادق المخلص ليس إنساناً إرهابياً، إنما هو إنسان ملؤه التواضع والحب والإكرام. ولقد تأثروا كثيراً بكلماته التي عبر عنها اليوم: أن نكون تحت مظلة الله. ولذلك أقول من سويداء قلبي: الحمد لله، لأنني وجدت الشيخ كفتارو. وإني لم أتعلم منه عن الإسلام فقط، وهذا شيء مهم، وإيماني بالله- أيضاً- قد تعمق وتأصل، بسبب ما علمني.

وأقول: "الحمد لله لأنني بينكم ومع الشيخ كفتارو".

البروفسور جو ألمور

رئيس الكنيسة المنهجية في أمريكا

رئيس جامعة أيرلهام في ولاية أنديانا الأمريكية

١/ ١١/ ١٩٩٦

* أيها الشيخ الجليل مفتي الجمهورية العربية السورية الشيخ أحمد كفتارو السلام عليكم ورحمة الله.. أيها الإخوة الكرام:

إن الاهتمام بالتعليم والتربية هو الجهاد الأكبر في هذه الأيام. لقد جربنا السياسة والعمل السياسي سنين طويلة، ولكننا لم نأت بالثمرة المطلوبة. هذا هو المجال الذي يجب أن يؤثِره المسلمون. والحقيقة أني وجدت في المجمع- الذي أسسه الشيخ الجليل، الشيخ أحمد كفتارو، ذو الحكمة والبصيرة النافذة، التي منّ الله بها عليه- آثاراً عظيمة رائعة مباركة، تنفع المسلمين في العالم.

وسيعرف المسلمون- بعد أربعين عاماً، أو خمسين عاماً- ما هي آثار جهاد سماحة الشيخ أحمد كفتارو، وسيوقنون أن اتجاهه هو الاتجاه الصحيح، وطريقه هو الطريق القويم الذي لم يتبين للكثيرين إلا بعد جهاد طويل، وطريق شاق، ومشكلات كثيرة، لم نستطع أن نوجد لها حلولاً واضحة سليمة.

وفي مجمع أبي النور الإسلامي- الذي أنشأه الشيخ الجليل أحمد كفتارو مفتي الجمهورية العربية السورية وأشرف عليه- نموذج رائع لمن أراد أن يعمل ويجاهد في هذا الزمان. إنني معجب كثيراً بمجمع الشيخ أحمد كفتارو؛ لأنه لا يدخل في خلافات ونزاعات مع المسلمين في أي مكان من العالم؛ وأما نحن فقد كثر الخلاف بيننا في الماضي وضاعت بسببه ثمرة جهودنا وأعمالنا.

نشكر الشيخ الهمام الفاضل الذي يؤدي واجبه في الدعوة إلى الله، وفي التذكير بالله، في وقت كثرت فيه الظلمات، وكثر فيه الجهل، وكثر فيه الإعراض عن الله. ونحن نأمل جميعاً أن يوفقنا الله سبحانه وتعالى لأن نكون من الذين يستفيدون بالعلم في المدرستين كما سمعنا من فضيلة الشيخ: (مدرسة العلم بذكر الله وبالإقبال على الله، ومدرسة العلم بالتعلُّم بالقلم واتباع سنن الله في هذه الأرض)، ولا شك أن ما ضربه لنا الشيخ الفاضل مفتي هذه الديار، بل مفتي الأمة الإسلامية في هذا الزمان، ولا أقول هذا مدحاً أو إطراءً باللسان، ولكنها الحقيقة، لأن روح الشيخ روح مؤمن عارف، وقلبه قلب شاب، وفهمه وعقله متجدد بفضل الله سبحانه وتعالى، ولذلك نسمع منه في كل لقاء وفي كل مؤتمر حكماً جديدة ودعوات إلى الله بالطرق التي تنفع لو فُهِمت وطُبقت تمام التطبيق.

بعد أربعين سنة **سيقول الناس**: "لقد كان الشيخ أحمد كفتارو هو الشخص الذي عرف الطريق".

الشيخ إبراهيم بن محمد الوزير
مـــن كبـــار علمـــاء اليمن
رئيس حركة التوحيد
من كلمة ألقاها في الدورة التأهيلية في عام ١٩٩٤

* بتوفيق من الله وهداية طريق، قدَّر الله أن أزور مجمع أبي النور الإسلامي، فأسعدني أن أرى صرحاً علمياً وموروداً عذباً يَرِد إليه طلبة العلم من كلِّ بقاع الإسلام، فينهلون من معينه الصافي بما يبني سياجاً على حمى الإسلام.

أ. د. الشيخ أحمد الكبيسي

الداعية الإسلامي المعروف

عنـــــدي لأهـــلِ محبّتي أخبـــارُ ولديَّ في شرع الهوى أشعارُ
لـــدمشق في قلـــبي حديثُ مودَّةٍ دمعي بحملِ رسائـــلي إشعارُ
فإذا وصلتَ الشيخَ فاعرِف قدرَه فلـــه جـــلالُ العلم والإكبارُ
النَّابِـــهُ الحَـــذِقُ الذكيُّ بـــداهة شيخُ الشـــريعةِ أحمدُ الكفتارُو

فضيلة الشيخ عائض القرني

الداعية الإسلامي والإعلامي المعروف

* لقد شعرت- وأنا في رحاب هذا المجمع- أن منهج سماحة الشيخ- حفظه الله تعالى- في الدعوة والإصلاح والتعليم والتربية منهج موفَّق ناجح، وأنه استطاع- من طريقه- إنجاز أعمال تربوية وتعليمية ضخمة، وإن أهمَّ ما شدَّ انتباهي وأعجبني هو نظام الدورة التأهيلية للأئمة والخطباء والدعاة، فهذه مدرسة عامرة بالوفود العالمية، يقصدونها من أقطار شتى في الأرض، ويقضون فيها ثلاثة أشهر زاخرة بالعطاء في العلوم اللغوية والشرعية، والمناهج الدعوية والتربوية؛ بحيث لا يزدادون

ثقافة وعلماً فحسب؛ بل يزدادون تربية واسترشاداً وتدريباً على أمور متعددة، ويرجع الفضل في ذلك إلى سماحة الداعية الحكيم الذي رزقه الله جماعة طيبة.

فضيلة الشيخ الدكتور سلمان الحسني الندوي

من ندوة علماء الهند ـــ ٤ ربيع الثاني ١٤٢٢هـ

* لقد زرت مجمع فضيلة الشيخ العلاّمة المفتي أحمد كفتارو، وإنها ذكرى لا تنسى، فلم أكن أتصور أن ثمة رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، راحوا يشيدون مثل هذه المدارس العليا، التي تذكرني بدار المعرفة أيام الحضارة العربية الإسلامية الساطعة. ولو انتشرت مثل هذه المجمَّعات عبر العالم الإسلامي، لكان الإسلام بخير، ولكان في أوج التقدم والارتقاء.

كمال أبو شامة

سفير الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية في دمشق

٢٣/ ٩/ ٢٠٠١

* حلم قديم أن أزور مجمع أبي النور، تحقق في زيارة مباركة إلى أرض مباركة هي أرض الشام، في مكان مبارك هو مجمع أبي النور، تشرفت به بالسلام على سماحة المفتي الشيخ أحمد كفتارو، الذي سبق

أن تشرَّفتُ بلقائه في اليابان عن قرب في محاضراته القيمة لليابانيين وبعَرضٍ شدَّنا جميعاً.

المجمع محضن إسلامي رفيع، وأرى أنه من أفضل المحاضن، التي يمكن أن يتعلم بها المسلمون الجدد- من اليابان وغير اليابان- الحياة الإسلامية، إضافة إلى العلوم الشرعية. ونأمل أن نرسل الطلبة إلى هذا المعهد المبارك لينهلوا من معينه ما يعمق إيمانهم ويعدهم للدعوة في المستقبل بإذن الله.

الـــدكتور صـــالح الساده

ناشط إسلامي في اليابان

٢٨/ ٩/ ٢٠٠١

* كان هذا اليوم- الذي قضيته بين إخوتي من الداعين إلى الله والمعَدّين للدعوة إلى الله- من أغلى أيامي في هذا المجمع، الذي سعى إلى إعداده الداعية الكبير والأستاذ الجليل الشيخ أحمد كفتارو، حفظه الله تعالى ونفع به المسلمين. وكان هذا اليوم من أحلى أيامي، لّما رأيت هذه الجهود المباركة لمواجهة التحديات الكبيرة التي تنزل بالإسلام والمسلمين في بقاع شتى من الدنيا. وما لي في هذه العجالة إلا أن أسأل الله سبحانه وتعالى أن يسدد الخطى ويبارك المسيرة، ويوفقنا جميعاً لإعلاء كلمة الإسلام وجمع صفوف المسلمين...، حتى يعودوا أمة

واحدة كما أراد الله ورسوله، لا يفرق بينهم عرق ولا لون ولا اجتهاد.

فضيلة الشيخ محمد مهدي الخالصي

من علماء العراق

من الدعاة الإسلاميين في بريطانية

١١ شعبان ١٤٢٢هـ، ٢٨ تشرين الأول ٢٠٠١

* على طريق استعادة الأمجاد التليدة، يقوم مجمع أبي النور الإسلامي ببثّ أنواره في كلِّ الأقطار والأمصار، بتربيته على الوسطية الإسلامية، التي تعنى بتزكية النفوس، وإنارة القلوب، وتقويم العقول لإنشاء الداعية الرباني، الذي يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة. والله تعالى نسأل أن يبارك عمل هذا المجمع الجامع بقيادة مرشده وإمامه سماحة المفتي العام مولانا العارف الشيخ أحمد كفتارو.

الشيخ تاج الدين الهلالي

مفتي أستراليا

٢٣ ربيع الأول ١٤٢٢ هـ، ٣ نيسان ٢٠٠٠

* لقد سعدت بزيارة المجمع، ولمست العمل الجاد المتواصل، وأدعو الله تبارك وتعالى أن يديم هذا الصرح للأجيال المتعاقبة، ببركة منشئه وبانيه فضيلة مولانا الإمام العلاّمة الشيخ أحمد كفتارو...، وبهمَّة أبنائه

البررة وإخواننا من علماء المجمع، الذي يعد بحق مَعلَماً من معالم الحضارة الإسلامية، وصرحاً شامخاً من صروح العلم والدين.

الشيخ علي الهاشمي

مستشار رئيس دولة الإمارات للشؤون القضائية والدينية

١٠/ ٨/ ٢٠٠٢

* بمناسبة زيارتي إلى هذا المجمع الموقر، فإني فخورٌ به، وأرجو أن يبقى متميزاً في سبيل خدمة الأمة والإسلام وإعلاء كلمة الله.

دسوقي الحاج أحمد

المستشار السياسي لرئيس وزراء ماليزيا

٢٢/ ٨/ ٢٠٠١

* لقد تشرَّفتُ- بفضل من الله تعالى- بزيارة مجمع أبي النور، فوجدته صرحاً إسلامياً شامخاً، ومَعلماً دينياً بارزاً، جمع جوانب من الخير، يأخذ بعضها بيد بعض. فمن مسجد تقام فيه الصلاة وتلقى المواعظ والدروس والخطب، إلى معهد مبارك يجتمع فيه شباب مؤمن من أقطار العالم الإسلامي يتلقَّون فيه العلوم الشرعية والأحكام الفقهية.

الدكتور أحمد محمد الهليل

وزير الأوقاف في المملكة الأردنية الهاشمية

٢٢/ ٢/ ١٤٢٥هـ، ١٢/ ٤/ ٢٠٠٤

* كان من أملي أن أرى سماحة الشيخ أحمد كفتارو الذي سمعتُ عنه الكثير، وتحقق أملي والحمد لله. إنَّ هذا المجمَّع يعد نتاجاً لجهود طيبة قام بها سماحة المفتي مع أسرة المجمَّع. ولقد سعدتُ أن رأيتُ جامعة بها عدد من الكليات، وجمعيات خيرية، وطلبةً من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.. وسعدتُ بتعليمهم لأبناء العالم الإسلامي.. حُسن الخلق والالتزام بالتعاليم الدينية.

إن الشيخ وإخوانه على ثغر من ثغور الإسلام، ثغر الشام، وهو يحتاج إلى عمل دؤوب لخدمة الإسلام والمسلمين، ولوضع حصون الدفاع عن دينه سبحانه وتعالى في ظروف دقيقة.

أ. د. جعفر عبد السلام

الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

١٣/ ٤/ ٢٠٠٤

* لقد تمكَّن سماحة أخينا الكبير الشيخ أحمد كفتارو من إقامة هذا المجمع الكبير، الذي لمسنا آثاره في بلاد كثيرة، ولقينا تلاميذه المنتشرين في كلِّ قطر، يدعون إلى الله على بصيرة، وينقلون الرسالة المجيدة لسورية في نصرة العرب والمسلمين وحماية عقيدتهم وأوطانهم.

كامل الشريف

الأمين العام للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة

* في .. مجمعكم هذا، .. أرى.. خيرية الأمة وعظمتها، وعظمة الإسلام وقوته، وأرى.. آثار شيخ نذر نفسه لله وخدمة دينه، فبارك الله في جهده وعمله، وأتمثل فيه قول الله عز وجل ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا... ﴾ [سورة إبراهيم]. وإن الحركة- التي أُعجِبَت بهذا العمل الجبار، فأرسلت الوفد الذي أمثِّله- تتمنى أن تستفيد الجزائر من هذا الإشعاع وهذا النور بالتواصل بيننا والتعاون والانتشار.

يزيد بن عائشة

الأمين العام لحركة النهضة في الجزائر

* شرف أثيلٌ أن أمضي هذا الصباح في مجمع أبي النور المبارك، فإن اللقاء بما خلفه سماحة الشيخ الكبير أحمد كفتارو يجعلني أستبشر خيراً بأن هذا المجمع سيبقى منارة تشع النور على الأجيال المستقبلية. لقد سمعنا كلاماً ينبئ بالسلام والإخاء والمحبة والانفتاح والعطاء...

عسى أن تستمر الصداقة بيننا لنشهد أمام هؤلاء الشبان وأمام العالم بأسره بأننا نريد العيش المشترك، ونعمل لأجل السلام.

الأرشمندريت فؤاد الصايغ

من بطريركية الروم الكاثوليك

* إن ما يقوم به هذا المجمع المبارك بإدارته الواعية وبعقلها المستنير هو مثال يجب أن يحتذى في كل مكان في عالمنا الإسلامي حتى نعود إلى ما كان عليه السلف الصالح، وما كان عليه هذا الدين العظيم من مكانة عظيمة لما أراده رب العالمين ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، يقول تعالى: ﴿..وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ.. ﴿٢﴾﴾ [سورة المائدة].. صدق الله العظيم.

فهذا المجمع مثال طيب للتعاون والمساعدة والإغاثة ونشر العلم، فلهم مني ومن شعب فلسطين المجاهد المرابط كلّ التقدير والمحبة على ما يقومون به من خدمة الإسلام والمسلمين.

الشيخ تيسير رجب التميمي
قاضي قضاة فلسطين
خطيب الحرم الإبراهيمي الشريف
٢٣/ ٥/ ٢٠٠٥

* في هذا اليوم العزيز زار الوفد من جمعية نهضة العلماء في أندونيسية مجمع الشيخ أحمد كفتارو العزيز الكبير في جهاده في الإسلام، ونتشرف بزيارتنا هذا المجمع. نهضة العلماء أكبر جمعية إسلامية في أندونيسية تحتاج إلى العلماء والمفكرين، ولذلك نرجو الله

عز وجل أن يكون الطلبة من أندونيسية بعد تعلمهم في هذا المجمع الشريف علماء عاملين في الدولة الأندونيسية.

أحمد هاشم مزادي

الرئيس العام لجمعية نهضة العلماء في جاكرته في أندونيسية

١٨ / ١٢/ ٢٠٠٥

* لقد حظيتُ بزيارة مجمع المرحوم الشيخ أحمد كفتارو وهذا الصرح العلمي الشامخ، وشرفتُ بلقاء القائمين عليه وعلمائه وطلبة العلم فيه، وكانت بفضل الله تعالى فرصة طيبة مباركة. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزي القائمين على هذا المجمع خير الجزاء. ونتوجَّه جميعاً إلى الله سبحانه أن يرحم سماحة الشيخ أحمد كفتارو ويجزيه على زرع هذه الشجرة الباسقة المستمر عطاؤها، وأن يعلي مترلته عنده، وأن يظل هذا العمل مستمراً مبروراً لا ينفد خيره ولا يتوقف عطاؤه. آمين يا رب العالمين.

أ. د. عبد السلام داود العبادي

الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي في جدة

١٢/ ٥/ ٢٠٠٨

* لقد أكرمني الله تعالى بزيارة هذا المجمع المبارك مجمع الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله تعالى، وقد سعدت بما رأيت من جهود علمية قلَّ نظيرها

في العالم الإسلامي، وهو بجمعه لهذا العدد الكبير من الطلبة- من داخل سورية وخارجها- أراده مجمع إشعاع إسلامياً للعالم أجمع.

أ. د. محمد الطبطبائي

عميد كلية الشريعة في جامعة الكويت

١٥/ ١٢/ ٢٠٠٦

* هذا الصرح الإيماني مفخرة لكل مسلم ومسلمة، وهو دليل على أن من أسس بنيانه على تقوى من الله يظل كالشجرة الوارفة الظل، الباسقة الثمر، التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، جزى الله خيراً آل كفتارو الذين يواصلون العطاء لهذا الصرح منذ أن أسسه الشيخ أمين كفتارو- رحمه الله-. وواصل بعده عالمنا الجليل العلاّمة أحمد كفتارو - رحمه الله-.

الدكتور عمر عبد الكافي

الداعية الإسلامي المعروف

* جزاكم الله كل الخير في الدارين لما تقومون به من خدمة للإسلام والمسلمين في العالم من خلال هذا المجمع الموقر، الذي يحمل اسم مؤسسه الشيخ الكبير، الداعية الحكيم، سماحة مفتي الجمهورية العربية السورية الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله رحمة واسعة، ورفع الله

مقامه مع الأنبياء والمرسلين في جنة الفردوس.. آمين.

الشيخ زمر صالح
منسق الشرق الأوسط للعون الإسلامي
رئيس مركز كوسوفا الإسلامي في لندن
٥/ ٢/ ٢٠٠٨

* إن الداعية الإسلامي الكبير، والمجدد لفقه الدعوة بمنهاج نبوي أصيل، والمرشد الرباني، والربان القدير أحمد بن الشيخ محمد أمين- تغمده الله برحمته وفضله العميم- كان من أعلام الأمة في الإصلاح وتربية الأجيال. نعم، كان من الداعين إلى الله على بصيرة وتقوى، ومجانبة لغلظة وعنف، في كل وقت وحين، فنتج عن ذلك أداء الدور الطيب في التقريب والإصلاح وعلاج العلل الفكرية والاجتماعية والسلوكية، وإشاعة الرحمة والأخوة والإنصاف بين المسلمين، وبذل المعروف والإحسان، وهذا أهّل ذلكم الداعية الإسلامي الموفق أن يرقى لأعلى الدرجات العلمية والدينية والرسمية. لقد جمع شيخنا بين العلم والعمل به، فهو ذو الجناحين، ولا طيران ورقي إلا بهما معاً؛ فلا فقه بلا تصوف، ولا تصوف بلا فقه، ولا هُما إلا بإيمان. ومن أنكر منهج هذا الداعية فليس لنا إلا أن **نقول له بكل صدق وتجرد:**

أيها الجاهل الشاني مـــــراتبهم متى تَساوى لديك الدُّرُّ والبَـــرَدُ
عالج عيونك كي تحظى برؤيتهم فليس تبصرهم عين بها رمـــــدُ
ونَقِّ قلبك من داء أضرَّ به فليس يـــدركُهم قلبٌ بـــه حسد

لو ذُقتَ طَعْمَ شرابٍ من كؤوسهمُ أو شِمْتَ برقاً على ساحاتهم يَقِـــدُ
ذُمَّ المنازلَ إلا حيث مـــا نـــزلوا وحاذرِ العيشَ إلا حيث ما وُجِدوا
فكلُّ بَرقٍ بدا من غيرهم خُدَعٌ وكـــلُّ ماءٍ هَمَا من غيرهم زَبَدُ

أ. د. الفاتح الحبر عمر أحمد
عميد كلية أصول الدين
في جامعة أم درمان في السودان

* بحمد الله تعالى وبفضله، زرنا هذا الصرح التربوي التعليمي الدعوي الإسلامي، مجمع الشيخ أحمد كفتارو، زيارات متكررة، فوجدناه بحق منارة علم وإشعاع فكر وسطي واضح، يحقق هدفاً واضحاً، وله مستقبل ظاهر أن يصير جامعة إسلامية تنير آفاق العالم الإسلامي، لتؤدي دورها الحضاري الدعوي المستقيم بلا إفراط ولا تفريط.

الدكتور حسن محمد الأمين
عميد كلية الشريعة والقانون في جامعة أم درمان
الجمعة في ١٣/ ٦/ ٢٠٠٨

* إنه لمن دواعي سروري أن أزور هذا المجمع الذي يُعدُّ مجمعاً للمحبة والعواطف النبيلة. بارك الإله بجميع العاملين في هذا المجمع والقائمين عليه.

رئيس الأساقفة فيكن آيكزيان
رئيس المجلس الوطني للكنائس في الولايات المتحدة

* الإسلام الذي أسمعه من المفتي أضعه على رأسي.

خالد بكداش

الأمين العام للحزب الشيوعي السوري

* أتوجه إلى سيدي سماحة الشيخ أحمد كفتارو المفتي العام للجمهورية العربية السورية، العارف بالله، الذي يركز دائماً على قول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً.. ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة النحل]، **فأقول لسيدي:** "السلام عليك يا أيها الأمة، يا من اعتدت أن أخاطبك بحكيم الزمان، يا من جمعت بين العلم والحكمة حتى تحقق فيك قول **حبيبنا الأعظم** ﷺ: «فقهاء أدباء، كادوا يكونون أنبياء»[1]".

إنه ليشرفني أن أقف بين يدي سماحة الوارث الكامل...

والله- تبارك وتعالى- يجعل على رأس كل مئة عام مجدداً، وإننا لنرى في شيخنا الجليل...- حفظه الله- مجددَ هذا العصر، بما أعطاه الله- تبارك وتعالى- من نورانية مؤثرة، ويقين صادق؛ فما إن يتوجه إلى وجهة من أراضي الدنيا إلا ونرى الآثار الطيبة المباركة قد انتشرت

(١)أخرجه ابن عساكر- في تاريخ دمشق- من حديث علقمة بن يزيد بن سويد بن الحارث الأزدي رضي الله عنه، حرف العين، ذكر من اسمه علقمة (٤١/ ٢٠٠). وقال العراقي في المغني (٢٦/١): وإسناده ضعيف. وله شواهد.

بها، فها هي أندونيسية شاهدة على آثار الشيخ وتلامذته، وكذلك الأمريكتان، وكَنَدة، والصين، وإفريقية، ولا ننسَ أسترالية وأوربة.

يشرفني أن أقف بين يدي هذه الثلة المباركة الطاهرة من علماء الأمة الإسلامية، الذين وفدوا من أنحاء مختلفة من العالم إلى هذا المجمع المبارك، مجمّع أبي النور، الذي لا يحوي إلا النور، ولا يشع إلا بالنور، ولا يصدِّر إلا النور، ومحا ظلمات القلوب، وأحلَّ محلها النور، وما ذلك إلا لصدق سيدي سماحة الشيخ أحمد كفتارو- حفظه الله تعالى- وإخلاصه.

الشيخ الدكتور إبراهيم اليوسف

الواعظ الديني الأول في وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف في دولة الإمارات

* هل حقاً **قال لك البابا**: "إنه يقرأ صفحة من القرآن كل يوم؟!".. فأنا أفعل ذلك أيضاً! هذا اللقاء هو تحول كبير في حياتي، وأعدكم أنني لن أكون على ما أنا عليه بعد اليوم.

روبرت شولر

رئيس الكنيسة الكريستالية في كاليفورنية في الولايات المتحدة

* جاءتني دعوة من الداعية الإسلامي الكبير أحمد كفتارو لزيارة المؤسسة التربوية التي شيدها، وإذا بي أمام بناء شاهق مكون من ثمانية

طوابق فسيحة، تشمل الكثير من المدارس والمعاهد والكليات... ولما حضرت اليوم الجمعة في مسجدكم هذا.. ومجمعكم هذا، وجدت ما لم يخطر بالبال، جماهير غفيرة، لم تأتِ من أحياء دمشق أو من مدن سورية فقط، بل من الأقطار المجاورة.

الدكتور أحمد شلبي
باحث ومؤلف ومفكر إسلامي

* من لنا غيرك لتعريف الناس بالحقيقة؟!

رباح أبو عسلي
مطران القدس

* لقد رأيت بعيني في اليابان كيف تحول الكثير إلى الإسلام على يده وبمهارته، وقدرته الفكرية والروحية، والإيمان المترسخ بجذوره. سيبقى ذكره منارة إسلامية خالدة، وسيكون هذا الجيل- الذي درس على يديه، في أنحاء الأرض- مدرسةً تدعو إلى النور والأمل والحياة والروح والإيمان والإسلام.

محمد أمين أبو الشامات
محافظ مدينة دمشق
٢/ ٩/ ٢٠٠٤

* ستبقى شروحاته لكتاب الله عز وجل وللسنة الشريفة، وكلٌّ دروسه، أينما حلَّ وارتحل، حقل دراسة وبحث؛ كونها أفضل أسٍّ من أسس خروج هذه الأمة من واقعها المأزوم، وحال التخلف.

الدكتور علي اللاغا

رئيس قسم الدراسات العليا في جامعة الجنان في طرابلس اللبنانية

* لقد خسرَت سورية والأمة العربية وجميع المسلمين في العالم فقيداً من أعزِّ الرجال، وشيخ المؤمنين في سورية، كان له فضل كبير في بثِّ روح التسامح والوحدة الوطنية في سورية على مدار عقود من الزمن، وسنظل نذكره ونذكر تعاليمه وأفضاله على أجيال بأكملها.

حنين نمر

الأمين العام الأول للحزب الشيوعي السوري

عضو مجلس الشعب

* كان سماحة المفتي للسوريين أخاً كبيراً، لهم كلّهم، بكل طوائفهم. كان للتسامح نوراً، وللمحبة معلماً.

باصيل دحدوح

عضو مجلس الشعب

* هنيئاً لشيخنا الراحل العالم الجليل الشيخ أحمد كفتارو ما قدَّم من عمل مبرور في طريق الدعوة إلى الله تعالى، وإعداد الأجيال من الدعاة ليؤدّوا واجب الدعوة على هدى ونور وبصيرة.

الشيخ الدكتور عبد الفتاح البزم

مفتي دمشق مدير معهد الفتح الإسلامي

١٩ رجب ١٤٢٥هـ، ٣ أيلول ٢٠٠٤

* لقد جسَّد رسالة الإسلام السمحة، الحاملة لنور الهداية للإنسانية إلى رحاب الله عز وجل، لنشر قِيَم الحقِّ والخير والجمال والدعوة الإلهية إلى أخوة الإنسان للإنسان، فكان المثلَ في الهداية إلى التآخي القومي، والعنوانَ البارز لأحب الخلق إلى الله، ذلك الذي يعمل لما ينفع عيال الله أيَّاً كانت ألوانهم ومذاهبهم.

عصام المحايري

رئيس المكتب السياسي للحزب السوري القومي الاجتماعي

* لقد كان المفتي في شبابه مجاهداً ضد المستعمر، وفي شيخوخته أيضاً. ذلك المربي الديني الوطنيُّ علّم الأجيال حب الله والوطن.

أحمد الأحمد

الأمين العام لحركة الاشتراكيين العرب

عضو القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية

٢/ ٩/ ٢٠٠٤

* مصاب جلل أصاب الأمة الإسلامية بفقد علامة الأمة، الذي أسس أجيالاً من الدعاة إلى الله عز وجل، رحم الله فقيدنا رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

الأستاذ فاروق الطباع
رئيس الجمعية الغراء
عضو مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق

* عالم كبير، وشيخ جليل، ومرجع أصيل، فقدته سورية، وكذلك فقده العالمان العربي والإسلامي.

تمام سلام
رئيس جمعية المقاصد الإسلامية في لبنان

* بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره، نحتسب عند الله الشيخ أحمد كفتارو المفتي العام للجمهورية العربية السورية، وباسم هيئة علماء المسلمين في العراق وأمينها العام الدكتور حارث الضاري نتقدم إلى الشعب السوري الشقيق وطلبة العلم في سورية والعالم الإسلامي وذوي شيخنا الفقيد بأحر التعازي، سائلين المولى تعالى أن يفسح له في جناته، وأن يثيبه خير الثواب على دعوته وعلمه وزرعه الذي زرع.

الدكتور مثنى حارث الضاري
هيئة علماء المسلمين في العراق

* لقد افتقدنا عالماً كبيراً وفقيهاً عظيماً قدَّم للإسلام والعروبة جهوداً على المستويات العالمية والإسلامية والعربية لم يحظَ بها الكثيرون، وكان سفيراً لسورية وللعالم الإسلامي في بقاع الدنيا، أعطى العالم من علمه وفقهه معايير لم يسبقه إليها أحد، وانتخب في مناصب عالمية رفيعة... وكان رحمه الله واسع الصدر، حكيماً معطاءً، أنشأ جيلاً قوياً متيناً مسلماً منتشراً في أنحاء المعمورة.

حيدر بوظو

وزير الشؤون الاجتماعية والعمل الأسبق

٤/ ٩/ ٢٠٠٤

* إنَّ سماحة العلاّمة المغفور له الشيخ أحمد كفتارو المفتي العام للجمهورية العربية السورية داعية إلى كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة، وقد رُوي في الأثر مرفوعاً: «إذا مات العالم انثلم في الإسلام ثلمة ولا يسدها شيء إلى يوم القيامة»[1]، وقد كان رضوان الله تعالى عليه من هذا الرعيل من العلماء العاملين الحكماء العاقلين، الذين يحفظون الدين ويحفظون الأمة.

الشيخ عبد الله نظام

رئيس الحوزة العلمية في مقام السيدة رقية عليها السلام

(١) قال السخاوي في المقاصد الحسنة (١/٩٥-٩٦): أخرجه الزبير بن بكار في الموقفيات عن علي بن أبي طالب من قوله، وله شواهد. وثلمة: أي فجوة أو ثغرة.

* يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة الأحزاب]، ويقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة فصلت]. أسأل الله جل جلاله أن يجعل هذه الدعوة التي امتدت خمسين عاماً في ميزان حسناته، وأن يعلي مقامه في جنات النعيم.

الدكتور محمد راتب النابلسي

داعية ومفكر إسلامي

٢/ ٩/ ٢٠٠٤

* أُشْهِد الله- تبارك وتعالى- ما وجدت في وجوده إلا خيراً، ومن صميم القلبَ كنت أحبه.

الشيخ علي أصغر المروج الخراساني

مساعد ممثل الإمام الخامنئي في سورية

٢/ ٩/ ٢٠٠٤

* رحم الله فقيدنا العظيم الذي كان مصباحاً مضيئاً ومرشداً للدين مخلصاً، يضيء بعلمه وإرشاده وخُلُقه عالمنا العربي والإسلامي.

الشيخ عز الدين الخطيب التميمي

قاضي القضاة في المملكة الأردنية الهامشية

عمّان في ٣/ ٩/ ٢٠٠٤

* أحيِّي أبانا العظيم المفتي العام الشيخ كفتارو، وأحيي كل الأئمة وكل الخطباء وكل المسلمين الحاضرين. إنه لشرف عظيم لي ولزملائي

أن أكون في هذا المسجد في الأيام الأخيرة من شهر رمضان المبارك، لكي نتعلم من كلمات الحكمة من أستاذنا العظيم ونحيا بها.

* المفتي العام الغالي: إن كلماتكم مؤثرة، وتبعث الحياة، وقد دخلت إلى سويداء قلبي، وستجعلني- إن شاء الله- أعمل أكثر فأكثر في الولايات المتحدة.

لويس فرقان

رئيس جماعة أمة الإسلام في الولايات المتحدة

١٦/ ٢/ ١٩٩٦

* كان للجميع، لقد جسد بخطابه وحدة المجتمع السوري بنسيجه الحضاري فأسس آفاق المستقبل الموحَّد للشعب الواحد بطوائفه ومذاهبه كافة، وسوف تبقى كلماته تصدح في جيل الأمة (إننا شعب واحد).

المحامي جوزيف سويد

عميد الحزب السوري القومي الاجتماعي

* كان المَثَل الكبير التاريخي في نصرة قضية فلسطين العادلة وشعب فلسطين المناضل.

محمود الخالدي

ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في القطر العربي السوري

٣/ ٩/ ٢٠٠٤

* إنَّ المؤسسات برجالها، وإنَّ الأمم إنما تقاس بأعلامها. وإذا كان الأمر كذلك، فَقَدْ كان فَقْدُ صاحب السماحة فَقْدَ أمة بأكملها، ولكن الذي يعزينا هو ما تركه الشيخ من أثر طيب متمثل في مؤسسته العلمية ونهضته المباركة.

أ. د. حسام الدين الفرفور
نائب رئيس جمعية الفتح الإسلامي
رئيس قسم التخصص في معهد الفتح
١٩ رجب ١٤٢٥هـ، ٣ أيلول ٢٠٠٤

* مضى الشيخ أحمد وترك سجلاً حافلاً بالخير والإخلاص والحكمة في الدعوة إلى الله، مضى سماحته وترك لنا درساً يجب أن يُحتذى، وجهوداً يجب أن يحافظ عليها.

عبد الله بن محمد آل عباس
المستشار الإعلامي لوزارة الأوقاف السعودية
الأمين العام المساعد للهيئة الإسلامية العالمية للإعلام التابعة لرابطة العالم الإسلامي

* ما يسبق التحية موقفي بين يدي فضيلة شيخي وأستاذي المعلم والمدرس المؤصِّل لأصول الدرس، والمجدد لمعنى إصلاح النفس، سيدي الأستاذ الفاضل أحمد أمين كفتارو حفظه الله ورعاه، شيخاً وإماماً ومربياً، وأرجو أن أجدد بين يديه مع صحبي ووفدي محبةً هي أوثق عروات العلاقات...

الشيخ محمد أمين ناصر أبو ناصر
من علماء وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف في دولة الإمارات

* نحن في بلدنا- صغيراً وكبيراً- ندعو الله من أجل شيءٍ واحد، أن يطيل عمر شيخنا الشيخ أحمد كفتارو، حتى يتم مهمته في تعليم الإسلام ونشره، وبخاصة تعليم أبنائنا نحن مسلمي الشيشان. كنت أعيش في خوف خشية أن أموت في بلدي بسبب الحرب ولا أرى أستاذنا. والحمد لله الذي أوصلني إلى هنا، وتشرفت برؤية أستاذنا العظيم الجليل.

الشيخ شهيد محمدوف

مفتي الشيشان

٦/ ١٢/ ١٩٩٦

* الذي سمعته اليوم في المحاضرة أكد لي باختصار أنك إنسان عظيم جداً، وأنت إنسان رباني، المحاضرة التي سمعتها اليوم أثّرت فيَّ الكثير، الحقيقة باختصار: إنك إنسان عظيم، إنك ذخر لهذا الوطن، أتمنى من الله تعالى أن يديمك ويديم الصحة والعافية عليك، وأنا دائماً سأكون خادماً لك ولأمثالك.

الدكتور سهيل زفارو

سوري مقيم في الولايات المتحدة

وهو من المسيحيين الأرمن السريان

* هذا الفقيه الذي جاب أنحاء العالم من الصين وكورية واليابان شرقاً، إلى أمريكا غرباً، مروراً بأوربة طولاً وعرضاً، يدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، وهو- كونه مفكّراً إسلامياً- تقدمي يطرح تصوراً عملياً لحل مشكلة الصراع الديني المحتدم والحروب الضروس التي تُشنُّ بسببه.

الأستاذ علي المقصود

مسؤول المعهد التأهيلي في كلية الدعوة الإسلامية في ليبية

* إخوة الإيمان: أودعكم إلى بلدي وقلبي وروحي معكم. يا ليت عندنا مثل شيخكم الحكيم يرشدنا إلى الله تعالى، وإلى السلوك الصحيح في الحياة، ويدعونا إلى الغنى والثروة من طريق الكسب الحلال ليكون الإسلام قوياً عزيزاً. هنيئاً لكم بهذا الشيخ الكريم، تمسكوا بتعاليمه واحفظوا دروسه، وانشروا أفكاره.. التي هي تعاليم الإسلام النقي من الشوائب، أطيعوا أوامره.. فإنها عصارة تجاربه في الحياة، وهي سعادة الدنيا والآخرة.

الشيخ محمود عبد الحق

رئيس المساجد في روسية

* يسعدني أن أقف موقفي هذا في يوم الجمعة، يوم البركة والخير، في صفوف صلاة الجمعة، وبين يدي خطبة الجمعة، وبمحضر عالم رباني مصلح.. الشيخ كفتارو حفظه الله تعالى، وأنار به الإسلام والمسلمين، ما هو الذي ينبغي أن نتحدث به معكم في محضر شيخنا المصلح وأنتم في أفضل ساعات أسبوعكم؟.

آية الله نور الدين أشكوري

ممثل قائد الثورة الإسلامية الإيرانية في سورية

* إني أحس بالعجز في التقاط الألفاظ التي أثني بها على سماحة شيخنا، إنني اكتسبت معرفته بعد متأخر من عمري، ووددت لو كانت صحبتي كمثل صحبتكم له منذ زمن، لكنت من الذين أنعم الله عليهم بمعرفته، ليس لي ما أقوله إلا أن أحمد الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة التي حبانا بها، بالشيخ الجليل، والمعلم القدير، والأب الفاضل، الذي يمدنا دائماً وأبداً بنصائحه وإرشاداته وتوجيهاته، التي نسأل الله سبحانه وتعالى أن تخرج من فيه لتصل إلى قلوبنا، وأن يجعلنا الله من الذين يعملون بما يسمعون، وأن يجازيه الله سبحانه وتعالى عنا خيراً؛ لأنه أوصل إلينا ما أعطاه الله فلم يبخل به علينا.

الدكتور المختار أحمد ديرة

أمين كلية الدعوة الإسلامية

١/ ١٢/ ١٩٩٥

* إني شخصياً أعبر عن فرحي وسروري بوجودي في سورية، إلى جانب شيخي ووالدي سماحة المفتي أحمد كفتارو، الذي نُكِنُّ له كل محبة وتقدير؛ لأننا نرى في شخصه الكريم مجاهداً كبيراً في سبيل الله، حيث نلتقي به دائماً في المؤتمرات الدولية وهو يدافع عن الإسلام والمسلمين وعن مكاسبهم، بكل علم ودراية وشجاعة، فجزاه الله عنا جميعاً كل خير.

أ. مصطفى أحمد سيسي

مستشار رئيس جمهورية السنغال للشؤون العربية والإسلامية

١٩٩٧/٨/١٥

* سماحة المفتي العام... الشيخ أحمد كفتارو، لقد قدمنا إلى بلاد الإسلام، بلاد الشام، لنتعلم أحكام ديننا، وأمور شريعتنا، ومبادئ دعوتنا، فتعلمنا أن الدعوة إلى الله يجب أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن الناس متساوون في الحقوق، ولهم حرية اختيار دينهم وعقيدتهم من دون إكراه. وهذه الحرية وهذه المساواة وهذه العدالة أشياء عظيمة ومبادئ سامية، لم يتوصل إليها كثير من الناس حتى الآن.

وتعلمنا منكم أن الإسلام عقيدة رائعة، ومنهج عظيم، لا يمكن للعقل السليم أن يلحد به لو عرضناه بحقيقته وجوهره، وبالكلمة الطيبة والرحمة والمحبة.

وتعلمنا منكم أن المؤمن الحقيقي هو الذي يبحث عن الخير لإخوانه على اختلاف ألوانهم وأعراقهم، ويحب لهم ما يحب لنفسه.

وتعلمنا منكم أنه يمكن التعايش مع العالم كله من دون تعصب، على أساس المحبة والأخوة الإنسانية.

وتعلمنا منكم أن الدين يسر لا عسر فيه، وأنه يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ويأمر بالعلم والعمل، ويحض على عمارة الأرض واستغلال خيراتها، حتى نكون خير أمة أخرجت للناس.

إننا سنعلم أبناءنا وإخواننا ونساءنا وعشيرتنا الاعتزاز بالإسلام، والعمل على تطبيقه في كل جوانب الحياة، وسنعلمهم حب العرب، وحب اللغة العربية، لغة القرآن، والتعاطف مع إخواننا المسلمين، وسنسعى جاهدين إلى أن نردَّ لكم هذا الجميل الذي أفضتموه علينا.

الأستاذ محمد بن أحمد الدين أبو بكروف

عميد كلية اللغة العربية والدين في الجامعة الإسلامية في غروزني الشيشانية

من كلمة ألقاها في الدورة التأهيلية في عام ١٩٩٤

* سماحة المفتي العام، العلاّمة الكبير، المربيَ الجليل، الشيخَ أحمد كفتارو، حفظه الله ومتعنا والمسلمين بطول حياته، العلماءَ الصالحين، السادة الأبرار، الجمعَ الطيب في هذا البلد الطيب:

لقد مثلت دمشق الفيحاء دوراً حيوياً تاريخياً في أداء الرسالة النبوية الكريمة، في جهادٍ متواصل، ورباط دائم، خرَّجت أبطالاً، وعلماء، وصالحين، وربانيين، أقدّرهم وأجلهم وأشكرهم، وأتشرف بالاستفادة من هذه النماذج العظيمة الحية في هذا المجمع الكريم، بإشراف سماحة الشيخ أحمد كفتارو حفظه الله ورعاه.

إن تخريج الدعاة عمل عظيمٌ جداً، والخطاب في كلِّ عصر- ولاسيما في عصرنا هذا- يجب أن يكون بالحكمة والموعظة الحسنة والكلم الطيب.

أهنئكم وأبارك لكم، أصالةً عن نفسي، ونيابة عن سماحة شيخنا العلاّمة (أبو الحسن الندوي) حفظه الله.

البروفسور محمد اجتباء الندوي

رئيس المركز العلمي في الهند

العضو المؤسس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية

من كلمة ألقاها في الدورة التأهيلية في عام ١٩٩٤

* سماحة الشيخ الأستاذ أحمد كفتارو... السادة الحضور، أيها الجمع الكريم:

يشرفني ويسعدني أن أكون بينكم ممثلاً ونائباً عن فضيلة الإمام الأكبر، الأستاذ الدكتور محمد سيد **طنطاوي**، شيخ الأزهر، لأكون مشاركاً لكم في حفلكم الكريم هذا. وكان يسعده أن يكون بينكم لولا ظروفه وارتباطاته.

لقد وجد الأزهر الشريف أن سماحة الشيخ أحمد كفتارو صاحب مدرسة، وداعية يتمسَّك بوسطية الإسلام، وهو ذو نَفَسٍ طويل، يتمتع بصبرٍ جميل، وحكمةٍ بالغة، لا يعرف العنف، وإنما يسلك في دعوته سبيلَ الحوار، الذي فرضه الإسلام، وطلبه إلى أبنائه.

ولذلك أقام الأزهر الشريف تعاوناً بينه وبين مجمَّعكم، لأنَّهما صاحبا منهج واحد، يدعو إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، لا يعرف العنف، ولا يعرف التعصب.

وفي الختام، أنقل تحيات أفراد الشعب المصري بأكمله إلى الشعب السوري، الذي نكنُّ له كل محبةٍ وتقدير، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يطيل في حياة شيخنا الشيخ أحمد كفتارو.

فضيلة الشيخ فوزي الزفزاف

وكيل الجامع الأزهر الشريف

ممثلاً عن فضيلة الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر

في كلمة ألقاها في الدورة التأهيلية في عام ١٩٩٧

* إنني أدرك الآن وأكثر من أي وقت مضى أن الإسلام هو الخلاص لبلدي وللعالم، وأُدرك أيضاً أن الطريقة التي يعلم بها سماحة الشيخ الإسلام هي الطريق الوحيدة للسلام والازدهار ونشر الإسلام في العالم حاضراً ومستقبلاً.

وهذا البرنامج للغة العربية والدراسات الإسلامية- المتوافر الآن في مجمع الشيخ أحمد كفتارو- ستكون له نتائج مهمةٌ متنامية في الدعوة في أمريكا في السنوات القليلة القادمة، من خلال تزايد عدد الإخوة والأخوات المنتسبين لهذا البرنامج. وإنني على يقين أن المتخرجين سيكونون في المستقبل قادة الإسلام في أمريكا.

إن المجمع بهذا البرنامج وغيره من البرامج وسماحة الشيخ بهديه وإرشاده وتعاليمه المرتكزة على القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هما باعتقادي نور لبلادي وللعالم إن شاء الله.

محمد أسعد[1] **(مايكل بيرداين)**
أستاذ مادة التاريخ في جامعة أريزونا الأمريكية
عضو معهد البحوث الأمريكي
الناطق الرسمي باسم المركز الإسلامي في ولاية أريزونا في أمريكا
من كلمة ألقاها في الدورة التأهيلية في عام ١٩٩٥

(١) هو اسمه بعد إعلان إسلامه.

⁕ أنا من أقصى الشمال الشرقي من روسية الاتحادية، من سيبيرية، من مدينة نويابرسك، التي تبعد من مدينتكم الجميلة دمشق اثني عشر ألف كم، ودرجة الحرارة فيها شتاءً تنخفض إلى أربعين درجة تحت الصفر، وعدد سكانها مئة ألف نسمة، منهم خمسة وعشرون ألف مسلم. أقوم بمهام الإمامة والخطابة في المسجد الوحيد في المدينة.

هذا وقد أكرمني الله تعالى بالمجيء إلى الشام، وكان ذلك حُلماً لي، ولاسيما بعدما سمعت الكثير عن فضائل الشام وأهلها، منها **قول نبينا الكريم محمد** ﷺ: «الشام صفوة الله من بلاده، يجتبي إليها صفوته من عباده»[1]. والشام معروفة لدينا بكثرة علمائها وأوليائها وصلاح أهلها.

وبمجيئي إليها تحقق حلمي، وكنت أنتظر رؤيتها بفارغ الصبر. وقد أتيت بدعوة من سماحة المفتي العام، حفظه الله، وجزاه الله عنا وعن المسلمين في العالم كل خير.

(١) أخرجه الحاكم من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، وقال : صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي [انظر: المستدرك على الصحيحن للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص (٤/٥٥٥، برقم ٨٥٥٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٥٩): وهو ضعيف ، وفي المقاصد الحسنة للسخاوي (١/٣٩٩) : وفي فضل الشام أحاديث صحيحة مرفوعة عدة يرجع إليها في مصادرها.

شكري لكم باسم المسلمين في سيبيرية على حسن الاستقبال وكرم الضيافة، وعلى هذه الدورة الناجحة علمياً وعملياً وإدارياً، وقد اطلعت- أول مرة، من خلالها- على حقيقة الإسلام والإيمان والإحسان. وسأنقل ما تعلمته- إن شاء الله- إلى أبنائي وإخواني، وهم بالآلاف.

الشيخ ذاكر سعيدوف

رئيس جمعية الإيمان، إمام وخطيب في مدينة نويابرسك في سيبيرية

من كلمة ألقاها في حفل الدورة التأهيلية في عام ١٩٩٧

* سماحة المفتي العام للجمهورية العربية السورية الشيخ أحمد كفتارو: فكرت في متابعة دراستي الإسلامية لتأمين متطلبات الدعوة بما يتناسب مع المنصب الذي أشغله. وكما **يقال**: (الداعية من دون علم، كالجندي من دون سلاح). ولذا، بدأت أبحث هنا وهناك في المراكز الإسلامية والمعاهد والجامعات. لقد بحثت طويلاً، ولكن من دون جدوى تُذكر، إلى أن لقيت تاجراً في هاركوف، **فقال لي**: (إذا كنت تريد العلم، فعليك بالشام. وهناك شيخ اسمه الشيخ أحمد، وستجد طلبك عنده. فأتيت إلى دمشق، وهي أقرب من الصين، **وقد قيل**: «اطلبوا العلم ولو بالصين»[1]). وما إن وصلت دمشق، حتى سألت

(١) أخرجه البيهقي- في شعب الإيمان- من حديث أنس ﷺ، السابع عشر من شعب الإيمان (باب طلب العلم)، برقم ١٦٦٣؛ وقال: هذا الحديث شبه مشهور.. وقد روي من أوجه كلها ضعيفة، وقال العجلوني (١/١٥٤): ضعيف بل قال ابن حبان باطل،

عن الشيخ أحمد، فأُرشدت إليه، وفوجئت بالمجمع الكبير الذي يُدرِّس فيه، حيث المسجد وفروع الكليات والمعاهد. فأرفع شكري إلى سماحة المفتي العام للجمهورية العربية.

الشيخ زياد خان عثمانوف

رئيس المركز الإسلامي في مدينة هاركوف في أوكرانية

من كلمة ألقاها في الدورة التأهيلية في عام ١٩٩٧

* لقد سارع مجمع الشيخ أحمد كفتارو في دمشق إلى مساعدة المسلمين من الطلبة الداغستانيين، حيث يدرس في المجمع عشرات الطلبة مجاناً ابتغاء وجه الله. وكل هذا العمل بجهود مخلصة من رئيس المجمع، سماحة الشيخ أحمد كفتارو. ولم يفكر يوماً هذا الشيخ الجليل- ولو للحظة- أن يذكر شيئاً من عطاياه للطلبة الداغستانيين، بل يأمل في معونة الله وجزائه يوم القيامة.

ويتمتع سماحته بسعة الأفق العلمي والعقل الراجح النير، وهو ذو فكر عميق، وخبرة واسعة في الدعوة لجمع كلمة المسلمين. وقد كان لسماحة الشيخ الأثر البالغ عند كثير من الناس، إذ هدى الله على يديه الآلاف إلى الصراط المستقيم.

وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، ونوزع بقول الحافظ المزي: له طرق ربما يصل بمجموعها إلى الحسن.

وجميع الأساتذة- في هذا المجمع- يعملون بكل طاقاتهم لخدمة المسلمين، ويبذلون كل إمكاناتهم وخبراتهم لتنشئة طلبة العلم.

فليكن في الداغستان أمثال الشيخ أحمد كفتارو.

الشيخ شاميل محي الدينوف

نائب رئيس معهد القوقاز الجامعي الداغستاني

من مقال نشره في جريدة الحقيقة الداغستانية بعنوان:

بحر العلوم الإسلامية سماحة الشيخ أحمد كفتارو

٢٠/ ١٠/ ١٩٩٦

* الشيخ المربي أحمد كفتارو، أيها الإخوة الأحبة في سورية الحبيبة:

إن من فضل الله عليكم أن جعل بين ظهرانيكم علماء حكماء أجلاء، وفي مقدّمهم سماحة الشيخ المربي أحمد كفتارو، يمكنكم أن تجلسوا معهم وتنهلوا من معينهم متى شئتم.

ومن فضل الله عليكم- أيضاً- أن المساجد في مدينتكم كثيرة لافتة للنظر، باستطاعة أي واحد منكم أن يصلي فيها الأوقات الخمسة، وينهل من معارف الدروس التي تلقى فيها.

إضافة إلى عشرات النعم التي خصّكم الله بها من دون غيركم من الأمم والشعوب غير العربية، ولا يعرف قيمتها إلا من افتقدها، أو تغرب عن وطنه.

وهنا لا بد من أن أشير إلى ما قام به مجمعكم من دور مشكور، برعاية الشيخ الجليل، وهو الذي لم ينسَ الشعبَ المسلم القاطن في روسية الشيوعية؛ فلم تنقطع زياراته لنا، حتى في زمن الحكم الشيوعي، في وقت كدنا ننسى من هم إخوتنا في العالم. أرجو الله أن يكتب ثوابها في سجل حسناته يوم القيامة، لأنه ليس بمقدورنا أن نردَّ له الجميل؛ فما قدمه لنا سماحته باقٍ دائم، أما ما نقدمه نحن فزائل فانٍ.

... وأشكر سماحة الشيخ أحمد كفتارو على ما بذله للإسلام والمسلمين ويبذله، وأسأل الله أن يمد لنا في عمره، ويبقيه ذخراً لكم ولنا وللمسلمين.

الشيخ شفيع بشخاتشيف

المفتي العام لجمهورية كبردينا بلقار

من كلمة ألقاها في الدورة التأهيلية في عام ١٩٩٦

صاحب الفضيلة والحقيقة والسماحة الشيخ أحمد كفتارو، أصحاب الفضيلة والمعالي، أيها الإخوة:

باسم جمهورية بوركينا فاسو وساحل العاج، أتقدم إلى مقامكم الكريم لأنقل لكم تحيات المسلمين هناك.

إن الاتفاقية العلمية- التي عقدت بين مجمع الشيخ أحمد كفتارو في دمشق وجمعية الدعوة في ساحل العاج- تبرز أهميتها في نشر الدعوة الإسلامية في إفريقية وغيرها من قارات العالم.

ولذا، أعبر عن الشكر والامتنان والعرفان لما يقوم به سماحة الشيخ أحمد كفتارو من خدمة الدعوة الإسلامية. جزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

الشيخ عبد العزيز ساربا

المشرف العام على الدعوة في الجمعية الإسلامية في ساحل العاج

الأمين العام لرابطة الدعاة، فرع أتيكوبي، ساحل العاج

من كلمة ألقاها في الدورة التأهيلية في عام ١٩٩٥

* سماحةَ المفتي العام للجمهورية العربية السورية، الوارث المحمدي والقدوة الحسنة لنا، الأساتذة الأفاضل، إخوتي وأخواتي في الله...

إنني لا أجد **كلمات** أوفِّي بها شكر الشيخ وإخوانه وأحبابه على حسن ضيافتهم لنا، ولكافةِ المشاركين القادمين من بلاد مختلفة.

إنَّ أعظم فكرة تعلَّمناها- من فكر سماحة الشيخ الجليل، عَطاءً من الله وتوفيقاً- هي الدعوة لوحدة المسلمين في جميع أنحاء العالم، ودعوة المسلمين للتقدم بالصناعات العصرية، إلى جانب العبادات والعلوم الدينية، عملاً بقول الله تعالى: ﴿..رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [سورة البقرة]، وقوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة القصص].

ومما زاد إعجابي وتقديري لسماحة المفتي، تلك الكلمة التي قالها لرئيس الباكستان الأسبق محمد أيوب **خان**، وأشعلت في قلبي نوراً، ودفعتني إلى أن أعقد العزم وأخي الأستاذ **إمداد الله** على بذل جهودنا لتحقيق هذه الكلمة المستنيرة، عندما قال له: (إنّ الذي أتمناه أن أرى إلى جانب كل مئذنةِ مسجد مدخنةَ مصنع...).

الشيخ محب الله عبد الغني

الأستاذ في جامعة العلوم الإسلامية في الباكستان

من كلمة ألقاها في الدورة التأهيلية في عام ١٩٩٦

* سيدي ومربيَّ الوحيد سماحة الشيخ أحمد كفتارو، سادتي العلماء الأفاضل:

يسرني أن أحيطكم علماً أني خريجٌ أندونيسي قديم في كلية الدعوة الإسلامية في مجمَّعكم هذا.

ومن أبرز الأنشطة الدينية التي أعمل فيها في أندونيسية، رئاسة جماعة حفَّاظ القرآن الكريم. ولهذه الجماعة نشاطٌ جميلٌ جداً، وهو حفلةٌ أسبوعية، يُقال لها: ‹يوم القرآن›، أو ‹مجلس القرآن›.

يُقام هذا المجلس في الساحات العامة، وساحات المساجد، وساحات إدارات الحكومة. وفي بعض المناسبات الخاصة، يُقام المجلس في قصرٍ من القصور. ويحضر المجلس جموعٌ عظيمة من المسلمين والمسلمات، قد يربو عددهم على عشرة آلاف، جاؤوا يستمعون القرآن. يبدأ الحفاظ المجوِّدون بقراءة القرآن بالتناوب، من فاتحة الكتاب إلى خاتمته، من بعد صلاة الفجر إلى الساعة العاشرة ليلاً تقريباً. ويُضاف إلى القراءة ذكر الله تعالى، بعد كلِّ صلاةٍ مكتوبة، ولاسيما بين المغرب والعشاء.

الشيخ محمد فطاني

مدير معهد الهداية الإسلامي في أندونيسية

من كلمة ألقاها في الدورة التأهيلية في عام ١٩٩٦

* هناك سبب مباشر وحيد لوجودي هنا، وهو: أني قابلت أناساً من أمريكا وأوربة، وأخبروني أن مجمع سماحة الشيخ أحمد كفتارو مفتي سورية في دمشق هو أفضل مكان في العالم لاكتساب العلم بالإسلام الحقيقي، الإسلام الذي أراده الله عز وجل ليكون القوة العالمية البارزة – وليست المسيطرة– في القرن الحادي والعشرين. وقلة قليلة من الناس يدركون مثل هذا التغيير في العالم.

قبيل وفاته بسنة، **كتب الرئيس رتشارد نيكسون** في كتابه الأخير ‹ما وراء السلام›: "لقد كان القرن العشرون فترة صراع بين الغرب والعالم الإسلامي. وإذا عملنا معاً، فيمكن أن نجعل القرن الحادي والعشرين عصر سلام، بل نجعل منه قرناً إلى ما هو أبعد من السلام؛ فهما– الغرب والعالم الإسلامي– حضارتان عظيمتان، تثري إحداهما الأخرى، وكذلك بقية أنحاء العالم".

إنني هنا، لأن سماحة الشيخ وعدداً كبيراً من مريديه في كل أنحاء العالم يفهمون مشكلات الحضارة الغربية، ويستطيعون أن يأتونا بالعلاج الوحيد، وهذا العلاج الوحيد يمكن أن ينبثق فقط من قادة الإسلام الروحيين؛ لأنهم الوحيدون الذين يستطيعون أن يجمعوا بين

حكمة النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- والتراث الفكري لعلماء الشريعة الكبار.

الدكتور فاروق عبد الحق[1] **(روبرت كرين)**
مستشار الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون
نائب مدير مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض
مؤسس مركز الحضارة والتجديد في الولايات المتحدة الأمريكية
مؤسس صحيفة هارفَرد للقانون الدولي
الرئيس المؤسس لرابطة المحامين الأمريكيين المسلمين
من كلمة ألقاها في الدورة التأهيلية في عام ١٩٩٥

* إني منذ نعومة أظفاري- وقبل أن أسلك طريق طلب العلم الشرعي- أسمع بقيام الشيخ أحمد كفتارو- رحمه الله تعالى- بالدعوة إلى الله عز وجل، وتربية الأجيال بالعلم والسلوك، خَلَفَاً عن والده الشيخ أمين كفتارو رحمه الله تعالى. وقد كان للشيخ- رحمه الله تعالى- منهج خاص في تأليف القلوب والدعوة إلى الله تعالى، مستوحى من قول الله عز وجل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة النحل]، **وقول النبي** ﷺ: «يسروا ولا تعسِّروا، وبشروا ولا تنفروا»[2]. وزادت ثقتي بدعوة الشيخ الحكيمة حين أكرمني الله تعالى

(١) هو اسمه بعد إعلان إسلامه.

(٢) أخرجه البخاري من حديث أنس ﷺ، في كتاب العلم، باب ما كان النبي يتخـــوّلهم

بالتدريس في صرحه العلمي الحديث في قسم الدراسات العليا، التي كان نفعها عاماً في العالم الإسلامي، فتخرج فيه الكثير من أبناء الوطن السوري والعالمين العربي والإسلامي، حاملين الشهادات العليا من ماجستير ودكتوراه، تتوِّجُهم الدعوة إلى الله تعالى بصدق القول وصفاء القلب، فجزاه الله تعالى عن المسلمين خيراً.

الأستاذ الدكتور مصطفى ديب البغا

الباحث والمؤلف وأستاذ الدراسات الإسلامية العليا في عدد من الجامعات

١٧ رجب ١٤٢٥هـ، ٣ أيلول ٢٠٠٤

* فقيدنا الغالي، علم سورية، رجل الأمة، عالم الشام، مفتي الجمهورية، سماحة الشيخ.. بفقده فقدنا علَماً وعِلماً ورمزاً طال ما كان للحق نصيراً، وللخير سباقاً، ربّى على يديه وفي حضرته آلافاً من العلماء الذين حملوا المشعل، وأثمرت جهوده آلافاً يقفون بين يدي الله غداً ثمرةً من ثمراته، وغرساً من غرسه. كيف لا وهو الذي وقف نفسَه لهذه الدعوة ولهذا الدين عقوداً، مدّ يده يُدافع عنه، وينافح أعداءه. ونحن- أبناءَ فلسطين عموماً، وأبناء حماس خصوصاً- نحمل في نفوسنا، وفي عقولنا، وفي جهادنا، الكثيرَ الكثير من وقفات الشيخ معنا ومع جهادنا بكل ما في يده من قوة، وعقله

بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، برقم ٦٩. وفي رواية: سكّنوا ولا تنفروا.

من حجة، ولسانه من فصاحة، فكانت فتاواه بين يدي العلماء قبلَ المسلمين تدفع أبناء فلسطين إلى الجهاد.

الدكتور موسى أبو مرزوق

نائب رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس


قل كل يعمل على شاكلته

الفصل الثالث

منهج
مجمع الشيخ أحمد كفتارو

منهج مجمع الشيخ أحمد كفتارو

يُعد مجمع الشيخ أحمد كفتارو أحد معالم الدعوة الإسلامية في العالم، وصاحب الأيادي والبصمات الواضحة على حركة الدعوة في بلاد الشام في القرنين العشرين والحادي والعشرين.

ابتدأ البناء الظاهري لهذا المجمع في عام ١٩٧٢، ولكن بناءه الحقيقي كان قبل هذا التاريخ بعقود طويلة. وهنا لا بدّ لنا من توضيح بدايات هذا المجمع ومسجده المبارك وتاريخه، كيف كان؟ وكيف صار؟

فعملاً بتوجيهات الله تعالى في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة الأحزاب]، وعملاً بتوجيهات **سيدنا رسول الله** ﷺ **حين قال**: «لا يزال من أمتي أمةٌ قائمةٌ بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك»[(١)]، وفي رواية زادَ **قوله** ﷺ: «وهم بالشأم»[(٢)]، كانت الانطلاقة الأولى من مسجد صغير متواضع، مدفون فيه الأميرُ قراجا الناصري في عام ٦٠٤هـ، وهو أحد المجاهدين القادة الذين شاركوا في

(١) أخرجه البخاري من حديث معاوية ﷺ، في كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ ، برقم ٣٦٤١.

(٢) قال عمير بن هانئ: فقال مالك بن يُخامر: قال معاذ بن جبل ﷺ: وهم بالشأم، فقال معاوية: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذاً يقول: وهم بالشأم.

تحرير القدس من أيدي الصليبيين، وكان يُكنى بأبي النور، واشتهر المسجد بهذا الاسم.

وفي عام ١٨٩٤- قبل نيّف وقرن، هاجر العلاّمة الشيخ **مُلا موسى** الكرمي النقشبندي- وهو أحد كبار علماء بلاد كُردستان- إلى الشام، شام شريف بمصطلح أهل ذاك الزمان، شام الخير والبركة؛ فقد كان يحفظ حديث **النبي المصطفى** ﷺ **القائل**: «إن فُسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة، إلى جانب مدينةٍ يقال لها: دمشق، من خير مدائن الشام»[(١)].

وكان مع الشيخ ملا موسى ولده الصغير الشيخ محمد أمين **كفتارو**، الذي نشأ وترعرع في أحضان بيت العلم والمعرفة، وأخذ العلم الشرعي عن كبار علماء الشام في عصره، وتتلمذ في طريق التزكية على يد الشيخ عيسى **الكردي** النقشبندي، وأجازه بالتربية والسلوك، فحمل أعباء الدعوة إلى الله تعالى، وتخرج على يديه العشرات من الدعاة المرشدين، من أشهرهم: ولده العلاّمة الشيخ أحمد **كفتارو**، والشيخ عبد الرؤوف **الأسطواني** القاضي الشرعي الأول في سورية، والشيخ

(١) أخرجه أبو داود في سننه عن أبي الدرداء ﷺ، في كتاب الملاحم، باب المَعْقِل من الملاحم، برقم ٤٢٩٨؛ ورجاله رجال الصحيح. والفسطاط ها هنا: البلدة الجامعة للناس، ومنه سميت مصر الفسطاط؛ والملحمة: الحرب والقتال، وجمعها: الملاحم؛ والغُوطة: اسم البساتين والمياه التي حول دمشق، وهي- هنا- غوطة دمشق.

محمد بشير **الباني**، مستشار محكمة النقض وخطيب الجامع الأموي، وغيرهم من أهل العلم والفضل.

وبعد وفاة العلاّمة الشيخ محمد أمين كفتارو- في عام ١٩٣٨- نهض ولده الجسدي والروحي العلاّمة الشيخ أحمد- رحمه الله- بمهام والده، الذي كان أجازه بالتربية والسلوك والدعوة إلى الله تعالى.

وحمل الشيخ أحمد كفتارو- رحمه الله- أعباء هذه المهمة المقدسة؛ مهمة دلالة الخلق على الخالق، ونشر دعوةِ الإسلام في أرجاءِ المعمورة، وتبليغ القرآن الكريم علماً وحكمةً وعملاً وسلوكاً، وذلك كله على خطى المصطفى محمد بن عبد الله ﷺ.

وإن المتأمل بعين العقل والواقع يجد أن المنهج الذي سلكه الشيخ أحمد كفتارو- رحمه الله- في خدمة الدعوة الإسلامية قد تمثل في نشاط دعويٍّ تربوي واسع محلياً وعالمياً، وكان مجمّعه إحدى نتائج هذا النشاط.

وكان سعيه- رحمه الله- يهدف إلى إيجاد المسلم الصالح، المسلم الربانيّ، المسلم القرآنيّ.. أكثر من سعيه إلى بناء الأحجار والجدران؛ فلقد كان النبي الكريم ﷺ مُصحفاً حيّاً يتحرك على وجه الأرض، وحين **سُئلت أم المؤمنين عائشة**- رضي الله عنها- عن خُلُقِ النبيّ ﷺ

أجابَتْ: «كان خُلُقُه القرآن»[1].

ويمكننا التحدث عن منهج الشيخ في المجمع الإسلامي بإلقاء الأضواء على أربعة جوانب في هذا المنهج وهي: **التربوي، الدعوي، التعليمي، والخيري الإنساني.**

أولاً: الجانب التربوي في منهج مجمع الشيخ أحمد كفتارو:

ينطلق هذا المجمع من الحقيقة القرآنية التي تجمع بين **العلم والحكمة والتربية الروحية،** عملاً بقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [سورة الجمعة]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الشمس].

هذه الحقيقة التي تُبيَّن أن الهدف الأول للإسلام هو إيجاد الإنسان المؤمن بربه، المتَّبع لشرعه، المصلح لنفسه، الداعي إلى الخير، العامل بالعلم الذي ينفع نفسه والناس في شأني الدنيا والآخرة، اقتداء بمدرسة سيدنا

(١) أخرجه أحمد- في مسنده- من حديث السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، برقم ٢٥٨١٣؛ وهو صحيح.

رسول الله ﷺ القائل: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع»[1].

وإذا كان المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فإن اللسان ترجمان عما يختزن القلب ويفيض.

و**الحكمة** هي: الإصابة في القول والعمل، وفعل ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي على الشكل الذي ينبغي[2].

و**التزكية** هي: تطهير النفس من كل صفة تباعد صاحبها عن الله تعالى، عملاً بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [سورة الشمس].

وبذلك يرتقي المؤمن فيكون له مقام الإحسان كما **قال رسول الله ﷺ**: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[3]. وكذلك ورد في الحديث أن **رسول الله ﷺ سأل الصحابي حارثة** رضي الله عنه: «كيف أصبحت اليوم يا حارثة؟» قال: أصبحت مؤمناً حقاً يا رسول الله. فقال

(١) أخرجه مسلم من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، برقم ٢٧٢٢.

(٢) انظر: مدارج السالكين ٢/٤٧٨- ٤٧٩.

(٣) أخرجه مسلم من حديث عمر رضي الله عنه، في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التَّبَرِّي ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه، برقم ٨.

رسول الله ﷺ: «انظر ما تقول، فإن لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟» فقال: عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني بعرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار كيف يتعاوون فيها. فقال له النبي ﷺ: «أبصرت فالزم (مرتين)، عبد نوّر الله الإيمان في قلبه»[1]. وكذلك **قال رسول الله** ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[2].

إن إصلاح النفس الإنسانية هو الأساس الأول لوجود المسلم الحقيقي، وهذا الإصلاح يقوم على ركيزتين:

الأولى: عملية **التخْلية**: وهي عمليةٌ تقوم على هدم السلبيات، واقتلاع الأخلاق الذميمة والشهوات والأنانيات من النفس الإنسانية.

الثانية: عملية **التحْلية**: وهي عمليةٌ تقوم على بناء الإيجابيات،

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، من حديث الحارث ﷺ، برقم ٣٣٦٧؛ وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٥/ ٢٢٧٢): رواه البزار عن أنس والطبراني عن الحارث بن مالك، وكلا الحديثين ضعيف. وقال ابن رجب في كتابه التخويف من النار (٣٣/١): حديث حارثة المشهور هو حديث روي من وجوه مرسلاً، وروي مسنداً متصلاً من رواية يوسف بن عطية الصفار عن ثابت عن أنس، وفيه ضعف، والمرسل أصح.

(٢) أخرجه مسلم من حديث النعمان بن بشير ﷺ، في كتاب المساقاة والمزارعة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، برقم ١٥٩٩.

وغرس الأخلاق المحمودة والفضائل في النفس الإنسانية.

وهاتان الركيزتان كانتا منهج سيدنا رسول الله ﷺ في تربية المسلمين. وسار العلماء والعارفون والمربون والمزكون على المنهج نفسه؛ حيث وضعوا قواعد له وبينوا أسسه كبقية العلوم الإسلامية. فكما ظهر المتخصصون في كتاب الله وهم المفسرون، وظهر المتخصصون في سنة رسول الله ﷺ وهم المحدِّثون، وظهر المتخصصون في الأحكام الشرعية تأصيلاً واستنباطاً وتقعيداً وهم الفقهاء والأصوليون، وظهر المتخصصون في العقيدة الإسلامية دفاعاً ورداً للشبهات وهم علماء العقيدة والتوحيد، كذلك ظهر المتخصصون في التربية والتزكية وهم علماء التصوف الإسلامي الصحيح، الذي استبدل العلاّمة الشيخ أحمد كفتارو بتسميته التسمية القرآنية وهي **علم التزكية**.

وكان سعيه- رحمه الله- يهدف إلى ضرورة أن تبقى تزكية النفس وفق المنهج القرآني والنبوي، حتى سماه بعض العلماء **التصوف السُّني** للتفريق بينه وبين التصوف البدعي. واشتهر- رحمه الله- بهذا المنهج، ومن أهم القواعد التي سار عليها في مجال التربية والتزكية:

١- التوبة النصوح، والالتزام بأحكام الشريعة المطهرة.

٢- صحبة العالم الحكيم الرباني المرشد.

٣- مداومة ذكر الله تعالى.

٤- محاسبة النفس على كل كبيرة وصغيرة بمجاهدتها، بدءاً من القلب ومروراً باللسان ووصولاً إلى الجوارح.

٥- عدم فصل التزكية عن العمل بالأحكام الشرعية.

ويؤكد- رحمه الله- دورَ العالم المربي المرشد المزكي، الذي يجبُ أن يكون في مقام الوراثة المحمدية **لقول النبي** ﷺ: «إن العلماء ورثة الأنبياء»[1]. وإن وجود العالم الرباني- الذي يفهم مقام الوراثة: وراثة العلم، ووراثة التبليغ، ووراثة القدوة الحسنة- يكفل لهذا العالِم أن يطبع من حوله بالخير والفضائل، فهو صورة ناصعة للاقتداء الصحيح بسيدنا رسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله، وبهذا ينتقل التأثير من الكلمة المسموعة إلى الأخلاق والأعمال الفاضلة المنظورة.

وإن الدارس لواقع مسيرة مجمع الشيخ أحمد كفتارو الإسلامي ليجدُ هذه المبادئ واضحةً جليةً، في عملية التواصل والعطاء المستمر بين الأجيال، فنرى جيلاً من العلماء والشيوخ الأجلاء في الثمانين أو السبعين من أعمارهم، تنهلُ من عقولهم وقلوبهم وحكمتهم أجيالٌ

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي الدرداء ﷺ، في كتاب العلم، باب فضل الفقه على العبادة، برقم ٢٦٨٢ مكرر؛ وهو صحيح.

كثيرةٌ، فلا توجدُ هوةٌ أو فجوةٌ بين المعطي والآخذ، بين المعلم والمتعلم، بين المزكي والمزكّى، بل أجيالٌ متعاقبةٌ من الشيوخ الحكماء إلى الرجال العاملين، إلى الشباب الملتزم بدينه المنفتح على الحياة، إلى الأطفال في بداية الطريق، ذكوراً وإناثاً، ويجمع هؤلاء كلهم نظامٌ واحدٌ مزدوجٌ، أخذٌ وعطاءٌ، أي: مسلمٌ يسعى إلى أن يزكي نفسه ويطهرها من رذائلها.. ويبني فيها الخير والفضائل، وفي الوقت نفسه يحاول أن يقدم لمن وراءه ما وصل إليه؛ فهو يأخذ ويعطي، ويتزكى ويزكي، ويتأدب ويؤدِّبُ، ويتعلم ويعلِّم، فما من أسبوعٍ إلا وكنا نسمعه- رحمه الله تعالى- يوصي الموجودين في المسجد كلهم: هل عَلِمْتَ هذا الحكمَ وهذه الآية القرآنية؟ هل فهمتها؟ هيا قم فطبق ما تعلمته في حياتك، ثم علِّمهُ لغيرك بسلوكك وأقوالك؛ عملاً **بقول النبي** ﷺ: «ليس مني إلا عالم أو متعلم»[1].

ثانياً: الجانب الدعويُّ في منهج مجمع الشيخ أحمد كفتارو:

كان للمنهج الدعوي- الذي اعتمده مؤسِّس المجمع- دور كبير في استمرار هذا المشروع الإسلامي وتطوره وتعاظمه، حتى غدا مورداً عذباً ومنهلاً صافياً، يستقي منه الكثير من الدعاة القائمين على الدعوة

(١)أخرجه الديلمي- في فردوسه- عن ابن عمر رضي الله عنهما، باب اللام، برقم ٥٢٧٩؛ وهو ضعيف.

الإسلامية، ويمكن أن نذكر هنا سمات هذا المنهج بخطوطه العريضة:

١- الوسطية والابتعاد عن الغلو والتطرف، انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ﴿١٤٣﴾ ﴾ [سبورة البقرة]، **وقول رسوله** ﷺ: «يحمل هذا العلم من كلِّ خَلَفٍ عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[(١)]....

والوسطية يُعبَّر عنها أيضاً بالتوازن.. إنه توازن بين متطلبات الجسد ومتطلبات الروح، فرسالة الإسلام هي الرسالة الشاملة لاحتياجات الروح والعقل والجسد؛ يقول تعالى: ﴿..رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [سورة البقرة]، ويقول تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ..﴿٧٧﴾﴾ [سورة القصص]، **وجاء في الحديث** ﷺ: «إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعطِ كل ذي حقٍّ حقه»[(٢)].

(١)أخرجه الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما، باب الياء، فصل ما لم يسمّ فاعله، برقم ٩٠١٢؛ وصححه الإمام أحمد والعلائي. وهو حديث مشهور صححه ابن عبد البر، وروي عن أحمد بن حنبل أنه قال: هو حديث صحيح، انظر : تحقيق شعيب الأرنؤوط في العواصم والقواصم لابن الوزير (٣٠٨/١).

(٢)أخرجه البخاري من حديث سلمان ﷺ، في كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه

والوسطية تشتمل في معانيها على العدل، واستقامة المنهج، والبعد عن الانحراف والتطرف. إنها- باختصار- تمثل منطقة الأمان والبعد عن الخطر.

٢- السعي الحثيث من أجل التلاقي بين العاملين في مجال الدعوة الإسلامية واتفاقهم وائتلافهم وتوحيد جهود الأمة، بدل الاختلاف والتنازع والشقاق، حفاظاً على الطاقات والمقدرات، عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ..﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ..﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الحجرات]، **وقول رسول الله** ﷺ: «مثل المؤمنين- في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم- مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»[1]، وعملاً **بالقاعدة الذهبية**: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً- أو نتناصح- فيما اختلفنا فيه.

ومن الحق أن **نقول**: "إنّ لنا في ثوابت ديننا ما يضمن لنا استمرار وحدة الصف واجتماع الكلمة، فيما إذا أُمنت الأهواء، وعُزلت الأنانيات والأغراض الشخصية".

٣- نبذ التعصب المذهبي المقيت، وما ينجم عنه من فرقة ونزاع،

ليفطر في التطوع ولم ير عليه القضاء إن كان أوفق له، برقم ١٩٦٨.

(١)أخرجه مسلم عن النعمان بن بشير ﷺ، في كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم ٢٥٨٦.

والله عز وجل يقول: ﴿.. وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ .. ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الأنفال]، مع تأكيد أنَّ المذاهب الفقهية هي ثروة تشريعية ثمينة، ودليل على خصوبة الفقه الإسلامي، ولكنها لم توجد لتفرق بين المسلمين. ولذلك ينبغي أن يكون انتماؤنا للإسلام أقوى من كل انتماء، **ولا** يصحّ أن نتعصب في انتمائنا للمذهب، بحيث نتقوقع فيه ونجعله ديناً منفصلاً؛ يقول تعالى: ﴿..أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ ..﴿١٣﴾﴾ [سورة الشورى]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ .. ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة الأنعام]. فاختلاف الفقهاء لا يعدو كونه رحمة واسعة للناس، من أجل التيسير عليهم، ورفع الحرج عنهم، **ولا** يجوز أن يصير اختلافهم نقمة على الناس.. يوقعهم في الحرج والشدة والضيق.

لقد كان لمؤسس هذا المشروع الإسلامي دور مهمٌ في **التقريب بين المذاهب.. فلقد قال** مرات كثيرة، ولاسيما في إيران: "**إذا كان التشيع هو حب آل البيت، فكلنا شيعة. وإذا كان التسنن هو اتباع سنة رسول الله ﷺ، فكلنا سنة**... فلماذا التفرق، ونحن في مواجهة التحديات؟!"

وقال لمفتي السعودية الشيخ ابن باز عليه رحمة الله: **إذا كانت السلفية هي العمل بالكتاب والسنة.. واتباع السلف الصالح.. ومحاربة الشرك والبدع، فنحن سلفيون. وإذا كان التصوف هو**

تزكية النفس.. والتحلي بمكارم الأخلاق.. وصفاء الروح والنفس، فنحن متصوفون؛ أي: إننا صوفيونَ سلفيونَ في آن واحد بهذا المعنى.

٤- اعتماد مبدأ الحوار مع أهل الكتاب، انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة آل عمران]. فالرسالات السماوية- في أصولها العقدية وأهدافها الإنسانية- واحدة، وهو ما أكده القرآن الكريم في مواضع عدة، منها قوله عز وجل: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ..﴿١٣﴾﴾ [سورة الشورى]، **وقال** ﷺ: «والأنبياء إخوة لعَلاّت، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[1].

وكذلك اعتماد مبدأ الحوار والبيان بالتي هي أحسن مع كل الناس من غير المسلمين.

٥- التعاون مع الحكومات الوطنية في قضايا الدعوة، ومصالح

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ، في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ [سورة مريم: ١٦]، برقم ٣٤٤٣. وبنو العلات: الإخوة لأب. ودينهم واحد، أي: أصول الدين وأصول الطاعات واحدة، والكيفيات والكميات في الطاعة مختلفة.

الأمة، عملاً **بالأثر**: «الإسلام والسلطان أخوان، لا يصلح واحدٌ منهما إلا بصاحبه، فالإسلام أمين، والسلطان حارس، وما لا أمين له مُنهدم، وما لا حارس له ضائع»[1].

فروح العصر تقتضي التخصص في السياسة والاقتصاد والتنمية والدفاع والأمن والخدمات والتعليم والتربية والزراعة والصناعة...الخ. ولا بد للمراجع الدينية والروحية من أن تعمل في اختصاصاتها في التوجيه والإرشاد والرعاية الاجتماعية، وبذلك يكون التعاون والتكامل بين القيادات السياسية والمراجع الدينية.

٦- الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، عملاً بقول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ..﴿١٢٥﴾ ﴾[سورة النحل]، وقوله تعالى: ﴿..وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ..﴿١٥٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران]، **وقول رسول الله** ﷺ: «من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف»[2]، **وقوله** ﷺ: «يسروا ولا تعسِّروا، وبشروا ولا

(١) أخرجه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما، باب الهمزة، فصل في الإسلام، برقم ٣٩٦؛ وأورده ابن حبان في الضعفاء (٢/ ٢٣٨).

(٢) أخرجه البيهقي- في شعبه- عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، الثاني والخمسون من شعب الإيمان (باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، أحاديث في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على من قدر عليهما بما قدر عليه وما في ترك ذلك من الفساد، برقم ٧٦٠٣؛ وهو ضعيف. [انظر: فيض القدير للمناوي (٦/١١٤).

تنفروا»[1]، **وقوله** ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يترع من شيء إلا شانه»[2].

٧- الدعوة إلى الله من خلال المفهوم الإنساني للإسلام، عملاً بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحجرات]، **وقول النبي** ﷺ: «إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى»[3]، **وقوله** ﷺ: «الخلق كلهم عيال الله، فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله»[4]. وكان **النبي** ﷺ يدعو- في دبر كل صلاة- **فيقول**: «اللهم ربنا ورب كل شيء: أنا شهيد أنك

(١) أخرجه البخاري من حديث أنس ﷺ، في كتاب العلم، باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، برقم ٦٩.

(٢) أخرجه مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، في كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق، برقم ٢٥٩٤.

(٣) أخرجه البيهقي- في شعبه- من حديث جابر ﷺ، الرابع والثلاثون من شعب الإيمان (باب حفظ اللسان)، فصل ومما يجب حفظ اللسان منه، برقم ٥١٣٧؛ وهو صحيح.

(٤) أخرجه الطبراني- في الكبير- عن عبد الله بن مسعود الهذلي ﷺ، باب العين، برقم ١٠٠٣٣. وقال العجلوني: ضعيف [انظر: كشف الخفاء (١/ ٣٨١- ٣٨٢)].

أنت الرب وحدك لا شريك لك. اللهم ربنا ورب كل شيء: أنا شهيد أن محمداً عبدك ورسولك. اللهم ربنا ورب كل شيء: أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة»[1].

٨- الدعوة إلى الله من خلال مفهوم عالمية الإسلام، عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سورة سبأ].

٩- الدعوة إلى الله من خلال المفهوم الشمولي للإسلام: فالإسلام- عقيدة وشريعة، ومنهج حياة- نظام يبتعد عن العنصرية والفئوية والطبقية، ويتبنى علاقات دولية متوازنة بين الشعوب والأمم، ويحترم عهوده ومواثيقه مع غير المسلمين، ويحترم حقوق الإنسان...

فالإسلام نظام شامل: إلهي رباني، وأخلاقي، وواقعي، وإنساني، ودنيوي أخروي، ومادي روحي.. يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ

(١) أخرجه أبو داود من حديث زيد بن أرقم ﷺ، في كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا سلّم، برقم ١٥٠٨؛ وهو ضعيف.

تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[سورة الأنعام]، ويقول عز وجل: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة يوسف].

إن الإسلام ينظر إلى احتياجات الحياة الإنسانية على نحو شمولي، فلا يأخذ بجانب ويترك جوانب أخرى، بل يأخذ بأسباب القوة والنجاح والتفوق في كافة المجالات اللازمة لحياة إنسانية سعيدة وفق المنهج الإلهي.

ومن المعلوم أن واجب الدعوة إلى الله تعالى والتخصص به فرض كفاية على المسلمين، لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة آل عمران]، ولقوله تعالى: ﴿..فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة التوبة].

وبناءً على ذلك، سعى الشيخ- رحمه الله تعالى- بتشييده لهذا الصرح الإسلامي إلى هدفٍ عظيمٍ، وهو تخريجُ الدعاة إلى الإسلام، ذكوراً وإناثاً، ولكن بشروط ومواصفات قرآنية نبوية واضحة المعالم؛ فالداعية الإسلامي الحق هو الذي يجمع **ولا** يفرِّقُ، ويقربُ **ولا** يُبعِّدُ، ويوحد **ولا** يمزق، ويحبب **ولا** يبغِّض، وييسر **ولا** يعسِّر، عملاً **بقول النبي الكريم** ﷺ عندما أرسل بعضاً من أصحابه لمهمةٍ دعويةٍ: «يسروا

ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»[1].

فعندما يوجد أمثال هؤلاء الدعاة، الذين فهموا الإسلام على حقيقته، وفهموا كيف يتعاملون مع أفراد الأسرة الإنسانية، وكيف يتعاملون مع الواقع والظروف، يمكن- حينئذ- أن يستفيد المسلمون من حكمةِ هؤلاء، ويمكن للعالم كله أن يحيا سعيداً بالإسلام ومبادئه، وإلا فإنه من الخطر الكبير أن يكون المسلمون في واد ودعاة الإسلام في واد آخر. ومن هنا يمكن **القول**:

- إن الدعاة الذين لا يملكون الوسائل لجذب الناس إلى الإسلام، لن يستفيد أحدٌ من دعوتهم.

- والدعاة الذين لا يملكون إلا سلاح تكفير الآخرين، سيكونون عقبةً في وجه نشر الإسلام.

- والدعاة الذين لا يملكون إلا إطلاق الأحكام بالتفسيق والتضليل سيزيدون في أمراض المسلمين ومشكلاتهم.

ولذلك لن يفلح الدعاة إلا إذا كانت البنية الأساس لشخصياتهم

(١)أخرجه البخاري من حديث أنس ﷺ، في كتاب العلم، باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، برقم ٦٩.

حاملةً لمعالم وظائف النبوة المتمثلة في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ...

١- يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ [أي: تبليغُ الدعوة].

٢- وَيُزَكِّيهِمْ [أي: طهارة النفوس وصفاؤها].

٣- وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ [أي: يعلمهم أحكام الكتاب].

٤- وَٱلْحِكْمَةَ [أي: تدبر العواقب في الأقوال والأفعال].

... وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الجمعة].

وبناءً على ما سبق، يمكن تلخيص **صفات الداعية الناجح**- وفق منهج العلاّمة الشيخ أحمد كفتارو في هذا المجمع- في هذه النقاط:

١- الداعية هو الإنسان الحكيم، الذي يفهم زمانه ومكانه ويعي إمكاناته، ويتصرف بناءً على هذا الفهم والوعي.

٢- الداعية هو طبيب شفيق رحيم، يشخّص الأمراض.. ويصف الأدوية المناسبة لعلاجها، ولا يكون قاضياً جزاراً.

٣- الداعية هو الذي ينظر إلى كل إنسانٍ- مهما كان وصفه- على أنه بشرٌ غير معصوم عن الخطأ.. فيه نوازع الخير فعليه أن ينميها،

وفيه نوازع الشر فعليه أن يعالجها. **وللشيخ– رحمه الله– مقولة مشهورة** في ذلك وهي: "يا بُنَي: الناس كلهم بخير"، وقوله: "ما رأيت أحداً لا خير فيه".

فمهمةُ الدعاة البحث عن الخير في النفوس وتنميته حتى يغلب نوازع الشر عنده ويمحوها.

٤– الداعية هو الذي يعلم أن لكل إنسان قدرات وإمكانات، فيتعامل معه على حسب طاقته وعقله وفهمه.

٥– الداعية الحكيم هو الذي يكون إيجابياً مع حكومته الوطنية الصالحة، بالتواصل معها من أجل إسداء المشورة والنصيحة بالتي هي أحسن، والدعاء لها بالخير والصلاح. ولا يجوز الانعزال عن رجال الحكم بحجة **المقولة المشهورة**: "بئس العلماء على أبواب الأمراء"، فهذه ليست آيةً ولا حديثاً ولا أثراً عن الصحابة ﷺ، بل هي مناقضة للأدلة الكثيرة في وجوب النصح لولاة أمور المسلمين.

نَعمْ... **بئس العلماء على أبواب الأمراء** إن ذهب العلماء إليهم من أجل تحصيل مصلحةٍ دنيوية أو مكانة عندهم، ولكن **نعم العلماء على أبواب الأمراء** إن كان ذهابُ العلماء إليهم من أجل النصيحة والدعوة إلى الله تعالى بالتي هي أحسن..

– فلقد خاطب الله عز وجل نبيين كريمين– هما سيدنا **موسى**

وأخوه **هارون**- بقوله الكريم: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة طه].

- ولقد كان النبي الكريم ﷺ يذهب بنفسه إلى زعماء قريش ويدعوهم إلى الإسلام، وكان أيضاً ﷺ يعرض نفسه كل عام في موسم الحج على زعماء القبائل طالباً الحماية ليبلغ رسالة ربه.

- وكان علماء السلف رضي الله عنهم يبذلون النصح لخلفائهم وأمرائهم ابتغاء رضوان الله.. والأمثلة أكثر من أن تحصى.

٦- الداعية الحكيم هو الذي يعمل بالإيجابيات، ويبتعد عن السلبيات. فلا يجوز مطلقاً أن يدخل الدعاة في صراعات فكرية لا فائدة منها، ولا يجوز الانشغال بالهوامش عن المهمة الكبرى لهم، وهي تبليغ دعوة الله إلى خلق الله أجمعين وبناء الأمة الخيرية.

٧- يجب أن يعرض الدعاة إلى الله تعالى الإسلام بثوبه الجميل، من خلال الحب.. والكلمة الطيبة.. والحكمة البالغة.. والحوار الهادئ البناء.

فلقد خاطب الله تعالى نبيه بقوله: ﴿..وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ..﴿١٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران]. ولذا، لا يجوز أن يكون سلوك الدعوة بالقسوة والفظاظة، والجدال العقيم..

ومراحل الدعوة يجب أن تكون وفق قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة النحل]...

فالوجه الأول: **الحكمة**، وهي مخاطبة العقل الإنساني من منطلقات الأدلة العلمية والعقلية.

والوجه الثاني: **الموعظة الحسنة**، وتكون بمخاطبة الإنسان من طريق عاطفته وفطرته التي فطره الله عليها ترغيباً وترهيباً.

والوجه الثالث: **الجدال بالتي هي أحسن**، وهي تبيين الحقائق لمن يريد الانصياع للحق أو لنداء العقل والقلب.

وبعد ذلك يكون الخطاب الإلهي لهؤلاء: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [سورة التوبة].

٨- يجب أن يوحد الدعاة جهودهم، ويرصوا صفوفهم، ويلتقوا كل المخلصين لهذا الإسلام العظيم. فلا يجوز التناحر أو التباغض، بل الواجب فتح الذراعين لكل الجهود المخلصة لخدمة الإسلام والمسلمين.

٩- الداعية الحكيم هو الذي يسعى إلى الاستفادة المثلى من المذاهب الفقهية الإسلامية المعتمدة، لأنها ثروة حقيقية بين أيدي

المسلمين، ويمكن أن يستفيد الجميع منها، فتكون الاجتهادات المذهبية كالصيدلية التي تحتوي على الأدوية كلها وللأمراض كلها، فيأخذ منها الدعاة الدواء المناسب، بشرطين:

الأول: عدم التعصب لأي مذهب من المذاهب بالهوى والأنانية.

الثاني: عدم الإفراط أو التفريط، تشديداً أو تسهيلاً.

١٠- يجب أن يتعامل دعاة الإسلام مع غير المسلمين في مجتمعاتهم بالتي هي أحسن، بتطبيق الأحكام الشرعية التي توصي بالإحسان لغير المسلمين، عملاً بقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الممتحنة].

١١- يجب أن يحذر الدعاة من الضياع في متاهات الصراعات الطائفية، أو السقوط في مستنقعات الفتن الداخلية، التي غالباً ما تكون فخاً ينصبه أعداء الإسلام من خارج بلادهم لتشتيت جهودهم.

هذه هي أهمُّ مبادئ المنهج، الذي سلكه العلاّمة المربي في السبعين سنة الماضية، ولله الحمد والفضل والمنة.

وقد أثبتت هذه المبادئ جدواها في كل مجالٍ من مجالات الدعوة، داخل سورية وخارجها، وجنبت سفينةَ مجمّعنا الأمواج العاتية

والأعاصير، وصدق الله حين قال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [سورة البقرة].

ثالثاً: الجانب التعليمي في منهج مجمع الشيخ أحمد كفتارو:

من ما سبق عرضه، حاول مجمع الشيخ أحمد كفتارو تهيئة المجال لأبناء المسلمين من داخل سورية وخارجها، كي يدرسوا الإسلام على حقيقته من دون ابتداع مذهب ديني أو فلسفي جديد، بل تمسك بالأصول، واستفادة من الفروع، وتبادل للخبرات والتجارب.

وكان منهجه- رحمه الله- في قضية تعليم الإسلام وعلومه وشريعته ينطلق من **قوله** ﷺ **في الحديث**: «يحمل هذا العلم من كلِّ خَلَفٍ عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[1]. فالدعاة المجددون لدين الله تعالى لا يبتكرون ديناً جديداً، أو أحكاماً شرعية جديدة، بل تكون مهمة التجديد- التي يضطلعون بها، كما سبق في الحديث- قائمة على:

أولاً: حماية الإسلام من الغُلوِّ والتطرف والتعصب؛ إذ يَعْلَقُ بالدين ما ليس منه بسبب تحريف الغالين.

(١) أخرجه الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما، باب الياء، فصل ما لم يسمّ فاعله، برقم ٩٠١٢.

ثانياً: حماية الإسلام من التزوير والدجل؛ إذ يدعي فهم الإسلام وحمله كذابون ينتسبون له وهو منهم براء، فهذا هو انتحال المبطلين.

ثالثاً: حماية الإسلام من الجهال من المسلمين، الذين لا يفقهون الإسلام على حقيقته، فيؤولونه تأويلاً باطلاً، وهذا هو تأويل الجاهلين.

وصنْع هؤلاء المجددين يحتاج إلى مؤسسات تعليمية متكاملة تجمع مناحي التربية والدعوة والعلم بأحكام الشريعة، وهذا ما قام مجمع الشيخ أحمد كفتارو بتحقيقه، بدءاً من تعليم القرآن الكريم وأحكام الطهارة والصلاة لأطفال المسلمين.. ذكوراً وإناثاً، ووصولاً إلى أعلى الدرجات الجامعية التخصصية في علوم الشريعة والفكر الإسلامي.

وهذا استعراض موجز لأهم المحطات التعليمية والأكاديمية في مجمع الشيخ أحمد كفتارو:

المحطة الأولى: وهي الأساس الذي قام عليه هذا العمل الإسلامي بِرُمَّتِه. إنها مدرسة الدعوة والتربية والتزكية والتعليم الإسلامي العام، حيث يحضر المجمع الألوف من طبقات المجتمع وشرائحه كافةً- ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً، علماء ومثقفين وعوام- المحاضرات والدروس ومجالس العلم التي كان يقوم فيها العلاّمة الشيخ أحمد كفتارو- رحمه الله- بتفسير القرآن الكريم أو شرح الحديث النبوي الشريف أو

استعراض السيرة النبوية أو دروس التزكية والأخلاق ومنابر الدعاة. وبقيت دروس التفسير قائمة بالخير- بفضل الله الكريم- أكثر من سبعين سنة.

هذا وقد تخرج على يدي الشيخ الجليل عدد كبير من العلماء الأجلاء، والأساتذة المربين والدعاة الكبار، الذين يعملون جميعاً في المساجد والساحات الاجتماعية المختلفة، في أنحاء سورية وخارجها، يقتفون المنهج الذي خطّه لهم شيخهم، وذكرنا آنفا ملامحه التربوية والدعوية المستقاة من ينابيع القرآن والسنة والسلف.

المحطة الثانية: المعاهد الشرعية للدعوة والإرشاد للمرحلتين الإعدادية والثانوية (ذكوراً وإناثاً)، ومدة الدراسة في كل مرحلة ثلاث سنوات، يحصل الطالب والطالبة بعدها على شهادة الثانوية الشرعية.

المحطة الثالثة: الدراسة في المرحلة الجامعية للذكور والإناث؛ إذ يضم المجمع كليات أربع، هي:

١- كلية الدعوة الإسلامية، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات، يعطى الطالب والطالبة- بعد التخرج فيها- شهادة الإجازة في اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

٢- كلية أصول الدين، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات، يعطى

الطالب والطالبة- بعد التخرج فيها- شهادة الإجازة في أصول الدين.

٣- كلية الشريعة والقانون، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات، يعطى الطالب والطالبة- بعد التخرج فيها- شهادة الإجازة في أقسام: الشريعة، القانون، الاقتصاد الإسلامي.

المحطة الرابعة: قسم الدراسات العليا؛ حيث يحصل الطلاب والطالبات على شهادة الدبلوم، ثم الماجستير، ثم الدكتوراه، في سائر الدراسات الإسلامية، ولاسيما التفسير وعلوم القرآن وعلوم الحديث والسنة وعلوم الفقه وأصوله.

وهناك دراسات ونشاطات فرعية، منها:

١- المعهد التأهيلي لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، للذكور والإناث. ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات.

٢- دورات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وهي دورات متتابعة ومتدرجة، ومدة كل دورة شهران.

٣- معهد تحفيظ القرآن الكريم، للذكور والإناث.

٤- الدورات التأهيلية العالمية للأئمة والخطباء والمدرسين الدينيين والدعاة.

٥- قسم الدراسات الإسلامية لغير المتفرغين (المنتسبين).

٦- دورات تخصصية: في الإعلام أو الاقتصاد الإسلامي، أو الحصول على الإجازة في كتاب في أحد العلوم الإسلامية، أو دورات تأهيل الدعاة.

٧- السكن الداخلي للطلبة، والمطاعم، والخدمات الملحقة.

رابعاً: الجانب الخيري الإنساني في مجمع الشيخ أحمد كفتارو:

لقد أسس الشيخ- رحمه الله تعالى- جمعية خيرية إنسانية أشهرت في عام ١٩٥٩، تضم حالياً المشروعات الآتية:

١- مشروع مساعدة الأسر الفقيرة مالياً وصحياً.

٢- المشروع الخارجي لكفالة الأيتام، وفيه أكثر من ٢٠٠٠ يتيم ويتيمة. ويقدم هذا المشروع الرعاية من النواحي التربوية والصحية والمالية للأيتام وأسرهم. ويضم المشروع استراحة، ومتنَزّهاً، ومسبحاً للترفيه عنهم...

٣- المشروع الداخلي لليتيمات (دار الرحمة)، ويضم ٢٠٠ يتيمة. ويقدم هذا المشروع كافة احتياجات اليتيمات تربوياً وتعليمياً ومعيشياً.

ومنهج الشيخ- رحمه الله- في هذا الجانب تقديم الكفايتين التربوية والتعليمية أولاً، ثم الكفايتين المالية والمادية...

هذه خلاصة منهج مجمع الشيخ أحمد كفتارو تربوياً ودعوياً وتعليمياً وخيرياً وإنسانياً. وقد جعله الله ﷻ محل قبول عدد كبير من العاملين في حقل الدعوة الإسلامية[1] وإعجابهم.

رحم الله الشيخ المؤسس، وأعلى مقامه في أعلى عليين، وتقبل منه جهوده وجهاده في خدمة المسلمين والإنسانية.



(١) راجع: الفصل الثاني من هذا الباب.



الباب الثاني

أفكار وأساليب في

التجديد والإصلاح والدعوة الإسلامية



عناوين الباب الثاني

❋ **الفصـــل الأول** : التجديد والإصلاح.

❋ **الفصل الثاني**: الدعوة الإسلامية العالمية.

الفصل الأول

التجديد والإصلاح

▪ أولاً: الأفكار والنصوص:

* **المبحث الأول:** تجديد التصوف بإعادته إلى قواعد القرآن والسنة، واقتراح ميثاق العمل الصوفي.
* **المبحث الثاني:** مفهوم الإسلام في حقيقته وجوهره.
* **المبحث الثالث:** القرآن الكريم وموقعه في الحياتين العملية والدعوية عند المسلمين.
* **المبحث الرابع:** القرآن الكريم وبناء الحضارة الإسلامية.
* **المبحث الخامس:** القرآن الكريم وبناء الحياة المزدهرة على وجه الأرض.
* **المبحث السادس:** ضرورة الأخذ بفقه القرآن بمعناه الواسع في حياة المسلمين.
* **المبحث السابع:** دور الاجتهاد في الفكر الإسلامي.
* **المبحث الثامن:** إصلاح التعليم الديني.
* **المبحث التاسع:** ضرورة تَمَلُّك الأمة الإسلامية للثروة ووسائل التقدم الحضاري.

▪ ثانياً: الدراسة والتحليل

أولاً

الأفكار والنصوص

المبحث الأول

تجديد التصوف
بإعادته إلى قواعد القرآن والسنة
واقتراح ميثاق العمل الصوفي[1]

(١) محاضرة سماحته في اجتماع لجنة التنسيق والمتابعة للطرق والحركات الصوفية في القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، المنعقد من ٢١ إلى ٣/٢٣/ ١٩٩٥، في باكو في أذربيجان.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً- الأفكار الرئيسة:

١- أنشطة علماء التصوف السابقين شملت مجالات:

أ. **التربية والتزكية**: فهما تمثلان المدرسة الروحية الإيمانية في المجتمع الإسلامي.

ب. **الجهاد**: إنشاء رباطات وزوايا للذكر والجهاد.

ج. **الدعوة**: إيصال الإسلام إلى المناطق التي لم يصل إليها الفتح العسكري.

٢- ثمة أخطاء دخيلة على التصوف عكرت نقاءه، ونفرت بعض الناس منه.

٣- ضرورة تجديد التصوف وإزالة اللبس عنه، والأخطاء الموجودة لا تنفي مشروعية الأصل كما في أي علم.

٤- العالم المادي بحاجة إلى جهود الصوفية لنشر الدعوة الإسلامية فيه، بسبب ما تمتلكه من خصائص روحية وأساليب إيجابية.

٥- يجب حماية العمل الصوفي من الخلل، وتحصينه بالتعليم الشرعي لتخريج قيادات صوفية عالمية مؤسسة على أصول الكتاب والسنة.

٦- ضرورة التقارب مع التيارات الإسلامية بالعودة إلى مصطلحات الكتاب والسنة ورفع التسميات المسببة للتفرقة.

٧- يجب أن يكون عمل الحركات الإسلامية- على مختلف توجهاتها- قائماً على ثلاثة أركان: العلم والتزكية والحكمة.

٨- اقتراح ميثاق العمل الصوفي لتنظيم جهود الحركات الصوفية في العالم.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً- نص المبحث:

لقد كان هذا اللقاء وأمثاله مُنية يشتاق إليها سائر السالكين إلى الله والعاملين في حقل التزكية والإحسان والدعوة إلى الله عز وجل. وها نحن اليوم نفرح بتمام النعمة؛ فما كان أملاً يرتجى، صار اليوم واقعاً مشهوداً يفرح به المؤمنون.

لقد نهض التصوف برسالته منذ فجر الدعوة الإسلامية، في التزكية والإحسان وبناء المؤمن الحق، وكان علماء التصوف يطوفون في عواصم العالم الإسلامي، فيملؤونها بقوافل الدعاة العاملين: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الأحزاب].

ويمكن قراءة نشاط علماء التصوف السابقين في جوانب ثلاثة:

١- **في مجال التربية**؛ فقد كانوا هم مدرسة التربية والتزكية داخل المجتمع الإسلامي، وكانوا بذلك رافداً لا غنى عنه لمراكز العلم؛ إذ بهم يتحقق تكامل العلم والسلوك، حتى صار من المُسلَّم به أن العالِم لا يتصدر للفتيا والتدريس إلا بعد التخرج في مدرسة التربية والتزكية.

٢- **في الجهاد**؛ فقد كانوا يَنْشَؤُون في حلقات الذكر على التعلق بالآخرة، والشوق إلى لقاء الله، فينفرون في ثغور البلاد الإسلامية مجاهدين صابرين. وهكذا، فقد أنشؤوا الرباطات على أطراف المدن الإسلامية، فكانوا يشتغلون فيها بذكر الله، حتى إذا ما دعاهم داعي الجهاد، كانوا خيل الله السابقة، رجاء أن تصيبهم بركة **قول النبي** ﷺ: «عينان لا تمسُّهما النار، عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله»[1].

٣- **في الدعوة إلى الله**؛ فقد كان علماء التصوف ينفرون من رباطاتهم وزواياهم إلى الآفاق، فيبلغون مكامن التأثير في قلوب الخلق، وهي المواقع التي لم تكن تبلغها جيوش الفتح العسكري، فكان الدعاة من علماء التصوف يتكفلون بهذه الرسالة، ويخترقون مراكز الثقافة والتأثير في مختلف أنحاء الأرض.

(١) أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما، في كتاب فضائل الجهاد، باب فضل الحرس في سبيل الله، برقم ١٦٣٩؛ وهو حسن.

ولكن اختلط بصفاء التصوف وعذوبة مائه بعض الأخطاء، وهذا جعل بعضهم لا ينظر إليه بعين الرضا والقبول، بل يعده أمراً زائداً عن الدين لا حاجة للمسلم إليه. والحقيقة إن التصوف- بنقائه المستمد من القواعد القرآنية والسنة النبوية وأحوال السلف الصالح- جزء مهم في تكوين شخصية المسلم، وحسن عقيدته، ونجاته في الدنيا والآخرة.

فلا بد من أن نجدد التصوف على نحو يزيل عنه ما ليس منه، وينقيه من العثرات والهفوات، شأنه شأن بقية العلوم الشرعية، التي خالطتها أخطاء ليست منها، ولم ينفِ ذلك عنها شرعيتها وضرورة تجديدها وتعلمها.

وبعد أن نقيم التصوف بثوبه القرآني المتجدد، يجب أن نعمل على نشره بين المسلمين معلِّمين ومتعلمين، ليُسْهم في نهضتهم من ركودهم، والعودة بهم إلى منهج نبيّهم، والقيام بواجبهم في الدعوة إلى الإسلام علماً وعملاً، حالاً وقالاً، روحاً وجسداً؛ فإن العالم اليوم قد تحضر مادياً، ولكنه في أشد العطش إلى حضارة روحية يحملها له علماء التصوف الإسلامي، بعد أن يوحدوا جهودهم وينسقوا أفكارهم وخططهم.

الإسلام دين الدعوة، والإسلام دين العصر، والإسلام دين التقدم، بما يحمله بين طياته وتعاليمه من القدرة على حل المشكلات المعاصرة في عالمنا اليوم.

وهذا يفرض على الحركات الصوفية- في العالم الإسلامي وخارجه- تحمل واجباتها في وضع خطة لنشر الدعوة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها؛ فهي قادرة على الانتشار الواسع، بطريقة هادئة محببة، بعيدة عن الاستفزاز. وهذا الأمر يفرض علينا- جميعاً- أن نؤمن لهذه الحركات كل الدعم مادياً ومعنوياً في أنحاء العالم كافة، لتضمن نجاحها في أداء مهمتها.

وإن من أعظم الواجبات المؤدية إلى النجاح، تحصين العمل الصوفي، بنشر مدارس التعليم الشرعي في الحركات الصوفية لتخريج قيادات صوفية عالمة، تستند في عملها إلى أساس متين من العلوم الإسلامية، بفروعها الشرعية والفكرية والحركية.

ولكي لا تتعثر هذه الجهود، لا بد- أولاً- أن نزيل الحواجز التي بينها وبين بقية التيارات الإسلامية، بالتقارب مع تلك التيارات، عبر الهدف المشترك بالعودة إلى الكتاب والسنة وإلى ما كان عليه سلفنا الصالح من دون زيادة أو شطط، ومن دون الوقوف عند التسميات، التي تَبَاعَدَ بسببها المسلمون وصاروا فرقاً وشيعاً، ولكن نرجع إلى المسمى والمعنى الحقيقي، وهو الاقتداء الكامل برسول الله ﷺ علماً وعملاً وإخلاصاً، وعند ذلك تتآلف القلوب وتنتفي الخصومات والعداوات.. ونكون يداً واحدةً في نشر الوعي بين المسلمين، وتصحيح عقائدهم، وإيجاد المجتمع المسلم الذي أراده رسول الله ﷺ كالجسد

الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. ولقد لخص الله تعالى مهام بعثة رسوله ﷺ فجعلها في أمور ثلاثة، يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الجمعة].

فعلى هذه الأركان الثلاثة- **العلم والتزكية والحكمة**- يتوقف نجاح الحركات الإسلامية اليوم.

وفي الختام، أغتنم هذه الفرصة لأضع بين أيديكم **ميثاقاً للعمل الصوفي**، يحتاج إلى مناقشتكم وإضافاتكم، سائلاً الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لتوحيد الجهود من خلال ميثاق العمل الصوفي وخطة العمل المستقبلية التي تقررونها، لدعم الحركات الصوفية، وانفتاحها على جميع المسلمين بتياراتهم المختلفة، مع تطوير وسائل الدعوة، وتبيين التصوف الصحيح سلوكاً ودعوةً، بصفته جزءاً لا يتجزأ من المنهج الإسلامي.

ميثاق العمل الصوفي
الناظم لجهود الحركات الصوفية

المبادئ

المبدأ الأول: تجديد التصوف وتنقيته، والعودة به إلى القواعد القرآنية والسنة النبوية المطهرة.

المبدأ الثاني: نشر التصوف المُجدَّد وتعليمه، بصفته جزءاً مهماً في تكوين شخصية المسلم.

المبدأ الثالث: توحيد الحركات الصوفية في العالم والتنسيق بينها، واستقطاب أكبر عدد منها للعمل التوحيدي من خلال الميثاق.

المبدأ الرابع: دعم الحركات الصوفية- الموقعة على الميثاق- مادياً ومعنوياً في أنحاء العالم.

المبدأ الخامس: تنمية حركات التصوف في المناطق الحساسة من العالم، بالإفادة من قدرته المتميزة على الانتشار الواسع، بطريقة هادئة بعيدة عن الاستفزاز.

المبدأ السادس: التقريب بين الصوفيين والسلفيين الحقيقيين وبقية التيارات الإسلامية، لتوحيد الجهود في خدمة الدعوة الإسلامية.

المبدأ السابع: تحصين العمل الصوفي بنشر مدارس التعليم الشرعي في الحركات الصوفية، لتخريج قيادات صوفية تستند في عملها إلى أساس متين من العلوم الإسلامية بفروعها الشرعية والفكرية والحركية.

المبدأ الثامن: تطوير وسائل الدعوة في العمل الصوفي باستعمال المخيمات والأنشطة الحركية المختلفة.

الوسائل

١- تأليف الكتب لتشكيل مكتبة صوفية حديثة على قواعد القرآن والسنة النبوية، ومن خلال المبادئ التي يقوم عليها الميثاق.

٢- إقامة المؤتمرات لمعالجة قضايا محددة من خلال مبادئ الميثاق، يحضرها قادة التصوف في العالم.

٣- إقامة ندوات فكرية جماهيرية ميدانية على مستوى المدن أو مستوى البلدان، يقوم بتنفيذها مجموعة قيادات صوفية متنورة، يُجمع لها أتباع الحركات الصوفية في تلك المناطق للاستماع والتوجيه بعيداً عن المظاهر والاستعراضات.

٤- إقامة دورات على شكل مخيمات سنوية، تراوح مدتها بين ١٥ و٣٠ يوماً، يقوم بتنفيذها قيادات إسلامية صوفية فكرية حركية متنورة، تُخصَّ بها القيادات الناشئة في الحركات الصوفية العالمية، بقصد التعارف والتوحيد والتنوير والتصحيح والتدريب، على أساس من الكتاب والسنة والإحاطة بقضايا الشعوب الإسلامية ومشكلاتها على المستويات كافة.

[ترشح كل جماعة موقّعة على الميثاق ١٠ إلى ٢٠ مشاركاً؛ على نحو لا يقل عدد المشاركين في المخيم الواحد عن ٣٠٠ مشارك سنوياً].

٥- إقامة دورات للأئمة والخطباء والدعاة على حسب المناطق الإقليمية، ومراعاة اللغة، لتنمية معارفهم التربوية الروحية، وحثهم على تبني التصوف سلوكاً ودعوة، بصفته جزءاً لا يتجزأ من المنهج الإسلامي.

المبحث الثاني

مفهوم الإسلام
في حقيقته وجوهره[1]

(١) محاضرة ألقاها سماحته في المؤتمر الإسلامي، المنعقد في بوفالو في نيويورك، من ٢٣ إلى ٢٧/ ٥/ ١٩٩٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً- الأفكار الرئيسة:

هدف الإسلام هو سعادة الإنسان وهدايته، وجعل المجتمع العالمي مجتمعاً فاضلاً، من خلال الضمانات التي حققها الإسلام في مجالات عدة...

١- الضمان العلمي في الإسلام، وفيه النقاط الآتية:

أ. جعل العلم فريضة على الجميع، غير منحصر في فئة من دون أخرى.
ب. الحث على نشر العلم، وتحميل العلماء مسؤولية ذلك.
ت. تحميل الجاهل مسؤولية طلبه العلم.
ث. نفي الخيرية عمن لا يتعلم.
ج. التعليم إلزامي في نظام الإسلام.

٢- الضمان التربوي والأخلاقي في الإسلام، وفيه النقاط الآتية:

أ - جعل التربية الأخلاقية واجباً إلزامياً.

ب - محاربة المنكر واجب على كل فرد في المجتمع.

٣- ضمان الإسلام كفاية العيش الكريم للمواطن بصرف النظر عن دينه:

أ- نقل الناس من الفقر إلى الغنى، ومكافحة الفقر كما يكافح الكفر.

ب- أغنى الله الصحابة بفضل صحبتهم للنبي ﷺ.

ت- جعل المجتمع قوة متكافلة تكافح الفقر **من خلال:**

- نفي الإيمان عمن يعلم أن جاره يحتاج ولا يعينه.
- فرض الزكاة على الغني.
- محاربة الفقر في المجتمع كافة بالتزام الدولة بكفاية المواطنين الفقراء ولو كانوا غير مسلمين.

٤- ضمان توحيد الأمة في الإسلام: نقل الأتباع من الفرقة إلى الوحدة وجعلهم كالجسد الواحد.

٥- ضمان حفظ حقوق الإنسان في الإسلام: جعل حقوق الإنسان تشريعاً وقانوناً وواقعاً في حياة المسلمين.

٦- ضمان حرية المرأة في الإسلام: وفيه النقاط الآتية:

أ- نصر المرأة المظلومة، بإنقاذها من الوأد وإعطائها حقها في الإرث.

ب- جعل الجنة جائزة إلهية لمن صبر على إعالة البنات وتربيتهن، وهذا غيّر مفهوم المجتمع للمرأة ونظرته إليها.

ت- إعطاؤها الحق بالمطالبة بحقوقها، ونزول آيات تدافع عنها.

٧- ضمان الإسلام حرية الاعتقاد لأتباع الشرائع السماوية الأخرى، وفيه:

أ- إتمام لرسالات السماء السابقة وختم التشريع الإلهي.

ب- نفي الغاية من انتزاع المسيحي من إنجيله، أو اليهودي من توراته، بل سيجدا أهدافهما الصحيحة في القرآن الكريم، فضلاً على تكريم النبيين موسى وعيسى- عليهما السلام-، وتصحيح التحريفات في كتابيهما.

ت- الدكتور كرين أحبَّ مسيح القرآن و لم يقتنع بمسيح الكنيسة.

٨- لقد أراد الإسلام من مجتمعه أن يكـــون قبلـــة العـــالم في الفضل والخير.

٩- الإسلام- في حقيقته- ضائع بين أبنائه، لتقصيرهم تجاهه علماً وفهماً وتطبيقاً. ولذا فإن عليهم أن يلبوا نداء الله ويتمثلوا أمره.

١٠- تَشوَّه فهمِ الإسلام عبر القرون الماضية، حتى بين أبنائه الذين تفرقوا إلى فرق ومذاهب، وصار كل مذهب إسلاماً مستقلاً.

١١- أئمة المذاهب في الإسلام لم يتعصبوا لمذهبهم، بل دعوا إلى البحث عن الحقيقة بلا تعصب.

١٢- يجب أن نعود إلى إسلام القرآن والسنة، مع معرفة فقه مخاطبة الإنسان، ومراعاة الزمان والمكان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص المبحث

لقد أتى الإسلام لأجل سعادة الإنسان وهدايته وإرشاده؛ يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء].

واعتنى بإنسان العالَم كله، وأراد أن يجعل من المجتمع العالمي مجتمعاً فاضلاً خيّراً، من خلال إرشاده لكلّ ما يسعده ويهديه.

ونستطيع أن نتبيّن ذلك من خلال الضّمانات التي حقّقها الإسلام في مجال العلم والتربية والكفاية، وتوحيد الأمة، ورعاية حقوق الإنسان، وفي مقدَّمها نصرة المرأة وتحريرها، وحرّية الرّأي والاعتقاد، والتّعايش الكريم مع أبناء الدّيانات السّماوية.

أولاً: الضّمان العلمي في الإسلام:

ففي مجال العلم والمعرفة؛ أتى الإسلام لينقل النّاس من الجهل إلى العلم، فقال **رسول الله** ﷺ: «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم»[1]، **وقال** ﷺ: «ليس منّي إلا عالم أو متعلّم»[2].

لقد وضع الإسلام للمسلمين قاعدة عظيمة في الضمان العلمي؛ إذ جعل العلم للجميع، غير منحصر بفئة من دون أخرى، وتجلّت هذه القاعدة العظيمة في **قول النّبي** ﷺ: «ما بال أقوام لا يُفقّهون جيرانهم ولا يُعلّمونهم ولا يعظونهم؟»؛ أي: ما بالهم لا يبنون عقولهم على معرفة الأمور بحقيقتها، من غير خرافة وأوهام؛ ثم **قال النبي**: «ولا يأمرونهم ولا ينهونهم؟»، فبيّن ﷺ مسؤوليّة العلماء أن يعلّموا ويفقّهوا، ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر؛ ثمّ بيّن مسؤوليّة الجاهل في أن يتعلّم، **فقال** ﷺ: «وما بال أقوام لا يتعلّمون من جيرانهم ولا يتفقّهون ولا يتفطّنون؟ والله ليعلّمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنّهم العقوبة في

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث أنس ﷺ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم ٢٢٤؛ وقال المزي: هذا الحديث روي من طرق تبلغ رتبة الحسن [انظر: الدرر المنتثرة للسيوطي (١/١٣)].

٢) أخرجه الديلمي- في فردوسه- عن ابن عمر رضي الله عنهما، باب اللام، برقم ٥٢٧٩.

دار الدّنيا»[1].

فهذا الهدي النبوي الشّريف يشير إلى أنّ التعليم إلزامي في النّظام الإسلامي، فأمر العالم بالتّعليم، والجاهل بالتعلّم. ولم يكتفِ الإسلام بذلك، بل إنّ **النّبي** ﷺ نفى الخيريّة عمّن لا يتعلم.

ثانياً: الضّمان التربوي والأخلاقي في الإسلام:

وفي مجال التربية، جعل الإسلام التّربية الأخلاقيّة واجباً إلزاميّاً، ومحاربة المنكر والسّوء فريضة اجتماعيّة، تقوم بالتّكافل والتّضامن بين أفراد المجتمع؛ فتقع هذه المسؤوليّة على كلّ فرد في المجتمع؛ فالعالم يعلّم، والجاهل يتعلّم، والغني ينفق؛ يقول تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ ۝٧﴾ [سورة الطلاق].

ثالثاً: ضمان كفاية العيش الكريم للمواطن بصرف النّظر عن دينه:

وفي مجال تأمين الكفاية في المجتمع، أتى الإسلام لينقل الناس من الفقر إلى الغنى، فكافح الفقر- لا الفقراء- كما يكافح الكفر، **فقال**

(١)أخرجه الطبراني في الكبير، عن أبزى لخزاعي والد عبد الرحمن؛ وهو حسن، فقد قال الهيثمي: وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به [انظر: مجمع الزوائد (٣٢٧/١)].

النّبي الكريم ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفراً»[1].

ولقد منّ النّبي على صحابته الكرام بأنّهم صاروا أغنياء بفضل صحبتهم له، **فقال** ﷺ: «.. ألم أجدكم.. عالةً فأغناكم الله بي؟»[2].

وجعل ﷺ من المجتمع قوة متكافلة متساندة في مكافحة الفقر ومعونة الفقراء، **فقال الرّسول الكريم**: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به »[3].

فكان هذا تشريعاً، وتربية للإنسان على هذا التّشريع.. وكان عقيدة، وتربية للإنسان على هذه العقيدة. وكان من تشريعه ﷺ إغناء الفقير، ففرض له حقّاً معلوماً محدّداً من مال الغني، **فقال** ﷺ: «صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم»[4].

ولم يقتصر الإسلام على محاربة فقر المسلمين، بل جعل ذلك حقّاً

(١) أخرجه البيهقي- في شعبه- من حديث أنس ﷺ، الثالث والأربعون من شعب الإيمان (باب في الحث على ترك الغل والحسد)، برقم ٦٦١٢؛ وهو ضعيف. [انظر: كشف الخفاء للعجلوني (١٠٨/٢)].

(٢) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم ﷺ، في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، برقم ٤٠٧٥.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير عن أنس بن مالك ﷺ، باب الألف، برقم ٧٥١؛ وإسناده حسن.

(٤) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، برقم ١٤٩٦.

لكل أبناء المجتمع. فهذا **النبيّ** أُتي بصدقاتٍ، فجاءه يهودي فقال: أعطني. **فقال النبي** ﷺ: «ليس لك من صدقة المسلمين شيء»[1].

كيف يردُّ النبيّ ﷺ هذا السّائل، وقد أرسله الله رحمةً للعالمين؟

وحالاً يترل الوحي على رسول الله ﷺ من السّماء بدستور ينتصر به لحقوق الإنسان، حيث أعلن فيه مبدأ الأخوّة الإنسانية العالمية، فيقول تعالى في سورة البقرة: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ..﴾، أي: أنت لست مسؤولاً عن إيمانه وكفره، بل أنت مسؤولٌ عن إنسانيته.. ﴿..وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾. فدعاه الرسول وأعطاه. ويقول الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [سورة الإنسان]. ومن المعلوم أنّ الأسير في دار الإسلام لا يكون مسلماً!!

رابعاً: توحيد الأمّة:

فقد أتى الإسلام إلى العرب لينقلهم من الفرقة إلى الوحدة، **قال** ﷺ: «مثل المؤمنين- في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم- مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»[2].

(١) قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن: هو من حديث سعيد بن جبير ﷺ. [انظر: سبب نزول الآية ٢٧٢ من سورة البقرة (٣/ ٣٣٧- ٣٣٩)].

(٢) أخرجه مسلم عن النعمان بن بشير ﷺ، في كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم

وذكر النّبي ﷺ فضل الإسلام على العرب بأنّه وحّدهم بعد فرقتهم، **فقال** ﷺ: «ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرّقين فألّفكم الله بي؟»[1].

خامساً: حفظ حقوق الإنسان:

وفي مجال حفظ حقوق الإنسان وكرامته، علّمنا النّبي ﷺ احترام الإنسان لأخيه الإنسان، فقد جاء في الحديث الصحيح «إن **النّبي** ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنّها جنازة يهودي! فقال: أليست نفساً»[2].

فبهذا العمل جعل النّبي ﷺ حقوق الإنسان تشريعاً وقانوناً، وربّى عليه المجتمع تربية وتهذيباً، وأخلاقاً وسلوكاً، وجعله واقعاً في حياة المجتمع الإسلامي.

سادساً: نصرة المرأة وتحريرها:

ونصر الإسلام المرأة المظلومة- التي سُلبَت منها إنسانيتُها- نصراً ما عرفه التّاريخ من قبل، بعد أن كانت تدفن في التّراب وهي

المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم ٢٥٨٦.

(١) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم ﷺ، في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، برقم ٤٠٧٥.

(٢) أخرجه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى ﷺ، في كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، برقم ١٢٥٠.

على قيد الحياة. وإذا تُركت وكَبُرت، كانت تُمنع من حقوقها، فلا ميراث لها ولا مال.

فأتى الإسلام واستقبح فعل العرب في جاهليّتهم في قتل البنات؛ يقول تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [سورة التكوير].

وأعطاها حقّها من الميراث، فقال جلّ من قائل: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ [سورة النساء].

وجعل لمن يكرم الأنثى جائزة إلهيّة مميّزة، **فقال رسول الله** ﷺ: «ثم من كان له ثلاث بنات، فصبر على لأوائهنّ وضرّائهنَ، أدخله الله الجنّة برحمته إيّاهن. فقال رجل: وابنتان يا رسول الله؟ قال ﷺ: وإن ابنتان. قال رجل: يا رسول الله وواحدة؟ قال ﷺ: وواحدة»[1]. فبهذا الحديث الموجَز في عباراته، البليغ في دلالاته، قلب ﷺ المجتمع رأساً على عقب، فصار المؤمن يؤثر أن يُرزَق البنات، لينال هذه الجائزة الإلهيّة العظيمة.

وجعل الإسلام لها الحقّ بالمطالبة بحقوقها؛ فقد أتت خولة بنت ثعلبة- زوجة أوس بن الصامت- إلى النّبي ﷺ تشتكي زوجها، وتقول:

(١) أخرجه الحاكم عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب البر والصّلة، برقم ٧٣٤٦؛ وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي، ومن قبله المنذري (٣/٨٥). واللأواء: الشدة وضيق المعيشة.

«**يا رسول الله**: إنّ أوساً تزوّجني وأنا شابّة مرغوب فيَّ، فلمّا خلا سني، ونَثَرت له بطني (أي كثر ولدي)، جعلني عليه كأمّه، وتركني إلى غير أحد، فإن كنت تجد لي رخصة- يا رسول الله- تنعشني بها وإيّاه، فحدّثني بها، فقال ﷺ: ما أمرتُ في شأنك بشيء حتّى الآن (وفي رواية: ما أراك إلاّ قد حَرُمْتِ عليه. قالت: ما ذكر طلاقاً). وجادلت رسول الله مراراً، ثمّ قالت: ... أشكو إلى الله تعالى فاقتي وشدة حالي، وإن لي صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلي جاعوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء، وتقول: اللهم إنّي أشكو إليك، اللهمّ فأنْزِل على لسان نبيّك، وما برحت حتّى نزل القرآن فيها، فقال ﷺ: يا خولة: أبشري. قالت: خيراً، فقرأ ﷺ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [سورة المجادلة]»[1]. وبَقِيَت الآيات بعدها عقوبة إلهيّة رادعة لكلّ زوج يفعل هذا بزوجته.

سابعاً: الإسلام والشّرائع السّماوية وحريّة الرّأي والاعتقاد:

بعث الله النّبي ﷺ برسالة العلم والمعرفة، والحضارة الإنسانيّة، وكانت هذه الرّسالة متمّمة لرسالات السّماء السّابقة، وخاتمة للشّرائع، والنّبي ﷺ عبَّر عن ذلك **بقوله** ﷺ: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي

(١) تفسير الألوسي حول سبب نزول الآية الأولى من سورة المجادلة (٢٠/ ٣٥٢). وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٤٢٣/٣): رواه البيهقي والدارقطني في سننهما بروايات مختلفة وفي أبي داود منه شيء يسير وكذلك الطبراني في معجمه.

كمثل رجل بنى بيتاً فأحسَنه وأجمله، إلا موضع لبنةٍ من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويَعجَبون له، ويقولون: هلاّ وُضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتِم النبيين»[1].

فأتى الإسلام ليتمّم ما بناه الأنبياء السّابقون، ولم يأت لينتزع من المسيحي مسيحه وإنجيله، بل أتى ليقدّس المسيح، ويقدِّس رسالته التي أتى بها من السّماء، وكذلك لم ينتزع توراة **موسى** من اليهود، وإنّما أتى مُقَدساً لسيدنا موسى، ومُصَحّحاً لبعض ترجمات توراته، وليعرض مفاهيم التّوراة والإنجيل المنقَّحة الأصيلة السّماوية؛ يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم ..﴿٤٧﴾﴾ [سورة النساء]، ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة البقرة].

ولقد **قال الدّكتور روبرت كرين** (فاروق **عبد الحق**) لي: كنت أبغض المسيح، وما أحببته إلا بعد إسلامي، فأحببت مسيح القرآن، ولم أقتنع بمسيح الكنيسة!!

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، برقم ٣٥٣٥.

هذا هو الإسلام، قد أتمّ البناء الذي بدأ به الأنبياء السابقون... ﴿..ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴿٣﴾﴾ [سورة المائدة] فكان مجمع الشّرائع السّماوية، حيث وضع الحجر الأخير في هذا البناء الإلهي العظيم، **قال** ﷺ: «فأنا اللّبنة، وأنا خاتم النبيين»[1].

هذا الإسلام- بحقيقته النّاصعة، وتشريعه المحكم- مجهول ضائع حتّى بين أبنائه، فقد قصّر المسلمون تجاهه؛ فهماً، وعلماً، وتطبيقاً.

لقد أراد الإسلام من المجتمع الإسلامي أن يكون قِبلة للعالَم في كلّ شؤونه، مجتمعاً فاضلاً خَيِّراً، جميع أفراده يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، يتمثلون قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران]، يدعون.. ﴿بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة النحل].

وعندما تخلَّق العرب بإسلامهم، وجعلوه منهج حياتهم وسلوكهم، تبدّلت عداوتهم ألفة ومحبة، ووحشيّتهم ليناً ورحمة، وأميَّتهم علماً ومعرفة، حصل هذا التغيير بفضل المعلّم الأوّل، فصاروا كما وصفهم القرآن.. ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران].

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، برقم ٣٥٣٥.

أفلا يجب على المسلمين أن يُلَبُّوا نداء الله، ويتمثّلوا أوامره، استجابة لقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة النحل].

ثامناً: الإسلام بين تابع جاهل وعدو حاقد

لقد تشوّه فهم الإسلام عبر القرون الماضية.. حتى بين أبنائه، فانقلب المسلمون من أمّة واحدة إلى أمم وفرق وشيع، وصار أتباع كل مذهب إسلامي ينظرون إلى أتباع المذاهب الإسلاميّة الأخرى، وكأنّهم من غير بني دينهم، وكأنَّ كُلَّ مذهب صار إسلاماً مستقلاً!!

مع أنّ أئمة المذاهب لم يكونوا متعصّبين لمذاهبهم، وكانوا جميعاً يدعون إلى البحث عن الحقيقة بلا تعصّب، ويقولون: "إذا صَحَّ الحديث فهو مذهبي"، وينظرون إلى المذاهب على أنّها مدارس اجتهاديّة، يؤخذ منها ويردّ عليها، ويستفاد منها جميعاً في خدمة المسلمين.

فعلينا العودة والرجوع إلى إسلام القرآن، إسلام السّنة الصحيحة، مع معرفة فقه مخاطبة الإنسان، ومراعاة الزّمان والمكان، في ظلّ الحكمة القرآنية، ونتاج التّربية النّبويّة، التي كان نتاجها ما **قاله** ﷺ في أصحابه: «فقهاء أدباء، كادوا يكونون أنبياء»[1].

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، من حديث علقمة بن يزيد بن سويد بن الحارث الأزدي (٤١/٢٠٠).

هذا هو إسلامنا بحقيقته، وجوهره، وصفائه، ونقائه. أملي ورجـــائي من الله أن يلهمنا أن نشعر بهذا الواجب- واجب الدّعوة إلى الله- ليُنـــشأ مجتمع العلم، والحكمة، والتّزكية، لا في بلد أو وطن، بل في العالم أجمع.

المبحث الثالث

القرآن الكريم وموقعه في الحياتين العملية والدعوية عند المسلمين[1]

(١) كلمة ألقاها سماحته في الاحتفال الكبير، الذي انعقد في جامعة أم درمان الإسلامية، بمناسبة منحه درجة الدكتوراه الفخرية، بحضور وزير التعليم العالي في السودان الشقيق، ورؤساء الجامعات وجمهور كبير من الشخصيات العلمية، بتاريخ ٧/ صفر/ ١٤١٥هـ الموافق لـ١٥/ ٧/ ١٩٩٤.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أولاً- الأفكار الرئيسة:

١- القرآن الكريم المصدر الأساس للتشريع عند المسلمين.

٢- القرآن الكريم تناول شؤون الدين والدنيا في حياة المسلمين، في العقائد والشرائع والعبادات والمعاملات والسلوك والأخلاق، على حين بقيت بعض كتب الأديان الأخرى محض توجيهات أخلاقية.

٣- ظهرت مدارس متنوعة في تفسير القرآن، وصلت إلى عصر ذهبي؛ منها ما هو متعلق بالتشريع، ومنها متعلق بالعقيدة، ومنها بالحديث والأثر، وغير ذلك.

٤– علينا أن لا نتوقف عند المدارس القديمة في تفسير القرآن، بل لا بد من أن نربط التفسير بالواقع المعاصر لحياة الناس، بالدخول إلى صميم المراد القرآني، ثم إسقاط التوجيه الإلهي على تفاصيل حياة المسلمين.

٥– اختيار قصة ذي القرنين أنموذجاً لإيضاح هذا المقصد:

أ- لم يذكر القرآن اسماً أو مكاناً أو زماناً لذي القرنين، لتوجيه الناس إلى الحِكَم والأسرار من ذكر القصص في القرآن؛ إذ إنها سُنة متكررة، لا ذكرى عابرة.

ب- يعرض القرآن سيرة ذي القرنين أنموذجاً عن السلطان القوي، القائم نظامه على الأسباب والمسببات، لتوجيه أمتنا إلى إقامة كيانها على أسس التخطيط وإعداد الأسباب.

ت- تخلُص القصة إلى أن مهمة الأمة الممكنة في الأرض تتجلى في ثلاث نقاط:

- **إقامة العدل**، كما فعل ذو القرنين في مغرب الشمس.

- **رعاية القوم في حاجاتهم الدينية والدنيوية**، كما فعل في مشرق الشمس.

- **تخليص القوم من الاستعباد بالعلم والعمل**، كما فعل عند السَّدَّين.

ث-توجيه الأمة الإسلامية إلى أن تكون السباقة في استخراج خيرات الأرض ومعادنها، وتسخيرها في الخير والسلام، لا أن تكون قاعدة للمحتل، ينهب خيراتها، ثم يرميها بأمراض حضارته.

ج-عرض قصة ذي القرنين نداء لكل حاكم وقائد إسلامي ليسير على خطاه.

ح-تلمح القصة للأمة أن بقاء قوتها ببقاء تعاونها وتمسكها بمنهج الله، عندما بين القرآن سبب انهيار السد أو بقائه.

٦- هذا المنهج في تفسير القرآن يزيد المسلمين تمسكاً بالقرآن وهديه، وهو منهج كل مفسر له نشاط عملي في الدعوة.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المبحث

قبل أن أتحدث، لا بد لي من أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى جامعة أم درمان الإسلامية العريقة.. ومجلس إدارتها.. وأساتذتها الموقرين.. وهذا الجمع الكريم، الذي يلتقي في هذا المكان الطيب تحت ظلال القرآن الكريم، وفي أُنس هدايته ونوره، شاكراً- في الوقت ذاته- ثقتكم الغالية بي، وتكريمكم لي، بمنحي درجة الدكتوراه الفخرية من جامعتكم الإسلامية ذات الشهرة العالمية، واهتمامكم بجهدي المتواضع في خدمة الدعوة الإسلامية من خلال القرآن الكريم، وهو الكتاب العظيم الذي وصفه ربنا- تبارك وتعالى- فقال: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة الزخرف].

منذ أن تشرفت هذه الأرض بكلمات الله المباركات، المترلة على قلب سيدنا محمد ﷺ، بدأ الفكر الحي في هذه الأرض يتوجه إلى محراب القرآن الكريم، عاكفاً على معانيه، متأملاً في أسراره، طوّافاً حول نفحاته وبركاته.

وقد اتخذت هذه الأمة المحمدية القرآن الكريم مصدراً نهائياً لها في التشريع، في مدة تزيد على أربعة عشر قرناً، والتمست هدي أحكامه في سائر شؤون الحياة، وهُدِيَتْ به إلى صراط مستقيم.

وهكذا، فإن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي كُتِبَ له هذا الأثر الخالد في قسم كبير من الأرض، لم يَقِلّ- في زمن من الأزمان- عن ربع العالم المعمور، وتجاوز ذلك مرات ومرات.

وقد تبوأ القرآن الكريم موقعه في قيادة الإنسان وتوجيهه.. في مجال العقائد والشرائع، والعبادات والمعاملات، والسلوك والأخلاق، على حين بقيت كتب الأديان الأخرى- على ما لحقها من إضافات وتبديلات- محض توجيهات أخلاقية، في قالب نصائح ومواعظ لا تشريع فيها ولا تقنين (هذا فيما بقي فيها من معقول).

وبدأت مدارس التفسير القرآني تتعدد وتتنوع طبقاً لحاجة الناس ومداركهم وثقافاتهم، وطبقاً لمناهج التفسير التي اختارها السلف ودرج عليها الخلف.

فوجد علماء الفقه والتشريع حاجتهم في آيات الأحكام، فأفاضوا في بيانها، واجتهدوا في فهم دلالاتها ومقاصدها، وظهر في المكتبة الإسلامية علم خاص اسمه ‹علم آيات الأحكام›، صنف فيه أعلام كبار، كالرازي **الجصاص** من الحنفية، والقاضي **ابن العربي** من المالكية، وغيرهما من الأعلام، حتى بلغ هذا الجانب غايته في موسوعة الإمام **القرطبي** الكبيرة، التي أسماها (الجامع لأحكام القرآن).

وكذلك اشتغل المتكلمون بما في القرآن الكريم من آيات العقائد، واستخرجوا من القرآن الكريم أصول العقيدة الصحيحة، وميزوا- من خلالها- عقيدة الحق من عقائد الزيغ. وقد اكتمل هذا السعي الكريم على يد الإمام الجليل الفخر **الرازي**، في تفسيره الكبير المسمى (مفاتيح الغيب).

واشتغل الأثريون والمحدّثون بجمع ما أُثِرَ في التفسير، حتى توافرت لديهم موسوعات غنية من المأثور عن النبي ﷺ والصحابة والسلف الصالح. وقد أحسن الإمام الجليل **الطبري**، حين جمع ما توافر لدى سابقيه وطلع على الأمة بكتابه القيم المسمى (جامع البيان).

وهكذا، تعاقب على خدمة هذا الكتاب العظيم آلاف من علماء المعرفة في اختصاصات شتى، كلهم أدركتهم بركته، وشملتهم نفحته، وأضاء لهم نوره.

وعلى الرغم من أن العصر الذهبي لتفسير القرآن قد انتهى قبل زمن بعيد، فلا يجوز أن يكون هذا الواقع المثال الذي نقنع به ونركن إليه، وعلى العكس من ذلك، فقد ارتبط التفوق العلمي الحضاري لهذه الأمة، بمقدار قربها من هذا الكتاب العظيم. وغير خاف على أحد أن هذه الأمة كانت في أوج عطاءاتها العلمية والحضارية والإنسانية، يوم كان كتاب الله سبحانه هو الهدف والغاية التي تتجمع عندها كل الغايات.

لقد بدأت تجربتي في خدمة تفسير هذا الكتاب العظيم قبل أكثر من خمسين عاماً، حينما شرفني الله- عز وجل- أن أكون مشرفاً على جامع أبي النور في دمشق، قبل أن ينتصب فيه المجمع القائم اليوم بما فيه من كليات ودور قرآن ومعاهد علم وهدى.

ومنذ ذلك التاريخ، عقدت مجالس دورية، بمعدل ثلاثة مجالس أسبوعية، كانت كلُّها في خدمة القرآن الكريم، وتفسير آياته، وأكملت في هذه المدة تفسير القرآن الكريم كاملاً أربع مرات. وقد كتب الله- عز وجل- نفعاً كبيراً بهذه المجالس. وأستغفر الله أن أزكي نفسي، وإنما أردت التحدث بنعمة الله وفضله علي؛ فقد انتفع بهذه المجالس ألوف من طلبة العلم. ولا يزال المجلس يعقد حتى هذا التاريخ، مرة في كل أسبوع، قبل صلاة الجمعة؛ يحضره أكثر من عشرة آلاف مستمع، ويوثق بالكتابة والصوت والصورة.

وهكذا، فإن صلة هذا التفسير المباشرة بالناس، وتناوله قضاياهم المختلفة- على تعدد شرائحهم، وتطاول المدة الزمنية التي استنفذها- جعلاه تفسيراً قريباً من الحياة، وموجهاً دقيقاً للواقع، على هدي قول الله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة ص].

وعلى هذا السبيل، كنت أتجول في أعمال المفسرين الكبار، الذين شهدت لهم الأمة بالفضل، فأرى كل واحد منهم اختص في جانب من جوانب التفسير أفاد فيه. وهكذا، كان عطاؤهم متكاملاً، يرفد بعضه بعضاً، ويضيء أوله لآخره، ويشترك في نعمته السابقون واللاحقون.

فرأيتهم كشفوا اللثام عن روعة النص القرآني، فأظهروا ما فيه من إعجازات لغوية وبلاغية وتشريعية وتاريخية وكونية، وتتابعوا في استنباط الأحكام الفقهية العظيمة من النص القرآني، وأحسنوا في استنطاق عبارة النص وإشارته ودلالته واقتضائه؛ وكذلك في فهم فحوى الخطاب ومجمله ومفسّره، ومحكمه ومتشابهه، إلى غير ذلك من مباحث دلالات النصوص.

واخترت- إزاء ذلك- أن أدخل إلى صميم المراد القرآني، بعد إذ جُلِّي إعجازه وإشراقه، لأقف عن قرب على إسقاط التوجيه الإلهي على تفاصيل سلوك الإنسان المسلم فيما يتعلق بدنياه وآخرته، ولاسيما في مجال الدعوة والدعاة.

وكان علَيّ- من خلال هذا التفسير- أن أقدم للناس التوجيه القرآني من عبارته وإشارته واقتضائه ودلالته في هيئة أوامر واضحة يلتزمها المسلم في سائر شؤون حياته.

ولإيضاح هذا المقصد، الذي هو غايتي الأولى في التفسير، فإنني أستأذنكم في عرض تفسير قصة **ذي القرنين** في سورة الكهف وبعض الدروس المستفادة منها...

فقد كانت قصة ذي القرنين حكاية من الحكايات، التي يتندر الناس بها في مجالسهم من غير أن يفهموا مقاصدها ودلالاتها العظيمة، حتى أنزلها الله على قلب النبي ﷺ، وجعلها دستوراً للفتح الإسلامي، وصارت دلالاتها وإشاراتها تلهم الفاتحين في جهادهم ودعوتهم في الأرض.. ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ [سورة الكهف].

لم يذكر القرآن لذي القرنين اسماً.. ولا مكاناً.. ولا زماناً، وهو منهج القرآن في فهم الحكم والأسرار من ذكر القصص والأخبار. فالقرآن يرسم منهجية التاريخ من جهة أنه سنة متكررة، لا ذكرى عابرة. فذو القرنين لا يرد في القرآن على أنه حكاية عجيبة وطفرة عابثة، بل يرد على أنه منهج متكرر يبلغه كل من سار على خطا ذي القرنين، واتبع منهجه؛ ولذلك لم يقُل تعالى: سأتلو عليكم ذكره، وإنما قال سبحانه: ﴿سَأَتْلُوا۟

عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴾، يعني: ما يهمُّكم ويفيدكم من أخباره وعبره.

ولذلك، نحن نتجاوز الخلاف الوارد في التاريخ لأصل ذي القرنين ونسبه وزمانه، وندخل مباشرة في مقاصد هذا النبأ العظيم.. ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ ﴾ [سورة الكهف].

فسياق النص القرآني يعرض سيرة ذي القرنين على أنه أبلغ المثل في قوة السلطان.. ووفرة الوسائل.. وسعة الملك، وهو يرسم منهج سلطانه القائم على نظام الأسباب والمسببات.. ﴿ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [سورة الكهف]؛ ففي الآية توجيه للأمة المسلمة لتقيم كيانها على أسس حكيمة من التخطيط والضبط وإعداد الأسباب والمسببات. هكذا فهمها الأولون من الصحابة والتابعين، فأخذوا بإعداد العدة، حتى بنوا مجد الأمة الإسلامية في شؤونها العلمية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية كافة.

وأكدت الآية أن التمكين في الأرض نعمة من الله عز وجل، يجب أن يسعى العباد إليها، ويتعاونوا على بلوغها، وهي صفة كمال في الجماعة المسلمة.

إن الأمة التي لا تَمَكُّنَ في أرضها، ويكون قدرها في يد أعدائها ليست من الإسلام الحقيقي الحي في شيء؛ يقول تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ

وَإِمَّآ أَن نَّتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [سورة الكهف].

ففي الآية صورة رجل يمتد سلطانه فيبلغ آخر اليابسة من المغرب، ويشتد سلطانه، فلا يسأل عما يفعل، ولا يحاسب فيما يقدم عليه، وهو يخير بين تعذيبهم والإحسان إليهم، فيلهمه إيمانه منهج العدل في الحكم والقسط في السياسة؛ يقول تعالى: ﴿..أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة الكهف].

إن سياسة الناس في الأرض لون من ألوان خلافة الله عليها، فالذي نصب الجنة والنار في ملكوته أمرنا بتشريع الثواب والعقاب في قوانيننا؛ وأما أولئك الواهمون الحالمون- الذين تخدعهم أسطورة سلطان العفو والسماح، كما هي في المفهوم الكنسي، فيضعونها موضع الشريعة العادلة- فيصدق فيهم قول المتنبي:

ووضع الندى في موضع السيف مضرّ كوضع السيف في موضع

ولكن الخليفة عمر **بن الخطاب** رضي الله عنه يوصي ولاته **فيقول** للواحد منهم: "وكن من العدل؛ على نحو لا يخشى محسن من بطشك، ولا يطمع مجرم في عفوك".. وقال الحسن **بن علي** بن أبي طالب رضي الله عنه:

(علامات المؤمن وطباعه قوة في دين، وحزم في لين)[1].

ثم يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ﴾ [سورة الكهف].

وبانتظام عدل ذي القرنين، وتوازن قيامه بالقسطاس المستقيم، يتسع سلطانه ويمتد، ليشمل المشرق كما شمل المغرب.

وظاهرٌ أن الآيات تشير إلى أن هذا الفتح العظيم- الذي يقوم به ذو القرنين- إنما هو امتثال لأمر الله- عز وجل- في تحقيق العدل، وإقامة النظام في الأرض.

وكانت هذه الآيات- فيما مضى- درساً عظيماً لجحافل الفتح الإسلامي، التي كانت تضرب في الآفاق، فتنشر العدل وتقيم الحق.

وكذلك في الآية إيماءة إلى وظيفة من وظائف الفتح الحق، وهي العناية الصحية بالشعوب المضطهدة المظلومة، فها هو ذو القرنين يصل إلى شعب في أقصى المشرق، فلا يذكر الله من أوصافهم إلا أنهم عراة الأجسام، والاستغناء بذكر هذا الوصف دليل على تعلقه بغاية ذي القرنين؛ فالسياق يفهم أن ذا القرنين قام برعاية هذا الشعب صحياً وروحياً، فكسا أجسامهم العارية بالثياب، وملأ قلوبهم الفارغة بالإيمان.

(١) والنص طويل. انظر: الأمالي، لابن الشجري (١/ ٣٩).

ثم ينتقل الحديث إلى أمة أخرى يمضي إليها ذو القرنين في رسالة الإصلاح والبناء.. ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ [سورة الكهف].

ولم يذكر الله اسم الأمة.. ولا مكانها.. ولا عددها.. ولا عدتها، وإنما ذكر من أوصافها ما يتعلق به المقصود، وهو أنهم شعب لا يكادون يفقهون قولاً، غلبت عليهم أمة يأجوج ومأجوج، فاجتاحت خيراتهم وأكلت أرزاقهم وثرواتهم، وعاثت فيهم خراباً وظلماً. وفي الآية إشارة إلى أن تغلب العدو عليهم إنما كان لفرط جهلهم، وضياع العلماء والعلم فيهم، حتى قال الله عنهم في الآية الواردة آنفاً: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾.

ثم يقول تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [سورة الكهف].

وذو القرنين هنا يمثل دور الفاتح المسلم، وإسهامه في تحرير الشعوب وتخليصها من قوى الظلم والعدوان. فليست مهمة الدعاة والفاتحين مقتصرة على نصب سلطان مرتبط بالحكومات المركزية، ولا على توزيع نسخ جيدة من المصاحف الأنيقة، على حين أن الفقر

والجوع والمرض لا يزال يعضّ مصير الشعوب، وإنما تتعدى المهمة كل ذلك إلى مظاهر الإصلاح الاجتماعي في تحقيق العدالة والمساواة والأمن والصحة والمعرفة.

فهؤلاء الشاكون من عسف جيرانهم وبطشهم ينظمون مع ذي القرنين- وهو الوافد الغريب- خطة لتحقيق الأمن والسلام، ثقةً بما رأوه من عدله وعقله وعلمه، واطمئناناً إلى حكمته وتأكيده أن التمكين من الله وحده.. وليس بقدرة العبد وموهبته وسلطانه، وفي هذا إشارة إلى الرجوع إلى الله- تبارك وتعالى- في كل أمورنا، وأن نتأدب معه، فننسب كل الفضل إليه.

ثم يقول تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾ [سورة الكهف]. وفي الآية تفصيل قيام ذي القرنين بالحاجز الأمني المدرع بين القوم وجيرانهم من يأجوج ومأجوج، وفيها تبيان تطور وسائله وإمكاناته حتى استطاع أن يبني ردماً بهذا القدر من الردع والقوة.

والآية نداء للأمة المسلمة أن تكون أسبق من غيرها من الأمم في استخراج خيرات الأرض وكنوزها ومعادنها وتسخيرها في الخير والسلام. فهل مناجم البلاد الإسلامية وخيراتها وحقول نفطها هي

ملك للأمة المسلمة، تجري في خيرهم ومنافعهم، أم هي قاعدة للمحتلين يمصون منها خيراتها ويرمونها بعدئذ بأمراض حضارتهم من تحلل وضياع وفساد؟!!

إن نداء سورة الكهف في هذا المعنى صارخ ملحاح، وهي لا تعرض قصة ذي القرنين إلا ليكون أسوة لكل قائد وحاكم إسلامي في الأرض. أفيكون دين هذا كتابه وهذه مقاصده وغاياته أفيوناً للشعوب؟! أم إن القوم- حين تنكبوا عن هديه وأضاعوا معانيه- حق عليهم قول الله عز وجل: ﴿..وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [سورة محمد].

ثم يقول تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [سورة الكهف].

وهذا الحاكم الصالح يلفت نظر الغوغاء من حوله- الذين لا يكادون يفقهون قولاً- إلى أن ما مكنه الله منه إن هو إلا رحمة منّ بها الله عليهم، وإنها باقية حصناً ودرعاً ما أذن الله، وإن لها وعداً معلوماً يصير فيه سدهم وردمهم دكاء هباء.. لا قيمة له ولا غناء به.

وكأنه يلفت أنظارهم إلى أن انهيار سدهم يكون إما حين يغيروا ما هم عليه من التعاون والتآزر والتراحم الذي بنوا فيه سدهم؛ فالسد لا

يدوم أبداً، وهو مرهون بتمسكهم بسنن الله في قيام الحضارات وانهيارها، وهذا وعده وسننه في الدنيا، أو يكون وعد انهيار سدهم وعد القيامة.. ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الفجر].

ثم يأتي إيضاح سنة زوال الحضارات وموتها.. ﴿..وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [سورة الكهف]، وهذا النص القرآني تجد تطبيقه في التاريخ الإنساني؛ إذ تسري سنة الله العادلة.. ﴿..إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ..﴿١١﴾﴾ [سورة الرعد].

نعود ونلخص القصة، فنرى أن الله أرسل ذا القرنين محرراً وهادياً لشعوب ثلاثة:

- شعب في مغرب الشمس يأكل قويه ضعيفه.. ويظلم غنيه فقيره، فكانت مهمة ذي القرنين أن يقيم العدل، ويحقق القسط، وينصف الضعفاء من الأقوياء، ويرد حق الفقراء من جيوب الأغنياء.

- وشعب في مشرق الشمس عضه الفقر، وعمته الحاجة، فصار لا يجد ستراً يؤويه، ولا سكناً يسكن فيه، فكانت مهمة ذي القرنين رعاية القوم في حاجاتهم الدينية والدنيوية.

– وشعب ثالث تغلبت عليه أمة باغية ظالمة بسبب جهله، فصار قدَره في يد عدوه، فكانت مهمة ذي القرنين تخليصهم من الاستعباد والاضطهاد بالعلم والعمل، وبناء السد العظيم الذي يحول بينهم وبين بأس عدوهم.

نفحة:

بعد أن أجمل القرآن فبين أن الظلم هو سبب الهلاك.. ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الكهف]، وبيّن أن العدل أساس الملك، فصّل فعرض أنواعاً من الظلم الاجتماعي، وما أدت إليه تلك المظالم من انهيار في المجتمعات:

– فعند مغرب الشمس ظهر الظلم في تسلط الأقوياء على الضعفاء.

– وعند مشرق الشمس ظهر الظلم في الجوع والعري.

– والاستعمار والتسلط الفئوي ظلم آخر حمل سياطه قوم يأجوج ومأجوج، فقاموا يسومون الشعوب المجاورة مرّ العذاب.

وهكذا، فإن قصة ذي القرنين لم تكن محض خبر يتسلى به الناس، بل صارت أنموذجاً حياً للفتح الإسلامي الآتي، الذي سينطلق بإشارة النبي ﷺ، فيسوس الأرض ويحكمها على هدي الفتح القرآني.

وكذلك فإن هذا المنهج من التفسير يبعث في نفوس المسلمين

الحاجة الأكيدة إلى التمسك بالقرآن الكريم، واستلهام دلالاته وإشاراته، وضبط سلوك الأمة على هدي أوامره ونواهيه. وهذا منهج لم أكن فيه أولاً، ولن أكون فيه آخراً، وإنما هو منهج كل المفسرين، الذين لهم نشاط عملي في الدعوة، فيكون القرآن الكريم لهم موجهاً وهادياً وإماماً.

ورحم الله **شوقي** حين قال:

جاء النبيون بالآيات فانصرمت وجئتنا بحكيم غير منصرم
آياته كلما طال المدى جُدُدٌ يزينهن جلال العتق والقدم

إن أعظم خصائص هذه الأمة المحمدية إنما هو هذا القرآن الكريم، الذي حفظه الله- سبحانه- من كل تحريف، واجتمعت الأمة على التسليم بالعصمة التامة لكل ما فيه.

المبحث الرابع

القرآن الكريم

وبناء الحضارة الإسلامية[1]

١) كلمة ألقاها سماحته في مؤتمر العالم الإسلامي، بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم، المنعقد في كراتشي في الباكستان، من ١٧ إلى ١٩/ ١١/ ١٩٩٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أولاً- الأفكار الرئيسة:

١-كان القرآن- ولا يزال- منطلق الإشعاع الفكري والروحي والحضاري، وهذا أدى إلى بناء حضارة وتنمية علوم ومعارف. والسر في ذلك منهج القرآن المبني على تنمية العقل الممزوجة بتزكية النفس.

٢-رقعة الإسلام في العالم تتوسع لتدقَّ أبواب الولايات المتحدة، وهم أقرب إلى اعتناق الإسلام، لو كان للإسلام دعاة على قدر الفهم الحي للقرآن؛ لأن القرآن اعتنى بالعقل والفكر والحياة المادية والرقي الروحي.

٣-إن إنتاج المسلمين في علوم الحياة والمعارف الحضارية- إلى أن وصلت مؤلفاتهم المكتوبة بلغة القرآن وفكر أبنائه إلى جامعات أوربة- دليل على أثر القرآن في تنمية العقل الإنساني.

٤- آخى القرآن بين الدين والعقل؛ حتى جعل التفكير في الكون وقوانين الحياة الطبيعية طاعات مقربة إلى الله، وهذا أعطى الإسلام ميزة عن غيره من الأديان.

٥- إن قراءة المسلم القرآن في صلاته خمس مرات يومياً- وفي القرآن آيات تحث المتدبرين على التفكر في قوانين الطبيعة- دليل على عمل الإسلام لتنمية العقل وإنارة الفكر.

٦- آيات الحث على الصناعة تنمي العقل الصناعي لدى المسلم، الذي يتلوها في صلاته، وتدفعه إلى إقامة الصناعات الحية.

٧- تلاوة آيات سورة سبأ في صلاة المسلم تزرع فيه القوة الدافعة إلى العناية بشؤون الري والزراعة.

٨- تلاوة آيات الجهاد تدفع المسلم إلى تنمية قواه العقلية لوضع الخطط والدراسات الحربية في ميدان اللقاء مع العدو الغاشم.

٩- تلاوة الآيات- التي تحث على التفكر في الحيوان والكواكب والأرض- تنمي قوى المسلم العقلية وتوجهه إلى دراسة علم الحيوان والجيولوجيا والفضاء.

١٠- تلاوة الآيات- التي تدعو الإنسان إلى التمتع بجمال الطبيعة-

تملأ النفس بهجة، فتهدأ الأعصاب من اضطرابها، وتعلم المسلم أن الدين جمع بين خطّي النفس والروح.

١١- تلاوة الآيات- التي تدرس أحوال الأمم ارتقاء وانحطاطاً- تنمي القوى العقلية للمسلم لتبني أمتنا بناءً عالمياً لترشد الأمم وتهذب الشعوب.

١٢- تلاوة آيات تحث على القراءة وطلب العلم تنبه القوى العقلية لتتجه نحو محو الأمية وإحياء العلوم وحفظها وتنميتها.

١٣- ما أكثر الآيات التي وردت لتنبه العقل من غفلته وتندد بمن أهملوا عقولهم ومنعوها أسباب التفكير وجمدوها.

١٤- لقد جمع الله للمسلم بين آيات توجهه إلى التفكر وأخذ العبرة والاستفادة ممن قبله وأخذ الحذر من الغفلة، وبين آيات تُوَجِّهه إلى التحلي بمكارم الأخلاق وتزكية النفس، وهذا جعله متفوقاً رجل دولة حاكماً، وقائداً عسكرياً، وقاضياً، ومخترعاً، وعالماً، ومهندساً، وجندياً.

١٥- إن تثقيف القرآن لعقل المسلم وفكره جعله عالِماً ربانياً يبني العالم السعيد، إلى درجة أن أحد كتاب الغرب يرثي إنسانيته بانتصار الأوربيين على جيش الغافقي، ويعد ذلك تأخيراً للحضارة ثمانية قرون.

١٦- عَزلُ المسلم لعقله عن ثقافة القرآن جمد الفكر الإسلامي، فتابع بناءَ الحضارة الرجلُ الغربي، ويعترف منصفوهم بأثر كتب المسلمين العلمية في تنمية فكرهم حتى بلغت الحضارة كما نرى.

١٧- عرف أعداء الإسلام أن القرآن كتاب عقل وروح وعلم وتقدم، فحاولوا- بكل وسائلهم- تخديرنا وحجبنا عنه، وهذا أدى إلى توظيف القرآن في غير هدفه، فجعلناه وسيلة للتبرك وقراءته على الأموات مبتعدين عن تدبر آياته.

١٨- آيات الأحكام الفقهية لم تتجاوز ٥٠٠ آية، وآيات العلوم والبحث عنها تتجاوز ثلثي القرآن. وعلى الرغم من ذلك، ابتعدنا عنها، فحققنا أهداف أعدائنا بتخلفنا، مع وجود المدارس الدينية والمساجد وكثرتها، وتعليم علوم النحو والصرف والفقه وغيرها...

١٩- تركنا لفقه القرآن الحقيقي سبب استيلاء الصهيونية على القدس الشريفة، وربما يتمادون إلى الاستيلاء على ضريح النبي محمد ﷺ بحجة استعادة أملاك بني قريظة.

٢٠- العالَم مهدد بالدمار اليوم بسبب الابتعاد عن منهج الله تبارك وتعالى، ولن يستطيع بعض العلماء بوضعهم الحالي وبعقلهم المحجوب عن حقائق القرآن الكريم وأهدافه الكبرى أن يعيدوا بناء العالم الحضاري، بل سيبقون مترويين في المسجد يعلمون صلاة

وحجاً وطهارة وكفى...

٢١- علينا أن نعمل على الإعداد والتخطيط لبناء مصنع للإنسان الحكيم، ينتج علماء ربانيين من خلال تعاون سلطتين: سلطة العلم وسلطة الحكم، ليعود إلى العالم سلامه وهناؤه وقوته.

٢٢- توجيه نداء إلى كل حكام العرب والمسلمين.. وإلى كل علماء المسلمين، لبذل الجهد لإنجاز مشروع (مؤاخاة علوم الدين وعلوم الدنيا)، و(الدمج بين ثقافة الجامع والجامعة)، و(معانقة مداخن المصانع مآذن المساجد).

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المبحث

لست مبالغاً- بأي حال- إن أكّدت في بداية كلمتي حقيقة تعرفونها جميعاً، ويصل إلى القناعة بها كلُّ باحث مقارن عاقل منصف، هذه الحقيقة هي أنه ليس في الدنيا- قديماً وحديثاً- كتاب كالقرآن، كان- ولا يزال- منطلق الإشعاعات الفكرية والروحية، وحتى منطلق الإشعاع الحضاري الإنساني على مدار العصور.

فكان من إنجازات القرآن الكريم ما عرفه العالم كله من بناء للحضارة وتنمية لمختلف أنواع العلوم والمعارف. ولذا، ليس عجيباً أن يقف **نابليون** فرنسة مستغرباً دهشاً كيف أن الإسلام فَتحَ- بالهداية والرحمة- نصف العالم بنصف قرن! ولكنه لو درس القرآن ومعانيه، لزالت منه الدهشة، ولتبدد العجب؛ فمنهاج القرآن في ميدان تنمية

العقل- التي مزجها بتزكية النفس- هو السرّ الذي جهله نابليون وأمثاله، وهو السر الذي سما صُعُداً بالشعوب المتخلفة، فأنقذها من تخلفها ووثنيتها وجهلها، وحررها من الاضطهاد والاستعمار، وآخى بين أسودها وأبيضها وأصفرها.

إن مدرسة القرآن ربّتْ طفولة العقل والنفس، حتى بلغا أشدهما، فصارا العقل الحكيم والنفس الزكية؛ وكان بجهادهما القرآني أن انقلبت عشرات الأمم والشعوب المختلفة في العرق واللغة والعقيدة إلى خير أمة أخرجت للناس، مُوحَّدَة الآمال والآلام، مصداق ما قاله من لا ينطق عن الهوى، **سيدنا محمد** ﷺ: «مثل المؤمنين- في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم- مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»[1].

من ينظر إلى حدود العالم الإسلامي، يرَ مشرقه يطل من أقصى جزر أندونيسية، ويشرف مغربه على ضواحي باريس بجيش يقوده عبد الرحمن **الغافقي**، وعلى أسوار فيينة- عاصمة النمسة- بتطويق الجيوش الإسلامية بقيادة سليمان **القانوني**.

(١)أخرجه مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، في كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم ٢٥٨٦.

وعلى حين نرى الإسلام يلف بجناحيه ثلثي إفريقية، ويرفع علم القرآن على هضاب سيبيرية؛ نشرُف- في أيامنا الحاضرة- باقتحامه لأمريكة الشمالية، ويركز إسلاماً وقرآناً في قلب ما يقارب من ثمانية ملايين، من أصل خمسة وعشرين مليوناً من الأمريكيين الزنوج، الذين هم- بدورهم الآن- أقرب ما يكونون إلى اعتناق الإسلام، لو كان للإسلام دعاة مرشدون على مستوى الزمن الحاضر والعصر الحديث؛ أو بعبارة أخرى: لو كان للإسلام دعاة على مستوى مفهوم القرآن الحي الحقيقي.

من ينظر إلى العالم الإسلامي، بحدوده المترامية الأطراف، يتيقّن اليقين كله أنه لو لم تكن عناية القرآن الفائقة للعقل والفكر، ما أمكن أن تعتنقه الشعوب العظيمة.. ولاسيما في عصرنا الحاضر، وأين؟!! في الولايات المتحدة، التي جمعتني المقادير مع أحد زعماء المسلمين هناك، وأخبرني أنه قد شيّد الأمريكيون الزنوج- الذين أسلموا- عشرات المساجد في أمريكة الشمالية.

إن من يشهد فقر الإنسان قبل نزول القرآن إلى العلوم الحياتية والمعارف الحضارية، ثم يرى عظيم ما أنتجه العقل المسلم، وأبدعه في ظلال تربية القرآن، وكيف رفَعَ هذا العقلُ بالقرآن درجة ارتشاف المعرفة والحكمة أينما كانت، وكيف كانت كتب العلوم والمعارف- من طب، وحكمة، وكيمياء، وزراعة، وفلك، وغيرها- مكتوبة بلغة

القرآن، وبفكر أبناء القرآن، وكيف كانت تُدرّس في جامعات أوربة قرابة ستة قرون.. من يلمس هذا ويشهده، يتيقن جازماً ما كان للقرآن من أثر عظيم في تنمية العقل الإنساني، وبعثه من الفناء.

من يمتع نظره في رياض القرآن وآياته، يدهش حين يرى كيف آخى القرآن بين الدين والعقل وألف بينهما، وكيف جعل من عقيدة الإسلام مزيجاً من التدين الحي، والارتقاء في سُلّمِ الحضارة والتقدم، لا بل إن الأدهشَ من ذلك في وحي القرآن، والأغربَ لبقية الأديان، ما يراه المتدبر لآياته، كيف أن القرآن جعل من التفكير في الكون، والتتبع لمعرفة قوانين الحياة الطبيعية، وتسخير قواها للإنسان، عبادةً من أَجَلِّ العبادات الإسلامية، وهذه ميزة للإسلام، لم يسبقه إليها دين من الأديان؛ إذ تتلاقى في حدائقه الغَنَّاء أزواج: العقلُ والروحُ، والفكرُ والعاطفةُ، والجسدُ والنفسُ، والدينُ والدولةُ، والدنيا والآخرةُ.. لقاء المحالفة والتعاون، لا لقاء المجافاة والتنافر.

لنصغِ قليلاً إلى القرآن ووحيه، وهو ينمي في المؤمن قواه العقلية، ويدفع بطاقاته الفكرية نحو العلم، نحو المعرفة، نحو القوة، نحو التقدم، نحو السعادة والمجد، ويجعل من هذا الدفع صلاةً يومية، يقوم بها الإنسان بين يدي خالقه خمس مرات يومياً، يتقرب إليه فيها ببناء عقله، وإنارة فكره، بتغذيته بأنواع العلوم والمعارف. أين ذلك؟ في الصلاة، في

المحراب؛ حيث يلتقي العقل والروح، وهما في أجمل حُلّةٍ من الصفاء والنقاء والخشوع. أليس في تلاوة المصلي قولَه تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة البقرة]، حث له على دراسة كيفية نشأة عوالم السماء، وعلى التعرف إلى علوم الفضاء؟!.

أليس في تلاوة هذه الآية وأشباهها، دفعاً للمسلم إلى معرفة كيفية نشأة الأرض والحياة، وطلباً واضحاً للقرآن من المصلي، أن يتعرف إلى سبب اختلاف الليل والنهار، الناشئ عن دوران الأرض وكرويتها؟ أليس مفهوم هذه الآية ترغيباً للمسلم في دراسة المواصلات البحرية، ومعرفة كيفية نزول المطر، وقوانينه الطبيعية الربانية، مع دراسة علوم الأحياء الحيوانية والنباتية، والاطلاع على نظام سير الرياح، وتقلباتها، وقوانينها؟

أَمَا نرى في وحي القرآن، في كل صلاة، ودَفْعِه للإنسان إلى دراسة هذه الأنظمة الكونية، ثم طَلَبِه من الإنسان المصلي، أن ينتقل بعقله وفكره من دراسة الكون، وما فيه من قوانين ومصنوعات هائلةٍ بديعة، إلى متابعة البحث العقلي والفكري للتعرف إلى الكون وخالقه، طلباً للعلم، وحثاً على الدراسة والبحث؟!

أليس هذا إيحاء قرآنياً متكرراً مستديماً لتنمية العقل.. وإنارة الفكر، ليرتقي القرآن بالإنسان إلى نضوجه الكامل، العلمي والفكري والحضاري؟.

إن هذا التخطيط القرآني جعل من الصلاة للمسلم الخاشع- مع تزكيته لنفسه، وتطهيره لروحه- دروساً كونية.. أنشأ له فيها مدرسة ثقافية فكرية، لتُكَوِّن مسلماً مزوداً بأنواع الثقافات العلمية والفكرية، التي لها صلة بقوى الكون وكنوزه الطبيعية، ليسخرها لمنافعه، إذا عرف كيف يدير مفتاحها، وكيف يحرك أزرارها. وهل هناك عظمة لكتاب سماوي كهذه العظمة للقرآن؟ فقد جعل القرآن للمسلم في الصلاة مدرسةً جامعيةً، تقدم له أنواع العلوم وبذور المعارف، يلقي محاضراتها فيها على المصلي مبدعُ الكون وواضعُ نظامه وقانونه، فلا يتخرج طالب في هذه المدرسة إلا وهو ناضج العقل مستنير الفكر، ما يدفع بالإنسانية لتتقدم في مضمار الحياة والوجود الكريم السعيد، بخطاً حثيثة واسعة.

والآن، لنصغِ إلى القرآن وهو ينمي العقل الصناعي في الصلاة، في مدرسته الجامعية، يقول تعالى.. خطاباً من جلاله إلى نبيه **داود**.. ثم إلى نبيه **سليمان**- عليهما السلام-: ﴿..وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ..﴿١٢﴾﴾..إلى قوله تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ..﴿١٣﴾﴾ [سورة سبأ].

أليست هذه الآيات تذكرنا بالأنبياء، وكيف كانوا على علم باستخراج المعادن بأنفسهم، ثم صهرها بإشرافهم، ثم استعمالها في الصناعات الحربية والمدنية؟ حتى إن القرآن لينبئنا كيف استطاع نبي الله **سليمان**- عليه السلام- أن يستعمل الطيران السريع في أسفاره، بعد أن سخر الله له الهواء، ذلك التسخير الذي لم يوضح القرآن لنا كيفيته.

أفليست تلاوة هذه الآيات القرآنية ومثيلاتها في الصلاة إيحاءً من القرآن للمسلم كي تتنبه قواه العقلية والفكرية؛ العلمية والعملية، ثم ليتجه بتفكيره نحو إحياء الصناعات الحيّة وإقامتها؟

أجل إن ذلك لَحَثٌّ فكري رائع على تنمية العقل، ودفع للفكر في كل ميادين الصناعة والأجواء، بل لا حرج بعد هذا إن قلنا: لعل هذه الآيات هي التي دفعت المسلم **عباس بن فرناس** إلى أول محاولة في عالم الطيران.

أما تنمية القرآن للعقل الزراعي وشؤون الري، فقد تكفلت لنا بذلك سورة سبأ؛ إذ ذكرت لنا ذلك السد العظيم، الذي بلغ طوله ثمانمئة ذراع، وسمكه مئة وخمسون ذراعاً، وارتفاعه خمسة وثلاثون ذراعاً، ومساحة ما يرويه حوالي ثلاثمئة كيلو متر مربع، وهذا على حسب ما اكتشفه- مع الأسف- الأوربيون لا المسلمون، قبل قرن تقريباً. وقد أثبتت الدراسات- التي أجريت هناك- كيف أن ذلك السد

(سدَّ مأرب) قَلَبَ الصحارى والأراضي القاحلة قبل الإسلام إلى جنان وخضرة ورفاه وثروة ورخاء وأمن. وأثبتت الدراسات الحديثة والقديمة- أيضاً- أنه كانت في مملكة سبأ اليمنية مئات السدود المائية غير السد العظيم.

فإذا رأينا آيات القرآن تنبئنا أن الله قد أفقد أهل سبأ تلك النعمة والرخاء لّما كفروا بنعم الله، وأعرضوا عن منهاجه العلمي العملي الفكري، فانقلبت جناتُهم- بإعراضهم هذا- صحارى، وديارهم أطلالاً، ومزارعهم خراباً ويباباً، وحريتهم ذِلَّة واستعماراً، أفيحق للمسلمين أن يجعلوا هذه الآيات حكايات كالحكايات المسلية للأطفال.. أم أنهم يجب أن يروا فيها القوة الدافعة لهم على تنمية قدراتهم الدراسية، لتدفعهم إلى العناية بشؤون الري والزراعة، ببناء السدود لتحبس مياه الأمطار في بلاد حرمت من الينابيع والأنهار، ولتنقلب البلاد- بتخطيط القرآن- من صحارى جافة قاحلة ميتة إلى جنات ومزارع عظيمة الغلال وارفة الظلال، تنبت فيها الحياة والسعادة والنعيم والثروة، وتجري من تحتها الأنهار؟!

وأما المدرسة القرآنية- التي تولت العناية بالعقل الحربي، وتنمية فكرة الجهاد في سبيل الله، في شخصيات إسلامية ضنَّ الزمان أن يأتي بمثلها، إلى جانب ما أبدعت من روحانية الجندي المسلم، الذي يرى

الحياة في الاستشهاد، والكرامةَ بعد الممات في ساحات الجهاد- فهي أمثال هذه الآيات الكريمة: ﴿..إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ..﴿٦٥﴾﴾ [سورة الأنفال]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [سورة آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [سورة آل عمران]. فهل المقصود من هذه الآيات القرآنية التبرك بتلاوة ألفاظها فحسب، مع البعد عن فهم معانيها ومراميها، فتكون إيحاءً للمسلم، ودفعاً له إلى تنمية قواه العقلية، واستكمالها في ميدان لقائه مع العدو الغاشم، والمحتل الطامع الظالم؟!

ما معنى قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الغاشية] ؟ وما المقصود من هذه الآية: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ..﴿١٠١﴾﴾ [سورة يونس]

أليست هذه الآيات- ومثيلاتها- إيحاءً من القرآن لتنمية قوى المسلم العقلية، كي تندفع باتجاه دراسة علوم الحيوان، وطبقات الأرض والجبال، والكواكب والنجوم، ثم لنتخذ من هذه الدراسات العلمية والفكرية جسراً يوصلنا إلى معرفة الله بمعرفة بديع قانونه، ولتكتحل العيون وتبتهج النفوس بمشاهدة نظامه؟

أليس القرآن قد دعانا إلى النظر في حسن الإبداع الإلهي ودقته، وجمال الطبيعة وفنّها، التي رسمتها لنا ريشة القدرة الإلهية، حتى يكون لنا فيها الراحة، والمتعة، والسرور الذي يملأ النفس بهجة وحبوراً، لتتغذى الأعصاب، وترتاح من تعبها، وتهدأ من اضطرابها؟

ثم نرى أن القرآن قد ندد كلَّ التنديد بمن ينظرون إلى الدين نظرة البعد عن طيبات الحياة والزينة والجمال، ويريدون أن يجعلوا من الدين أداة بؤس ورهبانية وحرمان. أليس في هذه الآية الكريمة دعوةٌ صريحةٌ لعقل المسلم إلى أن يتمتع بزينة الحياة، وتنديدٌ بمن يريدونها جافة يابسة؟ يقول تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ..﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة الأعراف].

ثم لنصغِ إلى تلك الآيات، التي دعت المسلم إلى التمتع بجمال الطبيعة الربانية، وسحرِ بهجتها وزينتها، منها قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [سورة النمل]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة ق]، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا

مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ [سورة الأنعام].

فهل كانت هذه الآيات- ومثيلاتها- إلا المَنبّه والدافع لقوى المسلم العقلية، لتستفيد من المتع الحلال، ثم للتمتع بمشاهدة جمال الطبيعة وزينتها وعظمة الإبداع الإلهي فيها، ثم لتنتقل بعد ذلك إلى مصدر الجمال والحُسْن والإبداع، إلى الله جل جلاله، حتى يعلم المسلم أن الدين ما هو إلا الجمعُ بين حظي النفس والروح ونعيمهما، بين الدين والدنيا، فيكون في جنان الأرض قبل جنان الآخرة؟.

ولنمضِ في رحلتنا لمشاهدة القوى العقلية للمسلم على مقاعد الدراسة التاريخية في الجامعة القرآنية، فماذا نرى؟

إننا نرى كل يوم، في الصلاة، وخارج الصلاة دراسة أحوال أمم متعددة؛ ارتقاء وانحطاطاً، انتصاراً وانهزاماً، تقدماً وتخلفاً؛ حيث نتتلمذ في علم التاريخ على خالق التاريخ، خالق الشعوب والأمم، مبدع العوالم اللانهائية، واضع قوانينها الرائعة الدقيقة.

أليست هذه الأمثلة المضروبة في حقل التاريخ مجالاً حياً لنتخرج بها في هذه الجامعة الربانية أساتذةً عالميين، نستطيع بها أن

نبني أمتنا بناء عالمياً، ونهذب أخلاقها تهذيباً ملائكياً، ونغذيها بأنواع المعارف والعلوم، ونجنبها السوء والمخاطر، كي تكون- بذلك- مرشدة الأمم ومهذبة الشعوب، وحتى تستحق الشهادة الربانية الكبرى.. ﴿.. كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ..﴾ [سورة آل عمران].. ﴿.. لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ..﴾ [سورة البقرة]؟

أليست هذه الثقافة التاريخية العالمية للفكر الإسلامي قد تضمنتها هذه الآية؟ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة الروم]، وأخوات لها في القرآن كثيرة، لا يتسع الوقت لإيرادها.

إنكم لتذكرون أول سورة قرآنية، حين خاطبت المسلم الأول وَمَنْ بَعْدَهُ قائلة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [سورة العلق]، ثم تلتها السورة الثانية بعد اقرأ، بدأها مترل القرآن بالحلف بالدواة والقلم والكتابة.. ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾ [سورة القلم]. أليس في هاتين الإشارتين تنويه من القرآن، وإيحاء منه إلى المسلم لتتنبه قواه العقلية، فيتجه بإمكاناته إلى محو الأمية، وإحياء العلوم وحفظها؛ بالكتابة، والتأليف، والنشر؟.

لو أننا تتبعنا آيات القرآن التي نزلت لتنبّهَ العقل من غفلته،

وتوقظه من رقدته لما أمكننا إيراد تلك الآيات في هذا الوقت البسيط. ولعله يكفينا أن نُنوّهَ إلى أن الآيات التي حثت المسلمين بلفظ ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.. ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ قد جاوزت الخمسين موضعاً في القرآن، ولاسيما الآيات التي نددت بمن أهملوا عقولهم فعطلوها، ومنعوها أسباب التفكير فجمدوها، مثل قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [سورة الحج]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الأنفال].

وأما إذا استقْرَأنا آيات القرآن- التي ضربت الأمثال، وحثت على السير في الأرض، والنظر في الكون، وطالبت المسلم بالتفكير، وأخذِ العِبَرِ من أحداث الكون، والاستفادة من دروسه التاريخية، وركزت على الاستبصار والتنبه، وأخذ الحذر من الغفلة والتهاون، وعلى الاستفادة من تجارب وعلوم مَنْ قَبْلَنا، كقوله تعالى: ﴿.. أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ..﴾ [سورة الأنعام]، فسيظهر لنا- بدَهياً- أن مردود كلّ ذلك والقصد منه، إنما هو تنمية القوى العقلية، ليجعل القرآن من المسلم ذلك الإنسان الناضج العقل، السليم الذهن، الثاقب الفكر.

فإذا رأينا القرآن قد أضاف إلى ذلك وجوب تحلية المسلم بمكارم

الأخلاق، علمنا عند ذلك السر الذي جعل من المسلم رجل الدولة والأمة المتفوق، بل الرجل العالمي. وقد ثبت للعالم- باتفاق الكثير من علمائه وفلاسفته المنصفين- أن المسلم خريج جامعة القرآن قد أثبت جدارتَه بفضل تربية القرآن لعقله، وتزكيته لنفسه في أن يكون رجل الدولة العالمية، وقائد جيشها المظفر؛ وأن يكون المسلم القرآني ذلك القاضي التريه الورع، وذلك العالم العالمي المثقف المخترع، وذلك الجندي الذي لا يعرف إلا النصر أو الشهادة، وذلك المهندس الذي لا يبني داراً أو يرفع جداراً فحسب، ولكنه المهندس الذي يستطيع أن يبني الأمة الراقية، بعقولها العظيمة، ونفوسها الكبيرة، كما قال الشاعر:

يبني الرجال وغيره يبني القــرى شتان بين قــرى وبــين رجــال

لا، بل هو المهندس، الذي يستطيع بفضل تثقيف القرآن لعقله وفكره أن يبني العالم الفاضل السعيد الهانئ، تحقيقاً للغاية التي أرسل الله من أجلها النبي ﷺ .. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء].

لقد أثبت القرآن أن له- بفضل مهندسيه القرآنيين- السهم الأول في إنتاج رجال تاريخيين، هداة عالميين، ناجحين في كل ميادين الحياة والحضارة والتقدم والعلم، حتى إن أحد كتاب الغرب- ألا وهو كلود **فاريير**- يرثي الإنسانية، ويندب حظها، ويعلنها داوية مجلجلة أن انتصار

شارل **مارتيل** على جيش عبد الرحمن **الغافقي** في فرنسة قد أخّر روح التجديد والحضارة في أوربة ثمانية قرون.

لقد استطاع القرآن بفضل تربيته الحقة لعقلية المسلم وتفكيره، وبدفعه له إلى التزود بأنواع العلوم الحياتية أن يوجد الحضارة الإنسانية المعاصرة، التي غرس فسيلتها المسلمون الأوائل.

ثم- لأمر ما- عُزلَت عن المسلم تغذيتُه القرآنية العقلية، فتجمد الفكر الإسلامي وخمد، وحُرِمَ شرف إتمام بناء الحضارة، فتابع البناءَ الرجلُ الغربي، الذي كان لكتب المسلمين العلمية- في الأندلس، وبغداد، والشام، والقاهرة- الفضلُ في تنمية فكره، وتثقيف عقله، حتى وصلت الحضارة كما نرى أوجها في عصرنا الحاضر هذا.

و لم ينسَ فضلاء علماء الغرب أن يعترفوا بهذه الحقيقة؛ فلقد أشار إلى هذا المعنى المؤرخُ الفرنسيُّ الشهير **سديو** في ‹تاريخه الكبير›، الذي ألفه في عشرين سنة، بحثاً عن تاريخ العرب المسلمين، وعظيم حضارتهم، ونتاجهم العلمي الهائل، فقال: "لقد استطاع المسلمون أن ينشروا العلوم والمعارف والرقيَّ والتمدُّن في المشرق والمغرب، حين كان الأوربيون- إذ ذاك- في ظلمات القرون الوسطى وجهالاتها... ولقد كان العرب والمسلمون- بما قاموا به من ابتكارات علمية- ممن أرسوا أركان الحضارة والمعارف، ناهيك عما لهم من إنتاج وجهود علمية،

في ميادين الطب والفلك والتاريخ الطبيعي والكيمياء والصيدلة والنبات والاقتصاد الزراعي، وغير ذلك من أنواع العلوم التي ورثناها- نحن الأوربيين- عنهم. وبحق كانوا هم معلمينا والأساتذة لنا.

إن من تحصيل الحاصل والبدَهي، أن نجهد أنفسنا في البحث عن إثبات ما لِوَحْيِ القرآن من فضل على تنمية العقل الإنساني، وإيقاظه للعمل والإنتاج؛ لا، بل إننا لنستطيع أن نقول: إنَّ من البدَهيات- أيضاً- أن نثبت أن للقرآن الفضل الأكبر في إنتاج العقل الحضاري العلمي العالمي الملائكي، الذي كان- ولا يزال- أمنية الإنسانية.

لقد اعترف بهذا التاريخ المتواتر، ونطق به كبارُ رجالات العلم والسياسة في الشرق والغرب، وملؤوا باعترافاتهم الدنيا، أنَّ القرآن ما نزل إلا لهذا.. ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة ص].. ﴿.. كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ..﴾ [سورة البقرة].

لقد عرف أعداؤنا أن القرآن كتابُ العقل والروح والعلم والتقدم، حينما جهلنا نحن ذلك. وحاولوا- بكل وسائلهم الشيطانية- تخديرَنا وحَجْبَنَا عنه، والحؤول بيننا وبين تنمية عقولنا وتفكيرنا بغذائه الرباني. وزدنا نحن على ذلك بأن جعلنا من القرآن وسيلة للتبرك بتلاوة

ألفاظه فقط، أو ربما لقراءته فوق رؤوس الأموات، وكأننا نتعمد بهذا أن نُبْعِدَ عن تدبر آياته كلَّ عقل وفكر، على الرغم من أن معظم ما في القرآن هو الدفع نحو العلم والتنمية لقوى العقل والنفس، إلى جانب أبحاث القرآن من عبادات الصيام والصلاة والحج وغيرها، التي لا تتجاوز آيات أحكامها الفقهية الـــ ١٥٠ آية؛ وأما آيات العلوم- التي وجهت عقولنا نحو دراستها والبحث عنها، في النجوم والفضاء، في طبقات الأرض وكنوزها المدفونة، والنبات والحيوان، والحكمة، وبناء الأمم الحية، وإشادة الدولة الراقية الإسلامية التي هي أكثر ما في القرآن- فكان ابتعادنا عن تدبرها والعمل بها، كابتعاد **السامري** عن الناس؛ إذ قال الله عنه: ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [سورة طه].

لقد حققنا بذلك غايات أعدائنا وأهدافهم، وكنا ممن آمن ببعض القرآن و لم يؤمن ببعضه الآخر، وهذا أدى إلى تخلفنا وضعفنا وتقهقرنا، حتى صرنا متخلفين في قافلة الأمم الحية، على الرغم من وجود المساجد والمدارس الدينية بالآلاف، ومع وجود علوم النحو والصرف والفقه والأصول والحديث والتفسير، وعلمائها.

لقد وصلت الحال بنا الآن إلى مرحلة استيلاء الصهيونية- بمعونة أمريكة والغرب- على القدس الشريف، أولى القبلتين وثالث الحرمين؛ على حين أن المخطط الصهيوني الكامل هو الاستيلاء على ضريح نبيكم محمد

خاتم النبيين والمرسلين ﷺ، لاستعادة الأملاك المزعومة ليهود بني قريظة.

إن ضعفنا هذا وما نشأ عنه من طمع الأعداء فينا، ما كان إلا من فقدنا لفقه القرآن وفقيهه، الذي أرجو سماحَكم لي أن ألقبه بحقٍ المهندس البنّاء، والمخطط لشخصية المسلم في عقله وفكره، في روحه وأخلاقه، في ثورته وبنائه للمجتمع والأمة والشعب، لا بل للعالم أجمع.

إن العالم الآن مهددٌ بالدمار والفناء، بسبب تنازع الشرق والغرب وما يملكانه من سلاح نووي فتاك. إن العالم اليوم قد ضعفت صلته بالله تعالى، وبدأ هذا الضعف يَذرُ قرنَه في العالم الإسلامي.

وإن عالمَنا- بوضعه الحالي، ومن مئات السنين- لم يستطع- باسم الإسلام المجمد، وعقله المحنط، وقرآنه المهجور، وبعد هذا التقهقر المروِّع للإسلام والمسلمين، وبعد هذا الخطر الداهم على اسم الله ودينه- إلا أن يتروي إلى مسجده، يعلم صلاةً وصياماً وحجاً وزكاةً ونُسُكاً.

فهل الانتكاس حصيلة الإنذار القرآني هذا.. ﴿..أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ..﴾ [سورة البقرة] ؟

هل إسلامنا الآن هو الإسلام الذي فتح الفتوحات، وهدى الناس للخيرات، وحَضَّرَ العالم، وأحيا العلوم، وأقام الدولة الإسلامية العالمية، التي كلفها القرآن أن تحيط الدنيا بالهداية والرحمة؟

أعتقد أنكم تشاركونني الرأي بأن الإسلام الحقيقي هو ما عرفه الخلفاء الراشدون، والقواد الفاتحون، ذلك الإسلام العالمي، الذي أشار إلى نتائجه العالمية القرآن، خطاباً لنبيه الكريم.. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء].

والحقيقة- التي يجب أن نعرفها جميعاً، وأودّ أن أرددها الآن، ونحن في هذا المؤتمر- هي أنه إن بقينا على ما نحن عليه، فإن مؤتمرنا واحتفالنا هذا يجب أن نعده مأتماً، وينبغي أن نبكي فيه ونقدم التعازي لفقد عزة الإسلام وكرامة المسلمين؛ وأما إذا أردناه مؤتمراً حياً، يثمر العمل على إعادة القرآن إلى عظمته وكرامته- التي تكاد أن تتلاشى من نفوسنا وكياننا ووجودنا، لا سمح الله- فعلينا أن نعمل إِذَن على الإعداد والتخطيط لبيان كيفية بناء مصنع لإنتاج العالم الرباني، والبنّاء الإسلامي، ثم العمل بسرعة على تنفيذ المشروع، لنرى هذا العالم وهو يعيد بناء الإسلام بناء قوياً جميلاً حياً؛ ومن ثَمَّ يستطيع هذا الإسلام الحي الحقيقي أن يعيد للعالم سلامَه وهناءَه وإخاءَه وأمنَه.

وإن هذا المشروع لا يتم إلا بلقاء قوتين، وتعاون سلطتين، واتحادهما على تنفيذ هذا المشروع، هما: العلم والحُكْم، العلماء والملوك والرؤساء؛ **قال النبي** ﷺ: «الإسلام والسلطان أخوان، لا يصلح واحدٌ منهما إلا بصاحبه، فالإسلام أمين والسلطان حارس، وما لا أمين له

مُنهدم، وما لا حارس له ضائع»[1].

إن المسلمين بإنشائهم مصنع علماء القرآن وفقهائه المختصين ببناء العقول الناضجة والأفكار الحية، والمختصين بتهذيب النفوس والأخلاق، يوجدون من يستطيع أن يربي الجيل الجديد، ليكون رحمة لأمته وللعالم أجمع، ويكون المسلمون- بذلك- قد أنتجوا القنبلة القرآنية: قنبلة العلم والحضارة والأخلاق، البنّاءة للخير والحب والرحمة والإخاء والسلام.

فمن على هذا المنبر، أوجه نداء الإسلام والقرآن إلى كل رؤساء وملوك الدول الإسلامية والعربية، وإلى كل علماء المسلمين الأفاضل، أن يبذلوا- جميعاً وبسرعة- الجهد والطاقة لإنجاز هذا المشروع، الذي بشر بنتائجه وثمراته النبي ؛ حينما **قال** ﷺ: «خير أمتي أولها وآخرها، وفي وسطها الكدر»[2]، وحينئذ نرى عقد الزواج قد تكامل بين الجامع والجامعة، بين المسجد والكلية، بين العقل والروح، بين الدين والدنيا، وحينئذ نرى مؤاخاة بين علوم الفقه والتفسير والحديث وبين علوم الكيمياء والفيزياء والجيولوجيا، وحينئذ نرى نتاج التآخي بين مآذن

(١)أخرجه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما، باب الهمزة، فصل في الإسلام، برقم ٣٩٦.

(٢)أخرجه الحكيم الترمذي- في نوادر الأصول- عن أبي الدرداء ﷺ، الأصل ١٢٢، في أن خير هذه الأمة أولها وآخرها استقامة، ص١٥٦؛ وقال المناوي في التيسير (١/ ١٠٧٢): وإسناده ضعيف.

المساجد ومداخن المصانع، ويومئذ نتلو كتاب الله بغبطة وابتهاج مرتلين.. ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة الروم]، وحينئذ نشهد ثمرات القرآن الشهية، ونصدق أنفسنا، ويُصدِّقنا العالم بأنه.. ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المنافقون].. ونرى أنفسنا أننا جديرون بخطاب الله لنا بقوله تعالى: ﴿.. كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ..﴾ [سورة آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ..﴿١٤٣﴾﴾ [سورة البقرة].

المبحث الخامس

القرآن الكريم

وبناء الحياة المزدهرة على وجه الأرض[1]

١) محاضرة ألقيت في المؤتمر الإسلامي العالمي المنعقد في لوس أنجلوس من ٢ إلى ٤/ ٨/ ١٩٩٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة:

١- أهم خصائص التشريع القرآني التي تكفل له الخلود والصلاحية:

أ- مصدره رباني من الله العالم بشؤون عباده وما يصلحهم لدنياهم وأخراهم.

ب- نزعته إنسانية، فيرى أن الإنسان أخو الإنسان ولو اختلف دينهما.

ج- فيه التوازن بين المصلحتين الخاصة والعامة، مع تقديم العام على الخاص عند التعارض.

د- تكاملُ وانسجام وشمول تشريعاته، حيث ينظم علاقات الناس مع مراعاة مراقبة الله في السر والعلن، ما جعل التشريع يجمع بين المثالية والواقعية.

٢- الالتزام بمنهاج التشريع القرآني يحقق الحياة السعيدة المزدهرة للإنسان، وسمات التشريع القرآني:

أ- الإيمان جوهر التشريع القرآني؛ لأن الإيمان بالله واليوم الآخر يدفع المسلم إلى مراقبة الله بالسر والعلن، فيلتزم بالأوامر ويجتنب النواهي، ويؤدي واجبه حقاً، ولا يتعدى على الآخرين.

ب- العمل للدنيا والآخرة معاً، وفيه النقاط الآتية:

- دعا القرآن المسلمين إلى إقامة الحياة المزدهرة، فجعل العمل الدنيوي الصالح والمعاملة الحسنة مع الناس عملاً دينياً.
- العزوف عن الدنيا يؤدي إلى التخلف.
- القرآن أباح التمتع المعتدل بالطيبات، وطالب بالعمل وحذر من البطالة والكسل.
- حذر القرآن من الانصراف الكلي إلى الدنيا، وطلب من أتباعه جعلها بأيديهم لا بقلوبهم، ولا يعميهم الحرص عليها عن إقامة العدالة ونشر الفضيلة.

ج- المادية والروحية في القرآن، وفيه النقاط الآتية:

- طلب القرآن من أتباعه الاهتمام بالروح والجسد، وعدم إهمال أحدهما على حساب الآخر، وهذا ينسجم مع الفطرة الإنسانية.

- الروح جوهر الإنسان والجسم عرَضٌ لها، لذا بدأ القرآن بتهذيب الروح من خلال طريقين:
  ١- الدعوة إلى ذكر الله.
  ٢- الدعوة إلى التفكر والتأمل في الكون والمخلوقات.
- حارب الإسلام الروحية البحتة المنقطعة عن أسباب الحياة لما فيها من تعطيل لقوى العمل والإنتاج وإهمال لطاقات العقل.

د- اهتمام القرآن بالعقل والعلم:

- ذكر القرآن "العقل" خمسين مرة و"أولي الألباب" ستَّ عشرة مرة، ما يدل على دعوته لإعمال العقل في كشف أسرار الكون.
- ذم التقليد الأعمى، الذي يحجب العقل عن رؤية الحق.
- اهتم الإسلام بالعلم لأنه وسيلة نمو العقل، وبين فضيلة العلم من خلال الأمر به وذكره في ٨٧٠ آية تقريباً.
- كتمان العلم جريمة يستحق صاحبها الطرد من رحمة الله.
- التقصير في طلب العلوم معصية في نظر الشارع الحكيم.
- العلم في ميزان الشرع لا يقتصر على العلم الشرعي، بل هو كل علم يفيد الإنسانية جمعاء.

هـ – التكافل الاجتماعي تحت مظلة القرآن، وفيه النقاط الآتية:

- التضامن الاجتماعي من أهم مقتضيات الأخوة الإيمانية.
- التضامن الاجتماعي يدفع عن المجتمع الآفات، ويشد بنيان الأمة ويقويه.
- الشعور بالآخرين والإنفاق على المحتاجين واجب رباني ودليل على الإيمان الصحيح.

و– القرآن دعوة حقيقية إلى التقدم والحضارة، وفيه النقاط الآتية:

- بناء الحضارة في القرآن ينطلق من النظرة الشاملة الواقعية للإنسان والحياة والكون من خلال الجمع بين مطالب الدنيا والآخرة.
- دعا القرآن إلى العمل على استقرار المجتمع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، لتحقيق التقدم الحضاري.

ز– القرآن والإخاء الإنساني، وفيه النقاط التالية:

- فتوحات المسلمين نشرت العلم والإيمان والمعرفة، وسر ذلك يكمن في أنهم أمة الرحمة التي دعاهم القرآن إلى تبنيها.
- دعا القرآن إلى بناء الأخوة الإنسانية العامة مثلما دعا إلى بناء الأخوة الدينية بين المسلمين، فلكلٍ مجاله وصلاحياته.
- لم يتأثر التشريع الإسلامي بالعرقية والطائفية والعنصرية، بل اتجه إلى مراعاة المصلحة الإنسانية المطلقة.

- ينتصر الإسلام في القضاء للحق وحده؛ ولو كان الحق لغير المسلم على المسلم.
- إنسانية التشريع الإسلامي أدت إلى دخول أعداد كبيرة من أتباع الديانات الأخرى إلى الإسلام.

ح- **مفهوم المال في القرآن ودوره في الحياة**، وفيه النقاط الآتية:

- المؤمن في القرآن مطالب بالغنى، لأن المؤمن مطالب بركنين (هما الحج والزكاة) يحتاجان إلى الغنى لتنفيذهما.
- دعا القرآن الفرد إلى العمل ونهاه عن التكاسل والبطالة.
- المال في القرآن وسيلة لا غاية، وأداة لتطوير المجتمع لا لاستغلاله.
- حذر القرآن من فتنة المال؛ حتى لا يكون سبباً للطغيان والظلم.
- دعا القرآن إلى إنفاق المال من أجل إسعاد الآخرين.
- دعا القرآن إلى منع الاعتداء على أموال الآخرين.
- دعا القرآن إلى التوسط في استخدام المال؛ فلا بخل ولا تبذير ولا ترف يورث الضغائن.
- نظرة القرآن للمال نظرة واقعية تدعو إلى استخدامه لبناء حياة مزدهرة للفرد والمجتمع.

٣- إن تشريعاً يقود الأمة إلى بناء حياة مزدهرة يحق لها أن تفتخر وتتمسك به وتطبقه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ثانياً: نص المبحث

من فضل الإسلام على الإنسانية أن جاءها بمنهاج قويم في تربية النفوس وتنشئة الأجيال، وتكوين الأمم، وبناء الحضارات، وإرساء قواعد المجد والمدنية، وما ذاك إلا لتحويل الإنسانية التائهة في ظلمات الشرك والجهالة والضلالة إلى نور التوحيد والعلم والهدى، وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله: ﴿.. قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [سورة المائدة].

لقد جاء القرآن الكريم، وحلَّ في القلوب، وانعكس في الأعمال والأخلاق، فنقل الأمة العربية- التي كانت مشتتة لا تجمعها رابطة سياسية ولا دينية- من الحضيض إلى القمة، ومن التفرق إلى الوحدة،

ومن المهانة إلى العزة، فقام أبناؤها ينشرون هذا الدين الحنيف، وفتحوا نصف العالم في أقلَّ من قرن، بعد أن كانت تسودهم النـــزاعات والمخاصمات، فتحوه فتح رحمة وإنسانية وإخاء، فلم يعرف التاريخُ فاتحاً أرحم من العرب، ونشروا فيه حضارةً متينةً بقيت آثارُها إلى اليوم، وقامت على عقيدة راسخةٍ دعتْ إلى الإيمان بالله الواحد، وتقديس جميع الرسالات السماويةِ السابقة مع تقديس أنبيائها، انطلاقاً من **الحديث النبوي الشريف**: «والأنبياء إخوة لعَلاّت، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[1]، ودعت إلى الأخلاق الفاضلة ونشر العلم والمعرفة والتزكية والمحبة والوئام بين بني البشر، فهم متساوون عند الله، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [سورة الحجرات]. وكذلك دعت إلى إعمار الأرض وإقامة بنيانها؛ يقول سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ [سورة الملك]. وبيّنت للإنسان أن سبيل السعادة الحقة أن يكون ذا جناحين (جناح التزكية وجناح المعرفة)، وأن فلاحه أن يعمل للدارين: دار الدنيا ودار الآخرة.

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ، في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ [سورة مريم: ١٦]، برقم ٣٤٤٣.

وقد أكد- سبحانه- أن من التزم بهذه الطريق لا بدَّ أن يكون من أصحاب هذه السعادة، يقول- سبحانه-: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [سورة النحل]، فيتحقق لهذه الأمة قولُ الله عز وجل: ﴿ .. كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .. ﴾ [سورة آل عمران].

وإذا ما أراد العالم اليوم أن يتخلص من انتحاره البطيء، من الهاوية التي يتساقط فيها شيئاً فشيئاً، فما عليه إلا أن يرجع إلى كتاب الله الخالد.. القرآن، لتكتحل روحه بنور الحقيقة، ولتسمو إلى أعلى عليين، فيحقق فردوسها في الأرض قبل أن يحققه في السماء، ويعيش جنة الدنيا قبل جنة الآخرة، ولله درُّ من قال:

قد حوى القرآنُ نوراً وهدى ... فعصى القرآنَ من لا يعقل
قل لقوم نبذوا أحكامه ... ما لكم مما نبذتم بَدَلُ
فاسألوا التاريخ عن قرآنكم ... يوم ضاءت بسناه السبل
فكأن الكون فيكم روضة ... وعلى الأغصان أنتم بلبل
وكأن الكون أفقٌ أنتمُ ... فيه بدر ساطع لا يأفل

ولو تساءلنا: لماذا نجح أسلافنا في إقامة حياة مزدهرة على وجه الأرض وفشلنا؟ ولماذا نشروا الأمن والسلام والخير والوئام بين بني البشر وعجزنا؟

ألنقص في كتبنا.. أم لقلة في إدراكنا وفهمنا.. أم لبعدنا عن اتخاذ كتاب الله عز وجل – كما أراد سبحانه – منهجاً عملياً لنا؟!

لقد كان العرب قبل الإسلام أمة أميّة، فاستطاعوا بهذا الكتاب الخالد بمفرده أن يحققوا كل ما حققوه من نجاح في الحياة، عندما تبنوه فكراً وعقيدة وسلوكاً.

ولكن ما سر هذا النجاح؟ وما مقوماته؟ وما الأسس الموجودة في هذا الكتاب الخالد.. القرآن الكريم، التي بها وصل المسلمون إلى قمة المجد والانتصار، وسجل لهم التاريخ بها الخلود على وجه الأرض؟

إن التشريع القرآني يمتاز بخصائص عدة تكفل له الخلود والبقاء، والصلاحية والثبات، وأهم هذه الخصائص:

- التشريع القرآني ربّاني المصدر: فهو ثابت بلفظه ومعناه من الله تعالى، العليم الخبير، الذي هو أعلم بشؤون عباده من أنفسهم، وما يصلحهم لدنياهم وآخرتهم، ويحقق لهم سبل السعادة والرشاد والهداية والتوفيق. ولهذا، عبر الله عن كتابه القرآن بأبلغ العبارات وألطف الإشارات، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنبياء]، ووصفه بالمبارك فقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة ص]. وما ذاك إلا لسمو هذا الكتاب،

وعظمة مُنَــزِّله، وصلاحيته لكل زمان ومكان، وهذا بعكس ما يضعه البشر، لأن ما يضعونه يصلح لزمن دون آخر أو لجماعة دون أخرى.

● التشريع القرآني إنساني النــزعة: فالإنسان في القرآن أخو الإنسان، ولو كان على غير دينه واعتقاده. ويدلنا على ذلك أن كثيراً من الأنبياء الذين قصّ الله سبحانه علينا قصصهم، وكيفية إبلاغهم لأقوامهم سماهم الله- عز وجل- إخوة لهم، على الرغم من تكذيبهم وعنادهم، فقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة الشعراء]، وقال جل وعلا: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة الشعراء]، وقال عز من قائل: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾ [سورة الشعراء]، وقال- تعالى- عن قوم لوط: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [سورة الشعراء].

وعندما خاطب القرآن مشركي مكة خاطبهم بـــ {يا أيها الناس}، ولم يصفهم بالشرك أو الكفر، ولم ينادِهم بـــ {يا أيها المشركون}، وما ذلك إلا لوجود تلك النــزعة الإنسانية العظيمة فيه.

هذا وقد وردت كلمة أخ في القرآن قريباً من مئة مرة، ووردت كلمة إنسان أقل من هذا العدد بقليل، وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدل على عظم تقدير هذه الأخوة، وعظم الدعوة إلى المحافظة عليها ودعم روابطها.

- التشريع القرآني فيه التعادل والتوازن بين المصلحتين الخاصة والعامة: فقد اهتم القرآن بالفرد والمجتمع على حد سواء، من دون إلحاق الضرر بأي منهما، ولكنه- حفاظاً على بنية الجماعة- قدم المصلحة العامة حال تعارضها مع المصلحة الخاصة، شريطة التعويض لصاحب الملكية الخاصة. ونظرة القرآن هذه هي نظرة صائبة، لأن المصلحة العامة تنعكس شيئاً فشيئاً على المصالح الخاصة، فتحميها أو ترعاها على الأمد البعيد.

وهذا التعادل والتوازن هو محور وسطية الإسلام، كما يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا .. ﴾ [سورة البقرة].

قال **الشاطبي** في ‹الموافقات›: "والقاعدة المقررة في موضعها: أنه إذا تعارض أمر كلي وأمر جزئي فالكلي مقدم؛ لأن الجزئي يقتضي مصلحة جزئية، والكلي يقتضي مصلحة كلية، ولا ينخرم نظام في العالم بانخرام المصلحة الجزئية، بخلاف ما إذا قُدّم اعتبار المصلحة الجزئية، فإن المصلحة الكلية ينخرم نظام كليتها"[1].

وما أروع الكلمة التي ذكرها **ابن قيم** في كتابه ‹إعلام الموقعين›،

(١) الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي (١/ ١٣٠).

حين قال: "الشريعة عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها. فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل"[1].

- التكامل والانسجام والشمول والخلود في التشريع القرآني: فهو لا يقتصر على تنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض، منعزلة عن الرقابة الإلهية في السر والعلن، وإنما ينظم هذا التشريعُ هذه المعاملاتِ على أساس من مراعاة علاقة الإنسان بخالقه على أكمل وجه، وتقدير الجانب الخَلقي في التعامل على حب الخير، ومنع الأذى، وطهارة النفس، وصفاء القلب، وعلو النفس، والترفع عن الدناءات. وهذه الخصائص جعلت التشريع القرآني خالداً إلى يوم القيامة لا يُنقَضُ ولا ينسخ، ويجمع بين المثالية والواقعية، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت].

ويبدو التكامل في التشريع القرآني من خلال صلته المتلازمة بين العقيدة والعبادة والشورى كما يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [سورة الشورى].

(١) إعلام الموقعين، ٣/ ١٤.

وفي إطار الشريعة ومنهاجها في الحياة السعيدة المزدهرة للإنسان، امتاز التشريع القرآني بمنطلقات ومبادئ وأهداف عظيمة، جعلت منه دستوراً خالداً، صالحاً لكل زمان ومكان، محققاً للحياة السعيدة المزدهرة، التي كانت الإنسانية- وما زالت- تسعى إلى تحقيقها بعزم ومضاء، وبما أوتيت من قدرات وطاقات، تتعثر أحياناً وتسرع أخرى، على حسب قربها وبعدها من هذا المنهج الخالد.

وأهم السمات التي تميزت بها الشريعة السمحة:

١- الإيمان جوهر التشريع القرآني:

يعدّ الإيمان بالله تعالى، والشعور بقدسية الدين، والإقرار بتشريع القرآن، جوهرَ التشريع والحياة في المجتمع المسلم، القائم على أساس الدين في تصوراته وتحركاته وغاياته، فالمؤمن بشريعة القرآن يؤمن بوجود الله تعالى القادر المسيطر على هذا الكون، ويؤمن بيوم الحساب والجزاء، ويؤمن بأن الدنيا مزرعة الآخرة، فهو يرهب الله ويخشاه ويراقبه في السر والعلانية، ليل نهار، صباح مساء، فلا يعمل إلا بما يرضي الله سبحانه، شعاره بين عينيه: "**إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي**"، فلا يخون العهد والأمانة، ولا ينحرف عن جادة الاستقامة.

وشعلة الإيمان بالله رباً وبالقرآن دستوراً ومنهجاً تملأ النفس بالراحة والطمأنينة، وتنير الطريق أمام المؤمن، وتعصمه من الانحراف

والضياع. إن تكلم فبالله، وإن أراد فللّه، وإن عمل فبقوة الله، يؤدي واجبه خير الأداء، ولا يتعدى على حقوق الآخرين.

والإيمان بشريعة القرآن يحقق الخير للجميع، من دون بغي أو عدوان، ويكفل حرمة الحقوق، ويسعد الفرد والجماعة، ويؤدي إلى الرخاء والاطمئنان.

ولو قلبنا صفحات التاريخ، لوجدنا أن أسلافنا ما سعدوا في حياتهم الدنيا إلا لَمَّا اصطبغت أرواحهم بجوهر الإيمان الحقيقي، وأجسادهم بجوهر السلوك الإنساني الرفيع، فسعدوا وأسعدوا، وتعلَّموا وعلَّموا، فكانوا للناس خيراً وبِشْراً وحبوراً.

وإذا وجدنا في مجتمعنا نوعاً من التخلف، أو فساداً في الأخلاق، فما ذاك إلا لضعف الإيمان فينا، واختلال العقيدة عند الكثيرين منا، وضعف أثر الدين في النفوس. وإذا ما أردنا أن نعود إلى مجدنا وعزنا، فما علينا إلا أن نعود إلى جوهر القرآن، ألا وهو الإيمان بالله تعالى، وتطبيق شرعه وفق ما أراده منا وعلى أكمل وجه.

٢- العمل للدنيا والآخرة:

يظن كثير من الناس- اليوم- أن القرآن الكريم يُتلى للبركة وحصول الثواب فقط، وأن كل ما فيه يدعو إلى ترك الدنيا ونبذها،

والعمل للآخرة فقط، ومن ثم الانقطاع للعبادة ومناجاة الله سبحانه، وقد نسوا أو تناسوا- بجهل أو بحمق- أن القرآن الكريم دعا الإنسان إلى أن يمتلك مفاتح الدنيا قبل مفاتح الآخرة، حينما علمه أن يطلب الدارين معاً، فقال سبحانه: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [سورة البقرة].

لقد دعا القرآن المؤمنين إلى إقامة الحياة المزدهرة على الأرض، فقال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة تبارك]، وقال عز من قائل، مبيّناً قوام النظرة إلى الحياة: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [سورة القصص].

فالمؤمن الحقيقي هو الذي يعبد ربه ويناجيه في كل مكان، في المتجر والمصنع والحقل والمجتمع، ويراقب الله في معاملاته، وتسمو أخلاقه عن الشّرَه والجشع والأطماع الواسعة.

ولقد أدى عزوف المسلمين عن الدنيا- في القرون الأخيرة- إلى تخلفهم وذلهم وتأخرهم عن اللحاق بركب الحضارة، على الرغم من أن القرآن يدعوهم إلى عمارة الأرض، وإيجاد سبل الحياة الفاضلة السعيدة

في المجتمع، فكان القرآن في وادٍ، وهم في واد آخر، وكما قال قائلهم:

طلــع الدين إلى الله مــستغيثاً وقــال العبــاد قــد ظلمــوني
يتسمون بي وحقك لا أعــرف منــهم أحــداً ولايعرفــوني

إن الناظر المتفحص للتشريع القرآني يرى أن القرآن أباح التمتع المعتدل بطيبات الدنيا في المأكل والمشرب والملبس، يقول سبحانه: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [سورة الأعراف]، وقال عز من قائل في الآية التي تليها من السورة نفسها: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ .. ﴾.

ويرى الناظر- أيضاً- أن القرآن طالب بالعمل، وحذر من البطالة والكسل في الدنيا، فقال سبحانه: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [سورة التوبة].

وقد ورد عن **النبي** ﷺ أنه **قال**: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود- عليه السلام- كان يأكل من عمل يده»[1]، **وقال النبي** ﷺ: «ليس بخيركم من ترك دنياه

(١)أخرجه البخاري عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه، في كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، برقم ٢٠٧٢.

لآخرته، ولا آخرته لدنياه، حتى يصيب منهما جميعاً»[1]، **وفي الأثر**: «أنه سئل: ما شر شيء في العالم؟ فقال: البطالة»[2].

وورد عن سيدنا **عمر بن الخطاب** ﷺ: (إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللاً، لا في عمل دنيا، ولا في عمل آخرة)[3].

ويرى الناظر- أيضاً- أن الله قرن في كثير من الآيات العمل الصالح بالإيمان، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ .. ﴾ [سورة يونس]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴾ [سورة الكهف]. ولم يجعل- سبحانه- العمل الصالح مقصوراً على العبادة فقط، وإنما يشمل ذلك كل صلاح في الدنيا والآخرة، وكل ما يصلح به المرء نفسه وأسرته ومجتمعه؛ إذ إن القرآن الكريم لم يمنع الاتجار والارتزاق، حتى أثناء الحج، قال سبحانه: ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ .. ﴾ [سورة البقرة]، وجعل سبحانه من أهداف الحج شهود المنافع الدينية والدنيوية، فقال

(١)أخرجه الديلمي من حديث أنس ﷺ، برقم ٥٢٤٩؛ وهو ضعيف.

(٢)أخرجه البيهقي- في شُعَبه- عن عروة بن الزبير ﷺ، الثامن عشر من شعب الإيمان و هو باب في نشر العلم وألا يمنعه أهله، فصل قال: وينبغي لطالب العلم أن يكون تعلمه وللعالم أن يكون تعليمه لوجه الله تعالى جده، برقم ١٩١٤. وقال العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٢٥٠): قال ابن الغرس: وهو ضعيف.

(٣)ذكره الزمخشري في الكشاف أثناء تفسيره لسورة الانشراح (٤/ ٧٦١).

تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ ﴾ [سورة الحج].

ولقد ملك سلفنا الصالح مفاتح الدنيا، فأقاموا فيها حضارة ملأت الخافقين، وانتشرت من سويسرة غرباً إلى الصين شرقاً، وما ذلك إلا لفهمهم العميق لسنن الله الكونية، وتطبيقهم لشرعه القويم، حتى صارت الأرض فردوسهم الدنيوي قبل الانتقال إلى فردوسهم الأخروي.

ولكن القرآن حذر من الانصراف الكلي إلى الدنيا والاغترار بها، فقال سبحانه: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة الحديد].

لذلك طلب القرآن من أتباعه العمل للدنيا والآخرة، وأن تكون الدنيا في يد متّبعيه لا في قلوبهم، حتى يستطيعوا إقامة الحضارة والمدنيّة الفاضلة، ولا يقتلهم الحرص والبخل والتنافس الممقوت على الدنيا، فإن فعلوا ذلك كانوا كالطائر ذي الجناحين، الذي يسعى- بأقصى جهده- إلى بلوغ هدفه المنشود. ولقد وعد الله عباده المؤمنين

بإيصالهم إلى هدفهم المنشود، فقال عز من قائل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [سورة النحل].

٣- المادية والروحية في القرآن:

امتاز التشريع القرآني بالاعتدال والوسطية في كل شيء، عبادة ومعاملة، دنيا وآخرة، واتسم بالواقعية والتوازن، فنظر إلى الإنسان نظرة متكاملة، تقوم على الاهتمام بالروح والجسد على حد سواء، من دون إهمال لأحدهما على حساب الآخر، ذلك أن سعادة الإنسان لا تكتمل إلا بإيفاء الحقين. فإذا ترك أحدهما عاش في هيكل أجوف، وحياة تعيسة، إن بدنياه أو بأخراه.

ولما كانت الروح جوهر الإنسان، والجسم عرَضاً لها، فقد اهتم القرآن- بادئ ذي بدءٍ- بتقوية صلة هذه الروح بخالقها، فهذّبها من شوائبها وتعلقاتها، ونمّى المشاعر الطيبة، وغرس فيها حب الله وإشراقاتها وتطلعاتها نحو الخالق، مستعملاً في ذلك أسلوبين رائعين تعشقهما كل فطرة إنسانية، **هما**:

آ- الدعوة إلى الإكثار من ذكر الله- جلّ وعلا-: إذ فاقت آيات الدعوة إلى ذكره- تعالى- كلّ الآيات الداعية إلى إقامة شعائر الإسلام، ونذكر من هذه الآيات- على سبيل المثال لا الحصر-

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ .. ﴾ [سورة آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [سورة البقرة]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ .. ﴾ [سورة النساء] ، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الجمعة].

وكذلك جعل إقامة شعائر الإسلام الأخرى من أجل ذكر الله، فقال عز من قائل: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [سورة طه]، وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) ﴾ [سورة الأعلى].

وحذر سبحانه من التهاون في هذه الفريضة، فقال عز من قائل: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) ﴾ [سورة الزخرف].

ولم يكتف القرآن بالتحذير من التهاون بذكر الله، بل هدد وأوعد، فقال سبحانه: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الزمر]. وجعل من يقلل من ذكره- جل وعلا- في عداد المنافقين، فقال تعالى: ﴿ .. يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة النساء].

ب- الدعوة إلى التفكر والتأمل: فتفكُّر ساعة يعدل عبادة سنة، لذلك طالب القرآن الناس أن يتفكروا، فقال عز من قائل: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سورة سبأ]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يونس]، ويقول أيضاً: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [سورة فصلت].

وَعَدَّ سبحانه المتفكرين من خلقه من أولي الألباب فقال:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [سورة آل عمران].

ولاشيء يسعد الروح ويشعرها بالنشوة والطرب مثل الذكر والفكر، ولله در من قال:

ولِيُّ الله لـــيس لـــه أنـــــيس سوى الرحمن فهو لـــه جلـــيس
فيـــذكره ويـــذكره فيبكـــي وحـــيد الدهر جـــوهره نفـــيس

ولكن القرآن- في الوقت نفسه- حارب الروحية البحتة المنقطعة عن الحياة؛ لأن فيها تعطيلاً لقوى الإرادة، وإهمالاً لطاقات العقل. وقد أكد هذا المعنى النبي ﷺ- وهو الشارح للقرآن- في أحاديث عدة؛ فعن

أنس بن مالك ﷺ **قال**: «جاء ثلاثة رَهْط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا، كأنهم تقالُّوها. فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأصلّي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أُفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[(١)].

وعندما أراد **عبد الله بن عمرو** بن العاص أن يتبتّل وينقطع عن الدنيا إلى عبادة خالقه **قال له** ﷺ: «صُم وأفطر، وقُمْ ونَمْ، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزَوْرك عليك حقاً»[(٢)]، وفي **رواية أخرى**: «فأعطِ كُلَّ ذي حق حقه»[(٣)].

والتوازن بين مطالب الجسد والروح- فضلاً على أنه انسجام مع الفطرة الإنسانية- ضرورة واقعية، فيه خير للأمة والمجتمع؛ حيث تتكون

(١)أخرجه البخاري، في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، برقم ٥٠٦٣.

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما، في كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، برقم ١٩٧٥. والزور هو الزائر، وهو في الأصْل مصدَر وُضع مَوضِع الاسْم [انظر: النهاية لابن الأثير، المجلد الثاني، حرف الزاي، باب الزاي مع الواو].

(٣) أخرجه البخاري، من حديث أبي جُحيْفة ﷺ، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع و لم يَرَ عليه قضاء إذا كان أَوْفَقَ له، برقم (١٨٦٧)(٢/٦٩٤).

الأسرة، ويتعاون أفرادها في تحقيق مطالب الحياة، وهذا هو مبدأ الوسطية في الإسلام، الذي صَرّح به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ..﴾ [سورة البقرة]، أي: جعلناكم أمة عدولاً. **وقال الرسول** ﷺ: «خير الأمور أوساطها»[1].

٤- اهتمام القرآن بالعقل والعلم:

تردد ذكر العقل في القرآن زهاء خمسين مرة، وذُكِرَ أولو الألباب بضع عشرة مرة، وأولو النهى مرتين، والأمثلة على ذلك كثيرة، فمنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة]، وقوله عز من قائل: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة الجاثية]، وقوله جلّ

(١) أخرجه البيهقي- في شعبه- من حديث مطرف بن عبد الله ﷺ، الثاني والأربعون من شعب الإيمان (باب الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل المال الباطل)، برقم ٦٦٠١؛ وهو ضعيف.

وعلا: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الرعد].

وهذه الآيات وأمثالها دعوة قوية إلى إعمال العقل في هذا الكون وما أودع فيه من أسرار ومنافع، من أجل الاستفادة من طاقاته في بناء الحياة المزدهرة للفرد والأسرة والمجتمع على حد سواء.

وقد ذم القرآن التقليد الأعمى في آيات كثيرة، لأنه يعمي العقل عن رؤية الحق، ويجعله منقاداً للأهواء والشهوات، ومن هذه الآيات قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [سورة البقرة].

ولما كان العقل لا ينمو إلا بالعلم، فقد اهتم الإسلام بالعلم اهتماماً كبيراً، فأوَّل ما نزل من القرآن.. ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [سورة العلق]، ثم نزل قوله عز وجل: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [سورة القلم].

ثم نزلت الآيات تترى تُبيّن فضل العلم والعلماء، فقال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [سورة فاطر].

وجعل- سبحانه- العلماء في المرتبة الثالثة بعد الله والملائكة، فقال سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران].

وما من شيء أمر الله فيه نبيه والمؤمنين أن يزدادوا منه مثل العلم، فقال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [سورة طه]. هذا وقد وصلت الآيات الدالة على العلم ومشتقاته في القرآن إلى ٨٧٠ آية.

وأما الأحاديث الواردة في فضل العلم والعلماء، فهي أكثر من أن تحصى، ومنها: ما رواه أبو هريرة ﷺ من أن **رسول الله ﷺ قال**: «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»[1].

وأما كتمان العلم، فهو جريمة في نظر القرآن، يستحق صاحبها اللعن والطرد من رحمة الله، وهذا ما أكده سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ

(١)أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب العلم، باب فضل طلب العلم، برقم ٢٦٤٨؛ وهو صحيح.

مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [سورة البقرة].

وورد هذا التهديد- أيضاً- على لسان صاحب الرسالة ﷺ إذ **قال**: «من كتم علماً عن أهله أُلجم يوم القيامة لجاماً من نار»[1].

وهذا الأمر له طرف آخر يشاركه فيه، ألا وهو التقصير في طلب العلم، كما هي حال كثير من المسلمين اليوم. فالتقصير في تعلم العلوم خيانة في نظر الشارع الحكيم. ولقد هدد رسول الله أقواماً قصّروا في طلب العلم **فقال** ﷺ: «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتفطنون؟ والله ليعلّمن أقوام جيرانهم ويفطّنونهم ويفقّهونهم ويأمرونهم وينهونهم، وليتعلّمن قوم من جيرانهم ويتفطّنون ويتفقّهون، أو لأعاجلنّهم بالعقوبة في دار الدنيا»[2].

(١)أخرجه ابن عدي عن ابن مسعود ﷺ (٦/ ١٦٥)؛ وهو صحيح.

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور: أخرجه ابن راهويه والبخاري في الوحدانيات وابن السكن وابن منده والباوردي في معرفة الصحابة والطبراني وأبو نعيم وابن مردويه.. عن أبزي الخزاعي والد عبد الرحمن؛ وقال ابن السكن: ما له غيره، وإسناده صالح [انظر: تفسيره الآيتين ٧٨ و٧٩ من سورة المائدة (٣/ ١٢٥)].

وليس كل علم نافعاً في ميزان الشرع، وإنما العلم علمان: علم نافع وعلم ضار، فالنافع هو الذي يفيد في تكوين الفكر، ويخشع به القلب والجوارح، والضار هو الذي لا نفع له في الحياة، أو هو القراءة القولية من دون العمل والتطبيق، الذي سيكون يوم القيامة حجة على ابن آدم لا حجة له، ولذلك فقد كان **رسول الله** ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع» (١).

ولا يظنَنَّ ظان أن العلم في ميزان الشرع مقصود به العلم الشرعي فقط، لا، بل هو كل علم يخدم الإنسانية جمعاء، وليس أدل على ذلك من تنكير كلمة علم في الحديث النبوي السابق (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً)؛ إذ إن هذا التنكير جاء ليشمل العلوم النافعة للإنسانية جميعها، من دون أن يخصص به علماً معيناً.

إن الإسلام رسالة بناء ومجد، وعزة وكرامة، وهذا لا يقوم إلا بسلطان العلم والعقل. لذلك- من هذا المنطلق- حث القرآن على العلم، لبناء صرح الحضارة الذي لا يأفل، ونجم السعادة الذي لا يخبو، والعز الدائم الذي لا ينقطع.

(١) أخرجه مسلم من حديث زيد بن أرقم ﷺ، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، برقم ٢٧٢٢.

٥- التضامن والتكافل الاجتماعي في مظلة القرآن الكريم:

يعدّ التضامن الاجتماعي بين المؤمنين من أهم مقتضيات الأخُوّة الإيمانية، الذي عبّر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ... ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة التوبة]، وبقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ .... ﴿٧٢﴾ ﴾ [سورة الأنفال].

وعَبَّرَ عنه **النبي المصطفى** ﷺ **بقوله:** «الخلق كلهم عيال الله، فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله»[(١)]، **وبقوله** ﷺ: «ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته»[(٢)].

ولقد ضرب رسول الله مثلاً رائعاً لتبيين مضمون التكافل الاجتماعي **فقال** ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء، مرّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم

(١)أخرجه القضاعي- في مسند الشهاب (٢/ ٢٢٣)- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو حسن.

(٢) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، برقم ١٨٢٩.

وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»[1].

وما أصوب بيان النبي ﷺ في وضع الشعار الواحد للمجتمع المسلم **بقوله** ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً؛ وشبك بين أصابعه ﷺ»[2]، **وبقوله** ﷺ: «مثل المؤمنين- في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم- مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»[3].

وليس أمر صلة الآخرين والإنفاق عليهم أمراً مرغوباً فيه وحسب، وإنما هو واجب رباني، ودليل على الإيمان الصحيح، وما أروع البلاغ النبوي الذي قرّر هذا المبدأ **بقوله** ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»[4]، **وبقوله** ﷺ: «إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم القدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله

(١)أخرجه البخاري عن النعمان بن بشير ﷺ، في كتاب الشرِكة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه؟ برقم ٢٣٦١.

(٢)أخرجه البخاري عن أبي موسى الأشعري ﷺ، في كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، برقم ٦٠٢٦.

(٣)أخرجه مسلم عن النعمان بن بشير ﷺ، في كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم ٢٥٨٦.

(٤)أخرجه الطبراني في الكبير عن أنس بن مالك ﷺ، برقم ٧٥١، وهو حسن.

يحاسبهم حساباً شديداً أو يعذبهم عذاباً أليماً»[1].

وبناء على ما سبق، فقد سبق القرآن غيره من التشريعات الحضارية التي دعت إلى التكافل الاجتماعي، وربط هذا الأمر بسياج عظيم من التقوى والإيمان، فحقق ما عجزت عنه كل النظريات الداعية إلى كرامة الإنسان وعزته.

٦- القرآن الكريم دعوة حقيقية إلى التقدم والحضارة:

أكد القرآن المعنى البَنَّاء لتقدم الحياة بقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [سورة النور].

ولقد قامت دعوة القرآن القوية إلى الحياة الصحيحة الواقعية المتفوقةِ على أساس النظرة الشاملة للإنسان والحياة والكون، مع الربط الوثيق بين الأرض والسماء.. بين الجسد والروح.. بين مطالب الدنيا

(١)قال السيوطي في تفسيره الدر المنثور (٤/ ١٨١): أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات عن علي بن أبي طالب ﷺ. والغيلانيات: هي الأحاديث التي رواها أبو طالب بن غيلان.

ومطالب الآخرة، فعمدت إلى الجمع والتوازن بين المادية والروحية الإنسانية، منطلقة من قوله جل وعلا: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [سورة البقرة].

هذا وإن تقدم أي مجتمع مرهون باستقرار أوضاعه الداخلية.. السياسية والاقتصادية والاجتماعية. والقرآن دعا إلى تحقيق هذا الاستقرار من جوانبه الثلاثة...

فلتحقيق الاستقرار السياسي أمر القرآن بطاعة أولي الأمر، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [سورة النساء].

وكذلك أمر بالوحدة ونبذ الفرقة والاختلاف، فقال عز من قائل: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ.. ﴾ [سورة آل عمران]، وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ.. ﴾ [سورة الأنفال]، ودعا إلى التشاور في الأمر فقال تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة الشورى].

ولتحقيق التقدم الاقتصادي دعا سبحانه إلى إعمار الكون فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [سورة الملك].

وعلمنا القرآن الاهتمام بالزراعة والسدود من خلال قصة سد سبأ، وكأنه يقول لنا: ابنوا السدود لتحصلوا على زراعة وفيرة وغَلاّت خيّرة.

وفي مجال الاهتمام بالصناعة، قصّ علينا سبحانه قصة **داود**- عليه السلام- (صاحب الصناعة الحربية) بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [سورة الأنبياء]. وكذلك قصّ علينا عن **سليمان** عليه السلام- صاحب الصناعة المدنية- بقوله: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سورة سبأ]. وسَمَّى سورة كاملة في القرآن باسم سورة الحديد، بياناً بفضل هذا المعدن وأهميته في الصناعتين الحربية والمدنيّة على حد سواء؛ إذ قال الله في هذه السورة عن الحديد: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾.

ولتحقيق الاستقرار الاجتماعي، دعا القرآن إلى الأخلاق الحميدة والأُخُوّةِ والتآلف بين الناس، وبيّن أن الهدف من جعلهم شعوباً وقبائل هو التعارف فيما بينهم، فقال عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [سورة الحجرات]. وأمر بالإحسان للآخرين، ووصف البار الحقيقي بأنه من جمع خصال الإيمان والإحسان إلى الخلق، فقال عز من قائل: ﴿.. وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [سورة البقرة].

ومن ميزات الحضارة الإسلامية- التي دعا إليها القرآن- أنها لا تعرف الانزواء والانغلاق والعصبية والعرقية والإقليمية، وإنما هي حضارة زاهية متفتحة تدعو إلى خير الإنسانية جمعاء؛ إذ أكد القرآن هذا المبدأ بقوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء].

٧- القرآن والإخاء الإنساني:

"فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب ولا ديناً مثل دينهم"، **كلمة قالها-** ذات يوم- **غوستاف لوبون**[1]، عندما تحدث عن الفتوحات العربية الإسلامية، بعد أن أجرى دراسات معمقة على الحروب، التي جرت بين المسلمين وأعدائهم وما عقبها من فتوحات إسلامية أدت إلى نشر العلم والإيمان والمعرفة والثقافة في تلك الأصقاع المفتوحة.

ولكن لو تساءلنا ما سر هذه الرحمة عند المسلمين؟ لكان الجواب: إنه نزعة الإخاء الإنساني الموجود في الكتاب الخالد.. القرآن الكريم.

(١) حضارة العرب، ص ٦٠٥

إن في رسالة الإسلام الخالدة وتشريع القرآن العظيم رحمة عامة للإنسانية جمعاء كما يقول تعالى في وصف القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النمل]، وقال عز من قائل مبيناً وواصفاً رسالة النبي ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء].

هذا ولا تعارض في مفهوم القرآن بين الأخوّة الدينية بين المؤمنين من جهة والأُخُوَّة الإنسانية العامة من جهة أخرى، لأن لكل منهما مجاله وحدوده؛ فَأُخُوّة الدين والإيمان تتطلب الترابط والتعاون والتضامن والإيثار لبناء المجتمع المسلم، والأخوة الإنسانية تتطلب العمل الجاد لإصلاح الإنسانية، وإنقاذها من مهاوي التردي والانحراف والضياع والضلالة، وإسعادها في دنياها وأخراها.

لقد كان التشريع القرآني أنموذجاً فريداً اتسع لكل البشر، فلم يتأثر بنـــزعة عرقية أو طائفية أو عنصرية، وإنما اتجه إلى مراعاة المصلحة الإنسانية المطلقة، فلم يفضل مسلماً على غيره في القضاء ما دام الحق مع غير المسلم. ومن أروع الأمثلة على هذا أنه **في عهد النبوة** «سرق طعمة **بن أبيرق**... درعاً من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق كان فيه، وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود. فالتمست الدرع عند طعمة، فلم توجد، وحلف ما أخذها، وما له بها من علم، فتركوه، واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي، فأخذوها، فقال: دفعها إليّ طعمة، وشهد له

ناس من اليهود. فقالت بنو ظفر [قوم طعمة]: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي، فهمّ رسول الله أن يفعل، وأن يعاقب اليهودي، وقيل: هم أن يقطع يده...»[1]، فنزلت تسع آيات من القرآن من سورة النساء توضح الحقيقة، وتنصف اليهودي، وتبين محل التهمة، وأن مرتكب السرقة هو طعمة المسلم؛ قال الله تعالى في ذلك: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾.

(١)تفسير النسفي للآيات المتعلقة بهذه القصة في سورة النساء (١/ ٣٥٩- ٣٦٢).

لقد كان هذا المثل منبراً للعدالة في التشريع القرآني، وإنصافاً للحقيقة، وإكراماً للإنسان مطلقاً، بغض النظر عن أي اعتبار ديني أو قومي أو عرقي أو طائفي.

وقد **أخبرتنا السنة** النبوية المطهرة عن مثال آخر يوازي المثال الأول: «إن النّبي ﷺ مرت به جِنازة فقام، فقيل له: إنّها جنازة يهودي! فقال: أليست نفساً»[1].

إن هذه الإنسانية الفذة- التي ما عرف العالم مثلها يوماً ما- أدت إلى دخول أعداد هائلة من أتباع الديانات الأخرى في الإسلام، لينضووا تحت راية هذا الدين الجديد اعتقاداً وسلوكاً، ويقيموا حضارة امتدت أجنحتها فَسَدَّت الخافقين.

٨- مفهوم المال في القرآن ودوره في الحياة:

المؤمن في القرآن مطالب بالغنى، وهناك ركنان أساسان من أركان الإسلام لا يستطيع المرء تنفيذهما إلا إذا كان غنياً، وهما الزكاة والحج، ولذلك دعا الإسلام الفرد إلى العمل، ونهاه عن التكاسل والبطالة، قال الله- تعالى-: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ

(١) أخرجه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى ﷺ، في كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، برقم ١٢٥٠.

وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ [سورة التوبة]، وورد في **الحديث الشريف**: «إن الله يحب المؤمن المحترف»[1]، **وفي الأثر**: «يقال: ما شر شيء في العالَم؟ قال: البطالة»[2]؛ **وكذا في الأثر**: «رأى النبي ﷺ رجلاً يده خشنة، فقال ﷺ: هذه يد يحبها الله ورسوله»[3].

لقد حث الرسول الكريم ﷺ صحابته على الكسب الحلال، وأكد لهم أن الأنبياء كانوا يعملون ويأكلون من كسب يدهم، ولم يكونوا- في يوم من الأيام- كَلاًّ على الناس، ووضّح ﷺ لهم أن **داود**- عليه السلام- كان يأكل من كسب يده، **فقال** ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود- عليه السلام- كان يأكل من عمل يده»[4].

ولم يرضَ **النبي** لأحد من صحابته أن يسأل الناس. فعن **أنس**

(١)أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر رضي الله عنهما، برقم ٨٩٣٤؛ وقال العراقي في المغني (٢/ ٣٥٠): وابن عدي ضعفه.

(٢)أخرجه البيهقي- في شُعَبه- عن عروة بن الزبير ﷺ، برقم ١٩١٤؛ وهو ضعيف، وله شواهده [انظر: كشف الخفاء (١/ ٢٥٠)].

(٣)أخرجه الخطيب في كتاب ‹المتفق والمفترق› عن أنس؛ وقال ابن حجر في الإصابة (٣/ ٨٦): وهو ضعيف، وسعد هنا أنصاري غير ابن معاذ سيد الأوس ﷺ.

(٤)أخرجه البخاري عن المقدام بن معد يكرب ﷺ، في كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، برقم ١٩٦٦.

«أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله... وقال ﷺ: ... اشتر قَدّوماً، فأتني به... فشدَّ فيه رسول اللّه ﷺ عوداً بيده، ثم قال له: اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينَّك خمسة عشر يوماً... فجاء وقد أصاب عشرة دراهم... فقال رسول الله ﷺ: هذا خير لك من أن تجيء المسألةُ نكتةً في وجهك يوم القيامة...»[1].

ولكن المال في تقدير الإسلام وسيلة لا غاية، وسبيل لصون النفس عن الابتذال، وطريق لإعزاز المؤمن وصون كرامته، وأداة لتقدم المجتمع ورفعته، والدفاع عن حرماته ووجوده.

ولما كان للمال إغراءات، ويمكن أن يكون سبباً للطغيان والانحراف والظلم، حذر القرآن من فتنته، ووصفه بأنه زينة الحياة الدنيا، وأن الدنيا بمتعها ونفائسها وموجوداتها متاع الغرور، فقال عز من قائل: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الكهف]، وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الحديد].

(١)أخرجه أبو داود من حديث أنس بن مالك ﷺ، في كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة، برقم ١٦٤١؛ وهو ضعيف. والقدوم هو الفأس.

وصَرّح القرآن الكريم بأن المال سبب الطغيان في قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [سورة العلق].

لذلك دعا الإسلام الإنسان إلى جعل المال في يده لا في قلبه، فدعا إلى الإنفاق والبذل والعمل على إسعاد الآخرين، **فقال** ﷺ: «الخلق كلهم عيال الله، فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله»[1].

وكذلك دعا إلى منع الاعتداء على حقوق الآخرين، وأكل أموال الناس بالباطل، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ .. ۝٢٩ ﴾ [سورة النساء].

وأمر القرآن بالتوسط في الإنفاق، بلا بخلٍ ولا شُحٍّ ولا إسراف ولا تبذير، فقال الله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧ ﴾ [سورة الفرقان].

فالإسراف والبخل موجب للحسرة والندامة، قال عز من قائل: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۝٢٩ ﴾ [سورة الإسراء].

(١)أخرجه القضاعي- في مسند الشهاب (٢/ ٢٢٣)- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو حسن.

وحذر من الترف وعاقبته؛ لأنه ينشر الأحقاد والضغائن، ويقضي على حياة الأمن والاستقرار، ويؤدي إلى جحود الحق والظلم والتسلط والبغي، وعاقبته الدمار والهلاك؛ قال سبحانه منذراً بتدمير المبطرين: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الإسراء].

وهكذا، نرى أن نظرة القرآن إلى المال كانت نظرة واقعية موضوعية أسهمت في استعماله الاستعمال الأمثل لبناء الحياة المزدهرة للفرد والأسرة والمجتمع على حد سواء.

والآن بعد أن استعرضنا أوجه بناء الحياة المزدهرة للإنسان على وجه الأرض في التشريع القرآني- لنتساءل:

أفلا يحق لنا أن نفتخر ونعتز بقرآننا وديننا العزيز؟!

أفلا يجب أن نعود إلى هذا الكتاب الخالد (القرآن) لننهل منه علومنا ومعارفنا، ونسحق بها جهلنا وتخلفنا، ونبني بها أمجادنا وعزتنا وسؤددنا؟!..

إلى متى سنبقى نرسف في قيود الذل والصّغار؟!

إلى متى سنبقى خاضعين لأهوائنا وشهواتنا وأنانياتنا؟!

إن القرآن الكريم لينادينا- بكل سورة من سوره- أن هلمّوا إليّ لبناء عقولكم، ولتكوين أسس سعادتكم. وإن النبي الكريم ﷺ قد بشّرنا بأن خير هذه الأمة أولها وآخرها، **بقوله عليه أفضل الصلوات وأزكى التحيات**: «خير أمتي أولها وآخرها، وفي وسطها الكدر»[1]. فتعالوا بنا لنبدأ في الطريق القويم، لعلّنا نكون فاتحة خير لآخر هذه الأمة، التي وصفها الله تعالى بأنها خير أمة أخرجت للناس، ووصفها النبي بالرشاد، **فقال** ﷺ: «إن الله لا يجمع أمتي- أو قال: أمة محمد- على ضلالة»[2].

(١)أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر عن أبي الدرداء ﷺ، الأصل ١٢٢، في أن خير هذه الأمة أولها وآخرها.

(٢)أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب الفتن، باب لزوم الجماعة، برقم ٢١٦٨، وهو صحيح.

وفي الختام، إننا لنرجو من الله- سبحانه- أن يسدد خطانا، ويوفقنا لسلوك طريق الخير والبر والفضيلة، الذي ارتضاه لنا بقوله عز من قائل: ﴿..ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ..﴿٣﴾﴾ [سورة المائدة].

المبحث السادس

ضرورة الأخذ بفقه القرآن بمعناه الواسع في حياة المسلمين [1]

(١) محاضرة ألقيت في المؤتمر الإسلامي العالمي، المنعقد في لوس أنجلوس في الولايات المتحدة، من ٢ إلى ٤/ ٨/ ١٩٩٦.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أولاً- الأفكار الرئيسة:

١- كتاب الله منهاج حياة وصراط هداية ودستور أمة، وعلى الدعاة وضع الخطط للعودة بالأمة إلى الأخذ بفقه القرآن بمعناه الواسع في سائر شؤون حياتهم.

٢- المقصود من الفقه في الحديث النبوي: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، هو الفقه بكل الدين روحياً وفكرياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً واجتماعياً وعبادياً وقضائياً.. وبكل ما يتعلق بحاجات الناس دنيوياً وأخروياً، وليس المقصود بالفقه في المصطلح النبوي الفقه المحصور بالأحكام الشرعية العملية، وما جاء في القرآن من آيات التشريع فقط، بل هذا جزء من الفقه وليس كل الفقه المطلوب، وإلا فماذا بشأن باقي آيات القرآن؟!.. أليست مكْمن تشريع ومصدر استنباط لما تحتاج إليه الأمة في دنياها وأخراها.

٣- عندما أخذ المسلمون الأوائل بالمعنى الواسع للفقه تحولوا إلى معجزة تاريخية وقف أمامها علماء الشرق والغرب بين محلل فاهم ومندهش حائر.

٤- من أمراض المسلمين- اليوم- الانشغال بالشكليات في القرآن وترك العمل بالجوهر والأهداف، ما جعلهم في ضياع وتخلف، على الرغم من عنايتهم بطباعة وتفسير وإقراء القرآن.

٥- تكثيف أعداء الإسلام جهودهم على سلخ روح القرآن وأهدافه من حياة المسلمين.

٦- هجر المسلمين للعلوم الكونية والحياتية واعتزازهم بالفقر مع الاقتصار على بعض الواجبات الدينية أدى كل ذلك إلى تخلف الأمة الإسلامية وركودها.

٧- وحال الركود أدت إلى ضعف قوة الأمة الإسلامية واستعمار بلادها، ونشوء فئة ذات فكر عدائي للإسلام ادعت أن الإسلام سبب جهلنا وفقرنا وضعفنا، واتجهت لحل مشكلات الأمة من خلال الأفكار المستوردة من الأمم الأخرى.

٨- بعضهم حاول الخروج من حال الضعف فوضع الحلول على نحو مندفع طائش مراهق أساء إلى الإسلام والمسلمين، بسبب فقدهم الحكمة وسلوك المنهج السليم.

٩- وجوب تضافر جهود العلماء بدعم من الحكام والأغنياء الأتقياء لترشيد الصحوة الإسلامية والرجوع إلى فقه القرآن بمعناه الواسع.

١٠- يتمثل الرجوع إلى فقه القرآن بمعناه الواسع في خمسة مجالات:

أ- مجال العقيدة:

- سلك القرآن في إثبات العقيدة الإسلامية سبلاً سهلة، خالية من التعقيد والفلسفة، تخاطب العقول وتناسبها، وتجذب القلوب وتطهرها، وتحارب التقليد والتبعية العمياء.
- تأكيد حرية الاعتقاد ومحاربة الإكراه.
- العمل على تحرير عقل الإنسان ومنحه حرية التفكير.
- تحذير المتطرفين الجاهلين من الآثار الوخيمة المترتبة على تكفيرهم المسلمين.
- أوضح القرآن الموقف من العقائد الأخرى، ولكن بعض المسلمين الجاهلين بفقه القرآن لا يميزون بين من يحارب المسلمين ومن يسالمهم من أصحاب العقائد الأخرى.

ب- مجال الروح والأخلاق:

- القرآن كتاب تربية وتزكية إلى جانب العقيدة والتشريع.
- التزكية ثلث مهمة النبي في دعوته.
- التزكية مدرسة جميع الأنبياء والصحابة والسلف.
- في عصر تخصص العلوم وإطلاق المصطلحات برزت كلمة "الصوفية" للتعبير عن معاني التربية والتزكية.
- انحراف بعض المنتسبين لتلك المدرسة، ومغالاة آخرين في تسمية الصوفية بالضلالة والكفر، سبَّبَ تفرق المسلمين.
- تركُ بعض دعاة التصوف أسباب الدنيا سبب في نبذ الصوفية، وفي ضعف ووهن الأمة الإسلامية وتخلفها.
- كل ذلك يوجب علينا العودة إلى فقه القرآن في التزكية والتربية الروحية، وذلك في ثلاث نقاط:

● **التزكية في القرآن** مدرسة الأنبياء والعارفين، وهي واسعة لتشمل ثمرة التزام المؤمن بأوامر ربه في الصلاة والزكاة.

● **الذكر مطلب قرآني** لكل مسلم في جميع الأوقات، جعله حقيقة الصلة بين العبد ومولاه، ولندع التسميات من تصوف وغيره من المصطلحات ولنأخذ بمصطلحات القرآن والسنة.

● **الزهد في القرآن** انصراف عن ملذات الدنيا من غير القعود عن تحصيل الرزق؛ فأركان الإسلام وشرائعه من حج وزكاة وكفارات تقود إلى اتصاف أتباعه بالغنى لا بالفقر.

ج- مجال الفقه والمذاهب:

- فقه القرآن بمعناه الواسع حدد للفقه المذهبي خصائص التشريع، التي بنيت على رفع الحرج والوسطية والتطور.
- قامت المذاهب الفقهية على هذا الأساس قاصدة تحري الصواب، ملتزمةً باحترام رأي الآخرين، بعيدة عن التعصب.
- انحراف بعض أتباع المذاهب عن أسس أصحابها فرض التعصب وإغلاق باب الاجتهاد، ونتج عنه الاختلاف والتنابذ والانشقاق والتخلف.
- لا يجوز الاقتصار على ظواهر الأحكام وهيئاتها من دون البحث في حقائقها؛ لأن ذلك من فقه القرآن بمعناه الواسع.

د- المجالان العلمي والفكري:

- الأخذ بفقه القرآن بمعناه الواسع في طلب العلم وضرورة التفكر، بنى أمة عالمية استلمت قيادة العالم في هذا المجال قروناً، وكانت سبباً لتقدم العالم اليوم.

- ظهور تناقض بين واقع المسلمين اليوم في مجال العلم ودعوة القرآن والسنة للعلم والتفقه والتفكر والتدبر ونشر العلم ووجوب التعلم.
- ثلاث **حقائق مهمة في سبيل العودة إلى فقه القرآن في المجال العلمي والفكري:**

● فرضية العلم في الإسلام بنوعيه العيني والكفائي.

● وجوب اقتران العلم بالحكمة كما بين القرآن والسنة؛ فالعلم بلا حكمة سلاح فتاك كما في واقعنا.

● غاية العلم في الإسلام إسعاد الإنسان ، وليس استخدام العلوم سلاحاً لتدمير الحياة البشرية بأسلحة الدمار الشامل، وتلويث البيئة، وجعل العلم بيد إنسان لا يخشى الله تعالى، وتتغلب وحشيته على إنسانيته أمر خطِر للغاية.

هـ- المجال الاجتماعي الحضاري:

- فقه القرآن بمعناه الواسع أصل نشأة وتطور المجتمع الإسلامي وأساس عظمة حضارته التي بناها المسلمون الأوائل وما زالت آثارها موجودة إلى الآن.

- دلائل دعوة كتاب الله إلى بناء المجتمع الإسلامي الحضاري المتكامل:

● أسماء السور التي تدور معانيها حول المجتمع والسياسة والفكر والكائنات الطبيعية والأنبياء أكثر من أسماء السور في العبادات والتشريعات الدينية.

● في **علم الزراعة والنبات** أكثر من خمسين آية تبحث في أمور يفقهها علماء الزراعة، وسورة كاملة في السدود وصناعة الري (سورة سبأ).

● في **علم الفلك والحساب** أكثر من خمسين آية تدعو وتبحث فيهما، فقهها الأولون فأخرجوا النظريات إلى العمل والرصد واكتشاف كروية الأرض وضبط حركة الشمس وابتكار علم الجبر والجمع بينه وبين الهندسة.

● في **علم الصناعة** آيات كثيرة دعت إلى الصناعات بأنواعها حربية ومدنية.

فعلى المسلمين اليوم التفقه بالقرآن الكريم وإعادة ترتيب قدراتهم للمشاركة في بناء الحضارة ونهضتها مجدداً.

١١- توصيات في سبيل تحقيق الأخذ بفقه القرآن بمعناه الواسع:

١- إيجاد مجلس إسلامي عالمي أعلى يضع منهجاً وبرنامجاً له خطوات ومراحل يرشّد الصحوة الإسلامية.

٢- إيجاد مدارس وجامعات تعمل بمقتضى فقه القرآن الشمولي لتخرّج قيادات في كافة الاختصاصات التي تحتاج إليها الأمة لنهضتها.

٣- تعاون العلماء الشرعيين مع المختصين في العلوم الحياتية في إيجاد تفسير يستمد قواعده من مناهج المفسرين ويواكب ضرورات الحياة الإنسانية المعاصرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص المبحث

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الإسراء]، **ويقول الرسول الكريم** ﷺ: «كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل... وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه... من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم»[1].

إن الناظر في مثل هذه التوجيهات القرآنية والنبوية الحكيمة يعلم حق العلم أن كتاب الله- عز وجل- صراطُ هدايةٍ رشيدة، ومنهاج حياة

(١) أخرجه الترمذي من حديث علي ﷺ، في كتاب ثواب القرآن، باب فضل القرآن، برقم ٢٩,٨؛ وهو ضعيف.

قويم، ودستور أمة سامية. ليس هذا فحسب؛ بل إنه يجد- تكراراً- صريحَ الدعوة إلى تدبر القرآن، وفهم آياته، والاعتصام به، والتشنيعَ والتوبيخ لمن جحده أو منع عقله أن يفقهه، وفي هذا يقول الحق عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة محمد].

هذا وإن المسلمين اليوم- وحالهم يرثى لها-لفي أمس الحاجة إلى العودة إلى كتاب ربهم، لتستقيم لهم حياتهم، ويتحقق لهم فيها العزة والكرامة، والسعادة والحفاوة. فمن الضروري والواجب على الدعاة، رسم المنهج الذي تصح به عودة الأمة إلى الأخذ بفقه القرآن العظيم بمعناه الواسع في سائر شؤون حياتهم: ﴿.. قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة الأنعام].

ولقد اتفق معنى الفقه في اللغة مع ما أراده البيان الإلهي في كثير من آياته، فالفقه لغة: إدراك الشيء والعلم به والفهم له[1]. ولقد درج المسلمون الأوائل على إنزال هذا المعنى على الوحي الإلهي، على إطلاقه وشموليته، ولكل العلوم والأحكام والحكم وغير ذلك مما تحمله آيات القرآن الكريم، ليفوزوا بمقام الخيرية عند رب العالمين، مصداق **قوله** ﷺ: «من يُرد الله به خيراً يفقهْه في الدين»[2].

(١)معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٤/ ٤٤٢).

(٢)أخرجه البخاري من حديث معاوية ﷺ، في كتاب العلم، باب من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين، برقم ٧١.

ثم خلف من بعدهم خلف حصروا الفقه بالأحكام الشرعية العملية كالعبادات والمعاملات والحدود والعتق وغيرها.فكان حظ القرآن من هذا الفقه ما جاء فيه من آيات تشريع، لم يتعداها الفقهاء، وكأنما هي القرآن كله.

فماذا بشأن سائر القرآن؟ وأي مبرر لهذا التقييد؟ فكل آية في القرآن الكريم مكمنُ تشريع، ومصدر استنباط للأحكام. وهذا هو ما مشى عليه أول هذه الأمة؛ فلَمْ يقفوا على بعض القرآن من دون بعض، بل أخذوا فقهه بمعناه الواسع علماً وعملاً وتطبيقاً[1]. فالعمل بفقه القرآن الكريم كاملاً واجب على المسلمين: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [سورة الأنعام].

وبحسن فهمهم وصحيح اتباعهم تحولوا إلى معجزة تاريخية. فمن أمة أمّية، ومجتمع جاهلي، يتخبطون فيه خبط عشواء. لا نصيب لهم في حضارة ورفعة، ولا باع لهم في جد وعزة، غرقوا في فرقتهم وتناحرهم وتخلفهم إلى الحضيض. ولولا بقية من مكارم الأخلاق فيهم كالنجدة والمروءة والكرم لزالوا من الوجود. وإذ بهذا الكتاب العظيم- وبأقل من ربع قرن- يُحدثُ فيهم معجزته التاريخية، وينقلهم إلى أمة مُوَحدة نيرة،

(١) الروح، لابن قيم الجوزية، ص١٧٩- ١٨٠.

حملت الخير في كيانها، ومن ثمّ ضربت في الآفاق، مبلغة كتاب ربها، وحاملة الخير والرحمة والنور للعالمين. ولقد سجل الله هذه المكرمة لكتابه وللمسلمين، لتكون باعثاً وداعياً إلى فقه كتابه، فقال- تعالى-: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ... ﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

ولقد تحدث علماء الشرق والغرب عن هذه المعجزة التاريخية التي جرت على أيدي المسلمين، وهم بين محلل فاهم ومندهش حائر، أو تائه ناقم. ففي ‹قصة الحضارة› **يكتب وِل ديورانت**: "ولا يزال ما جرى في القرن السابع الميلادي في جزيرة العرب غامضاً على التحليل التاريخي المادي، لا تعرف أسبابه"(١).

ولكننا نعرف السبب الذي بهديه وخيره ونوره رفرفت راية الإسلام على شطر العالم القديم، من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً، وأزاح أعظم قوتين عالميتين حين ذاك، إنه القرآن الكريم، عندما فقهوه حق فقهه، واعتصموا بهديه حق اعتصامه.. ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

(١) قصة الحضارة (١٣/ ٣٦١).

ولما كنت موقناً بأن القرن القادم[1] قرن الإسلام إن شاء الله، وأن المستقبل للإسلام، ولما كان حال المسلمين اليوم في بُعد عن حقيقة القرآن؛ فإني حريص على تشخيص أوضاع المسلمين، وبيان أمراضهم، ثم عرضها على كتاب الله عز وجل، لأخذ العلاج الناجع، والدواء النافع. فلقد كان القرآن- وسيبقى- ملجأ المسلمين وملاذهم، لنيل عزهم، ورفع مكانتهم، وتقدمهم، وفلاحهم ديناً ودنيا وآخرة.

لقد حفل القرآن الكريم في أيدي المسلمين بالجمع والحفظ وفق أعلى درجات الوثوقية التي يتصورها عقل، من عهد الصحابة الكرام- رضوان الله عليهم- وإلى يومنا هذا؛ فقد صار في نسخ فاخرة تعدّ بمئات الملايين، وتنتشر في أنحاء العالم، وعلى هوامشها تفسيرات وشروح بعشرات اللغات، وإلى جانبها انتشرت مدارس إقراء القرآن الكريم وتعليم أحكامه. واستعمل المسلمون لذلك أحدث الوسائل والخدمات التقنية، من كتب مطبوعة، وأجهزة إعلام وبث، وتسجيلات صوتية ومرئية، بأحسن الأصوات وأوضح اللهجات، وهذا سهل السبيل إلى قراءة القرآن وإقرائه؛ وهو الأمر الذي كان يهاجر المؤمن في طلبه من صنعاء إلى المدينة المنورة، ومن نيسابور إلى الكوفة.

والسؤال الذي يفرض ذاته هنا: ما بال المسلمين اليوم في ضياع

(١) وهو القرن الحادي والعشرون.

وتخلف، وجهل وتقهقر، وهم على هذه الدرجة من العناية الظاهرية بالقرآن الكريم؟! وهل يتسنى لنا القول: إن المسلمين أضاعوا كلام ربهم؟!

ومن القرآن الجواب، فهو الذي عاب ونعى على طائفة من أهل الكتاب اتخذوا ما أُنزل عليهم أماني (قراءات)، يكتفون بترتيله، مبتعدين عن فقهه والعمل به، قال الحق- عز وجل-: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [سورة البقرة]..

وذكر أقواماً منهم كانوا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [سورة آل عمران]..

وعلى الرغم من وجود التوراة بين أيديهم، لم يفيدوا منها شيئاً، فكان مثلهم مثل البهيمة التي لا تعقل.. ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة الجمعة].

وهكذا، هان عليهم تعطيل عقولهم فكراً وجوارحهم عملاً عن الأخذ بكتاب الله عز وجل، فلم ينصفهم عكوفهم على قراءته، وتفننهم في زخرفته.

والحال نفسها كانت سبباً من أسباب انحطاط المسلمين اليوم؛ وهي الانشغال بالشكليات عن العمل بالجوهر والأهداف، وهذا الذي أراده أعداء الإسلام من المسلمين، وهو الأمر الذي استطاعوا به خلخلة صفوف المسلمين، وتشتيت شملهم، وتفريق وحدتهم، وهذا شأن أعدائنا عبر التاريخ؛ فجحافل التتار، وخيول المغول، وحملات الصليبيين، وزوال الخلافة، وغير ذلك، جميعها شاهد حق على طبع أعداء الإسلام. ولكن على المسلمين- في وجه ذلك كله- أن يبتغوا النصر من الله عز وجل، بحسن العودة إلى دينهم، وحقيق الفهم لكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ.

إن أعداء الإسلام لم يفتؤوا يكيدون للإسلام وأهله، وهذه عادتهم، ففكروا كثيراً وقدروا منذ القرن التاسع عشر الميلادي، عملوا على إضعاف المسلمين عبر محاولات كثيرة، جربوا فيها جميع ما يملكونه من قوة ومكر وطغيان؛ فاضطهدوا وأبادوا وشرّدوا، ولكن ما حصدوا من ذلك إلا الشوك والحنظل، إلى أن عرفوا سِرّ الخلاص من المسلمين ومفتاحه.. إنه القرآن الكريم. وهاكم بعض دعواتهم؛ **يقول المبشر تاكلي**: "يجب أن نستعمل القرآن- وهو أمضى سلاح في الإسلام- ضد الإسلام نفسه، حتى نقضي عليه تماماً. يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً"[1]. وفي

(١) التبشير والاستعمار، لفروخ والخالدي، ص٤٠.

سنة ١٩٥٩ **صرح غلادستون** [وزير المستعمرات البريطانية]، وهو ممسك بالقرآن في يده: "ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربة السيطرة على الشرق"(١). وفي سبيل ذلك سعوا، فما كانت النتائج؟!.

إن أعظم كارثة حلت بالمسلمين يوم ابتعد الكثيرون منهم عن حقيقة دينهم من قرآن وسنة. فلم يلبثوا أن دبت فيهم الفرقة، وازدادت بينهم الشقة، وأخذت الأنانية والمصالح الخاصة والمشتركة مع أعدائهم تجعلهم دويلات متفرقة، مزقت جسدها حدود مصطنعة، وفرقت وحدتها أيد غربية ومستغربة. وليت الأمر انتهى هاهنا؛ بل لقد تعدّاه- وللأسف- إلى حرب المسلمين بعضهم بعضاً، توهيناً لقوتهم، واستزافاً لقدراتهم، وذهاباً بما بقي فيهم من وحدة لم تتجزأ! ومما زاد الطين بِلَّةً ما حَلَّ بعقول المسلمين من تعطيل وخمود، وفكرهم من سقم وجمود؛ فإذ بهم يحبسون فريضة العلم، ويتوقفون عن بناء العقل الحكيم، ويغالون في التوجه نحو ترك الأعمال الحياتية، ويقتصرون على بعض الواجبات الدينية من عبادات ومعاملات وتفصيلاتها الدقيقة على حساب غيرها من الواجبات القرآنية والنبوية؛ التي يكمن فيها جزء مهم في بناء المجتمع الإسلامي المتكامل، كالعلوم الكونية والحياتية والمعرفية.

(١) المرجع السابق، ص٤٠.

فاعتزوا بالفقر، والقرآن يحاربه. وغرقوا في الجهل، والقرآن يمقته. وحرّفوا النافع من العلم، بل الضروري، على الرغم من أن القرآن يدعو إليه؛ فصار الغنى عيباً وعاراً، وعُدت علوم الكون كفراً وإلحاداً، والمرض فضيلة وثواباً.

وظل المسلمون راقدين في سباتهم العميق، لم يفيقوا منه إلا وجحافل المحتل جاثمة على الصدور. وماذا يُرجى من المحتل عدو الإسلام إلا التنكيل والتعذيب، والتفقير والتجهيل، واستنفاد الخيرات، ونهب الكنوز والثروات؟ فحال بين المسلم وسعادته، وفرض وصايته عليه عقلاً وفكراً، ومادة وسياسة، إلى أن قامت- وتقوم- في كثير من بلاد المسلمين دعوات من عقول غسلت بفكر عدائي للإسلام، وألسنة رضعت من لبان صليبية صهيونية حاقدة، تدعو إلى استبدال رسالة الإسلام بغيرها، باذلة ما تستطيعه في سبيل الخلاص من وحي السماء، والتبرّي من رسومه وتعاليمه، مدعين أنه سبب جهلهم وفقرهم وضعفهم.

وهكذا، منذ بداية هذا القرن[1]، والليل مطبق على المسلمين صباح مساء، وإذ بالأمة الإسلامية- التي كانت لها الكلمة الأولى والكلمة الأخيرة في كل شأن يبرم على وجه الأرض- تعدم ثقلها، وتلجأ في حل شؤونها إلى أمم أخرى، تكيد لها العداء، وتحمل

(١) وهو القرن العشرون.

للمسلمين الضغينة والبغضاء. وهذا بدوره أدى إلى ظلم المسلم، بل الإنسان في بقاع كثيرة على وجه هذه المعمورة. فمن للأخلاق الحميدة، وللمظلومين، وللكرامة الإنسانية غير الإسلام؟! ومن يقف في وجه التحلل والرذيلة والفساد غير الإسلام؟!

وإزاء هذه الأزمة التي يعانيها العالم الإسلامي اليوم، والانحطاط الذي آل إليه وضع المسلمين في جوانب شتى من الحياة، وما رافق ذلك من فساد وضياع، وفقر وجوع وظلم وحرمان، واستعباد وطغيان، كان لا بد من أن نبحث عن **حل ومخرج**، تزاح به الغشاوة، ويُدفع به الخطر العظيم.

وعلى كثرة الدعوات، وتعالي الصرخات التي تهيب بالمسلمين اليوم العودة إلى حقيقة الإسلام؛ حاولت فئات كثيرة تلبية الدعوات وإغاثة الصرخات على نحو مندفع طائش، أو مدفوع مراهق، فأساءت إلى الإسلام والمسلمين أضعاف ما كانت ترجوه من صلاح حالهم، لأنهم فقدوا الحكمة والعقلانية في سلوك الطريق القويم والمنهج السليم في العودة. فمثلهم مثل قوم أخبروا عن كنز ثمين وراء جدار مرتفع عظيم، فتنادوا مسرعين، يتطاولون الجدار، فسقط من سقط، ومات من مات، والمشكلة أن الجميع تركوا اللجوء إلى باب الدار، للوصول إلى الكنـــز بيسر وأمان.. ﴿..وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [سورة البقرة].

فالكنـــز هو الإسلام، والباب هو القرآن، ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟!..

إنه يكمن في ترشيد الصحوة الإسلامية اليوم، وبيان المنهج القويم الذي تحمله آيات القرآن الكريم، والسنة النبوية الرشيدة. ومثل هذا لا يكون بالتمني والأحلام، بل لا بد من أن تتضافر جهود المسلمين: علماء حكماء، وحكام شرفاء، وأغنياء أتقياء، وجماهير عقلاء؛ فالمشكلة في المسلمين أفراداً وجماعاتٍ، والحل بيدهم و.. ﴿..إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ..﴿١١﴾﴾ [سورة الرعد].

فالضرورة تحتم علينا الرجوع إلى فقه القرآن الكريم بمعناه الواسع، لنأخذ منه ما نحن بأمس الحاجة إليه في مجالات شتى، ضيعها أو قصر فيها المسلمون، وهاكم بعضاً منها:

أولاً: في المجال العقدي:

في مجتمع الجاهلية العمياء، وعبادة الأحجار والأوثان الصماء، صدح صوت الإسلام معلناً عقيدة التوحيد لله الواحد القهار.. ﴿قُلْ هُوَ

﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص].

وهذه الحقيقةُ حرص الإسلام- منذ بزوغ فجره- على إيصالها إلى الناس، كل الناس، في جزيرة العرب وخارجها. وقد سلك في إثباتها سُبُلاً سهلة، خالية من التعقيد والفلسفة والتكلف، تخاطب العقول وتناسبها، وتأخذ القلوب وتطهّرها، وتحارب التقليد، وتنبذ التبعية العمياء، وتشنع على من يسير من غير هدى وفق المبدأ الجاهلي القائل.. ﴿.. إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۝٢٣﴾ [سورة الزخرف].

وهي في هذا لم تكلف الإنسان ليعرف ربه وعبوديته له إلا أن ينظر في ذاته، وفيما حوله من أرض وسماء، ليدرك بديعَ خلق الله وترابط سننه، واطراد قوانينه.. ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٦٤﴾ [سورة البقرة].

ثم أعلن القرآن- ضمن هديه القويم- عن مبدأ عظيم، تجلت فيه حكمة الخالق في خلقه، ومقدار تكريمه لعباده؛ في ترك **حرية الاعتقاد** لهم، احتراماً لإرادة الإنسان؛ فليست العقيدة مسألة جبر وقسر، بل هي مسألة حرية وبيان واقتناع؛ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ

ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [سورة البقرة]، ويقول تعالى: ﴿.. وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ..﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة الكهف].

ولم يقف القرآن هنا، بل دعا إلى تحرير عقل الإنسان وتحرير جسده. فقد قاوم كل من يقف في وجه نشر رسالة الإسلام السمحة، التي تدعو إلى رفع الظلم عن العباد، وإزاحة الطغاة والطغيان، ممن يستعبدون الناس ويحولون دون وصول نور الهداية القرآنية إليهم، بما تحمله من حرية وكرامة، وعزة وسعادة.

وإن الناظر في تاريخ الفتوحات الإسلامية، يقرأ عن بلاد كثيرة- كحمص وسمرقند وغيرهما- فتَحت أبوابها للمسلمين، لكي تتحرر من طغيان ملوكها، وسلطنة أباطرتها، وإرهاب علماء الدين فيها، ولأنها وجدت في الإسلام نداء الفطرة فيها.. ﴿..فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ ..﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الروم]؛ وقد سجلها **الرسول الكريم** ﷺ **بقوله:** «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[1].

ولقد كان هذا الهدف النبيل مفخرة للمؤمنين الفاتحين. فعندما سأل **رستم**- قائدُ جيش الفرس- ربعيَّ **بن عامر** عما جاؤوا إلى القادسية من أجله، فأجابه: "أتينا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ، في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟، برقم ١٣٥٨.

عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام"[1].

فبتلك السماحة والعقلانية، والتبصر والإنسانية، جاءت عقيدة الإسلام ضاربة بفلسفات العقائد عُرض الحائط، فلم تقبل فلسفة الإغريق، ولا خيالات اليونان، ولا تأويلات أهل الملل عبر الأزمان، وكله بفضل تعاليم القرآن؛ يقول تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

ولقد قامت- في تاريخ الإسلام- دعوات كثيرة، حاولت هدم تلك العقيدة في نفوس المسلمين، ودس السم لهم بوسائل شتى، من تعذيب واضطهاد واستعباد، ولكن عقيدة التوحيد بقيت راسخة في النفوس، نيرة بها العقول، طيبة بها القلوب، تجمع شمل المسلمين كلما فرقهم الأعداء، وتوحد كلمتهم كلما فرقتها الملل والأهواء؛ لأنها نابعة من القرآن الكريم، موئل الجميع وعنوان وحدتهم؛ يقول الحق عز وجل: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [سورة المؤمنون].

ومن المؤسف ما يتجرأ عليه بعض المسلمين اليوم، فينظرون إلى غيرهم من المسلمين نظرة المسلم إلى غير المسلم، وقد هانت كلمة

(١) تاريخ الأمم والملوك، للطبري، (٢/٤٠١).

التكفير على ألسنتهم، حتى صارت سلاحاً يشهر في كل آونة وحين، في وجه كل من يخالف هذه الجماعة أو تلك الفئة، وكأن المسلمين الآن في أزمة تكفير وإخراج من الدين! فأين قول الحق عز وجل: ﴿..وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا..﴿٩٤﴾﴾ [سورة النساء]، وقوله عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الفتح]، وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة آل عمران]؟!

وأي عذر لهذا التكفير، والتجرُّؤ على إخراج الناس من الدين أفواجاً، ما دامت أصول العقيدة واحدة عند الجميع، وثوابتها مقدسة عند الجميع؟ وإن جلاءها وسهولة إدراكها لا يستلزمان هذا التشديد، ولا ذاك الغلو، ولا ذلك التكفير.

العقيدة في القرآن إيمان بالله، ودعوة إلى بذل الطاقة والإمكان في مرضاته، بعقلانية كعقلانية القرآن، وحكمة كحكمة القرآن، ورحمة كرحمة الإسلام، ومنهجِ دعوة حكيمة كدعوة نبي الإسلام ﷺ؛ إذ يقول الله عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران] ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [سورة التوبة]. والنبي الكريم بيَّن هذا في حقه، **فقال** ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة»[1].

وأما عن موقف المسلمين من العقائد الأخرى وأربابها، فهو بينٌ صريح في القرآن الكريم، وعلى الرغم من ذلك فإن بعض المراهقين من المسلمين يظنون خطأ أن عقيدتهم تحتم عليهم معاداة كل الناس غير المسلمين، فأباحوا لأنفسهم ما حرمه الله واستباحوه، ورخصوا ما حفظه الله واسترخصوه. ولو فطن أحدهم وعاد إلى فقه القرآن، لوجد أن مثل هذه المواقف لا يرضى عنها كتاب الله عز وجل، ولا سنة النبي المصطفى ﷺ، ولا ما سار عليه الركب الأول. فقد قسم القرآن غير المسلمين في كتابه إلى قسمين، ووضح موقف المسلمين من كُلٍّ ببيان ناصع؛ فيقول تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الممتحنة].

وبعدُ: فتلك هي عقيدة القرآن، ساطعة نيرة، حاربت الأساطير،

(١) أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ، في كتاب الإيمان، برقم ١٠٠؛ وقال صحيح على شرط الشيخين.

ونبذت الخرافات، ورفضت التبعية العمياء، وحررت العقول، وخاطبت الأفكار والقلوب. فهل من خير للمسلمين إلا في الرجوع إليها، وفقه معانيها، والتزام مبادئها؟!!

ثانياً: في المجال الروحي الأخلاقي:

وكما أن القرآن الكريم كتاب عقيدة وتشريع، فهو كتاب تربية وأخلاق. دعا إلى التزام العبد بمكارم الأخلاق، وجميل الصفات، ومحاسن الآداب ليكون ذلك بينة لجوهر طاهر طيب، وهو النفس المزكاة المطمئنة. ولما كانت الطهارة الروحية والخلق الحميد رهيني تلك النفس المزكاة، فقد كانت التزكية ثلث مهمة النبي ﷺ في دعوته؛ يقول الحق عز وجل: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [سورة البقرة].

هذا، والتزكية في القرآن مدرسة الأنبياء والأصفياء والأولياء؛ فهي مدرسة **إبراهيم** الخليل عليه الصلاة والسلام.. ﴿..إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩﴾ [سورة الصافات]، ومدرسة **موسى**- عليه الصلاة والسلام- في الطور، و**يونس** في بطن الحوت، و**مريم** البتول.. ﴿..إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾ [سورة مريم]، وأهل الكهف، ومدرسة نبينا عليه

الصلاة والسلام في غار حراء، ومدرسة الصحابة الكرام- عليهم رضوان الله- في دار **ابن الأرقم** والمسجد النبوي والصُّفة.

ولقد استمرت هذه المدرسة القرآنية النبوية قائمة على تهذيب الأخلاق، وتربية النفوس، وملازمة ذكر الله عز وجل، إلى أن عرفت باسم **التصوف**، وأهلها **علماء التصوف**، في عصر بدأت فيه خصخصة العلوم واتخاذ المصطلحات لها، فظهر علم الحديث وعلم الفقه والأصول وعلم التفسير وعلم التصوف وعلوم اللغة العربية.

وقد برز من علماء التصوف أعلام أجلاء، كان جل هدفهم من هذه المدرسة إصلاح حال الأمة، بإصلاح خُلقها، وتزكية نفْسها. ولكن بعض المنتسبين إلى هذه المدرسة حادوا بها عن هدفها الأصيل، شأن كثير من المدارس، وأدخلوا عليها ما ليس منها، إلى أن صارت كلمة التصوف سلاحاً يفتك في وحدة المسلمين، وسبباً لفرقتهم ونفورهم من بعضهم، حتى شرع بعضهم يَسِمُ الصوفية بالضلالة؛ جملة وتفصيلاً، ونصب آخرون أنفسهم قضاة على خلق الله، فأخذوا يكيلون ما شاؤوا من أثقال التكفير والتفسيق والتبديع. وبالمقابل، فإن بعض دعاة التصوف زهدوا في الدنيا، واستكانوا واعتزلوا، وقعدوا عن كسب المعاش وتحصيل الأسباب، وغالوا في تصوفهم!!

وإزاء مثل هذا الوضع الحزين، صار من الضروري العودة إلى فقه

القرآن الكريم في مجال التربية الروحية، والتزكية النفسية، والخلق الحميد، وما يتبع ذلك من ذكر لله عز وجل، ومسألة الزهد، لنتعرف إلى حقيقة تلك المسميات، ولننتهي من كل غلو يخرج المؤمن عن كتاب الله عز وجل. وأهم تلك النقاط ثلاثٌ، هي:

١) فقه التزكية في القرآن الكريم: فقد رهن الله- عز وجل- فلاح العبد بتزكية نفسه، وخيبته وهوانه بفجور نفسه وعصيانها؛ إذ يقول تعالى في كتابه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [سورة الشمس]، ويقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [سورة الأعلى].

أضف إلى ذلك أن التزكية هي مدرسة العارفين بالله، من أنبياء وأصفياء وأولياء؛ وهي الهدف الذي يسعى الدعاة إلى إيصال الناس إليه. فهذا كليم الله **موسى**- عليه الصلاة والسلام- يعلمه ربه- عز وجل- كيف يدعو فرعون، وما أدراكم ما فرعون! وعلى الرغم من ذلك، أمره تعالى أن يدعوه إلى طهارة روحه لتكون مفتاح هدايته.. ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾ [سورة النازعات]. والتعليم نفسه كان لنبينا ﷺ.. ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝٤﴾ [سورة عبس].

وتتوسع التزكية في القرآن الكريم، لتكون ثمرة التزام المؤمن بأوامر ربه ونواهيه، مثل: الصلاة، والزكاة، والبيع والشراء، وغض البصر، والاستئذان، وغير ذلك مما ذُكر في كتاب الله عز وجل. ففي معرض ذكر الصدقات والزكاة، يقول الله عز وجل: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة التوبة]، ويقول تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الليل]. وفي معرض الأمر بغض البصر، يقول تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ.. ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة النور]. وفي آداب الاستئذان، يقول تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة النور]. وغير هذا من الهدي القرآني الذي غفل عنه المسلمون اليوم، فاعتنوا بظاهر الأوامر والنواهي، وأغفلوا حقائقها، فالمصلون كثيرون ولكن المزكى فيهم قليل.. ﴿.. إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة العنكبوت].

وهكذا، فالتزكية مطلب قرآني متعدد المراحل، فهي الهدف منذ اللحظة الأولى من الدعوة، وهي المعوّل عليه بعد الائتمار بالأمر والانتهاء بالنهي، وهي الخير المنشود للنفس.. ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ

لِنَفْسِهِۦ ﴿١٨﴾﴾ [سورة فاطر]، وهي أخيراً عنوان الفلاح في الآخرة.. ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة طه].

٢) **فقه الذكر في القرآن الكريم**: وليس الذكر أقل شأناً، ولا أنقص أهمية من التزكية في القرآن الكريم، فهو في القرآن مدرسة الليل والنهار، والصبح والمساء، في القيام والقعود، والحضر والسفر، وهو مبتدأ الطاعات ومنتهاها. إنه مدرسة القلب الخاشع، والنفس المطمئنة، والخلق المستقيم، والعقل النير الحكيم؛ يقول الله- عز وجل- في وصف أولي الألباب.. ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ..﴿١٩١﴾﴾ [سورة آل عمران].

وترى الآيات تحث المؤمنين على التزام ذكرهم لربهم قبل القيام بالفرائض والطاعات وفي أثنائها وبعدها، ليكون ذكرهم عنوان فلاحهم، وقبول أعمالهم؛ فبعد الصلاة يأمر الحق عز وجل فيقول..﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ..﴿١٠٣﴾﴾ [سورة النساء]، وبعد الحج.. ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ..﴿٢٠٠﴾﴾ [سورة البقرة]، وفي خِضَمِّ المعارك،

وتطاير الرؤوس، وخفقان القلوب.. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة الأنفال]، وغير هذه الآيات كثير، وهذا يجعل الذكر حقيقة الصلة بين العبد ومولاه.. ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الأنفال].

وعن **النبي** ﷺ: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»[1]. فالذكر حياة لا موت، نشاط لا خمول، عمل وتوكل لا تواكل وقعود. وإذا كان الله عز وجل قد أوجب ذكره في كتابه وعلى لسان نبيه بهذه الصورة المتكاملة؛ فهل للعبد عنه محيد؟ وإلى غيره سبيل؟ وأنّى لآخر أن ينكر ذكر الله ولا يمتثل أمر الله فيه بعد هذا البيان؟ فإن كان الخلاف والقصور بسبب التسميات، من تصوف وطُرُق ومشارب وغيرها، فلنترك هذه التسميات ولنعد إلى تسمية القرآن الكريم، وما سار عليه نبيه الأمين ﷺ والصحب الكرام والمسلمون الأوائل.. ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ ﴾ [سورة المزمل].

٣) فقه الزهد في القرآن الكريم: إن نزعة القرآن نزعة إنسانية، ودعوته دعوة حضارية متكاملة. وإن الناظر في هدي الكتاب والسنة وسيرة

(١) أخرجه البخاري عن أبي موسى الأشعري ﷺ، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، برقم ٦٤٠٧.

هذه الأمة، يجد أن الإسلام دين عز واقتصاد وغنى، لا دين ذل وفقر. فالزكاة والحج- وهما من أركان الإسلام- وغيرهما من الواجبات الدينية- كالكفارات والصدقات- يلزمها بذل وإنفاق المال. فهل يُعقل لدين- ثُلث أركانه، وكثير من أحكامه تدعو إلى الغنى وسعة ذات اليد- أن يدعي بعض أتباعه أنه دعوة إلى الفقر؟!! ثم إذا كان كذلك، فما معنى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [سورة البقرة]؟! وقوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [سورة القصص]؟! وما معنى **قوله** ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى»[1]؟ وعن عثمان- عندما أنفق صدقةً عشرةَ آلاف دينار بات ﷺ ليلته وهو يناجي الله **فيقول** ﷺ: «اللهم قد رضيت عن عثمان، فارضَ عنه (ثلاثاً)»[2]؟!.

نعم، إن السلف الصالح عَرَفوا الزهد، ولكنه عندهم انصراف عن الدنيا وملذاتها، وإقبال بقلوبهم على الله، على نحو لا يشغلهم مال ولا ولد عنه سبحانه. ولم يثنِهم ذلك العزوف عن الدنيا عن تحصيل الرزق

(١)أخرجه البخاري من حديث حكيم بن حزام ﷺ، في كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، برقم ١٤٢٧.

(٢)أخرجه ابن عساكر- في تاريخه- من حديث عائشة رضي الله عنها، حرف العين، عثمان بن عفان، برقم ٧٧٩٠؛ وهو صحيح.

وكسب المعاش.. ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الملك]، ولم يفهموا الزهدَ تواكلاً وخمولاً وكسلاً، إلى درجة قد تكون فيها يد العبد بعيدة عن الدنيا، ولكن قلبه منغمس في شؤونها، متعلق بها. فحقيقة الزهد هي ما جاء على لسان **الحسن** رضي الله عنه: "ليس الزهد بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهد أن تكون بما في يد الله أوثق بما في يدك..".[1]

وبعد هذه النظرة في كتاب الله وسنه نبيه، في هذا المجال، أقول: إن الحاجة- اليوم- ماسة إلى العودة إلى روح القرآن في مجال الروح والخُلق، ولاسيما أننا في زمان تستعمل فيه أحدث التقنيات العالمية معاولَ هدم لخُلقِ الفتيان والفتيات، وفتكٍ في تربيتهم وسلوكهم، وهي أشد فتكاً من رصاصة رشاش أو صاروخ عابر للقارات، ونتيجة ذلك نرى بين الشباب المسلم تحللاً وإباحية، ورذيلة وجاهلية، هذا الشباب الذي من المفترض أن يكون دعامة الحضارة الإسلامية الإنسانية!

ثالثاً: في المجال الفقهي المذهبي:

إن أهم خصائص الشريعة الإسلامية- المستنبطة من القرآن

(١) إيقاظ الهمم، لابن عجيبة (١/ ٦٠). وقال **ابن المبارك**: الزهد أن تزهد في الدنيا بقلبك [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٣٥٥)].

الكريم والسنة النبوية- هي الوسطية، لا التطرف والمغالاة، والمرونةُ لا الشدة والمعاداة، والتطورُ لا الجمود واللامبالاة.

وبتلك الخصائص، كانت الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، ولجميع الناس، وهاكم صريح القرآن.. ﴿.. هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ .. ﴿٧٨﴾﴾ [سورة الحج].. ﴿.. مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ .. ﴿٦﴾﴾ [سورة المائدة].

وفي ظلال تلك الخصائص قامت مدرسة التشريع الإسلامي ترفع المشقة، وتدفع الحرج، وتدرأ المفاسد، وتجلب المصالح والتيسير، وانتشر الصحابة الكرام في الآفاق يبلغون تعاليم هذه الشريعة السمحة، وقامت من بعدهم المدارس الفقهية، لتمسك بالراية وترفعها في بقاع عدة من العالم، إلى أن ساد الشرع الإسلامي عليها، لدرجة أنه لم يستطع قانون روماني أو فارسي أو يوناني أن يباري منهجه، أو يقف في وجهه.

هذا، وقد عُرف اختلاف أئمة المذاهب في الاجتهاد والرأي.. لا في الثوابت والأصول الشرعية، والصحابة- من قبلهم- اختلفوا حينما اجتهدوا، فعندما **قال** ﷺ: «لا يصلينّ أحد العصر إلا في بني

قريظة»[1]، فهِم بعضهم أن مراده الإسراع من دون تأخير، على حين فهم الآخرون الإسراع وإن أدى إلى التأخير. وعندما وصل الأمر رسول الله ﷺ لم يعنف أحداً منهم، فالجميع ينشد الحق، ويتحرى الصواب، وهذا اجتهاد؛ المصيب فيه له أجران، والمخطئ له أجر واحد، مصداق قوله ﷺ: «إذا حكم الحاكم، فاجتهد، ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»[2].

لذلك، فإن أرباب المذاهب نَأَوْا- على خلافاتهم الفقهية- عن المنازعات والخصومات، فقد كان جل همهم البحث عن الدليل، واحترام رأي الآخرين وأدلتهم، **ولسان حال الجميع**[3]: "إذا صح الحديث فهو مذهبي"، و "إذا رأيتم كلامي يخالف حديث رسول الله ﷺ فاضربوا بكلامي عرض الحائط".

وهكذا، نرى الإمام **مالك** رضي الله عنه يرفض رأي أبي جعفر **المنصور**، عندما همّ الأخير بحمل الناس على الموطأ، فذكر له الإمام مالك أن

(١)أخرجه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب صلاة الخوف، باب صلاة الطالب والمطلوب راكباً وإيماء، برقم ٩٤٦.

(٢)أخرجه البخاري عن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، برقم ٧٣٥٢.

(٣)وقال الشافعي: "ما منا إلا رَد ورُد عليه"، وقال مالك: "كل يؤخذ من قوله ويُترك إلا صاحب هذا القبر، وأشار لقبر رسول الله" [انظر: الفقه الإسلامي، للزحيلي (١/ ٣٥)].

أصحاب الرسول ﷺ أخذوا جميعاً من القرآن وفهموه، ثم تفرقوا في الأمصار، عالمين معلمين، فليس من المعقول ولا المقبول التعصب لكتاب من دون آخر[1] .

وبالتربية والعقلانية نفسيهما نرى الإمام **الشافعي** رضي الله عنه لا يَقْنُت في صلاة الفجر وهو يصلي قرب ضريح الإمام **أبي حنيفة** رضي الله عنه. وعندما يُسال عن ذلك، وقد خالف مذهبه، يجيب: "فعلت ذلك احتراماً لصاحب هذا القبر ودليله"[2].

وقد تقرؤون في تراجم العلماء والفقهاء، كم من عالم ترك مذهباً نشأ عليه، أو عدل عن رأي قال به، ولم نسمع أن أحد هؤلاء الأئمة أراد حمل الناس على مذهبه ورمى غيره بالردة، أو المروق من الدين، أو الزندقة، أو التفسيق، أو البدعة، أو الضلالة، أو التكفير.

(١) الميزان، للشعراني (١/ ٣٠). وعبارة الإمام مالك: (دَع الناس وما اختاروا لأنفسهم؛ فإن أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قد تفرَّقُوا في الأمصار، وعند كل أحدٍ من العلم ما لا يوجد عند الآخر، فإن حملتهم على رأي واحد تكن فتنة).

(٢) ذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد بإسناده (١٢٣/١) تبرك الشافعي بأبي حنيفة، حيث قال: ... أنبأنا علي بن ميمون قال: سمعت الشافعي يقول: إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم. فإذا عرضت لي حاجة، صليت ركعتين، وجئت إلى قبره، وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عني حتى تقضى". ورجال هذا السند كلهم موثقون عند الخطيب.

ثم خلف بعد هؤلاء خلف، أخذوا عنهم علمهم، ولم يأخذوا أخلاقهم وتربيتهم، فاتبع الآخِرون أهواء نفوسهم ورغباتها، وصاروا إلى حال سادت فيها بينهم الفرقة، وازداد الخلاف، واتسعت الشقة، إلى حد أن حرم بعض أهل هذا المذهب الاقتداء بغيرهم، أو الزواج منهم، وغير ذلك مما وصلوا إليه. فمثلهم مثل قوم وقفوا قبالة شجرة يانعة مثمرة، متع بعضهم ناظره بورقها، والثاني بثمرتها، والثالث بأغصانها، والرابع بساقها، والخامس بضربها في كبد السماء؛ ثم لما سئلوا عما رأَوْا، أخذ كلٌّ يمجّد ما متع به ناظره، مجادلاً، منازعاً ما رآه غيره، وقد نسي الجميع أن ما رآه كل منهم واختاره حسناً هو جزءٌ من أجزاء هذه الشجرة العظيمة.. ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

ولم يقف الأمر ها هنا، بل حمل الجمود والانعزال في عقول هؤلاء وأمثالهم- منذ بداية القرن الخامس الهجري- إلى إعمال الوصاية القسرية على العقل الإسلامي، فأخذوا- عبر قرون- بالدعوة إلى إغلاق باب الاجتهاد، بدعوى الحفاظ على الشريعة من فساد الزمان وعبث العباد؛ وقعدوا عند مسائل وأحكام اجتهد بها الأولون على حسب ما يصلح لزمانهم ومكانهم وأحوالهم، ولكن الكثير من الشؤون استجدّت عبر الزمان، واحتاج العالِمُ قبل الجاهل إلى معرفة حكم الإسلام فيها.

طبعاً، هذا كله في غير الثوابت التي لا اجتهاد فيها. ولكن ماذا يفعلون؟ فالاجتهاد مقفول الباب، والعقل أسيرُ آراء القدماء، وما استجد لا يوجد له عندهم جواب! فكانت النتيجة صيحات التحريم في كل مكان: لا يصح، لا يجوز، حرام؛ فتعطلت العلوم، ووقف المسلمون عن مواكبة متطلبات تطور الحياة، وآلت الحال إلى تخلف المسلمين وفقرهم وجهلهم، على حين تقدم أعداؤهم علماً وغنىً وحضارة.

وهؤلاء جميعاً نسأل: بأي حق يُعطل فهم قوله تعالى: ﴿.. وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ .. ﴿٨٣﴾﴾ [سورة النساء]؟ وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ .. ﴿٥٩﴾﴾ [سورة النساء]؟.

و«لما أراد ﷺ أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال ﷺ: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله. قال ﷺ: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله. قال ﷺ: فإن لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب رسول الله صدره وقال: الحمد لله الذي وفّق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسول الله»[1]؟

(١)أخرجه أبو داود عن الحارث بن عمرو، في كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، برقم ٣٥٩٤؛ وهو ضعيف. ولا آلو: لا أقصّر.

وبأي حق يعطل العقل الذي ما خُلق إلا ليفكر ويحلل ويستنبط.. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [سورة يوسف]؟ وبأي عذر تُكبت عقول أمة الإسلام رائدة الأمم عقلاً وفكراً وحضارة؟ ولأي سبب ذهبت أوراقها وتكسرت عيدانها وهي تتفيأ تحت ظلال أشجار؟ وأخيراً، بأي حق يُقصَر الفقه الإسلامي عند بعضهم على هيئات الأحكام وظواهرها، من دون البحث والدرس لحقائقها وبواطنها؟

أليس من الإنصاف والعدالة أن نعود اليوم إلى فقه القرآن كله، في العبادات والأحكام، وفي بناء الأمم ونشوئها، وفي بناء سعادة الدنيا والآخرة، لنعيش أحكامه وتشريعاته السمحة؟

رابعاً: في المجال العلمي الفكري:

إن الكثير من كتب التاريخ القديم والحديث يشيد بالمنزلة العلمية والفكرية التي وصل إليها المسلمون، وقد تربعوا قروناً عدة على عرش القيادة العالمية العلمية والفكرية، فكان ينهل من معينهم كل طالب، وتخضع لهم هامات أعدائهم. ولم يأت هذا من عبث، بل كان ترجمة للهدي القرآني الحكيم، وتعاليم النبي الكريم. فإن أول كلمة نطق بها وحي السماء، كانت حرباً لا هوادة فيها على الجاهلية والأمية، وكانت شعاعاً أزال حجب التخلف والضعف، وأنار سبُل التقدم والقوة،

فانبرى المسلمون يتسابقون في الانتساب إلى مدرسة قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [سورة العلق]، وقوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ [سورة القلم]، يدرسون ويتعلمون ويعملون ويعلّمون، حتى صاروا غرة تتلألأ في جبين العلم والعالمين، والفكر والمفكرين.

وبزغ منهم سادة عظام، خلد التاريخ أسماءهم بأحرف من نور، وعرف الغرب والشرق أفضالهم؛ **كالفارابي والغزالي وابن رشد** في الفكر والفلسفة، **وابن سينا وابن النفيس** في الطب، **والخوارزمي** في الرياضيات، **والطوسي والبيروني** في الفلك، **وابن الهيثم** في الفِزياء، وغيرهم كثير.. وفي علوم كثيرة؛ قادوا النهضة العلمية المتنوعة، وساروا بالإنسانية في مدارج التقدم والرقي، وهذا حدا بالباحثة الألمانية **زيغريد هونكه** إلى **القول**: "إن العرب ظلوا ثمانية قرون يشعون على العالم علماً وفناً وأدباً وحضارة، وأخذوا بيد أوربة من ظلمة الجهل والتخلف إلى نور العلم والمعرفة، ونشروا لواء المدنية أنى ذهبوا"(١).

(ومن الغريب- بعد ذلك- أن تخور قوى المسلمين وعزائمهم في الميدان، ويسّاقطوا في الجولة، وأن يمتلك أعداؤهم سلطة التصرف وسعة الحوز في عقولهم وأفكارهم وعلومهم وقدراتهم، فيوهموهم ويخدعوهم

(١) شمس العرب تَسْطَع على الغرب، ص٥٤١.

أن سر نجاحهم يكمن في تقليد الغرب وأممه، من أجل أن يحكموا سياستهم كما يريدون، ولا يعطوهم إلا ما يرغبون)[1]. والسؤال الذي يفرض ذاته هنا؛ هل يعوز المسلمين الحث على كسب القوة في العلم والفكر؟ وهل فقهوا دعوة القرآن الكريم في هذا المجال؟

فالقرآن الكريم والسنة المحمدية علم ودعوة إلى العلم، وحضارة المسلمين كلها علم ودعوة إلى العلم. ففي آيات كثيرة، خاطب الله عز وجل عقل الإنسان، وأيقظ فكره، وأمره بالعلم والنظر والبحث في النفس وفي أرجاء الكون الفسيح، منها قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الغاشية]، وقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الذاريات]. ولئن ذهبت تعدد مثل هذه الآيات وقفت على أمر عجيب. فمثلاً: وردت مادة العقل في القرآن الكريم في مئة وثلاث وثلاثين آية، ومادة النُهى بمعنى العقل في اثنتين، والفؤاد بمعنى العقل في ست عشرة، والفكر في ثماني عشرة، والفقه في عشرين، والتدبر في أربع، والفهم في آية واحدة، والرشد في تسع عشرة، والذكر بمعنى العقل في نيف ومئتي آية، ومادة العلم في أكثر من تسعين موضعاً، والرأي بمعنى العلم في نحو ثمانين آية،

(١) الإسلام على مفترق الطرق، لمحمد أسد، ص٧٩.

والنظر بمعنى العلم في ثلاث وعشرين، ومثله مادتا الإبصار والحكمة[1].

زد على ذلك ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من هدي يسفّه كل من يعطل عقله ويحجز حواسه عن العلم، ويَدْخُل في ذلك كل من يعطل أو يفسد وسائل تحصيل العلم والمعرفة، التي منحها الله للعبد وسخرها له؛ يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة الأعراف].

وأما من تجرأ على كتم العلم، فجزاؤه- في القرآن- الطرد من رحمة الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة البقرة]. وفي معرض هذا **يقول** ﷺ: «من سئل عن علم، ثم كتمه، أُلجم يوم القيامة بلجام من نار»[2]. وها هي السنة تؤكد أهميته، وتعيب كتمانه، وتجعله عنوان فلاح المسلمين ديناً ودنيا وآخرة، يقول **رسول الله** ﷺ: «نضَّر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلّغه غيرَه، فرب حامل فقه إلى من

(١) القرآن الكريم والتفكير، لأحمد الحوفي، ص٩.

(٢)أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب العلم، باب كتمان العلم، برقم ٢٦٥١؛ وهو صحيح.

هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»[1]، **ويقول** ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[2].

وإذا ما فقه المسلمون هذه الدعوات، وجدوا في كثير من الآيات مجالات عدة، ذكرها القرآن في ميادين العلوم الحياتية المادية الحضارية، وأترك ذكرها إلى النقطة التالية، على حين أؤكد- في نهاية هذه الفقرة- على حقائق ثلاث مهمة، لا بد من أن تكون ركيزة للمسلمين في سبيل العودة إلى فقه القرآن:

١) **فرضية العلم**: فالعلم في الإسلام فرضان؛ فرض عين وفرض كفاية. فأما فرض العين فهو فقه علوم الدين، التي تصحح العبادات والمعاملات؛ وأما فرض الكفاية، فهو تحصيل علوم الدنيا الحياتية، من طب وهندسة واقتصاد وتجارة ومدنية وحضارة؛ يقول تعالى: ﴿..فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة التوبة]. وبناء عليه، فمن الواجب- اليوم-

(١)أخرجه الترمذي من حديث زيد بن ثابت ﷺ، في كتاب العلم، باب الحث على تبليغ السماع، برقم ٢٦٥٨؛ وهو صحيح.

(٢)أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم ١٦٣١.

إعداد علماء مؤهلين، ينتجون حبة الدواء، ويبنون المصنع، ويشيدون البنيان، ويصنعون السلاح.. كل ذلك في سبيل نشر السعادة بين الناس، كل الناس.

٢) **الحكمة قرينة العلم**: بين القرآن الكريم مهمة العلماء، بدءاً من الأنبياء وانتهاءً بكل مؤمن يدعو إلى الحق، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الجمعة]. وليس هذا الاقتران عن عبث؛ فكما أن الواجب على العبد فقه الكتاب وتعلمه؛ عليه فقه الحكمة وتحصيلها، فهي أيضاً نعمة من الله.. ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا .. ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [سورة البقرة]، **ويقول الرسول الكريم** ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فَسُلِّطَ على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[1]..

وإذا ما تجرد العلم عن الحكمة، كان سلاحاً فتاكاً للأمم، مبيداً للجماعات، نقمة على العباد. وأكبر دليل على ذلك، ما نراه من أثر مميت، وواقع مُرٍّ أليم جراء التسابق العالمي العلمي والتقني، الذي يعوزه

(١)أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود ﷺ، في كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، برقم ٧٣.

الحكمة والخيرية، ولاسيما في ميداني التسلح والإعلام. ولهذا كله، فقد اعتنى المسلمون بالحكمة، وقسموها إلى قسمين: علمية وعملية؛ فأما العلمية، فهي معرفة الأمور بحقائقها وبواطنها، وارتباط المسببات بأسبابها قدراً وشرعاً وخلقاً؛ وأما العملية، فهي فعل ما ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، على الشكل الذي ينبغي[1].

فما أحوج المسلمين اليوم إلى العودة إلى منهج الحكمة في القرآن علماً وعملاً!

٣) **غاية العلم في الإسلام:** لقد نجح الغرب- بحضارته- في أن يحول الكوخ والخيمة إلى بيت مشيد وبناء شاهق يناطح السحاب؛ وأن يحول القارب الصغير- الذي كانت تتلاعب به الرياح، وتقلبه الأمواج- إلى بارجة أشبه بمدينة تسبح فوق البحار، وغواصة تخرق المياه في الأعماق؛ وأن يحول ضوء الشمعة والسراج إلى نور يبهر الأبصار، وأن يحول غيرها الكثير الكثير.

وعلى الرغم من ذلك كله، فلم يستطع- بما بلغه من رقي وعلم وحضارة وفكر- أن ينقل الإنسان من شقاوته إلى سعادته، ومن حيوانيته إلى إنسانيته، ومن جشعه وبطره إلى كرمه ولطفه وتواضعه؛ بل

(١) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية (٢/ ٤٧٨- ٤٧٩).

على العكس من ذلك، فقد زاد من تعاسته، وأمعن في حيوانية فاقت حيوانية الغاب، وستر ذلك كله بمبادئه المغرضة وظله الزائف[1].

ولكن حضارة الإسلام- بتعاليم القرآن وفقهه، وعلى ما بلغت إليه من رقي في مدارج العز والرفعة في مختلف ميادين العلم والفكر- استطاعت إسعاد الإنسان. وهذا ما يشهد به حتى أعداء الإسلام، والفضل ما شهدت به الأعداء.

خامساً: في المجالين الاجتماعي والحضاري:

أصلُ المجتمع الإسلامي المتكامل، والسببُ في نشأته وتطوره، كتاب الله عز وجل. ومن الخطأ الجسيم حصر القرآن في دائرة الأحكام الشرعية الضيقة. فإنه حوى- إلى جانبها- الأخلاق والاجتماع والسياسة والاقتصاد وسائر العلوم الحياتية الكونية، وهي كلها دعوات وحوافز نهضت بنفس المجتمع الجاهلي وعقله وكيانه، فنقلته من دياجير الظلام ومهالك الفوضى والدمار والاستعباد، إلى نور العلوم والسعادة الحقيقية على الأرض، التي عمرها المسلمون بحضارة إنسانية عالمية، سطعت أنوارها شرقاً وغرباً، ولعبت دوراً عظيماً في تقدم الحضارة، في بلاد الأندلس- الكنـــزِ المفقود- دلائلُ تلك الحضارة، التي تذكِّرُ

(١) ماذا خسر العالم؟ للندوي، ص٢٨٨- ٢٨٩.

المسلمين بيوم كانوا فيه قِبلة يتوجه إليها الطالبون، ومحراباً يتعبد فيه المتعبدون.

ولقد استمرت حضارتهم على ذلك، إلى أن بعدوا عن كتاب ربهم وسنة نبيه، وغرقوا في شهواتهم، وأطلقوا العنان لرغباتهم، فعزفوا عن قيادة ركب الحضارة، وهذا مكن أعداءهم فيهم أشد تمكين، وحصدوا ثمارهم وخيراتهم، ليقودوا- بدورهم- دفة المركب.. ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة الإسراء].. ﴿.. إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ..﴿١١﴾﴾ [سورة الرعد].

إذن؛ لا تتغير حال المسلمين اليوم إلا بعودة صريحة إلى دينهم، وفقه كتاب ربهم. وهاكم غيضاً من فيض كتاب الله في الدعوة إلى بناء المجتمع الإسلامي الحضاري المتكامل، في ميادين شتى، كالاجتماع والزراعة والصناعة والاقتصاد وغيرها، وهذا يجعل المسلمين متملكين لمقومات الفلاح إن هم أحسنوا فقه كتاب الله.. وحي السماء.

وأبدأ من أسماء السور في القرآن، في دراسة موجزة، لنجد أن حوالي اثنتين وثلاثين سورة في القرآن تتناول معانيها الكائنات والظواهر الطبيعية، كالبقرة والرعد والنحل والنمل.. وحوالي تسع وعشرين سورة تتكلم عن العقيدة والفكر.. وحوالي سبع وعشرين عن المجتمع

والسياسة، كالأحزاب والشورى والصف.. وحوالي سبع عشرة عن التاريخ والأنبياء، كيونس وهود وإبراهيم والروم ومريم.. وحوالي أربع سور عن الأخلاق والصفات السلوكية، كعبس والهمزة والمطففين.. وحوالي سورتين عن العبادات والشعائر الدينية، كالحج والسجدة.. وأكثر من سبع سور عن الآخرة وما بعد هذه الدنيا.

فمن العجيب في أسماء السور أن تحتل مسائل التشريع والعبادات عدداً أقل! فهل فقه المسلمون الحكمة؟!!

وإذا ما تجاوزنا الأسماء إلى المضامين وقفنا على ما يأتي:

١- في **علم الزراعة والنبات**: ورد في القرآن الكريم- في أكثر من خمسين موضعاً- آيات تبحث جوانب عدة يفقهها علماء الزراعة والنبات، من حراثة وبذر وسقاية وحصاد وتشجير، وغير ذلك مما نلمح بعضه في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ .. ﴿١٤١﴾ ﴾ [سورة الأنعام]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا .. ﴿٦١﴾ ﴾ [سورة البقرة]، وغير ذلك من آيات.

هذا وقد وردت سورة عظيمة في مجال ترشيد الموارد المائية- قوام الحياة الزراعية- وهي سورة سبأ، إذ ورد فيها إشارة عظيمة واضحة إلى صناعة الري وإنشاء السدود، التي جعلها الله باباً من أبواب رحمته وفضله على سبأ؛ ثم أخبر سبحانه أن انهيار ذلك السد وخراب الزراعة عندهم كان مظهراً جلياً من مظاهر غضبه وسخطه؛ يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِيٓ إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة سبأ].

ويكفينا كي نبين عناية السنّة بهذا العلم أن نقف عند **حديثه** ﷺ: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل»[1]!

وبهدي من الكتاب والسنة، أفرد الفقهاء- في كتبهم- باباً لإحياء الموات[2].

(١) أخرجه أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك ﷺ، برقم ١٢٩٨١؛ وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) إحياء الموات: يعني استصلاح الأراضي الميتة، وإحياءها بالزراعة.

٢- في **علم الفلك والحساب**[١]: في أكثر من خمسين موضعاً عني القرآن الكريم بعلم الفلك والحساب، وهذا حمل- في طياته- دعوات إلى البحث وحوافز على النظر في عوالم السماء، وسبقاً علمياً وإعجازاً من إعجازات هذا الكتاب العظيم؛ يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الإسراء]. فمن ﴿وَجَعَلْنَآ﴾ إلى ﴿وَٱلْحِسَابَ﴾ تسع عشرة كلمة، وهي- كما يقول علماء الفلك- رمز التقاء الدورة الفلكية الكونية بين الشمس والقمر والأرض كل تسع عشرة سنة مرة واحدة.

وهذه الآية وغيرها من الآيات، فقهها الأولون، وفقهوا العبرة الكامنة وراء هذا الإيماء القرآني، فانبروا يبحثون ويكتشفون. فأخرجوا النظريات إلى العمليات والرصد. وهم الذين قالوا بكروية الأرض، وعملوا الأزياج (الجداول الفلكية)، وضبطوا حركة الشمس، وصنعوا الإسطرلاب، وحققوا مواقع كثيرة من النجوم، وكتبوا عن كُلف الشمس.

وفي الرياضيات، ابتكروا علم الجبر ومعادلاته، وكذلك عرفوا الرموز فيها، وجمعوا بين الهندسة والجبر، وكانوا هم واضعي أسس

(١) تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، عبد الحليم منتصر، ص٦١ وما بعدها.

الهندسة التحليلية. وبذلك مهدوا لنشأة علم التكامل والتفاضل. وكذلك عرفوا الجذور الصماء، فكان **الخوارزمي** أول من استعمل كلمة أصم لتدل على العدد الذي لا جذر له. ولا ينسى في هذا المجال كتاب العالم المسلم سنان بن الفتح **الحراني** (في الجمع والتفريق).

وقد اعترف كثيرون من علماء الغرب بفضل علماء العرب والمسلمين على النهضة العلمية الحديثة. فلولا نتاجهم العلمي لتأخر سير المدنية قروناً عدة. فهل يعود المسلمون اليوم إلى ركب الحضارة الفلكية الرياضية ليقودوه من جديد؟!

٣- في **الصناعة**: هذا الجانب الذي حفل به القرآن الكريم في كثير من آياته، فدعا إلى كثير من الصناعات، التي بها قوام الحياة المدنية الحضارية الرغيدة، كالصناعة الحربية، والعسكرية، والمدنية، والنسيجية، والجلدية، والطاقة، والدواء، من خلال هدي يوجب على المسلمين الأخذ بهذه العلوم والتمكن منها.

ومن الصناعة الحربية نبدأ، لنقرأ سور النصر والفتح والصف والأنفال والحشر، وغيرها من سور توجب على المسلمين تدبير أسباب النصر والفتح من تصنيع وتدريب وإعداد. فأين فقه هذه السور في حياة المسلمين؟! أليست دستوراً مبيناً ونصاً حكيماً في إقامة صناعة حربية متطورة.

أضف إلى ذلك ما جاء في القرآن من مواضع تتلازم فيها الدعوة إلى التصنيع الحربي والتصنيع المدني؛ ففي سورة الحديد نص الحق- عز وجل- على وجوب استخراج الحديد واتخاذه للدفاع عن الأمة، فيقول تعالى: ﴿..وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ.. ﴿٢٥﴾﴾؛ فالبأس الشديد دعوة إلى التصنيع الحربي، والمنافع دعوة إلى التصنيع المدني. والإيحاء نفسه يتجلى في خبر النبيين الكريمين داود وسليمان عليهما السلام. فأما **داود**- عليه السلام- وقد عهد الله إليه القيام بالثورة- فقمع طغيان **جالوت**، وجاء بالصناعة الحربية المتفوقة.. ﴿..وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ..﴿١١﴾﴾ [سورة سبأ]؛ وأما ولده **سليمان**- عليه السلام- وقد عهد الله إليه القيام ببناء الدولة بعد نجاح الثورة- فجاء بصناعات مدنية وعمرانية كما أخبر سبحانه: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة سبأ]. فأين امتثال الأمة الإسلامية لواجب اتباع الرسل قادة الخلق إلى كل خير؟!

وفي سورة الكهف يخبر سبحانه عن **ذي القرنين**- الذي حارب الظلم والفقر والجهل، ودرأ خطر أعداء الأمة- أنه كان على أتم معرفة وخبرة بالصناعات التعدينية والتحويلية والإنشائية والثقيلة، فيقول تعالى: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ

ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ ..﴿٩٨﴾﴾ [سورة الكهف]. فهل يغنم المسلمون اليوم رحمة ربهم في هذا الميدان من جديد؟!

وفي مجال الطاقة وترشيد استهلاكها والدعوة إلى تصنيعها، يقول سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة يونس].

وفي مجال الصناعات النسيجية والجلدية، يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾﴾ [سورة النحل].

وفي مجال الصناعة الدوائية يشجع القرآن على الخوض فيها، فيقول سبحانه: ﴿..يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة النحل].

وثمة علوم كثيرة، ودعوات متكررة في القرآن الكريم لا يتسع المقام للإسهاب في ذكرها، كعلم الملاحة والبحار.. ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ .. ﴿٣١﴾﴾ [سورة لقمان]، وعلم الصحة..

﴿.. وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ .. ﴿٣١﴾﴾ [سورة الأعراف]، وعلم التجارة.. ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ .. ﴿١٩٨﴾﴾ [سورة البقرة]، وعلم الحيوان.. ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ .. ﴿٥﴾﴾ [سورة النحل]، وغير هذه العلوم مما يوجب على المسلمين اليوم فقهها من جديد، وأن يعدوا أنفسهم لمساءلة الله- يوم القيامة- لهم عنها. فهل يصحو المسلمون من رقاد طويل فيفقهوا القرآن العظيم، فيرشدوا طاقاتهم وقدراتهم في سبيل نهضة حضارية تعيد لهم العزة والكرامة في الدنيا، والقول الصواب في يوم فصل الخطاب؟!!.

وبعد أن عرضت واقع المسلمين المؤلم، لبعدهم عن فقه كتاب ربهم، وعرضت الأدلة والحجج في ضرورة الأخذ بفقه القرآن الكريم بمعناه الواسع وجدواه في حياة المسلمين، وأثر ذلك في بناء حضارة إنسانية مزدهرة، قوامها عقيدة سليمة وشرع حكيم وخلق حميد؛ فإني أؤكد أن الأخذ بفقه القرآن الكريم خلقاً وتزكية وعملاً هو الضمان الحقيقي الوحيد لجمع كلمة المسلمين ولمّ شملهم.. أمنية أكثر من مليار مسلم[1] على وجه هذه المعمورة.

وإنني أرى في سبيل تيسير الأخذ بفقه القرآن الكريم وتحقيقه ضرورة إيجاد ما يأتي من **التوصيات والمقترحات**:

(١) لعلهم اليوم- في عام ٢٠١٠- قاربوا المليار ونصف المليار!

١) ضرورة إيجاد مجلس إسلامي عالمي أعلى، تتكاتف فيه جهود جميع المخلصين من علماء حكماء، يدعمهم الحكام المخلصون والأغنياء الأتقياء؛ على نحو يقدم كلٌّ منهم ما يملك من وسائل وطاقات، توظف ضمن منهج مدروس، وبرنامج محدد الخطوات والمراحل والواجبات، يرشد الصحوة الإسلامية، ويكبح نزوات المراهقين من المسلمين، ويعود بالأمة الإسلامية إلى السير وفق فقه الكتاب والسنة.

ومما يلزمهم في سبيل ذلك- أيضاً- إقامة مدارس وجامعات وفق فقه القرآن، تخرج القيادات المحمدية، من الدعاة الحكماء، والمربين الأمناء، والفقهاء النجباء، والأبطال العظماء، والصناع المهرة، والمحاربين الشجعان، والمهندسين الفنيين، والعلماء في كل مجال يعود بالنفع على المسلمين؛ ممن يرون صلاح دنياهم مطية لصلاح دينهم وآخرتهم، وأنه «نعمّا بالمالِ الصالحِ للرجلِ الصالحِ»[(١)]، و«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»[(٢)]. وإن العالم الإسلامي- اليوم- في محنة عصيبة، تعوزه هذه النوعية من العلماء العاملين المسؤولين.

٢) على العلماء المختصين في العلوم الشرعية، والعلماء

(١)أخرجه أحمد، بقية حديث عمرو بن العاص رضي الله عنهما، برقم ١٧٨٠٢؛ وصححه الحاكم في مستدركه (٢/ ٢٥٧) على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢)أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ، في كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، برقم ٢٦٦٤.

المختصين في العلوم الحياتية التعاون في سبيل إيجاد تفسير للقرآن الكريم- ضمن شروط التفسير المتفق عليها- تُواكب منه ضرورات الحياة الإنسانية المعاصرة، فيستنبط من هدايته ما فيه وحدة المسلمين وعزهم، وسيرهم على جادة الصواب، وامتلاكهم رتبة القيادة في هذه الحياة.

وأخيراً، علينا جميعاً أن نزرع- عوض اليأس والتقاعس- الأمل والتفاؤل في قلوب جميع المسلمين بحتمية النصر والعزة إن أحسن المسلمون العودة إلى وحي السماء. وإن العالم- قاطبة- مهيأ اليوم لتقبل رسالة وحي السماء، بعد أن خانته النظريات والمبادئ والسياسات العالمية، التي حملت- في ذاتها- بذور فنائها وفشلها، فصارت هشيماً تذروه الرياح، ولا ينقص العالم اليوم إلا صوت الإسلام الحقيقي، ليعلن في الآفاق: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فإلى فقه القرآن؛ وإلى العزة والوحدة والسعادة من جديد.. ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة الأنبياء].

المبحث السابع

دور الاجتهاد

في الفكر الإسلامي[1]

(١) محاضرة قدمها سماحته إلى المؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، المنعقد في القاهرة، بعنوان: الإسلام والقرن الحادي والعشرون، من ٢ إلى ٥/ ٧/ ١٩٩٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً- الأفكار الرئيسة:

١- الثروة الضخمة من التراث الإسلامي في الفكر والروح والاجتماع والتشريع دليل على موسوعية فكر فقهاء المسلمين الأوائل المتصف بالفهم الحضاري المتقدم، الذي لم ينل في العصر الحديث التقدير الجدير به.

٢- تعريف الاجتهاد اصطلاحاً، وبيان نوعيه الإنشائي والانتقائي.

٣- استخدام الرسول للاجتهاد وإقراره ﷺ به يجعله قضية مسلّمة.

٤- باب الاجتهاد لا بد من أن يبقى مفتوحاً، لأن النصوص محدودة والوقائع غير محدودة.

٥- لم يقرّ الإسلام التقليد الأعمى، وقد نهى عنه أئمة المذاهب.

٦- بعض الذين أوهموا الناس بإغلاق باب الاجتهاد، حكموا على الإسلام بالإعدام، وأعاقوا حركة الفقه الإسلامي في استيعاب المستجدات.

٨- الاختلاف في الرأي موجود في تاريخ تشريعنا من عهد الصحابة، وبقي إلى عهد اتباع أئمة المذاهب، وبعضهم خالف مذهب إمامه.

٩- التجديد واجب على أئمة المسلمين وعلمائهم.

١٠- حادثة منع سيدنا عمر لسهم المؤلفة قلوبهم وتعليقات العلماء عليها هي بيان لمرونة الاستنباط وحركة الفكر في الإسلام.

١١- لم يقل أحد من الصحابة والعلماء وأئمة المذاهب أن رأيه هو حكم الله، ولم يلزموا أحداً برأيهم، واحترموا رأي الآخر.

١٢- الخلاف في الرأي أمر طبيعي، لأن المدارك ليست على مستوى واحد، وهو نتيجة فكر حضاري متقدم اقتضته دوافع المرونة والخلود للشريعة.

١٣- الشريعة أوسع من أن يحيط بها مذهبُ مجتهدٍ معين.

١٤- إن تعدد القضايا في عصرنا- مع ظهور بوادر الصحوة الإسلامية العازمة على الرجوع إلى إسلام القرآن والسنة، ومع إدراك الإنسانية أن الإسلام هو الدواء لكثير من مشكلاتها- يدفع إلى إعمال العقل ووضع الحلول لكل القضايا على الساحة الإنسانية؛ لأن الإسلام بشموليته يرى أن البشر كلهم عيال الله.

١٥- أهم مجالين لإعمال العقل: معرفة المقاصد من النصوص الشرعية،

واستنباط أحكام للقضايا المعاصرة.

١٦- الاجتهادات القديمة لا تعد مسلمات، ولكن يستفاد منها في إنشاء الأحكام للوقائع المعاصرة.

١٧- ضرورة التوجه إلى الاجتهاد الجماعي بلقاء أهل العلم الشرعي مع أصحاب الاختصاص في المسائل تجنباً للوقوع في الخطأ في حال الاجتهاد الفردي.

١٨- لا بد من الربط بين النظرية والتطبيق، فالاجتهادات نظرية وتطبيقها في حياة الناس يحتاج إلى توعية شاملة للأمة.

١٩- على حكام المسلمين الالتزام بمنهج الله تبارك وتعالى، واعتماد الاجتهادات الفقهية الجماعية المتنورة لحل المشكلات التي تواجهها الأمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المبحث

مما لا مراء فيه أن للحضارة مكانة سامية في تاريخ الإسلام والمسلمين، وما الحضارة إلا نتاج فكري إنساني متقدم لبناء الحياة والإنسان من أجل مستقبل أفضل وأكرم.

وقد استطاعت الحضارة الإسلامية أن تضع آثارها، وتترك بصماتها على كثير من الحضارات الإنسانية، ولاسيما الحضارة الغربية في أوربة، والحضارة الشرقية في بلاد الهند وفارس، وغيرهما..

وإن نظرة سريعة إلى الثروة الضخمة من التراث الإسلامي- في النواحي العلمية والفكرية والروحية والإنسانية والتشريعية- تقدم لنا قناعة واضحة أكيدة بأن هذه الثروة ليست إلا عطاءً حضارياً متقدماً قدمه علماء المسلمين بجهادهم واجتهادهم.

ويعنينا- في هذا المقام- جانبٌ واحدٌ من هذا التراث الضخم، ألا وهو فكر فقهاء المسلمين، الذي لم ينل في العصر الحديث التقدير الجدير به لدى كثير ممن أرَّخُوا للحضارة الإنسانية.

ومما لا شك فيه- عند علماء المسلمين- أن المصدرين الأساسيْن للتشريع الإسلامي هما: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فهما المادة الأولية لكل ما انبثق عنهما من أحكام وتشريعات، منها الثوابت التي لا مجال للرأي في تطويرها أو تبديلها، مثل: الوضوء، والصلاة، وسائر العبادات، وحل البيع وحرمة الربا. وهذه الأمور تنحصر فيما كان من النصوص قطعي الثبوت قطعي الدلالة، ولهذا **قال علماؤنا**: "لا مساغ للاجتهاد في مورد النص"(١).

وأما ما كانت دلالته ظنية، ومن ثم يحتمل أكثر من وجه أو معنى، فقد عمل الفقهاء المسلمون- عبر وسائل الاستدلال والاستنباط والاجتهاد- للوصول إلى إيجاد مصادر أخرى، هي في حقيقة الأمر راجعة إلى المصدرين الأساسيْن، وهما: الإجماع والقياس، اللذان صارا من المصادر الأساس للتشريع الإسلامي.

واتفق العلماء على أن المصادر الأربعة (القرآن والسنة والإجماع

(١) إعلام الموقعين، لابن قيّم (٢/ ٢٦٠).

والقياس) هي أصول الأدلة في تشريع الإسلام. وقد خالف بعضهم في مصدري الإجماع والقياس؛ وألحق بعضهم بها مصادر أخرى، كالاستصحاب والاستحسان والمصالح المرسلة، وغيرها..

وحسبنا- في ذلك- أن نرجع إلى التراث الفكري الحضاري، الذي أبدعه الفقهاء بكثرة تعمقهم في البحث والاستقصاء. لقد دونوا المجلدات في كل دليل من الأدلة الأساسية والفرعية، واجتهدوا في كثير من المسائل واختلفوا، فكانت اجتهاداتهم واختلافاتهم دليلاً واضحاً على عقلية فريدة من نوعها، متقدمةٍ متطورةٍ، وبرهاناً ساطعاً على فكر حضاري مستنير.

وهنا أَصِلُ إلى موضوع البحث وهو الاجتهاد، الذي هو استفراغ الجهد في الوصول إلى الأحكام الشرعية التفصيلية، الراجعة في كلياتها إلى مصادر التشريع المتفق عليها.

والاجتهاد له نوعان:

أحدهما **الاجتهاد الإنشائي**: وهو استنباط حكم في مسألة من المسائل، سواء كانت قديمة أو جديدة، وهذا الاجتهاد غالباً ما يكون في المسائل المستجدة، التي لم يعرفها السابقون و لم تكن في أزمنتهم.

والآخر **الاجتهاد الانتقائي**: ويكون باختيار أحد الآراء المنقولة

عن الفقهاء السابقين، ليصار إلى الإفتاء به، أو القضاء بمقتضاه، ترجيحاً له على غيره من الآراء والأقوال الأخرى.

ويعد المجتهد- الذي يمتلك ناصية نوعي الاجتهاد- مجتهداً مطلقاً، على حين يعد المجتهد- في إطار الانتقاء والترجيح- مجتهداً منتسباً، أو مجتهداً في المذهب أو في الفتوى.

إن الاجتهاد قضية مسلَّم بها، فقد اجتهد رسول الله ﷺ في بعض القضايا التي سئل عن حكمها، فكان ﷺ يفتي السائل إذا تأخر الوحي عن بيان الحكم. ولكن نقول: إن هذا الاجتهاد منه ﷺ لا يعد مصدراً مستقلاً؛ لأنه يرجع إلى الوحي في واقع الأمر، من بيان وجه عدم الصواب، أو الإقرار بالصواب.

ومن أمثلة اجتهاده ﷺ أنه شاور أصحابه في مسألة أسارى بدر، فأشار **أبو بكر** بالفداء، وأشار **عمر** بالقتل، واختار النبي ﷺ رأي أبي بكر[1]. فنزلت الآيات تؤيد رأي عمر، يقول تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ ﴾ [سورة الأنفال].

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، فصل: في هَدْيه ﷺ في الأسارى (١١٠/٣).

وهناك أمثلة كثيرة من الحوادث، كإذنه للمنافقين بالتأخر عن تبوك.

ولقد أقر **رسول الله** ﷺ قضية الاجتهاد «.. لما أراد ﷺ أن يبعث معاذاً إلى اليمن، **قال** ﷺ: كيف تقضي إذا عَرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله. قال ﷺ: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنّة رسول الله. قال ﷺ: فإن لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب رسول الله صدره فقال: الحمد لله الذي وفّق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسول الله»[1]. وهذا الحديث يُعَدُّ أصلاً في اعتبار الاجتهاد والأخذ به.

ولم يقف الأمر عند هذا، بل تعداه إلى أن الرسول ﷺ أذن لبعض أصحابه بالاجتهاد في حضرته، من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري فقال: «نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل النبي ﷺ إلى سعد، فأتى على حمار. فلما دنا من المسجد، قال ﷺ للأنصار: قوموا إلى سيدكم، أو خيْركم، فقال ﷺ: هؤلاء نزلوا على حكمك، فقال: تَقتل مقاتلتَهم، وتسبي ذراريَّهم. قال ﷺ: قضيت بحكم الله. وربما قال: بحكم الملك»[2].

(١)أخرجه أبو داود عن الحارث بن عمرو ابن أخي المغيرة بن شعبة، عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ بن جبل، في كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، برقم ٣٥٩٤.

(٢)أخرجه البخاري، في كتاب المغازي، باب مرجِع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرَجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، برقم ٤١٢١.

بقي أن يقال: إذا كان اجتهاد الرسول ﷺ مرده إلى الوحي، فما فائدة الاجتهاد والإذن به؟.

الواقع إن الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع، وكونها خاتمة يعني أنها دين الناس إلى يوم القيامة، فقال الله تعالى: ﴿..ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ..﴿٣﴾﴾ [سورة المائدة]، وقال عز من قائل: ﴿..مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ..﴿٣٨﴾﴾ [سورة الأنعام]. ومعلوم أن هذا لم يكن إلا في نطاق قواعد الدين، ونصوصه المجملة، فهي كلية شاملة؛ لا نقص فيها ولا تفريط، تامة محكمة.

أما التفاصيل والجزئيات، فأمرها متروك للمجتهدين؛ فالنصوص محدودة، والأحداث والوقائع غير محدودة. لكل عصر وزمان قضاياه وأحواله؛ فلو لم يكن هناك اجتهاد لاستنباط الأحكام المستجدة، لوقفت الشريعة الإسلامية عن أداء مهمتها في التشريع والتقنين، وصارت غير صالحة لاستيعاب مستجدات الأحداث، وإثبات الأحكام اللازمة لضبط أصول هذه الشريعة، ودوامها ما دام الزمان.

وإذا كان الاجتهاد أمراً مقرراً في الإسلام، وهو الذي يمثل قضية احترام العقل في الإسلام، فالذي لم يقرره الإسلام و لم يقبله العلماء، إنما هو التقليد الأعمى. فنحن إذا نظرنا إلى أصحاب المذاهب الفقهية المشهورة، وجدنا أنهم لم يطلبوا إلى أحد تقليدهم بما وصلوا إليه من

أحكام، ولم يقرّوا أحداً على ذلك؛ فلا **أبو حنيفة** ولا **مالك** ولا **الشافعي** ولا **أحمد** ولا غيرهم من العلماء- رحمهم الله جميعاً- أمروا بذلك، وأوصى **الإمام أحمد أحد أصحابه** بقوله: "لا تقلدني، ولا تقلد مالكاً ولا الثوري ولا الأوزاعي، وخذْ من حيث أخذوا"(١).

لقد كان باب الاجتهاد مفتوحاً على مصراعيه في عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم، وأجيال أخرى بعدهم. ولكن فريقاً من العلماء المتأخرين، أوهموا أنفسهم أولاً، ثم أوهموا الناس بعد ذلك، أن باب الاجتهاد قد أغلق نهائياً، وما هذه المقولة إلا صدى ما ردده المسلمون قبل ألف عام من الآن..

والحقيقة: إن هذه المقولة والانسياق وراءها كان أحد العوائق في وجه حركة الفقه الإسلامي، الذي كان من الواجب أن يستوعب كل الوقائع والمستجدات في حياة الأمة الإسلامية.

وإن الذي يقول بانسداد باب الاجتهاد وإغلاقه، يحكم على الإسلام بالإعدام، من جهة أنه دين جامد لا يساير الحياة ولا يجاريها، وليس لديه حلول لمشكلاتها المتعددة، المتنامية، زمناً بعد زمن.

لقد حمل **ابن قيِّم**- رحمه الله- في ‹إعلام الموقعين›، على التقليد

(١) إعلام الموقعين، لابن قيِّم (٢/٢٠١).

بغير دليل حملة قاسية، وكذلك فعل الإمام **الشوكاني**- رحمه الله- وغيرهما من الأئمة الفقهاء.

وقال الشيخ محمد **عبده**- رحمه الله- في تعليقاته على ‹العقائد العضدية›: "ومن المعلوم أن من سلك طريق الاجتهاد، ولم يعوّل على التقليد في الاعتقاد، لم تجب عصمته، فهو معرض للخطأ، ولكن خطأه عند الله واقع موقع القبول؛ إذ كانت غايته من سيره ومقصده من تمحيص نظره أن يصل إلى الحق ويدرك اليقين". وهذا الكلام مستفاد من **حديث رسول الله** ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»[1].

والاجتهاد لا بد من أن يثمر الاختلاف في الرأي، ولا مانع من ذلك؛ إذ إن تعدد الآراء يوصل إلى الحق، ويفتح أبواب التيسير على الناس.

ومن المُسَلَّمَات- في تاريخ التشريع الإسلامي- أن الخلاف في الرأي كان قائماً في عهد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم. فما انقضى عصر النبوة، حتى تفرق أصحاب رسول الله ﷺ في البلاد يحملون ما أخذوه من العلم من الكتاب والسنة، فسئلوا فأجاب كل

(١) أخرجه البخاري عن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، برقم ٧٣٥٢.

واحد على حسب ما حفظه واستنبطه، فعند ذلك وقع الاختلاف في الرأي بينهم في بعض المسائل.

كما وجدت مذاهب مختلفة أيضاً للتابعين، ووجد في كل بلد إمام مجتهد، مثل: سعيد بن المسيِّب في المدينة المنورة، وعطاء بن أبي رباح في مكة، والشَّعْبي في الكوفة، والحسن البصري في البصرة، وطاووس في اليمن، وغيرهم..

واختلف الفقهاء من بعدهم، فمنهم من أخذ بالرأي، ومنهم من أخذ بالرواية، وقامت على هذه الأصول مدارس فقهية كثيرة.

وإذا كان من المُسَلَّمات وقوع الخلاف في الرأي بين سائر الأئمة المجتهدين من أصحاب المذاهب، في الكثير من المسائل الفقهية وطرق الاستدلال والاستنباط، فمما لا جدال فيه- أيضاً- أن أتباع هذه المذاهب الفقهية لم يسيروا فيها جامدين، بل كانوا يعملون على إحيائها وتجديدها في كل عصر من العصور بما جد من أفكار وأمور ويفتون فيما يقع من الحوادث بما يتفق مع الحال، وأحياناً كانوا يخالفون مذهب إمامهم، ويقولون: هذا اختلاف زمان لا اختلاف برهان.

لهذا، فإن التجديد واجب على أئمة المسلمين وعلمائهم، والتجديد ليس أمراً يُنشأ، ولكنه يكتشف؛ لأن الشريعة الغرَّاء فيها أَلَقُها الدائم،

ومنها ينبع التجديد فيها، وما مهمة المجددين المجتهدين إلا اكتشاف هذا التجدد، وهم الذين بَشَّرَ بهم نبي هذه الأمة فقد قال ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة- على رأس كل مِئة سنة- من يجدد لها دينها»[1].

والتجديد لا يمكن أن يعني بحال تغيير نصوص القرآن أو السنة، بل يعني تغيير الفهم لبعض النصوص- التي تحتمل ذلك- بما يناسب الحال المعاصرة للمسلمين.

وللأسف، فإن بعض العلماء تعودوا ألا ينظروا إلى القرآن والسنة إلا من خلال اجتهادات السلف في الفروع، على أنها الفاتح لمغاليق الفهم الصواب من القرآن والسنة.

والحقيقة المطلوبة هي تدبر القرآن الكريم، وتفهم السنة النبوية بعمق، ودراسة تراثنا الفقهي الكبير، لفهم الحلول المناسبة لواقع اليوم، الذي صار مختلفاً اختلافاً كبيراً عن واقع الأمس البعيد.

وإذا كان التجديد في الفقه والفهم مطلوباً، فإن مسؤولية ذلك واقعة على عموم المسلمين، ليكون من بينهم طائفة من الأئمة المجتهدين، والفقهاء المخلصين، لينهضوا بشأن الأمة ويُبعدوا عن النصوص تحريفَ الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

(١) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المِئة، برقم ٤٢٩١؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي [انظر: المستدرك (٤ / ٥٢٢)].

من المواقف الاجتهادية الواضحة في تاريخ الصحابي الجليل عمر **ابن الخطاب** ﷺ أنه منع المؤلفة قلوبهم سهمهم من الزكاة، وقال لهم: "لا حاجة لنا بكم، فقد أعز الله الإسلام، وأغنى عنكم، فإن أسلمتم، وإلا فالسيف بيننا وبينكم"[1].

وقد أثار هذا الموقف الاجتهادي من عمر ﷺ تعليقات وتساؤلات كثيرة، واختلف العلماء فيه بين ناقد ومؤيد في الماضي والحاضر... [2]

فقال بعضهم: "إن عمر بن الخطاب أول من سار إلى التشريع العام المباشر، فعدّ النصوص التشريعية معلولة بعلل مقصودة؛ فإذا زالت منها هذه العلل، اقتضى ذلك زوال حكمها".

وقال بعضهم: "إن عمر نسخ نصوصاً من القرآن، منها سهم المؤلفة قلوبهم، الذي فرضه الله لهم بنص قاطع في سورة التوبة".

وقال آخرون: "إن ذلك من قبيل تعليق النص أو إيقافه لمصلحة عارضة، فمتى زالت عاد العمل بالنص. وَفَتْحُ باب الاجتهاد في هذا تمكين للشريعة أن تكون مطواعة مرنة".

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته، لوهبة الزحيلي (٣/ ٣٤٢).

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية، للشيخ أبو زهرة (٢/ ٢٤١).

ومن الناس من يسلك مسلكاً آخر في تخريج صنيع **عمر**، فيقول: إن عمر لم يخالف الآية، لأن الله تعالى إنما جعل الأصناف الثمانية في الأمة لحصر وبيان المصارف الثمانية، التي تدفع فيها الزكاة من دون غيرها، لا على سبيل الإلزام أن تصرف على الأصناف الثمانية. وبناء على هذا، فمن وضع زكاته كلها في صنف واحد من الثمانية برئت ذمته؛ وكذلك تبرأ ذمة من وزعها على الثمانية.

هذه صورة عرضتها للخلاف في الرأي والاجتهاد، لبيان مرونة الاستنباط من النص، وحركة الفكر في الإسلام. ولذلك على العلماء- الذين تأهلوا بشروط الاجتهاد والاستنباط- أن يعملوا بهذا الاتجاه، لبيان شمولية الرسالة الإسلامية وواقعيتها.

وهنا لا بد لنا من بيان مسألة مهمة في موضوع الاجتهاد وهي: أن الصحابة الكرام، ومن بعدهم من الفقهاء والعلماء المجتهدين، الذين أخذوا بالرأي وبنوا الحكم عليه، ما كان منهم أحد يقطع بأن ما وصل إليه هو حكم الله، حتى إن كاتب عمر أراد أن يكتب: هذا ما رأى الله ورأى عمر..، **فقال له عمر** رضي الله عنه: "بئس ما قلت، بل قل: هذا ما رأى عمر، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمن عمر"[1].

(١) إيثار الحق على الخلق، لابن الوزير، فصل (١/ ٣٠٥).

وشيء آخر أيضاً، أنهم ما كانوا يلزمون أحداً بالأخذ بآرائهم ما دامت اجتهاداً لا نص فيه، فلكلٍ رأيُه واجتهادُه. وأورد **ابن قيم الجوزية**- في ‹أعلام الموقعين›- دليلاً على ذلك، ما روي أن "عمر **ابن الخطاب** ﷺ فقال: ما صنعت؟ قال: قضى **عليٌّ وزيدٌ** بكذا، قال: لو كنت أنا لقضيت بكذا، قال: فما منعك والأمر إليك؟ قال: لو كنت أردُّكَ إلى كتاب الله أو إلى سنة نبيه ﷺ لفعلت، ولكني أردّك إلى رأيٍ، والرأيُ مُشترك".[1]

فلم ينقض ما قال علي وزيد، وهذا هو ما يعبر عنه باحترام الرأي الآخر؛ فالاختلاف بالرأي نتيجةٌ حتمية للاجتهاد، وهو دليل حيويةِ الفكر الإسلامي، وكذلك هو دليل على إعمال الفقهاء عقولهم، وشدة حرصهم على الوصول إلى الحق والصواب.

لقد كان الخلاف أمراً طبيعياً للاجتهاد بالرأي، لأن العقول ليست في مستوى واحد، وكذلك مدارك الفقهاء ليست على وتيرة واحدة، وكذلك عمق الملَكة الفقهية ليست واحدة في الجميع.

وبناء على هذا، فلا يجوز أن تضيق النفس لاختلاف الفقهاء، بل نعد ذلك ثروة فقهية تشريعية تركها السلف للخلف، على أن هذا

(١) إعلام الموقعين (١/ ٦٥).

القول لا يعني- أبداً- أننا نحرص على الخلافات، إنما نريد أن نبيّن أن الخلاف أمر طبيعي في كل اجتهاد، وأنه- بجوهره- وجه من وجوه التشريع، وتنزيل الأحكام الملائمة على الوقائع. فإذا عرفنا هذه الحقيقة نجونا من داء التعصب لأقوال بعض المجتهدين من دون الآخرين بلا دليل أو برهان؛ فالشريعة الإسلامية أوسع من أن يحيط بها مذهبُ مجتهد معين، سواء أكان هذا المجتهد صحابياً أم غير صحابي.

وأخيراً، نستطيع أن نقرر أن الخلاف- بين الفقهاء المسلمين في الرأي- كان نتيجة فكر حضاري متقدم وثمرة جهد عقلي واسع، وأن هذا الخلاف كان ضرورة اقتضتها دوافع المرونة والخلود لشريعة الله تبارك وتعالى.

وكذلك نستطيع أن نقرر أن اختلاف الفقهاء كان رحمة للمسلمين؛ فقد ذكر الإمام الشاطبي- رحمه الله- أن عمر **بن عبد العزيز** ﷺ كان يسره اختلاف الصحابة ﷺ في الفروع، **ويقول**: "ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لا يختلفون؛ لأنه لو كان قولاً واحداً، لكان الناس في ضيق، وما كانوا أئمة يقتدى بهم".[1]

ويقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله: "إذا كان الافتراق بشأن العقائد في جملته شراً، فإنه يجب أن نقرر أن الاختلاف الفقهي- في غير

(١) الاعتصام، للإمام الشاطبي (٢/ ٣٩١).

ما جاء به نص من الكتاب والسنة- لم يكن شراً، ولم يكن افتراقاً، بل كان خلافاً في النظر، وكان يستعين كل فقيه بأحسن ما وصل إليه الفقيه الآخر، ويوافقه أو يخالفه".[1]

إن من سمات العصر تعدد الوقائع، وازدياد الحوادث والقضايا، التي لم يسبق أن وردت- في خصوصها- حلول قاطعة، وإجابات وافية كافية، مثل الشؤون الاقتصادية من: معاملات البنوك والمصارف، ومصير فوائد الأموال المودعة، والاعتمادات والحسابات الجارية، وكذلك مشكلات عقود التأمين، وأمور الزواج، ومشكلة الطلقات الثلاث، والطلاق المُعَلَّق، وقضايا المسلمين والمسلمات في البلاد الأجنبية وأحوالهم..

ومن جهة أخرى، ظهرت بوادر الصحوة الإسلامية، التي تتجلى في عزم المسلمين على الرجوع إلى إسلام القرآن والسنة، لتحكيمهما في كل ما يستجد من أحداث ووقائع، مع الاستفادة من كل الحقائق التي تفيد الإنسان، وهي محصلة المسيرة التاريخية للحضارة الإنسانية المعاصرة.

لهذا كله، أدركت الإنسانية اليوم أن الشريعة الإسلامية هي الدواء الناجع لكل أمراضها ومشكلاتها. وهي في بحثها عن المنقذ لها مما حاق بها من مشكلات، إنما تبحث عن الإسلام من دون أن تعرف حقيقته.

(١) في كتابه تاريخ المذاهب الإسلامية، (٢/ ٢٨١ و٣٠١).

وعلى الرغم من أن الوحي الإلهي هو أساس التشريع الإسلامي وينبوعه الخصب، فإن الإسلام لم يترك العقل الإنساني هملاً، بل فتح الباب لإعمال هذا العقل في البحث والتخطيط واستنباط الأحكام من مصادرها، ووضع الحلول لكل القضايا المطروحة على الساحة الإنسانية؛ لأن الإسلام يحوي نظرة شمولية ترى أن **البشر كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**.

ولقد جعل الله- تبارك وتعالى- العقل مناط التكليف، وهو مصدر التكريم لبني آدم. وأكثر ما يظهر عمل العقل الإنساني، في نطاق التعرف إلى أحكام الله في مجالين مهمين:

الأول: معرفة المقاصد والأهداف من مضمون النصوص الشرعية.

الثاني: استنباط أحكام القضايا المستجدة، واستخراجها مما لم يرد في حكمها نص شرعي صريح.

ومعرفة الأحكام واستنباطها تارة يكون بالقياس، وأخرى بالاجتهاد الجماعي، وثالثة بالرأي الاجتهادي، وجميع صنوف هذه المعرفة تعدّ اجتهاداً يحث عليه الشرع.

ولهذا، فإن الاجتهاد يعدّ حركة علمية بناءة في شرعنا، وكذلك يعدّ مرتكزاً مهماً للحضارة الإسلامية، وسبيلاً واضحاً لتحقيق الغاية

من البيان الإلهي، وإثبات عبودية الإنسان لله تبارك وتعالى؛ وأيضاً يُعَدُّ الاجتهاد طريقاً من طرق الحفاظ على خلود هذا الدين وصلاحيته للتطبيق في كل زمان ومكان.

يقول الإمام الشافعي- رحمه الله- في كتابه ‹الرسالة›: "كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم، أو على سبيل الحق فيه دلالة موجودة. وبناء عليه، فإذا كان فيه حكم بعينه لزم اتباعه، وإذا لم يكن فيه حكم بعينه، طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد".(١)

وكذلك جعل القرآن الكريم منزلة سامية للعلماء وأهل الذكر والمعرفة والاستنباط، وأمر الناس بالرجوع إليهم، فيما يحتاجون إليه من أحكام، قال الله تعالى: ﴿..وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [سورة النساء].

ختاماً.. يمكن أن نصل إلى النتائج الآتية:

١- الاجتهادات الفقهية القديمة، كنوز حضارية تدل على حيوية الفكر الإسلامي، يجب الحفاظ عليها، كونها تراثاً عظيماً، ولكن لا تعد

(١) الرسالة، باب القياس (١/ ٤٧٧).

مُسَلَّمات، بل يستفاد منها في إنشاء الأحكام للوقائع المعاصرة.

٢- التأكيد أن الأحكام الثابتة بالنصوص القطعية لا مَساغ للاجتهاد فيها، ولا مراء في ثباتها في أي ظرف من الظروف.

٣- التأكيد أن باب الاجتهاد المطلق مفتوح لمن تتوافر فيه الأهلية اللازمة.

٤- إن شروط المجتهد- التي طلبها العلماء- لم يرد بها نص شرعي، وإنما عرفت من طبيعة الأشياء؛ إذ بعد قراءة سير رجال رسول الله ﷺ وأصحابه، الذين تصدوا للإفتاء والاجتهاد، وجد العلماء أن من الضرورة أن يتمتع المجتهد بشروط ذاتية وأخرى علمية مكتسبة.

٥- لا بد من أن تتوافر في المجتهد صفات: التقوى، والعدالة، ومعرفة مقاصد الشرع، ومعرفة الناس والحياة، وإلمامه بثقافة عصره.

٦- تجنباً للوقوع في الخطأ والزلل في حال الاجتهاد الفردي، وخشية وجود خلل في شروط قبول الاجتهاد، أرى ضرورة التوجه إلى الاجتهاد الجماعي بلقاء أهل العلم مع وجود أصحاب الاختصاص في المسائل المعروضة.

٧- الاجتهاد ضرورة حتمية في التفاصيل والجزئيات، والأحداث

والوقائع اللامتناهية، كي لا تقف الشريعة عن أداء مهمتها في التشريع والتقنين، وكي تكون صالحة لاستيعاب مستجدات الأحداث.

٨- يجب أن يشمل الاجتهاد أمور الدين والدنيا، وعلينا أن نوجه أعظم طاقاتنا الفكرية والإبداعية لبناء عزة أمتنا الإسلامية وازدهارها.

٩- المطلوب من العلماء أن لا يكونوا مقلدين جامدين، متقوقعين في أطر مذاهبهم، بل أن ينطلقوا ساعين خلف الأدلة، ضمن إطار الشريعة الواسع.

١٠- المطلوب من المجتهدين أن يحملوا لواء التجديد، لا في تغيير النصوص، بل في طريقة فهمها بما يناسب الحال المعاصرة للمسلمين.

١١- التحلي بآداب الاختلاف وحرية الرأي.

١٢- الاجتهاد في المسائل الفرعية ليس ملزماً، بل هو توسعة على الناس، والاجتهاد لا يُنْقَضُ بالاجتهاد.

١٣- أخيراً، كثر الحديث عن أهمية الاجتهاد المعاصر، وأرى أنه لا بد من لفت النظر إلى أمر آخر، هو أهمية الربط بين النظرية والتطبيق.

فالاجتهادات أقوال نظرية، تحتاج إلى تنفيذ وتحقيق في واقع حياة المسلمين، وهذا يحتاج إلى توعية شاملة للأمة، بغرس الإيمان في قلوب

الناس، وتوجيههم إلى معرفة الله ومحبته، وإرشادهم إلى الهدف الأصل، والغاية الكبرى من وجودهم، ألا وهي عبادة الله تعالى.

ومن هنا نتوجه إلى حكام المسلمين بضرورة الالتزام بمنهج الله وأهمية العمل بنصوص الشريعة، واعتماد الاجتهادات الفقهية المتنورة، لتكون هي الحلول لمشكلات المسلمين، بدلاً من الاعتماد المطلق على القوانين الغربية، الغريبة عن واقعنا، البعيدة عن شرع الله عز وجل.

وكذلك نوجه رسالة إلى القائمين على شؤون الإعلام بأشكاله كلها: المقروء والمسموع والمرئي، لتطهيره من الرجس الحاصل، والارتقاء به ليكون هادفاً إلى تحقيق خير الإنسان وسعادته، ببث القيم الأخلاقية، ونشر الفضائل، وغرس الإيمان في أبناء الأمة وتأهيلهم لتحمل أعباء النهوض بها نحو أمجادها.

إن أمتنا أمة حيَّة من طراز رفيع، فقد عانت عبر تاريخها الطويل، ولكنها لم تفقد قدرتها على التجدد، والتمرد على الصعاب. ولم يكن الاجتهاد الفكري فيها في مواجهة المشكلات فقط، بل في تطلب الجديد والمتقدم.

والاجتهاد في تطلب الجديد لم يكن يوماً لدى فقهاء الأمة ومفكريها سعياً عبثياً من أجل الإغراب أو مخالفة المألوف، بل كان من أجل البناء وتجاوز المشكلات وبلوغ الأهداف. فالاجتهاد هو التجربة

التاريخية لأمتنا في مجال النهوض، عن طريق إعمال الفكر في المجالات التي تتعلق بمصالح الأمة في شؤون الدين والدنيا.

نسأل الله تعالى أن يحقق لأمتنا- باجتهاد علمائها- انطلاقة فكرية وعملية واسعة نحو عزتها وتقدمها وازدهارها.

المبحث الثامن

إصلاح التعليم الديني[1]

(١) أخذت معظم أفكار المبحث من سماحته شفوياً، و تمت صياغتها بعد ذلك كتابياً، مع بعض الإضافات اللازمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً- الأفكار الرئيسة:

١- مظاهر الضعف في التعليم الديني:

أ. فصل التعليم الديني عن العلوم الحياتية الضرورية.
ب. عدم تناسب مستوى الإنتاج مع حجم الجهود المبذولة.
ت. تحول عمل الخريجين إلى غير ما رسم لهم من غايات.
ث. الفكر المراهق عند بعض الخريجين.
ج. بُعد بعض الخريجين عن المبادئ مسايرة للواقع.

٢- أسباب الضعف في التعليم الديني:

أ. فصل التربية والتزكية عن التعليم.
ب. التبعية والتقليد الأعمى في المناهج والتدريس.
ت. الانغلاق وعدم الانفتاح على الآخر.

ث. عدم اختيار الطالب الكفء.

ج. فقر الجانبين التربوي والتقني لدى المعلمين.

٣- الحلول العملية لإصلاح التعليم الديني:

أ. اتباع المنهج القرآني في اقتران التعليم بالتزكية.

ب. غرس الحكمة في عقول الطلبة وقلوبهم.

ت. إدخال مواد تتعلق بالعلوم الحياتية الضرورية لطالب العلم الشرعي.

ث. تجديد عرض المناهج والكتب لتناسب عصر الطالب وتلتزم بالمنهج القرآني.

ج.اختيار المدرس المناسب وتطوير كفاءاته.

ح.تزويد الطالب بمهارات علمية وتقنية إضافية.

٤- مسائل مهمة في إصلاح التعليم الديني:

أ. التضييق على التعليم الديني المتنور المعتدل يسهم في نشر التطرف.

ب. وضع شروط ومقومات عند الخوض في مجال الإصلاح والتجديد.

ت. التجديد والإصلاح ينبثقان من قناعة وحاجة داخليتين لا من مطالب خارجية تفرضها ظروف معنية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ثانياً: نص المبحث

لقد ميز الله الإنسان من بقية المخلوقات بالعلم، وميز أمة محمد ﷺ من بقية الأمم بأن جعل بداية منهجها وأساسه كلمة ﴿ٱقْرَأْ﴾ و ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾؛ فقد أقسم تعالى بالدواة والقلم والكتابة لينبه المسلمين إلى أهمية العلم والتعليم والثقافة، لتكون أمة الإسلام شمس الحضارات ومنارة الأمم.

لقد عرف النبي محمد ﷺ الغاية من ﴿ٱقْرَأْ﴾، فبنى أمة عالمة مثقفة حضارية، وضع فيها لبنة العلم بداية لطريقها. وكان التعليم الديني بوابة طريق العلم فيها، لا على طريقة الفصل بينه وبين العلوم الأخرى، كما في واقعنا اليوم، بل على طريقة التكامل والشمولية، التي نهجها القرآن في بناء الإنسان والأمم والحضارة.

فالتعليم الديني عرفه المسلم منذ فجر الدعوة الإسلامية، لا على أنه كيان مستقل عن غيره من أنواع التعليم، بل على أنه لبنة في بناء صرح ثقافته وعلومه، وفكره وشخصيته.

لقد التصق منهج التعليم الديني في عصر النبوة وصدر الإسلام بمنهج القرآن الكريم، حيث طبق المعلم الأول (رسول الله ﷺ) وأصحابه من بعده والتابعون- الأسس القرآنية للتعليم، والتزموا بالمناهج الربانية في تثقيف الأمة، وسلكوا الوسائل المؤدية إلى المنهج الرباني.

لقد بدأ التعليم- عموماً- في عصر النبوة بتعلم العلوم الدينية بمفهومه الشامل، لأن حاجة المجتمع كانت محصورة في معرفة المسلم ربه وأمور عبادته، ولأن الأولوية لهذا الجيل السابق في الإسلام كانت معرفة هذا الدين الجديد، ثم القيام بنشره. ولكن سرعان ما تطورت الدعوة الإسلامية في المدينة، حيث صار لها كيان ودولة، فأضاف النبي إلى منهج التعليم الديني تعلم القراءة والكتابة، ومن ثم اللغات الأخرى، فالمرحلة الجديدة تتطلب الزيادة والتطور. ولم لا ما دام ذلك يخدم الدعوة الإسلامية ويؤسس لقيام حضارة إسلامية؟

لقد فهم الصحابة والتابعون ذلك المنهج، فاستمروا في تطوير التعليم الديني على حسب ما تقتضيه سرعة تطور الدولة الإسلامية، حيث انتشرت رقعتها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وصارت حاجة

الدولة إلى حصن منيع- مبني من العلم والثقافة- حاجة ملحة، فاستمروا في التطوير، وأضافوا إلى التعليم الديني علوم الحياة، من: حساب وفلك وطب وكيمياء وغيرها، إلى أن ظهر في تاريخ الدولة الإسلامية علماء أفذاذ في تلك الاختصاصات، إضافة إلى علومهم الدينية، فكان **ابن سينا** و**الرازي** و**ابن الهيثم** و**الفارابي** وغيرهم. وصار التعليم في الحضارة الإسلامية الرائد بين الحضارات، بل صارت الدولة الإسلامية قبلة الشعوب الأخرى في تلقي العلوم.

ثم جاءت النكسة، وظهر التراجع في العالم الإسلامي في المجالات كافة. ومن ضمن ذلك مجال التعليم، إذ تراجع مستواه، وتخلفت مناهجه وطرقه ووسائله، سواء في التعليم العام أو في التعليم الديني، إلى أن صرنا في مؤخر الأمم، بعدما كنا في صدارتها.

لهذا صارت الدعوة إلى إصلاح التعليم عموماً- والديني خصوصاً- حاجة ملحة، لأن إصلاح التعليم من أهم الأسس التي تساعد على إحياء الأمة الإسلامية من جديد.

ويعيش التعليم عموماً- والتعليم الديني خصوصاً- حال ضعف في العالم الإسلامي، ولا يخفى على أحد أن ذلك منبثق من تخلف العالم

الإسلامي[1] في كل المجالات؛ ولكن ضعف التعليم ربما هو الأهم، لما للتعليم من تأثير في نهضة الأمم أو انحطاطها. ولعل أهم مظاهر الضعف تظهر جلياً في:

١. **فصل التعليم الديني عن التعليم العام**، ولعله أول مظاهر الضعف التي ظهرت من الطريقة التي سلكها العالم الإسلامي؛ إذ صار التعليم الديني مقتصراً على علوم التفسير والفقه والحديث وغيرها مما يتصل بدراسة القرآن والسنة وأمور الدين، وصار التعليم العام متعلقاً بعلوم الحياة من رياضيات وأحياء وهندسة وطب وغير ذلك. وهذا فرض على المجتمع واقعاً جديداً مفاده أن علوم الدين بعيدة عن علوم الحياة، بل وصل الأمر إلى درجة اقتناع بعضهم أنه من أراد طلب أحدهما يجب أن يبتعد عن طلب العلم الآخر.

٢. **تراجع مستوى الإنتاج وحصد الثمار من تخريج طلبة علم على حسب المطلوب**، على الرغم من أن حجم الجهود المبذولة كبير جداً في المعاهد الشرعية والكليات والجامعات المختصة في التعليم الديني، وأعدادها كبيرة جداً في العالم الإسلامي. والحقيقة أن ما يبذل من الجهد والوقت والمال- في سبيل ذلك- لا يتناسب أبداً مع ما ينتج من ناحية

(١) انظر: أزمة التعليم الديني، لخالد الصمدي.

الكيفية المطلوبة في صناعة العالِم القادر على النهوض بأمته ومجتمعه.

٣. **ظهور فئة من طلبة العلم الديني يعملون بروح وظيفية لا بروح دعوية،** فصاروا يمارسون الإمامة والخطابة على أنه عمل وظيفي، وهم فاقدون للمواهب والمؤهلات، التي تجعلهم مؤثرين ومنتجين، أو يمارسون التدريس في المدارس والكليات التي تخرج مختصين مثلهم لا يغيرون واقعاً، لأنهم يربون على نفس الخطأ الذي تربى عليه مدرسوهم، أو يلتفت بعضهم إلى مجالات عمل أخرى في الحياة؛ لأنه لم يحالفهم الحظ في إيجاد وظيفة في اختصاصهم، وكأنهم أضاعوا سنواتهم في اللاشيء، وكأنهم لم يتعلموا شيئاً.

٤. **خروج فئة من طلبة العلم الديني بفكر مراهق وسلوك طائش،** حملوا مبدأ العنف والغلظة في معالجة قضايا مجتمعهم، وهذا عكس آثاراً سلبية على العالم الإسلامي تمثلت في:

أ. ظهور طبقة من المسلمين تكره الدين، وترى أن التقدم يجب استيراده من الغرب.

ب. حقد العالم الغربي على الإسلام ومحاربته بوسائل وطرق شتى.

٥. **بروز فئة أخرى من طلبة العلم الديني يتركون الأخذ بأسباب الدنيا،** ويرون العزلة والبعد عن الناس الحل الأمثل للتمسك بمبادئهم الدينية والأخلاقية، وهذا أورث نظرة خاطئة تبناها المجتمع ضد الدين.

٦. **انحراف فئة من خريجي مؤسسات التعليم الديني عن المبادئ الإسلامية لأجل مسايرة المصالح الدنيوية،** فتنازلوا باسم التجديد، وضيعوا باسم التطوير، وهذا أحدث شرخاً في علاقة المسلمين بعلمائهم؛ إذ أصابت الحيرة بعضهم، ووصف بعضهم الآخر علماء الحق والحقيقة بالتشدد والعقل المغلق.

وهكذا، من خلال عرض ملامح ضعف التعليم الديني في العالم الإسلامي لهذا العصر، ومقارنته بحال التعليم الديني في عصر النبوة والتابعين، نستطيع أن نلقي الضوء على أسباب هذه الضعف.

أسباب الضعف

إن وضع حلول للتطوير والإصلاح في التعليم الديني يتطلب معرفة أسباب ضعف التعليم الديني أولاً. ولعل الابتعاد عن النهج القرآني في التعليم هو المحور الرئيس لهذه الأسباب، منها:

١. إن المتأمل في أمر الله تعالى ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ يكشف السر المتعلق بقوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾، فالله يوجهنا إلى القراءة المتصلة بالله، أي علينا أن نتعلم القراءة، مع مراقبة المتعلم علاقته بالله. فلا يكفي أن نتعلم الحروف فقط، بل لا بد من أن نزكي القلوب معها، لتبني القراءة الربانية مجتمعاً حضارياً مزكى.

أما ما يحصل في واقع التعليم الديني فهو فصل التزكية عن العلم؛ فصار طالب العلم الشرعي يتعلم العلوم الشرعية بعيداً عن الروح التي يجب أن تختلط الكلماتُ الشرعية بها. فعلى سبيل المثال لا الحصر، يتعلم الطالب أحكام الصلاة الفقهية العلمية (شروط الوجوب، شروط الصحة، الأركان، المبطلات.. إلخ) من دون أن يقترن بالخشوع وبتزكية القلب، التي توصله إلى معرفة أسرار الصلاة سلوكاً ومنهجاً في حياته، على الرغم من أن الله تعالى وجه إلى وجوب التزكية والذكر قبل أداء الصلاة حين قال: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ ﴾ [سورة الأعلى]، كي يتحقق الخشوع في الصلاة، ثم الفلاح بأمر الله تعالى ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ ﴾ [سورة المؤمنون]. فتجريد العلوم الشرعية عن التربية الروحية والتزكية القلبية أدى إلى تفريغ العلم من قوة تأثيره في نفس المتعلم وقلبه. ومن ثَمّ، كيف سيؤثر

خريج هذه المؤسسات الشرعية في الناس الذين سيعلمهم، والقاعدة تقول: فاقد الشيء لا يعطيه؟!

٢. لقد وضع القرآن أسساً واضحة لمنهج التعليم عندما قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الجمعة]. فلقد قرن الله العلم بالتزكية والحكمة، وقد بيّنا أثر فقد التزكية في التعليم في السبب الأول، وهنا نلقي الضوء على أثر فقد الحكمة في التعليم. فالحكمة العملية تفرض مناسبة القول للفعل والواقع. ومن ينظر إلى واقع التعليم الديني في المؤسسات الشرعية، يجد أنه يفتقد إلى شيء من الحكمة، سواء في اختيار المناهج أو اختيار الوسائل، أو ملاحظة الواقع والزمان والمكان. فطالب العلم الشرعي يتلقى- على سبيل المثال- علم الكلام، الذي ناسب زمناً معيناً في زمن لا حاجة إليه، ويدرس فِرَقاً بائدة لم تعد لدراستها فائدة، و يتعلم- أحياناً- أحكاماً فقهية من غير فهم مقاصد الشريعة في تشريعها، ويتعمق في دراسة تاريخ السيرة من غير تعليمه فقهها وكيفية الاستفادة من أحداثها في واقعه وزمانه، وغير ذلك من أمثلة، وهذا أدى إلى تخريج طالب شرعي لم يتمرس على الحكمة، إذ لم يجدها في مناهجه، فخرج إلى الناس يعلمهم من دون حكمة، فاصطدم مع واقعه وتشدد في إصلاحهم، فنفروا منه، وتأخر

عن مواكبة متغيرات عصره، فصار مثالاً للتخلف. وهكذا، لم يؤت الحكمة، فمُنع عنه الخير، ومنعه عن الآخرين.

٣. لقد عاب الله على الذين أصيبوا بداء التقليد الأعمى لأسلافهم.. ولو كانوا آباءهم، بل دعا- سبحانه- إلى الأخذ من الماضي بالمفيد، ثم حسبان الحاضر، مع ضرورة استمرار التفكر للوصول إلى الإبداع. ولكننا نلحظ في منهجية التعليم الديني الالتزام بحرفية ما نتج من مجهود علمائنا السابقين، من غير الانتباه إلى آلية التفكير التي أنتجت علمهم وفكرهم، فيرسخ في عقلية طالب العلم التقليد لا الاجتهاد، والجمود على الأفكار من دون تفكير وتمحيص، ثم يتجه إلى التعصب لا الموضوعية. كيف لا وقد التزم مدرسوه بالنهج والفكر ذاتهما، فلم يعد يشعر خريج هذه المؤسسات بضرورة تحسين التعليم الديني وإصلاحه، فما بالكم بما هو أعمق وأكبر؟! فعلى سبيل المثال، ما زال يدرس في الفقه أن قطرة الأذن والعين فيها خلاف في إفطار الصائم. وما زالت طريقة التلقين وعدم المناقشة والحوار هي السائدة في التعليم، فكيف سيتطور واقع التعليم في ظل ذلك الجمود؟!

٤. ولا يخفى على أحد أن المعلم هو العمود الفقري في عملية التعليم الديني. ولذا، أرسل الله الأنبياء مع الكتب، ولكن الله أرسل الأنبياء معلمين بلغة أقوامهم ووفق مداركهم وأسلوب تفكيرهم. وإن

معلمي التعليم الديني- في هذا العصر- تفوقوا في الجانب المعرفي للعلوم الدينية على نحو كاف، ولكن طبيعة التعليم- في هذا العصر- لم تبق محصورة على الجانب المعرفي، بل لا بد للمعلم من أن يتعرف إلى الجانبين التربوي والتقني، اللذين يعطيان المعلم- إضافة إلى طلبته- طريقة تناسب مداركهم وطبيعة تفكيرهم، التي تغيرت عن العصور السابقة.

إن العلماء في زمن ازدهار التعليم الديني في حضارتنا الإسلامية عرفوا الجانب التربوي التطبيقي لعصرهم، وطوروا أنفسهم بما يتناسب مع عصرهم. ولذا، لا يصلح من معلمي اليوم أن يجمدوا على أسلوب لا يتناسب مع عصرهم، بحجة أن أسلافهم نجحوا فيه، فإن جمود بعض المعلمين أدى إلى نفور الطلبة من التعليم الديني، وهذا جعل واقع التعليم الديني في تراجع. فليس عيباً أن يدخل المعلم الديني- مهما علا شأنه- في دورات تربوية تقنية تساعده على فهم أسلوب تفكير أجيال عصره، فيضمن تواصلاً فاعلاً معهم.

٥. إن العملية التعليمية تفاعل بين المعلم والطالب. وإن كنا بينا- في الأسباب السابقة- إشكالية المعلم، فلا بد- هنا- من أن نذكر إشكالية طالب التعليم الديني. فمن أسباب تخلف التعليم الديني، هو نوعية الطالب ابتداءً، أو عدم رعاية الطالب المتميز بالشكل الوافي. وإن إشكالية اختيار الطالب تقع مسؤوليتها- أولاً- على نظرة المجتمع

وتفكيره في الطالب الذي يجب إلحاقه بالتعليم الديني، فمعظم الأسر تبعد الطالب المتفوق والمتميز عن دخول المدارس الشرعية، بحجة أن التعليم العام له فرص عمل أكبر، وتدفع أولادها الأقل كفاءة إلى التعليم الديني إذا رغبت فيه، وأيضاً تقع مسؤولية اختيار الطالب على المؤسسة التعليمية، حيث لا يوجد- في معظم الأحيان- شروط تضمن اختيار الطالب الكفء، القادر على تحمل مسؤولية التعلم الديني؛ فصار المهم أن نضع عدداً معيناً في المؤسسة أو الكلية، وكأننا نتنافس على العدد بين المؤسسات الشرعية، وهذا ينتج منه عدم جني الثمرات المطلوبة.

إضافة إلى ذلك، يوجد تقصير في رعاية الطالب المتميز- إن وجد- في المؤسسات الشرعية، على نحو يخرج أكثر تميزاً وفاعلية، ومن ثم يشجع المجتمع على إلحاق أبنائهم المتفوقين في التعليم الديني، وهذا يدفعنا إلى القول بأنه ليس هناك استراتيجية فاعلة لتغيير نظرة المجتمع إلى التعليم الديني، التي من أهم معالمها تخريج طلبة أكفاء يبهرون المجتمع بعطائهم وفكرهم.

حلول عملية

وبعد أن عرضنا لأهم أسباب تراجع التعليم الديني وضعفه، ومن باب أن لكل مشكلة مخرجاً، نقدم بعض الحلول العملية الواقعية، التي تسهم في إصلاح التعليم الديني وتطويره.

ولما كان محور ضعف التعليم الديني هو البعد عن منهجية القرآن والسنة النبوية، فمن الواجب أن يكون محور جهود إصلاح التعليم الديني هو الرجوع إلى منهجية القرآن والسنة، وإن أي حل لا ينبع عن فهم دقيق لمنهج القرآن والسنة هو غير مقبول. ولذا، نضع- وفقاً لهذه القاعدة- **الحلول الآتية:**

أولاً: الرجوع إلى منهج القرآن والسنة في اقتران التعليم بفقه التزكية ومقام الإحسان والتربية الروحية والسلوكية، من خلال القيام بالخطوات الآتية:

أ. تأكيد القيم الروحية والتربوية في إعداد طالب العلم الشرعي.

ب. ربط الطلبة بمحبة النبي ﷺ القدوة الحقيقية، التي تمثل الحقيقة الإسلامية والأحكام الشرعية علماً وسلوكاً.

ت. وضع برامج عملية للتزكية من خلال أشكال تناسب مدارك الطلبة ونفوسهم، بما يتوافق مع القرآن والسنة وسلوك السلف الصالح والعلماء الربانيين.

ث. إدخال مادة تعرض مفهوم التزكية وتطبيقها وفق منهج القرآن والسنة، بعيدة عن التسميات والشكليات والأمور المسببة للخلاف.

ج. تأكيد صحبة العلماء الربانيين- أهل التزكية والورع- للاستفادة من علومهم وخبراتهم وأدبهم، على نحو يتشرب الطالب مادة التزكية من منبعها الصافي، مع غرس أهمية التوازن بين الحياة العلمية للطلبة وحياتهم الروحية، وهذا يضمن الفوائد الآتية:

- تقوية الوازع الديني في نفوس الطلبة.
- غرس القيم الأخلاقية، وهذا يحسن سلوكهم.
- ازدياد التعلق بالعلم، لأن التقوى سبب ازدياد العلم.
- تجنب آفات العلم من كبر وعجب ورياء.
- ازدياد حرص الطالب على نشر العلم، والقيام بواجب الدعوة والإصلاح؛ لأن القوة العلمية تحتاج إلى قوة تحركها، تتمثل في القلب المزكى المتعلق بالله تعالى.

ثانياً: التركيز على غرس قيمة الحكمة في عقول الطلبة وقلوبهم، ليقترن العلم مع التزكية والحكمة، فيتحقق منهج القرآن في تأسيس العملية التعليمية والدعوية، عن طريق التطبيقات الآتية:

أ. تعليم الطلبة مقاصد الشريعة مع تعلمهم الأحكام الشرعية، لكي يتفهم الطالب روح التشريع الإسلامي الداعي إلى التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير، وتحقيق مصلحة الأمة.

فالصحيح أن تشمل مناهج التعليم الديني دراسة متعمقة للعلوم الشرعية، مع بيان حكمتها ومقاصدها، وأساليب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والاستفادة من الوسائل والأساليب الإعلامية المعاصرة، وفنون التأثير في الجماهير والتدريب العملي على ذلك.

ب. إلقاء الضوء- على نحو منهجي- على جوانب الحكمة في سيرة الرسول ﷺ وعدم الاكتفاء بعرض السيرة على أنها أحداث تاريخية.

ت. تدريب الطلبة على الحكمة، من خلال مصاحبة العلماء الحكماء، أو من خلال عرض مواقف حكيمة لعلماء مشهورين في العالم الإسلامي بالتزام الحكمة في دعوتهم.

ث. تعليم الطلبة الحكمة بالقدوة الحسنة من معلميهم ومدرسيهم، على نحو يُختار المعلمون الأكفاء في التزام الحكمة منهجاً وسلوكاً، ولاسيما في طريقة تعاملهم مع الطلبة، ليتخرج الطالب متشرباً الحكمة سلوكاً عملياً.. لا نظرياً افتراضياً، وبذلك نضمن الفوائد الآتية:

- نشر ثقافة التيسير والتبشير في عقول المسلمين.
- تغيير نظرة المجتمع إلى رجل العلم الشرعي، على نحو يكثر المتقبلون والمؤيدون للتعليم الديني.

- تجنب خروج فئة ذات فكر مندفع طائش، بعيدة عن روح التشريع وعن ثوابت سنة النبي ﷺ ودعوته الحكيمة.

- الوصول إلى مجتمع حضاري ملتزم بالإسلام علماً وحكمة وتزكية.

ثالثاً: اتباع منهج القرآن في طلب العلم، المتمثل في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سورة طه]، حيث جاءت كلمة ﴿عِلْمًا﴾ نكرة تفيد العموم، لتتضمن مناهج المؤسسات الشرعية علوماً شرعية وعلوماً حياتية، ولمحات موجزة عن العلوم العامة، التي لا غنى للإنسان المثقف عن معرفتها. مع التركيز على تعلم اللغات الأجنبية على نحو يكون طالب العلم الشرعي مطلعاً على العلوم التي تفيده في بناء فكر يعيش العصر، وقادر على الاستحواذ على قناعات الناس بقيم الإيمان والإسلام...

والصحيح- أيضاً- أن تشتمل مناهج العلوم العامة على ما لا بد من معرفته من العلوم الدينية، إلى جانب الاختصاص بدراسة العلوم العامة.

رابعاً: تدريب طلبة العلوم الشرعية نظريا وعمليا على الدعوة إلى الله تعالى، وضرورة إتقانهم لفنونها ووسائلها ومتطلباتها، وهذا الأمر هو أهم غايات دراسة العلوم الشرعية، وعليه يتوقف تحديد نجاح التعليم الديني أو فشله.

خامساً: التوجه إلى إصلاح طريقة عرض المناهج والكتب، على نحو تضمن غرس قيم تربوية وفكرية، تلتزم بمنهج القرآن والسنة، وتناسب عصر الطالب الذي يعيش فيه؛ لأنه لا بد من تجديد أساليب التواصل، ومن الحكمة امتلاك القدرة على التواصل بالوسيلة المناسبة واللفظ المناسب، من خلال التطبيقات الآتية:

أ. مراعاة المناهج والكتب لبناء أسس التفكير والنقد في عقل الطالب كما فعل أسلافنا، إذ ربوا أجيالهم على فهم أدوات التفكير والإنتاج ليستمروا في تجديد المعرفة، لا ليقنعوا بالمعرفة التي أخذوها من علمائهم، لأن الغاية الكبرى من العملية التعليمية تطوير القدرات والمهارات، التي تؤهل المتعلم لبناء ذاتي من العلم والمعرفة. فكل عصر له قضاياه الجديدة في الإنسان والبيئة والأسرة والمجتمع والاقتصاد، وفي كل عصر يحتك الأبناء مع الثقافات الأخرى، وهذا يؤدي إلى طرح أسئلة وإشكالات. فعندما يتقن الطالب استعمال أدوات الإنتاج المعرفية، فإنه يستنطق مصادر الوحي ليكشف عن مخزونها، وينقلها بلغة عصره ليجعل الفقه الإسلامي- بمعناه الواسع- حياً.

ب. يتمثل بناء أسس التفكير في عقل الطالب عملياً من خلال عدم حشو الكتب بالنصوص والأقوال، على نحو يتطلب استيعابها من الطالب حمولة نفسية، تحد من قدرته على التحليل والتركيب والنقد،

ومن ثم لا يستطيع بناء معرفة متجددة، على الرغم من أن منهج القرآن والسنة في التفكير وبناء المعرفة يعتمد على السؤال والتحليل، أليس في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ..﴾[سورة البقرة]، وفي سؤال الصحابة لرسول الله، وفي طريقة الصحابة من تعلم القرآن خمساً خمساً لا يتجاوزوهن حتى يعلموهن ويعملوا فيهن، دليل على ذلك؟

لقد نزل الرسول على رأي صحابته في أكثر من مرة، وميز علماء المسلمين المتقدمون بين النص والاجتهاد. ولذا، لا بد من مناهج لا تقدس كل ما يقرأ عموماً، حيث لا تفرق بين نص من الوحي يفتح أمام القارئ هامشاً واسعاً للسؤال والتحليل وبين نص من التاريخ يعكس اجتهادات السابقين في التعامل مع النص.

ت. العمل على الاهتمام بالجانبين التربوي والتقني للمناهج والكتب؛ إضافة إلى الجانب المعرفي. فطالب اليوم غير طالب القرن السادس الهجري وما قبله. ولذا، يجب التنبه إلى النقاط الآتية:

- تجديد اللغة والألفاظ المناسبة لعصر الطالب.
- مراعاة الفئات العمرية وإمكانات الطلبة.

– الانتباه إلى طريقة بناء المحتوى التعليمي، على نحو يضمن التدرج والتنسيق بين المراحل التعليمية، وتنظيم المعارف وشموليتها وربطها بالواقع والعصر.

– الاهتمام بطرق التدريس المناسبة لعقل طالب اليوم وفهمه، على نحو تتنوع فيه أساليب إيصال المعلومات، فلم يعد التلقين وحده نافعاً لإيصالها.

– التركيز على الكيف لا على الكمية في غرس المعلومات والقيم.

– الاهتمام بالإبداع والتنمية والناحية العملية.

– استعمال الوسائل والتقنيات الحديثة، مثل: الحاسوب ووسائل الاتصال في عرض المعلومات والتواصل مع الطلبة.

سادساً: العمل على اختيار المدرس المناسب لتعليم العلوم الشرعية والحياتية في المؤسسات التعليمية الدينية. ولعل كفاءة المعلم المعرفية والعلمية تجدها في هذه الأيام على نحو كاف، ولكن لا بد من توافر خصائص أخرى بالمعلم؛ فالتعليم ليس إفراغ وعاء من علم في وعاء آخر فقط، بل هو فن إيصال المعلومات إلى الطالب بالوسيلة المناسبة لقدراته ولعصره. ولذلك لا بد من التوجه إلى تطوير الكادر التدريسي باستمرار ليتناسب مع المرحلة التي هو فيها، والعصر الذي يعيشه.

ومن التوصيات في هذا المقام:

أ. تدارك الضعف عند المدرس من الناحيتين التقنية والتربوية، وتزويده بالطرق الحديثة والأساليب المتناسبة مع الجيل الذي يدرسه، غير التلقين، وإقامة دورات متجددة يطلع فيها المدرس على آخر الطرق التربوية والتقنيات الحديثة في إيصال المعلومات إلى الطلبة على اختلاف مستوياتهم.

ب. نشر ثقافة قبول الحوار في عقول المدرسين، على نحو يَكسِر فيه المعلمُ الحواجز المبالغ فيها بينه وبين الطلبة، فيناقشهم ويستمع إلى وجهات نظرهم، وإن خالفت توجهاته وآراءه، ليمنع غرس التعصب في فكر الطلبة. فأدب الاختلاف وجد في عصر أسلافنا العلماء، ويجب أن يعاد إلى المفهوم التعليمي، ولاسيما بوجود الطالب في عالم صار قرية صغيرة بسبب وسائل الاتصالات والإعلام. لذا يجب تدريب المدرسين على معالجة قضايا طلبتهم وإشكالاتهم التي قد يستمدونها من وسائل المعرفة المختلفة؛ فلم يعد ينفع اليوم الرأي الواحد والقول الأوحد، حتى في القضايا الشرعية، التي كانت تعد من المسلمات لدى بعضهم. فالطالب في سورية- مثلاً- صار يتعرف إلى وجهة نظر علماء مصر والمغرب العربي وأوربة من الفتاوى التي تظهر في وسائل الإعلام، سواء كانوا علماء مشهود لهم بالعلم أو علماء مدعين. ولذا يجب على

المدرس الاطلاع أولاً، ثم التمرس على ملكة الاستيعاب والحوار الهادئ، ثم أخذ المواقف المناسبة.

ت. تحلي المدرس بالإخلاص والجدية والتزكية، ليكون القدوة الحسنة في العلم والعمل والسلوك. فلا يصح من المدرس أن يفصل بين عمله التربوي وسلوكه الشخصي بدعوى أي ذرائع أو تأويلات.

ولذا، على الجهات المسؤولة عن تعيين المدرسين إخضاع الكادر التدريسي- سواء كان القديم أو الجديد- لدورات تربوية يلتقي فيها العلماءَ المزكين، ويمارس فيها وسائل التزكية ليحافظ على الرقي في مبادئه وسلوكه، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، والتعليم بالحال والفِعال أقوى من التعليم بالقيل والقال.

ث. تأمين تفرغ المدرس للتعليم، وراحته من النواحي المادية والمعنوية والنفسية. وعلى الجهات المختصة بتعيين المدرسين العمل على ذلك؛ فالمدرس قلب وعقل وأعصاب، وليس آلة تدار. فالعطاء يتطلب وسائل وأسساً تقويه وتضمن استمراره، ولعل الراحتين المادية والمعنوية من أهم مقوماته، ولعل النظرة المادية للمجتمع في هذا العصر تفرض علينا تحسين صورة المدرس أمام الطلبة وأهلهم. فعندما يشعر المجتمع بأن المدرس له قيمة عملية ومكانة مادية، يصير المدرس ذا تأثير أقوى في نفوس الناس، وهذا يفرض عليهم احترامه.

ج.توجه المدرس إلى توسيع ثقافته العامة المتعلقة بمجتمعه وقضايا عصره، وعدم انغلاقه على اختصاصه، أو رفضه لمعرفة ما يدور حوله؛ لأن الأحكام الشرعية والأمور الدينية تتداخل كثيراً مع ما يستجد في المجتمع وحياة الناس. ونظراً إلى عدم تفرغ المدرِّس أحياناً، كان لا بد من اتخاذ آليات ووسائل تضمن معرفته بواقعه ومجتمعه، إما من خلال عقد ندوات دورية يعدها مختصون بحياة المجتمع والناس، يطلعون فيها المدرسين على آخر المستجدات، أو من خلال التواصل عبر مواقع الإنترنت المخصصة لذلك؛ فإن توسع ثقافة المدرس واطلاعه على محدثات مجتمعه يقوي موقفه بين الناس عموماً والطلبة خصوصاً، ويشعر الآخرين بالدَّيْناميّة والبعد الحضاري لدى مدرس العلوم الإسلامية، وإلا شعر المجتمع أن علماءه في واد وهم في واد آخر، فينفرون وربما يعادون.

هـ ـ توفير بعض المهارات الإضافية في حياة طالب العلم الديني، سواء أكانت المهارات تتعلق بالناحية الفكرية أم المهنية العملية، وهذا يزيد طالب العلم معرفة بأمور أخرى غير الدراسة الشرعية، ويحصنه بمصدر رزق آخر لو أنه لم يستطِع العمل ضمن اختصاصه العلمي. ولا يشترط بالضرورة أن يجمع مهارات عدة، بل يتوجه إلى إتقان مهارة ما، سواء أكانت فكرية أم مهنية، على حسب إمكاناته ورغباته. فعلى سبيل المثال، هناك مهارات فكرية وعلمية تناسب الحياة العلمية للطالب الديني، مثل: تعلم اللغات، تعلم استعمال الحاسوب

ومهاراته، دراسة مجالات الإعلام وتقنياته، دراسة مجالات المحاسبة والصيرفة الإسلامية، والمهارات التقنية.. إلخ. ويمكن أن يتم تعليمه هذه المهارات ضمن دورات منفصلة، تكون بمثابة النشاط والتغيير، أو بأي أسلوب آخر. فتعلم المهارات الفكرية أو التقنية يعطي بعداً إيجابياً إضافياً لشخصية الطالب في التعليم الديني، ولنظرة المجتمع إلى المعلم الديني في مستقبله.

والآن، بعد عرض الحلول العملية لإصلاح التعليم الديني، لا بد من أن نلفت الأنظار إلى ثلاث نقاط:

١- إن إضعاف التعليم الديني والتضييق عليه هو العامل الأساس لانتشار التطرف؛ لأنه عندما يضعف التعليم الديني، تكون المعلومة لدى الطالب مشوهة مختزلة غير مقنعة، إما لضعف أدلتها أو لسوء طريقة عرضها أو لتشويهها؛ فضلاً على انفصامها عن الواقع والثقافة الإسلامية التي يتلقاها الفرد في المجتمع. وعند ذلك سيبحث الشاب عن المعلومة بنفسه، وسيجد من يقنعه بفكر التطرف، ومن ثم سيكون التطرف أكثر انسجاماً في ذهنه من معلومة مجتزأة تفرضها عليه سلطة تعليمية متهمة بالانحياز، فلم تعطِه المعلومة بحياد وإقناع.

٢- إن الخوض في مجال الإصلاح والتجديد يحتاج إلى مقومات وشروط، سواء في الشخص الذي أخذ على عاتقه أمر التجديد، أو في

المادة التي يريد تجديدها، حتى لا يكون هناك خلط شديد بين التجديد وتقديم التنازلات في الأسس والمبادئ، ومن ثَمّ لا تكون فتنة. ولذلك لا بد من التوجه إلى التفكير الجماعي في التجديد والإصلاح، لأنه في الجماعة يؤمن من الخطأ.

٣- إن موضوع التجديد والإصلاح يجب أن ينبثق من قناعة وتوجهات داخلية في العالم الإسلامي، تنبع من إيمان النخب العلمية والفكرية فيه بضرورة استمرار الإصلاح والتجديد، لا من مطالب خارجية فرضتها وقائع وظروف معينة. فالعالم الإسلامي- بطبيعته- متجدد في فكره وعطائه. ولذا، عليه القيام بواجب التجديد كل مدة، وهو لا ينتظر من يملي عليه أفكاراً أو توجهات للقيام بالتجديد.

وختاماً، نسأل الله أن يعيد لأمتنا مجدها العظيم في نشر الحضارة والثقافة والعلم.

المبحث التاسع

ضرورة تملك الأمة الإسلامية

للثروة ووسائل التقدم الحضاري[1]

(١) محاضرة ألقاها سماحته في إذاعة دمشق، في عام ١٩٦١.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة:

١- في القرآن الكريم، الغنى والثروة شعار عباد الله المؤمنين المستغفرين، ومكافأة لمن استقام على شرع الله وابتعد عن معاصيه.

٢-وعد الله المحسن التقي أن يحيا حياة طيبة في الدارين.

٣-المكافأة في الدنيا لا تنقص مقام المؤمن في الدار الآخرة.

٤-الفهم العميق للقرآن يوجه الإنسان إلى ميادين العمل والإنتاج.

٥-القاصرون عن الفهم الحقيقي للقرآن يدَّعون أن التدين عزلة عن ميادين الحياة، وهم يسترون بذلك عجزهم وكسلهم. وفقراء العلم وضعيفو الثقافة القرآنية يقبلون مثل هذه الادعاءات.

٦-هؤلاء المدعون يطعنون في كل مجتهد منتج، ويجعلون الفقر والإفلاس علامة الكمال في الدين، ناسين توجيهات القرآن المأخوذة من قصة يوسف عليه السلام وآيات قرآنية كثيرة.

٧- لم يوجه القرآن أتباعه إلى العبادة وحسن الخلق والاجتهاد في أمر الآخرة فحسب، بل وجههم أيضاً إلى العمل والكفاح ومحاربة الفقر والجوع والاستعمار. وتاريخ العرب بعد دخولهم الإسلام خير دليل.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ثانياً: نص المبحث

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿..رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة البقرة]، ويقول تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [سورة القصص]، ويقول تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة التوبة]، ويقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [سورة الأنفال].

إن القرآن الكريم جعل في بعض آياته الغنى والثروة شعار عباد الله، الذين أحبهم ورضي عنهم، وجعل الوسعة المادية والبحبوحة واليسار في الدنيا علامة ومكافأة لكل من استقام على شريعة الله، وحرص على طاعة ربه، وابتعد عن معاصيه، تقديراً من الله- تعالى-

لإحسان المحسن، ومكافأةً من الربّ- جل جلاله- لكل مستقيم على جادة الهدى والصواب؛ فيقول تعالى في سورة نوح: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾. [سورة نوح].

فهل نرى نحن في نص كلام الله- تعالى- أن الخصب والرخاء والقوة بالثروة والمال، إلى جانب هبة الله للإنسان الأولادَ والأحفادَ، مع الحدائق والرياض المزينة بأنواع الثمار والورود والأزهار، وحيث الأنهار العظيمة، والعيون الغزيرة، المتدفقة بالماء والحياة.. هل نرى أن وجود هذه الأنواع المنوعة من النعم والخيرات هي من مستلزمات المؤمنين المستغفرين، ويجب أن لا تفارق ولا تجانب التائبين المنيبين، والفاهمين العالمين؟!

لقد أعطى الله من نفسه وعداً صادقاً، وسجل على ذاته عهداً قاطعاً، لعبده المؤمن التقي الفاهم عن الله إرشاده وتوجيهه، أعطاه صكاً على ذاته العلية أن يهبه العيشة الرضية، وأن يحييه الحياة الهنية في هذه الدار، وعند لقاء الله في الدار الخالدة الباقية، فقال الله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة النحل].

وكذلك نص القرآن الكريم على أن مكافأة الله لعباده- الذين اهتدوا بهدي ربهم، وطبقوا قوانينه في أقوالهم وأعمالهم، وتحلوا

بالأخلاق، وقاموا بأداء الواجبات والأعمال، التي طلبها الله منهم- على أن مكافأة الله لهؤلاء المتقين تكون في الدنيا بما يسدي إليهم- سبحانه- من خيرات، لا تنقص مقامهم عنده في الدار الآخرة، ولا تحد من مكانتهم ودرجاتهم العالية في جنات الخلود، فيقول تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة العنكبوت].

وكذلك روت لنا الأخبار أن الله تعالى وهب لخليله ونبيه **إبراهيم**- عليه السلام- الأولاد والذرية، وجعل فيهم النبوة، إلى جانب تخليد الله لذكر سيدنا إبراهيم، والثناء عليه على مر الدهور والعصور.

إن كل من ينظر- بدقة وعمق- إلى القرآن العظيم، وإنَّ كل من يتلوه بتدبر وفهم، يجدُ هدى الله في كتابه، يأخذ بيد الإنسان إلى ميادين الحياة، إلى ميادين الإنتاج والكفاح، إلى ميادين العمل الشريف النافع المثمر.

وهو العكس تماماً لما يفهمه بعض القاصرين والمتعنتين والمتزمتين من أن التدين عزلة عن ميادين الحياة، وابتعاد عن جادة الكسب والإنتاج، وزهد وإعراض عن اكتساب أسباب القوة المادية والمعنوية، وهم- بهذه المدعيات- يسترون عجزهم وكسلهم، وخَوَرَهم وضعفهم، ويُرَوِّجُون بضاعتهم الكاسدة المزجاة على فقراء العلم،

وضعفاء الثقافة القرآنية، وينشرون ذلك الفقر والعجز هنا وهناك، وينشرون الخمول والضعف والكسل ذات اليمين وذات الشمال، بل يزيدون على ذلك الغمز واللمز، والتلويح أو التصريح بنقد كل جاد مجتهد، والتعريض بكل مكافح منتج. ويجعلون من علامة الكمال في الدين والورع فيه والتمكين الفقرَ والإفلاسَ والجوعَ والحاجة إلى الناس، ونسوا أن نبي الله **يوسف**- عليه السلام- طلب بلسانه إلى **ملك** مصر، أن يتولى وزارة المال والتموين، كما يقول الله عنه: ﴿ **قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾** ﴾ [سورة يوسف]، ثم يقول تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾** ﴾ [سورة يوسف]، إلى أن قال الله في حق يوسف، وقد تبوأ عرش الملك، وصارت كنوز الذهب والفضة تحت قدميه، وقد رفع أبويه على العرش، وخر له إخوته سجداً، قال الله تعالى على لسان نبي الله يوسف: ﴿ **قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾** ﴾ [سورة يوسف].

إن الدين الحق، والإسلام الحقيقي، لم يقف مع المتدين عند حد أداء فرائض العبادات، والابتعاد عن المحرمات والمنكرات فحسب. لم يكتف الإسلام، ولم يرض للمؤمن، أن يكون ذا أخلاق عالية مع

الناس والخلق، مجداً مجتهداً في أمر آخرته، معتنياً جاهداً بأمر روحه وقلبه فقط، في وقت يكون مهملاً لأمر دنياه، بعيداً عن ميادين الحياة. لم يرض الدين أن يكون المؤمن زاهداً في اكتساب الثروة والمال، قاعداً متقاعساً عن الكفاح والنضال، صديقاً للفقر، حليفاً للجوع والعري، جليساً للفاقة والحاجة، قعيد بيت، وجليس ظلام، عدواً لنعم الله إذا وجدها عند عباده.

بل جعل الإسلام المؤمن الصادق، والدَّيِّن المخلص، هو من وعى عن الله دينه، وتدبر كلامه وهديه، واستصحب في هذه الحياة إلى ميادين الكسب والعمل عقله وفكره، ودرس تاريخ العرب قبل الدين والإسلام، كيف كانوا فقراء تعساء جياعاً عراة مرضى جهلة، أذلة محتلّين؛ ثم لما أكرمهم الله بنزول وحيه، وفهم قرآنه، وتدبر أحكامه، وتنفيذ أوامره، والعمل بوصاياه، كيف أغناهم الله وأعزهم، وكيف جعل خزائن الدنيا بين أيديهم وتحت أقدامهم، تحقيقاً لوعد الله الصادق؛ إذ يقول: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [سورة الطلاق].

ومكافأة من الله لهم وثواباً منه على حسن فهمهم لدين الله وشريعته، التي منها قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥ ﴾ [سورة الملك].. **وقول النبي ﷺ:**

«نعمَّا بالمالِ الصالحِ للرجلِ الصالحِ»[1]، **وقوله** ﷺ: «نعمت الدار الدنيا لمن تزوّدَ منها لآخرته حتى يُرضي ربّه، وبئستِ الدارُ الدنيا لمن صدّتهُ عن آخرته، وقصرت به عن رضا ربه. وإذا قال العبد: قبَّح الله الدنيا، قالت الدنيا: قبّح الله أعصانا لربه»[2].

(١) أخرجه أحمد، بقية حديث عمرو بن العاص رضي الله عنهما، برقم ١٧٨٠٢؛ وهو صحيح.

(٢) أخرجه الحاكم عن طارق بن أشيم ﷺ، في كتاب الرقاق، برقم ٧٨٧٠؛ وخالف الذهبي تصحيح الحاكم وقال بضعفه.

ثانياً

الدراسة والتحليل

(لما ورد في فصل التجديد والإصلاح)

- العودة إلى الإسلام
- التزكية والتصوف
- ومن يؤتَ الحكمة
- إصلاح التعليم الديني
- المفهوم الشامل للقرآن وتفسيره بلغة العصر
- الاجتهاد والتعصب المذهبي
- أفعال لا أقوال

بسم الله الرحمن الرحيم

التجديد والإصلاح

في طروحه في هذا الجانب، يتّبع سماحته- قدّس اللهُ روحَه، ونوَّر ضريحَه- أسلوبه الأمثل في مناقشة أي موضوع؛ إذ يشخّص الداء ويبيّن الأسباب، ثم يعرّف بالدواء المناسب له، مع مناقشة كل محور من المحاور الثلاثة (المظاهر، الأسباب، الحلول) على نحو يستوعب معظم جزئيات المحور، ما يجعل وصف الدواء أقوى فائدة وتأثيراً.

ولكن سماحته يوضح أن واقع العالم الإسلامي- اليوم- ليس واقعاً بسيطاً، وأن اكتشاف الداء ليس يسيراً لكثرة التعقيدات، لما يحمل من تراكمات تاريخية وظروف على الأرض شائكة.

وكثيرون من علماء أمتنا ومفكريهم عَزَوْا الداء إلى تكالب أعدائنا علينا، وهم بذلك يشعرون براحة الضمير؛ لأنهم يرفعون

المسؤولية عن كاهلهم، ويحملوها للتاريخ وللآخرين. ولكن سماحته- بعمق البحث والنظر- يجد أن العدو ليس هو الداء الفعلي، وإنما الداء الفعلي يكمن في ابتعادنا- نحن المسلمين- عن التحصن ضد التمزق والجهل، وهي الشرور التي صنعناها بأيدينا وأَسهمَ العدو في زرعها في عقولنا جراثيمَ وأمراضاً. ولو كان في عقولنا وسائل المناعة اللازمة، لما استطاع العدو أن يفعل فعلته.

أما أنه وقد فعل، فهل نقف مكتوفي الأيدي مع ما بنا من أمراض، ونحن نملك اللقاحات اللازمة، التي تنقذنا من هذه الأمراض، ومن ثم تخلصنا من ذلك العدو نفسه، الذي يغذي الأدواء ليضمن استمرارها في جسد الأمة، ويضمن تسلطه علينا؟

لقد عمل سماحته بجهد دؤوب- على مدار سبعين عاماً- من أجل بيان الداء والدواء؛ فنبه الأمة وعلماءها إلى **عوامل الجمود والتخلف**، اللذين أصابا الأمة في عصرها الأخير، ثم إلى عوامل **الإصلاح والتجديد** في مفاهيمنا **لجوهر الإسلام وحقيقته**، التي تكفل للأمة تحقيق الهدف المنشود، مع بث التفاؤل بالبشارات القرآنية والنبوية في أن المستقبل للإسلام، وأنه يرى أماراتها في القرن الحادي والعشرين.

- **العودة إلى الإسلام:**

وفي المنطلق إلى إصلاح حال المسلمين.. ومعالجة أزمة الدعوة في واقعنا المعاصر.. واستعادة مجد الأمة.. وتحقيق السعادة والحياة المزدهرة المستديمة في الأرض التي ينشدها الإنسان في كل مكان وزمان، يُرشد سماحته إلى أن مفتاح الحل في متناول أيدي المسلمين، إن التزموا الإسلام- بحقيقته وجوهره- في تشريعهم ومناحي حياتيْهم الدعوية والعملية.

ويحدد سماحته ملامح العودة في وضع منهج واضح وخطة عملية لا قولية، تتجلى أسسها بالعودة إلى القرآن.. المشروح بالسنة الصحيحة في المضمون والشكل.. وبالمعنى الشامل الواسع لمفهوم الإسلام بالأسلوب المناسب لعصرنا.

ولا سيما أن القرآن يمتاز عن سواه من الكتب السماوية بأنه متنوع في طرحه ومنهجه، في العقيدة وفي التشريع وفي الأخلاق والحياة.

ومن التعاليم- التي يكفلها القرآن- الدعوةُ إلى العلم وحفظ الحقوق، حتى إنه لا يباريه في ذلك أي شرع.. لا علمياً ولا عملياً.

وكذلك امتازت أوجُه هذه الشريعة بإمكان تطبيقها في كل المجتمعات وفي كل العصور؛ فخصائص التشريع القرآني- التي يستعرضها سماحته- تتمتع بالصلاحية لكل زمان ومكان، وكونه دين الرحمة العالمية.

ويُعَدُّ العلم- الذي هو أهم المسائل التي يسعى العالم اليوم إلى تقويتها، ووضع القوانين والآليات والإمكانات لنشرها- الضمانةَ الأولى، التي دعا الإسلام إليها منذ أربعة عشر قرناً ويزيد. وكذلك من الضمانات، التي يبينها سماحته: الحث على التربية، والعيش الكريم، والدعوة إلى الوحدة الإسلامية، وبيان حقوق الإنسان عموماً.. والمرأة خصوصاً، وترسيخ حرية الاعتقاد.

ولقطع الطريق على من يشكك في قدرة الإسلام ومنهج القرآن على بناء الحياة المزدهرة، وتحقيق السعادة الحقة، يستشهد سماحته على صدق فكرته بتاريخ أمتنا، حين نجح المسلمون الأوائل في بناء حضارة لم تعرف البشرية مثيلاً لها في أبعادها وتكاملها وخصائصها، حضارة تميزت في نشرها للعلوم والقيم إلى أن صار العالم الإسلامي قبلة العالم قروناً عدة، وهذا يبرهن أن رسالتنا يمكن تطبيقها على أرض الواقع، وليست هي من قبيل التنظير أو الادعاءات؛ ثم إن حضارتنا ذهبت أبعد من ذلك فكانت آثارها إشعاعات ملأت الدنيا فكراً وروحاً وإنسانية وقيماً ومادية علميةً وتقنية، وكانت اكتشافاتها الشعلة التي أوقدت جذوة حضارة اليوم باعتراف علماء الغرب. ولم يكن اعتراف الآخرين بفضل حضارة الإسلام دبلوماسياً أو تملقاً، بل كان بسبب معطيات واقعية، تمثلت في نشر العلم على مستوياته كافة. نعم، لقد شهد الأعداء بإنجازات حضارتنا وفضلها، حضارتنا التي يزداد ألقُها

ونصوعُها وطُهرها عند مقارنتها بالحضارة المادية.. زائفة القيم.. عرجاء المكيال.. جوفاء الروح، التي تسود العصر الحديث.

إن الشريعة التي ضمنت سعادة المسلمين الأولين وعزَّهم، ستضمن حاضر مسلمي اليوم ومستقبلهم إن هم عادوا إلى نقاط القوة فالتزموا بها، وكشفوا نقاط تأخرهم وضعفهم فاجتنبوها. إننا إن سرنا على ما ساروا عليه.. وتمسكنا بما تمسكوا به، وصلنا إلى ما وصلوا إليه. فالإسلام هو هو، لم يتغير، عند من نجحوا في تطبيقه حياة وسلوكاً.. وعند من فشلوا في تطبيقه، وإذا عُرف السبب بطل العجب.

وكذلك من شواهد سماحته على قدرة الإسلام وكتابِه القرآن على وهب الناس عوامل صنع الحياة المزدهرة في الأرض، اعتناق الإسلام من أهل بلدان كثيرة قديماً، وانتشاره في أمريكة الشمالية وغرب أوربة في العقود الأخيرة، ليدخل عشرات الآلاف منهم في الإسلام، في ظل حضارتهم العلمية الفكرية المعاصرة، التي تتباهى بأنها اخترقت دقيقَ جزيئات الخلية والذرة وعظيمَ سُدَم المجرّات والكون. وممن أسلم منهم شخصيات مشهود لها بالمكانة العلمية والفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية؛ حتى إن الإسلام قفز بين الأديان في أوربة وأمريكة وأسترالية من المرتبة الخامسة ليصير في المرتبة الثانية بعد المسيحية في تلك البلاد؛ وسيكون الدين الأول كما يقدر الباحثون خلال النصف الأول من القرن الحادي والعشرين.

ولكن ثمة طائفة من أبناء الأمة **ترفض الإسلام منهج حياة**، وتريد الأخذ بالمنهج الغربي بقضّه وقضيضه.. بعُجْره وبُجْره[1]، ثم أعقبتها طائفة حاولت الخروج من شَرْنقة الضعف **خروجاً طائشاً مراهقاً**.. فأساءت إلى الإسلام والمسلمين.

ومن جهة أخرى، يلقي سماحته الضوء على نقطة مهمة توضح **ضرورة التفريق بين سلوكات المسلمين وتعاليم الإسلام**؛ فثمة خصام وفصام بين تعاليم الإسلام وتطبيق بعض المسلمين لها. وبناء عليه، إن سوء تطبيق بعض المسلمين في وقتٍ ما لتعاليم الإسلام لا يعني أن تعاليم الإسلام خطأ، وعلى المنصفين التنبه لذلك.

- **التزكية والتصوف:**

ويركز سماحته- في المقام الأول، عند تنبيهه العلماء والمسلمين- على ضرورة التزامهم بالتربية الروحية الإيمانية، التي يدعو إليها الإسلام، حتى يستقيم سلوكهم عند تطبيقهم لدينهم، ويصلح ظاهرُهم بصلاح باطنهم.

ولذا، كان منهج الصوفية- مدرسة التربية الروحية الإيمانية-

(١) العُجْرة: نفخة في الظهر، والبُجْرة: نفخة في البطن، والجمع: عُجَر وبُجَر، قال سيدنا عليّ ﷺ: (إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري) أي: همومي وأحزاني، أو ما أُبدي وما أُخفي، وتأتي بمعنى العيوب والمساوئ. (اللسان: بجر- عجر).

ضمن موضوعات الإصلاح والتجديد، التي يرددها سماحته ويؤكد أهميتها في هذين الشقّين، ويحرص على عدم التمسك بالشكليات .. والعودة بالمصطلحات إلى القرآن والسنة..، كالتزكية التي حث عليها القرآن الكريم.. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى..﴾، والإحسان الذي عرّفه حديث رسول الله: «أن تعبد الله كأنك تراه»[1].

ومَن هؤلاء الذين لا يدركون حقيقةَ أهمية التصوف الشرعي (فقه التزكية) وآثاره في تاريخ الإسلام، من خلال أنشطة علمائه في التربية والجهاد والدعوة إلى الله؟ ومن ذا الذي ينكر نشر الدعوة باللسان والقلب المزكى بين أقوام لم تصل إليهم فتوح الجيوش الإسلامية، في مساحة جغرافية تفوق نصف الأراضي الذي انتشر فيه الإسلام؟

ولذا، على كل منصف عاقل أن لا يحكم على التصوف من خلال أخطاء دخلاء شوهوا حقيقته. فهذا ليس مدعاة إلى نزع مشروعيته؛ لأن كل علم في الإسلام شابه أخطاء في مسلك أتباعه، ولكن لم ينفِ أحد من العلماء مشروعية هذه العلوم الشرعية لمجرد وجود أخطاء ارتكبها بعض المتسمّين بالإسلام.

(١) أخرجه مسلم من حديث عمر ﷺ، في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التَّبَرِّي ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه، برقم ٨.

وفي الوقت نفسه، يدعو سماحته إلى ضرورة تهذيب التصوف مما داخله من شوائب، وإصلاحه وضبطه بضوابط الشريعة المطهرة. ويقترح- من أجل ذلك- **ميثاقاً للعمل الصوفي**، أهم وظائفه: تحصين التصوف بالتعليم الشرعي؛ واعتماد مفردات الكتاب والسنّة، ورفع التسميات المسببة لتفرقة المسلمين؛ والاتصال واللقاء بين جميع العاملين في الحركات الصوفية العالمية على هذه المبادئ.

- **ومن يؤتَ الحكمة:**

وينبه سماحته- في المقام الثاني- العلماء والمسلمين إلى ضرورة الأخذ بالحكمة في شؤونهم الدعوية والدينية والدنيوية. ويبين أن من أهم صور الحكمة- التي يجب أن يفهمها الناس ويتشربوها- التدرّج في التعليم والتربية على حسب الإمكان والزمان والمكان. فالتدرج من أسس التشريع الإسلامي في عصر الرسول والصحابة؛ فالإنسان بطبعه- في معظم الأحيان- يحتاج إلى وقت لتغيير عاداته وسلوكاته، التي نشأ عليها.. ثم شب عليها.

و‹التجربة أكبر البرهان›، حكمة يضعها سماحته بين يدي حديثه عن ضمان نجاح الدعوة الإسلامية، إن قامت على المنهج القرآن النبوي، الذي أساسه الحكمة في تبليغ الدعوة. وإن تجربة سماحته غنية ومتنوعة مع

الأطياف والعهود من الناس والحكام، وإن سر نجاحها كامن في الحكمة.. التي استعملها سماحته في مخاطبة الآخر مهما كان موقعه.

"وما دام لكل عمل آلية خاصة تتحكم في تنفيذه، فإن الحكمة هي آلية تحقيق الدعوة إلى الله"، مقولة لا يزال سماحته يؤكدها في كل مناسبة، لما لها من أهمية كبرى في حسن نشر الإسلام. وهنا، يؤكد سماحته وجوب الترقي في تنفيذ واجب الدعوة من الحكمة إلى الموعظة الحسنة.. إلى الجدال بالتي هي أحسن، ليضمن الداعي أفضل النتائج، ولينقل مفهوم الدين إلى أذهان الآخرين على نحو جميل تتقبله النفوس.

ويضع للدعوة ملامح تضمن قبولها واستدامتها، من خلال مناداته إلى احترام رأي الآخر ومعتقده؛ لأن بعض السلبيات التي تحدث تعيق طريق العودة إلى الإسلام، وإن كانت- في الوقت نفسه- لا تقلل من قدر الصحوة الإسلامية التي يشهدها العالم الإسلامي اليوم.

فالحكمة والتدرج والحوار هي محور البلاغ المبين، الذي يريد سماحته للدعاة أن يسلكوه في دعوتهم، ويمثّل لذلك بواقع تاريخي من حياة الصحابة ومن بعدهم من التابعين.

ولكن بعض الدعاة يريدون العودة إلى الإسلام بالبدء بتطبيق الأحكام وإقامة الحدود من غير تمهيد لأرضية إيمانية تقبل تعاليم

الإسلام، ومن غير اتباع الحكمة في التدرج من عدم الإيمان إلى الإيمان، وهذا يجعل من على الضفة الأخرى يتهيّبون ويرفضون!

ثم إن ‹الحركات الأصولية الإسلامية› سببها- كما يرى سماحته- شباب متحمس لعودة الإسلام، ينقصهم الأمر الأساس لنشر الدعوة، وهو الحكمة والموعظة الحسنة واتباع المنهج القرآني. وإن الحوار مع هؤلاء الشباب المتحمسين هو الطريق الأمثل لإعادتهم إلى جادة الصواب، ومن ثم القضاء على مخططات من يشعل نار الفتنة من أعداء الإسلام بين الحكام وهؤلاء الشباب.

يجب الدعوة إلى الشورى والحوار والتبليغ ونبذ التعصب الفكري وجموده، والتزام الحكمة في إصلاح المسلمين، سواء من ترَك الإسلام منهجاً لحياته.. أو من سلك أسلوباً مراهقاً أساء به إلى المسلمين.

- **إصلاح التعليم الديني:**

ولا يخفى على مسلم عاقل أهمية دور التعليم في حياة الأمة. ولذا، كان تسليط الضوء على موضوع إصلاح التعليم الديني أمراً ملحاً يفرضه الواقع، ويستحثه الأمل بإعادة مجد أمتنا التليد.

فيعرض سماحته نقاطاً تُمـــثّل أهم مظاهر الضعف، التي يعيشها التعليم الديني في العالم الإسلامي. وفي عرضه يتناول المظاهر الواقعية بعيداً

عن فلسفة الموضوع، غير خجول من هذه السلبيات أو متوارياً عن كشفها؛ لأن من يريد أن يعالج الداء، لا بد أن يكون شجاعاً في كشفه العيوب وتوضيحها لمن خفيت عنه. ولعل التأخر في إصلاح هذه العيوب هو محاولة بعضهم الاختباء أمامها، وتجميل الواقع، بحجة أنه لا يجوز كشف المستور كي لا يعطي ذلك دعاية سيئة عن التعليم الديني. والحق أنه لا بد من التجرد عند التقويم، والعمل بمسؤولية، ورفض التعمية عن السلبيات بألوان من الأنشطة المبهرجة، التي تظهر قوة في الشكل ولا تعالج المضمون. ولقد اتبع المسلمون الأوائل منهج (رحم الله من أهدى إليّ عيوبي) ، فاستطاعوا أن يتطوروا ويحلقوا في سماء العز والمجد.

ولعل بيان العيوب يسيرٌ على الكثيرين، ولكن نبش أسبابها والغوص فيها يحتاج إلى موهبة ودراية واتصال حميم بالواقع، وقد توافر ذلك كله لسماحته. ومما يدل على ذلك، اشتمال الأسباب- التي يطرحها- على النقاط الأساس في التعليم (المنهج، المدرس، الطالب)، مركزاً على التزكية والحكمة، مع بيان ضعف المنهج والكفاءة في الطالب، ومراعاة الجانبين التربوي والتقني في المدرس. ولا شك في أن تلك النواحي مفصليةٌ في الخروج من الضعف. فما فائدة منهج لا يتحلى متبعه بقوة تأثير التزكية فيه ولا بحسن عرض بضاعته بالحكمة؟! وما فائدة طالب لا يستطيع تحمل أعباء هذا المنهج ويظهر الكفاءة في

تلقيه وهضمه؟! وما فائدة معلم لا يحسن توصيل ذلك المنهج إلى الطالب بفن وحذق؟!.

وفي هذه المرحلة الدقيقة، يضع سماحته لكل علة دواءها المناسب، وهذا يدل على فهمه العميق المعايش للتعليم الديني.. وباعِه الطويل فيه، وموهبته في استشراف حاجات المستقبل.. والابتعادِ عن الحلول التجميلية الآنية. إنه ماهر حاذق في عقاقيره التي يصفها لمعالجة المرض؛ فهو يضع أسس الحلول، ولا يُفصِّل في كيفيتها، لأن الكيفية قد تتغير بتطور الزمان، تاركاً لكل جيل التكيف مع أوضاعه وإمكاناته، ومن ثم المقدرة على اتخاذ الحلول المناسبة. فعلى سبيل المثال، مهمٌّ غرس التزكية في نفوس الطلبة والحكمة في عقولهم، ولكن قد تختلف طريقة الغرس والبناء على حسب كل عصر ومتطلباته. وحين يعرض سماحته لتطبيقات فهو لا يقصد فرضها، ولكن من يدرس تلك التطبيقات يلحظ أنها أسس لا وسائل. فعلى سبيل المثال: مصاحبة العلماء ذوي التزكية والحكمة أساس، وأما شكل التزكية والحكمة وطريقة عرضهما فهما يتغايران من واقع إلى واقع.. ومن جيل إلى جيل، ويتعين على العالم المربي مراعاة هذه المتغايرات والمتباينات بفهم ودراية.. وتوفيق من الله.

- **المفهوم الشامل للقرآن وتفسيره بلغة العصر:**

ويوضِّح سماحته ثمانية أوجه[1] في منهج القرآن تحقق الحياة السعيدة المزدهرة للإنسان على وجه الأرض، مثلما حققه المسلمون في عصر نهضتهم؛ لأن هذه الأوجه الثمانية تشكل في بعضها الأسس، و في بعضها الآخر مظاهر البناء المتكامل. وإن أي بناء يحتاج إلى أسس، ثم يحتاج إلى إكمال البناء بمظاهر تبرز جمال البناء. وأما الأوجه التي تشكل الأسس في بناء الحياة المزدهرة، فتتمثل في موضوعات: الإيمان العميق المنعكس في العمل، والعقل الحكيم، والعلم المفيد، وتحقيق التوازن عند العمل للدنيا والآخرة بين المادية والروحية؛ وأما الأوجه التي تسهم في إكمال مظاهر الحياة المزدهرة فتتمثل في: تحقيق التكافل الاجتماعي، وبناء المجتمع المستقر، ونشر الإخاء الإنساني.

وفي أحاديثه عن القرآن الكريم ودوره في الحياة، يلقي سماحته الضوء على منهج القرآن في بناء حياة مزدهرة وحضارة بجناحين: المادة والروح، وما لا جناحان له لا يحلّق؛ فنرى مآذن المساجد تتعانق مع مداخن المصانع، ونرى الأخذ بأسباب القوة والتقدم والتمكين. وفي هذا يحرص على تقريرِ حقيقةٍ تُعَد قاعدةً عند بناء أي حياة مزدهرة،

(١) انظر المبحث الخامس.

مفادها: "الحياة المزدهرة تبنى بالمادة والروح، وموضوعها بناء الإنسان إلى جانب بناء العمران". ويؤكد أن هدف تحقيق الحياة المزدهرة هو "الوصول إلى مرضاة الله"؛ فبتحقيقها يتحقق مراد الله من خلق الكون وجعل الإنسان خليفة على هذه الأرض، و"ما كان لله فهو المتصل، وما كان لغيره فهو المنفصل". وفي هذا المعنى يردد سماحته- دائماً- على مسامع جلسائه عبارة: "إلهي أنت مقصودي، ورضاك مطلوبي"، ليغرسها فيهم فهماً ودعوة وسلوكاً حياتياً عملياً.

إن بعض علماء الأمة حجموا الفقه وجعلوه مقتصراً على علوم الفقه بحسب المصطلحات المعمول بها، على حين أن الفقه الحقيقي هو الفقه بكامل القرآن الكريم والسنة، وليس بالجزء المتعلق بالأحكام فقط. وإذا قصرنا الفقه على ذلك كما هو واقع، فماذا نفعل ببقية آيات القرآن الكريم؟!.. أليست آيات نزلت لنفقهها ونتدبر مقاصدها ونعمل بها في حياتنا؟!.

ويجتهد سماحته ليبيّن مقدار اهتمام علمائنا السابقين بتفسير القرآن بمناهجه المتنوعة، من تشريع وعقيدة وحديث، إلى أن أوصلوا أمتنا إلى عصرها الذهبي؛ حينما استفادوا من تفاسيرهم المتنوعة في إتمام بناء الأمة من خلال: فهم دلالات النصوص وإشاراتها واقتضائها، والاستقاء من المنهج القرآني، وحض المسلمين على تطبيقه.

ومن هنا يوجه سماحته إلى ضرورة الإفادة من جهود العلماء السابقين في تفسيرنا- نحن- القرآن تفسيراً عصرياً، فيُبذل ما هو ضروري لربط التفسير بواقع الأمة اليوم. وفي بيان المقصود بهذا التفسير العصري، يعرض سماحته أنموذجاً عملياً تضمنته قصة ذي القرنين، ويستنتج الدروس القابلة لإسقاطها على واقع المسلمين، على نحو يستفاد منه على نطاقات الأفراد والمجتمعات والدول. ويؤكد سماحته أن رسالة الإسلام شاملة تحمل في طياتها دعوة إلى إعمار الأرض وبناء قوة الاقتصاد والعمل على تقوية حقائق الحضارة مع الدعوة إلى تطبيق شريعة الإسلام بجانبيها المادي والروحي.

وفي عرضه هذا المنهج في تفسير القرآن، يضع سماحته للأمة الإسلامية أساساً للتقدم والارتقاء، وهو تجديد يصحح واقعنا وينهض به من دون أن نتنازل عن مبادئ ديننا وثوابته.

إنه يريد من علماء الأمة الإسلامية وعقلائها وفقهائها أن يعودوا إلى منهج سنة رسول الله في الأخذ بفقه القرآن بمعناه الواسع في سائر شؤون حياتهم، لا بالاقتصار على بعض معاني القرآن في الأحكام. فالقرآن منهاج حياة وصراط هداية ودستور أمة. ومعنى الفقه في اللغة العربية يتفق مع المعنى الواسع للفقه الذي أراده الله وبينه في القرآن. وينبه سماحته إلى أن الأخذ بالمعنى الواسع لفقه القرآن ضرورة شرعية.

وحينما أخذ المسلمون الأوائل بالمعنى الواسع لفقه القرآن في شؤون حياتهم، حققوا المعجزات.

ولكن المسلمين- في العصور الأخيرة- تركوا الجوهر.. وتعلقوا بالشكل والمظهر، فجعلوا القرآن للتبرك وتزيين البيوت والقراءة على الأموات، وهذه الحال أدت إلى مهانة أمتنا بين الأمم، وإلى استيلاء الصهيونية على القدس. وإن لم نتنبه ونستيقظ، ونعُد إلى قرآننا للعمل به في حياتنا بالفهم النبوي وشرحه، لربما استولت على مكة والمدينة!

وهذا يدفع مسلمي اليوم إلى دراسة القرآن دراسة عميقة، وفهمه فهماً حياتياً حقيقياً، فهم الدنيا الحسنة التي ذكرها القرآن؛ وإلا فماذا استفاد العالم الإسلامي عندما تعلق بعضهم بالشكليات وتركوا الجوهر؟ وما الذي تغير إيجابياً في حياة المسلمين، عندما عادى بعضهم العلوم الكونية والحياتية؟ وما الذي طرأ على المجتمع الإسلامي من خير عندما اعتز بعضهم بالفقر والمسكنة، واقتصر على بعض التكاليف الشرعية؟ لقد حصدنا ضعف الأمة الإسلامية، واستعمار بلادنا، وتمزيق جغرافية عالمنا ووجودنا. وهذه هي حال من لم يفقه القرآن بمعناه الواسع، أمسَ واليوم وغداً.

وبهذا يقيم سماحته الحجة على المسلمين المتقاعسين المتواكلين، الذين يرون الفقر قدراً.. وينسون أن السعي والاجتهاد في أسباب الدنيا

وتملك وسائل التقدم الحضاري أيضاً من قدر الله تعالى، وهو أمر إلهي كالصلاة والصيام والخُلق الحسن.

ولذا، إن إيجاد تفسير للقرآن يرتكز على فهم فقهي واسع لمخزون القرآن يواكب ضرورات الحياة المعاصرة ومستجداتها- بتعاون العلماء الشرعيين مع المختصين في العلوم الحياتية- هو خطوة تؤسس لخطوات في العلوم كافة، تسهم في وضع لبنة تلو أخرى في صرح التجديد والإصلاح.

إن لفقه القرآن بمعناه الواسع أهمية كبرى في وضع اللبنة الثانية في طريق التجديد والإصلاح.

- **الاجتهاد والتعصب المذهبي:**

وينبه سماحته الأمة بأسرها إلى إيجابيات الاجتهاد.. ومساوئ الجمود الفكري والتعصب المذهبي، ويذكرهم بأن أعداء الإسلام فطنوا للآثار السلبية الناجمة عن عَوَر الجمود في الفقه، فعمدوا إلى تنميتها، وجعلها وقوداً للفرقة والتعصب، وفي هذين أهم أسباب وهن الأمة وتخلفها.

ويردد على مسامع الأمة تحذيره من إغلاق باب الاجتهاد في زماننا؛ لأن فيه إعداماً للإسلام، وإعاقة حركة الفقه الإسلامي في استيعاب المستجدات. فما مردّ الإنجاز الحضاري الذي حققته الأمة الإسلامية إلا إلى

ذلك الفكر المتقدم، المتمثل في الاجتهاد، الذي تمتع به علماء الأمة وفقهاؤها. فميزان قياس قوة الأمم يكون في إنجازاتها الحضارية بكل نواحيها: العلمية والفكرية والإنسانية والروحية والتشريعية.

ويبيّن سماحته أصالة الاجتهاد ومشروعيته بإقرار النبي ﷺ باستخدام صحابته له في فتاواهم؛ فكان ذلك تدريباً عملياً على إنتاج الفكر وعدم الجمود. ويبرهن على ضرورة استمرار الاجتهاد بإيضاحه أن إقرار الرسول ﷺ بالاجتهاد عامٌ، لا تحديد فيه لزمان أو مكان، بل المطلوب الاختصاص والأهلية والكفاءة العالية. وكذا لم يقر الإسلامُ التقليد، ناهيك عن رفض أئمة المذاهب أنفسهم التقليد، مظهراً أن النصوص محدودة والوقائع غير محدودة.

ولذا، يؤكد سماحته أن فتح باب الاجتهاد أساس التجديد والإصلاح يكون بما يتناسب مع الواقع، من خلال الدراسة المعمقة للقرآن المشروح بالسيرة.

وأما اختلاف الرأي، فيعزوه سماحته إلى اختلاف المدارك، ويوضح أن الشريعة أوسع من أن يحيط بها رأي مذهبٍ ما، وبرهانه على ذلك عدم ادعاء أحد من الصحابة وأئمة المذاهب أن رأيه هو حُكم الله. ولذلك، على علماء الأمة التمسك بهذه الروح الإيجابية للاختلاف في الرأي، وهو نتيجة حتمية لاستمرار الاجتهاد في القضايا

والنوازل المعاصرة، ولاسيما بعد ظهور بوادر الصحوة الإسلامية.

إن حركية الفكر الإسلامي، ومرونته، وإيجابية الاختلاف في الرأي، من السمات التي أدت إلى خلود الشريعة، ويضرب سماحته برهاناً على ذلك عملياً، وهو تعليقات العلماء على حادثة منع سيدنا عمر سهم المؤلفة قلوبهم.

ولذا فإن العمل في هذا الاتجاه الاجتهادي يسمح بتنشيط حركة الفكر الإسلامي من جديد. واستمرار الاجتهاد لا يعني نسف الاجتهادات السابقة، بل يجب الاستفادة منها، ولكن على أساس عدم حسبانها من المسلّمات.

ويبرز سماحته أهمية الاجتهاد الجماعي وتفضيله على الاجتهاد الفردي، تجنباً لوقوع الخطأ.. وإظهاراً لقوة الحكم الصادر. ولعل المجامع الفقهية التي نراها اليوم هي مظهر من مظاهر الاجتهاد الجماعي.

ثم، لما كان إدراك العقلاء أن الإسلام هو الدواء الناجع لأهم أمراض المجتمع البشري، وجب العمل على شمولية الاجتهاد لجميع القضايا الإنسانية؛ فالبشر كلهم- في الإسلام- عيال الله.

وفي موضوع المذاهب والجماعات الإسلامية، ما زال سماحته يدعو إلى نبذ التعصب، واحترام رأي الآخر، ورفع المسميات المستحدثة

وعمل الجميع ضمن مسمى ‹مسلم›، فذلك يجنب مجتمعنا الإسلامي الضعف والجهل والتمزق. فإن فعل، صار قادراً على نشر الدعوة الإسلامية بين الآخرين، وإلا فإن الضعيف لا يستطيع البناء والتأثير في الآخرين، وفاقد الشيء لا يعطيه.

ولذا، يحذر- سماحته- من الانشغال بقضايا شكلية، كتلك التي تتمثل في تسميات ومصطلحات مسببة للفرقة.. وما هي من مصطلحات القرآن والسنة. وكذلك يدعو إلى نبذ المفاهيم، التي تدعو إلى الانغلاق والانزواء.

ألا إن أول تصحيح للأخطاء عند الدعاة- في نظر سماحته- هو نبذ التعصب للمذاهب، فالأمة بواقعها المؤلم بحاجة إلى تجاوز الخلافات المذهبية، للوقوف في وجه أخطار أعداء الأمة والتآمر والقتل التي تتعرض له كل يوم. فلا يعقل أن يقوم أحدنا بالجدال مع زوجته في أمر من أمور البيت البسيطة، في وقت يحاصر فيه بعض المجرمين البيت يريدون اقتحامه وقتل من فيه.

- **أفعال لا أقوال:**

وكي لا تكون دعواته السابقات وتأطيراته محض نظريات أو عواطف أو أماني، يختمها سماحته بالتأصيل لخطوات تنفيذية، يجب على الأمة أن تأخذ بها إن أرادت جعل مؤتمراتها ولقاءاتها وكلماتها فاعلة في واقع

مجتمعاتها، وكأنه يذكرهم بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾.[سورة الصف] ومن تلك التوصيات تنفيذية الطابع:

- استحداث **مجلس إسلامي أعلى**، ليمثل المرجعية الكبرى على مستوى العالم الإسلامي.. التي تطلع إليها المسلمون، وليكون تعاون سلطتين مؤثرتين في واقع المسلمين- هما: سلطة الحكم وسلطة العلم- اللبنة الأولى من أجل البناء والإصلاح والترشيد للصحوة الإسلامية العالمية.

- تشكيل لجان متابعة لتطبيق المواثيق التي يتفق عليها علماء الأمة من أمور لها تأثير في استراتيجيات العمل الإسلامي، كميثاق العمل الصوفي وغيره، ليشكل ذلك دوراً فاعلاً في بناء مشروع التجديد والإصلاح.

- التركيز على التدريب والتأهيل في كافة مجالات العمل الإسلامي، ليكون الرديف العملي للكتب والندوات والمؤتمرات، وبذلك يجتمع التنظير والتحقيق.

- إصلاح التعليم الديني بإنشاء معاهد وكليات وجامعات على أسس متطورة علمياً وتزكويّاً وفكرياً. ولا يخفى على أحد أهمية هذه الخطوة، فالمدارس هي مصانع أجيال النصر القادمة في فكرهم وتوجهاتهم.

- تشكيل لجان متابعة للخطباء والدعاة في توعيتهم المسلمين وتوجيههم إلى محبة الله وشرعه، لتجد الاجتهادات الفكرية الإصلاحية

موقعها في حياتهم.

- جعل بناء قوة الأمة الإسلامية وتقدمها وتطوير قدراتها على كافة المستويات- جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الإسلامية لدى الشعوب الاسلامة كافة.

خاتمة

وبهذا العرض، يكون سماحته وضع أهم اللبنات في التجديد والإصلاح لفهم النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وإنجاح الدعوة الإسلامية. وأصاب أهدافاً عدة معاً؛ فأشبع رغبة الباحثين عن الحقيقة، وأزال شكوى المرتابين في صلاح الإسلام منهجاً في حياتنا، وألجم لسان الحاقدين.. وشكل حافزاً للمخلصين لمواصلة الجهود كي تتحقق أهداف الإسلام في المسلمين والعالمين.

وعندما نعلم أن بعض المحاضرات- التي سقناها في الكتاب- ألقيت في الستينيات من القرن الماضي، فإنه يتبين لنا أن هذه الرسالة التجديدية الإصلاحية ناضجةٌ في فكر سماحته منذ استهلالات دعوته.



الفصل الثاني

الدعوة الإسلامية العالمية

▪ أولاً: الأفكار والنصوص:

* **المبحث الأول:** ترشيد جهود الدعوة وتوحيدها في العالم الإسلامي
* **المبحث الثاني:** الدعوة الإسلامية مسؤوليات وأهداف
* **المبحث الثالث:** الواقع المعاصر للأمة ومستقبل العمل الإسلامي
* **المبحث الرابع:** إعداد الشباب المسلم لتحمل مسؤولياتهم

▪ حوارات

- الدعوة الإسلامية المعاصرة: طموحات ومشكلات (١)
- الدعوة الإسلامية المعاصرة: طموحات ومشكلات (٢)
- الدعوة الإسلامية المعاصرة: طموحات ومشكلات (٣)
- الدعوة الإسلامية المعاصرة: طموحات ومشكلات (٤)

▪ ثانياً: الدراسة والتحليل

أولاً

الأفكار والنصوص

المبحث الأول

ترشيد جهود الدعوة وتوحيدها في العالم الإسلامي [1]

(١) كلمة سماحته، التي قدمها إلى الاجتماع الحادي عشر للجنة تنسيق العمل المشترك في مجال الدعوة الإسلامية، المنبثقة من منظمة المؤتمر الإسلامي، المنعقد في طرابلس في الجماهيرية الليبية، من ١٨ إلى ٢٢ / أيلول/ ١٩٩٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة:

١- حاجة العالم إلى الإسلام ملحة في هذا العصر، بسبب الفراغ الروحي، على الرغم من التقدم الحضاري المادي، ولاسيما بعد سقوط الشيوعية.

٢-الصحوة الإسلامية صارت حقيقة، والمد الإسلامي صار واقعاً، ولكنه بحاجة إلى خطة ثنائية الاتجاه تتمثل في الترشيد والتوحيد.

٣-الترشيد يُعْنى بالتوجيه إلى تجنب الأخطاء، والتوحيد يُعْنى بالعمل الإسلامي الموحد.

٤-ملامح ترشيد الدعوة الإسلامية يتمثل في النقاط الآتية:

أ. **الإعداد روحياً وتربوياً ضرورة حتمية لإعداد قيادات الدعوة الإسلامية**، ودليله من السيرة: غار حراء ومدرسة الأرقم بن أبي الأرقم، على حين أن واقع العمل الإسلامي يبين ما يأتي:

- استغراق بعضهم بالجانب العلمي البحثي من دون النظر إلى الجوانب التربوية والروحية والحركية.
- استغراق بعضهم الآخر بالجانب الحركي السياسي من دون الالتفات- بالقدر الكافي- للجانب العلمي الشرعي، وهذا أدى إلى التطرف.
- استغراق بعضهم الآخر بالجانب الروحي من دون الاهتمام بالجانبين العلمي والحركي، وهذا أدى إلى السلبية والعزلة.
- كل هذه التيارات غير مؤهلة لخوض غمار التنافس العالمي من أجل ملء الفراغ الروحي، ولا تقدم حلاً لبناء الدولة الإسلامية المزدهرة.

ب. وضع خطط وبرامج لمحاربة الجهل والفقر والمرض:

- **دليله من السيرة والتاريخ:**

- في حربه ﷺ على المرض: «يا عباد الله: تداووا».
- في محاربته ﷺ الجهل: «ليس مني إلا عالم أو متعلم».

- قيام المسلمين الأوائل بنشر المعرفة حتى صار لديهم إنجازات في الطب وغيره.
- في محاربة الفقر: صندوق الزكاة، الذي صار مليئاً بالأموال لعدم وجود فقير أو محتاج.

- **بعض تصورات هذه الخطط:**

- الاجتهاد في بناء المصانع والمستشفيات كما في بناء المساجد.
- وضع برامج الاكتفاء الذاتي.

٥- ملامح توحيد العمل الإسلامي تتمثل في النقاط الآتية:

أ. التنوع في برامج الإصلاح ليس خطأ ما دامت تلتزم الضوابط الكلية في الشريعة.

ب. التباغض والتحاسد وسوء الظن بسبب الخلاف في الرأي خطأ كبير.

ت. عدم إكراه الناس على رأي واحد، بل نتفق في الكليات، ونعذر بعضنا في الجزئيات.

ث. إن قادة الدعوة الإسلامية في العالم هم أولى الناس بالتمسك بمبادئ القرآن الداعية إلى العدل والإنصاف والإخلاص والتعاون ونبذ التعصب والفتن.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المبحث

إنه لا يخفى على أحد ما يشهده العالم اليوم من ضياع روحي.. وتمزق فكري، على الرغم من النهضة الحضارية المذهلة في الجوانب المادية والتكنولوجية.

ولاشك أنه لا يمكن للإنسانية أن تسير طويلاً بهذه الخطى المتعثرة، بعد أن فقدت توازنها، وهذا سيؤدي إلى سقوط الحضارة المادية إن عاجلاً أو آجلاً.

لقد أفاقت الحضارة المادية واللاهثين خلف سرابها على جوع روحي رهيب، ووجد الإنسان نفسه أمام انفصام بين الروح والجسد، لا ملجأ منه إلا العودة إلى الله تبارك وتعالى.

إن الإنسان- فرداً وجماعة- كيان روحي، وكيان جسدي، ولا يمكن أن يتحقق استقرارٌ في الأرض طالما لم يجد الجسد الغذاء، ولم تجد الروح الطمأنينة. والحق أنه ليست هناك شريعة في الأرض تكفل هذين الجانبين، كما يفعل الإسلام الحق، المتمثل في هدي النبي ﷺ.

إن الصحوة الإسلامية- التي هي أبرز أحداث النصف الأخير من هذا القرن- تبرز اليوم، أكثر من أي وقت مضى، حلاً مقنعاً لمعاناة الإنسانية، وخصوصاً بعد أن سقطت الشيوعية العالمية سقوطاً مروعاً، وأن الساحة الخالية- التي تركتها الشيوعية- مؤهّلة لتكون أرضاً خصبة تشرق فيها راية الإسلام.

إن المد الإسلامي حقيقة لا ينكرها إلا مكابر، ولكن ماذا عن آفاق هذا المد ومستقبله؟ وإلى أين يسير هذا المد المتعاظم لنشاط الدعوة الإسلامية؟

إن الحركات الإسلامية بحاجة إلى ترشيد وتوحيد، وسأبين في هذه الكلمة، كيف يمكننا أن نجعل من هذه الخطة الثنائية الاتجاه بركة على العالم الإسلامي في حاضره ومستقبله.

وأقصد بالترشيد توجيه الحركات الإسلامية- قيادات وأفراداً- إلى تجنب الأخطاء، التي لا يزال يرتع فيها كثير من العاملين في حقل الدعوة.

وأقصد **بالتوحيد** بحث السبل الكفيلة بجعل هذا النشاط يتوجه في عطاء تكاملي، ليصب في ملتقى العمل الإسلامي الواحد.

إن الإعداد التربوي والروحي ضرورة حتمية لإعداد قيادات الدعوة الإسلامية.

إن سيرة النبي ﷺ ترسم لسائر العاملين في حقل الدعوة أنموذجاً يحتذى. وإني لأرى أن أهم ما يميز العطاء النبوي المبارك هو ذلك الإعداد التربوي الروحي المتين، الذي تميزت به مدرسة الرسول الأعظم ﷺ.

هناك قريب من سبعة أعوام من عمر النبوة في مكة المكرمة تميزت بلقاء يومي في دار الأرقم بن أبي الأرقم، بين النبي ﷺ والرعيل الأول من أصحابه. والحق أقول: إن كتب التاريخ الإسلامي قد أشارت- مراراً- إلى مدرسة الأرقم بصيغة إخبارية تقريرية، ولكن لم نجد من تناول هذه المدرسة بالبحث والتحليل..

فما برنامج هذه السنوات السبع في دار **الأرقم**؟ وما نوع ذلك اللقاء، الذي كانت تجتمع فيه الخيرة المصطفاة من الصحب مع نبيهم المعلم الأكبر ﷺ؟.

إن عملية الإعداد التربوي الروحي للجيل الأول من الدعاة استنفذت سبع سنوات بإشراف النبي ﷺ، لم يكن هناك فيها إلا العبادة

والتزكية (تطهير النفس) والتعليم. فهل تقيم الحركات الإسلامية مثل هذه البرامج- ولو بنسب متفاوتة- لإعداد أجيال الدعاة، الذين سيناط بهم- فيما بعد- أمر البلاغ المبين؟.

إننا نلاحظ استغراق بعض العاملين في النشاط الإسلامي بالجانب العلمي البحثي، من دون النظر مطلقاً للجوانب التربوية والروحية والحركية.

إن الثقافة الواسعة بالإسلام.. والاطلاع على تشريعه وتاريخه.. لا يصنعان داعية واعياً، على مستوى حمل رسالة الله وتبليغها للعالمين.

فلقد درس كثير من المستشرقين في جامعات إسلامية، وتخرجوا فيها بتفوق ظاهر، وسجلت لبعضهم دراسات معمّقة في الاختصاصات الإسلامية، ثم هم بعد ذلك خصومٌ ألداء للمد الإسلامي، وضعوا كل إمكاناتهم وخبراتهم في سبيل مكافحة الصحوة الإسلامية وتشويه صورة الإسلام.

وكذلك نلاحظ استغراق فئة ثانية- من المهتمين بالعمل الإسلامي- بالجانب الحركي السياسي من دون الالتفات بالقدر الكافي للجانب العلمي الشرعي، الذي يعد أهم الأركان التي نستند إليها في اتخاذ القرارات والفتاوى المتعلقة بمصير الأمة الإسلامية.

إن إهمال الجوانب العلمية والتربوية والروحية- عند بعض هذه الحركات- أدى إلى تنامي ظاهرة التطرف، التي تُنسب ظلماً وجهلاً إلى الإسلام.

وهناك بالمقابل تيار إسلامي، قوامه وعمدته الجانب الروحي، يرافقه إهمال للإعدادين العلمي والحركي، وكذلك يدير ظهره لمقاصد الشريعة الإسلامية في إعمار الأرض وتحقيق الخير الإنساني، ينتج منه- في كثير من الأحيان- جيل سلبي واهن، يعالج مشكلات الناس بصمِّ أذنيه، ويداوي معاناتهم بكف يديه، ولا يتقدم هؤلاء- عادة- إلى مشكلات الأمة بحلول عملية، بل يجدون الحل في العزلة عن الأمة، والإعراض عن همومها ومشكلاتها.

وهكذا، فإن كل هذه التيارات وأشباهها تخطو خطوة الأعرج، ولن تكون مؤهلة لخوض غمار التنافس العالمي من أجل ملء الفراغ الروحي الفكري، الذي يعانيه هذا العالم، ولا تستطيع أن تقدم حلاً لبناء دولة الإسلام المزدهرة اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً.

لقد كانت سيرة النبي ﷺ أروع مثال على تحقيق هذا التآلف بين الفكر والقلب، والمادة والروح. فأنت ترى- في جهاده وسيرته علاجاً لمشكلات الروح، وحلولاً لمعاناة الجسد.

فقد حقق ﷺ في سيرته الطاهرة نصراً عظيماً على مشكلات الفقر والذل والحرمان..

وفي حربه على المرض، قال ﷺ: «يا عباد الله: تداووا. فإن الله لم

يضع داء إلا وضع له شفاء- أو قال: دواء- إلا داء واحداً... الهرم »[1]..

وفي محاربة الجهل، فإن جهاده ﷺ- في هذا السبيل- بلغ الغاية، حتى قامت في الإسلام دولة العلم والعلماء، وسقط رأي الجاهل واعتباره، حتى **قال النبي** ﷺ: «ليس مني إلا عالم أو متعلم»[2].

ويكفي العلم تشريفاً وتكريماً في الإسلام، أن الله قرن شهادة العلماء بشهادته، فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة آل عمران]. وفي يوم بدر، جعل النبي ﷺ فكاك رقاب الأسرى بما يؤدونه من نشاط تعليمي، فكان يطلق الأسير من المشركين، إذا هو قام بتعليم القراءة والكتابة لعشرة من المسلمين.

وكل سعي قام به المسلمون- بعدئذ- في نشر العلم ومحاربة الجهل، فإنما هو التزام بهدي النبي ﷺ، وجزء من برنامجه الكبير، الذي قاد به الناس في نشر المعرفة والخلاص من الجهالة.

وعلى هدي هذه المنطلقات، يندرج كل سعي قام به العلماء- خلال تاريخ الإسلام- في المجال العلمي. وقد تعاظم هذا العطاء، حتى

(١) أخرجه الترمذي من حديث أسامة بن شريك ﷺ، في كتاب الطب، باب الدواء والحث عليه، برقم ٢٠٣٩؛ وهو صحيح.

(٢) أخرجه الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما، باب اللام، برقم ٥٢٧٩.

أفرد **ابن أبي أصيبعة** سجلاً حافلاً من مجلدين اثنين، يتحدث عن عطاء المسلمين وكشوفهم ومزاياهم، في علوم الطب فقط.

وعلى هديٍ من ذلك، أثمر الفقه الإسلامي عطاء ناضجاً في مجال الحقوق المالية، ومعالجة الفقر، إلى حدٍ امتلأ فيه صندوق الزكاة بالأموال الطائلة؛ إذ لا يوجد في الناس من يستحق الزكاة، فقد أغنى الإسلام الناس. ونادى المنادي في عهد عمر بن عبد العزيز: ألا هل من جائع فنطعمه؟ ألا هل من سائل فنعطيه؟ ألا هل من أعزب فنزوجه؟ حتى فاض المال فلم يوجد له آخذ.

فهل تضع الحركات الإسلامية اليوم في برامجها خططاً مقنعة لمحاربة الجهل والفقر والمرض؟ وهل يولي المد الإسلامي- القائم اليوم- هذه المشكلات الاجتماعية الخطرة ما تستحقه من بحث واهتمام؟

إن بناء المصانع والمستشفيات واقتصاد الأمة الإسلامية كبناء المساجد، ينبغي أن يكون جزءاً جوهراً من برنامج أي صحوة إسلامية تنشد العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فبناء المصانع الوطنية، وبرامج الاكتفاء الذاتي اقتصادياً واجتماعياً، ليست أقل أهمية في الإسلام من برامج التعليم الشرعي والتعليم التربوي والروحي.

في عام ١٩٦٨، دعاني إلى الباكستان الزعيم الراحل محمد أيوب

خان. وبعد أيام من برنامج مكثف، دعاني أيوب خان للقاء خاص، وسألني: كيف وجدت الدعوة الإسلامية في الباكستان؟!

فقلت له: لم أجد ما كنت أتمناه!

فتعجب أيوب خان.. وراح يساءلني: وكيف؟! ألم تكن المساجد عامرة، والمصلون يملؤون رحابها، وأصوات المآذن تملأ سماء الباكستان؟

قلت: بلى. ولكن ليس هذا ما أقصد.

قال: إذاً، ماذا تقصد؟.

قلت: كنت أحب أن أرى بجوار كل مئذنةِ مسجدٍ مدخنةَ مصنعٍ!! كنت أحب أن أرى التكنولوجيا الباكستانية، والطائرات الباكستانية الإسلامية، وأسلحة الدفاع الباكستانية الإسلامية.

إن كل نشاط يعود بالخير على الإنسان، ويدرأ الأذى والفساد عنه، هو في الحقيقة جزء من السعي الإسلامي والدعوة إلى الله.

إن غالب الحركات الإسلامية اليوم، تأخذ من الإصلاح جانباً، وتفرِّط في رعاية جانب آخر، على حين يطول الإهمال جوانب كثيرة. وإني أرى أنه لن يكتب نجاح حقيقي لحركة إسلامية ما لم تتقدم ببرنامج واقعي عملي، يتناول مشكلات المجتمعات بالتشخيص والعلاج، على هدي من كلام الله وسنة النبي ﷺ.

وأكتفي بهذا العرض السريع لبعض ملامح ترشيد أعمال الدعوة الإسلامية بين الواقع والآفاق، وأنتقل إلى جانب آخر لا يقل أهمية عن ذلك، وهو ضرورة التوحيد والتنسيق بين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية.

إنه ليس خطأ أن تتنوع برامج الإصلاح، التي تقدمها حركات الدعوة الإسلامية، طالما التزمت الضوابط الكلية في الشريعة، ولكن الخطأ أن نتباغض ونتحاسد، ونتقوقع بسوء الظن، ويتهم بعضنا بعضاً لمحض الخلاف في الرأي، ونتخذ من المذاهب والاختلاف بالرأي ذريعة للتفرقة والشحناء والانقسام.

إن الله سبحانه وتعالى جعل الناس متفاوتين بمؤهلاتهم الفكرية والعقلية، وليس في ذلك عيبٌ، ولكن العيب والخطأ بالتدابر والتقاطع. وكذلك ليس من الممكن أن نُكْرِهَ جميع الناس على رأي واحد، ولكننا نتفق على الكليات، ويعذر بعضنا بعضاً في الجزئيات. وفي تنوع الآراء رحابة واسعة للتيسير على الناس، على حسب ظروف الزمان والمكان والإمكان.

وإذا كان القرآن الكريم يُعلم الناس الإنصاف والعدل، ويدعونا إلى تقديس الحقيقة والذود عنها، ويؤكد الإخلاص في القول والعمل والأهداف، وينهى عن الظلم والإفساد والتعصب المقيت، والفتنة التي

نبهنا إليها **رسول الله** ﷺ **فقال**: «دعوها، فإنها منتنة»[1].

وإذا كان القرآن الكريم يدعو إلى التعاون، إذ يقول تعالى: ﴿.. وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ..﴿٢﴾﴾ [سورة المائدة]، ويقول تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ..﴿٤٦﴾﴾ [سورة الأنفال]، وإذا كان القرآن الكريم يعلم الناس هذه المبادئ والقيم، فإن أولى الناس بحملها وتمثلها قيادات الدعوة الإسلامية في العالم. هم العلماء ورثةُ الأنبياء، وأئمة المسلمين وقادتهم، الذين سيقفون يوم القيامة في محكمة قاضيها رب العالمين؛ يقول تعالى: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴿٧﴾ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ..﴿٨﴾﴾ [سورة الأعراف].

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله ﷺ، في كتاب البر والصلة والأدب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، برقم ٢٥٨٤.

المبحث الثاني

الدعوة الإسلامية
مسؤوليات وأهداف[1]

(١) كلمة سماحته، التي ألقاها في جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية، في جاكرته في أندونيسية، بمناسبة منحه درجة الدكتوراه الفخرية، في عام ١٩٦٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة:

لم تعرف الإنسانية حضارة حققت سعادة وقدمت عطاء من حضارة الإسلام، والمقارنة أفضل برهان.

١. مدرسة الرسول محمد ﷺ كانت- في بضع وعشرين سنة- أبرك على الإنسانية من قرون طويلة، بسبب سبيلها العلمي في تربية النفس والعقل والروح.

٢. المنصفون- من غير المسلمين- أقروا بأن الإسلام دين متحرك زاحف، لأنه لا يفتح البلدان ويصلح بناءها، بل يفتح العقول ويصلح مفاهيمها.

٣. الإسلام صحح عقيدة الإنسانية، وأرسى الأخوة الإنسانية، وأقام الحياة السعيدة بالتخطيط والتنظيم.. واستعمال العقل وتغذية الروح.

٤. لقد قضى الإسلام على المرض والفقر والجهل، عندما حث على العلم النافع للإنسانية في دينها ودنياها، وهذا جعل المسلمين الأوائل يبرزون في علوم الحياة والدين. والغربيون يعترفون بفضل حضارة المسلمين على حضارتهم.

٥. إصابة العقل بالجمود، وحصر العلم بدائرة ضيقة، والاقتصار على الحياة الروحية، سببت انحطاط المسلمين، الذي أدى إلى سيطرة الاستعمار، وهذا جعل بعضاً من أبناء الإسلام يظن أن الدين هو سبب ذلهم واحتلالهم، فقاموا بدعوات لاستبدال فكرٍ غيره بالإسلام، فصار الواقع مظلماً. فما الحل؟

٦. حل الأزمة بالرجوع إلى المنهج القرآني الذي يهدي إلى الطريق القويم، وتطبيق المنهج القرآني بحاجة إلى قادة فكر وعلماء يستطيعون حل الأزمة، ومؤسسات صناعة القادة والعلماء بحاجة إلى علماء وارثين محمديين.

٧. كل التقدم والفتوحات والانجازات التي تمت في العالم الإسلامي كان وراءها العلماء الربانيون العاملون المخلصون "من عصر الصحابة إلى عصر صلاح الدين ومحمد الفاتح".

٨.على جميع فئات المجتمع من حكام وأغنياء وعقلاء أن يبذلوا الجهود لإنشاء مدارس وجامعات تصنع القادة الحكماء والعلماء، وليس فقط لتعطي شهادات للوظائف.

٩.أثبتت الحقائق التاريخية أن فقد المسلمين لعلمائهم الوارثين هو سبب لفقد العلم وانتشار الجهل وهذا يؤدي إلى ضياع معاني الدين الحقيقية، ومن ثم إصابتهم بالأزمات.

١٠. على العلماء والحكام التعاون والقضاء على الصعوبات لتبني المنهج القرآني، وتبني هذا التوجه في خطط الدولة الإسلامية المعاصرة في التربية والتعليم.

١١. تطبيق المنهج القرآني يعود على الجميع "حكاماً وشعوباً" بالخير والأمن والتقدم، كما حصل مع الجيل الإسلامي الأول وقصة عمر في طلبه إلى أبي بكر إعفاءه من القضاء خير برهان.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المبحث

من أيام أفلاطون إلى يوم الناس هذا، والإنسانية كلها تحلم بالجيل الإنساني الذي يسعدها ويسعد بها، ويحقق لها ما تصبو إليه في كل مجالات حياتها. وخلال هذه العصور المتوالية والمتعاقبة، قامت حضارات وتلاشت أخرى.. كل واحدة منها تظن أنها تستطيع أن تعيد للإنسانية شبابَها، وتحقق لها سعادتها وهناءها. وبنظرة تَجرُّدٍ نلقيها على كل ما مر من نظريات وحضارات، إذا أردنا أن نعرف أيها كانت خيراً نتاجاً، وأكثر عطاءً، وإسعاداً للإنسانية، فلا يشك أي عاقل مدرك أن رسالة سيدنا محمد ﷺ وحضارة تعاليمه، كانت الأولى في كل ميدان، والأجزلَ عطاءً في كل مجال. وما نقول هذا مجازفين ولا مدعين، لأننا مسلمون، بل نقوله منصفين متجردين عن الأهواء، ومن شاء فليبحث، ومن شاء فليقارن، فلن يجد بعد البحث والمقارنة غير ما نعلن، وغير ما نؤمن به ونعتقد.

فما كانت مدرسة محمد ﷺ كغيرها لا تُعْنى إلا بناحية خاصة من نواحي التربية النظرية، بل سلكت السبيل العلمي إلى تربية النفوس، وتهذيب العقول، وتفتيح المواهب، وإثارة العزائم، وتقوية العقل والروح والحق، والغض من شَرَهِ الباطل، حتى كانت النتيجة العملية لهذه التربية رائدة معجزة، فإن نيفاً وعشرين سنة من حياة هذه المدرسة، كانت أبركَ على الإنسانية من قرون طويلة، بل كانت أبرك على الإنسانية من عمرها كله.

كل هذه الحقائق- التي تركت آثارها شاهدة معبرة- دفعت المنصفين ومن غير المسلمين إلى أن يقروا ويعترفوا، ويبدوا دهشتهم وإعجابهم بهذا الدين العظيم، حتى وصفوه بأنه الدين الزاحف المتحرك. فهو دائماً في زحف يتخطى حدود الزمن، وحيوية هائلة تتخطى حدود المكان. إن دخل قلبك زحفَ على بقية الأعضاء فسكب عليها من نوره، وأفاض عليها من إشراقه فتدِبُّ فيها الحياة المقرونة بالطمأنينة، والقوة الممزوجة باللين، والعزيمة الشامخة التي لا تعرف الفتور: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ [سورة القصص].

وإذا دخل الإسلام بلداً لا يكتفي بتأمين الطرق، ولا بإصلاح الأرض، ولا بإنارة المصابيح، بل يزحف نحو العقول فيفتحها، وإلى القوانين فيصلحها، وإلى المعوّجِ فيقيمُه، وإلى الأصنام والطواغيت

فيحطمُها. يسلك في ذلك مسلك الماء الهادر حيناً، والهادئ أحيانا. لذلك لا عجب أن يقول **نابليون**: "إنه لمن المدهش حقاً أن نرى الإسلام يفتح نصف العالم وفي نصف قرن"(١).

فهو نهضة لا تعرف الجمود ولا الخمول، ولا تألف الضعف والفتور، ولا تعترف بلغة الأمتار والأميال. نهضة فيها عمق الجذور، وصلابة الصخور، وانطلاق النسور. نهضة تطأ الأرض بقدميها فقط، أما عقلها وقلبها ووجدانها فَتَحْتَ عرش الرحمن، تسأله وتناجيه وتبث أشواقها إليه، وتستمد منه العون والتأييد، وتستلهمه الرَّشَد والصواب، وهي في كل هذا: واقعية مثالية، ومثالية واقعية.

لقد أشرق الإسلام على العالم الإنساني، وهو يعيش في ظلمة ظلماء، وضلالة عمياء، القوي فيهم يأكل الضعيف، والغني ينهب الفقير، وكلا الضعيف والفقير حاقد ينتظر فرصة الثأر والانتقام.

أشرق الإسلام على الإنسانية والعالم كله قد استشرى فيه فساد العقيدة، وانحلال الرابطة، وانتشار المفاسد، وانعدام الصلة بين الفرد والمجتمع. أشرق الإسلام على الإنسانية ليصحح العقيدة ويحررها، ويدفع بالفرد الإنساني إلى الكمال؛ يسمو بروحه، ويهذب من طباعه

(١) التبشير والاستعمار، لفروخ والخالدي، ص١١٣ و١٢٨.

وأخلاقه، وينفي عنه كل ضعيف وفاسد، ويقوي فيه كل صالح ونبيل. أشرق الإسلام على الإنسانية ليكون شعاع شمس، يهبط في حرارة وقوة وسرعة، يبدد السحب التي تقابله، فإن تحولت السحب إلى ثلوج أذابها وغسل الأرض بها؛ لأن ظلمة الرذيلة لا تصمد بوجه نور الفضيلة وضيائها. وبعبارة أخرى: كان الدين الإسلامي في جملته يشبه شجرة مباركةً، جَذْرُها ثابت في أعماق القلوب، وهذا هو الإيمان، ثم تمتد فروعها حتى تظهر على اللسان والجوارح، وهذا هو الإسلام: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة إبراهيم]. وفي الحقيقة- والحقيقة لا تتجزأ- نقول: إن رسالة الإسلام حملت هدية السماء إلى الأرض، بل تخطيط مبدع الكون للإنسان الضعيف الجهول في مجالات الحياة ومنطلقاتها، ذلك التخطيط الذي يحمل للإنسان تنظيم الحياة السعيدة، وإقامة الدولة الرشيدة، ودفع الإنسان نحو استعمال عقله المعطل على أوسع درجة لضمان سعادته في دنياه وأخراه، وهذا جعل الفرد والمجتمع الإسلامي مثلاً أعلى في تاريخ حضارة الإنسان، ونوراً وضّاءً يكشف أن السعادة كل السعادة للإنسان في هذه الأرض إذا كان غذاؤها الفكري والروحي مأخوذاً من منبع الدين الأصيل، ومن تخطيط خالق الكون وواضع قانونه ونظامه. وذلك التخطيط الذي تبرز فيه بوضوح

وجلاء الغاية السامية منه، ومن خلال آياته البينات، في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء]، وقوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [سورة القصص].. ﴿... رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [سورة البقرة].. وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨﴾ [سورة المنافقون] وقوله تعالى: ﴿طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤﴾ [سورة طه]، **وقول النبي** ﷺ: «ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه، حتى يصيب منهما جميعاً»[1]. وأمثال ذلك من آيات القرآن، والحديث النبوي أكثر من أن يحصر.

مكانة العلم في الإسلام

لقد أتى الإسلام إلى العالم حاملاً مهمة خَطِرة لتحقيق غاية عالية نبيلة، ألا وهي تغذية الفرد والمجتمع بالغذاء السماوي، المركب من العلم والعمل ومكارم الأخلاق، من دراسة المقدمات والأسباب وتهيئتها لتحقيق مسبباتها وغاياتها..

(١) أخرجه الديلمي من حديث أنس ﷺ، برقم ٥٢٤٩.

لقد أتى الإسلام ليقضي على الجهل والفقر والمرض الجسمي والروحي والفكري، فكان من أوائل سوره ما بدأها بالأمر بوجوب تعلم القراءة والكتابة التي هي سلم العلم، ومعراج المعرفة، أمر بذلك وأوجبه قبل أن يأمر بالصلاة ويفرضها فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [سورة العلق]. وكذلك اتخذ القرآن الكريم في ثاني سوره من الكتابة وأدواتها يميناً مقدساً يحلف به مترل القرآن، فيقول الله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ [سورة القلم]. والنون في أحد التفسيرين هي **الدواة**، كل ذلك إيذاناً من الله للإنسان بأنه على عتبة نقله من عصر الانحطاط والجهل، إلى عصر التقدم والنور والعلم.

وكذلك شرح الحديث النبوي أهمية العلمِ فريضة لازمة على كل المسلمين، فقال **النبي** ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[1]، وحث الإسلام على طلبه من الخارج إذا فُقد من الداخل، وكذلك تبرأ الإسلام من المجتمع الجاهل، **فقال** ﷺ: «ليس مني إلا عالم أو متعلم»[2].

بهذا الواقع القرآني والحافز النبوي، انطلق المسلمون يترجمون كتب وعلوم الأمم الأخرى؛ من طب، وكيمياء، وعلوم، وحكمة،

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث أنس ﷺ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم ٢٢٤؛ وهو حسن.

(٢) أخرجه الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما، باب اللام، برقم ٥٢٧٩.

وفلك، وغيرها، إلى لغة القرآن، فكانت هذه العلوم عندهم كبذور سقوها وغذوها بتفكيرهم الإسلامي الحي، وكان نتاجها تلك الحضارة الإسلامية الرائعة التي كانت النواة والبذور لشجرة الحضارة الغربية الحاضرة، بما فيها من علم، وفنون، ورقي، وتقدم، وهذا اعترف به المئاتُ من علماء الغرب وكبار ساستهم، وما **إيزنهاور** [الرئيس الأسبق للولايات المتحدة] عنا ببعيد، حيث أثبت ما لعلوم الإسلام والمسلمين من فضل على الغرب، كانت السبب في مدنيتهم وحضارتهم وتقدمهم، وها هو الدكتور **غريسيب** [رئيس الأطباء في المعهد الألماني في برلين] يضع النقاط على الحروف، معترفاً بالفضل والجميل، كاشفاً الحقيقة في أبهى مظاهرها، حين وقف خطيباً يلقي كلمة في حفل أقامه الطلبة المسلمون في برلين، احتفالاً بذكرى المولد النبوي الشريف. ومما قاله الدكتور غريسيب في خطابه: "أيها الطلبة المسلمون: نحن الأوربيين مدينون لكم، ولتلك القافلة العظيمة التي كانت عندكم، بل لا يزال العجب يأخذ منا كل مأخذ، عندما نتذكر **ابن سينا** و**الرازي** و**ابن الهيثم** وغيرهم.. أيها الطلبة المسلمون: والآن قد انعكس الأمر، فنحن الأوربيين يجب أن نؤدي ما علينا تجاهكم، فما هذه العلوم إلا امتداد لعلوم آبائكم، وشرحٌ لمعارفهم ونظرياتهم، فلا تنسوا أيها الطلبة تاريخكم، وعليكم بالعمل المتواصل، لتعيدوا مجدكم الغابر، طالما أن كتابكم المقدس عنوان نهضتكم ما زال موجوداً بينكم، وتعاليم نبيكم

محفوظة عندكم، فارجعوا إلى الماضي لتؤسسوا المستقبل، ففي قرآنكم علم، وثقافة، ونور، ومعرفة، وسلام عليكم يا طلبتنا بعد أن كنا في الماضي طلبتكم"[1].

وقال **دريبر** [المدرس في جامعة نيويورك] في كتابه ‹تاريخ التطور الفكري الأورُبي›: "كانت ترجمات المسلمين العلمية المصدر الوحيد للتدريس في جامعات أوربة نحو ستة قرون بعد خروج العرب من الأندلس، ويمكننا أن نقول: إن تأثير المسلمين في بعض العلوم كعلم الطب مثلاً دام إلى الزمن الحاضر"[2].

والآن بعد الذي قاله مئات من علماء الشرق والغرب في حضارتنا، وروعتها، وكمالها، كم هي نعمة عظيمة لو أن المسلمين ظلوا يتابعون خطواتهم الإسلامية الصحيحة في ميادين العلوم، يتفيؤون ظلال العقل، والتوجيه الإسلامي الحي المغذى برحابة الفكر المنير.. ولكنها سنة الكون.. ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ..﴿١٤٠﴾﴾ [سورة آل عمران].

(١) أثر العرب في الحضارة الأوربية، لجلال مظهر، ص١٩٢.
(٢) تاريخ التطور الفكري الأوربي: ج١/ ٢٢٩- ٢٣٠.

من أسباب انحطاط المسلمين

ومما يؤسف له حقاً، ما أصيب به العقل الإسلامي من جمود، وتفكيره الحي من خمود، وتوقف، أو تعطيل، فقد حبس المسلمون فريضة العلم في دائرة ضيقة محدودة، واتجهوا كلياً إلى الحياة الروحية، والاقتصار على بعض النواحي الإسلامية؛ من عبادات، ومعاملات، وتفصيلاتها الدقيقة، على حساب نصيب الأمة من علوم الكون والحياة، فاعتزوا بالفقر، وغرقوا في الجهل، وَحَرَّموا النافع، بل الضروري من العلم، وصار الغنى عيباً وعاراً، وعدت علوم الكون كفراً وإلحاداً عند بعضهم.

وظل المسلمون نياماً قروناً كثيرة، ولم يفيقوا إلا والاستعمار قد جثم على صدورهم، لم يترك من بلادهم شبراً إلا احتله، ثم أُذلت الشعوب الإسلامية وقُهرت، وأُمرضت، وأُفقرت. ونُهبت كنوزها وثرواتها، وحيل بينها وبين سعادتها وزاد على ذلك بلاء بما أوحى إلى الكثير من أبنائها الذين رضعوا من ثديه، أن هذه الكارثة الكبرى، إنما أصابت المسلمين بسبب تدينهم بالإسلام، وأن الإسلام هو سبب جمودهم، وتخلفهم، وفقرهم، وجهلهم، وأعان الاستعمارَ على تحقيق أهدافه وغاياته واقعُ المسلمين، وجمودُ قياداتهم؛ الفكرية، والعلمية، والروحية.

وها نحن الآن نسمع ونرى، في كل بلد إسلامي، فئاتٍ وجماعاتٍ تربت في أحضان الاستعمار، وتغذت من لبانه، تريد أن تستبدل برسالة

الإسلام مذاهب غيرها، وتبذل كل الوسائل للخلاص من وحي السماء، وللتبرؤ من قوانينه وآثاره، مأخوذة بوحي الاستعمار الماكر، والعدو الحاقد، وبواقع المجتمع الإسلامي الجاهل المتخلف، فكانت الكارثة على المسلمين خَطِرة، والمرض مخيفاً، والصورة مبكية محزنة، أتقن تصويرَها الشاعرُ العربي بقوله:

لا عالم الشرق بدينه ولا مقتبس العلم من الغرب هدى

وواقع الحال: ظلام مطبق، وخطر مرعب، وسحاب متلبد. فما العمل؟ وإلى من نرجع؟

إن حل هذه الأزمة بَيِّنٌ واضح.. لنرجع إلى كتاب الله نستفتيه، وإلى تاريخ الإسلام الذهبي ندرسه، ونتبين نتائجه طلباً لحل المحنة، والشفاء من العلة، فإن القرآن فيه ما يضمن الشفاء، ويُذْهِبُ البلاء، فقد قال سبحانه: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة الإسراء].. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾ [سورة النساء].. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الإسراء].. وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ ..﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة النور].

إزاء الأزمة التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم، والضعف الذي آل إليه على مر الزمن، لا بد لنا من حل، ومخرج، نزيل به العوائق، ونكبحُ بواسطته الخطر. لا بد لنا- نحن المسلمينَ- من يأخذ بأيدينا، يدلنا على الطريق الحقة، والنهج القويم. ينير أمامنا السبيل، ويضيء بين أيدينا الطريق. ونحن بحاجة في هذه الأيام بالذات- إلى قادة فكر وعلماء، وَعَوا واقع الأزمة، وعرفوا المخرج منها، يبددون أمامنا الظلام، ويكونون لنا النبراس المضيء عندما يعظم الخطب، ويشتد الكرب، فأزمتنا أزمة قيادات في العلم، والفكر، والعقيدة، والدعوة إلى الله..

أزمتنا أزمة قادة، وعلماء، تتمثل في نفوسهم، وقلوبهم، وأعماقهم، الوراثة النبوية، بكل ما فيها من صفات، وأخلاق، وتوجيه.

تأمين المدفع قد يكون سهلاً.. وكذلك تأمين الطائرة، ولكن المهم في الأمر، هو إيجاد الرجل الذي يتقن استخدام المدفع، والقائد الذي يُحسِن قيادة الطائرة، نحن بحاجة إلى مصنع للقيادات المحمدية، مملوءٍ بالحركة ليل نهار، صباح مساء.

نحن بحاجة إلى من يكون خاشعاً في المحراب، وعالماً بالقرآن، وأستاذ فقه، وقدوة أخلاق، وشعلة نور تضيء الطريق لمن معه.

ولا توجد هذه القيادات إلا إذا وجد في الأمة علماء هم ورثة لأنبياء، تنعكس أخلاقُ المرسلينَ في مرآة نفوسهم، وفي واقع حياتهم، وأعمالهم.

لقد حَدّثنا التاريخُ أن الإسلام بقيادة النبي ﷺ، مع جهادِ وعملِ أربعةٍ من ورثته وتلامذته وصحابته، أوجد أرقى وأعظم دولة، وحقق أروع عدالة، وأجمل أخوة إنسانية، بين شعوب عدة، لم يستطع القرن العشرون أن يحظى بمثلها، ولولا انحراف المسلمين عن الإسلام إلى شهوات الدنيا، وتقاتلهم على المطامح والمطامع الشخصية، لصار العالم كله، والكون بأسره، يردد ويعتز بتعاليم سيدنا محمد ﷺ، تعاليم رب السماء إلى عباده في الأرض.. يقول الكاتب الفرنسي أناتول فرانس في كتابه ‹الحياة الجميلة›: "أسوأ يوم في التاريخ هو يوم معركة بواتييه، عندما تراجع العلم والفن والحضارة العربية أمام بربرية الفرنجة. ألا ليت شارل مارتل قطعت يده و لم ينتصر على القائد الإسلامي عبد الرحمن الغافقي" [1].

كل هذا كان بفضل القيادات المحمدية، الوارثة لصفات النبي الكريم، وأخلاقه، وأعماله. وما انحلال المسلمين وضعفهم إلا نتيجة أكيدة، وعلى الأمديْن البعيد والقريب، لفقدان العلماء الحقيقيين، الذين كانوا ولا يزالون حلاً لكل أزمة، وتفريجاً لكل كربة، يستبدلون اليسر بالعسر، والعلم بالجهل، والغنى بالفقر، والتقدم بالتخلف، وهم النور الذي يطرد الظلام، والنار التي تهزم البرد، والهواء والغذاء اللذان يحققان الحياة. علينا- إذن- أن نُنْشِئَ العلماء المنقذين المجاهدين، الذين يرون

(١) انظر: كتاب ربحت محمداً و لم أخسر المسيح ، د. عبد المعطي الدالاتي (١/ ١٠٤).

فرْضية تعلم العلوم النافعة مثل فرضية الصلوات الخمس، وأن كفاية المجتمع الإسلامي بكل أنواع الصناعات والإنتاج فريضة كفريضة صوم رمضان وحج بيت الله الحرام. علينا أن ننشئ العلماء، الذين يرون فرضية محاربة الفقر والجهل والمرض كفرضية محاربة الفسوق والفجور وكبائر المعاصي، مثل الزنا وشرب الخمر ولعب القمار. علينا أن نفكر بإعداد علماءَ إسلاميين، يربّون القواد الفاتحين المتقين، والحكام العادلين المخلصين، والمهندسين الفنيين البارعين. علينا أن نفكر بإنتاج علماء لا يتركون نوعاً من أنواع العلوم النافعة لأمتهم- سواء كانت علوماً أرضية أو سماوية، دينية أو دنيوية، مادية أو معنوية- إلا وتعلَّموه وعلموه ونشروه، وأقاموا به المجتمع الإسلامي على قواعد العلمِ الصحيح، وروحه السمحة الكريمة.

وحقاً إن كل من يمعن في تتبع حياة عظماء المسلمين في أعصر الإسلام الذهبية ودراستها، يرى وراء كل خليفة ناجح، وخلف كل قائد مظفر، وبجانب كل زعيم منقذ لشعبه من الأخطار المحدقة المهلكة، ومع كل عظيم من عظماء المسلمين، عالماً مربياً، وشيخاً مهذباً، وفيلسوفاً حكيماً، وأباً لروح ذلك العظيم، قد صقل عقله، وأنار فكره، وأحيا روحه، وملأه بالحكمة.. وبعزة الإسلام.. وبالإخلاص والتفاني في خدمة أمتِه ورقيّها.

لقد كان السلطان محمد **الفاتح**، فاتح القسطنطينية، وشيخه المربي لا يفترقان، ولا حتى في معارك الحرب والجهاد. وكذلك كان القائدان العظيمان- اللذان قهرا الصليبيين في القرون الوسطى- السلطان **نور الدين وصلاح الدين**. وقبل كل ذلك وبعده، إذا نظرنا إلى سيرة تلامذة النبي ﷺ، ومن تبعهم بإحسان، وإلى عظمة أعمالهم وجهادهم وتضحياتهم، وما حققوه للجنس الإنساني من رقي وتقدم.. وإيمان وإسلام وأخوة.. وسعادة ونجاح في الدين والدنيا، وجدنا أن ذلك كان بفضل المربي الرشيد، وجهودِ المعلمِ الحكيم، ألا وهو سيد المربين، إمام المرشدين، خاتم النبيين، **سيدنا محمد** ﷺ **القائل**: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[1].

أما واجبنا نحن المسلمين كافة، ملوكاً ورؤساء، قادة وأغنياء، وكل الذين يملكون الوسائل، أن يسرعوا ويسارعوا، أن يهجروا النوم والراحة والكسل والدَّعَةَ، أن لا يضيعوا ساعة من أوقاتهم، أن يبذلوا كل جهودهم لإنشاء المدارس والمعاهد، التي لا تقف عند حد إعطاء شهادات معاشية أو رتب علمية وظيفية، بل عليهم أن ينشؤوا المدارس والمعاهد التي تُخرّج العلماء الأبطال، والقادة الحكماء، والمربين النجباء، والمسلمين الذين يَرَوْنَ الدنيا مطية للآخرة، وأنه نِعْمَّا بالمال الصالح للرجل الصالح، وأن المؤمنَ القويَّ خيرٌ عند الله وأحبّ إليه من المؤمن الضعيف.

(١) أخرجه أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة ﷺ، برقم ٨٩٥٢؛ وإسناده قوي ورجاله رجال الصحيح.

نحن بحاجة إلى مثل هذه المدارس المؤمنة، لتخرج علماء نرى آثارهم في مجتمعاتنا الإسلامية، التي قست عليها الظروف. نحن بحاجة إلى علماء عاملين، بعد أن افتقدناهم ردحاً طويلاً من الزمن، جهل الناس بفقدهم كلّ شيء، فضاعتِ الدنيا، وفقدوا الدين. ولا يفتقد الناس علماءهم إلا في حالين:

آ – جهل بالدين، ب– وعدوان عليه.

فإذا كان الجهل كان العلماء ألسنة الحق التي تكتشف الشبهات، وتزيح المفتريات وإذا كان العدوان كانوا ألسنة الصدق التي تضع الأمور في مواضعها، فلا ضعيف يظلم، ولا فقير يهان، ولا شعب يضطهد، ولا طاغية يتأله؛ ثم يكونون– من وراء ذلك– الحكمة التي ترد للمجنون عقله، والقوة التي تكبح في الطاغية طيشه، وبذلك فَهُمْ كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس.

فهيا شمروا عن سواعدكم جميعاً، لتأسيس مدارس تنتج الدعاة والمربين، والمرشدين البنائين، يدعون إلى الإسلام، بكل اللغات، لنرى آثارهم؛ إسلاماً قوياً، وإيماناً محمدياً، وجهاداً صدِّيقياً، وفتوحاً عمرية، وعلوماً مأمونية، وانتصارات كفتح القسطنطينية، وإنقاذاً للمسلمين من غزوات التَتَر والصليبيين.

وثقوا أنه حين يفقد المسلمون علماءهم وورثة نبيهم- وهذا أثبتته الحقيقة وأيده التاريخ- تضيع معاني الدين وتبقى مظاهره؛ تصير العبادة عادة، والصلاة حركات، والصوم جوعاً، والخشوع تماوتاً. وحينئذ تصير حقوق الناس مهدورةً، وأباطيل الظالمين مقدسةً، وتختل الموازين، فالمعروف يصير منكراً، والمنكر يصير معروفاً. حينئذ يكثر اللصوص باسم حماية الضعفاء، وقطاع الطرق باسم مقاومة الظالمين. ولا يُزْهِقُ هذه الأباطيل.. ويظهرُ جمالَ الإسلام وحيويته مثلُ علماءَ ربانيين محمديين، عرفوا الدين بحقيقته، لهم قوة الإيمان وعزيمته الفولاذية، ما يستطيعون بها اجتياز كل عقبة، والتغلب على كل أزمة، لا تخيفهم في سبيل نشر الإسلام وبنائه الأخطار، ولا توهن عزائمهم المغريات، متمثلين دائماً قدوتَهم وإمامَهم خاتَمَ النبيين ﷺ، حين أتت قريش إلى عمه أبي طالب، يعرضون عليه كل أنواع المغريات، المال.. الزعامة.. الرئاسة.. أجمل الفتيات، وكل ذلك ليكف عن الدعوة، وتبليغ الرسالة، ونشر الإسلام، وإلا فالموت والهلاك له، ولكل من يناصره، ويضيف عمُه رجاءَه إلى عروض قريش، ليقبل النبي الكريم حرصاً على حياته.. وإذا بجواب النبي- عليه أفضل الصلاة والتسليم- يمثل عقيدة المؤمن الراسخة، وإيمانه القوي المتين، **وجهاده وتضحيته الخالصة**: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته»[1].

(١) السيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي (١/ ٤٦٢)، والسيرة النبوية لابن هشام (١/٢١٩).

لقد مرت بالمسلمين- عبر التاريخ- أخطار وأزمات.. من اكتساح تتريّ، وهجوم صليبي، وتسميمٍ للعقيدة الإسلامية من أعدائها، ما يهون أمامها أزمةُ الإسلام والمسلمين في عصرنا الحاضر، وكان المخرج والمنقذ من الأزمات ظهورَ رجال تخرجوا على أيدي العلماء العاملين، والمربين المخلصين، والوارثين المحمديين. وبدخول هؤلاء الرجال ساحة المعركة والتقائهم العدو، كان النصر والغلبة والمجد. وإذا بالعسر ينقلب يسراً، والضعف قوة، والهزيمة نصراً، واليأس رجاء وأملاً. وقديماً بشر **النبي الكريم قائلاً:** «خير أمتي أولها وآخرها، وفي وسطها الكدر»[1]، **وقال** ﷺ: «أمتي أمة مباركة، لا يُدرى أولها خير أو آخرها»[2].

فهيا إلى تأسيس مدارس ومعاهد أنموذجية لتخريج الدعاة، الذين يعملون على تجديد الإيمان، ونشر الإسلام في العالم، وإلا فالخطر محدق محيط بالمسلمين، وبالجنس الإنساني أجمع.

من المسؤول؟

ولا بد لتحقيق هذه الغاية النبيلة من اهتمام كل مسلم ببذل طاقته وقدرته- من سلطة وعلم وثروة، وغيرها- لتحقيق هذا الهدف العظيم.

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر عن أبي الدرداء رضي الله عنه، الأصل ١٢٢، في أن خير هذه الأمة أولها وآخرها استقامة.

(٢) أخرجه ابن عساكر عن عمرو بن عثمان رضي الله عنه، حرف العين، برقم ٥٥٧٢، وقال المناوي في التيسير (١/ ٤٧٨): وهو حسن.

وباتحاد القوى يهون ويخف الحمل الثقيل، وبالتعاون يتيسر الأمر العسير. وأول من تتجه نحوه هذه المسؤولية علماء المسلمين وحكامهم، وقد **قال النبي** ﷺ: «صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء»[1]، **وقال** ﷺ: «الإسلام والسلطان أخوان، لا يصلح واحد منهما إلا بصاحبه؛ فالإسلام أمين والسلطان حارس، وما لا أمين له مُنهدم، وما لا حارس له ضائع»[2].

فإلى المسلمين عموماً، أوجه نداء القرآن نحو إنتاج ورثة الأنبياء، لإسعاد العالم والإنسان؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة التوبة].

فمن العلم والعلماء بدأت النعمة والرحمة، وبهم أيضاً تنتهي الأزمة وتزول المحنة، وبتوجيههم يتحقق المجتمع الفاضل، الذي يصبو إليه كل مصلح ومنقذ، وبهم يعرف كل إنسان حده فيقف عنده، وتسود العدالة، ويعم السلام، وترفرف رايات الوحدة الإنسانية، ويسعد الناس، ويعيشون في الجنة.

(١) أخرجه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما، باب الصاد، فصل، برقم ٣٧٨٤.

(٢) أخرجه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما، باب الهمزة، فصل في الإسلام، برقم ٣٩٦.

أنادي أصحاب السلطة والحكام.. والثقافة والعلم، قائلاً: شمروا عن سواعدكم، وعودوا إلى شخصيتكم الإسلامية السماوية، التي أكملها الله لكم، وربط بها خيركم وفلاحكم. عودوا إلى تثبيت دولة الإسلام على الأرض، وأقيموها فيما بينكم من جميع جوانبها، تأتلف قلوبكم، ويقوى سلطانكم، وتنفذ كلمتكم، وتصان عزتكم.

أنقذوا بالدين هذا العالم الذي يتقلب على الجمر، كما أنقذه من قبل أسلافكم.

لا تخشوا صعوبات في طريقكم، أو إعراض الناس عنكم؛ فالعالم هو العالم، لا يزال ينقاد بطبعه إلى الخير متى وجد إليه سبيلاً، وسواد الناس الأعظم مهيأ نفسياً لقبول الحكم الإسلامي وتوجيهاته.

وأناشد وسائل الإعلام والتوجيه، ولا نعني بوسائل التوجيه الإذاعة والصحف والتلفاز فحسب، بل نعني التوجيه العام في التربية والتعليم، وتَبَنّي الحكومات لهذا التوجيه فكرةً تستند إليها في تصرفاتها الداخلية والخارجية.

وثقوا أنه لو ظفر الإسلام بدعوة فكرية- هي عشر معشار ما يناله الباطلُ- لعاد المد الإسلامي المبارك يسحق كل عقبة كافرة؛ من استعمار مادي وفكري، وكل فكرة باطلة. فالتوجيه- بوسائله

المعلومة- إذا تكاتف مع خريجي معاهد الإيمان، كان فيه اللطمة القاضية للاستعمار وعملائه وأذنابه.

إن التوجيه- الذي يقوم به العلماء الربانيون- دعامةُ اليقظة الجبارة للمسلمين في الالتفاف حول العقيدة الإسلامية، ومن ثم التفاف الشعب حول حكومته، التي تبني العقيدة اتجاهاً فكرياً عاماً. وليس هذا الالتفاف عاطفياً، بل هو عقيدة وتدين. فهذا الدين والتدين يكفي أن يرتفع بالأمة كلها إلى معارج الفضائل والكمال، وعلى كل المستويات الداخلية والخارجية، وعندها سيصيح الناس: الله أكبر ما أجمل الإسلام! الله أكبر ما أحلى تعاليم الدين! الله أكبر ما أسعدنا برسالة السماء!

في عهد أبي بكر **الصديق** رضي الله عنه، ولما كان الدين هو كل شيء تطبيقاً وتنفيذاً وتثقيفاً، أُسنِد القضاءُ إلى عمر **بن الخطاب**- رضي الله عنه- في المدينة المنورة، وكانت- حينذاك- أكبر مدينة في الجزيرة العربية. ومكث عمر في محكمته سنة كاملة، لم يختصم إليه اثنان، حتى مَلَّ مكانه، فطلب إلى أبي بكر إعفاءه من القضاء. وسأله أبو بكر عن السبب، فأجابه ابن الخطاب- مقرراً أثر الدين في معتنقيه- بقوله: "يا خليفة رسول الله: لا حاجة بي عند قوم مؤمنين، عرف كل منهم حده فوقف عنده، إذا مرض أحدهم عادوه، وإذا افتقر أعانوه، وإذا احتاج ساعدوه، لا حاجة بي- يا أمير المؤمنين- عند قوم دينهم النصيحة، خلقهم القرآن، عملهم

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ففيم يختصمون؟"[1].

أجل لماذا يختصمون، وبينهم كتاب الله ينفذون تعاليمه ويطبقون ما فيه؟ لماذا يختصمون، وقد تعلموا وتثقفوا بثقافة القرآن؟ فبالله عليكم، هل من أمة أو حضارة- من قديم الزمن حتى يومنا هذا- خلقت جماهير لا يختصم منها اثنان خلال سنة كاملة؟

أكانت طبائعهم غير طبائع البشر؟ أم إنه لم يكن لديهم شيء يختصمون فيه؟ لا هذا ولا ذاك، ولكنهم كانوا- في تربيتهم الإسلامية، وثقافتهم القرآنية، التي تلقوها ووعوها من مدرسة محمد ﷺ- مثلاً أعلى، وقدوة مثلى. وكان ذلك كافياً لينظم لهم كل أعمالهم، وليحل سائر مشكلاتهم، على أسس متكاملة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وعندها لا حاجة بينهم لقضاء عمر أو غير عمر..

لقد آن لمدارس الإيمان أن تفتح، وأن تخرج دعاة ربانيين يعلمون ويثقّفون ويرغّبون. لقد آن للمسلمين أن تخشع قلوبُهم لذكر الله وما نزل من الحق، فيعودوا لدينهم فيتبعوه، وإلى مبادئه فيفهموها على حقيقتها، من دون زيغ عنها ولا ضلال، وإلى دينهم فيتخذوه مصدر ثقافتهم ودستورهم، وإلى أحكامه ومبادئه وحدوده فيطبقوها

(١) إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية (١/ ٢٠ و٦٢).

ويقيموها، لا تواكل ولا تراجع، بل عمل صادق مخلص، وأمل من الله كبير. وعندها فالسعادة في الدنيا قبل الآخرة، ولن يجرُؤَ على المسلمين، ولا على دينهم، كبيرٌ أو صغير.

فإلى العمل المتواصل، إلى الجهاد المستمر، بالنفس والمال، الذي له مد وليس له جذر، ويقول الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ..١٠٥﴾ [سورة التوبة]، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ..١٣٩﴾ [سورة آل عمران].

المبحث الثالث

الواقع المعاصر للأمة
ومستقبل العمل الإسلامي[1]

(١) كلمة سماحته، التي ألقاها في المؤتمر العام للقيادة الشعبية العالمية الإسلامية، المنعقد في قبرص الشمالية، من ١٧ إلى ١٩/ ١١/ ١٩٩٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة:

١. دور القوى الاستعمارية والصهيونية في استتراف مواردنا، والعمل على تخلفنا، وإثارة الفتن والاضطرابات، وتشجيع العنف داخل دولنا، وتشويه حقيقة ديننا من خلال الإعلام المسيطر عليه صهيونياً والمندسين بيننا للتشويه الداخلي، واستخدام المذابح والتطهير العرقي.

٢. الشعوب المقهورة تحتكم إلى مجلس الأمن، الذي يراعي مصالح الجلادين.. ويكيل بمكيالين.

٣. إزاء هذا الواقع الأليم، علينا أن نحتكم إلى إسلامنا الحقيقي.. المتمثل بالعمل والمنهجية والتخطيط.

٤. بناء الاقتصاد القوي، وبناء الوحدة ومحاربة التمزق هو من الدين الحقيقي، ويجعل القوى الاستعمارية تقتنع أن لا سلام ولا طمأنينة لأي دولة أو شعب ما دام هناك ظلم وسلب لحريات الآخرين.

٥. العدل بين الشعوب، والحوار والتفاهم، مفتاحا الحل لإخراج العالم من حال الفوضى والخوف والظلم.

٦. لدينا مثال واقعي عملي في أثر تطبيق الإسلام الحقيقي، عندما كان للدولة الإسلامية عز ووجود في الماضي، لأنها اتبعت إسلام الاقتصاد.. والعلم والتربية.. والتوازن بين الروح والجسد؛ ومن يعرف الداء والدواء، عليه المعالجة والإصلاح.

٧. مسؤولية علماء العالم الإسلامي كبيرة في تصحيح أخطائنا عند تطبيق الإسلام، ومنها ما يتعلق بفصل الدنيا عن الدين.

٨. يجب تعاون العلماء مع الحكام في العمل على نهضة شعوبنا لتقديم الإسلام بصورة أفضل للعالم، ولاسيما في القرن الحادي والعشرين، فالعالم بحاجة إلى حل لهمومه ومشكلاته، والإسلام يملك مقومات النجاح وعناصر القوة.

لا بد من التحرك والعمل، بوضع خطة وبرنامج يضمن مستقبل العالم الإسلامي، وقد قدم سماحته أنموذجاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المبحث:

إن نظرة فاحصة لواقع العالم الإسلامي تشير- على نحو لا يقبل الجدل- إلى أن مؤامرة عالمية كبرى على الإسلام تنفذ من خلال خطة مُحْكمة ومدروسة. فنحن نشهد تكالب القوى الاستعمارية والصهيونية وتحالفها على مواردنا وثرواتنا، كما ورد في **الحديث الشريف**: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها»[1]، ومحاولتهم التحكم بأوضاعنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. وحتى الدينية، لتثبيت عمليات الاستتراف، التي لا تنتهي.. ولا يراد لها أن تنتهي؛ لأنهم يعملون وفق معادلة يعتقدون بها ويعملون من خلالها، معادلة أعلنها **وزير المستعمرات البريطاني** في عام ١٧١٠، حينما أكد للعاملين في وزارته: "يجب أن

(١) أخرجه أحمد من حديث ثوبان مولى رسول الله، مسند الأنصار، برقم ٢٢٤٥٠.

تعلموا أن تقدمنا مرهون بتخلف تلك الشعوب التي نحتلها"[1]. ولذلك فهم يعملون على إثارة الفتن والاضطرابات الداخلية وضرب الاستقرار السياسي لمنع النمو اقتصادياً وعلمياً واجتماعياً في البلاد العربية والإسلامية، ويشجعون على استخدام العنف بين الحكومات وخصومهم، في معركة عقيمة خاسرة لا تستفيد منها إلا القوى الاستعمارية والصهيونية، ولا يتحقق منها إلا الضعف العام- سياسياً واقتصادياً واجتماعياً- للأمة الإسلامية وشعوبها.

وكذلك يعملون- من خلال مؤسسات عالمية كبرى- على تشويه حقائق الإسلام، عن طريق النشرات والكتب والإعلام العالمي الذي تتسلط عليه المنظمات الصهيونية في العالم، وأيضاً عن طريق المندسّين بين صفوف المسلمين، ليعملوا على التخريب من الداخل. ولا تتورع القوى المعادية للشعوب الإسلامية عن استخدام المذابح والتطهير الديني والعرقي لتحقيق أغراضها المرسومة. وما عنا ببعيد المذابحُ الكبرى في فلسطين والبوسنة والهرسك وكشمير التي ارتكبوها بأيديهم، أو المذابح التي يرتكبونها بأيدي بعضنا، كما في أفغانستان والصومال.

(١) وجاء في تقرير وزير المستعمرات البريطاني أوريسي **غو** لرئيس حكومته بتاريخ ٩ يناير ١٩٣٨: "إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه، وليس الإمبراطورية وحدها بل فرنسا أيضاً، ولفرحتنا فقد ذهبت الخلافة (أي: الخلافة العثمانية)، وأتمنى أن تكون إلى غير رجعة"؛ [انظر: قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، لجلال العالم، ص٦٣].

كل هذا العدوان الصارخ يجري على مسمع العالم وإبصاره. والمشكلة أن الشعوب المقهورة تحتكم اليوم لمجلس الأمن، الذي يرعى مصالح الجلادين، وتحوّل إلى مجلس أمن للقوى الاستعمارية والصهيونية؛ فهو قوي وقادر وسريع الحركة، عندما تكون القضية لصالح قوى الاستكبار؛ وهو عاجز مشلول أخرس، عندما تكون القضية لصالح الشعوب المقهورة. فبعد مذبحة الخليل المروعة، كان يبحث- على استحياء- عن ألطف الألفاظ المناسبة، حتى لا يجرح شعور مجتمع القتلة، الذين قتلوا وجرحوا مئات المصلين في الحرم الإبراهيمي الشريف.

أمام هذا الواقع الأليم إلى من نحتكم إذن؟

يجب أن نحتكم إلى ديننا وأصالتنا، وإلى ذاتنا الخاضعة لمنهج الله تبارك وتعالى. يجب أن نقابل الخطة بالخطة، والمنهج بالمنهج، والعمل بالعمل. يجب أن نُعلّم الناس أن بناء الاقتصاد الوطني المزدهر هو من الدين، وأنه يجب أن تعانق مآذن الجوامع مداخن المصانع.. لنبني قوتنا الذاتية وهذا من الدين، وأن نصنع احتياجاتنا بقدراتنا الذاتية وهذا من الدين، وأن نبني وحدتنا وندعم تآلفنا ونحارب التفرق والتمزق وهذا من الدين.

يجب أن تعلم القوى الاستعمارية والصهيونية أن العالم لن يشهد الرخاء والسلام لأي شعب من الشعوب، أو لدولة من الدول، مهما ملكت من أسلحة الدمار، ومهما صار لها من القوة، ما دام على

الأرض شعوب محرومة جائعة مضطهدة، لا تأمن على مستقبل أجيالها وأبنائها؛ لا سلامَ ولا رخاء ولا أمن ولا طمأنينة ما دام هناك ظالم ومظلوم، قاهر ومقهور، شعوب تُسلب حريتها، وتُسرق لقمتها، لتنعم بها شعوب أخرى.

إن الحوار والتفاهم والعدل في العلاقات بين الشعوب هو الحل الصحيح لإخراج العالم وشعوبه من سلطان الرعب والخوف والفوضى المهيمنة عليه.

أجل. علينا أن نعود إلى إسلامنا، فهو- بحقيقته وجوهره- الأمل، وهو الملاذ والمنقذ. وها هو التاريخ يتحدث أن العرب لم تقم لهم قائمة، ولم تتحقق السيادة على أرضهم وفي العالم إلا بالإسلام، ولكن أي إسلام هذا؟ هل هو إسلام النسب؟ أم إسلام الجغرافية؟ أم إسلام الحدود الجغرافية المصطنعة؟ أم بعض أجزاء الإسلام التي يحملها بعض المسلمين؟ أم إسلام الحقد والكراهية والتناحر والبغضاء؟ أم إسلام الناطقين الرسميين باسم الله، الذين يكفِّرون الناس، ويرسلون من شاؤوا إلى النار، ويحتفظون لأنفسهم وحدهم بالجنان.

الإسلام- الذي يجب أن نرجع إليه- هو إسلام القرآن العظيم، المفسر بسنة رسول الله ﷺ، الإسلام بجناحيه. ﴿..رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا

حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً..﴿٢٠١﴾ [سورة البقرة]، بقوتيه الفكرية والروحية، وباهتماماته الدينية والدنيوية، بالصناعة المدنية والحربية، بالعمران والتعليم، بالعلم والعمل، بالبحث والتفكر، بالأخلاق الفاضلة.

لقد بعث الله أمتنا العربية بالإسلام، فنقلها من الجهل إلى العلم، ومن الفقر إلى الغنى، ومن التخلف والخرافة إلى التقدم والأخذ بالحقائق، ومن التمزق والتنازع إلى الوحدة والتآلف، فكانت الأمة الإسلامية موحدة عزيزة كريمة، حملت الخير والنور لنفسها وللعالم، حررت نصف العالم القديم بنصف قرن ووحّدته، حررتهم من الاستعمارين الفارسي الشرقي والروماني الغربي، وجعلت شعوب العالم- تحت مظلة الأخوة الإسلامية- أمةً واحدة، لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى؛ أي بالعلم والعمل وبما يقدمه من خدمة للإنسانية.

فإذا عرفنا المرض وعرفنا الدواء، فما علينا إلا استعمال الدواء حسب توصيات الطبيب، "فنحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما نرد العزة بغيره يذلنا الله"(١).

في عام ١٩٦٥، ألقيتُ كلمة سورية في مؤتمر باندونغ الإسلامي في أندونيسية، وأحببت أن أنبه المؤتمرين من علماء العالم الإسلامي وأنبه

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب (٧/ ٦٠).

نفسي، إلى حقيقة يجب ألا تغيب عن أذهاننا أبداً، تتعلق بواقع حياة الأمة الإسلامية، ودخلت إلى الموضوع من خلال تلاوة الآية الكريمة... ﴿.. رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً.. ﴿٢٠١﴾﴾ [سورة البقرة]، ولكنني تعمدت- ثلاث مرات، ومن دون أن أقول: قال الله تعالى- قراءتها بترتيب معكوس؛ أي قلت: "ربنا آتنا في الآخرة حسنة وفي الدنيا حسنة". وفي كل مرة كان السادة العلماء ينبهونني- بضجة- إلى أن هناك خطأً يجب أن يصحح، وكان الاعتراض يتفاعل بازدياد كلما كررت الترتيب الخطأ، وعندها قلت لهم: "أيها الإخوة العلماء الأفاضل: لقد اعترضتم- بشدة- على تغيير الترتيب في الآية من حيث التقديمُ والتأخيرُ. ولكنني أسألكم وأسأل نفسي: لماذا نحن علماء العالم الإسلامي لا ننتبه إلى أخطائنا، وقد حذفنا الشطر الأول نهائياً من حياة المسلمين، وقصّرنا في توجيههم إلى بناء إسلام الحياة، حتى لم يبق شعب من شعوب العالم الإسلامي إلا احتُلت أرضه ونُهبت خيراته؟.. لماذا؟ إن الإسلام دنيا حسنة وآخرةٌ حسنة، تتعانقان ولا تنفصلان، فلماذا نفصل ما وصله الله؟"

أجل، نحن العلماء- ومعنا رجال الدولة- نتحمل مسؤولية نهضة شعوبنا وتقدّمها. وإنه لا يخامرني أدنى شك في أن الإسلام- على كل ما يتعرض له من صعوبات- سيحتل مرتبة ذات شأن في العالم كله في القرن الحادي والعشرين، ذلك أن الإسلام يحمل في طياته مقومات

النجاح، وعناصر القوة، وليس هو بحاجة إلى جيوش وأسلحة تنشر هديه، بل انتشاره مرهون بتوافر وسائل البلاغ الحق، والدعوة الصادقة، الحكيمة المخلصة.

ولقد خبرتُ هذا بنفسي في المشرق والمغرب؛ فقد كتب الله لي أن أزور معظم العواصم الكبرى في العالم معرّفاً بالإسلام، من موسكو.. إلى واشنطن.. إلى طوكيو.. إلى بكين.. إلى الفاتيكان. وكنت- في كل عودة- أشدّ مني يقيناً بأن العالم اليوم في حالِ ولادة، وأن الآتي- بلا ريب- هو الشريعة المحمدية الخاتمة، التي جاءت علاجاً لكل هموم الإنسانية ومعاناتها، مصداقاً لنبوءة **سيدنا محمد** ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار»[1].

(١) أخرجه أحمد من حديث تميم الداري ﷺ، مسند الشاميين، برقم ١٦٩٩٨. وعلق شعيب الأرنؤوط بأن إسناده صحيح على شرط مسلم.

توصيات:

إن هذا الأمر- حقيقة- ينسجم مع الوقائع التاريخية. وبرأيي، فإن هذا يتطلب- منا جميعاً- ما يأتي:

١) بناء الدعاة والعلماء المخلصين، والحكماء الفاهمين لزمانهم ومكانهم وإمكانهم.

٢) البعد عن التمزق والتفرق والجمود والتعصب.

٣) الفهم الصحيح للإسلام بأصوله وشموليته، والأخذ به جميعاً من دون تجزئته.

٤) الأخذ بمبدأ التناصح والتعاون وسماع الرأي المخالف.

٥) نبذ التعصب والمغالاة، وتوجيه العمل الإسلامي بروح السيرة النبوية المطهرة.

٦) الدعوة إلى سيطرة الحوار بدلاً من المجابهة.

٧) إصلاح التعليم الديني، ورفع مستوى الدارسين لمستوى المهام الكبيرة الملقاة على عاتقهم.

٨) تعريف شعوب العالم بالإسلام في حقيقته وجوهره، من

خلال إرسال الدعاة الأكفاء، مع استعمال واسع لوسائل الإعلام المختلفة، ومد يد الحوار للجميع للتعايش والتفاهم، من خلال القواسم المشتركة في ظلال المنهج الرباني.

٩) وضع خطة عمل للدعوة الإسلامية على المستويات كافة، والتنسيق والتكامل بين الحركات والهيئات والمؤسسات الإسلامية لتنفيذ هذه الخطة.

أمام الواقع والمأمول، لا تزال المهام الملقاة على عاتقنا شاقة، والطريق طويلة، والأمل والعمل ملجئين، لا بد لنا من اعتمادهما في مستقبل أيامنا.

المبحث الرابع

إعداد الشباب المسلم لتحمل مسؤولياتهم[1]

(١) كلمة سماحته، التي قدمها للاجتماع الخامس للمؤتمر الإسلامي العالمي، المنعقد في إسلام أباد في الباكستان، من ٢٣ إلى ٢٥/ ٩/ ١٩٩٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة:

وجوب إعداد الجيل الناشئ على نحو يتناسب مع أهمية رسالة الإسلام التي سيحملها.

١- حمل الرسالة يتطلب وراثة الحكمة من النبي ﷺ.

٢- من صور الحكمة: فقه الزمان والمكان والإمكان.

٣- العمل بالتدرج حسب الإمكان أفضل ألف مرة من أن نرهق أنفسنا في تخطي عقبات يستحيل تخطيها حالياً، وعلينا أن ننتظر الوقت المناسب.

٤– التدرج يكون ببناء ما هو ممكن مما نرجوه ونتمناه؛ ثم نعد العدة ونضع الخطط والبرامج لجعل غير الممكن اليوم ممكناً في المستقبل.

٥– الحكمة والرفق مطلبان أساسان في منهج الدعوة في القرآن والسنة.

٦– علينا إعداد الجيل الناشئ لتجديد بناء الإسلام في كل عصر بأساليب الحكمة والصبر الجميل والإحسان.

٧– المسؤول عن إعداد الشباب إعداداً صحيحاً ثلاثة أصناف من المجتمع: العلماء والحكام والأغنياء، كل على حسب دوره.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المبحث

الشباب عماد الأمم، وعلى أكتافهم تنهض الشعوب، وعلى عاتقهم الفتي تقع المسؤولية الكبرى للنهوض بالمجتمع؛ النهوض المرتقب الذي **أشار إليه النبي الكريم في الحديث الشريف**: «خير أمتي أولها وآخرها، وفي وسطها الكدر»[1].

وعلى ضوء المثال الذي ضربه لنا سيد الإنسانية عليه أفضل الصلاة والسلام- حين **قال** ﷺ: «مثَل أمتي مثل المطر، لا يُدرى أوله خير أو آخره»[2]- كان لا بد من إعداد هذا الجيل الناشئ، إعداداً

(١) أخرجه الحكيم الترمذي عن أبي الدرداء ﷺ، الأصل ١٢٢، في أن خير هذه الأمة أولها وآخرها استقامة.

(٢) أخرجه الترمذي عن أنس ﷺ، في كتاب الأدب (أبواب الأمثال)، باب مثل أمتي مثل المطر، برقم ٢٨٧٣.

يتناسب مع أهمية الرسالة، التي يُنتظر له أن يحملها ويقوم بها، في وسط هذا الخضم الهائج من المؤامرات التي أُعدت لإفساد عقله، وإفساد تعلقه بإسلامه، وهذا يتطلب منه أن يتحلى بالحكمة في دعوته، تلك الحكمة التي دعا إليها القرآن الكريم مراراً وتكراراً، حتى جعلها إحدى ثلاثة أشياء قامت عليها رسالة النبي ﷺ، وهي: فقه القرآن، والحكمة، وتزكية النفوس، فيقول تعالى في محكم كتابه: ﴿.. وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ..﴿١٢٩﴾﴾ [سورة البقرة].

والحكمة هي الميراث الذي يجب على الجيل الناشئ أن يرثه من النبي ﷺ، ذاك الميراث الذي **أشار إليه الحبيب المصطفى ﷺ بقوله:** «إن العلماء ورثة الأنبياء»[1].

فيجب أن يرثوا عن النبي الكريم سلوكه وأخلاقه، وكذلك مقابلته للأمور بالحكمة والتصرف الحسن، بل التصرف الأحسن.

ومن الحكمة فقه الزمان، والمكان، والإمكان.

لذلك ليس المهم أن نعمل ضمن إطار الأماني والمشتهيات، بل المهم كل الأهمية هو أن نعمل ضمن إطار الممكن والإمكان، أن ندرس

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي الدرداء ﷺ، في كتاب العلم، باب فضل الفقه على العبادة، برقم ٢٦٨٢ مكرر.

المشكلة التي تعترضنا.. ونعمل على حلها بخطوات متدرجة حسب وسعنا، حتى نصل في النتيجة إلى المطلوب، وهذا خير ألف مرة من أن نُعنت أنفسنا في تخطي عقبات كأداء، نضع أنفسنا في مواجهتها من دون ضرورة إلى ذلك. ولا بد من أن يكون تصرفنا- في هذا المجال- تصرف الطبيب مع المريض، الذي يعطي مريضه الدواء على جرعات كثيرة، وخلال مدة من الزمن تصل بالمريض إلى الشفاء الكامل.

وإن من يتعمق في حكمة ترتيب الأوامر والنواهي في القرآن الكريم حسب تسلسل نزول آيات القرآن؛ ويتعمق في دراسة الحكمة من وجود الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، وبقاء بعض الآيات منسوخة الحكم غير منسوخة التلاوة، مثل الآيات التي تحدثت عن الخمر قبل نزول آية تحريمها، ويتعمق في ذلك، وفي غيره من آيات القرآن الكريم، وكذلك في سيرة النبي عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم، ليخرج من ذلك كله بما ينبغي للجيل الصاعد أن يتحلى به من التدرج في تحديد بناء الإسلام، على نحو نقوم معه أولاً ببناء ما هو ممكن مما نرجوه ونتمناه، ثم نعد العدة ونضع الخطط والبرامج لجعل غير الممكن اليوم ممكناً في الغد، أو بعد الغد.

علينا أن نساعد الجيل الصاعد على تفهم التدرج في بناء الإسلام، ذاك التدرج الذي هو فرع من فروع الحكمة، التي أمر الله بها أنبياءه وكل داع إلى الله من بعدهم، فقال جل وعلا: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

﴿بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ..﴿١٢٥﴾﴾ [سورة النحل]، وقال جل وعلا، مخاطباً نبيَّين كريمين.. **موسى وهارون**، عندما أمرهما بالذهاب إلى الطاغية فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة طه]، وجعل- عليه الصلاة والسلام- الرفق مطلوباً في كل شيء من أمور الحياة، فقال ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُترع من شيء إلا شانه»[1]. وتوجه القرآن الكريم بالخطاب إلى سيد الأولين والآخرين بالقول: ﴿..وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ..﴿١٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران]؛ فقوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾، أي: إذا أساؤوا.. ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، أي: إذا أذنبوا.. ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾، لتتقوى شخصيتهم في تحمل الأعباء ومواجهة الحياة.

علينا أن نعد الجيل الصاعد للعمل على بناء المجتمع الإسلامي، بل على تجديد ذلك البناء، حسب **إشارة النبي الكريم**: «إن الله يبعث لهذه الأمة- على رأس كل مئة سنة- من يجدد لها دينها»[2].

(١) أخرجه مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، في كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق، برقم ٢٥٩٤.

(٢) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المئة، برقم ٤٢٩١؛ وهو صحيح.

ذلك أن مقتضى قول النبي الكريم ﷺ هو:

أيها الشباب: جددوا أمر هذا الدين ولا تتواكلوا.
أيها الشباب: انفوا عن هذا الدين تحريف الغالين.
أيها الشباب: أزيحوا عن هذا الدين تأويل المبطلين.

ولكن ذلك التجديد في أمر هذا الدين ونفي تحريف الغالين وتأويل المبطلين، ينبغي أن يكون مقيداً بأساليب الحكمة والموعظة الحسنة، وبالقول اللين كما أشارت الآيات السابقة، وبالصبر الجميل الذي دعت إليه الآية الكريمة: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥﴾ [سورة المعارج]، وقوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ۝١٢٧﴾ [سورة النحل]، وبالإحسان الذي دعت إليه الآية الشريفة... ﴿..إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [سورة البقرة]، ودعا إليه **الحديث الشريف**: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء»[1].

بهذا المخطط النبوي، وبهذه الإرشادات السماوية، نستطيع أن نسمو بالشباب- العنصر الفاعل في المجتمع- إلى العمل على تحقيق الخيرية لهذه الأمة التي أشار إليها **قوله** ﷺ: «خير أمتي أولها وآخرها،

(١) أخرجه مسلم من حديث شداد بن أوس ﷺ، في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، برقم ١٩٥٥.

وفي وسطها الكدر»[1].

بالدعوة إلى الله، وفهم وجوبها على كل مسلم، وبتعلم آدابها وشرائطها، يستطيع الجيل الصاعد أن يحقق خيراً يواكب خيرية المجتمع الإسلامي الأول، التي أشار إليها **قوله** ﷺ: «مثَل أمتي مثل المطر، لا يدرى أوله خير أو آخره»[2].

ولا بد- للوصول إلى هذه الخيرية - من حسن استعمال جميع الوسائل الإعلامية والدعائية المعاصرة لتبليغ الدعوة؛ من دعوة فردية وجماعية، دعوة بالقول والكتابة والقدوة، دعوة بالإذاعة والتلفزة والمحطات الفضائية.

وإن المسؤول عن إعداد الشباب هذا الإعداد الجيد، ليقوموا بدورهم الفاعل في صد الغارة عن العالم الإسلامي، ثلاثة أصناف من المجتمع، وهم: ١- العلماء، ٢- الحكومات، ٣- الأغنياء. إضافة إلى أن كل مسلم مطالب بالدعوة إلى الله تعالى حسب إمكاناته وطاقاته، ويجب أن يكون كل ذلك مقروناً بالحكمة والموعظة الحسنة.

(١) أخرجه الحكيم الترمذي عن أبي الدرداء ﷺ، في أن خير هذه الأمة أولها وآخرها استقامة.

(٢) أخرجه الترمذي عن أنس ﷺ، في كتاب الأدب (أبواب الأمثال)، باب مثل أمتي مثل المطر، برقم ٢٨٧٣.

لذلك، فإنني أدعو أغنياء المسلمين إلى أن يبذلوا أموالهم في خدمة الدعوة إلى الله، وتيسير انتشارها، ومساعدتها على تخطي العقبات التي أقامها أعداء الأمة والدين، الذين صارت حربهم اليوم حرباً فكرية، لا تستخدم فيها الجيوش مباشرة، ولكن تعمل على قهر الأفكار، وسلب قدرة الشعوب على التفكير والعمل السليم.

وأدعو حكومات المسلمين إلى مساعدة الدعاة، وخصوصاً الجيل الصاعد منهم، ليقوموا بواجب الدعوة إلى الله، ونشر دين الإسلام، وتجديده والنهضة به، للوقوف في وجه هذه الهجمة الشرسة التي يتعرض لها الإسلام والمسلمون.

وأدعو العلماء إلى أن يُفهموا الشباب الناشئ أن القيام بواجبهم الدعوي ينبغي أن يكون ضمن إطار الحكمة والموعظة الحسنة والقول اللين: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة طه]. فإن هذه الطريق هي الطريق التي رسمها الله تعالى لمن هو خير منهم لمواجهة الطغاة كما ورد بنص القرآن.

وأدعو المسلمين جميعاً- علماء ومتعلمين، شيوخاً وشباباً- إلى حمل مشعل هذا الدين الحنيف، وأن يجعلوه همهم الأول والأخير، شعارهم في ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة التوبة].

حوارات

(١)

الدعوة الإسلامية المعاصرة
طموحات ومشكلات[١]

(١) حوار مع سماحته، أجراه السيد محمد قاسم، مراسل جريدة الخليج- الصادرة في الشارقة- في دمشق، في ١٧/ ١٢/ ١٩٩٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة:

١. تجربة الدعوة لا تفشل عملياً إذا قامت على الحكمة، سواء مع الشعب أو مع رجال الحكم. والكليات والمؤسسات الشرعية ينقصها برامج لبناء الشخصية الإسلامية للدعاة، وبرامج للتدريب العملي على أساليب الدعوة

٢. أزمة العالم الإسلامي هي أزمة قادة وعلماء ودعاة تتوافر فيهم الشروط الآتية:

أ. التزود بالعلوم النافعة والفكر السليم الذي يرى أن تملك وسائل التقدم الحضاري فريضة.

ب. تملك الموهبة والاستعداد وقوة الشخصية. ولذا، لا بد من إجراء امتحان في مهارات الدعوة وعلم النفس لمن أراد دخول مؤسسات التعليم الديني.

ت. التزود بالعلوم الشرعية كافة، ولاسيما السيرة النبوية المفسرة للقرآن.

ث. إتقان اللغات الأجنبية لمن أراد الدعوة في بلدان أجنبية.

ج. الخضوع لدورات تأهيلية سلوكية وروحية وتربوية وأخلاقية، بإشراف علماء مربين لهم تجربتهم الناضجة.

ح. أن يكون الداعي ذا عقل حكيم يفهم واقعه، ويربط الأسباب بالمسببات، ويوازن بين متطلبات الروح والجسد والعقل، ويتمتع بالحلم والصبر.

خ. عليه بالإخلاص لله، والصدق في النية، وأن تكون غايته هداية الناس لا المكافآت والمال، وأن يكون متفائلاً واثقاً بتأييد الله.

٣. على مؤسسات العالم الإسلامي التوجه إلى دول الاتحاد السوفييتي السابق وإقامة البرامج لإنقاذ المسلمين، ولاسيما فيما يتعلق بإنشاء الدعاة والعلماء من بينهم، ودورة الأئمة والخطباء لغير الناطقين بالعربية في مجمعنا تسهم في ذلك.

٤. على علماء العالم الإسلامي الاهتمام بالمسلمين في إفريقية، وليس المهم إرسال البعثات بأعداد كبيرة، بل المهم إعداد الدعاة الحقيقيين؛ فالإسلام انتشر عندهم بالدعاة لا بالبعثات.

٥. التوجه إلى إقامة مؤسسة تضم حكماء العلماء في العالم الإسلامي تكون مرجعاً في كل الشؤون الإسلامية، وتعقد مؤتمراً دورياً، تصدر فيه قرارات وتوصيات، ويكون لها أمانة عامة لمتابعة تنفيذها.

٦. تسخير قنوات فضائية يقوم عليها ويرفدها دعاة ذوو كفاءات تراعي عقل المشاهد وفكره وواقعه، وتجذب المشاهدين للاستماع إلى الإسلام. ولا مانع من الترفيه، الذي يكون له دور في بناء الإنسان وفق المنهج الإسلامي.

٧. تقوية الثقافة الإسلامية ومجالسة الدعاة الحقيقيين تحصن المسلم داخلياً ونفسياً، وتجعله يستطيع أن يعيش مع العصر، فيأخذ المفيد ويبتعد عن الضار.

٨. المؤتمرات الدولية مناسبة، وينبغي للدعاة الحقيقيين استغلالها للتعريف بالإسلام بصورة صحيحة، على نحو يعكس آثاراً إيجابية في واقع العالم الإسلامي.

٩. حركات من يسمون ‹الأصوليين› سببها الحماسة للعودة إلى العز السابق للمسلمين، ولكن يجب أن يقرنوا حماستهم- في تطبيق شرع الله- بالحكمة والعلم والحلم والصبر. وعلى الحكومات الإسلامية الحوار معهم والتفاهم على آلية تطبيق العودة إلى العز التليد للإسلام.

١٠. يجب التفريق بين من يريد عودة الإسلام بالعمل الإيجابي ومن يمارس العنف. وهناك قوى خفية تدخل بين الشباب المتحمس لتزيد ضرامة النار بين الحكومات والشباب المتحمس. ولذا ومن أجل تقريب وجهات النظر، لا بد من المعالجة بمنطق الأطباء لا بمطرقة القضاة.

١١. يجب العمل في إطار مؤسسات إسلامية لتحقيق الصلح بين الحكومات والإسلاميين. والمشكلة أننا لا نستعمل وسائل الإطفاء، على الرغم من أنها موجودة، ونبقي النار مشتعلة.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص الحوار

السؤال الأول: تزداد تجربتكم في الدعوة والإرشاد رسوخاً ونجاحاً منذ ما يزيد على ستين عاماً[1]، كيف يستطيع الدعاة تحقيق النجاح في عالم يمور بالتيارات والأفكار المتضاربة؟

الجواب: حسب تجاربي في ميدان الدعوة منذ ستين عاماً، ما رأيت الدعوة فشلت في ميدان من الميادين، إن كانت مع الشعب أو مع رجال الحكم والدولة على اختلاف الظروف واختلاف الحكومات..

فما مر عهد إلا واستطعت أن أُحقق مكاسب للإسلام، واستطعت إزالة كثير من المنكرات بعون الله تعالى وخلال عملي في الدعوة وزيارتي لكثير من البلدان من أمريكة إلى اليابان إلى الاتحاد

(١) حتى تاريخ هذه المقابلة، بدءاً من عام ١٩٣٢، عندما كان يُدرِّس في حياة والده.

السوفييتي السابق لم أرَ أن الإسلام فشل في معركة من المعارك.. ويعود هذا النجاح إلى الدعوة حسب التوجيه القرآني.. ﴿..بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ..﴿١٢٥﴾﴾ [سورة النحل] و.. ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة طه].

الإسلام ناجح.. وما يجب علينا هو إعداد الدعاة الذين يؤهلون للدعوة، وعدم نجاح بعض الدعاة يعود فيما أعتقد إلى النقص في إنتاج الداعي الناضج والناجح. إن كليات الشريعة ومعاهد التعليم الشرعي في العالم الإسلامي تملك برامج تعليمية جيدة، ولكن ينقصنا برنامج لبناء الشخصية الإسلامية الواعية المُزودة بالتربية الروحية والأخلاقية، وبرنامج آخر للتدريب العملي على أساليب الدعوة إلى الإسلام؛ فكما أنَّ الطبيب بحاجة إلى التدريب على أيد خبيرة، كذلك فإنّ الداعي يحتاج إلى التدريب على يد العلماء الحكماء الخبراء، الذين أثبتت التجارب نجاحهم. إن عالم الدين إمام يعلّم الناس بحكمته وسلوكه.. بالقدوة الحسنة. وأعتقد أن الداعي ينجح إذا قامت شخصيته على فقه القرآن فهماً وعملاً، إلى جانب فقه الحكمة في كيفية مخاطبة الناس والتحدث إليهم، على حسب قابليتهم وعلى حسب عقولهم. وعليه أن يكون في مستوى عالٍ من الأخلاق والسلوك، لأن الناس يتعلمون من أعماله أكثر من أقواله.

* * * * *

✍ **السؤال الثاني:** تقومون بدور بارز في تنشيط الدعوة وتصويب مسار الدعاة. هل هناك شروط يجب أن تتوافر في الداعي لتحقيق مهمته؟ وما توجيهكم للدعاة؟

الجواب: أولاً أقول: أزمتنا وأزمة العالم الإسلامي- اليوم- أزمة قادة وعلماء، تتمثل في نفوسهم وقلوبهم وأعمالهم.. في الوراثة النبوية بكل ما فيها من صفات وأخلاق وتوجيه. نحن بحاجة إلى علماء مُنقذين مجاهدين يرون فرضية تعلم العلوم النافعة، وأن كفاية المجتمع الإسلامي بكل أنواع الصناعات والإنتاج فريضة، الذين يرون فرْضية محاربة الفقر والجهل والمرض كفرضية محاربة الفسوق والفجور وكبائر المعاصي من الزنا وشرب الخمر ولعب القمار.

نحتاج إلى علماء ودعاة لا يتركون نوعاً من أنواع العلوم النافعة لأُمتهم- سواء كانت العلوم أرضية أو سماوية، دينية أو دنيوية، مادية أو معنوية- إلا نشروه، وأقاموا المجتمع الإسلامي على قواعد العلم الصحيحة وروح الإسلام السمحة، يقول تعالى: ﴿.. رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [سورة البقرة]، ويقول تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ..﴿٧٧﴾﴾ [سورة القصص].

لذلك لا بد لهذا الداعي من أن يكون مؤهلاً، وعنده الموهبة والاستعداد، وسلامة الفطرة، وقوة الشخصية واعتدالها، وحسن العقل ونضوجه، بما يؤهله- من حيث المبدأ- للقيام بمهمة الدعوة إلى الله، هذه المهمة الخطرة التي تمثل عمل الأنبياء والمرسلين، وقيادة الأُمة وتحمل المسؤولية، هي أعظم مسؤولية في الأرض، ويجب أن لا يدخل إلى نطاق الدعوة والتعليم الديني ومؤسساته أحدٌ إلا بعد امتحان وانتقاء، يقوم بذلك خبراءٌ بالدعوة وعلماءٌ في النفس.

ومن شروط الداعي أن يكون مُزوّداً بالعلوم الشرعية من كل جوانبها معتمداً على القرآن المُفسر بسيرة النبي صلى الله عليه وسلّم، ملماً بما يحتاج إليه من علوم الكون والحياة، بما في ذلك إتقان اللغة الأجنبية إن أراد الدعوة إلى الله في بلد له لغة مُختلفة.

ومن شروط الداعي أن يخضع لدورات تأهيلية عملية سلوكية روحية تربوية أخلاقية، حتى تتزكى روحه وتصفو نفسه، وتتحلى نفسه بفضائل الأخلاق، ويكون ذلك بإشراف علماء مربين.. لهم دورهم وتاريخهم وتجربتهم الناضجة في هذا الميدان.

ومن شروط الداعي أن يكون ذا عقل حكيم، فيفهم واقعه ويعمل على حسب الإمكان، فلا يستعجل الأشياء قبل وقوعها أو يهملها، ويعرف ارتباط الأسباب بالمسببات، ويضع الأشياء في مواضعها، ويزن

كل أعماله بميزان العدل، فيعدل بين مُتطلبات الروح والجسد والعقل، بين الدنيا والآخرة، فلا يترك آخرته لدنياه ولا العكس، يزن كل شيء بميزان الشرع والعقل، عقل يتمتع بالعلم والحلم والأناة، وضده الجهل والطيش والعجلة، فلا إفراط ولا تفريط، ولا تساهل أو تزمت؛ يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ..﴿١٤٣﴾ ﴾ [سورة البقرة].

ومن شروط الداعي وصفاته الإخلاص لله وحده، والصدق في نيته، فيجعل شعاره الدائم في كل حركاته وسكناته: "**إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي**"، فلا غاية له ولا رغبة إلا هداية الناس بما يرضي الله، فلا طمع بمالٍ أو جاه أو مكافأة. ﴿..قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ..﴿٩٠﴾ ﴾ [سورة الأنعام] والإخلاص لله يجعل الداعي مُحتسباً في دعوته، متفائلاً، واثقاً من نصر الله وتأييده.. ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة السجدة].

* * * * *

✍ **السؤال الثالث**: تقيمون- منذ سنوات- دورات للدعاة من مختلف أنحاء العالم، ولاسيما من دول الاتحاد السوفييتي السابق. هل يمكن أن نطّلع على النتائج التي تحققت، والأهداف التي تطمحون لتحقيقها من هذه الدورات؟

الجواب: ما حملني على إقامة هذه الدورات هو ما رأيته من واقع أئمة المساجد. فقد زرت دول الاتحاد السوفييتي السابق مرات عدة، ومنها زيارات في عهد الشيوعية، ولاحظت أن الكفاءة العلمية لبعض الخطباء والأئمة ضحلة. والسبب أنه لم يكن في الاتحاد السوفييتي سوى مدرسة دينية واحدة يدرس فيها سبعون طالباً، على حين كان عدد المسلمين أكثر من سبعين مليوناً، وكان التعليم فيها في منتهى البساطة. وقد حاولت مع المسؤولين السوفييتيين زيادة عدد الطلبة، فتم رفع عدد الدارسين إلى ضعف ما كان عليه، وُفتحت كلية إسلامية في العهد الشيوعي.

وبعد انتهاء الشيوعية، فكرنا بحال المسلمين هناك، فرأينا دعوة الأئمة والخطباء لتقويتهم وتنمية أهليتهم لقيادة المسلمين وتعليمهم. وأقمنا لهم دورة تأهيلية مدتها نحو مئة يوم، أُلقيت فيها محاضرات مكثفة تستوعب كل ما هو ضروري، وأعتقد أنهم حصلوا على أشياء مهمة جداً، ولاسيما في مجال الخبرات الدعوية مما يحتاجون إليه. وقد تجلى ذلك واضحاً من الرسائل التي وصلت إلينا من بلدانهم، تشكر هذا العمل،

وتدعو إلى استمراره. بعد ذلك توسعت الدورات، وشملت الخطباء والأئمة من دول أمريكة وأوربة واليابان والصين والدول الإسلامية في آسية الوسطى، وقُسمت إلى ثلاث فئات، وأُلقيت عليهم المحاضرات بلُغات عدة (عربية، إنكليزية، روسية)، كل مشترك على حسب لغته.

وخلال الصيف الماضي كانت الدورة الرابعة[1]، وقمنا بتزويدهم بالكتب الضرورية والمراجع بعد انتهائها. وقد تولت جمعية الأنصار الخيرية- التي أرأسها- الإنفاق على هؤلاء الأئمة والخطباء بكل ما يحتاجون إليه من إقامة وطعام وسكن وتعليم وكتب دراسية ورعاية صحية، ونرجو من الله القبول.

* * * * *

✍ **السؤال الرابع**: هل يأتي عملكم هذا لملء الفراغ الإدْيولوجي بعد انتهاء الشيوعية، وقيام صراع تتسابق فيه جهات عدة للسيطرة على المنطقة؟

الجواب: أخذنا بالحسبان وجود زحف تنصيري صهيوني استعماري على الدول الإسلامية، التي كانت منضوية تحت الاتحاد السوفييتي. والمطلوب الآن أن يسهم- الذين يملكون الطاقات

(١) حتى تاريخ المقابلة، وقد أصبح عددها حتى الآن ست عشرة دورة.

والإمكانات من حكام المسلمين وأغنيائهم والمنظمات الإسلامية العالمية- في الاهتمام بالمسلمين في تلك المنطقة.

✍ **السؤال الخامس:** تُفيد المعلومات عن وجود أربع بعثات للدعوة الإسلامية في إفريقية، يقابلها ألف إرسالية تنصيرية. ما تقييمكم لهذا الواقع؟

الجواب: المسلمون- مع الأسف- لم ينتبهوا بعد لهذا الخطر الداهم، ولما كانت الإرساليات التنصيرية غايتها استعمارية، والإسلام انتشر في إفريقية عن طريق الدعاة المُتصوفين، فلا بد من تكريس الجهود وتسخير الإمكانات والطاقات على نحو أكثر فاعلية.

والمسؤولية تقع على عاتق الجميع، على الحكام.. وعلى علماء الدين.. وعلى رجال المال والاقتصاد، كلٌ من موقعه وعلى حسب إمكاناته. والمشكلة ليست في عدد البعثات فقط، بل بنوعية الدعاة وكفاية عددهم، وكيف نربيهم ونعلمهم ونختارهم. والداعي الحقيقي إذا وُجد كان خيراً من عشرات البعثات المؤلفة من أشخاص عاديين لا يصلحون للعمل في مجال الدعوة.

اقرؤوا ‹الدعوة إلى الإسلام›، من تأليف توماس **أرنولد**، لتجدوا كيف انتشر الإسلام أولاً في إفريقية وغيرها من القارات. لم يكن هناك بعثات أصلاً، إنما كانوا دعاة حقيقيين، رأى الناس من خلالهم الصورة

الصحيحة عن الإسلام، فأقبلوا عليه إقبال الظمآن على الماء العذب ليرتوي. فكل مسلم يمكنه أن يكون- بل يجب أن يكون- داعياً إلى الإسلام بسلوكه وتعامله مع الناس، بحاله قبل مقاله. ونرجو من الله أن يتعاون الحاكم والعالم والغني على نشر الإسلام.

* * * * *

✍ **السؤال السادس:** اقترحتم- في مناسبة سابقة- إقامة مجلس يتألف من حكماء العالم الإسلامي. هل يمكن أن تشرحوا وجهة نظركم في هذا الجانب؟

الجواب: أقترح العمل على تأسيس مؤسسة تجمع حكماء العلماء، لأنه ليس كل من حمل الشهادة ودرس الشريعة يصلح لأن يكون مُرشداً، فلكل إنسان مقدرته واستعداده ومواهبه.

فلذلك أدعو إلى أن ينتخب من كل بلد حكماء العلماء الذين نجحوا في إعادة البناء وتجديد الإسلام في القلوب والواقع والمجتمع. وأن تكون هذه المؤسسة مرجعاً في كل الشؤون الإسلامية، وتسهم الدول وأغنياء المسلمين في إمدادهم بكل الطاقات المعنوية والمادية لإعادة بناء الإسلام وتجديده في المسلمين ليقوموا بدورهم في خدمة الإنسان وبناء السلام والإخاء والرخاء في العالم لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء].

✍ **السؤال السابع**: هل ترون أن تكون هذه المؤسسة رسمية أو شعبية على مستوى العلماء؟

الجواب: العلماء لا يتخلفون إذا دُعوا. وما أُؤكده أن يُؤتى بحكماء العلماء، وأرى أن يُعقد خلال مُدة الحج- قبله أو بعده بأيام- مؤتمر بمثابة هيئة أُمم إسلامية، يبحث شؤون المسلمين، عملاً بقوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ..﴿٢٨﴾﴾ [سورة الحج]. فبذلك يكون الحج مناسبة مهمة لبحث شؤون المسلمين ووضع الخطط التنفيذية لحل مشكلاتهم، حيث يحضر المسلمون فيه من كل أنحاء العالم، ويمثلون اليوم أكثر من خمسين دولة.

* * * * *

✍ **السؤال الثامن**: أشرتم- في مناسبات كثيرة- إلى استعمال القنوات الفضائية في الدعوة. كيف يمكن أن تقوم هذه القنوات بدورها، ومعظم المشاهدين يرغبون في برامج التسلية والترفيه؟

الجواب: لي تجربة في الدعوة عبر التلفاز منذ نحو ربع قرن. كنت أُلقي حديثاً تلفازياً كل أسبوع، وكان الناس يتابعونه، حتى من غير المسلمين. وأعتقد أن الداعي إذا كان يحمل الكفاءات المطلوبة في الدعوة إلى الإسلام، فسيجد المشاهد ما يجذبه للاستماع إلى الإسلام،

الذي يريد إسعاده في كل ميادين الحياة. وحتى الترفيه يمكن أن يكون له دور في بناء الإنسان على حسب المنهج الإسلامي. وإذا كان حديث الداعي مستجمعاً للمعاني التي تتجاوب مع أذواق المشاهدين فسيجد التجاوب منهم.

يجب على المتحدث أن يحدث المشاهد بما يقبله جهازه العقلي الفكري الواقعي. وأعتقد أن الناس كلهم بخير؛ فمن خلال لقائي بكل فئات الناس على اختلاف أديانهم.. ورجال السياسة في معظم البلدان، لم أرَ أن الإسلام فشل قط، وكنت أجد من الجميع آذاناً مُصغية.

* * * * *

✍ **السؤال التاسع**: كيف يستطيع المسلم- اليوم- أن يتأقلم مع العصر مع الحفاظ على دينه؟

الجواب: المفترض بالمسلم أن يتابع تقوية ثقافته الإسلامية، وأن يكثر من مجالسة الدعاة والصالحين، وبذلك يتحصن داخلياً ونفسياً، ويستطيع أن يعيش بسلام وطمأنينة إيمانية. ولا يشترط للمسلم أن يساير العصر بكل ما فيه، أو يرفضه بكل ما فيه. على المسلم أن يأخذ المفيد ويبتعد عن الضار. إن الإسلام قادر على إيجاد نظام حياتي أكثر سعادة وانسجاماً مع طبيعة الإنسان؛ حياة تتوازن فيها المادة مع الروح،

وتنسجم مع حاجات الإنسان اليومية؛ حياة تظللها الفضائل، وترفض كل ما يؤذي الإنسان. وكل هذا من الحقائق الثابتة وليس كلاماً عاطفياً أو خيالياً.

* * * * *

✍ **السؤال العاشر**: تشاركون في مؤتمرات دولية، ومنها مشاركتكم ممثلين عن الأديان الأخرى. ما الجدوى من أمثال هذه المؤتمرات؟ وهل لها انعكاسات إيجابية على الواقع الإسلامي؟

الجواب: المؤتمرات الدولية مناسباتٌ مهمةٌ ينبغي أن نشارك فيها، ونستغل فرصتها لتعريف العالم بالإسلام الصحيح، إذ إن هناك جهات تُشوّه الإسلام.. من المسلمين ومن غيرهم، وتُعطي صورة سيئة عنه. فيجب أن نُعرّف بالإسلام الصحيح وموقفه من القضايا المختلفة.

والمؤتمرات فرصٌ ثمينةٌ، ينبغي الاستفادة منها لمخاطبة كبار المفكرين والمثقفين، من ديانات واتجاهات شتّى، لنسمعهم كلام الله، ونطرح عليهم المبادئ السمحة العظيمة للإسلام.

وأما انعكاسات ذلك على الواقع الإسلامي، فنحن نرى ونلمس أنَّ العالم قد صار قريةً صغيرة، وكلُّ تأثير إيجابي لصالح قضيةٍ ما، سيكون له انعكاساته الإيجابية في اتجاهات شتى.

فالواقع الإسلامي ليس بِمَعزل عن هذا العالم المتفاعل مع نفسه على كل المستويات، والمؤتمرات الدولية مجالٌ للدعوة والحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ..﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة النحل].

وإننا بالدعوة الإسلامية- بالحكمة والموعظة الحسنة- نستطيع أن نكون في كلِّ مكانٍ من العالم، خلف الخطوط وأمامها.

* * * * *

✍ **السؤال الحادي عشر**: تبقى قضية التطرف والعنف خلف قناع الإسلام من أهم القضايا التي تشغل العالم. ما تحليلكم وتفسيركم لهذا الوضع؟ وكيف ترون السبيل لتصحيحه؟

الجواب: يجب أولاً أن نعرف دوافع هذا التطرف وأسبابه. فالشباب المسلم الآن الذي ينشأ فيدرس تاريخه، ويعرف ماضيه، وما كان عليه من عظمةٍ وعالميةٍ وتقدم؛ ثمّ يرى ما يعانيه المسلمون اليوم من ضعفٍ وتمزقٍ وتقهقرٍ وتسلط الأعداء يجد الحلّ والخلاص بالإسلام.

والشباب المسلم- والمتديّن منه خصوصاً- تكون رغبته وحماسته متناسبة مع شبابه، فيندفع بهذه الحماسة بقصد إعادة بناء الإسلام

وتجديده، ولكن قد تنقصهم الحكمة ليعرفوا كيف يبدؤون، وكيف يحققون هذا الهدف الذي هو هدف كل المجتمع الإسلامي. وعلى حسب ما أُقدّر، هناك تسرّع بالأمور. وأرى أن يدرس الحكام والشعب- بكلِّ فئاته- أسباب ظاهرة التطرف.

وعمّن يُسمون ‹الأُصوليين›- وأنا أسميهم الشباب المسلم المتحمس لإسلامه- يجب على الحكومات الإسلامية أن تتلقاهم بصدرٍ رحب، وأن تحاورهم، ويجب أن نعلمهم أن الأمور- التي يريدونها- لا تتحقق في يومٍ واحد، ولا في شهرٍ واحد، وأن النبي ﷺ- على ما أُوتي من عناية ووحي السماء- بقي في مكة والمدينة ٢٣ سنة لبناء الإسلام. وعلى العاملين في إعادة البناء الإسلامي استعمال الحكمة والتدرج، والإيجابية، والتفاهم، والحوار مع حكوماتهم. وبالمقابل، يجب على رجال الحكومات- في العالم الإسلامي- أن يتقبلوا هؤلاء بصدرٍ رحب. وهذا اللقاء والحوار هو ما يُحبّه الله ورسوله، وهو ما يبغضه أعداء الإسلام.

وبعدم وجود التفاهم، لن تصل كل الفئات إلى النتيجة المطلوبة. وبعدم وجود الشرائط المطلوبة، سيستفيد العدو. وقد يؤول الأمر إلى تدخل بعض القوى الخفية بين الطرفين، فيسيئون إلى الحكومات، وإلى الشباب المتحمس، الذين يُدعون بـــ ‹الأُصوليين›.

✍ **السؤال الثاني عشر**: ما رأيكم بأعمال القتل والعنف تحديداً؟

الجواب: يجب أن نفرق بين الذين يريدون عودة الإسلام بالعمل الإيجابي والذين يمارسون العنف والقتل والتدمير. أنا لا أتصور أن مُسلماً يؤمن بالله واليوم الآخر يذبح النسوة ويقتل الأطفال!! هذا من تدبير الأيدي الخفية، ولا أعتقد أن قتل الأبرياء من عمل المسلمين؛ **فالنبي** ﷺ أمر خالداً أن لا يقتل «امرأةً ولا ذرية ولا عسيفاً»(١).

وأؤكد- هنا- وجود قوى خفية تدخل بين الشباب المُتحمس تشوّه الإسلام، وتزيد النار ضِراماً بين الحكومات والشباب المسلم المتحمس، ليزيدوا المجتمعات الإسلامية والعربية ضعفاً على ضعف.

وكل ما أرجوه من الحكومات ومن الإسلاميين أن يلتقوا ويتحاوروا؛ فالله تعالى علمنا أن ندعو أهل الكتاب للحوار: ﴿.. **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**..﴿٦٤﴾﴾ [سورة آل عمران]، ومن باب أولى أن يتحاور المسلمون فيما بينهم.

(١) عن رباح بن الربيع ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فرأى الناس مجتمعين على شيء، فبعث رجلاً، فقال: انظر علام اجتمع هؤلاء؟ فجاء فقال: على امرأة قتيل. فقال ﷺ: ما كانت هذه لتقاتل. قال: وعلى المقدمة خالد **بن الوليد**، فبعث رجلاً، فقال ﷺ: قل لخالد: لا يقتلن امرأة ولا ذرية ولا عسيفاً. أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد باب في قتل النساء، برقم ٢٦٧١؛ وهو صحيح. والعسيف هو: الأجير.

إن قتل المسلم أمره عند الله عظيم، ولكن المشكلة أن نفلح في أن نتكلم من موقع الأطباء وليس القضاة. الفتاوى لا تحلُّ المشكلة في إصلاح ذات البين، بل المطلوب التقريب بين وجهات النظر.

* * * * *

✍ **السؤال الثالث عشر:** هل يمكن اللقاء بين الحكومات والإسلاميين؟

الجواب: التقاء الطرفين ليس صعباً، ويجب أن تعمل المؤسسات الإسلامية القيادية- كمنظمة المؤتمر الإسلامي، والأزهر، والمنظمات الإسلامية العالمية الأخرى- على الصلح بين الطرفين، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿..فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ ..﴿١﴾﴾ [سورة الأنفال].

يجب علينا تحقيق الصلح في الجزائر والصومال وكل المناطق المشتعلة في العالم الإسلامي. فالمشكلة أنّ النار تشتعل مع وجود وسائل الإطفاء، وهذا يعني أننا لا نستعمل وسائل الإطفاء على الوجه المطلوب.

* * * * *

✍ **السؤال الرابع عشر**: هناك تعبير ‹الأصولية› كإشارة إلى الشباب المتمسك بدينه، ما مفهومكم لهذا التعبير؟

الجواب: الأصولية مصطلح غربي، ويعني الإصرار على الرأي بلا تراجع. وقد أطلقت أوربة هذه التسمية على بعض القوى التي ظهرت فيها. والأصولية- بهذا المعنى- غير موجودة عند المسلمين، وإنما هناك الشباب المتحمس الذين يريدون تطبيق الإسلام.

* * * * *

✍ **السؤال الخامس عشر**: ما نصيحتكم لهؤلاء؟

الجواب: لو كنت عندهم وُيصغون إلى كلامي، لقلت لهم: إن إعادة بناء الإسلام لا يكون بالطريق السلبية.. طريق المجابهة، بل بطريق الحوار والصبر وعدم الاستعجال. ولو كنت حاكماً لاستقبلتهم بصدرٍ رحب، وحاورتهم، وقابلتهم مقابلة الآباء للأبناء، وتركت لهم مجالاً للتعبير عن آرائهم، ضمن منهج يخدم الأمة والمجتمع، ولا أغلق عليهم كل المنافذ. وكل شيء- بالإخلاص والصبر- يُؤتي الثمرة المرجوة الناجحة، وهذا ما اعتقده.. وما جربته، وكانت له نتيجة إيجابية، للدولة والمجتمع وأفراد الأُمة.

حوارات

(٢)

الدعوة الإسلامية المعاصرة
طموحات ومشكلات[١]

(١) حوار مع سماحته، أجراه السيد علي محمد طه، مراسل جريدة "المسلمون" في دمشق، في عام ١٩٩٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة:

١- للعلماء دور كبير في نشر الإسلام وتوعية الأمة، ولكن هذا ليس مقتصراً عليهم، بل لا بد أن يعمل جميع المسلمين- كل حسب موقعه- على إعادة البناء الإسلامي.

٢- القرن الحادي والعشرون هو قرن الإسلام، والنصر آت على الرغم من كل الصعوبات. وهناك إرهاصات على مستويات عدة:

- عدم القدرة على القضاء على الإسلام، على الرغم من حروب الإبادة التي تعرض لها المسلمون.
- دخول كبار الشخصيات من الشرق والغرب في الإسلام، وانتشار الإسلام في أرجاء كثيرة من العالم.
- موافقة مبادئ الدين، التي تستعمل العقل، وتستميل ما تهفو إليه النفس، لفكر الغربيين، ما جعل بعضهم يتنبأ بمستقبل كبير للإسلام في الغرب.

٣- أهمية استخدام وسائل الإعلام والقنوات الفضائية في نشر الدعوة، بشرط وجود الكفاءات المطلوبة من الدعاة والعلماء، ما يجعل المشاهد ينجذب للاستماع والتعرف إلى الإسلام.

٤- عرض الإسلام مع الغربيين بالحكمة، لنتفادى صراع الحضارات؛ لأن الإسلام والأديان الأخرى هدفها الأخوة الإنسانية، وليس هناك دين يدعو للصراع. وما حصل من صراع يعود للتعصب الأعمى، وللجهل بجوهر الشرائع السماوية. ومن جهة أخرى، سيبقى الصراع ما دام التفاوت الصارخ قائماً بين الدول الغنية والفقيرة، ونظام القوة هو السائد.

٥- لا مكان للتعصب المذهبي في الإسلام، لأن الاجتهاد مفتوح في الإسلام، ولم يقل أحد من أئمة المذاهب: "تمسكوا باجتهادي، ودعوا اجتهادات العلماء الآخرين". ويجب رفع كافة المسميات والمصطلحات والاكتفاء بتسمية ‹مسلم›.

٦- التصوف دخل عليه تشويهات ودخائل، كما حصل للإسلام نفسه. وما دامت التسمية محدثة وتثير بعضهم، فلنعد إلى منهج القرآن في التزكية والإكثار من ذكر الله- تعالى-.

٧- جميع دول الشرق والغرب تتقبل المبادئ الإسلامية، لأنه لا يوجد شرٌ مطلقٌ في أحد، بل الجميع يميلـــون للخـــير، والله يهـــدي من يشاء.

٨- لا تناقض بين العروبة والإسلام؛ فالعروبة اسم علم لأمة، والإسلام هو العلم والعقل والنفس المزكاة، مثل عدم الفرق بين اسم علم لطبيب (أحمد) وبين لقبه العلمي (طبيب).

٩- أعداء الإسلام عجزوا عن مقارعة الإسلام بالسلاح، فانتقلوا إلى الغزو الفكري. والإسلام لا يعرف الدفاع في هذا الأمر، بل هو مهاجم دائماً. ولكن نفتقد إلى قادة الفكر الإسلامي الحقيقيين بالكمية والكيفية اللازمتين لنشر حضارتنا، ولغزو القلوب قبل أن يغزونا الآخرون.

١٠- السلام مع الإسرائيليين غير مقبول مع اعتدائهم على المقدسات. وإن حصل فهو مؤقت، لأنه ليس هناك سلام مخلد لفئة من الناس وظلم لفئة أخرى.

١١- ما يحزن في واقع الأمة الإسلامية هو الجهل والتخلف والتمزق، وضعف كفاءة علماء المسلمين.. وقلة الموهوبين فيهم.

١٢- اليأس سببه الجهل؛ ولذا، علينا أن نعمل بحكمة، وندخل البيوت من أبوابها، ولا نطلب المسببات من غير أسباب.

١٣- الداعي يعمل بحكمة القرآن، ويدعو الآخرين ببيان النتائج السلبية في إعراضهم عن الإيمان، والنتائج الإيجابية في إقبالهم على مبادئ الإيمان والإسلام والتزامهم بها.

١٤- بني مجمعنا الإسلامي- مجمع الشيخ أحمد كفتارو- لإعداد الدعاة، ونشر الثقافة، ومساعدة الفقراء، وتعليم الطلبة؛ وأساسه جامع، ثم أتت الجامعة، بحيث تستظل بهدي الجامع.

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص الحوار

✍ **السؤال الأول:** ما دور العلماء، والمفتين خصوصاً، في تبصير الأمة بواقعها السيئ؟ وكيف النهوض بالأمة الإسلامية لقيام بناء حضاري شامل؟

الجواب: من خلال تجاربي الشخصية في ميدان الدعوة منذ ٦٠ عاماً، لم أرَ أن الدعوة فشلت في ميدان من الميادين، سواء كانت مع الشعب أو مع رجال الحكم والدولة على اختلاف الظروف والحكومات.

والعمل الإسلامي- حالياً- أفضل منه قبل ٥٠ سنة، فقد ازداد وعي الناس وحبهم للإسلام. والآن أكثر الكتب مبيعاً هي الكتب الإسلامية، وهذا شيء مشهود في مختلف بقاع العالم الإسلامي. وللعلماء دور كبير في نشر الإسلام وتوعية الأمة بما يهددها ويحاك

ضدها من أخطار. والله- سبحانه وتعالى- بشرنا بالنصر، إذا قمنا بالدعوة إليه، وأدينا ما أمرنا به من واجبات. والواجب على كل المسلمين العمل على إعادة بناء الأمة وتصحيح مسارها، كلٌّ حسبَ موقعه، سواء من هم في الحكم.. أو من يقومون على شؤون الثقافة والدين والتربية الإسلامية، وكلٌّ حسبَ استطاعته. والتعاون واجب علينا جميعاً، لإعادة البناء على أساس قرآني، وهذا هو الأساس الذي أقام عليه سلفنا الصالح حضارتهم، التي امتدت من الشرق إلى الغرب، ما جعلهم يتفوقون على العالم. فالأمر ليس- فقط- مرتبطاً بالدعاة، بل بالمجتمع بوجه عام، إذ الجميع مطالب بالعمل على إعادة البناء الإسلامي. وأنا أؤكد أن القرن القادم هو قرن الإسلام إن شاء الله.

* * * * *

✍ **السؤال الثاني:** كيف ترون مستقبل الدعوة الإسلامية في عالم اليوم؟ وما السبل الكفيلة بتجاوز العقبات التي تعترضها؟.

الجواب: النصر لنا- بإذن الله تعالى-، وهذا وعد من الله ورسوله؛ فقد **قال** ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار»[1]. وفي عصرنا الحاضر، نلاحظ إرهاصات على مستويات عدة. فمع كل ما

(١) أخرجه أحمد من حديث تميم الداري رضي الله عنه، مسند الشاميين، برقم ١٦٩٩٨.

تعرض له المسلمون من حروب لإبادتهم وللقضاء على دينهم- قديماً وحديثاً- من الشرق والغرب، لم يفلح أعداء الإسلام بتحقيق مآربهم.

وعلى الرغم من ذلك، فإن دعوة الدين الحق سوف تظهر وسوف تهيمن، والقرن الحادي والعشرون هو قرن الإسلام، فهو الدين الذي يبحث عنه الغرب والشرق. وفي مجمعنا الإسلامي بدمشق يرد إلينا كبار الشخصيات من مختلف دول العالم من مفكرين وباحثين وقيادات مشهورة، ممن يرغبون في دراسة الإسلام والتعرف إليه عن قرب. ومثال على ذلك، عندما أتى إلينا- في عام ١٩٩٢- أحد رؤساء طائفة ‹الأوموتو› اليابانية وبعض أركان طائفته، وأقاموا عندنا في المجمع، حيث أعلنوا إسلامهم على الملأ، بحضور أكثر من عشرة آلاف شخص، من الذين يحضرون الدرس الأسبوعي يوم الجمعة. وذهبت معهم لأداء المناسك، وفي مكة سالت دموعهم وبكوا، وهذا فتحُ الله عليهم وما عرفوا من الحق. والإسلام ينتشر- الآن- باليابان. وبالمناسبة دين ‹الأوموتو› هو أحد الأديان الرئيسة في اليابان، وهي ثلاثة أديان. وهم يخبروننا- الآن- بأخبار سارة عن انتشار الإسلام بين أبناء طائفتهم هناك.

هذا في الشرق، أما في الغرب فإن الإسلام أشد انتشاراً وأسرع. ومنجزات الدعوة الإسلامية تتقدم بخطوات كبيرة سريعة؛ ففي أوربة

وأمريكة صار للمسلمين آلاف المراكز والمساجد والمدارس الإسلامية. ولا يمر يوم إلا ويرتفع فيه عدد معتنقي الإسلام. ولقد استطاع بعض الدعاة- الذين أرسلناهم إلى هناك- أن يؤثروا في عدد وافر من كبار القوم. فقد جاءنا منهم- على سبيل المثال- الدكتور فاروق **عبد الحق** (**روبرت كرين**) [المستشار للشؤون السياسية للرئيس الأمريكي **نيكسون**]، وبعض أساتذة الجامعات الأمريكية من المسلمين، وشاركوا معنا في الدورة التأهيلية العالمية للدعاة، ودرسوا الشريعة والإسلام مدة ثلاثة أشهر في دمشق، وعادوا لبلدهم ليرسلوا لنا أعداداً ممن هداهم الله للإسلام. وهذه الدورات تضم- حالياً- المئات من المسلمين الجدد من بقاع العالم، ولاسيما من جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق...

فالغرب رؤوا في الإسلام دين العقل والمنطق، وكل ما تهفو إليه النفس الإنسانية والعقل السليم. ولعل الفيلسوف الإنكليزي **برناردشو** قد تنبأ بمستقبل الإسلام، عندما **قال**: "إنه لا يمضي قرن واحد حتى يعم الإسلام أوربة بكل أرجائها"[1].

إن إسلام روجيه **جارودي** [مفكر الحزب الشيوعي الفرنسي]، وموريس **بوكاي** [عالم الأجنة المشهور]، ومحمد **أسعد** [أستاذ الإلهيات

(١) نداء للجنس اللطيف يوم ذكرى المولد، لمحمد بهجة بيطار (نقلاً عن كتاب برناردشو: الحياة الزوجية)، مجلة المنار (٣٢/ ٣٥٢)، المحرم ١٣٥١هـ.

والدين المسيحي، الذي كان يدرّس النصرانية في الفاتيكان]، وروبرت **كرين**، وغيرهم كثير من أعلام الغرب، دليل قاطع على أن المستقبل لهذا الدين، وأننا مؤيدون بنصر الله عز وجل، وأن الدين ما زال هو أساس الحياة، و لم يستنفد أغراضه، وسيبقى هكذا إلى قيام الساعة.

* * * * *

✍ **السؤال الثالث**: ما الطريقة المثلى للدعوة الإسلامية في عصرنا الحاضر؟

الجواب: مما لا شك فيه أن استعمال وسائل الإعلام هو من الأهمية بمكان؛ لأنها الأكثر انتشاراً، وتصل إلى أكبر عدد ممكن من البشر. وأنا من المهتمين باستعمال الإعلام في مجال الدعوة، ولي تجربة فيها عبر التلفاز والإذاعة، ترجع لأكثر من ربع قرن من الزمان. وحالياً في المحاضرة الأسبوعية في مجمعنا، نقوم بتصوير المحاضرة وخطبة الجمعة تلفازياً وتسجيلها إذاعياً، وهذا يسهل على أجهزة التلفزة نقلها مباشرة. وكذلك توجد أجهزة للترجمة الفورية.. باللغات الإنكليزية والفرنسية والروسية، على نحو يفهمها غير العرب ممن يستمعون المحاضرات، وهم يأتون بكثرة لزيارتنا ولاسيما يوم الجمعة، وقد أسلم عدد منهم نتيجة حوارات ولقاءات، وبعد سماعهم لمحاضرة يوم الجمعة، التي تلقى في المجمع.

فأنا أدعو الآخرين لزيارتنا والاستفادة من خبراتنا في هذا المجال. وأعتقد أن الداعي إذا كان يحمل الكفاءات المطلوبة في الدعوة إلى الإسلام، فسيجد المشاهد ما يجذبه للاستماع إلى الإسلام. ومن غير الممكن أن نبقى متلقين لإعلام الغير. نحن أهل الثقافة الواسعة.. والمشروع العظيم الذي ينقذ الإنسانية من ضلالتها، ونحن في حاجة إلى قناة فضائية إسلامية باللغات العالمية، يُفَرَّغَ لها أعظم المواهب والطاقات الإنسانية، وأن تقدم البرامج المتميزة، القادرة على المنافسة. إنني أعتقد أننا لو أعطينا أهمية للإعلام الإسلامي وللدعوة عبر الإعلام، لوصل الإسلام- بمبادئه وأخلاقه- إلى كل إنسان يعيش على هذه الأرض.

✍ **السؤال الرابع**: هناك نظريات تتحدث عن صراع الحضارات، ولاسيما الحضارة الإسلامية والمسيحية، من خلال الأحداث التي عصفت بالمسلمين في قرنهم الحالي وما عانوه في السابق. كيف تنظرون لمثل هذه النظريات؟

الجواب: لقد عملت- منذ سنوات- للحوار بين الأديان، ولنشر المحبة بين الإنسانية. وكلنا يعلم أن الإسلام دين السلام. وقد ألقيت الكثير من المحاضرات في جامعات أوربة واليابان وأمريكة متحدثاً عن مفهوم الإسلام وسماحته، وعن موقف الإسلام من الأديان السماوية.

وحدث أن دُعيت إلى الفاتيكان وألقيت محاضرة عن ‹مستقبل الدين الإسلامي في العصر الحديث›، وأعجب الحاضرون بها، وتحاورت مع البابا أكثر من ساعة.

وفي إحدى كنائس واشنطن، ألقيت محاضرة عن ‹الإسلام والإيمان والسلام›، نالت إعجاب راعي الكنيسة، فعدها موعظة الصلاة لذلك اليوم.

وفي رحلاتي الطويلة للشرق والغرب، التقيت قادة معظم الدول، ومع الملحدين.. ومع النصارى.. ومع البوذيين. كان لي حوار في الكرملين مع رئيس مجلس القوميات الأعلى في زمن الشيوعية، وبعد الحوار قال لي: "إذا كان الإسلام كما تقول فهو شيء حسن".

وفي جميع المؤتمرات، عندما نتحدث عن ديننا بالحكمة والموعظة الحسنة، فإننا نرى الحاضرين يذهلون لعظمة هذا الدين. وذات مرة ألقيت محاضرة عن الإسلام في واشنطن، أذيعت في معظم الولايات الأمريكية. ففي نظري، إنه بأيدينا قيادة العالم نحو السلام، وبأيدينا نجرّه للحروب. فبإدخاله في الإسلام سلام للعالم. والعالم يبحث عن القيم الروحية، التي تعيد له صفاءه، وهي موجودة في الإسلام. والغرب لا يخاف من الإسلام، ومن يكتب ضده هناك هو من الجاهلين بجوهر الإسلام، وإنما الغرب يخاف من الصور المشوهة التي تقدم له عن الإسلام.

والأديان بطبيعتها أتت لتحقيق أخوة الإنسان مع الإنسان. والأخوة تقتضي التعاون والمساعدة الإنسانية. والإسلام والمسيحية واليهودية لا تدعو للصراع والقتال؛ **قال عليه الصلاة والسلام**: «الخلق كلهم عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله»[1]. فالإسلام دين التسامح والسلام، وما وقع من الصراعات والعداوات- التي حصلت من الصليبيين قديماً أو الأوربيين حديثاً- كان بسبب التعصب الأعمى، وليس بسبب الدين؛ إذ إنَّ الدين لا يأمر بالاعتداء. وبوجود الإسلام الحقيقي الصافي سينتهي الصراع. فالإسلام دين يؤاخي بين الشعوب، ويدعو إلى السلام. وعلى أي حال، سيبقى الصراع قائماً في العالم مهما اختلفت النظم والقيادات، ما دام التفاوت حاصلاً بين الشعوب، ونظام القوة هو السائد، ولن يسود السلام إلا بالإسلام.

* * * * *

✍ **السؤال الخامس**: عرف عنكم الدعوة إلى عدم التعصب للمذاهب في الإسلام، فهل يتناقض هذا مع كونكم من الصوفية؟

الجواب: أصحاب المذاهب، وهم الأئمة المجتهدون الذين نسبت

(١) أخرجه القضاعي- في مسند الشهاب (٢/ ٢٢٣)- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو حسن.

المذاهب إليهم، لا يوجد واحد فيهم قال: "تمسكوا باجتهادي، ودعوا اجتهادات العلماء الآخرين"، بل جميعهم قالوا: "إذا صح الحديث فهو مذهبي. واضربوا بقولي عُرْض الحائط"[1]. فإذا كان الأئمة- رضوان الله عليهم- يقولون: "لا تتمسكوا بأقوالنا، وإنما بسنة النبي ﷺ"[2]، **والنبي ﷺ قال**: «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي»[3]، وهذا يجب أن نتمسك به. وكل العلماء والأئمة- إلى قيام الساعة- ملزمون بالقرآن وبالبيان النبوي. والاجتهاد موجود في الإسلام، وهو مشروع في الأمور التي لا يوجد فيها نص قطعي الدلالة في القرآن والسنة. وقد شرّع الاجتهاد رحمة بالمسلمين، بسبب اختلاف الزمان والمكان وحاجات البشر. والتعصب المذهبي يكون دائماً من شأن قصيري النظر.. وضعاف البضاعة العلمية بحقيقة الإسلام، وحقيقة ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ، وأصحاب المذاهب والأئمة رضوان الله عليهم. فالتعصب المذهبي في الإسلام يتنافى مع جوهر الإسلام وهدف الإسلام، والقرآن صريح وواضح، لا يوجد فيه تعصب مذهبي ولا شيعٌ، ودائماً: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الحجرات]. ففي القرآن مذهب واحد، وهو الإسلام.

(١) الفقه الإسلامي وأدلته، لوهبة الزحيلي (١/٣٥). وعرض الحائط: جانبه.

(٢) قاله الإمام مالك في الموطأ (٢/٨٩٩).

(٣) أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس ﷺ، في كتاب العلم، برقم ٣١٨، وله أصل في الصحيح، وذلك في ما أخرجه مسلم (برقم ١٢١٨).

﴿..هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ..﴿٧٨﴾﴾ [سورة الحج]. لم يسمّكم سنة ولا شيعة. ومن يحاول تمزيق المسلمين فهو يعمل ضد الإسلام.

وأما ذكرك أني من الصوفية، فأنا- منذ ١٥ عاماً- أدعو إلى رفع هذه الأسماء، وأن نكتفي باسم مسلم فقط. نرفع اسم صوفي.. واسم سلفي.. وغيرهما من الأسماء التي لا فائدة منها سوى فرقة المسلمين.

وفي رأيي أنّ السلفية الحقيقية هي السير على منهج السلف الصالح.. وهو الإسلام، والصوفية الحقيقية هي التربية الإسلامية وإعداد المسلم.. لينتقل من إسلام الاسم إلى إسلام العلم والعمل والخلق والسلوك على ضوء القرآن. فما دامت الأصول واحدة، فلماذا نتسمى بمثل هذه المسميات المفرقة؟! لماذا لا نتسمى بالمسلمين، ونضع الكل في الميزان، فما كان موافقاً لما كان عليه الرسول وصحابته الكرام فهو صحيح.. وما خالفه فهو باطل منبوذ.

والصوفية دخل عليها الكثير من الدخائل الباطلة، وهذا مخالف للشرع. فمن الأفضل عدم التحزب لمذهب ما، بل العودة للأصل وللنبع الصافي، ومن طلبه وجده.

سألني مرة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز: بلغني عنك خبران متناقضان: خبر يقول: إنك صوفي، وآخر سلفي. فأيُّ الخبرين صحيح؟

قلت: كلاهما صحيح.

فقال ابن باز: ولكنهما لا يجتمعان.

قلت: أنا جمعتهما. فأنا صوفي وسلفي بآن واحد.

ومنذ ٣٠ سنة، فكرت في هذا الخلاف بين كلمتي صوفي وسلفي. فهناك أناس ينتسبون للإسلام، وهم دخلاء عليه قولاً وعملاً، ويُحسبون على الإسلام، فهل نترك الإسلام بسبب أخطائهم؟! وكذلك التصوف. هناك دخلاء ودخائل في الاعتقاد، والتصوف الحقيقي منها براء، لأنه هو مقام الإحسان وتزكية النفس والعمل بالكتاب والسنة. وعلوم الإسلام كلها صار لها اصطلاحات، لو سألنا عنها الصحابة لما عرفوها، وكلها استحدثت من علماء المسلمين، الذين أتوا بعدهم. وأنا لما رأيت هذه المصطلحات تثير بعضهم، قررت رفع المصطلحات الصوفية.. وإحلال تسميات من القرآن والسنة محلها. ولو تتبعنا الصوفية الحقة، لوجدنا أنها تتلخص في الإكثار من ذكر الله. **ولابن تيمية** في ‹فتاواه› جزء كبير مخصص للصوفية الحقيقية. وكتابُ ‹مدارج السالكين› لتلميذه **ابن قيّم الجوزية** من أرقى كتب التصوف الإسلامي. وبالمناسبة، هذا الكتاب مقرر عندنا في مجمعنا.. في كليّتي الدعوة وأصول الدين.

وعموماً فإن اختلاف العلماء في الفقه ثراء للفقه الإسلامي، ودليل قاطع على حرية الرأي في الإسلام، و لم تكن- في يوم من الأيام- مظهر فرقة واختلاف وتنازع بين المسلمين.

والمسلم الحق- في رأينا- سلفيٌ صوفي معاً، ما دام لم يخدش حقيقة التوحيد.

* * * * *

✍ **السؤال السادس**: أثناء زيارتك للشرق، وللغرب خصوصاً، ولقاءاتك مع قادة تلك الدول ومفكريها، ما الانطباع الذي شاهدتموه عن تقبلهم للإسلام؟ وأيهم كان أكثر مرونة في تقبل الدعوة الإسلامية؟

الجواب: زرت تقريباً معظم دول أوربة والأمريكتين وآسية، والتقيت قادتها وكبار مثقفيها. حاضرت عن الإسلام في الكرملين وفي جامعات أوربة وأمريكة، وتحدثت عنه، وشرحته لقادة سياسيين وأساتذة جامعيين ورجال كنائس وغيرهم.

خلال لقاءاتي مع الكثير من الحكام والمفكرين والساسة، وجدت- عند معظمهم- استحسان المبادئ الإسلامية، ولم أصادف أحداً منهم كله شر، بل يميلون للخير بنسب متفاوتة، ﴿..وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾﴾. والإسلام مقبول، وهو يعلو ولا يُعلى عليه، وهو في انتشار سريع، بل هو أسرع الأديان انتشاراً على الإطلاق، على الرغم مما يعانيه أهله من الفرقة والتمزق والمشكلات الكثيرة، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره.

✍ **السؤال السابع**: العلاقة بين العروبة والإسلام إشكالية أخرى تناولتها أقلام المفكرين بين مؤيد ومعارض، فصارت مثيرة للجدل. فأين تلتقي العروبة مع الإسلام؟ وأين يفترقان؟

الجواب: أذكر على ذلك مثلاً بسيطاً: إذا نظرنا إلى طبيب اسمه أحمد، فما الفارق بين اسمه ولقبه العلمي؟

اسمه علم على ذاته يعرف به بين الناس، والطبيب لقبه لأنه حمل علم الطب ومارسه. وكذلك كلمة العرب والإسلام، فالعرب اسم علم لأمة في وطنها وأرضها وتتكلم بلغتها، وأما الإسلام فهو العلم والعقل الحكيم الذي لا يخطئ والنفس المزكاة والمحلاة بمكارم الأخلاق. فكذلك لا تناقض بين العروبة والإسلام، فالعروبة جسم والإسلام روح، فعروبة بلا إسلام كجسد بلا روح.

* * * * *

✍ **السؤال الثامن**: برأيكم ما أثر الغزو الفكري في الإسلام والمسلمين؟

الجواب: بالتأكيد هو واضح، وأعداؤنا عندما عجزوا عن مقارعة الإسلام بالسلاح، انتقلوا بتفكيرهم إلى حرب الكلمة، فأفسدوا عقول المسلمين وأخلاقهم ووحدتهم وهممهم وعزائمهم في التطلع نحو المعالي. ونحن لم نُعِدَّ لهذا الغزو الدفاع الملائم. والإسلام لا يعرف الدفاع في

هذا الأمر، بل هو مهاجم دائماً. ولكننا حالياً نفتقد قادة الفكر الإسلامي والتعليم الإسلامي البنائين للشخصية الإسلامية. فمتى وجد هذا العالم المعلم الحكيم، فنحن نغزو ولا نُغزى، والأفضل أن لا نسميه غزواً، بل نشراً للحضارة والإخاء والحب؛ لأن الإسلام إذا غزا فإنه يغزو القلوب ليملأها حباً وإخاءً، وليظلل العالم بالسلام الذي يتمناه اليوم. لذلك يجب على كل من يملك طاقة من حكام المسلمين وعلمائهم وأغنيائهم أن يوحدوا الطاقات لنقف صفاً واحداً، وننقذ العالم الإسلامي أولاً، ومن ثم العالم أجمع.. من تخبطه وأنانيته وأطماعه؛ لأن ديننا ينقذ العالم، عندما يتوافر المخلصون والداعمون له. فعندما يعرف العالم حقيقة الإسلام وثقافته وشريعته، لن يسمع به أحد إلا وسيتقبله. وكل من سمع به واعتنقه صار داعية له. وسمعت وقرأت أن كثيرين من كتاب الغرب بدؤوا يتذمرون من واقع مجتمعاتهم وما وصلوا إليه من انحطاط خلقي واجتماعي، وصاروا يرون في عقائدهم المعاصرة عدم الصلاحية لمواءمة القرن القادم. وإنني متيقن من أن الإسلام لابد من أن يعم العالم، لأن إنسان هذا العصر مثقف ومتقبل للحقيقة، التي لا يجدها إلا في الإسلام، الذي يعترف بكل الشرائع السماوية ويكملها ويقدسها.

* * * * *

✍ **السؤال التاسع**: ما رأيكم بالسلام مع الإسرائيليين في ظل اغتصاب مقدساتنا الإسلامية في فلسطين المحتلة؟

الجواب: ما دام هناك اعتداء من الإسرائيليين فلا سلام. وما دام هناك ظالم ومظلوم لا يمكن أن يكون سلام؛ حتى ولئن حصل، فهو سلام مؤقت، لأنه ليس هناك سلام مخلد لفئة من الناس وعدوان وظلم لفئة أخرى، والدهر دوار. والسلام إذا لم يكن قائماً على العدل والحق فلا يسمى سلاماً. فكيف نسالم الإسرائيليين وهم ينادون بالقدس عاصمة لهم، ويحاولون هدم المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث المساجد التي تشد لها الرحال؟ كيف نسالمهم وقد توالت- ولا تزال تتوالى- اعتداءاتهم علينا؟ فلا سلام مع الظلم والعدوان. السلام يكون بعد عودة الحقوق المغتصبة إلى أهلها.

* * * * *

✍ **السؤال العاشر**: الأصولية والإرهاب والتطرف صفات أطلقها أعداء الإسلام على المسلمين. ما الأسباب في رأيكم؟ وهل من تفسير لذلك؟

الجواب: كلمة أصولية- بمعناها المتعارف عليه- لا وجود لها في الإسلام. فهذه الكلمة من مصطلحات الغرب، وهي- في عرفهم، كما يقول المفكر المسلم روجيه **جارودي**، مفسراً لمعناها- فرض رأي أحد

الطرفين على الآخر. فالنازية والشيوعية والفاشية والصهيونية أصولية، وأما في الإسلام فلا إكراه في الدين، والإسلام دعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. وهذه التسميات ألصقها الغرب بالإسلام. فالتطرف والإرهاب والأصولية موجودة في كل مكان وزمان، وليس لها علاقة بحقيقة الإسلام.

* * * * *

✍ **السؤال الحادي عشر**: ما أكثر ما يحزن سماحة الشيخ من واقع الأمة الإسلامية؟

الجواب: الجهل والتخلف- الذي تقع فيه الأمة الإسلامية- هو أكثر ما يحزنني. وكذلك يحزنني تفرق الأمة الإسلامية، وأن أرى أكثر من خمسين علماً في سمائها. ويحزنني- أيضاً- ضعف كفاءة علماء الدين الإسلامي، وقلة الموهوبين فيهم.

نحن نريد أن يعيد الإسلام دورته، ويعود كما كان. ها هي الشيوعية قد سقطت، وقد توقعتُ سقوطها منذ الثمانينيات. سقطت لأنها لم تلتق مع واقع الإنسان وحاجاته. والرأسمالية تلهث وراء المادة تاركة القيم الروحية، وستسقط في القرن القادم إن شاء الله. وهذا هو وقت الإسلام. فأين الدعاة؟ وأين العلماء المسلمون؟ الشعوب تنشد السلام، والسلام يصنعه الإسلام.

هيئة الأمم، ومجلس الأمن، ومحكمة العدل الدولية، والمعاهدات، كلها تريد تثبيت السلام، والسلام هو من مبادئ الإسلام، ولا ينقذ السلام ويحقق العدالة إلا الإسلام المدافع عن رسالات السماء. الإسلام **هيئة الشرائع السماوية الحقيقية المتحدة** في القرآن. لقد جاء ذكر محمد ﷺ ثلاث مرات في القرآن، على حين ذُكر سيدانا **المسيح وموسى**- عليهما السلام- عشرات المرات، ولو عرف الغرب هذه الحقائق لتغير الحال، لاسيما أن عالمنا المعاصر مهدد بالانفجارات من كل مكان: انفجار سكاني، وآخر نووي، وآخر مرضي. الإنسان- الآن- لا يخاف إلا من الإنسان، ولن يعيد إليه الطمأنينة إلا الإسلام. إن الغرب لا يخاف من الإسلام، ولكن يخاف من الصور التي يقدَّم الإسلام بها إليه.

* * * * *

✍ **السؤال الثاني عشر**: سماحة الشيخ: التشاؤم واليأس والشعور بالإحباط مشاعر تغلب على نفسية المسلمين في عصرنا الحالي. فكيف نعيد لهم الأمل؟

الجواب: اليأس سببه عدم التفقه في الدين، والقرآن يقول: ﴿..إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة يوسف]. واليأس

من الكبائر، وفي **الحديث القدسي**: «أنا عند ظن عبدي بي»[1]. فليس علينا أن نضمن النتائج، بل نبدأ بالعمل أولاً، سواء كان قليلاً أو كثيراً. فلا نطلب المسببات بلا أسباب، ولا ندخل البيوت من غير أبوابها. فمتى عُرِضَت الحقيقة بأسلوبها الحكيم فلا بد من أن تنتصر، ولا بد من أن يكون بيان الحقيقة بالحكمة والموعظة الحسنة.

✍ **السؤال الثالث عشر**: الاعتدال والوسطية مطلوبان في الدعوة من دون غلو أو تهاون. كيف يعمل الداعية بوسطية في واقع يشهد أجواء متناقضة؟.

الجواب: الداعية- بحكم القرآن- يدعو إلى الله وفق منهج الله سبحانه وتعالى: ﴿.. ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ..﴿١٢٥﴾﴾ [سورة النحل]. هذه بعض شروط الدعوة، وهذا أمر وتوجيه معنوي؛ أما واقعياً؛ يقول الله عز وجل مخاطباً **موسى وهارون**: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة طه]. فعلى وصف فرعون بأنه طغى، أمرهما- سبحانه وتعالى- بالتلطف في دعوته بقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة طه]. هذا أمر الله لأنبيائه، وأمر الله للدعاة بعد الأنبياء. علمهم أدب الدعوة بالحكمة والإقناع وبيان الأسباب

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ، في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ [آل عمران: ٢٨]، برقم ٧٤٠٥.

والمسببات للمدعو، سواء كان حاكماً أو محكوماً. فعلى الداعية أن يبين للمدعو نتائج إعراضه عن الإيمان وأضرار هذا الإعراض ومردوده السلبي، وكذلك ثمرات العمل الإيجابي. وعندما يقتنع الإنسان بأمر، فإنه يستجيب له. ولنا في رسولنا الكريم القدوةُ في الدعوة مع الصبر والحكمة والموعظة الحسنة، وهذا هو طريق النجاح في عصرنا الحالي، عصر الثقافة والعلم. ونحن- منذ ٦٠ عاماً- ندعو بهذا الأسلوب، وقد حققنا الكثير من المكاسب ولله الحمد.

✍ **السؤال الرابع عشر**: أخيراً سماحة الشيخ: هل من كلمة توجهونها لإخوانكم المسلمين؟

الجواب: على كل مسلم أن يعي عظمة هذه الكلمة ‹مسلم›، وأن يشعر بمسؤوليتها. يجب أن نكون مسلمي العلم والعمل والدعوة إلى الله، بأقوالنا وأعمالنا، في سرنا وعلانيتنا، في خلوتنا وجلوتنا. يجب أن نعمل جميعاً لنصرة الإسلام، ولنشره في العالم أجمع. يجب أن ندع التحزب والفرقة، ونعمل باسم الإسلام، ولأجل الإسلام فقط، متمسكين بكتاب الله وسنة رسوله الكريم.. بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة.

* * * * *

حوارات

(٣)

الدعوة الإسلامية المعاصرة
طموحات ومشكلات[١]

(١) حوار مع سماحته، أجراه السيد وليد تاجا، مراسل مجلة العالم اللندنية في دمشق، في ١٩٩٦/١٠/١٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة:

١- هناك شبه إجماع على مطلب العودة إلى الإسلام، ولكن ذلك يتطلب منهجاً عملياً واضحاً، لا شعارات أو كلاماً أو أماني.

٢- يجب العودة إلى الكتاب والسنة بالمعنى الشامل، لا المعنى المجتزأ. فالإسلام ليس عبادات وأحوالاً شخصية وحدوداً فحسب، بل دعوة أيضاً إلى إعمار الأرض.. وبناء مظاهر الحضارة من سدود ومصانع..

٣- قصة ذي القرنين مَثَل قرآني للحكم الإسلامي، تحمل رسالة في محاربة الجهل.. ومحاربة الفقر.. ومحاربة الظلم والاستعمار.. وبناء السدود.

٤- علينا أن نبني قيادات راشدة لنشر الدعوة الإسلامية، تستعمل الفضائيات والإنترنت وكل جديد في وسائل الإعلام، بالتعاون

مع الحكومات، لتبني برنامجاً إسلامياً يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويضمن بناء أمة تصون سيادتها وكرامتها.

٥- المواجهة مع أعداء الإسلام لا تحسم بالطرق العسكرية وحدها، ولاسيما أن العالم صار اليوم قرية صغيرة.. وصار البلاغ المبين مرهوناً بكفاءة الدعاة لا بالقوة الحربية.

٦- المطلوب دعاة مثل جيل الصحابة، الذين أعدهم الرسول علماً وسلوكاً وتزكية؛ إذا حلوا بأرض قوم، تعلقت بهم القلوب، وأدخلوا الناس في الإسلام بسلوكهم.

٧- هناك مثال تاريخي واقعي حدث أثناء احتلال المغول للعالم الإسلامي، فقد تحول الغزاة إلى دين المغلوب، بسبب قوافل الدعاة، الذين تسربوا إلى الحواضر المغولية ينشرون الدعوة بحكمة وهدوء، حتى حولوا عظماء المغول إلى الإسلام.

٨- أي طرح للإسلام يجب أن يكون مؤمناً بحق الآخرين في الاجتهاد واحترام رأيهم، بعيداً عن التعصب والعنف؛ لأن ذلك سيئ وينعكس سلبا على جهود العودة إلى الإسلام.

٩- الصحوة الإسلامية تتعاظم، ونأمل أن يتبعها نهضة إسلامية شاملة. وما يعتريها من سلبيات في التطبيق الإسلامي لا يقلل من أهميتها.

١٠- الإسلام دين الشورى، وهي ديمقراطية الخبراء وأهل الاختصاص؛ فالديمقراطية تهتم بالكم والشورى تهتم بالكيف، حيث لا رأي لجاهل..

١١- في الإسلام هناك احترام للمعارضة الفكرية، والدليل تعايش المسلمين على الرغم من وجود المذاهب. وما حصل من تعصب ذميم من المعتزلة في عهد المأمون فتقع مسؤوليته عليهم وحدهم، والإسلام من ذلك براء. وما حصل في سقيفة بني ساعدة- من تأخر بعضهم عن البيعة أو ترك بعضهم لها- دليل على حرية المعارضة في الإسلام، لأن المسلمين احترموا قدرهم و لم يحسموا الأمر بالقهر.

١٢- المسلم يحمل رسالة الإسلام والخير للغرب، ولا يصرفه عن ذلك سلوكهم الجاهلي وسياسات حكامهم المتسمة بالمعياريْن ومساندة الظالم.

١٣- ليس الإسلام هو المسؤول عن انعدام الثقة بين الشرق والغرب، بل هي تلك السياسات الخاطئة لحكام الغرب.

١٤- على الدعاة الاجتهاد في تعريف الغرب بالإسلام، وتوسيع قاعدة الحوار والتعاون مع المتنورين منهم، كي يرفعوا حواجز الخوف من الإسلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص الحوار

السؤال الأول: كثيرون ممن تحدثوا عن أسباب تخلف المسلمين، ولكن قلة من تحدث عن طريق العودة إلى الإسلام. برأيكم ما ملامح هذه الطريق، التي يمكن أن تُقَدَّم إلى المثقف المسلم في هذا العصر؟

الجواب: العودة إلى الإسلام مطلب حقيقي أجمع عليه سائر الحكماء في هذا العالم الإسلامي. وهو اليوم ليس محل خلاف في العالم الإسلامي، ولاسيما بعد أفول الإلحاد مع مطلع التسعينيات.

ولكن العودة إلى الإسلام ليست كلاماً يقوله المرء، أو شعاراً ترفعه الحركات الإسلامية؛ وعندها يكون نصيبنا من ذلك الأماني والتغني بالماضي من دون أن يكون له أثر في الحاضر.

هناك كلام كثير في البلدان الإسلامية عن العودة إلى الإسلام، ومن أجل ذلك تنعقد مؤتمرات ولقاءات مختلفة. ولكن الذي ينبغي أن ننتبه إليه هو أن كثيراً من دعوات العودة إلى الإسلام تفتقر إلى المنهج الواضح، إذ ليس كافياً أن ننادي بشعار العودة إلى الكتاب والسنة، ثم نقف من معانيهما ودلالاتهما موقف المتفرج.

فالكتاب- الذي جعله الله نوراً وهدى للناس- لا يجوز قصر أحكامه على بعض مسائل العبادات والأحوال الشخصية والحدود، كما يظن بعض المشتغلين بالعلوم الشرعية، بل إن الإسلام دعوة إلى إعمار الأرض وإحيائها. فكما أن العبادات وإقامتها في الأرض توجيه قرآني، كذلك فإن بناء السدود والمصانع والرقي بالبلاد هو واجب ديني ومقصد قرآني.

لقد ضرب القرآن الكريم مثلاً للحكم الإسلامي في شخص **ذي القرنين**، في سورة الكهف، التي يقرؤها المسلم كل أسبوع مرة؛ إذ أوجزت الآيات العظيمة رسالة ذي القرنين في ثلاث جهات من العالم:

الأولى: عند مغرب الشمس، ووجد عندها قوماً فيهم الظالمون وفيهم المؤمنون الذين يعملون الصالحات.

والثانية: عند مطلع الشمس، ووجد عندها قوماً لم نجعل لهم من دونها ستراً.

والثالثة: بين السدين، ووجد عندها قوماً لا يكادون يفقهون قولاً.

وهكذا، فقد كانت رسالة ذي القرنين في مغرب الشمس تحقيق العدل وترسيخ النظام والقانون، وكانت رسالته في مطلع الشمس محاربة الفقر، على حين كانت رسالته بين السدين محاربة الظلم والبغي والاستعمار.. وبناء السد الاستراتيجي، الذي يحمي البلاد من العدوان الخارجي.

والخلاصة: إنّ علينا أن نقوم ببناء قيادات راشدة للدعوة الإسلامية العالمية، تعمل على نشر الدعوة الإسلامية باستعمال واسع لوسائل الإعلام والتكنولوجية المعاصرة، ومنها: إنشاء قناة فضائية للتعريف بالإسلام، واستعمال واسع لشبكة الانترنت، وغيرهما مما يستجد من المخترعات.

مع ضرورة التعاون مع الحكومات الوطنية لتبنّي برنامج إسلامي يجمع بين الأصالة والمعاصرة، مع التأكيد أن بناء قوة الأمة وصيانة سيادتها وكرامتها جزء لا يتجزأ من منهج العودة إلى الإسلام الذي نسعى إليه.

* * * * *

✍ **السؤال الثاني:** يرى بعضهم أن مشكلة المسلمين تكمن في دعاتهم. ما رأيكم بهذا؟ وماذا تقترحون من طرق ووسائل لإعداد دعاة قادرين على القيام بالعملية التغييرية من خلال الظروف المحيطة؟

الجواب: لقد قلت لعدد من الحكام العرب خلال لقائي بهم: إننا اليوم نحتاج إلى دعاة إسلاميين عاملين أكثر من حاجتنا إلى أي شيء آخر.

إن المواجهة مع أعداء الإسلام لا يمكن أن تحسم بالطرق العسكرية وحدها، وكذلك صار العالم قرية صغيرة، وصار البلاغ المبين مرهوناً بكفاءة الدعاة وليس بقوتهم الحربية.

والدعاة المطلوبون في هذه المرحلة- وفي كل مرحلة- هم ذلك الجيل الأول، الذي انطلق من مسجد النبي الكريم ﷺ في المدينة، وقد أعدهم النبي ﷺ علماً وسلوكاً، معرفة وتزكية، فكانوا إذا حلوا بأرض قوم تعلقت بهم القلوب، وأنس بهم الناس، ورؤوا في سلوكهم ما يدعوا الناس إلى الدخول في الإسلام.

وسأضرب هنا مثالاً واحداً:

في القرن السابع الهجري شهد العالم الإسلامي الاجتياح المغولي، وهو أكبر غزو تشهده المنطقة في التاريخ. وكانت الجيوش الإسلامية تنكسر عند ملاقاة ذلك الغزو، وتتهاوى عاصمة إثر عاصمة، حتى سقطت بغداد في عام ٦٥٦هـ. ومضت تلك الجحافل المغولية تفتك بالحياة والأحياء، إلى أن توقفت عند عين جالوت في عام ٦٥٩هـ.

وبحسب الظاهر كان العالم الإسلامي من خوارزم إلى دمشق تحت حكم السيوف المغولية، وكانوا يطمسون سائر المعالم الإسلامية في الأماكن التي بقيت ضمن سيطرتهم.

ولكن فجأة نقرأ في التاريخ أن هذه المدن تستعيد وجهها الإسلامي تدريجياً، وأن قادة المغول العسكريين يتحولون إلى الإسلام، ولم تمض إلا سنوات قليلة حتى قامت الحكومات المغولية المسلمة في خراسان وأوزبكستان والهند وأفغانستان والباكستان، وتحول أولئك المحاربون الأشداء إلى مسلمين ودعاة، وشرعوا يبنون المساجد والمدارس الإسلامية. وما زالت مساجدهم- التي بنوها في الهند وآسية الوسطى- تمثل أعظم الآثار الإسلامية الباقية إلى اليوم.

إن هذا التحول المدهش حقيقة تاريخية لا ينكرها أحد، وتدل عليها مئات المساجد الباقية، والمؤرخون لا يختلفون في تفسيرها، إذ لم يكن هناك أي سبب سياسي يدعو هؤلاء الغالبين إلى الدخول في دين المغلوبين.

والحقيقة التي لا يمكن تجاهلها هي أن قوافل من الدعاة العاملين، كانوا يتسربون إلى الحواضر المغولية، ليس معهم من السلاح والعتاد إلا محبة الله، والكلمة الطيبة، والنية الصادقة.. مع العلم والعقل. وكانوا يعملون بصمت حتى تمكنوا من تحويل عظماء المغول إلى الإسلام. فقد أسلم **تغلق خان** على يد الشيخ **جمال الدين** وولده **رشيد الدين**. وكذلك أسلم **بركة خان** على يد الشيخ سيف الدين **الباخرسي**. وهكذا، تتابع إسلام سلاطين المغول حتى صار الإسلام- خلال سنين قليلة- دين هذه الشعوب، التي جاءت إلى العالم بلا دين.[1]

(١) الدعوة إلى الإسلام، لتوماس أرنولد، ص٢٤٨.

إن الأمر نفسه يمكن أن يتكرر في كل جيل، بعد أن قدمنا الأدلة الواضحة على نجاحه تاريخياً. وإن الحضارة اليوم أحوج ما تكون لدعاة في مستوى سيف الدين **الباخرسي**، تقوم على كواهلهم مهمة الهداية والإصلاح في هذا العالم.

* * * * *

✍ **السؤال الثالث**: الدعوة إلى الإسلام أصيبت بانتكاسات كثيرة. هل يمكن تحديد بعض النقاط السلبية من خلال الواقع، ليكون ذلك عوناً للدعاة والعاملين في سلك الدعوة الإسلامية؟

الجواب: لا أحب أن أخوض في النقاط السلبية، ولكن أعتقد أن أي طرح للإسلام يجب أن يكون مؤمناً بحق الآخرين في الاجتهاد واحترام رأيهم، وأن الطرح المتعصب الممزوج بالعنف يسيء أكثر مما يحسن، وينعكس سلباً على الجهود الإسلامية المخلصة في تحقيق العودة إلى الإسلام.

* * * * *

✍ **السؤال الرابع**: كيف تنظرون إلى ما يسمى ‹الصحوة الإسلامية›؟ وهل توافقون أصلاً على هذا المصطلح؟

الجواب: الصحوة الإسلامية ظاهرة عافية وبركة على شعوب العالم الإسلامي، ونأمل أن تتبع هذه الصحوة نهضة إسلامية شاملة، على أساس من العلم والازدهار للشعوب الإسلامية. وما نشهده في بعض البلدان الإسلامية من أمور سلبية في التطبيق الإسلامي، لا يقلل من أهمية الصحوة الإسلامية، إذ لا بد في كل عمل كبير من هوامش سلبية. ولاشك أن هذه الصحوة- بحمد الله- تتعاظم كل يوم، بعد أن يئس الناس من جدوى الحلول المطروحة، التي تتجاهل الإسلام، على الرغم من أن الإسلام كان أعظم مجد شهدته هذه الشعوب خلال تاريخها.

* * * * *

✍ **السؤال الخامس**: ما موقف الإسلام من الديمقراطية؟ وهل يسمح الإسلام بوجود المعارضة؟.

الجواب: الإسلام دين الشورى، والله عز وجل يقول: ﴿..وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ..﴿٣٨﴾﴾ [سورة الشورى]. والشورى تشبه الديمقراطية في شيء وتخالفها في شيء؛ فهي تشبه الديمقراطية في اشتراك الناس في الحكم، ولكنها تختلف عن الديمقراطية في أنها تقصر الرأي المسموع على العليم

من دون الجهول، والعارف من دون العابث؛ إذ ليس كل أحد أهلاً أن يستشار، ولا رأي لجاهل في الإسلام. فعلى حين تتجه الديمقراطية إلى الاهتمام بالكمية، تتجه الشورى إلى الاهتمام بالكيفية، وأقرب تسمية يمكن أن تُعَرَّف بها الشورى في الإسلام أنها "ديمقراطية العلماء والخبراء وأهل المعرفة والاختصاص"، وهذا المعنى يؤيده القرآن الكريم في مواضع عدة، فيأمر في الآية.. ﴿..فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ [سورة الأنبياء]، ويخبر أن سواد الناس ليسوا دائماً على صواب. ﴿..وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة يوسف]. ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ..﴿١١٦﴾﴾ [سورة الأنعام].

ولنضرب على ذلك المثال الآتي:

إن جماهير الناس في الغرب لو استشيرت- وفق قواعد الديمقراطية- حول الخمر أو الزنا مثلاً، لجاءت النتائج مخيبة لآمال العقلاء؛ إذ إن الناس لن تتنازل عن أهوائها في شرب الخمرة ومعاقرة الزنا من أجل مثل أخلاقية، على الرغم من اتفاق العقلاء على الأضرار الجسدية والمعنوية للخمر، والأضرار الاجتماعية والصحية للزنا.

ولكن الأمر نفسه لو عرض على الناس- وفق قواعد ‹الشورى الإسلامية› واقتصر الناخبون هنا على الخبراء في الصحة والاجتماع-

لكانت النتيجة بالتأكيد غير ما سبق. وهكذا، فإن الإسلام احترم رأي العليم وأسقط رأي الجاهل.

وأما عن المعارضة، فإن تاريخ الإسلام مليء بوجود المعارضة الفكرية في سائر العصور، ولاسيما عصور المجد الإسلامي الأول. وكنا- تاريخياً- متجاورين متآخين ونحن مذاهب أربعة، وكذلك الجعفرية والزيدية والإباضية. ولم يُطْلَب إلى أتباع مذهب التحولَ إلى مذهب آخر. ولعل الحقبة السوداء الوحيدة هي تلك التي تولى فيها المعتزلة القرار السياسي أيام المأمون والمعتصم والواثق، وعرضوا الناس فيها على السيف من أجل آرائهم الاجتهادية، وقد ولى ذلك إلى غير رجعة، وتعد المعتزلة هي المسؤولة عن ذلك، ولا ينبغي تحميل الإسلام أخطاءهم وخطاياهم.

وحتى في المسائل العامة، فقد كانت ثمة معارضة لمسائل غاية في الأهمية، ولم يكن ذلك يحسم بالبطش أو بالقهر؛ فبيعة الصديق مثلاً- وهي أكبر مسألة تواجه الأمة بعد الرسول الكريم ﷺ- إنما كانت عن شورى بين أصحاب السقيفة. وقد تأخر عدد من الصحابة بالبيعة أياماً- بل شهوراً- من غير أن ينقص ذلك من أقدارهم من شيء، بل إن بعضهم مات من دون أن يبايع، كالسيدة الطاهرة **فاطمة** بنت سيدنا محمد ﷺ، وكذلك سعد **بن عبادة** الخزرجي، وعلى الرغم من

ذلك فإن الأمة حفظت لهم كرامتهم، وظلوا في المجتمع الإسلامي كراماً، ولم يقم الصحابة الكرام بأي عمل من شأنه أن يحد من حريتهم الفكرية أو يغير من احترام الأمة لمقامهم الرفيع.

وإذا حصل في التاريخ الإسلامي أن تعرض حق الفكر للاعتداء، فإن المسؤول عن ذلك هو الأفراد، الذين نبذوا سيرة السلف الأول؛ أما الإسلام فهو دين الحرية الفكرية، التي شملت سائر مرافق الفكر على خطورتها، قال الله عز وجل: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ..﴿٢٩﴾﴾ [سورة الكهف].

* * * * *

✍ **السؤال السادس**: ما السبل لتصحيح علاقة الإسلام والمسلمين بالغرب؟.

الجواب: إن المسلم مأمور أن يحمل للناس رسالة الخير والمحبة، وأن لا يصرفه عن مواقفه الربانية سلوكهم الجاهلي.

لقد كان النبي الكريم- في جهاده مع المشركين- حريصاً على مقاتلة الشرك والقضاء عليه، ولكن لم يقصد قتل المشركين، بل أراد القضاء على الكفر، وليس القضاء على قومه من الكافرين؛ فمراراً وقعت رقابهم بين يديه، ولكنه كان يكف عنها سيف القصاص، ويبسط فيها يد العفو.

ولكن السياسات الخاطئة لكثير من الحكام الغربيين هي التي تسبب ردة الفعل القوية في المجتمع الإسلامي. فقد دأب الغرب- مثلاً، منذ قيام إسرائيل- على دعم سياستها العدوانية، ولم يحصل أنهم حاصروها أو قاطعوها حين رفضت القرارات الدولية، كما يجري اليوم في ليبية والسودان وإيران وغيرها. وهكذا، فإن هذه السياسة المزدوجة بمكيالين ومعيارين هي التي تخلق روح الشحناء بين المسلمين والغرب، وأنا أنصح القائمين على السياسة في الغرب أن لا يتصرفوا وفق ما تمليه المصالح السياسية المؤقتة فقط، بل عليهم أن ينتصروا للعدالة والمثل العليا التي ينادون بها، فإنه كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون.

وهكذا، فالإسلام ليس هو المسؤول عن حال عدم الثقة بين الشرق والغرب، ولكن كثيراً من السياسات الغربية الخاطئة هي التي توقد نار الشحناء.

وكذلك أنصح العاملين والناشطين في حقل الدعوة الإسلامية أن يجتهدوا بتعريف الغرب بالإسلام، وأن يرفعوا من أمام الغربيين حواجز الخوف من الإسلام، ويطلعوهم على حقيقته الحضارية والإنسانية.

ويجب أن نوسع قاعدة الحوار والتعاون مع المتنورين منهم، ونقدم لهم الدعم ليتمكنوا بدورهم من الإسهام في تصحيح العلاقة بين الإسلام والغرب.

حوارات

(٤)

الدعوة الإسلامية المعاصرة
طموحات ومشكلات[١]

(١) حوار مع سماحته، أجراه مراسل مجلة "الضياء"- الصَّادرة عن دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دبي في الإمارات- في دمشق، في ١٨/ ٤/ ١٩٩٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة:

١- الدعوة إلى الله مسؤولية كل مسلم ومسلمة وهي على مستويات:

أ- أن يكون الداعي عالماً وحكيماً، وصاحب نفس مزكاة، ويعمل بعلمه ليكون قدوة لغيره.

ب- أو أن يكون متعلماً، فيضع نفسه في طريق العلم والمعرفة، ثم العمل والتعليم.

ج- أو أن يكون مستمعاً، فيسمع بعض العلم ويصلح نفسه، فيوصل بعض ما سمع من خير إلى من وراءه.

د- أو أن يكون محباً، فيستفيد من محبته للعلماء بنقل هذا الحب لغيره، ولو بالحد الأدنى، ويدعو إلى ارتباط المسلم بالعلم والعلماء.

٢- الدعوة إلى الله بمفهومها الخاص هي مهمة العلماء العاملين الوارثين، من توافَرت فيهم العلم والحكمة والتزكية، ويفهمون زمانهم ويستطيعون التعامل معه.

٣- تترقى أساليب الدعوة من الحكمة (بداية الحوار والإقناع عن طريق الأدلة العقلية) إلى الموعظة الحسنة (استمرار الحوار للدلالة على الخير بالكلمة الطيبة) إلى الجدال بالتي هي أحسن (استمرار الحوار المرن البعيد عن التعصب). فإن لم يصل الداعي إلى ثمرة، ينتقل إلى المرحلة الرابعة.. إن ربك هو أعلم بمن ضل.

٤- الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى سبيل الله، الذي جاء به القرآن بنصوص واضحة، وما صح عن رسول الله ﷺ تفسيراً لهذه النصوص، وعرض مفاهيمها بوضوح وبصيرة من غير تأويل فاسد يخرج النص عن سياقه ومقصده.

٥- لا يجوز لأحد أن يدعو من دون علم ومعرفة، لئلا يخوض في الحلال والحرام بجهل. ولكن ذلك لا يرفع مسؤولية الدعوة عن أي مسلم على حسب المستويات التي ذكرت في الفقرة الأولى.

٦- يجب تجاوز الخلافات المذهبية لوجود واجب كبير علينا في الدفاع عن مقدساتنا ومواجهة قوى الشر التي تريد تدمير إسلامنا.

٧- المذاهب هي صيدليات فيها أكثر من دواء. وعند أي مشكلة، نبحث عن الدواء المناسب فيها.

٨- مجمعنا- بمؤسساته وفروعه- يهدف إلى إنشاء دعاة يوصلون الإسلام إلى ما بلغ الليل والنهار. وتقوم جمعية الأنصار بالإنفاق عليه من تبرعات المحسنين، والدال على الخير كفاعله.

٩- المستقبل للإسلام، والأمة تعيش مرحلة المخاض.

* * * * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص الحوار

السؤال الأول: يقول تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة فصلت]. من هو الذي يدعو؟ وكيف هو؟ ولماذا هو؟

الجواب: الدعوة إلى الله- تبارك وتعالى- في المجال العام هي مسؤولية كل مسلم ومسلمة، وهذا هو اعتبار القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة يوسف]. وبناء على هذا، فكل من آمن بالله رباً وبمحمد ﷺ رسولاً، وشهد وأقر واعترف أنه مسلم ومن أتباع محمد رسول الله ﷺ، يحمل مسؤولية الدعوة إلى الله.

والدعوة إلى الله- تبارك وتعالى- تكون على مستويات مختلفة، ولكنها تلتقي كلها في إيصال المعرفة الإسلامية إلى كل إنسان، أخذاً

من **الأثر**: «اغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً، ولا تكن الخامس فتهلك»[1].

فالعالم هو من ملَك أدوات الدعوة، من علم وحكمة وتزكية للنفس، أخذاً من تحديد القرآن لمهمة النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الجمعة]، ثم الالتزام بما علم عملاً؛ لأن العالم هو وارث النبي، والنبي ﷺ هو القدوة الحسنة في القول والعمل والأداء.. ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الأحزاب].

فإن لم يُقدَّر للمسلم أن يكون عالماً فليكن متعلماً، فيكون بذلك قد وضع نفسه على طريق العلم والمعرفة والعمل.

فإن لم يمكنه ذلك، فهو يستمع لأقوال العلماء وإرشادهم وتوجيهاتهم؛ فيتعلم بعض العلم، وتصلح نفسه، فيستطيع أن يوصل بعض ما سمع من خير وعلم إلى من وراءه من أهل وأصحاب، فيكون قد عمل بالدعوة وتخلص من المسؤولية الملقاة على كاهله من قوله تعالى: ﴿..أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ..﴿١٠٨﴾﴾ [سورة يوسف].

(١) أخرجه البيهقي في شعبه، عن ابي بكرة برقم (١٧٠٩) ، قال الهيثمي: ورجاله موثوقون، وقال المناوي (١٧/٢): قال الحافظ أبو زرعة العراقي: هذا حديث فيه ضعف.

وأما الصنف الأخير، فهو المحب للعلم والعلماء. ومن أحب شيئاً، حرص على الاستفادة منه، ويستطيع بذلك أن ينقل هذا الحب ولو بالحد الأدنى إلى ارتباط المسلم بالعلم والعلماء. وبهذا يكون قد قام بالدعوة إلى الله على المستويين الذاتي والجماعي؛ فيكون قد دعا نفسه إلى الخير، ودعا من معه ولو بحجية العلماء.

وأما الدعوة بمفهومها الخاص.. التي هي مهمة العلماء العاملين، الذين حملوا أمانة الرسالة من خلال الوراثة، فلا بد من أن تتوافر فيهم الصفات الثلاث: وهي العلم الصحيح أولاً، من مصادره الأصيلة بالدراسة والبحث والتمحيص؛ ثم الحكمة، وهي فعل ما ينبغي على الشكل الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي؛ ثم تزكية النفس، وطهارتها بالإخلاص والصدق مع الله تبارك وتعالى.. على نحو تكون معه الدعوة خالصة لا تخالطها المصالح والأغراض الشخصية، أو المكاسب المادية، أو الأهداف الدنيوية، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ..﴿١٠٨﴾﴾ [سورة يوسف]. نعم، إلى الله تبارك وتعالى. ولهذا فنحن نؤكد أن يكون القصد من العمل الدعوي هو "**إلهي أنت مقصودي، ورضاك مطلوبي**".

بعد ذلك لا بد للداعي من أن يفهم زمانه وعصره، ولغة الواقع الذي يعيش فيه، حتى يستطيع التعامل معه، ليؤدي مهمته على نحو

صحيح، لذلك **قالوا**: "العالم هو من يعلم زمانه". وهذه المعرفة تنطلق من الحكمة، وهي وضع الشيء في مكانه، مع مراعاة الزمان والمكان والإمكان والإنسان.

ولا بد لكل من يتصدى لمهمة العمل الإسلامي والدعوة إلى الله- تبارك وتعالى- من أن يحاول التلبس بالأخلاق الفاضلة الضرورية لعمل الدعوة.

ورسول الله ﷺ هو المثل الأعلى لكل هذا؛ فقد اعتصم ﷺ بالحلم والصبر على الأذى، وبخفض الجناح، والرفق، وحسن المعاملة، مع قوة الشخصية والمهابة العلمية.

بهذه الأمور يمكن أن نقول عن هذا الإنسان: إنه يحمل دعوة.

* * * * *

السؤال الثاني: يقول تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ..﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة النحل]. سماحة المفتي: ما الحكمة.. ومن أهلها؟ وما الموعظة.. ومن أهلها؟ وما الجدل بالذي هو أحسن.. ومن أهله؟

الجواب: لقد تعددت آراء العلماء في مفهوم الحكمة، ولكن في رأيي أن تعريفها- أخذاً من سياق النص أو النصوص التي ورد فيها ذكر الحكمة-

أقرب ما يكون لتعريف **ابن قيِّم** رحمه الله، الذي قال عن **الحكمة العملية** بأنها: "فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي"[1]؛ لأن الحكمة هي مفتاح معرفة حقائق الأشياء، ولهذا عدها القرآن الكريم خيراً كثيراً؛ يقول تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [سورة البقرة].

والحكمة هنا هي بداية الحوار، وهو الإقناع عن طريق الأدلة العقلية، وهي المرحلة الأولى؛ وأما المرحلة الثانية فهي الموعظة الحسنة في الحوار والدلالة على الخير، وتكون بالكلمة الطيبة والأسلوب الإيجابي المحبب، البعيد عن الانفعال والعنف؛ وأما المرحلة الثالثة فهي الجدال بالتي هي أحسن، وهو الحوار المرن البعيد عن التعصب والتزمت.

فهناك الجدال الحسن، ولكن هنا يجب أن يكون بالتي هي أحسن من الحسن.

فإذا انتهت المراحل الثلاث- وهي الدعوة بالحكمة، ثم الموعظة الحسنة، ثم الجدال بالتي هي أحسن- ولم يصل الداعية إلى ثمرة ونتيجة، فعليه أن ينتقل إلى المرحلة الرابعة، وهي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾ [سورة القلم]؛ أي دعهم إلى الله تبارك وتعالى، فهو أعلم بعباده أزلاً، مَنِ المهتدون ومَنِ الضالون.

(١) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية (٢/٤٧٩).

السؤال الثالث: يقول تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [سورة يوسف]. نستجلي من فضيلتكم ما السبيل؟ وما البصيرة؟

الجواب: سبيل الله هو ما جاء في القرآن، وهذا توجيه من الله- تبارك وتعالى- لرسوله الكريم ﷺ أن يبيّن للناس- كل الناس- سبيل الحق الذي جاء به من عند الله تعالى، ليبلغه إلى الناس كافة على بصيرة؛ أي على وضوح.. من غير غموض ولا لَبْس ولا تأويل. ونحن مطالبون بالمراد من البيان الإلهي؛ وأما التأويلات الفاسدة التي تُخرج النص عن سياقه ومعناه، فلا نأخذ بها ولا نتبناها، وهذا هو منهج القرآن العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، مضافاً إليه ما صح عن رسول الله ﷺ؛ تفسيراً أو بياناً، أو تقييداً لمطلق، أو تحديداً لمجمل؛ **قال رسول الله** ﷺ: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها»[1].

* * * * *

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث العرباض بن سارية ﷺ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، برقم ٤٣؛ وهو صحيح.

السؤال الرابع: قال رسول الله ﷺ: «لأنْ يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم»[1]. وينساق كثير من المسلمين- رغبة في الأجر الذي عناه الحديث- في الدعوة إلى الله كيفما اتفق، من دون زاد من علم أو فكر أو سلوك. ما قول فضيلتكم في هؤلاء؟

الجواب: هذا كلام رسول الله ﷺ، وهو حق لا مرية فيه. ولكني قلت آنفاً: إن الدعوة إلى الله تعالى إنما تكون على مستويات.

فالمسلم الذي لا يملك علماً، ولكن يملك عقيدة ومعرفة بأسس الإسلام، يستطيع أن يدعو إنساناً بعيداً لا يصلي، فيجعله مقيماً للصلاة، يؤديها امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى، ولا يُطلب إليه أكثر من هذا.

فلو بلّغ كل مسلم ما علمه من الإسلام، بالشكل الصحيح الذي قلته، لكان قد أدى مهمة الدعوة إلى الله.

ولو أن آخر وفقه الله لأن يقنع مدمناً أو شارباً للخمر بأن يترك ما أدمن؛ لأن الله حرمه، لأدى- أيضاً- مهمة الدعوة إلى الله تعالى، وهكذا كل المحرمات.

فالتوبة والعمل الصالح هداية، وله أجرها وثوابها، وخير من حُمْر النعم.

(١) أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد ﷺ، في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، برقم ٤٢١٠.

وأما من ملك زمام العلم ظاهراً، وطهارة الروح حقيقة، فيمكنه أن يعمل في مجال الدعوة على مستوى أوسع؛ من درس وخطبة على منبر، ليوصل حقائق الإسلام إلى قلوب الناس وعقولهم، فهذا أعظم أثراً وأوسع أجراً.

وأما أن يخوض الجاهل في مسائل الحلال والحرام، ويفتي الناس بغير علم، فهذا لا يجوز، وعليه من الوزر والإثم الشيء الكثير، فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟

وما المشكلات التي تحيط بالمسلمين اليوم إلا لانقسامهم واختلافهم وعدم فهمهم لحقائق الإسلام.

لذلك يجب أن يتوافر بالداعي إلى الله علم في البداية، وعمل إلى النهاية، للوصول إلى الحقائق والمسلمات، التي تبني ولا تهدم.. وتجمع ولا تفرق.

* * * * *

✍ **السؤال الخامس**: ما منهج سماحتكم في الدعوة إلى التوفيق بين الخلافات المذهبية؟

الجواب: إن ما ورد في القرآن والسنة من نصوص هي إما قطعية الدلالة.. لا مجال للاختلاف فيها، وإما ظنية الدلالة.. تحتمل الاختلاف. وحصول الاجتهاد- الذي هو نتاج فكري علمي- يكون للوصول إلى الحقيقة. ولذلك كتب الله للمجتهد- إن أخطأ- أجراً واحداً، وهو أجر الاجتهاد، وإن أصاب الحق فله أجران، للاجتهاد واحد، ولإصابة الحق واحد.

ومن هنا نشأت الخلافات المذهبية في الجزئيات لا في الكليات. وبناء على هذا فالمذاهب هي مدارس فقهية اجتهادية، يمكن الأخذ بها من غير تفريق أو تمييز. والمذاهب في الواقع هي صيدليات تملك أدوية مختلفة لحل مشكلات الناس في كل عصر وزمان. فحين تعرض مشكلة.. كالرضاع مثلاً أو الطلاق، فإن وجدنا اجتهاداً عند مذهبٍ ما هو الأصلح لعموم المسلمين أخذنا به، وإن لم نجد ذهبنا إلى الصيدلية الأخرى، وهكذا. ونحن نقول:

حتى لو اختلفت المذاهب بين سنة وشيعة مثلاً، فأنا أقول: لئن كانت السنة هي اتباع رسول الله ﷺ بما ورد عنه ﷺ فكلنا سنة، ولئن كان التشيع هو محبة آل رسول الله ﷺ فكلنا شيعة. لذلك: "لنعمل فيما

اتفقنا عليه- وما أكثر ما يتفق عليه- من الأمور الثوابت. فالله واحد لا شريك له، خالق الكون والحياة، ومحمد رسول الله ﷺ، والصلاة والصيام والزكاة والحج واحدة. فإذا اختلفنا في بعض الأمور التطبيقية، فهذا- كما قلت- هو في الفروع وتبقى أبواب الحوار مفتوحةً بيننا للوصول للأفضل.

فأنا أنظر إلى الخلافات المذهبية من هذه الزاوية، وعلينا أن نهتم الآن بما هو أعظم وأجدى، وقد تكالبت علينا قوى الشر والعدوان، لتدمر إسلامنا ومقدساتنا، وتخرجنا من أرضنا، علينا أن نهتم بالإبقاء على الدين والإيمان والوطن والأرض والإنسان؛ وأما أن نثير زوبعة كبيرة، وخلافات وكتابات من أجل موضوع ختان البنات مثلاً، أو طول الثوب وقصره، أو طول اللحية وحدودها، فهذا مما لا يجوز البحثُ فيه الآن.. وتفريق المسلمين وضياعُ الجهد والوقت من أجله.

* * * * *

✍ **السؤال السادس**: عبرتم عن تفاؤلكم بوجود صحوة إسلامية، وقلتم: إن التفاؤل غير الأمنية؛ إذ هو يقوم على معطيات واقعية ملموسة، على حين أن الأمنية فيها- أحياناً- كثير من الوهم. فهل نفهم منكم أن وضع المسلمين عموماً إلى الأحسن؟

الجواب: نعم أنا أؤكد أن المستقبل للإسلام. وهناك صحوة

إسلامية في العالم الإسلامي. وأنا أجد- اليوم- أن رجالاً ونساءً من العلماء والفلاسفة وأصحاب الفاعليات الفكرية من غير المسلمين قد دخلوا في الإسلام، فهذا دليل واضح على أن الإسلام قادم لا محالة، وأن العالم اليوم يبحث عن الإسلام ولا بد له من الوصول إليه والتعرف إليه. والأمة الإسلامية اليوم تعيش مرحلة المخاض، وفيها من الصعوبات والمشكلات والآلام الشيء الكثير، ولكن النتيجة والنهاية هي الخير والسعادة، والفرح بالمولود الجديد، وهو الإسلام. نعم الإسلام. وأما كيف ومتى؟ فمتروك لفضل الله تبارك وتعالى، ولكن البشائر تلوح في كل مكان، ﴿..وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [سورة الروم].

* * * * *

ثانياً

دراسة وتحليل

(لما ورد في فصل الدعوة الإسلامية العالمية)

- تصنيع العلماء القادة والوارثين المحمديين .
- واجب الدعوة على أفراد الأمة .
- استوصوا بالشباب خيراً.
- مجالس عليا.
- وسائل القوة والتقدم .
- عالمية الدعوة الإسلامية .
- علاقة المسلم بالغرب .
- من سمات الداعية: التفاؤل والعمل.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدعوة الإسلامية العالمية

إن كل مخلص للدعوة الإسلامية لا بد من أن يضع نصب عينيه همّ **إصلاح الناس، وبناء مجد المسلمين**. ويحمل سماحته- قَدَّس اللهُ روحَه، ونَوَّر ضريحَه- هذا الهم الكبير، ويتطلع إلى حال الأمة في زمانه.. وما بعد زمانه، ويخوض لذلك غمار الدعوة الإسلامية في الطبقات كافة.. والصُّعُد كافة، ويقرأ الزمان وأطواره، ومصادرَ العلوم من صنوفٍ شتى وما وَعَته، ويعيش الإسلام- دراسة وتعلماً وتعليماً- في صفاء منبعيْه، فيستطيع- بتوفيق من الله- أن يحلل واقع أمته، ويعرف أبعاد مشكلاتها، ويقدم للعالم الإسلامي رؤاه في **إعادة قوة الدعوة** الإسلامية وتفعيلها في المجتمع من خلال منظور متكامل مبني على أسس معرفية وتجريبية متينة لتحقيق النتائج المرجوة.

- **تصنيع العلماء القادة والوارثين المحمديين**

وإن **من أهم الأسس في بناء التجديد والإصلاح** والعودة الحقة إلى جوهر الإسلام وحقيقته.. **والمحور الأساس**- الذي أراد سماحته أن يبرزه لحل **أزمة الدعوة** الإسلامية- هو **صناعة العلماء القادة.. الوارثين للمنهج المحمدي**. وهو المحور ذاته والمنهج ذاته، الذي نجح في بناء دعوة إسلامية أدت إلى **تأسيس دولة وحضارة أمة** في عصر نهضة المسلمين، شهد لها الأعداء. ولم يكن ذلك ليتحقق لولا وجود المربين والعلماء القادة والحكماء السادة، فإن وراء كل فتح أو إنجاز أو تقدم علمي رجال عظماء في قيادتهم وتربيتهم وتزكيتهم، بدءاً من النبي محمد ﷺ واستمراراً بالعلماء الوارثين للمنهج المحمدي، الذين خرّجوا أمثال: **الرازي وابن سينا ونور الدين وصلاح الدين**.

ويؤكدُ سماحته- في محاضراته الأسبوعية، ولقاءاته الإسلامية، ومؤتمراته الإقليمية والدولية- أن على **علماء الأمة** المضي في **إصلاح بنائهم الفكري والقلبي**، مع **إصلاح الواقع المتأزم للعلوم الشرعية**، التي جمدت منذ **عصور الانغلاق الفكري**، ولاسيما علوم القرآن والصوفية (التربية الروحية) والفقه، وإصلاح الواقع المتأزم لحياتنا وما فيها من تخلف وتطرف وصراع.

وكي يفلح القياديون- من العاملين في الدعوة الإسلامية في تحقيق التوجيه القرآني النبوي- وضع سماحته **برنامجاً ثنائي** الاتجاه، يتمثل في: الترشيد لتجنب الأخطاء، والتوحيد لتنسيق العمل الإسلامي وضبط جهوده، ولاسيما في غمرة الصحوة الإسلامية العالمية.

فأما في مجال **الترشيد**، فيوجه سماحته هؤلاء القياديين إلى وضع **برامج لإعداد جيل من الدعاة** يتسلح بالعلم والتزكية والحكمة؛ برامج تكفل الإعداد الروحي التربوي، إلى جانب البرامج العملية والحركية؛ فإن تردّي العمل الإسلامي، وقليل ثمره، مردهما إلى اتخاذ كل فئة جانباً من جوانب البناء- إما العلمي أو الحركي أو الروحي- من غير التوأمة بين هذه الجوانب جميعاً.

وإن البرهنة النظرية على أهمية هذا المنهج الثلاثي الأركان (التزكية، الحكمة، العلم) آتية من المنهج النبوي في رسالته، المتحقق في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ..﴾ [سورة الجمعة]. **فالوارث المحمدي يستطيع** أن يحمل على عاتقه مسؤولية إعادة مجد الدعوة الإسلامية، ويغير في الواقع، ويؤثر في طباع الناس ونفوسهم؛ فهو يحمل أسساً انتهجها- من قبله- نبيه ﷺ فنجح، وهي أسس وضعها الإسلام في **منهجه التربوي** الحياتي للمسلمين جميعاً، علمائهم

وعامتهم: الحكمة (استعمال العقل) والتزكية (تغذية الروح) والعلم (النافع)، ليتولد من ثلاثتها مجتمعة نتائج مثمرة تظهر في قبول الناس لما يطرحه هذا العالِم، والعزم على تنفيذ ما يطلبه إليهم؛ لأنهم اقتنعوا بهذا المنهج- الذي عرضه عليهم- وأحبوه والتزموه، **والقناعة والمحبة والالتزام** لها الأثر الكبير في **تغيير الناس وإصلاحهم**. فدعوة لا تقوم على الإقناع والمحبة والالتزام لن تستقطب الناس إليها؛ فلا إكراه في الدين، وما شادّ الدين أحد إلا غلبه.

فكل داعية يجب أن يكون مستعداً علماً وتزكية وحكمة، ليعرف كيف يتصرف مع الناس، ولا سيما أن أطباعهم مختلفة ومفاهيمهم غير واحدة وشرائحهم متغايرة. ولذا فإنّ سماحته يحذر وبشدة من الغفلة عن منهج القرآن في الأخذ بالعلم وتنمية العقل وتزكية النفس؛ لأن أعداء الإسلام فطنوا لمقدار قوته وتأثيره، فسعوا إلى حجب الأمة عنه بوسائل شيطانية خبيثة. ويدعو القيادات الإسلامية إلى الرجوع إلى السيرة النبوية، لا لروايتها على أنها قصة تاريخية، ولكن لدراستها أنموذجاً.. والتعمق فيها.. والعمل على تطبيق فحواها- في البناء والإعداد- ضمن آليات تناسب العصر والمكان.

وفي مجال الترشيد أيضاً، يوجه سماحته هذه القيادات الدعوية الإسلامية إلى وضع **برامج للقضاء على الجهل والفقر والتخلف،**

اقتداء بسيرة النبي ﷺ والسلف والمسلمين الأوائل؛ لأن العالم اليوم يتنافس في تخليص الإنسانية من هذه الآفات، ولكن الحل الحقيقي في يد الدعاة إن هم رجعوا إلى منهج القرآن والسنة في دعوة الناس وإصلاحهم. والدعوة ليست- فقط- وضع برامج شرعية وبناء مساجد، ولكن عليها أن تضع- إضافة إلى ذلك- **برامج للاكتفاء الذاتي** اقتصادياً واجتماعياً، وأن تحث على **بناء المصانع والمستشفيات**؛ بمعنى أنها معنية بكل جوانب بناء الإنسان الحر المتقدم، الذي يستطيع أن يعيش بحرية وكرامة وتنوير وسلام.

ثم في مجال **التوحيد** وتنسيق العمل الإسلامي، يضع سماحته بعض ملامحه، لما في التوحيد والتنسيق من ضرورة قصوى؛ فالعالم لا يقبل أن يكون الإسلام هو الحل وأتباعه متفرقون متخاصمون متنافرون، يظن كل واحد منهم أنه على الصواب، وأن الآخرين على خطأ محض. ولكن لا بد من التعاون ونبذ التعصب، من خلال **اتفاقنا على الكليات وعَذْر بعضنا في الجزئيات**؛ لأن **اختلاف الرأي** لا بد منه، وحمل الناس على رأي واحد يستحيل، **والوحدة** لا بد منها لنضمن نتائج مرضية في العمل الدعوي الإسلامي. ولذا، لا بد من التوحيد والتنسيق خلف مبدأ ‹**الاتفاق مع التصالح أو التسامح**›.

وكذلك على من يقوم بواجب الدعوة أن **يتعلم كلَّ العلوم** المتعلقة بها، لاسيما القرآن والسنة. فكثيرون ممن يقعون في **أخطاء الدعوة**، إنما يقعون بسبب **تأويلاتهم الخاصة البعيدة عن المنهج القرآني والنبوي المصفّى**.

وفي ظل رؤية سماحته أن صناعة الدعاة الحقيقيين هي من أهم الأسس في بناء الصرح الإسلامي، وتعطي الحلَّ لكثير من مشكلات الدعوة الإسلامية، وتحقيق طموحات الكثيرين في إعادة عز الإسلام ودولته؛ يوجه **المؤسسات الشرعية في مجمّعه الإسلامي** إلى تبني **البرامج الكفيلة ببناء شخصية الداعية.. وتمرسه بفنون الدعوة وأساليبها استنباطاً من: القرآن والسنة**، وما يقتضي ذلك من استعمال الوسائل كافة والعلوم المعاصرة التي تساعد على تحقيق المطلوب. وأيضا فإن **التدريب العملي** قبل الخوض في الدعوة أمر مهم، ويكون تحقيق المطلوب **بصحبة وتوجيه العلماء** العاملين المشهود لهم بالحكمة والنجاح في دعوتهم. فالتوجيه النظري وحده لا يضمن النتائج.

وكذلك يظهر سماحته- من خلال كلامه عن المجمع الذي أسسه- أهمية المزج بين ثقافة الجامع وثقافة الجامعة لبناء الدعاة على أسس متينة من العلم والحكمة والتزكية، وأن الداعية يجب أن يعرف عصره وطبيعة الناس الذين يخاطبهم، ويدخل إلى قلوبهم من الباب الذي يحبونه.

• واجب الدعوة على أفراد الأمة

إن عظمة الدين الإسلامي تتجلى في أمور كثيرة، منها أن واجباته يستطيع القيام بها كل متبع له ما دام عاقلاً قادراً، ولو بدرجات تتبع قوة إيمانه واهتمامه وثقافته الدينية. ومن هذا المفهوم، يوجه سماحته **أفراد الأمة الإسلامية** إلى القيام بواجب الدعوة إلى الله، وتحمل مسؤولية تعريف الناس بحقيقة الدين، أخذاً بالأثر: «اغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً، ولا تكن الخامس فتهلك»[1]. صحيح إن الدعوة بمفهومها الخاص تحتاج إلى عالم وارث محمدي عامل، ولكن هذا **لا يرفع المسؤولية عن عموم المسلمين**، ولو بأدنى الدرجات التي تتمثل في ارتباط المسلم بالعلم والعلماء حباً وتعلماً. إن سماحته يحث الأمة بكل أطيافها إلى التعريف بالإسلام الحقيقي. وإن غرس الأمل في نفوس مستمعيه يجب أن يسري إلى قلوب كل المسلمين، لينطلقوا عاملين مجاهدين لبناء أمتهم القوية المسلمة.

(١) أخرجه البيهقي- في شعبه- عن أبي بكرة ﷺ، فصل في فضل العلم وشرف مقداره، باب طلب العلم، برقم ١٧٠٩. والغدو: السير والذهاب أول النهار، والمراد التبكير والإسراع.

- **استوصوا بالشباب خيراً**

ثم إن أي أمة تبغي العلياء في حضارتها عليها- أيضاً- أن **تعتني بالشباب**.. قادة المستقبل. ولهذا يوصي سماحته ببناء شباب الأمة الإسلامية وإعدادهم؛ لأن رسالة الإسلام تحتاج إلى شباب يكفلون حركية مسيرته وديمومتها، ولا بد من أن يكون استعدادهم متناسباً مع عظمة هذه الرسالة.

وإن إعداد شباب المسلمين لتحمل مسؤولية القيام بواجب الدعوة إلى الله يتطلب أموراً كثيرة، ولكن من أهمها غرس الحكمة في عقولهم وقلوبهم؛ فالشباب قوة دافعة تحتاج إلى تهذيب وترشيد، والحكمة والعلم هما الضمانتان لذلك.

ومن أهم صور الحكمة التي يجب أن يفهمها الشباب ويتشربوها، مفهوم التدرج في التبليغ والتعليم على حسب الزمان والمكان والإمكان.

- **مجالس عليا**

ويوجه سماحته دعوة عامة **لجميع الطاقات والفاعليات والنخب والقوى** (العلماء والحكام والمفكرين والأغنياء وأصحاب الاختصاص كل حسب موقعه) أن يشمروا عن سواعد العمل، والتعاون من خلال **الفهم الصحيح للإسلام، والحوار ونبذ التعصب**، من أجل:

- وضع خطط وبرامج إسلامية تجمع بين الأصالة والمعاصرة لبناء الرجال المخلصين الواعين لواقعهم، مع التنسيق بين القوى والمؤسسات كافة لتنفيذ هذه الخطط والبرامج، على نحو يعود بالنفع على المجتمع والأمة بأسرها؛ وأي نفع أعظم من بناء أمة قوية تصون سيادتها وكرامتها، ومن بناء حضارة قوية نفاخر بها العالم؟!

- صناعة دعاة ربانيين وورثة محمديين يجمعون علوم الشريعة وعلوم الحياة، ويمزجون بين تنمية العقل وتزكية النفس، ليسهموا في نشر الحب والإخاء والرحمة والسلام في كل بقعة من هذا العالم، وبث مبادئ التمسك بمنهج الله والقيم الأخلاقية، ورفع شأن المسلمين في العالم.

- إعداد الشباب والارتقاء بهم للقيام بنشر الدعوة إلى الله، لأن ذلك يعود على الجميع بالخير والتقدم، وما تاريخنا ودور الشباب فيه إلا خير دليل عملي على ذلك.

- تملك أسباب القوة والتقدم والتمكين في الأرض، في العلم والاقتصاد والفكر، لأن ذلك من الفهم الصحيح للإسلام.

ويؤكد سماحته أن الإسلام يكاد يضيع بين بعض أتباعه الجاهلين وأعدائه الحاقدين. ولذا، حمّل سماحته المسلمين- على اختصاصاتهم ومواقعهم كافة- مسؤولية بيان الوجه الحقيقي للإسلام والعودة إلى

منبعه لينهل الجميع من أفكاره وتطبيقاته الصافية، التي ضمنت سعادتهم وعزهم سابقاً، وتضمنها لهم- حاضراً ومستقبلاً- إن هم عرفوا نقاط القوة فالتزموا بها، وكشفوا نقاط تأخرهم وضعفهم فاجتنبوها.

ويطلب- في المحافل- أن تشكل من النُّخب الأربع مجلساً أعلى، سواء على مستوى الدولة، أو على مستوى الأمة (المجلس الإسلامي الأعلى).

إن دعوة كافة فاعليات المجتمع للعمل والتعاون هي الوعاء والإطار لحل أزمات أمتنا الإسلامية.. وعالمنا الأرضي؛ فلا يكون العلاج بعرض المظاهر والأسباب والحلول، بل لا بد من الشفافية والإخلاص والقناعة والتحرك العملي لتنفيذ ذلك.

- **وسائل القوة والتقدم**

وفي حديثه عن **ضرورة تملك الأمة الإسلامية للثروة ووسائل التقدم الحضاري**، يضع سماحته لأبناء الأمة الإسلامية- من ضمن رسالته في العودة إلى الفهم الحقيقي للإسلام ومنهج القرآن- قاعدة رئيسة مفادها أن "تملك وسائل التقدم الحضاري ضرورة في الإسلام".

ويبرهن سماحته على صحة هذه القاعدة نظرياً وعملياً، حين يبيّن الآيات التي تنطق بوعد الله للمسلمين بحياة حسنة وبالتمكين والاستخلاف في الأرض من غير إنقاص لجزائهم في الآخرة إن هم

أحسنوا واخذوا بأسباب القوة والتقدم، وحين يلقي الضوء على واقع المسلمين الأوائل كيف صارت حياتهم عندما طبقوا منهج الله وشرعه.

وكذلك يعرض سماحته الآيات، التي حثت المسلمين على العمل والإنتاج والكفاح، ويأتي بمثال عملي، بسرده **قصة يوسف**، الذي طلب أسباب التمكين في الأرض.

ويَذم ذلك الفهم القاصر عند ضعاف الثقافة القرآنية وفقراء العلم، الذين يدعون أن في التدين عزلاً للناس عن ميادين الحياة.. وإعراضهم عن اكتساب أسباب القوتين المادية والمعنوية.

إن في هذا الطرح إنقاذاً لتلك العقول القاصرة في فهمها لحقيقة توجيهات الإسلام فيما يتعلق بالعلاقة مع الدنيا وأسباب القوة فيها.

وكذلك يدعو- سماحته- إلى **تسخير القنوات الفضائية في الدعوة**، ويؤكد ضرورة أن يكون **العالم الحكيم والداعية الكفء** هو من يتصدى لهذه المهمة الكبيرة، لأنه يستطيع جذب الناس إلى منهج الإسلام. فليس المهم تقديم الدعوة ضمن القنوات الفضائية، بل المهم النجاح وحصد النتائج المرجوة، لا النتائج المعكوسة؛ إذ إن العلماء- الذين تنقصهم الحكمة- في عرضهم للإسلام عرضاً قاصراً أو متطرفاً أو متفلتاً يشوهون صورة الإسلام.. وينفرون الناس ويثيرون حقدهم وعداوتهم.

إن من بنود الإصلاح والحلول- التي عرضها سماحته لتجديد نهضة الأمة الإسلامية والتخلص من **ضعفها** وبناء **المستقبل المشرق** للعالم الإسلامي- **الأخذ بأسباب النجاح**، والسعي إلى **إحياء مقومات الحضارة** التي أمر الله ورسوله بها المسلمين في القرآن والسنة، وذلك **بتملك وسائل القوة والتقدم العصرية المتاحة في العلم والاقتصاد والفكر والإعلام**.. وعلى أمتنا أن تستفيد من خبرات الشعوب في تنمية قدراتها وخبراتها وفق القيم الإسلامية.

- **عالمية الدعوة الإسلامية**

وفي حديث سماحته عن **الدعوة الإسلامية العالمية**، يؤكد لقادة الدعوة الإسلامية أن الآية العظيمة ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [سورة الأنبياء] تلقي عليهم بثقلها العظيم في مسؤوليتهم في التوجه إلى العالم بأسره، لا الانطواء ضمن بلد أو قطر أو مدينة أو قرية. وانطلاقاً من هذا المفهوم، يدعوهم سماحته إلى تحمل مسؤولية سد الفراغ الروحي الذي أصاب العالم في هذا العصر، ولا سيما بعد تعاظم الخواء الروحي الذي بلغه العالم الرأسمالي.

وإن نظرة بعض العاملين في حقل الدعوة إلى بلدهم، من غير مراعاة ما يدور حولهم من متغيرات وتأثيرات، قد تخرب ما قدموه من

جهد، حتى في بلدانهم. ولذا، لا بد من التوجه إلى آفاق العالم، وبدء عمل الدعوة بنظرة شاملة، كما فعل النبي ﷺ تنفيذاً لأمر الله تعالى.. ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ..﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة سبأ].

إن **شمولية الدعوة** الإسلامية تنبع من كونه دين **الرحمة العالمية**؛ فلا يميز طبقة أو فئة ما في هذا العالم من غيرهم؛ **فالخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله**.

وإن عالمية الدعوة الإسلامية، وسعة مجالاتها، واتصالها بالناس على مختلف مستوياتهم، تتطلب أن يتطرق قادتها إلى قضايا عدة، وأن يدلوا بدلوهم في توضيح واقع الناس والإجابة عن إشكالاتهم، وإزالة الشبهات عن هذه الرسالة التي يحملونها.

- **علاقة المسلم بالغرب**

وأما في موضوع **علاقة المسلم بالغرب** وعلاقة الغرب بالإسلام، فقد أوضح سماحته نقطة مهمة مفادها أن المسلم يحمل الخير والمحبة للآخر ولا يتأثر بالسلوك الجاهلي للآخر تجاهه. فعلى الرغم من سوء معاملة **المغول** للمسلمين، خرج الدعاة برسالة المحبة والخير، يدعون المغول إلى الإسلام باللسان والقلب لا بالسيف والإكراه.. فأفلحوا في تغيير أفكارهم وقلوبهم وأدخلوهم في الإسلام.. وقام- أعداءُ الأمس-

يبشرون برسالته ويتبنون أهدافه. وعلى الرغم من أن الغرب يتحمل مسؤولية كبيرة في انعدام الثقة بينه وبين الشرق.. نتيجة ممارساته وظلمه، فإنه لا بد للدعاة من أن يجتهدوا في تعريف الغرب **بالإسلام الحقيقي البعيد عن التطرف والعنف**، وأن يفتحوا باب **الحوار مع المتنورين والمنصفين** منهم، ليرفعوا من الإسلام الشك والحذر اللذين يشغلان عقولهم؛ لأنك **لا تستطيع أن تحاور من تعاديه وأنت تبدؤه بالشتم** والاتهامات، بل **يجب عدم الربط بين السياسات المغلوطة لحكامهم**- على الرغم من مرارتها- وبين الشعوب في العالم الغربي. وعلينا أن نسعى للهدف الأكبر والأسمى، ألا وهو **تبليغ رسالة الإسلام** لهم. فالنبي ﷺ تحمّل شروط **الحديبية** ليتفرغ من القتال، ويفتح المجال للدعوة الإسلامية كي تنتشر بين قبائل الجزيرة العربية وما جاورها من بلدان، وقد كان ذلك، وكان الفتح المبين.

وعندما يتناول سماحته موضوع **صدام الحضارات**، يرى أن الموضوع يُحل بتبني المجتمع الإسلامي- ولا سيما دعاته- **لعرض الإسلام بحكمة** وعقلانية، مع **نبذ التعصب** الأعمى **ولغة القوة**، اللذين يستخدمهما الغربيون؛ لأن **كل عاقل في هذا العالم ينشد إلى تحقيق الأخوة الإنسانية والعيش بسلام** واطمئنان. ولكون شعوب الغرب تتبنى المنطق العقلاني، علينا أن نقدم لهم المفاهيم الإسلامية القائمة على

العقل والمنطق، بالأساليب العقلانية التي يفهمونها. وهنا يرسم سماحته دوراً للحوار بين الحضارات التي هدفها السلام. وكذلك يضع المسؤولية على **أصحاب الحضارات** وسعة فهمهم وحكمتهم. ولكنه لم يخلط الأوراق، **فلا حوار مع الإسرائيليين**، لا حوار مع معتدٍ ظالم مغتصب لمقدساتنا وأراضينا وثرواتنا. وهذه الحال الظالمة لن يكتب لها الحياة والاستمرار، لأنه لا يوجد عاقل يقبل بسلام مخلد لفئة مقابل ظلم مخلد لفئة أخرى.

وكذلك يصحح سماحته مفهوم **الديمقراطية** في العالم اليوم، ويوضح أن **العدل** يضمن استدامته بالأخذ بمفهوم الديمقراطية الإسلامية (**الشورى**)، فهي عملية ومنطقية في الحياة أكثر من ديمقراطية العالم الغربي. وقد أورد سماحته أدلة من القرآن والسنة والتاريخ الإسلامي على ذلك، موضحاً احترام الإسلام **للمعارضة الفكرية** عبر التاريخ الإسلامي.

فالديمقراطية الإسلامية تأخذ بقرار الأغلبية من أهل العلم والاختصاص في كل مسألة، ولا قيمة لقرار أغلبية الجاهلين وأصحاب الأهواء والمصالح...

- **التفاؤل والعمل**

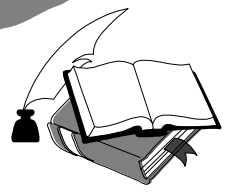
وسماحته لا يعرض واقعنا المتأزم، من تداعي الأكلة إلى قصعتها، ليضع المسلمين في صحراء القنوط أو لجّات بحر اليأس، بل ليزرع فيهم الامل والتفاؤل ويوجههم إلى ترك الثبج الأعوج.. وغرس الفسيلة.. وركوب سفينة نوح، التي كتب الله لها ولراكبيها النجاة.. على الرغم من أن الموت كان يلفّ كل الأقربين من حولهم. إنها سفينة تتضافر فيها جهود كل صناعها من العلماء وأصحاب القرار والفاعليات من العقلاء. إنها سفينة ترشيد الصحوة الإسلامية، التي يقع فيها أمر الإصلاح والتجديد والترشيد والتوحيد على عاتق الجميع، فلا يجوز لأحد أن ينعزل أو يكتفي بالنظر إلى فعل الآخرين، وإلا غمره الطوفان.. ولو قال: "سآوي إلى جبل يعصمني من الماء".



الباب الثالث



أفكار وأساليب في الوحدة الإسلامية والقضايا والوطنية والسياسية



عناوين الباب الثالث

❋ **الفصـــل الأول** : الوحدة الإسلامية.

❋ **الفصل الثاني**: الإسلام والقضايا الوطنية والسياسية.

الفصل الأول

الوحدة الإسلامية

أولاً: الأفكار والنصوص

المبحث الأول: الوحدة الإسلامية ومحاربة التعصب المذهبي.

المبحث الثاني: من آثار التقريب بين المذاهب الإسلامية في المجتمع والثقافة والاقتصاد والسياسة.

المبحث الثالث: دور السيرة النبوية في تحقيق الوحدة الإسلامية.

المبحث الرابع: الوحدة الإسلامية والمذاهب الفقهية.

المبحث الخامس: أدب الحوار والاختلاف ودوره في تحقيق الوحدة.

ثانياً: الدراسة والتحليل

أولاً

الأفكار والنصوص

المبحث الأول

الوحدة الإسلامية
ومحاربة التعصب المذهبي[1]

(١) كلمة لسماحته، ألقيت بالنيابة عنه في المؤتمر الإسلامي العالمي، المنعقد في لوس أنجلوس، من ٢ إلى ٤/ ٨/ ١٩٩٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- الإسلام دين التوحيد ودين الوحدة، أزال الفوارق الاجتماعية وزرع الأخوة بين أفراد المجتمع، ولم يجعل وحدته على أساس عنصري أو اقتصادي أو جغرافي.

٢- أفراد المجتمع الإسلامي متعاطفون، وعلو المكانة في الإسلام لمن يفعل الخير لا لمن نسَبه أعلى وأفضل.

٣- لم تكن الوحدة الإسلامية خيالاً، بل واقع جسّده النبي ﷺ والخلفاء الراشدون بعده على قاعدة الأخوة والتكريم لمن هو أتقى.

٤- مخالفة منهج القرآن نشرت الفرقة وجعلت المسلمين دويلات.

٥- الاستعمار الحديث قضى على مسيرة الوحدة وزرَع الشقاق.

٦- بذور الوحدة ما زالت حية في قلوب المسلمين، وإنما تحتاج إلى سقايتها ورعايتها.

٧- مستجدات هذا العصر لم تقضِ على مقومات الوحدة، وأهمها:

أ- عبادة إله واحد تجعل العباد متراحمين، بأمل واحد وألم واحد.

ب- عبادات الإسلام تدعو إلى الوحدة وتغرس بذورها في نفوس المسلمين.

ج- الأسس الإسلامية للتعامل مع غير المسلمين في مجتمعهم تحقق الاطمئنان والراحة لهم وتحببهم بإخوانهم المسلمين.

٨- من أسباب الفرقة، التي أصابت المسلمين:

أ- التاريخية:

- فساد الحكم وجعله وراثياً.
- الطائفية، التي انطلقت مع مقتل عثمان رضي الله عنه.
- إحياء النزعات القومية ولغاتها.

ب- الفكرية:

أولاً: العصبية العمياء (لقوم أو عنصر أو لون) هي معول هدّام. وموقف الإسلام منها يتمثل في:

أ - تعريف النبي ﷺ لها بأنها الإعانة على الظلم.

ب- قضاء النبي ﷺ عليها في المدينة، ودفنها في مهدها عند أي ظهور لها.

ج- محاربته ﷺ إياها من خلال المؤاخاة بين المسلمين بصرف النظر عن الغنى والفقر واللون والعرق، وإبدال مكانة النسب بمكانة التقوى.

د- تسمية التقاتل بسببها كفراً، وعقاب من دعا إليها بالجلد كأنه ارتكب حداً.

هـ - محاربتها لا تعني إلغاء الوطنية والقومية.

ثانياً: التعصب المذهبي، باتخاذ المرء مذهباً عقَدياً أو فقهياً أو فكرياً واعتبار ما سواه باطلاً. ومن أسوأ مظاهره:

أ- صيرورة المذاهب وسيلة تفرقة عند بعضهم، بعدما كانت مدارس فكرية عظيمة.

ب- ادعاء كل فرقة أنها فرقة الرسول ﷺ وأصحابه، وصيرورة المذهب وكأنه الدين وحده ومخالفته كفر؛ والتمادي إلى حرق مساجد المخالفين، وعدم الاقتداء في الصلاة بهم، والسماح بالزواج من المذهب الآخر قياساً على الكتابية!

ج- الجهل، وهو السبب الرئيس في التعصب. ولذا، فالمذهبيون المتعصبون هم أبعد الناس عن فكر صاحب المذهب.

٩- الأسباب الفكرية للفرقة يمكن القضاء عليها بتعلم أدب الاختلاف، الذي لا بد منه للداعية، ومن نقاط هذا الأدب:

أ- غرسه المحبة بين البشر عامة، وإخوانه في الدين خاصة، وهذا أساس العلاقة مع الآخرين.

ب- وجوب بقاء الاختلافات ضمن حدودها العلمية ولا تتجاوزها إلى العصبية.

ج - ترك الاختلافات التاريخية، والبحث- اليوم- عما يُقَرِّبنا.

د- التعاون فيما اتفقنا عليه، وعذْرُ بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه مع التناصح والتحاور.

هـ - القضاء على بذور الشقاق بأشكالها وسقاية بذور التآلف.

١٠- تبرُّؤُ أصحاب المذاهب من التعصب بدعوتهم إلى ترك كلامهم إذا تعارض مع كلام رسول الله ﷺ.

١١- أئمة المذاهب أخذوا عن بعضهم، وتعايشوا مع بعضهم، واحترموا آراء بعضهم.

١٢- على الدعاة إنفاق حياتهم في الدعوة إلى الوحدة والتقريب بين المذاهب، والحث على ترك الألقاب المؤدية إلى التمزق، وهذا ما فعله مجمع الشيخ أحمد كفتارو طوال أكثر من ستين سنة.

١٣- لكل منا صوابه وخطؤه، ولكن أعظم خطأ أن نترك الصواب العظيم ونلقي الضوء على الخطأ البسيط.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص المحاضرة

جل الله القائل: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة الأنبياء].

إن الإسلام دين الوحدة والتوحيد؛ فالله واحد، والدين واحد، والمصير واحد.

والإسلام قد أزال الفوارق بين أفراد مجتمعه، فجعلهم يذوبون في بوتقة واحدة؛ وزرع بذور نجاح الوحدة فيهم، من خلال شعورهم بهذه الأخوة، ومن خلال وحدة ثقافية ولغوية واجتماعية، ومنع العدوان والتجاوز.. كي لا يطغى بعضهم على بعض.

لم يجعل الإسلام وحدته تقوم على أساس عنصري، ولم يبنِ اتحاده على أساس اقتصادي، ولم يُقِم وحدته على أساس جغرافي.

إن الوحدة- التي دعا إليها الإسلام- لا تقوم على المغالبة، فالأفراد متعاطفون متضامنون؛ وفيها تتحقق العدالة، فلا عنصرية ولا عصبية؛ والعلو في هذا المجتمع يقوم على أساس فعل الخير لا على أساس نُبل الدم، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [سورة الحجرات]؛ ويقول **نبينا الأعظم** ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس»[1].

الوحدة الإسلامية في التاريخ

عندما يتحدث بعضهم عن الوحدة الإسلامية- قاصداً بها اجتماع المسلمين في دولة واحدة- يخيل إليه أنه يتحدث عن خرافة أو خيال. ولئن كانت الوحدة الإسلامية خيالاً، فأي شيء هو الحقيقة؟!

لما بنى نبينا محمد ﷺ دولته الأولى على نطاق مدينته المنورة، كان يبشر أصحابه بدولته الكبرى.. بفتح بلاد فارس وبلاد الروم واليمن[2]. وفعلاً، لم ينتقل ﷺ إلى جوار ربه حتى جعل جزيرة العرب كلها دولة واحدة، وكان قبيل مرض الوفاة، قد جهز ﷺ جيش فتح الشام.. الذي أمّر عليه الشاب المجاهد أسامة بن زيد[3].

(١) أخرجه القضاعي- في مسند الشهاب (٢/ ٢٢٣)- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو حسن.

(٢) أخبار مكة للفاكهي (٧/ ٥٧).

(٣) أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، في كتاب الجهاد والسير، باب جوائز الوفد، برقم ٢٨٨٨.

وتتابعت الفتوح في عهد خليفته الصديق، واتسعت رقعة الوحدة. وهكذا في عهد عمر وعثمان، ووصل الإسلام إلى حدود الصين شرقاً وإلى حدود باريس غرباً، وصار الناس أمة واحدة: العربي أخو الصيني، والفارسي أخو الرومي، وبقوا كذلك ما داموا ملتزمين بقول الله تعالى: ﴿... وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ... ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الأنفال]، وبمنهج **المصطفى** ﷺ **القائل**: «إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم. ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فليبلغ الشاهد الغائب»[1].

ولما خالف المسلمون هذا النهج تفرقوا وتشتتوا؛ وبعد أن سادوا نصف العالم خسروا أنفسهم؛ آثروا الاختلاف على الاتفاق، والفرقة على الوحدة، ونصّبوا على رأس الدولة الإسلامية أكثر من خليفة، حتى غدا بأسُهم بينهم شديداً.

ثم جاءهم الاستعمار الحديث ليقضي على ما بقي من مسيرة الوحدة، وزرع بدلاً منها بذور الشقاق، وقضى على الخلافة، وقسم دولة الإسلام إلى دويلات وإمارات. وبقيت الوحدة الإسلامية حلماً بعد

(١) أخرجه أحمد من حديث أبي نضرة ﷺ، برقم ٢٤٢٠٤؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٦٦): رجاله رجال الصحيح.

أن كانت واقعاً حياً ملموساً، ولكن بذورها في قلوب المسلمين ما زالت حية، تحتاج إلى من يسقيها ويرعاها، ويعيدها إلى الحياة من جديد.

كنت مرة في زيارة لدولة الصين، وهناك رآني أحد المسلمين الصينيين. وما كاد بصره يقع على هيئتي الإسلامية، حتى صاح بلسان أعجمي: الله أكبر؟ وطبعاً فهمت سؤاله من عينيه المملوءتين شوقاً وحباً، فقد كان يسألني: أأنت ممن يقولون الله أكبر؟ فقلت له: الله أكبر. ومن دون مقدمات ولا تعارف، أقبل علي معانقاً باكياً، قائلاً: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴿١٠﴾﴾ [سورة الحجرات].

لقد فرز هذا العصر كثيراً من المستجدات، التي تؤثر في شكل الوحدة المأمولة، ولكنها لا يمكن أن تؤثر في جوهرها. ويستطيع المسلمون أن يجدوا الإطار المناسب والأسلوب المناسب لوحدتهم إذا أرادوا ذلك.

مقومات الوحدة ومظاهرها

إن عبادة إله واحد- عظيم قدير، رحمن رحيم- يجعل العباد متراحمين متعاطفين، يحس بعضهم بآلام بعض، يجمعهم الأمل الواحد والألم الواحد، يقول رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين- في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم- مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له

سائر الجسد بالسهر والحمّى»[1]. فكل هذا يرسخ مقومات الوحدة لدى أبناء الأمة.

وعبادات الإسلام كلها تدعو إلى الوحدة وتعبر عنها؛ فالصلاة- التي هي عمود الدين- يقف المسلمون فيها صفاً واحداً، لا فرق بين غني ولا فقير، ولا أمير ولا مأمور، ولا رئيس ولا مرؤوس، كلهم يضع جبهته على الأرض.. معلناً أن الله أكبر من كل كبير.

وفي الحج يجتمع المسلمون على اختلاف ألوانهم في مكان واحد، ويتخلون عن جميع ثيابهم وأنانياتهم، ويلبون نداء الله الواحد، ويتعلمون أخلاق المجتمع الإسلامي؛ فلا رفث ولا جدال ولا فسوق.

وأما الصوم، ففي توقيته الزماني إشعار للمسلمين بعمق الوحدة. كلهم ممسك عن المباحات والمحرمات المفسدة للصوم، يدفعهم إحساسهم بالجوع والألم إلى مواساة الضعفاء والفقراء والمحتاجين ونصرتهم.

وهكذا الزكاة- التي هي حق مفروض في مال الأغنياء من المؤمنين- يدفعونها إلى الفقراء والمساكين، بلا منّ ولا أذى، تكاتفاً وتعاوناً على طاعة الله، والقصد أن يكون الله- تعالى- عنهم راضياً.

(١) أخرجه مسلم عن النعمان بن بشير ﷺ، في كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم ٢٥٨٦.

والإسلام- بعد هذا- يفترض أن يحوي مجتمع الإسلام عناصر غير مسلمة، ويضع قواعد دقيقة لمعاملة هؤلاء، كي لا يشعروا بالغربة أو الاضطهاد، بل يشعرون بالأمان والراحة والاطمئنان، فلا إكراه في الدين. والمواطن هو إنسان قبل أي اعتبار آخر، وللأخوة الإنسانية اعتبار عظيم في الإسلام، وليس أدل على هذا مما ورد في **الحديث الصحيح** من أنّ النبي ﷺ: «مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنّها جنازة يهودي! فقال: أليست نفساً؟»[1]. ويروى عن أمير المؤمنين **عمر** أنه مر برجل يهودي كبير السن يسأل على أبواب المساجد، **فقال**: "ما أنصفناك أن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك، ثم ضيعناك في كبرك؛ ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه".[2]

أليس هذا ما نسميه في عرفنا الحاضر "التكافل الاجتماعي" أو "ضمان الشيخوخة"؟.

وكان قد ضاع لعلي **بن أبي طالب**- وهو أمير المؤمنين- درع، فوجده مع نصراني، فأقبل به إلى **شريح** القاضي، وقال: هذه درعي، فقال النصراني: ما هي إلا درعي. فقال شريح لعلي: ألك بينة؟ فقال

(١) أخرجه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى ﷺ، في كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، برقم ١٢٥٠.

(٢) الأموال لأبي عبيد، ص٥٧.

علي: لا، وهو يضحك. فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيراً، ثم عاد، وقال: أشهد أن هذه أحكام الأنبياء، ثم أسلم، واعترف بأن الدرع سقطت من علي عند مسيره إلى صفين. ففرح علي بإسلامه ووهبه الدرع وفرساً.(١)

لقد ذهل النصراني لما رأى من شريعة تحكم لخصم على حساب قائد الأمة، فأعلن نزاهة التشريع الإسلامي، ونطق بالشهادة صادقاً بها قلبُه.

أسباب الفرقة

بعد أن تحدثنا عن الوحدة، فلا بد من أن نتحدث عن ضدها، ولا سيما أن الضد هو الواقع المسيطر على العالم الإسلامي، فنحدد أسباب الفرقة، جاعلين ذلك خطوة على طريق تحقيق الوحدة، مثلما أن تشخيص المرض هو الخطوة الأولى إلى تحقيق الشفاء.

وباختصار شديد يمكن أن نلخص أسباب التفرق- الذي زرعت بذوره في زمن التخلف والانحطاط- في **النقاط التاريخية الآتية**:

١- فساد الحكم: وبدا ذلك جلياً من خلال إهمال الحكام لمبدأ الشورى، وجعلهم الحكم ملكياً وراثياً، ما ولَّد نقمة على الحكام أزالت ولاء الرعية لهم، وفرزت حكاماً جدداً في الأقاليم النائية، وتنازع الحكام على السلطة واستعانوا بغير المسلمين على المسلمين!.

(١) البداية والنهاية (١/ ٢٨١).

٢- الطائفية: وكانت انطلاقتها مع مقتل عثمان ﷺ، وانقسم الناس إلى طوائف متناوئة متناحرة، ما شجع الخروج على السلطة ودخول النِّحَل والطوائف الفاسدة.

٣- إحياء اللغات والنزعات القومية: بعد أن كان اللسان العربي لسان القرآن والحديث والعبادة والعلم، ظهرت دعوات إلى إحياء اللغات القومية، وذابت بذلك اللغة العربية في بعض أقاليم الإسلام، ما جعل كثيراً من هؤلاء يجهلون تعاليم الإسلام.

هذا عن الأسباب التاريخية لتفرق المسلمين، فماذا عن **الأسباب الفكرية؟**.

يمكننا أن نحدد الأسباب الفكرية للفرقة في ما يأتي:

١- العصبية: هي التحيز الأعمى لقبيلة أو قوم أو عنصر أو لون، وهي المعول الهدام في جسد الوحدة الإسلامية. فالإعانة على الظلم والإمعان في الغي هما العصبية. وليس من العصبية أن يحب الإنسان قومه ووطنه، بل هو شيء مأمور به؛ فقد «سأل **أبي بن كعب** النبي ﷺ: يا رسول الله: أمن العصبية أن يحب الرجل قومه؟ **قال** ﷺ: لا. ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم»[1]، وهذا هو تعريف النبي ﷺ للعصبية.

(١) أخرجه ابن ماجه عن فُسيْلة عن أبيها واثلة بن الأسقع رضي الله عنهما، في كتاب الفتن، باب العصبية، برقم ٣٩٤٩؛ وهو ضعيف.

ولما أراد المصطفى ﷺ أن يبني دولة الإسلام، كادت ريح العصبية العمياء أن تهزها، ولكنه تداركها وقضى عليها في مهدها؛ فقد ورد أن جابر بن عبد الله قال: «كنا مع النبي ﷺ في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجر: يا للمهاجرين. فقال رسول الله: ما بال دعوى الجاهلية؟! قالوا: يا رسول الله: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال الهادي الأمين ﷺ مغضباً: دعوها فإنها منتنة!»[1].

وجاءه مرةً **بلال** الحبشي- ببشرته السمراء- يشكو **أبا ذر**، الذي عيره بسواد أمه، فقال له: يا بن السوداء.. جاءه يشتكي ظلم العصبية، وهنا **قال المصطفى** ﷺ: «يا أبا ذر: طف الصاع، طف الصاع، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل»[2]. وكان من **قوله** ﷺ: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»[3].

ذاك هو موقف الإسلام من العصبية، سواء كانت قومية أو قبلية

(١) من حديث أخرجه مسلم، في كتاب البر والصلة والأدب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، برقم ٦٧٤٨. وكَسَعَه، أي: ضربه بيده على دبره.

(٢) قال العراقي: أخرجه ابن المبارك في البر والصلة عن أبي ذر ﷺ في قصته مع بلال؛ وهو صحيح [انظر: تخريج أحاديث الإحياء (٣/٣٥٢)].

(٣) أخرجه أبو داود عن الجبير بن مطعم ﷺ، في كتاب الأدب، باب في العصبية، برقم ٥١٢٣؛ وهو ضعيف.

أو عنصرية. ولا ننسى أبداً كيف قارب وجانس النبي ﷺ بين أبناء مجتمعه، حتى لم يعد يحس أحدهم بأي فارق: لا بلون ولا بجنس ولا بلغة؛ بل عقد المؤاخاة، فجعل الحبشي أخا القرشي.. والغني أخا الفقير.. والوزير أخا الخفير.

ورفع رسول الله ﷺ وأعلى من شأن نسب التقوى، فقد: «سئل ﷺ: من آل محمد ﷺ؟ فقال ﷺ: كل تقي، وتلا رسول الله: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ .... ﴿٣٤﴾﴾»[1].. وأبدل نسب الجسد بنسب التقوى، فقال ﷺ: «سلمان منا أهل البيت»[2].. ولما كسفت الشمس عند موت ولده ﷺ إبراهيم، قال الناس: كسفت الشمس لموته، فقال ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته»[3].. وعندما سرقت المرأة المخزومية وقدمت للعقاب، جاءه من يتشفع لها، فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[4].

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط عن أنس ﷺ، باب الجيم، من اسمه جعفر، برقم ٣٣٣٢. وهو ضعيف [انظر: كشف الخفاء (١/ ١٨)].

(٢) أخرجه الطبراني- في الكبير- من حديث عبد الله المزني ﷺ، باب السين، من اسمه سلمان الفارسي، برقم ٦٠٤٠. وسنده ضعيف [انظر: كشف الخفاء (١/ ٤٥٩)]

(٣) أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها، في كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف، برقم ٩٩٧.

(٤) أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها، في كتاب الحدود، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع، برقم ٦٤٠٥.

لقد محا ﷺ جميع آثار العصبية، حتى سمى التقاتل والتباغض الناشئين عنها كفراً، فقال ﷺ: «.. لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض»[1].

وسار أصحابه من بعده ﷺ على ما سار عليه؛ فهذه كتب التاريخ تذكر أنه في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه ضرب أميره أبو موسى الأشعري النابغةَ الجعدي أسواطاً؛ لأنه دعا بدعوى الجاهلية، منادياً وأصحابه يا آل عامر![2].

إن العصبية هي العدو اللدود للوحدة، ولا بد لمن يسعى إلى الوحدة من نبذها، وإحلال الأخوة الإيمانية مكانها، التزاماً بقول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

٢- التعصب المذهبي:

من الأسباب الفكرية- التي فرقت وحدة المسلمين- التعصب المذهبي. ونقصد بهذا الاصطلاح اتخاذ الناس مذهباً عقَدياً أو فكرياً أو

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، برقم ٦٦٦٧.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ٤٧٩).

فقهياً، واتباعه والتعصب له، ومعاداة من انتمى إلى غيره. وعلى هذا الأساس صارت المذاهب العقَدية والفقهية وسيلة للتفرقة، بعد أن كانت- ولا تزال- مدارس فكرية عظيمة، رفدت الفكر الإسلامي بموارد لا تنضب على مدار الأيام.

ويكاد أن يصير المذهب ديناً، ومخالفته كفراً وفسوقاً، وانقسمت جموع المسلمين ما بين سنة وشيعة، والسنة إلى مالكية وحنفية وشافعية وحنبلية.. والشيعة إلى إمامية وزيدية وإسماعيلية.. وبين هؤلاء وهؤلاء فرق كثيرة كثيرة لا يعلم تعدادها ومآلها إلا الله. وصدق **رسول الله** ﷺ **القائل**: «وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة. قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال ما أنا عليه وأصحابي»[1].

والمشكلة أن كل فرقة من الفرق تدعي أنها على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه...

وكل يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تقر لهم بذاك

ومن مظاهر هذه المذهبية البغيضة ما كنا نراه- في الماضي- من

(١) أخرجه الترمذي عن ابن عمرو رضي الله عنهما، في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق الأمة، برقم ٢٦٤١؛ وهو حسن.

تحريق بعضهم مساجد الآخرين، والاعتداء على أموالهم، ونعتهم بالضلال والكفر.. حتى لقد رأيت في بعض الكتب الفقهية سؤالاً: هل يجوز لأتباع مذهبنا الزواج بأتباع المذهب الفلاني؟ ثم يأتي الجواب: نعم، قياساً على الكتابية! ومن ذلك ما كنا نراه في مساجدنا من أن الحنفي لا يقتدي بالشافعي، والمالكي لا يأتم بالحنبلي، حتى لقد وصل بهم الأمر إلى إقامة أربع جماعات في مسجد واحد. ومن أراد أن يتأكد، فليزر مسجد بني أمية في دمشق، فسيرى فيه أربعة محاريب، لكل مذهب محراب.

هذه بعض مظاهر المذهبية المقيتة التي فرقت المسلمين، وجعلتهم شعوباً وقبائل ليتقاتلوا ويتباغضوا، بدل أن يتعاونوا ويتكاملوا. ومرد جميع ذلك إلى الجهل بما أُنزل على محمد ﷺ، يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ...﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة آل عمران]، ويقول تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ...﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة النساء].

إن الذين اتخذوا المذاهب ديناً هم أبعد الناس عن فكر أصحاب هذه المذاهب؛ ورحم الله **الشافعي** الذي **قال**: "لا يتعصب إلا جاهل، وما رأيت عالماً متعصباً"[1]، وقد **قال** غير واحد عنه: "إذا صح عندكم

(١) بدعة التعصب المذهبي للعباسي، ص ٢٧٤.

الحديث عن رسول الله ﷺ، فقولوا به ودعوا قولي، فإني أقول به، وإن لم تسمعوه مني"[1].

هذه بعض الأسباب الرئيسة للاختلاف. وهناك غيرها الكثير من الأسباب الفكرية والأخلاقية، التي يمكن القضاء عليها بالمحبة والتعاون والتآلف، وبتعلمنا لأدب الاختلاف.

أدب الاختلاف

لقد كان رأيهم- رضي الله عنهم- أن لكل مجتهد نصيباً[2]. لقد تعلموا أدب الاختلاف، فبقي اختلافهم فكرياً ثقافياً، هو للتكامل أقرب منه إلى التناحر والتباغض.

وكان من كلام عبد الرحمن **بن القاسم المصري** رحمه الله: "خدمت الإمام **مالك** عشرين سنة، كان منها ثماني عشرة سنة في تعلّم الأدب، وأخذت منه العلم في سنتين"[3].

(١) وفي رواية: فلا تقلدوني، وفي رواية: فلا تلتفتوا إلى قولي، وفي رواية: فاضربوا بقولي عرض الحائط، فلا قول لي مع رسول الله ﷺ [انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٢٧٦)].
(٢) أصول الدين، لجمال الدين الغزنوي (١/ ٢٩٣).
(٣) مقتطفات لطالب العلم، للشنقيطي (١/ ٨١).

والمتصدر للعلم والدعوة لا بد له من تعلم قواعد أدب الاختلاف:

١- أولى هذه القواعد أن يحمل المسلم في قلبه المحبة لجميع البشر، ولا سيما لإخوانه في الدين.. مهما اختلفت المذاهب والآراء.

٢- أن تبقى الاختلافات ضمن حدودها العلمية والثقافية، ولا تتخذ شكل العصبية والتحزب.

٣- ترك الاختلافات- ذات الطابع التاريخي- ضمن إطارها في الماضي، والبحث عما يقرب ولا يبعد، ويجمع ولا يشتت؛ يقول تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [سورة البقرة].

وعن يونس بن عبد الأعلى المصري، قال: سمعت الشافعي يقول: سئل عمر بن عبد العزيز عن قتلى صفين، فقال: "تلك دماء طهر الله يدي منها، فلا أحب أن أخضب لساني بها"[1]. فما أعظم حكمة عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه.

٤- ينبغي أن نجتمع دائماً على ما اتفقنا عليه.. وما أكثر ذلك، ونعذر بعضنا بعضاً، ونتناصح ونتحاور فيما اختلفنا فيه.

(١) آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم، ص ٣١٤.

٥- على المخلصين الغيورين على مصلحة الأمة القضاء على جميع بذور الشقاق والتمزق مهما كانت.. كتاباً أو مقالة أو رأياً، وسقاية بذور التآلف والتعاطف، متناسين آلام الماضي، باحثين عن آمال المستقبل.

وأجمل مثال لهذا الأدب أئمة المذاهب الكرام، فأبو حنيفة أخذ عن جعفر الصادق، وأخذ الشافعي عن مالك وعن محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة، وقال الشافعي في حق الأخير: "حملت عن محمد بن الحسن وقر بعير كتباً"(١). وعاصر أحمد بن حنبل الشافعي، وتحابا في الله.

وذكر بعض من كتب عن المناهج "أن الشافعي صلى يوماً الصبح عند قبر أبي حنيفة رحمهما الله، فلم يقنت، والقنوت سنة مؤكدة في مذهبه، فقيل له: لم؟ قال: تأدباً مع صاحب هذا القبر".(٢)

وتحدثاً بنعمة الله تعالى، فإن حياتي في الدعوة إلى الله- وقد تجاوزت ستين سنة- أنفقتها جميعاً في التقريب بين المذاهب، وفي محو العدوان بين جماعات المسلمين.. فقد زرت إيران مرات كثيرةً، ودعوت إلى الوحدة. وسأتوجه بعد هذا المؤتمر إلى المغرب، لحضور المؤتمر الذي دعت إليه ندوة التقريب بين المذاهب التابعة لمنظمة المؤتمر

(١) الموطأ برواية محمد بن الحسن (١/ ٣٦). والوِقْرُ: الحمل [الصحاح للجوهري، مادة وقر].
(٢) رد المحتار لابن عابدين (١/ ١٣٤)؛ إذ لم يصح قنوت الفجر في مذهب **أبي حنيفة**.

الإسلامي، وسألقي بحثاً عن تأثير التقريب بين المذاهب في الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في العالم.

وزرت- في الماضي- كثيراً من الدول الإسلامية، وكنت دائماً أجد آذاناً مصغية وقلوباً مفتحة لبذور المحبة والألفة والتعاون. كنت دائماً أدعو إلى ترك الألقاب والأسماء المفرقة، فهذا صوفي وذاك سلفي، وهذا سني والآخر شيعي، إلى آخر ما هناك؛ وأؤكد ضرورة العودة إلى ما ألزمنا به الله- تعالى- في قرآنه.. ﴿**هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ** ...﴿٧٨﴾﴾ [سورة الحج].

وحرصاً على تفعيل هذه المعاني، كان مجمع الشيخ كفتارو في دمشق بيتاً لجميع دعاة التقريب، الذين لا يدعون إلى هوى أو أنا.

لكل واحد منا أخطاء إلى جانب ما يحمله من صواب، ولكن ما أعظم خطأ من يترك الـ ٩٥% من صواب أخيه ليلقي الأضواء على الخمسة البقية، والله يقول: ﴿**وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ** ... ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة آل عمران].

وختاماً، إن الوحدة الإسلامية ضرورة ملحّة، تمليها المبادئ الإسلامية وتحث عليها الظروف الدولية والسياسية الراهنة، وتستدعي عملاً جاداً مخلصاً من كل قادر، للعودة إلى نهج المصطفى القائل: «إني

قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً: كتاب الله وسنة نبيه»[1].. كي نعود أمة واحدة كما كنا، وكما أراد الله لنا أن نكون، كل في مجاله.. وبالإمكان المتاح.. وبذلك نلتزم قول المصطفى ﷺ: «ستكون بعدي أثرةٌ وأمورٌ تنكرونها قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدوا اليهم حقهم، وسلوا الله حقكم»[2].

* * * * *

(١) أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس ﷺ، في كتاب العلم، برقم ٣١٨، وله أصل في الصحيح، وذلك في ما أخرجه مسلم (برقم ١٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري عن ابن مسعود ﷺ، في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم ٣٤٠٨. والأثرة هي الأنانية والفردية والتسلط والمغنم، والحق الذي عليك هو حقوق الله تعالى وحقوق العباد.

المبحث الثاني

من آثار التقريب بين المذاهب الإسلامية

في المجتمع والثقافة والاقتصاد والسياسة[1]

(١) محاضرة سماحته، التي قدمها لندوة التقريب بين المذاهب بدعوة من المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، المنعقدة في الرباط، في ٢٧- ٢٩/ ٨/ ١٩٩٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- الإنسان اجتماعي بطبعه، والإسلام أراد منا إقامة مجتمع الإيمان تلبية لحاجة الناس.

٢- التعاون الإنساني ضرورة، والتعاون الإسلامي أكثر ضرورة.

٣- بناء الوحدة الإسلامية على أسس علمية موضوعية، وتجريد هذه الدعوة من العاطفة والخلط بينها وبين إلغاء المدارس الاجتهادية الفكرية.

٤- ليس خيراً أن تهدم جهود أئمة الفقه لإقامة الوحدة، فهذا خنق للطاقات ومخالفة للتنوع الطبيعي الذي شاءته الإرادة الإلهية.

٥- لا بد من التقريب بين المذاهب على نحو يضمن احترام التراث الفقهي، مع البحث عن الخيوط الجامعة، والخروج بثروة فقهية

متكاملة.. تكفل إيجاد الحلول للمشكلات والمستجدات، مع احترام سائر اختيارات الأئمة، سواء اعتمدت أو لم تعتمد.

٦- لا بد من تشخيص الداء قبل وصف الدواء. والداء هنا هو الاختلاف الذي يرجع إلى إطارين: أحدهما فكري متمثل في اختلاف المنهج، والآخر أخلاقي متمثل في: الغرور وسوء الظن بالآخرين وحب الذات.. ويُنتج التعصب الأعمى.

٧- الدواء يتمثل في هذه المسألة في وضع المبادئ الفكرية والأخلاقية للتقريب بين المذاهب.

أولاً- أهم المبادئ الفكرية:

أ- إبقاء الاجتهادات في إطار فكري لا يتعداه إلى التعصب.

ب- اتباع المنهج الوسط، وترك التطرف الذي لا يأتي بخير.

ج- التركيز على المحكمات وترك المتشابهات؛ لأن المحكمات أكثر من المتشابهات.

د- الاطلاع على الرأي الآخر، لأن الإنسان عدو ما يجهل.

هـ- علينا الانشغال بهموم الأمة واعتماد فقه الأولويات.

ثانياً- أهم المبادئ الأخلاقية:

أ- الإخلاص، والتجرد من الأهواء.

ب- التحرر من أشكال التعصب كلها.

د- إحسان الظن بالآخرين.

ج- ترك الطعن والتجريح.

هـ- الحوار بالتي هي أحسن.

٨- المذاهب الفقهية موجودة في كل عصر، ولا يمكن الاتفاق على المسائل الفرعية، ولا يمكن فرض مذهب إسلامي واحد. ولكن يجب أن يسود أعمالَنا وسلوكنا الاحترامُ والتعاون.. وتاريخنا خير شاهد.

٩- التعصب إلى زوال، والتقريب بين المذاهب الأربعة قد تحقق، وهذا نصف الطريق. ولا بد من العمل على إزالة التعصب نهائياً بين السنة والشيعة، والصوفية والسلفية. وكذلك إنهاء العزلة لبعض الطوائف.

١٠- صار هذا التعصب هَمَّ العالم الإسلامي، ولا سيما في الأقليات الإسلامية في العالم الغربي.

١١- أمل الوحدة والتقارب لن يرى النور إن كان هناك من يصر على إلغاء الآخر.

١٢- التقريب بين المذاهب ينتج آثاراً في مستويات عدة:

أولاً: من آثار التقريب على المستوى الاجتماعي:

١- إذابة الكيانات المصطنعة، القائمة على قواعد التعصب.

٢- التمازج الاجتماعي والتزاوج بين جميع الأطراف.

٣- تبادل المنافع والزيارات، وحضور المناسبات.

٤- الوصول إلى مرحلة متقدمة من الاندماج الاجتماعي بالصبر والإرادة والتوجيه المستمر.

ثانياً: من آثار التقريب بين المذاهب على المستوى الثقافي:

١- عند كسر عقدة الوهم من الجانب الآخر والتعاون بين الأطراف جميعها، ستكثر البرامج الثقافية والفكرية والأعمال المعرفية.

٢- إعادة صور التمازج الذي حفل بها تاريخنا، مثل: إنشاء الأزهر على أيدي الفاطميين، مدرسة نيسابور في الحديث قرب مشهد الإيرانية، تخصيص ابن تيمية جزءاً من فتاويه للحديث عن أئمة التصوف...

ثالثاً: من آثار التقريب بين المذاهب على المستوى الاقتصادي:

١- وقف المشروعات الهادفة إلى التشييع أو التسنين، التي تؤدي إلى استتراف خيرات العالم الإسلامي في تمويل تلك المشروعات المنتجة للعداوة والحقد.

٢- تحويل تكاليف الكتب والدعاة والإذاعات والمحطات الخادمة للطائفية إلى توحيد جهود العمل الإسلامي ومعالجة مشكلات العالم الإسلامي.

٣- إزالة الحواجز النفسية، ما يؤدي إلى تحقيق التبادل التجاري بين أبناء المذاهب، ويساعد على تنمية الزراعة والصناعة.. وتحقيق التكامل الاقتصادي.

رابعاً: من آثار التقريب بين المذاهب على المستوى السياسي:

١- إنهاء صناعة الخصومات بين دول العالم الإسلامي.

٢- اجتناب الخلافات السياسية التي تتخذ من المذاهب جسراً لها.

٣- الابتعاد عن زج الشعوب في الخلافات السياسية.

١٣- العوامل التي تسهم في التقريب كثيرة، فربنا واحد ونبينا واحد وكتابنا واحد وقبلتنا واحدة وكثير من الأحكام في الفقه متطابقة.

١٤- المغول التتر والصليبيون لم يفرقوا بين سني وشيعي في اعتداءاتهم على العالم الإسلامي، وكذلك يفعل- الآن- العدو الصهيوني.

١٥- توصيات في سبيل التقارب المذهبي وتوحيد الأمة لحل مشكلاتها ومواجهة قدرها ونشر رسالتها:

أ- عقد مؤتمر إسلامي عالمي يحضره مندوبون من المذاهب كافة، ممن يؤمنون برسالة التقريب.

ب- يقوم المؤتمر بوضع ميثاق للتقريب يتضمن:

١- كتباً مشتركة في التفسير والسيرة والفقه المقارن.

٢- إصدار مجلة تعتني بالتقريب.

٣- تشكيل لجنة تُمَحِّصُ جميع الكتب الإسلامية لتحذف ما يسيء للمذاهب الأخرى.

٤- إقامة ندوات جماهيرية لدعم التقريب.

٥- إقامة المخيمات السنوية لطلبة الجامعات بإشراف العلماء المتنورين لإزالة الحواجز بين أبناء الأمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص المحاضرة

خلق الله الإنسان اجتماعياً بطبعه، وأنزل شرائعه في مجتمعات إنسانية مختلفة، ثم بعث سيدنا محمداً ﷺ بالرسالة العالمية الخاتمة، التي قررت بصريح العبارة وجوب إقامة مجتمع الإيمان، على أساس حاجة الإنسان إلى أخيه الإنسان.. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الحجرات].. ومن ثم، فقد حرمت الشريعة الخاتمة الرهبنة والعزلة والانتباذ، **فقال رسول الله** ﷺ: «إن الله أبدلنا بالرهبانيةِ الحنيفيةَ السمحة»[1].

وإذا كان التعاون الإنساني حاجة وضرورة دلت عليها نصوص

(١) أخرجه الطبراني- في الكبير- من حديث سعيد بن العاص رضي الله عنه، برقم ٥٥١٩. وقال الهيثمي في الزوائد (٤/٢٥٢): وهو ضعيف.

الشريعة، فإن تحقيق الإخاء الإسلامي أشد تأكيداً، وهو مقصد رئيس من مقاصد الشريعة السمحة.. ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [سورة الأنبياء].

والدعوة إلى الوحدة الإسلامية مطلب عظيم، ينبغي أن نسعى إلى تحقيقه على أسس علمية موضوعية، وأن نجرد هذه الدعوة الصادقة من الصيغ الخطابية والعاطفية، التي تتردد بين الحين والآخر، وتخلط بين تحقيق الوحدة الإسلامية وإلغاء المدارس الاجتهادية الفكرية.. التي هي مظهر ثراء هذه الأمة في الفقه والتشريع وحرية الفكر.

إن بعضهم يتصور أن الوحدة الإسلامية لن تقوم إلا إذا ضربنا بمعاول الهدم جهودَ أئمة الفقه الإسلامي، وأعلنا البراءة من مذاهبهم، وأحرقنا فكرهم واجتهادهم.

ولا شك أن مثل ذلك يؤدي إلى ضياع الشريعة أكثر مما يؤدي إلى وحدة الأمة. فهل من الخير أن نعلن في بلد- كالرباط مثلاً- عن توحيد المعرفة؟ فنحشر سائر طلبة الجامعات في قاعة واحدة، ونتفق على مدرّسٍ واحد، يلقي محاضرات المعرفة، ولو كان أكفأ مدرسينا، ثم نتنكر لسائر المدرسين والمعلمين، ونغلق أبواب الجامعات والكليات، بدعوى تحقيق الوحدة المنشودة. إن ذلك لو حصل، كان- بلا ريب- لوناً من العبث، يتنـــزه عنه العقلاء، وكان مدعاة إلى الأسف والرثاء.. وخنقاً للطاقات المبدعة عند الناس.

وأين نذهب- كذلك- بالتنوع الطبيعي، الذي خلقه الله- عز وجل- في الناس، ونلمسه- أول ما نلمسه- في رقة أبي بكر وشدة عمر وحياء عثمان وإقدام علي، وهو تنوع يكشف لنا اتساع الفردوس الإسلامي، ليشمل أهل الإيمان كافة، على تنوع طبائعهم واختياراتهم.

ومن هنا، كان لا مندوحة من الحديث عن التقريب، الذي يتضمن احترام التراث الفقهي، الذي أنتجته عقول أئمة كل مذهب؛ ثم البحث عن الخيوط الجامعة، التي تؤلف بين تلك الحبائب على نحو متين، يجعل اجتهادها وفكرها فقهاً متكاملاً، يكسب المشرّعين في دوائر القرار في العالم الإسلامي غنى فقهياً وعلمياً، يكفل إيجاد الحلول لأكثر المشكلات استعصاءً في المجتمع، ولا يحول دون الاحترام والإجلال لاختيارات سائر أئمة الفقه الإسلامي، سواء اعتمدت آراؤهم في التشريع أو لم تعتمد، وسواء اتفقنا على الأخذ برأي بعينه أو لم نتفق.

وقد مضى العمل- خلال التاريخ الإسلامي- على هذا السبيل، وكان الاتفاق دائماً وفق قاعدة: "المجتهد إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد"، وهي قاعدة أصولية مشهورة، مستنبطة من **حديث رسول الله** ﷺ: «إذا حكم الحاكم، فاجتهد، ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»[1].

(١) أخرجه البخاري عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، برقم ٧٣٥٢.

أهم مبادئ التقريب بين المذاهب وأسسه

إذا أردنا أن نتحدث عن التقريب بين المذاهب الإسلامية، فلا بد من أن تكون كلماتنا ودعوتنا علمية وموضوعية، بعيدة عن الإطار العاطفي، ولا بد من وضع أسس وقواعد تُبنى عليها هذه الدعوة، لتكون منهاج عمل لجميع الدعاة والمخلصين، الساعين إلى رأب الصدع وجمع الشمل في سبيل وحدة الأمة.

وخير منهج لوضع هذه الأسس- باعتبارها الدواء- النظر في موضع العلة والداء.. في أسبابه، ومقدماته، ونتائجه.

فالاختلاف والتفرق هما الداء، ولا تتعدى أسبابهما أحد إطارين، هما: الأسباب الفكرية، المتمثلة في الاختلاف في المنهج والاجتهاد بين كل مذهب من المذاهب؛ وأما الإطار الآخر فهو الأسباب الأخلاقية، التي لا يمكن إغفال تأثيرها في نشر بذور الاختلاف والفرقة، وتتمثل هذه الأسباب- عامة- في الغرور وسوء الظن بالآخرين، ما يجعل الإنسان يظن أنه على الحق وسواه على باطل؛ وثمة أمر آخر وهو حب الذات والزعامة. وينبثق عن هذه الأمراض الأخلاقية مرض أخطر، وهو التعصب المقيت لشخص أو مذهب أو بلد. وطبعاً، فإن التعصب هو انحياز أعمى لا يستند إلى أسس سليمة ولا إلى أسباب موضوعية.

هذا عن الداء، فماذا عن الدواء؟.

إن الدواء وسيلة ذات شقين: أحدهما وقائي والآخر علاجي، ولعلهما يندمجان أحياناً، فيصيران وقاية ومعالجةً في آن واحد، وهذا يمكن أن نعبر عنه بالأسس والمبادئ، التي ينبغي أن تقوم عليها دعوة التقريب بين المذاهب.

✍ أهم الأسس الفكرية لدعوة التقريب بين المذاهب

١- إبقاء الاجتهادات في إطارها الفكري:

إن اجتهادات الفقهاء- كما قدمنا- هي مظهر ثراء هذه الأمة في الفقه والتشريع وحرية الفكر. والاختلاف الفكري- في ذاته- أمر موجود بين الناس، يقول جلَّ من قائل: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ... ﴿١١٩﴾﴾ [سورة هود].

فالنصوص الظنية الدلالة- التي جعلت الفقهاء والعلماء يجتهدون في فهم المعاني المظنونة لها- جميع معانيها مقصودةٌ مرادة من الله تعالى، وإلا لجعل الله هذه النصوص قاطعة الدلالة، وجمع الناس على فهم واحد لها، فأراد تعالى- بذلك- أن يُطلق المجتهدون عقولهم ليتوصلوا إلى الحق والحقيقة، ولكل مجتهد نصيب.

ولكن ينبغي أن يبقى الاختلاف في إطار الفكرة والاجتهاد، وذاك هو الاختلاف الرحمة، ولا يتعداه إلى التعصب والعداوة والبغضاء والبغي، فيكون كاختلاف الذين قبلنا.. ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ... ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

٢- اتباع المنهج الوسط وترك التطرف:

إن الوسطية والاعتدال هما الركن الركين في بناء الوحدة، وفي دعوة التقارب والتعاضد؛ فالتطرف لا يأتي بخير، وما وجد تطرف إلا ووجد مقابله تطرف آخر، وأمثلة ذلك كثيرة ما بين السنة والشيعة، والسلفية والصوفية، يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... ﴿١٤٣﴾ ﴾ [سورة البقرة].

وكما أن الاعتدال وسط بين رذيلتين: ما بين الإفراط والتفريط، فكذلك الإسلام وسط: يجمع الدنيا والآخرة، العقل والقلب، المادة والروح. فلو توسطنا- نحن علماء المسلمين- لزالت الحواجز فيما بيننا، ولتقارب أبناء الأمة. وصلى الله على معلم الناس الخير القائل: «إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[1].

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب الإيمان، باب الدين يسر، برقم ٣٩. والمشادة المغالبة، والسداد هو التوسط في الأعمال، وقاربوا: أي اقتربوا من فعل الأكمل إن لم تستطيعوه، واستعينوا على مداومة العبادة في أول النهار وبعد الزوال وآخر الليل.

٣- التركيز على المُحكمات وترك المتشابهات:

إن المحكمات- المتفق عليها في الإسلام- كثيرة كثيرة، وهي المجال الرحب للتعاون والتعاضد؛ فالله واحد، والقبلة واحدة، والقرآن متفق عليه.

وأما المتشابهات، فهي قليلة، يمكن التحرز منها، والبعد عن الخوض فيها، يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ...﴿٧﴾ ﴾ [سورة آل عمران].. ورحم الله **القائل**: "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ونعذر بعضنا بعضاً ونتناصح ونتحاور فيما اختلفنا فيه"(١).

إن التركيز على المحكمات من دون المتشابهات دعامة أساس للتقريب بين المذاهب.

٤- ضرورة الاطلاع على الرأي الآخر:

قديماً **قالوا**: "الإنسان عدو ما يجهل". وكثيراً ما تصادف مسلماً يحمل فكرة عن أخيه من دون أن يعلم عنه شيئاً، وإنما ميراث حمله كابراً عن كابر.

(١) أول ما وردت هذه العبارة في أعداد مجلة المنار لصاحبها الداعية محمد رشيد **رضا** وكان يسميها القاعدة الذهبية لوحدة المسلمين، وينسبها إلى شيخيه: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.

إن زمن الجهل ولّى، وعهد الحواجز ولّى، وانطلق العقل الحر ليبحث عن الحقيقة أينما كانت، والتقى المسلمون بعد طول فراق، جمعهم العلم بعد أن فرقهم الجهل.

إن الاطلاع على الرأي الآخر ضرورة حتمية لأجل أن نتقارب، وننبذ ميراث السنين، ونعود معاً إلى قول الله تعالى: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ**...﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران]، ونعود أيضاً إلى مفهوم نبينا الأعظم ﷺ للوحدة؛ فهي الإيمان، والفرقة والتقاتل هما الكفر.. هكذا كان **يقول** ﷺ لأصحابه: «.. لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض»[1].

٥- الانشغال بهموم الأمة الكبرى:

إن التفات المسلمين لخصوماتهم ونزاعاتهم واختلافاتهم الداخلية، شغلهم عن أعدائهم والأخطار التي تحيق بهم من كل جانب: أخطار سياسية، عسكرية، اقتصادية.. فصاروا- لذلك- في أواخر الأمم.

والمسلم الواعي المثقف يعلم- حق العلم- أن الجهد- جميع الجهد- ينبغي أن ينفق في حل مشكلات الأمة، والقضاء على الأخطار المحيطة بها. ولا يغيب هذا المعنى الدقيق إلا عن الدهماء والجهلاء،

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي بكرة ﷺ، في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، برقم ٦٦٦٧.

ويتعامى عنه المغرضون، لأنهم- بقصد أو من دون قصد- يجهلون فقه الأولويات الغائب عن ساحة الفكر الإسلامي المعاصر، هذا الفقه الذي جعل المصطفى ﷺ يركز على الإيمان في دعوته المكية إلى جانب الصبر وتحمل الأذى، ويؤخر الجهاد إلى المرحلة المدنية بعد تأسيس الدولة وبناء المجتمع. فقه الأولويات الذي يدركه الطبيب الحاذق، فيداوي مريضه المبتلى بآفات كثيرة من الأخطر فالأقل خطراً: أمراض القلب فالمعدة فالخدوش..

إن الانشغال بهموم الأمة الكبرى يجعل المسلمين أمة واحدة.. على قلب رجل واحد.. أملهم واحد، وألمهم واحد، ولا مجال في مثل هذا المجتمع للترهات.

✍ ومن أهم الأسس الأخلاقية للتقارب بين أهل المذاهب:

- الإخلاص والتجرد من الأهواء.
- التحرر من التعصب، سواء لأشخاص أو لمذاهب أو لطوائف.
- إحسان الظن بالآخرين.
- ترك الطعن والتجريح.
- الحوار بالتي هي أحسن.

بهذه الأسس والدعائم الفكرية والأخلاقية- من خلال كتاب الله وسنة نبيه الكريم- يمكن الرجوع إلى مجتمع الجسد الواحد، الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

من آثار التقريب في الجانب الاجتماعي:

إن المذاهب الإسلامية- حقيقة- موجودة في عالمنا، لا نستطيع تجاهلها، فهي قائمة- منذ قرون- في مختلف أطراف هذا العالم الإسلامي، وليست محسومة جغرافياً، بل تتداخل في البلدان والأمصار، حتى إنه ليعسر القول: إن ثمة بلداً إسلامياً واحداً لا يوجد فيه اختلاف مذهبي. وكذلك فإنه لم يحصل أن عاش المسلمون قرناً واحداً من الزمان من دون اختلاف مذهبي. ومن هنا، فإنه يمكن القول: إنَّ ما يتصوره بعضهم من اتحاد المواقف الاجتهادية تجاه سائر القضايا الفرعية هو أمر لا وجود له في الزمان ولا في المكان في العالم الإسلامي.

وقد قامت تاريخياً محاولات سياسية عدة لفرض مذهب إسلامي واحد، باستخدام الوسائل العسكرية والإدارية، ولعل أشهرها محاولة المعتزلة فرض آرائهم الاجتهادية في العصر العباسي[1]، ولكنها لم تؤد- في النهاية- إلا إلى إضافة الضغائن إلى الخلافات الفكرية الاجتهادية، التي كان ينبغي أن تبقى ضمن إطار الفكر لا تتعداه.

إن ما نبحث عنه هنا ليس قراراً سياسياً يتبنى اتجاهاً محدداً في الفقه الإسلامي، ويحظر ما سواه؛ بل إن ذلك سيؤدي إلى نقيض

(١) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي (١/ ١٥٧).

مقاصدنا في تحقيق الوحدة الإسلامية، وقد رفضه بشدة سائر الحكماء في التاريخ الإسلامي، ونستشهد هنا بالموقف الحكيم للإمام مالك بن أنس ﷺ حين قدم للعالم الإسلامي كتابه النفيس ‹الموطأ›، الذي ضمنه عصارة فكره، وجهد في تمحيصه في الرواية والضبط. فحين طلب إليه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور أن يحمل الناس على كتابه في القضاء والفتيا.. ويجعله للناس إماماً، رفض إمام أهل المدينة ذلك بشدة، في موقف حضاري فريد، يسترعي الانتباه، وقال: "إن أصحاب رسول الله ﷺ قد تفرقوا في الأمصار فحدثوا، فعند أهل كل مصر حديث علموه، وكلٌّ مصيب"، فقال المنصور: "وفقك الله يا أبا عبد الله"[1].

وبذلك فإن الإمام مالك- وقد أظهر ترفعاً على اقتناص هذه الفرصة، التي يتمناها كثيرون ليدخلوا بها التاريخ- أوضح بجلاء أن الوحدة الإسلامية تتناقض مع مصادرة الرأي، وأنه لا مجال للحديث عن الوحدة إذا أردتَ بها هدم اجتهاد الناس.. وترك الإفادة من جهدهم العلمي الفكري.

وهكذا، فقد رسم لنا الإمام مالك ﷺ مذهب الوحدة الإسلامية الذي نبتغي، وهو الذي يضمن التكامل بين حركة الاجتهاد ووحدة الجماعة.

(١) العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي، ص٢٥١.

وهذا الفهم للوحدة المنشودة، ليس بدعاً في التاريخ الإسلامي، فقد عاش علماء هذه الأمة، عاملين متزاورين، شافعية وحنفية ومالكية وحنابلة، وكان التعصب المذهبي خافتاً ضعيفاً في الجملة، توقظه السياسة بين الحين والآخر، ولكنه لا يلبث أن يختفي في ساحة الفكر والعلم. وأياً كان، فمن المؤكد أن هذا التعصب- اليوم- قد آل إلى زوال، وصار في حكم المتفق عليه أن سيرة الاجتهاد- اليوم- منوطة بالمصادر المتفق عليها من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ومصالح المسلمين، من دون التقيد باختيارات أئمة بعينهم في أصول الاستنباط من المصادر.

وهكذا، فإننا حققنا- بحمد الله- التقريب المنشود بين المذاهب الأربعة. ولكن هذا ليس إلا نصف الطريق؛ إذ علينا أن ننظر إلى التعصب الذي ما زال موجوداً بين الصوفية والسلفية، وبين السنة والشيعة، وبين أهل التأويل وأهل التفويض. وكذلك غربة بعض الطوائف وعزلتها على الرغم من سعي أجيالها الجديدة إلى الاندماج في العالم الإسلامي، والعودة إلى الأصول التي انبعثت منها، ومشاركتها الأمة في قضاياها الكبرى.

ويجب الاعتراف بأن النصف الآخر من الطريق- التي نتحدث عنها- هوَ همٌّ إسلامي حاضر في كل مدينة في العالم الإسلامي، وفي الأقليات الإسلامية المنتشرة في العالم؛ حيث تجد مشكلة صوفية سلفية

أو سنية شيعية في أكثر البلدان الإسلامية، وكذلك تجدها- على نحو واضح- في المراكز الإسلامية في أوربة وأمريكة، ما صار يعكس أسوأ ظاهرة تصد العالم الغربي عن الإسلام.

ويتحدث سائر أطراف هذه العصبيات عن الوحدة الإسلامية، غايةً وهدفاً وأملاً، وهو أمل لن يروه أبداً، إذا بقيت تصوراتهم لهذه الوحدة تقوم على أساس إلغاء الآخر ومصادرة رأيه، وهو أمر يحول باستمرار دون تحقيق الاندماج الاجتماعي بين أبناء الأمة الإسلامية.

إن التقريب والتوحيد سيقودان- بالنتيجة- إلى تذويب الكيانات المصطنعة غير الطبيعية.. القائمة على قواعد التعصب والتفريق، وسيؤدي هذا إلى حال من التمازج الاجتماعي ينمو فيها التزاوج بين الأطراف كافة، وتزدهر العلاقات الاجتماعية وتتشابك، فيظهر تبادل المنافع والزيارات، وحضور المناسبات المختلفة لدى كل طرف. وبالإرادة والصبر والتوجيه والتعليم المستمر، يُمكن أن نصل إلى مرحلة متقدمة من الاندماج الاجتماعي التدريجي بين أبناء الأمة.

من آثار التقريب في الجانب الثقافي:

وعلى هدي ما قدمناه من حتمية السعي إلى التقريب، فإن انبعاثاً ثقافياً كبيراً ينتظرنا في العالم الإسلامي؛ إذ ستتضاعف الأعمال المعرفية،

حين يكسر كل جانب عقدة الوهم من الجانب الآخر، ويتلمس الفائدة الحقيقية من مؤدى اجتهاداته فيما أصاب فيه، وسنجد برامج كثيرة للتعاون الثقافي والفكري، تبدد صورة الشقاق الدائم.. التي يلاحظها من يرصد النشاط الإسلامي في العالم.

يجب أن نتذكر- دائماً- أن الأزهر نفسه إنما وجد النور على أيدي الفاطميين. وكذلك فإن كبرى مدارس السنة في الحديث إنما هي مدرسة نيسابور قرب مشهد، ومن إيران وأطرافها انبعث أئمة الحديث الستة: **البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه**.

وكذلك فإن ابن تيمية خص جزءاً كبيراً من فتاويه للحديث عن أئمة التصوف ونفائس أقوالهم، وفي فتاويه- الآن- مجلدان كبيران: الأول بعنوان "التصوف"، والآخر بعنوان "السلوك"[1]. وكذلك استأنف تلميذه الكبير ابن قيّم منهج شيخه، فصنف كتابه الجليل: ‹مدارج السالكين›، الذي يعَدّ درة ما صنف في التصوف في القرن الثامن الهجري[2].

(١) فقد جاء علم السلوك في جزء هو العاشر، والتصوف في جزء هو الحادي عشر، من طبعة دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م

(٢) واستعمل فيه كثيراً من عبارات الصوفية كالسالكين والمنازل وأعمال القلوب، ومن هذه العبارات: أعمال الجوارح مهما كثرت وعظمت لها وقت معلوم، الصلاة لها وقت، والصيام له وقت، والحج له وقت وله حد محدود. وأما العبادات إذا كانت متعلقة

وهذا التمازج يكشف لك أن الأمة الإسلامية في سعي مستمر إلى غاية واحدة، هي التعريف بوحدانية الله، وأن بعض جهودها- وإن تناقضت في الظاهر- تجد سبيل تكاملها وتواصلها مع الأيام.

من آثار التقريب في الجانب الاقتصادي:

ولا شك أن الدعوة إلى التقريب تحتاج إلى دعم وتمويل؛ فإنه حين تبلغ دعوة التقريب مبلغها في نفوس الناس، فمن الطبيعي أن تتوقف تلك المشروعات التي تهدف إلى (تشييع المسلمين) أو (تسنينهم)، وكذلك إلى قمع السلفية أو محاربة التصوف، وهي مشروعات تستنـــزف من خيرات العالم الإسلامي وموارده كثيراً، وقد تورطت- للأسف- دول إسلامية بحالها في مثل هذه المشروعات الهائجة، التي لا تعود- في النهاية- إلا بتكريس العداوة والأحقاد بين المسلمين.

وتصل نفقات مثل هذه المشروعات إلى مبالغ كبيرة؛ إذ تشتمل على: مبانٍ وإدارات، وكتب وإصدارات، وأجور دعاة، ومصاريف تأليف للقلوب، وتكاليف إذاعات ومحطات، وربما بناء مساجد تكرس لخدمة طوائف بعينها، وهذا كله في النهاية من الهدر البغيض، الذي يسير في عكس المصلحة الإسلامية، ويزيد في فرقة المسلمين وشتاتهم.

بالقلب- العبادات القلبية- فإنها تكون حالاً ملازمة للعبد في صحوه ونومه، وصحته ومرضه، وصفائه وكدره، وفي جميع أموره. [المدارج (٢/ ٩٢)].

وإني أقدّر أن ربع هذه التكاليف كافية لتنشيط الدعوة الإسلامية على مستوى العالم كله، فيما توجه بقية تلك النفقات لجهة معالجة مشكلات العالم الإسلامي الاقتصادية المتفاقمة.. في جانب تحقيق الحياة الكريمة للشعوب الإسلامية الفقيرة.

وكذلك سيزيل التقريب كثيراً من الحواجز النفسية، التي تحول دون تعميق التبادل التجاري بين أبناء المذاهب في إطار الأمة الإسلامية الواحدة، وهذا ينعكس إيجاباً على التنميتين الصناعية والزراعية، وعلى التكامل الاقتصادي في المحصلة.

من آثار التقريب في الجانب السياسي:

لا يمكننا أن ننكر أثر الخلاف المذهبي- بكل الأسف- في صناعة خصومات العالم الإسلامي وإذكائها. ولا نجانب الحقيقة إن قلنا: إن بعض المتقاتلين في حروب الخليج وأفغانستان والجزائر ولبنان وغيرها في البلدان- التي شهدت صراعاً إسلامياً إسلامياً- إنما وظفوا المشاعر المذهبية في إضفاء جانب اعتقادي على حروبهم المختلفة، على الرغم من أنني أجزم أن أسباب اشتعال هذه الحروب إنما هي سياسية بحتة، ولكن كان من الممكن أن تكون أقصر أعماراً وأقل أضراراً، لو أننا أفلحنا في بناء جسر التقريب الإسلامي، الذي يقوم على أساس احترام أهل التوحيد وعصمة دمائهم.. على الرغم من الاختلاف في بعض الآراء.

وكذلك يعود كثير من الخلافات السياسية في العالم الإسلامي- اليوم- إلى أسباب مذهبية، ويقوم بعض الفقهاء فيها- بكل الأسف- بإذكاء نار هذه القطيعة، وتوفّر المبررات والحجج.. التي تكرس القطيعة وتحول دون الوفاق، وتنقل الخلاف السياسي إلى خلاف شعبي، يجعل أمر الوفاق في غاية الصعوبة، وهو بالتأكيد ما يسعى إليه أعداء الإسلام والمسلمين.

وكلنا يمكن أن يتصور قوة الموقف السياسي الإسلامي على مستوى الأحداث العالمية، لو أن التقريب والتوحيد أخذا الأبعاد المطلوبة على الساحة الإسلامية.

إن البحث عن الخطوط الجامعة بين مذاهب الأمة الإسلامية ليس عسيراً، فثمة كتاب واحد يتفق سائر مسلمي الأرض على أنه منزل من الله عز وجل، وثمة قبلة واحدة يتفق سائر مسلمي الأرض على أنها جهة صلاتهم وقلوبهم، وثمة أحكام متطابقة في العبادات والمعاملات ونظام الأسرة، فيها بعض الهوامش الاجتهادية، ولكنها لا تُفقد هذه التشريعات معنى الروح الواحدة والمصدر التشريعي الواحد.

إن الاجتياح المغولي التتري للعالم الإسلامي لم يقسمه- في نظرهم- إلى سني وشيعي، بل كان هدفهم واحداً، هو القضاء على العالم الإسلامي بمختلف شعوبه. وكذلك كانت سهام الصليبيين، لا

تفرق بين طائفة وأخرى من المسلمين. واليوم، فإن العدوان الصهيوني على جنوب لبنان لم يفرق بين سني وشيعي، وصوفي وسلفي، فلقد كان أوضح تطبيق لكلمة **تاتشر** [رئيسة الوزراء البريطانية سابقاً]، التي سمعتها بأذني تقول: "لقد كان الغرب في صراع مع الشيوعية. وبعد أن انهارت الشيوعية في الاتحاد السوفييتي، فإن العدو الوحيد للغرب هو الإسلام!".

✍ توصيات

وأرفع- هنا- توصياتي إلى هذا المؤتمر الكريم، وكلي أمل أن تواتينا الفرصة المناسبة لترى هذه التوصيات طريق النور:

أولاً: عقد مؤتمر إسلامي عالمي يكون شعاره: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا** ...﴿٩٤﴾﴾ [سورة النساء].

ثانياً: دعوة مندوبين من المذاهب الإسلامية كافة إلى المشاركة فيه، من الذين يرغبون في الدخول في رسالة التقريب وإزالة ما بينهم من حواجز.

ثالثاً: يقوم هذا المؤتمر بوضع ميثاق للتقريب والتوحيد، يتضمن مبادئ ووسائل، ومن هذه الوسائل:

- تأليف الكتب المشتركة في التفسير والسيرة والفقه المقارن

وغيرها، على غرار تفسير «مجمع البيان» للطبرسي[1]، الذي أقرّته لجنة من علماء الأزهر.

– إصدار مجلة تشرف عليها لجنة مختصة منبثقة عن ندوة التقريب والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، تعتني بموضوعات التقريب والتوحيد.

– تشكيل لجان فرعية لتمحيص جميع الكتب الإسلامية القديمة والجديدة، وحذف جميع ما يسيء إلى المذاهب الأخرى.

– إقامة مؤتمرات تخصصية وندوات جماهيرية إعلامية لمعالجة التفريق ودعم التقريب والتوحيد.

– إقامة المخيمات السنوية لطلبة الجامعات الإسلامية بإشراف العلماء والمفكرين المتنورين، للتعارف وإزالة حواجز الوهم بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة.

وفي ختام كلمتي، أشكر الإخوة المجتمعين في هذا المؤتمر الكريم، لإتاحة هذه الفرصة التاريخية لرفع أذان الوحدة الإسلامية. وأسأل الله أن يبارك هذا السعي النبيل، وأن يحقق المقاصد المأمولة، وأن يكلل جهود جميع العاملين المخلصين بالنجاح والتوفيق، ولا عدمت الأمة

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن لمؤلفه العلاّمة الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أكابر علماء الشيعة في القرن السادس، وهو تفسير معتمد عند الشيعة [مجلة المنار لمحمد رضا (٣٣/ ٣٩١)].

صوتاً دعا إلى الوحدة أو أسهم في التقارب والتحابب، فذاك هو صوت الإيمان وتلك هي دعوة الخير والفلاح...

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ [سورة التوبة].

* * * * *



المبحث الثالث

دور السيرة النبوية

في تحقيق الوحدة الإسلامية[1]

(١) كلمة سماحته في مؤتمر السيرة النبوية الشريفة، المنعقد في مكتبة الأسد الوطنية، بدعوة من المستشارية الثقافية الإيرانية، في دمشق، من ٢٠ إلى ٢١/ ١٢/ ١٩٩٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- قراءة السيرة النبوية تُخْبِرُ عن وحدة المجتمع الإسلامي وتعاون المواهب، وكون التنافس بينهم على الشهادة وليس على الإمارة.

٢- ذوبان الفوارق القبلية والمذهبية في حياة المسلمين مع الرسول ﷺ، ولم يكن هناك اسم للمجتمع أيام النبي ﷺ إلا اسم "مجتمع المسلمين" كما سماه الإسلام.

٣- كان الرسول ﷺ يتعهد المجتمع المسلم بوصية الوحدة- بين الحين والآخر- خوفاً من ظهور نوازع الجاهلية الداعية إلى الفرقة.

٤- نعيم الوحدة لم يدم طويلاً بعد وفاته ﷺ، وسقطت الأمة في غياهب الفرقة.

٥- يوجد إحساس عارم بين أبناء الأمة بضرورة تحقيق الوحدة وهدم حواجز الفرقة.

٦- عدم الغفلة عن وجود تيارات جامدة تسيء الظن بالآخر، وتنشر القبيح.. وتستر المليح، لهدم ما تسعى الأمة إلى تحقيقه في بناء الوحدة.

٧- قوى الإصلاح والوحدة لا يمكن أن تتجاهل هذه التيارات المظلمة المفرقة.. الباعثة على الأحقاد.

٨- رجال الإصلاح يتحملون مسؤولية تاريخية عظيمة، تتمثل في فضح تصرفات تلك التيارات ونياتها، وفي نشر الحقائق لتهدم أفكار تلك التيارات.

٩- الفتوح الإسلامية- التي تمت في عهد الراشدين- مبعث احترام لكل مسلم شيعي، وأفضل ثمارها دخول إيران في الإسلام. وكذلك موقف أبي طالب في نصرة النبي ﷺ مبعث احترام لكل مسلم سني.

١٠- حركة التقريب يجب أن تتخطى الشعارات والمجاملات إلى تنظيف التراث وصياغته على أسس المصلحة الإسلامية الراشدة.

١١- السيرة النبوية مظهر عملي لتحقيق الأخوة والوحدة. ولذا، ينبغي كتابة السيرة بأقلام علماء متنورين من الطرفين، لتدرّس في مدارس الناشئة، ليظهر جيل جديد يحمل رسالة الوحدة.

١٢- ينبغي أن تكون زعامات الأمة على درجة عالية من المسؤولية، كما كان سيدنا علي مع ابن طلحة بعد معركة الجمل، وكما كان علي بن الحسين مع ذاك الطاعن ببعض الصحابة.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المحاضرة

ينعقد هذا اللقاء الكريم بين نخبة من أبناء الأمة الإسلامية، الذين جمعهم المثل الأعلى للأنبياء، الممثل في شخص النبي ﷺ وسيرته وقدوته.

ومن بين المحاور- التي طرحت للحديث عن السيرة النبوية- أختار أن أحدثكم عن: دور السيرة النبوية في تحقيق الوحدة والجماعة في الأمة الإسلامية الواحدة.

وأول ما يلاحظه المرء- في قراءته للمجتمع بقيادة النبي ﷺ- أنه في وجه مجتمع موحد متماسك، لا مظهر فيه للفرقة والشتات، تتعاون فيه أعظم المواهب على بناء المجد الإسلامي العظيم. ومراراً كان الأمير من الأصحاب يغدو مأموراً، وحامل الراية يعود تابعاً صالحاً، لا تجد نفسه من ذلك مَوْجِدَة وغضباً، ولا يكتم في نفسه حنقاً ولا غيظاً؛ وإن تكن لهم غاية يتنافسون عليها، فإنها شرف الشهادة والسبق إلى مرضاة الله وجنته ونعيمه.

وفي ظلال ذلك النبي العظيم ﷺ، كانت تذوب سائر الفوارق القبلية والمذهبية. ولن يتمكن باحث- مهما استغرق في الاستقصاء والتحري- أن يجد اسماً آخر لذلك المجتمع- الذي اختار عقيدة الحق بمهاجريه وأنصاره- إلا اسم "المسلمين"، وهي التسمية التي حسم القرآن القول فيها.. ﴿... هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ...﴿٧٨﴾﴾ [سورة الحج].

وفي مجتمع واحد، أمكنه ﷺ أن يؤلف بين قريش وخزاعة، وبين الأوس والخزرج، ثم بين الحجاز ونجد، ثم بين العرب والعجم.. ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الأنفال].

ولم يكن ﷺ- وقد تحقق له ما أراده من وحدة الأمة- ليغفل عما قد يستيقظ بين الحين والآخر من نوازع الجاهلية في النفوس، فكان يتعهدهم بوصية الوحدة ونداء الجماعة. وكان كلما أحس في طائفة منهم دبيب الفرقة، ناداهم ﷺ مغضباً: «ما بال دعوى الجاهلية؟!... دعوها فإنها منتنة!»[1]. وما زال يرعاهم ويرقبهم، لا تعدو عيناه عنهم، حتى لقي الله- عز وجل- راضياً مرضياً، وهم أمة واحدة، ورسالة

(١) من حديث أخرجه مسلم، في كتاب البر والصلة والأدب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، برقم ٦٧٤٨.

واحدة، لهم شعائر وشرائع واحدة، وكتاب واحد، وأذان واحد، وصلاة واحدة، وقِبلة واحدة.

ولكن ذلك النعيم من التوحد، لم يدم طويلاً بعد النبي ﷺ، وسقطت الأمة في غيهب الفرقة، تسلمها الأوهام إلى الأوهام، وتنازعوا ففشلوا وذهبت ريحهم، وصارت الوحدة الإسلامية طللاً نتباكى عليه أكثر مما هو حقيقة نجتمع عليها.

ولقد صار من المعلوم لكل أحد أن هناك إحساساً عارماً بين أبناء هذه الأمة بضرورة تحقيق الوحدة الإسلامية، ووجوب هدم الحواجز.. التي تفصل بين أبناء هذه الأمة على اختلاف بواعثها وأسبابها.

ولكن فرحنا بهذا الإحساس العارم لا ينبغي أن يدفعنا إلى الغفلة عن وجود تيارات أخرى تدعو إلى الجمود والفرقة، ضمن سائر الطوائف الإسلامية.

يجب أن نعترف أن هناك تياراً موجوداً في أهل السنة يدعو إلى سوء الظن بالشيعة، ويجتهد في ستر المليح ونشر القبيح، ويغوص في زوايا مظلمة من التاريخ يبحث فيها عن فتاوى مشؤومة، مبتورة عن سياقها وظروفها، ليهدم بها ما نسعى إلى بنيانه من الأمة الإسلامية الواحدة. وفي هذا السياق، يمكنك أن تتذكر عدداً من الأعمال الظالمة،

التي كتبها أشخاص موتورون، مثل: الخطوط العريضة، وجاء دور المجوس، فصل الخطاب.. وغيرها من الكتب الآثمة.

وكذلك يجب أن نعترف أن هناك تياراً موجوداً في الشيعة يدعو إلى سوء الظن بأهل السنة، وتحميلهم عقابيل مقتل الحسين، وكأن سائر أهل السنة كانوا في كتيبة الشقي شمر بن ذي الجوشن، أو ربتوا على كتفيه وانتصروا لجريمته.. ويغوصون في أيام الشؤم في التاريخ الإسلامي، ليجعلوا منها مناسبة تستثمر في شيء واحد، وهو خراب الجماعة الإسلامية وتشرذم كلمة المسلمين. وفي هذا السياق، يمكنك أن تتذكر عدداً من الأعمال الظالمة، التي كتبها مأجورون، مثل: ثم اهتديت، حين انحدر الجمل من السقيفة، لأكون من الصادقين.. وغيرها من الإصدارات الآثمة.

وعلى الرغم من أني لا أزعم أني اطلعت على المقاصد والنوايا لهؤلاء الكتبة، ولكن إذا كانت الأمور بعواقبها ومقاصدها، فإنه لم تدفع إلى المطابع صفحاتٌ أشد لؤماً وشراً من مثل هذه الصحائف، التي تفرق الجماعة وتبعث الشرور والبغضاء والأحقاد في الجماعة المسلمة.

وليس ما قدمته من أسماء غرضاً أسعى إليه، بل هو إشارة عابرة لقوى موجودة تعمل في الظلام، لا يمكن لحركة الإصلاح أن تتجاهلها أو تتغافل عنها. وهذا يحمّل رجال الإصلاح مسؤوليات تاريخية عظيمة؛

فهناك حقاً سهام وجهها علماء شيعة للسلف الأول من قيادات أهل السّنة، وثمة أقوال مختلفة توجهت بالاتهام إلى أعلام كبار من علماء الشيعة. ولكن الباحث المخلص لا يعسر عليه أن يتلمس في كتب الفريقين ما يهدم هذه الفكرة ويسحقها، ويمكنه أن يستخرج فضائل الأئمة من كتب أهل السنة، وفضائل أئمة السّنة في أقلام شيعية مختلفة.

وإني لأعَدّ السعي- في هذا السبيل- جزءاً لا يتجزأ من رسالة الوحدة الإسلامية، وواجباً على رجال الإصلاح، وهي كما ترون حركة مضادة معاكسة لحركة الظلاميين، الذين يسعون إلى نبش الماضي، وتحميل الأحفاد مسؤولية خصام الأجداد، وشق الأمة الإسلامية إلى طائفتين متناحرتين.

إن الفتوح الإسلامية العظيمة- التي تمت في عهد الراشدين- هي مبعث فخر لكل مسلم شيعي، ولا شك أن من أظهر ثمارها دخول إيران في الإسلام. وكذلك إن موقف أبي طالب في نصرة النبي ﷺ والدفاع عن الرسالة، هو مبعث احترام لكل مسلم سني. فلماذا نتناوب على الحط من قدر أبي طالب وأبي بكر؟ وإذا كانت الأمور بمقاصدها، فهل ثمة درجة في المجد أعلى من الدرجة التي تبوأها الرجلان: ناصر النبي وخليفة النبي ﷺ؟ وإنه لأمر بَدَهِي أن نقرر أن أي أمة لها مثل هؤلاء الأعلام في سماء مجدها، ستتخذهم مثلاً وتخلد تراثهم وأيامهم وأقوالهم على مدار الأزمنة.

لقد طرحت- منذ أكثر من أربعين عاماً، في هذا البلد- مسألة التقارب بين السنة والشيعة، وأعتقد أن ذلك كان امتداداً لروح المصلح الإسلامي الكبير المجدد محسن الأمين العاملي[1]، الذي كان في الشام مضرب المثل في الإخاء والتسامح.

ولكن حركة التقريب يجب أن تنطلق إلى مرحلة أخرى، تتجاوز الشعارات والمجاملات، وتبدأ بتنظيف التراث، وإعادة صياغته، ليس على أساس من الموروث التاريخي القَبَلي هذه المرة، بل على أساس المصلحة الإسلامية الراشدة؛ فما كان منه سقيا رحمة وغرسة خصب، فحيهلا به، وهو تراث الخلفاء الراشدين والأئمة المرضيين.. وما كان منه سوط فرقة وسقيا عذاب، فهو الذي ينبغي أن تطرحَه الزعامات الإسلامية الراشدة وتميل عليه ركام النسيان.

إن السيرة النبوية مظهر عملي لما نأمله من تحقيق مجتمع الإخاء الموحد، فهناك في فلك المعصوم ﷺ كانت تدور طاقات هائلة من جهود الصحب، يختلفون ويأتلفون.. يتناقشون ويتواددون، وربما

(١) من علماء المسلمين الشيعة وهو لبناني الأصل (١٢٨٤هـ- ١٣٧١هـ). بعد أن استكمل علومه في النجف، استقرّ في العاصمة دمشق، وكان حرباً على ما أورثته الأجيال والسياسات المضلّلة الغاشمة من بِدَع وخرافات وأساطير، شوّهت محاسن الإسلام وقوّضت سلطان المسلمين. ومن كتبه في التقريب: عين اليقين في التأليف بين المسلمين .[ar.wikipedia.org/wiki/]

تعددت مواهبهم، ولكنهم في النهاية كانوا جنداً للرسالة الواحدة.. أعواناً متضامنين في خدمة الإسلام، وعلى أكتافهم جميعاً قام المجد الإسلامي، الذي هو مجد كل مسلم في الأرض.

وإني لأتوجه إلى مؤتمركم الكريم باقتراح "تشكيل لجنة مشتركة" من علماء دمشق وطهران، تكلف بكتابة السيرة النبوية الشريفة، لتكون مقرراً تعليمياً في مدارس الناشئة، وفق معطيات التوحيد والجماعة، واستناداً إلى أوثق نصوص الرواية. وإني لأرجو أن يصدر هذا العمل خلال عام واحد، وعليه توقيع أعلى المراجع العلمية في دمشق وطهران، وبذلك نفتح للناشئة سبيل التعاون على مصدر متفق عليه لدراسة نبي الإسلام، الذي تجتمع تحت رايته أمة إسلامية واحدة، يزيد سكانها على مليار إنسان.

وبعد: فإنني ذكرت هنا ما أسعفني الوقت بإيراده، حول مسؤولية الزعامات الإسلامية في تحقيق الوحدة الفكرية بين المسلمين وحراستها، وأجد من المفيد أن أختتم حديثي بالإشارة إلى موقفين عظيمين من مواقف السلف الصالح في الوعي بهذه المسؤولية والبصر بلوازمها...

في الأول دخل إسحاق بن طلحة بن عبيد الله- ذات يوم- على علي بن أبي طالب ﷺ، عقب وقعة الجمل. وكان طلحة- كما تعلمون- خصماً سياسياً لعلي، وهو أحد أصحاب يوم الجمل المشؤوم. فلما دخل ابنه إسحاق على علي قام إليه فاعتنقه وقبله، ثم أجلسه مجلساً

كريماً، فكان فيما قال له: إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن يقول الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الحجر]. فقال له رجل: دين الله إذن أضيق من حد السيف. تقتلهم ويقتلونك، وتكون أنت وهم إخواناً على سرر متقابلين؟ فقال له علي ﷺ: التراب في فيك. فمن عسى أن يكونوا؟ وأمر بإخراج ذلك الفئوي المستهتر من مجلسه، ونفاه خارج الكوفة[1].

لقد كان درساً بليغاً، أراد به الإمام أن يعلم الأمة كيف تستثمر خير ماضيها، وتتعاون في التخلص من رواسبه.

وفي الموقف الآخر، جاء الإمام الجليل زين العابدين علي بن الحسين- رضي الله عنهما- رجل، فقال له: يا ابن بنت رسول الله ﷺ، ما تقول في عثمان؟ فقال له: يا أخي أنت من قوم يقول الله فيهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الحشر]؟ قال: لا. قال: فوالله لئن لم تكن من أهل الآية، فأنت من قوم يقول الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن

(١) الشريعة للآجري (٥/ ٢٤١).

يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الحشر]؟ قال: لا. قال: فوالله لئن لم تكن من أهل الآية الثالثة لتخرجن من الإسلام، وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الحشر][1].

ترى هل من المبالغة في شيء أن نقول بعدئذ: إن عليَّ **بن الحسين** كان أستاذ الأئمة؟.

وختاماً، أرجو من الله- تبارك وتعالى- أن يوحد صفوفنا، ويؤلف بين قلوبنا، وأن يترع الغل والبغضاء والشحناء من بيننا...

﴿ ... رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الحشر].

* * * * *

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٣١).

المبحث الرابع

الوحدة الإسلامية والمذاهب الفقهية[1]

(١) كلمة سماحته في ندوة الاجتماع الدولي لـ "وضع استراتيجية مشتركة للتقريب بين المذاهب الإسلامية"، المنعقد في فندق إيبلا الشام، بدعوة من مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية، من ١٠ إلى ١٢/ ٤/ ١٩٩٩.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- اختيار سورية لعقد هذا اللقاء متناسب مع تاريخ سورية الوحدوي، على الرغم من تعدد المذاهب فيها.

٢- دعاة الحق والعدل يرقبون قيام قوة إسلامية موحدة مكافئة للنظام العالمي الجديد.

٣- القوة الإسلامية تكون بوحدة العالم الإسلامي، وهي واجبة على رجال الفكر والدعوة، وكذلك واجبة على أهل السياسة.

٤- واجب رجال الفكر يكمن في البحث عن روابط التعاون الفكري الجامعة وفي بذل الجهود لنبذ النـــزاع المذهبي.

٥- قراءة التاريخ قراءة سليمة تبعد أوهام المشككين بقدرة العالم الإسلامي على الوحدة، لِـــمَا ينعم به هذا العالم من جذور الوحدة، منها:

أ- قدرة الإسلام على تحقيق التسامح بين أتباع مختلف

الرسالات السماوية في المجتمع الإسلامي، على الرغم من الاختلافات العقَدية والفكرية الجوهرية. فكيف بالقدرة على تحقيقها داخل الأمة الواحدة؟.

ب- توحيد الإسلام للأمة على قبلة واحدة ورسالة واحدة وقرآن واحد ورسول واحد وعبادة واحدة.

ج- الاتفاق على أكثر من تسعين في المئة من أصول الدين، كأركان الإيمان والإسلام والقرآن والتشريع.

٦- على الرغم من اختلاف العالم الغربي في وجوه كثيرة.. كاللغة والثقافة والدين، فإنه يتوحد بنقاط يتفق عليها لمصالحه؛ فكيف لا تجد أمة الإسلام طريقها إلى الوحدة مع وجود جميع ما يجمعها من روابط.

٧- مصطلح التقريب بين المذاهب بعيد عن الحقيقة، لأن التقريب يكون بين المتباعدين، والمذاهب الإسلامية تلتقي- بنسبة كبيرة- في مقاصدها ووسائلها. ولذا، لا بد من التوحيد الكامل وبناء الحاضر والمستقبل.

٨- قيام الوحدة لا يعني إلغاء المذاهب الفقهية، لأنها تمثل غنى فكرياً علمياً، يساعد المشرعين- في دوائر قرار العالم الإسلامي- على حل المشكلات المستعصية، من دون التنقيص من الآراء التي لم تعتمد لمسألة ما.

٩- التعصب يحطم آمال الوحدة، وهو يصدر عمن يعيشون أسرى للماضي وأوهامه، ويغفلون عن صحائفه المشرقة الداعية إلى الوحدة.. المتجاوزة للمواقف الشخصية والحسابات المذهبية.

١٠- الإمام الحسن بن علي ﷺ مثال تاريخي على وحدة الأمة. وعلى لجان التقريب جعل "يوم الجماعة" ذكرى سنوية للمسلمين.

١١- ليس المطلوب محاربة المذاهب، بل محاربة التعصب لها؛ فثمة مواقف في تراثنا يجب تجاوزها والبحث عن الإيجابيات عند من سبقنا، مثل موقف الإمام علي بن الحسين مع المتحدث بالسوء عن الصحابة.

* * * * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص المحاضرة

السادة أعضاء لجان التقريب بين المذاهب الإسلامية:

ينعقد هذا اللقاء الكريم في دمشق الشام في ظلال قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [سورة الأنبياء]، في ظروف دقيقة من رياح التغيير، التي تهب في العالم. وإن اختيار سورية لهذا الحدث الكبير إنما هو اختيار حكيم؛ فهنا يتجاور تاريخ سائر المذاهب الإسلامية، ويرقد أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته الطيبون الطاهرون في مراقد شريفة متجاورة. ونحن سعداء أن سورية من أغنى حواضر العالم الإسلامي بتعدد المذاهب الفقهية، وقد عاشت- على امتداد تاريخها- في نعيم الإخاء الإنساني...

وبهذه المناسبة، فإنه يشرفني أن أرحب بإخواني من رجال العلم والعمل المهتمين بالوحدة الإسلامية، وآمل أن يمضوا أياماً طيبة مثمرة مباركة في دمشق.

إن قراءة سريعة لهذا العالم الإسلامي الكبير ترسم لنا ملامح الأمة، التي يتطلع إليها- اليوم- دعاة الحق في الأرض، وهم يرقبون قيام العالم الإسلامي قوةً مكافئة في النظام العالمي الجديد، تكون ضمانة لنصرة الحق والعدل.. والدفاع عن المستضعفين في الأرض.. ونشر المحبة والإخاء.

وقيام العالم الإسلامي بوحدته قوةً على الأرض، وإن كان ذلك مرهوناً بالإرادة السياسية، يقع- في قسطه الأكبر- على كواهل رجال الفكر والدعوة، الذين يقومون بتوجيه الأجيال.. وهم تتعلق آمال شباب العالم الإسلامي في فهم الوحدة الإسلامية المنشودة. وإذا كانت مهمة رجال القرار- في العالم الإسلامي- تحقيق التضامن المنشود، فإن واجب رجال الفكر البحث- في الجذور- عن جوامع التعاون الفكري.. وبذل الجهود في التحذير من سبل الشقاق المذهبي والطائفي.

ولكن هل يشتمل العالم الإسلامي على جذور وحدة حقيقية، تؤهله للعمل المشترك؟ .

إن بعض المشككين يرون أن الوحدة الإسلامية وهم كبير، وأن الخلافات القائمة بين المذاهب الإسلامية تستعصي على التقريب والتوحيد. ولكن قراءة التاريخ قراءة سليمة تكشف أوهام هؤلاء المشككين. فالإسلام حقق مجتمع التسامح الآمن، ومجتمع الإخاء الإنساني، على الرغم من وجود رسالات سماوية مختلفة في المجتمع الإسلامي، يقول سبحانه: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الممتحنة].

و«توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير»[1]، وهذا فيه إشارة واضحة إلى إمكانات التعايش، على الرغم من وجود اختلافات فكرية وعقدية جوهرية.

فإذا كان الإسلام نجح في تحقيق الإخاء الإنساني في مجتمعاته في قرونه الأولى، فكيف يشكك هؤلاء في قدرة الإسلام على تحقيق إخاء إيماني داخل الجماعة المسلمة؟!.

إن المليار ونصف المليار مسلم جرى توحيدهم على يد رسول الله ﷺ منهجياً.. يوم تحققت لهم القبلة الواحدة، والرسالة الواحدة، والقرآن الواحد، والرسول الواحد، والعبادة الواحدة.

(١) أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها، في كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب، برقم ٢٧٥٩.

إن هذا العدد الهائل من المسلمين متفقون في أكثر من تسعين في المئة من أصول دينهم؛ فأركان الإيمان- عند سائر الأمة- هي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.. وأركان الإسلام هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً ﷺ رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وهي محل اتفاق تام بين المسلمين.

وإن العالم الغربي ليختلف في ألف وجه من الثقافة واللغة القومية والدين، ولكنه يتمسك بما قد يكون نقاط اتفاق لتحقيق مصالحه. ولذا فإن أعجب العجب من أمة تتحد في قبلتها وعبادتها وكتاب ربها وسنة نبيها، ثم لا تجد السبل إلى تحقيق وحدتها وجماعتها، فيما تحقق ذلك شعوب أخرى ليس لها معشار هذه الروابط.

لقد أعلنت- في مواقف كثيرة- أنني أعترض على مصطلح "التقريب بين المذاهب الإسلامية"، ذلك أن التقريب إنما هو وصلُ المتباعدين، وتقليل الخلافات بين المتخاصمين.. وإني أشعر أن هذا الأمر لا ينطبق على المذاهب الإسلامية، التي تتفق في أكثر من تسعين في المئة في مقاصدها ووسائلها وغاياتها، وأن التقريب قد تجاوزناه من مرحلة بعيدة. ولذا، فإني أدعو هنا إلى التوحيد الكامل بين المسلمين.. على صعيد الفكر والتوجيه وبناء الحاضر والمستقبل، في رحاب قوله سبحانه: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ...﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة الحج].

ولكن ما أود تأكيده أن نداء "الوحدة الإسلامية" لا ينبغي أن يكون موجهاً إلى إلغاء المذاهب الفقهية؛ فالمذاهب رصيد فكري عظيم للأمة الإسلامية، يدل على غنى هذا الفقه وتنوعه، وهو مظهر من مظاهر رحمة الله سبحانه، كما قال عمر بن عبد العزيز، الخليفة الصالح: "ما يسرني أن أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- لم يختلفوا؛ لأنهم إذا اجتمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالاً، وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا ورجل بقول هذا كان في الأمر سعة"(١). وما أجملها وأحكمها من قاعدة، وهي: "أن نعمل فيما اتفقنا عليه، ونعذر بعضنا بعضاً ونتناصح ونتحاور فيما اختلفنا فيه". وما خلاف بعض المذاهب إلا في جزئيات تفتح أبواب اليسر في تطبيق تعاليم الإسلام.

وهذا التكامل يمنح المشرعين- في دوائر القرار في العالم الإسلامي- الغنى الفقهي العلمي، الكفيل بإيجاد الحلول لأكثر المشكلات المستعصية في المجتمع، ولا يحول دون الاحترام والإجلال لاختيارات سائر أئمة الفقه الإسلامي، سواء اعتمدت آراؤهم في التشريع أو لم تُعتمد، وفق ما أجمع عليه المسلمون: "المجتهد إن أصاب فله أجر، وإن أخطأ فله أجران".

(١) الموافقات للشاطبي (٤/ ١٢٥).

إن كثيراً من آمال الوحدة المنشودة في العالم الإسلامي تتحطم بفؤوس التعصب، حين تتولى جهات موتورة من الأمة الإسلامية إيقاظ رياح الشحناء في بعض أنصاف المتعلمين، ممن يعيشون في إسار أخطاء الماضي وأوهامه. ويا ليت هؤلاء- الذين يحتكمون إلى الماضي- يختارون منه صحائفه المشرقة، حين كانت تتسامى مصالح الأمة فوق المواقف الشخصية والحسابات المذهبية، بدلاً من اختيارهم أخبار الأولين.. التي تثير الفرقة والخصام.

إن مواقف أئمة الوحدة الإسلامية كانت- دائماً- ملجأ صادقاً يحمي الناس من الفرقة والخصام، ويحملهم على الوحدة والجماعة. فقد قام أمير الوحدة الإسلامية الإمام الحسن بن علي- رضي الله عنهما- بمد يده إلى معاوية ابن أبي سفيان، يدعوه إلى الوحدة والجماعة، فيما كانت أصوات كثيرة تطالب بالحرب والعنف، ولكن نداء الإخاء الإسلامي دفعه إلى أن يجعل الوحدة الإسلامية فوق أي اعتبار.

وعلى حين كان ثلاثة وأربعون ألفاً من أصحاب الإمام الحسن حول مسجد الكوفة ينتظرون قدومه ليخوض بهم حرباً ضد أخصامه في الشام، صعد الإمام الحسن على المنبر، وقال: "أيها الناس: نحن أهل البيت الذين هداكم الله بأولنا، ويحقن دماءكم بآخرنا.. وفينا يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأحزاب]".. فأنشأ الناس يبكون، حتى سمع

للمسجد خنين، ثم قال الإمام الحسن في موقف رجولي عظيم: "أيها الناس: إن هذا الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية لا يخلو أن يكون حقاً له فأنا أرده إليه، أو حقاً لي فأنا أنزل عنه إرادة صلاح المسلمين".

وهكذا، قدم سبط رسول الله ﷺ للعالم صورة من تسامي المسلم فوق المصالح والأغراض، وسعيه إلى تحقيق الوحدة والجماعة لجميع المسلمين على اختلاف نزعاتهم. وحين قال له قائل: "يا مذل المسلمين"! قال: "لست بمذل المسلمين، ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك"؛ ثم قال له آخر: "يا عار المسلمين!"، فقال بلسان الواثق المطمئن: "العار ولا النار.. والله ما يسرني أن لي خلافة هذه الأمة وأن يراق من المسلمين محجمة دم".(١)

وهكذا، فإن الحضارة الإسلامية- التي ازدهرت أيام الاستقرار- مدينة للإمام الجليل **الحسن** بن علي "عميد الوحدة الإسلامية"، الذي تحققت فيه بشارة النبي ﷺ بقوله: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»(٢).

(١) للاستزادة، انظر: مبحث خلافة أمير المؤمنين أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب- رضي اللّه عنهما- في تاريخ الحافظ الذهبي ‹دول الإسلام›.

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي موسى ﷺ، في كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما، برقم ٢٥٥٧.

لقد وجد سبيل الوحدة مع خصمه، ودفع إليه الأمر. وإن الأمة الإسلامية متفقة على أن سبط رسول الله ﷺ أعظم عند الله من خصمه، ولكن الوحدة والجماعة أعظم مقاصد هذه الشريعة المطهرة. وقد عرفت الأمة فضل هذا الإمام الجليل، فأسمت العام باسم "عام الجماعة"، تخليداً لموقفه البطولي الذي ينبغي أن يتعلم منه القادة الإسلاميون في كل جيل.

وإني أدعو إخواني في لجان التقريب إلى أن يبادروا إلى إحياء ذكرى الإمام الحسن في كل عام في يوم موقفه العظيم هذا، يوم السادس عشر من ربيع الآخر، في عام واحد وأربعين للهجرة، وأن يدرجوا هذا المطلب ضمن توصيات المؤتمر، ليكون ذلك اليوم عيداً للوحدة الإسلامية.

إن المطلوب هنا ليس محاربة المذاهب، وإنما محاربة التعصب المذهبي. وهكذا، فإن بقاء الآراء الفقهية المختلفة- بعد التمحيص والترجيح- لا يتناقض مع تحقيق الوحدة الإسلامية، التي هي أمل سائر المخلصين.

وفي لقائي مع العلماء وطلبة الحوزات العلمية في قُم، قلت: "إن كانت السنة هي اتباع رسول الله ﷺ بما جاء من عند ربه فكلنا سنة، وإن كان التشيع هو حب محمد وآل محمد ﷺ فكلنا شيعة".

لقد آن الأوان لرجال الوعي والفكر والدعوة أن يميزوا بين صوت النصيحة وبوق الفضيحة، بين الأصوات التي تنشد الوحدة والجماعة والأبواق التي تنشد الفرقة والخصام.

إنني لا أنكر أن في التراث الإسلامي مواقف فرقة، وهي مسطورة في كتب التراث، ولكن فيه أيضاً مواقف اتحاد، وإن علينا أن نعيد النظر في ما صنعه الأولون، فنتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم.

وأحب أن أذكّر- هنا- بموقف عظيم من مواقف الوحدة الإسلامية، في باب "اتخاذ التراث مشعل نور وليس مخزون خصام". لقد جاء الإمام علي بن الحسين- رضي الله عنهما- رجل فقال له: يا ابن بنت رسول الله ﷺ، ما تقول في عثمان؟ فقال له: يا أخي أنت من قوم يقول الله فيهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الحشر]؟ قال: لا. قال: فوالله لئن لم تكن من أهل الآية فأنت من قوم يقول الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحشر]؟ قال: لا. قال: فوالله لئن لم تكن من أهل الآية الثالثة لتخرجن من الإسلام، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا

﴿ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [سورة الحشر](1).

وفي ختام كلمتي، أشكر الله- سبحانه- أن هيأ لرجال الوحدة والجماعة في مجال الفكر الإسلامي اللقاء على أرض الشام الطيبة...

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ [سورة البقرة].

* * * * *

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٣١).

المبحث الخامس

أدب الحوار والاختلاف
ودوره في تحقيق الوحدة[1]

(١) محاضرة سماحته، التي قدمها للمؤتمر الإسلامي المنعقد في بفالو في نيويورك، من ٢٣ إلى ٢٧/ ٥/ ١٩٩٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١– خَلق الله الناس من نفس واحدة، ولكن طبائعهم شتى.. ورؤاهم متنوعة، لا يحيط بها إلا الله.

٢– يجعل العقلاء التنوعَ سبباً في التكامل في الخير، وأما الجاهلون فيجعلونه سبباً في الشقاق والخصام.

٣– ثمة فِرَق مختلفة ومذاهب في العالم الإسلامي، وعليها انتهاج سبيل الحوار.. الذي سلكه السلف الصالح لتحقيق الوفاق.

٤– صار أصحاب النبي ﷺ مدارس متحركة بعد وفاته، اختلفت آراؤهم، ولكنهم أوجدوا الآلية للتكامل والحفاظ على الاحترام والمودة.

٥– الصحابة قدموا الحفاظ على الجماعة على آرائهم واجتهاداتهم، كما حدث بين أبي ذر الغفاري وعثمان بن عفان في صلاة الظهر في الحج.

٦– سَلَفُنا عاشوا بين مذاهب أربعة أو أكثر في إطار من التراحم، ما يعكس الوعي الحضاري والتربية السليمة عند الأمة.

٧– استثناءً، عانت الأمة قمعاً فكرياً أيام المعتزلة.. وعدم الاعتراف بالآخر أيام الخوارج، ولكن التاريخ الأكبر كان في الإفادة من التنوع في الاجتهاد في حل المسائل المستجدة.

٨– تلمس أسباب الوحدة لا يعني صب الناس في قوالب جامدة تصدر أحكاماً مقدماً، بل يجب توحيد الجهود لخدمة الدين.. مهما تعددت الوسائل والطرق.

٩– لا بد للعاملين في حقل الدعوة من الالتزام بمنهجين في التعامل مع الآخر: أحدهما أخلاقي والآخر فكري..

أولاً: المنهج الأخلاقي، ويتمثل في:

١– الإخلاص لله.
٢– التعاون في المتفق عليه وصرف الجهود للقضايا المصيرية.
٣– التناصح فيما اختلف فيه.
٤– البعد عن المغالاة.
٥– المحاولة بالتي هي أحسن.

ثانياً: المنهج الفكري، ويتمثل في:

١– أنه لا خلاف في الأصول، واختلاف الفروع رحمة.
٢– دراسة الرأي الآخر بإنصاف وروية.
٣– في الحوار، لا وجود لحاكم ومحكوم أو قاضٍ ومتهم.
٤– عدم التزام عقائد الآباء والأساتذة وآرائهم إن تناقضت مع الدليل العقلي أو الدليل النقلي.

٥- القناعة أن وحدة الحق لا تعني وحدة الطريق والوسيلة في التعبير عنه.

١٠- استعمل الله الحوار مع خلقه- على الرغم من أن خطابه خطاب الآمر الناهي، الذي لا معقب لأمره- تبياناً لأهميته.

١١- مرت الدولة الإسلامية- تاريخياً- بمراحل قوة وضعف، وكانت الأقوى عندما كان الحوار هو السائد.

١٢- التمني على جميع المسلمين جعل القرآن نبراس وحدتهم، والتلاقي على قاعدة قوله تعالى: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ**...﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المحاضرة

الخلق كلهم عيال الله، خلقهم من نفس واحدة، وألهمهم طبائع شتى، أصلهم من تراب، وفي عقولهم آفاق ورؤى لا يحيط بها إلا الله.. ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة الروم].

هذا التنوع- الذي خلق الله الناس عليه- لا ينبغي أن يكون سبباً في الشقاق والخصام والتنازع. ويمكن للعقلاء أن يجعلوا من الاختلاف سبباً في التكامل والتعاون فيما فيه مصلحة الخير والحق. وهذه الحقيقة- التي نجدها في حياة النبي ﷺ على أتم مثال- هي التي ينبغي أن نلتمس فيها- اليوم- أسباب وحدتنا وجماعتنا.

اليوم، يمتلئ هذا العالم بعقائد ومذاهب مختلفة. وعلى المستوى الإسلامي، ثمة فرق مختلفة.. تنتشر في بلدان العالم الإسلامي وفي

الجاليات المنتشرة في العالم الغربي.

ولكن هل تمكن المسلمون من معرفة طرق التعاون والحوار والتفاهم، على الرغم من اختلاف الرأي؟.

إن الواقع المؤلم- الذي نجده اليوم في أفغانستان والجزائر، وغيرهما من بلدان العالم الإسلامي- يعكس حقيقة مرة، وهي أن تحقيق الوفاق بين التيارات الإسلامية لا ينهج سبيل الحوار والتفاهم، الذي كان يلتزمه المسلمون في عهد السلف الصالح.

لقد تحول أصحاب النبي ﷺ- من بعده- إلى مدارس متحركة، تنشر المعرفة في الآفاق.. التي وصل إليها الإسلام. وعلى الرغم من أن فتاويهم لم تكن دائماً متطابقة.. وكان كل يفتي بما أدى إليه اجتهاده، فقد عرفوا كيف يحفظون الاحترام والمحبة بينهم، وعرفوا كيف يوجدون- بين المسلمين جميعهم- وسائل تكاملهم وتآخيهم.

فمراراً، كانت السيدة عائشة- رضي الله عنها- تنتقد فتاوى الصحابة، وتبدي رأيها في المسائل، حتى إن الإمام السيوطي صنف كتاباً خاصاً أسماه ‹عين الإصابة في استدراك عائشة على الصحابة›[1]،

(١) وهو جزء لخصه السيوطي من كتاب الإجابة للشيخ بدر الدين الزركشي، وقيل من تأليفه، وهناك من ذكر هذه الرسالة بعنوان: عين الإصابة فيما استدركته عائشة على الصحابة.

جمع فيه مواقف عائشة- رضي الله عنها-، التي كانت تخالف فيها آراء أبي هريرة وابن عباس وأبي الدرداء وغيرهم من الصحابة. ولكن هذا الاختلاف في الرأي لم يكن إلا حواراً بغرض البحث عن الحقيقة، ولم تكن له ظلال من العداوة أو البغضاء أو سوء الظن.

وحينما نطوف في حياة الصحابة، فنحن في الحقيقة في بستان عامر متنوع، فلكل منهم اجتهاده وعطاؤه، ولم يحصل أنَّ خلافهم في الرأي قادهم إلى تنازع أو شقاق. فمثلاً، حينما كان عثمان بن عفان ﷺ خليفة على المسلمين، صلى في حجه أربع ركعات، فقيل ذلك لأبي ذر، فاشتد عليه، وقال قولاً شديداً، وقال: صليت مع رسول الله ﷺ، فصلى ركعتين، وصليت مع أبي بكر وعمر؛ ثم قام أبو ذر، فصلى أربعاً، فقيل له: عبت على أمير المؤمنين شيئاً، ثم صنعت، قال: الخلاف أشد[1].

يا لها من كلمة تختصر فقه الصحابة في الوحدة والجماعة...

تاريخياً، عشنا في العالم الإسلامي مذاهب أربعة، يحترم بعضنا بعضاً، ويعذر بعضنا بعضاً. كان الشافعية يقولون: الرأي عندنا كذا.. وعند السادة الحنفية بخلافه، وكان المالكية يقولون: الرأي عندنا كذا.. وعند السادة الحنابلة بخلافه.. في إطار من المحبة والتراحم والإنصاف، يعكس لك الوعي الاجتماعي والحضاري عند الأمة، بل قل: يعكس

(١) غاية المقصد في زوائد المسند للهيثمي، باب النهي عن الخروج على الأئمة (٢/ ١٧٨).

التربية السليمة، التي ربى عليها النبي ﷺ السلف الصالح في هذه الأمة.

ولن تجد في الأمة شافعياً إلا وهو يجل أبا حنيفة، ولا حنفياً إلا وهو يجل الإمام مالك ويحترمه، على الرغم مما بين مذاهبهم من اختلافات تمتلئ بها كتب الفقه. وإلى جانب المذاهب الأربعة كان الفقه الإسلامي ينطلق بجهود أئمة كبار آخرين؛ كالإمام ابن جرير الطبري، والإمام جعفر الصادق، والإمام الليث بن سعد، والإمام الأوزاعي، وغيرهم من الأئمة الكبار، الذين رأت الأمة في فقههم واجتهادهم أعظم ثروة علمية فكرية.

ولعل الاستثناء الوحيد من هذه الحرية الفكرية- التي نجدها في ظلال الإسلام- هي تلك الحقبة السوداء، التي سيطرت فيها المعتزلة على بعض خلفاء بني العباس[1].. وعند ذلك، توجه هؤلاء بالسيف والنار، يقمعون الرأي الآخر ويقاومون كل اجتهاد لا يوافق خياراتهم واجتهاداتهم.

وهكذا، فقد كانت الأمة- على امتداد تاريخها- تعرف كيف تفيد من هذا التنوع الاجتهادي والفقهي، وتلتمس منه حلول القضايا المستجدة؛ وأما تلك الحركات- التي كانت ترفض الآخر، وتصر على طريقة واحدة لفهم النصوص واعتمادها، وتكفر المخالفين- فقد انحشرت في الزاوية المظلمة، وأطلقت عليها الأمة تسمية "الخوارج". وقد مضى هؤلاء في منهجهم حتى اتخذوا لأنفسهم فقهاً وعقيدة منفصلة، أبسط نتائجها إهدار دم

(١) الفرق بين الفرق (١/ ١٥٧).

المخالفين وغنْم أموالهم، وإن كان المخالفون من أشدِّ الناس تقوى وصلاحاً.

وإننا- الآن- نلتمس أسباب وحدتنا، واجتماع كلمتنا؛ ولكن لا ينبغي أن نفهم هذه الوحدة والجماعة على أساس أنها إلغاء الآخر ورفضه، وصب الناس في قوالب جامدة، نطلب إليها التصديق على أحكامنا السابقة؛ بل إنَّ الواجب الإسلامي يقتضي أن نجمع جهودنا وقلوبنا لخدمة هذا الدين، وأن يلتقي- على هذه المقاصد النبيلة- المسلمُ الصوفي المسلمَ السلفي، وأهلُ التأويل أهلَ التفويض، والظاهريةُ الفقهاءَ، والسنةُ الشيعةَ، تماماً كما كنا خلال تاريخنا الإسلامي العامر بالتجارب الحية، والمُشْرِقِ بالحوار الهادف البناء.

وفي هذا المقام، لا بد للعاملين في حقل الدعوة الإسلامية من الالتزام بمنهجين في التعامل مع الآخر، أحدهما أخلاقي والآخر فكري ويتمثلان في ما يأتي:

١- الإخلاص لله- تعالى- في أفكارنا وأعمالنا ونياتنا، وأن يكون شعارنا في حوارنا: (**إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي**).

٢- التعاون والتعاضد في خدمة الأمة الإسلامية، وصرف الجهود والطاقات الكبرى لقضاياها المصيرية.. ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ... ۝٢﴾ [سورة المائدة].

٣- التعاون فيما اتفق عليه، والتناصح فيما اختلف فيه.

٤- لا خلاف في الأصول، والاختلاف في الفروع تنوع فكري، فيه رحمة للأمة في كثير من الأحيان، ولا ينكر على المجتهد في الفروع.

٥- البعد عن المغالاة والتطرف والتشدد.. «يسروا ولا تعسِّروا، وبشروا ولا تنفروا»[١].

٦- دراسة الرأي المخالف بإنصاف ورويّة.

٧- المجادلة بالتي هي أحسن.. ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [سورة النحل].

٨- في الحوار ليس هناك حاكم ومحكوم، أو قاضٍ ومتهم.

"اجتمع متناظران، فقال أحدهما للآخر: هل لك في المناظرة؟ قال: على شرائط: أن لا تغضب، ولا تشغب، ولا تعجب... ولا تجعل الدعوى دليلاً... وأن يجعل كل منا الحق ضالته، والرُّشد غايته".[٢]

٩- إن خطاب الله- تعالى- مع خلقه هو خطاب الآمر الناهي، الذي لا معقب لأمره، وعلى الرغم من ذلك فقد ذكر الله- تعالى- صوراً لحواره مع خلقه، تبياناً لأهمية الحوار في الوصول إلى معرفة الحقيقة واتباعها.

١٠- لقد مرت دولة المسلمين وسلطتهم السياسية- من عهد

(١) أخرجه البخاري من حديث أنس ﷺ، في كتاب العلم، باب ما كان النبي يتخوّلهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، برقم ٦٩، وفي رواية: سكّنوا ولا تنفروا.

(٢) التذكرة الحمدونية لابن حمدون، الباب الثامن في الصدق والكذب (١/ ٣١٠).

النبي ﷺ إلى أيامنا هذه- بدرجات متعددة من القوة والضعف. والملاحظ أنه كلما كان الحوار بين وجهات النظر والعقائد المختلفة أنشط وأقوى، كانت الدولة الإسلامية أقوى.

١١- إن التزام عقائد الآباء والأجداد والأساتذة وآرائهم- ولو تناقضت مع الدليلين العقلي والنقلي- هو من أهم أسباب فشل المقصود من الحوار وعدم الوصول إلى الحقيقة.

ولذلك، قال ابن تيمية- رحمه الله- في مسألة خلاف رأي: "أحب فلاناً والحق ما اجتمعا؛ فإن افترقا، كان الحق أحب إليَّ من فلان"(١).

١٢- إن وحدة الحق وتفردَّه لا يعني أن الطريق إليه واحدة، ولا يعني أن التعبير عنه يكون بأسلوب واحد. ولذلك، فإن التعدد في الوسائل والأساليب- التي لا تمسُّ بجوهر الحقيقة أو تشوهها- ليس مرفوضاً دائماً.

إني آمل أن نلتزم- جميعنا- بقوله سبحانه: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ**...﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران]، وأن نتخذ من القرآن العظيم نبراساً لجمع كلمتنا ووحدتنا..

(١) المفصل في فقه الدعوة، الباب ١١: كشكول الدعوة إلى الله (٩/ ١٦).

ثانياً

الدراسة والتحليل

(لما ورد في فصل الوحدة الإسلامية)

الوحدة عزّة الأمة الإسلامية ...

وأطياف التعصب أحجار عثرة...

- **الصراع المذهبي: تشخيص الداء وتعيين أسبابه**
  - مناحي الآثار السلبية في تمزيق أوصال الأمة
- **الحلول ومحاور التقريب**
  - هو سماكم المسلمين من قبل.
  - سيرة نبينا في توحيد الأمة خير أسوة.
  - تاريخنا وقصص مشرقة .
  - إحياء ذكرى عام الجماعة سنوياً .
- **قواعد أخلاقية وفكرية للمّ الشمل ووحدة الصف**
  - تصحيح الخطأ خير من التمادي فيه.
  - أدب الحوار .
  - أدب الاختلاف.
  - الاختلاف في الرأي لا يفسد للودِ قضية.
  - الحفاظ على الجماعة مقدَّم على الرأي والاجتهاد.
  - تشارك فكري كتابي بين ألوان الطيف.
  - متطلّبات الوحدة في مناحي الحياة.
- **الدعوة إلى الوحدة الإسلامية وهم أم حقيقة؟!**

- توفّر بذور الوحدة ومقوماتها في العالم الإسلامي .
- سورية أنموذجاً.
- التقارب أضعف الإيمان والوحدة أسماهُ.
- قوة العالم الإسلامي في وحدته.
- العالم الغربي ودراسة مقارنة.
- البشارة، والنصف الآخر من طريق التقريب.

- **المجتمع فاعليات ومسؤوليات**
  - مجمع العلاّمة الشيخ أحمد كفتارو وهموم الأمة.
  - إرادة سياسية وجهود عُلُمائية.
  - مجلس من الفاعليات في المجتمع الإسلامي .
  - تنشئة أجيال بوعي جديد .
- **وصيته: قضية عظيمة ومسؤولية عظمى**

الوحدة عزّة الأمة الإسلامية ...

وأطياف التعصب أحجار عثرة...

انطلاقاً من التوجيهات القرآنية والنبوية، يشمر سماحته- رحمه الله تعالى- عن ساعد الجد والعمل، وينشر أفكاره المنفتحة على الآخر في الدين الواحد، التي تحث على التمسك بتوجيهات الله ورسوله ﷺ.. في الوحدة والتعاون، ونبذ الشقاق والتفرقة، التي هي واقع المجتمع الإسلامي في الحاضر. ويطرح سماحته محاور في أسباب هذا الداء، وفي مثالبه ومظاهره الخطرة في مختلف الصعد، ويقدم مقترحات وتوصيات لمعالجة هذه القضية الشائكة وصولاً إلى الوحدة الإسلامية.. وهي أعظم هدف من أهداف الأمة. لقد أراد- في جميع محاضراته ومساعيه في مشارق العالم ومغاربه- أن يعمق أفكار الوحدة في عقول أفراد المجتمع الإسلامي ونفوسهم، كي يصير سلوكاً وتطبيقاً معيشاً في طريقهم إلى العزة والنصر والسؤدد ودعوة الخير والفلاح، التي رسمها الله لأتباع هذه الرسالة المنـــزلة.

■ الصراع المذهبي: تشخيص الداء وتعيين أسبابه

فالتعصب المذهبي مرض يشخصه سماحته في جانبين: فكري وأخلاقي، ويبيّن ضرورة إيجاد الدواء لكلا الشقّين وإمكان تحقيق ذلك.

فالداء يكمن في تزييف الفكر وتشويه الأخلاق. ويلخص سماحته الأسباب الفكرية في العصبية بكل أطيافها، ومنها التعصب المذهبي. ويرى أن أهم دوافع التعصب: ترك التعاليم القويمة للدين الإسلامي، واستغلال الاستعمار ذلك التعصب وتناحر المسلمين.. وقيامه بنشر بذور الفرقة في أمتنا. ولذا ينبِّه سماحته إلى خطورة استخدام الخلاف المذهبي للغايات السياسية.

ومن الأسباب- التي يراها سماحته- أيضاً: الجهل، وسوء الظن بالآخر، وإلقاء الأحكام جزافاً.. نتيجة رواسب قديمة.. مصدرها الإشاعات والمبالغات.

- **مناحي الآثار السلبية في تمزيق أوصال الأمة:**

ويصور سماحته- تحت هذا العنوان- بشاعة التناحر بين المذاهب وأثره السيئ في مجتمعاتنا، ويعدد آثاره السلبية اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً، ويبيَّن أهمية إزالتها في الطريق إلى وحدة الأمة الإسلامية.

- **الحلول ومحاور التقريب**

ويلخص سماحته أفكاره- حول التقريب والوحدة- في عرضه محاور واقعية عدة، مستمدة من الفهم الدقيق للكتاب والسيرة والتاريخ؛ ثم يُظهر موقف الإسلام من العصبية والتعصب؛ وعظمة شرعنا في محاربتها، والعمل على تقويضها، والقيام بما يئدها في مهدها.

ويؤكد سماحته وجود ترياقات ناجعة، تعتمد أسساً ومبادئ فكرية وأخلاقية شاملة وواقعية تناسب الداء؛ وأما الدواء فلا ينبغي أن يكون معالجةً عَرَضية أو مؤقتةً؛ فالترياق- الذي نريده هنا- هو معالجة لخطأ مضى، ثم هو وقاية من وقوعه مرة أخرى. وهذه الأسس- التي يوضحها سماحته- هي ضرورة إسلامية، ولا أحد يستطيع الاستغناء عن واحدة منها ما دام يريد الوحدة والتقارب.

○ هو سماكم المسلمين من قبل:

إن الإسلام جاء ليجمع، فوا عجباً لمن يريد أن يلصق بالمسلمين تسميات ما أنزل الله بها من سلطان، وما ذاك إلا ليفرق بين أناس جمعهم الله في دين واحد وبمسمى واحد؛ ثم ليتناحروا ويتقاتلوا، وكلهم يشهد: الله ربي، والإسلام ديني، والقرآن كتابي، ومحمد ﷺ رسولي ونبيي!! .

○ سيرة نبينا في توحيد الأمة خير أسوة:

ويختار سماحته السيرة النبوية عاملاً قوياً في تعميق مفهوم الوحدة؛ إذ لا يختلف اثنان- من أبناء الأمة الإسلامية- على أن عهد النبوة كان خالياً من التمزق والفرقة؛ بل على العكس تماماً، فقد كان أنموذجاً عملياً ساحراً في بناء الأخوة والوحدة بين أفراد ذلك المجتمع العربي، الذي عانى فرقة موروثة مديدة الزمن.

وينبَّه سماحته إلى وجود رغبة عارمة بين المسلمين- اليوم- في العودة إلى التآخي والتآلف، الذي عاشه المسلمون في زمن النبوة. ولذا، يوجه دعوة إلى العلماء المخلصين- في العالم الإسلامي كافة- إلى توعية من وراءهم- على مختلف مذاهبهم- للاقتداء بالنبي ﷺ في بناء الوحدة والتآخي، على الرغم من الموروث القديم في الفرقة. ففي السيرة دلالة على أن لا مستحيل في جمع الصف، على الرغم من الظروف الصعبة...

وكذلك يطالب سماحته العلماء المتنورين من المذاهب الإسلامية بالاجتماع على كتابة السيرة النبوية على نحو يحقق الوحدة، ويسهم في تنشئة أجيال تؤمن بالإخاء وفهم الآخر من المسلمين.

- **تاريخنا وقصص مشرقة :**

ويبين سماحته سمة الوحدة في المجتمع الإسلامي في الماضي وفي الحاضر، في مقارنةٍ مؤلمة حافزة. ففي الماضي، لم تكن الوحدة خيالاً، بل تجسدت على أساس رائع دائم، لم يعتمد الجغرافية أو الاقتصاد.. أو النسب والحسب..، وإنما الأخوة الإيمانية، ومحور التفاضل والتمايز في هذه الأخوة العمل والتقوى.

وواقع الحال على مر التاريخ، أفرز- في العالم عامة، وفي عالمنا الإسلامي خاصة- مذاهب وفرقاً وآراء وتنوعاً واختلافاً. ولقد كان ذلك في أحسن العصور ومع كبار الرجال.. في عهد الصحابة والسلف الصالح، لا لعلة فيهم، بل لأن طبيعة البشر جُبِلَت على التنوع.. وكان هذا فيهم ميزة جعلتهم يرقون في الفكر والحضارة، على الرغم من اجتهاداتهم المختلفة. وعلى جميع المسلمين- اليوم- الاقتداء بهم، وبمنهجهم في التعامل مع هذه المسألة الجوهرية في الاختلاف بأشكاله كلها.

ولم يخفِ سماحته أنه عاشت الأمة- استثناءً- مرحلة عانت فيها القمع الفكري متمثلاً في المعتزلة، وعدم الاعتراف بالآخر متمثلاً في الخوارج؛ وما ذلك إلا لأن النفوس والعقول لم تكن حينذاك على المستوى الذي عاشه سلفنا في غير تلك المرحلة.

ولكن أكثر ما في تاريخنا تلك الصور المشرقة، كما فعل سيدنا علي مع إسحاق بن طلحة، وعلي بن الحسين مع الرجل الطاعن في بعض الصحابة.

- **إحياء ذكرى عام الجماعة سنوياً:**

لقد كثرت مع ظاهرة الخلافات السياسية والفكرية الصور التاريخية المشرقة، التي أعطى سماحته مثالاً مطولاً عنها عندما ذكر عام الجماعة.. وما فعله الإمام الحسن بن علي مع معاوية. وكأن سماحته يدعو جميع العقلاء إلى نبذ نشاطات المتعصبين جميعها، ليس بالحرب والخصام.. بل بإبراز الصور المشرقة.. فالنهار يغلب الليل مهما طال. وما أعظمها من دعوة، عندما طالب سماحته العالم الإسلامي كله بأن يحيوا ذكرى عام الجماعة كل سنة وفاء للإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما، الذي جمع الأمة وحماها من التفرق والاقتتال، لتبقى ذاكرة المسلمين حيَّة بالإخاء والتعاون. وعندما يمتلئ الإناء بالخير، فلن يجد مكاناً للشر يَحِلُّ فيه. وإذا فعلنا ذلك، كنا أوفياء مع سلفنا الصالح، أمثال الإمام **علي** بن الحسين.. الذي تبرأ ممن يسب بعض الصحابة. فهلا اقتدينا به وبأمثاله.. أم إننا ندّعي الوصال معهم لأجل الانتساب فقط والتفرق، لا للاتباع وتنفيذ وصاياهم والتخلق بأخلاقهم الحميدة الجامعة؟!.

■ قواعد أخلاقية وفكرية للمّ الشمل ووحدة الصف

ولقد بَيَّن سماحته منهج السلف في وحدة الصف مع الاجتهادات الفكرية والاختلافات المذهبية، وهو قواعد من البساطة بمكان. ولكن السر لا يكمن في وضع الآليات، وإنما في شخصيات من يطبق هذه الآليات. فعندما كانت النفوس والعقول واعية وحضارية ومُزَكَّاة، استطاعت الأمة أن تعيش حياة الإخاء والتسامح، على الرغم من اختلاف الرأي وتباين الفكر.

○ تصحيح الخطأ خير من التمادي فيه:

وعندما يتحدث سماحته عن الأسباب التاريخية في فرقة الأمة اليوم، يوجه المسلمين- بكل فاعلياتهم- إلى العمل على تجاوز الماضي في أخطائه.. والاستفادة منه في إشراقاته الداعية إلى الوحدة والتعاون. وينوّه إلى خطورة ما يفعله بعضهم من إصرار على إلقاء الضوء على الأخطاء القليلة الماضية.. والتغافل عن الإيجابيات الكبيرة لدى علماء مذاهبنا، منها: تعاونهم.. واحترامهم للآخر.. ووقوفهم مع الحق مقابل آرائهم؛ ثم يتساءل سماحته: أليس هذا ظلماً لتاريخنا وعلمائنا السابقين؟!

نعم، لقد ظهرت أخطاء بين أبناء الدين الإسلامي، ولعل أصعبها التفرق بحجة اختلاف الرأي والمذهب! ولكن ألا يجدر بأولي الأبصار أن

ينوِّروا أبناء مجتمعهم، ويصححوا الخطأ، ويتحملوا مسؤولية عودة الوحدة الإسلامية؟! فلِم نجعل اختلاف الفكر خلافاً؟! ولِم ننسَ أخلاقنا القرآنية، ونصاب بالغرور وحب الذات والأنانية والتعصب الأعمى؟!.

- **أدب الحوار :**

ويبين سماحته أهمية الحوار بفكرة مؤداها أن البيان الإلهي استعمل الحوار مع خلق الله، على الرغم من أن الأمر والنهي بيده جل شأنه. وما ذلك إلا تأديباً لخلقه.. وتعليماً لهم، ولكن هل من مجيب؟! هل من ملتزم بآية قرآنية كريمة تلخص مفهوم أدب الحوار.. ﴿ .. **وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ....﴿٩٤﴾** ﴾ [سورة النساء]؟!.

ولعل أهم ما في أدب الحوار الإخلاص لله عند الحوار مع الآخر، فالأنانية البغيضة تعمي القلوب والعقول.

- **أدب الاختلاف:**

ويوجه سماحته إلى العمل على اجتناب الفتنة والفرقة، من خلال الحب.. والتعاون.. وتعلم آداب الاختلاف. ولذا، يركز سماحته- من خلال طروحه في محاضراته ومجالسه وحواراته- على جعل الاختلاف ضمن حدوده العلمية، فلا يتطور هذا الاختلاف ليفسد بين المسلمين.. ويخرب تعايشهم.. وينشر البغض والشقاق.

- **الاختلاف في الرأي لا يفسد للودِ قضية**

وهذا الشعار هو مضمون حلقة من حلقات الوحدة الإسلامية؛ لأن الوحدة لا تعني أنه لن يوجد آراء ووجهات نظر، ولكن لا بد من وضع أسس وآلياتٍ تحكم طريقة التعامل مع هذه الآراء..

ويقرر سماحته حقيقةً في هذا الكون، ألا وهي: "خَلَق الله الناس ورؤاهم مختلفة بالفطرة، وإن كان سبحانه خَلَقهم من نفس واحدة".

- **الحفاظ على الجماعة مقدَّم على الرأي والاجتهاد:**

ولعل أهم ما في هذا الإطار الفكري أن يفهم أصحاب المذاهب أن وحدة الحق لا تعني صب الناس في قوالب جامدة، وجعلهم يسيرون على سكة واحدة؛ فالوسيلة تتعدد وإن كان الهدف موحداً.

فالمفهوم الحقيقي للتقريب والوحدة- كما يشرحه سماحته- يطمئن جميع الاتجاهات والمدارك؛ فأمتنا تفخر بغناها الفكري، ولكن لنجعل هذا الغنى نعمة لا نقمة؛ فهو نقمة عندما يكون الفكر أداة للتمزق والتفرق.

إن التقريب لا يعني هدم المذاهب الفقهية وآلية الاجتهاد، الذي يثمر ثروة فكرية عظيمة.. والتقريب لا يكون بفرض مذهب واحد بالقوة والسياسة، والحفاظ على الجماعة مقدم على الرأي والاجتهاد.

- **تشارك فكري كتابي بين ألوان الطيف:**

وينبه سماحته إلى ضرورة التشمير عن السواعد، وترك المجاملات، والقيام بأعمال كتابية مشتركة، تتمثل في:

١- استخراج الكتابات القيمة من كل مذهب، والتي تؤكد الإخاء.. وتحترم أئمة المذهب الآخر.

٢- العمل على نشر الأفكار المضيئة، التي تبين عظمة الإسلام ديناً واحداً.. وتظهر فضله على كل مذهب ابتداءً.

٣- تنظيف كتب التراث مما يفرق، وصياغتها على أساس المصلحة الإسلامية.

- **متطلبّات الوحدة في مناحي الحياة:**

١- في المجال الاجتماعي، يؤكد سماحته ضرورة الصبر والإرادة لقطع أشواط متقدمة في مسار الوحدة.

٢- وفي المجال الثقافي، يُلقي الضوء على أهمية كسر الحواجز وتحطيم عقدة الوهم من الجانب الآخر.

٣- وفي المجال الاقتصادي، يُظهر أهمية توجيه الأموال في مسارها السليم إلى وحدة الأمة، بدلاً من توجيهها في مسالك طائفية.

- **الدعوة إلى الوحدة الإسلامية وهم أم حقيقة؟!**

وهذا هو السؤال الذي يريد سماحته أن يجيب عنه ضمن سلسلة محاضرات الوحدة الإسلامية في هذا الفصل.. ويبرهن بالأدلة النقلية والتاريخية والعقلية على إمكان اتحاد العالم الإسلامي، على الرغم من اجتهاداته وتنوع أطيافه.

- **توفّر بذور الوحدة ومقوماتها في العالم الإسلامي:**

لا أحد يستطيع القضاء على بذور الوحدة ومقوماتها، لأن هذا الدين الخالد أرسى في قلوب المسلمين وعقولهم معاني الوحدة؛ فعبادتهم في طقوسها واحدة.. وهي لله الواحد.. وتشريعات دينهم ضامنة للعمل الواحد ضمن المجتمع الإسلامي، ولو كان مع غير المسلم. وهذه القيم الراسخة في الجنان والألباب تعزِّز من قيام الوحدة في الحاضر كما كانت في الماضي.

ولذا، يدعو سماحته إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة، والتصحيح يكون بقراءة سليمة للتاريخ الإسلامي ولمقاصد التشريع على نحو لا يبقي للمشككين أي مجال لزرع الوهم بعدم قدرة العالم الإسلامي على الوحدة.

فالقراءة السليمة تبين توفّر جذور الوحدة في العالم الإسلامي، وإنها جذور عملية وواقعية.. لا أفلاطونية وهمية، ولعل أهمها الاتفاق على أصول الدين في جميع المذاهب.

- **سورية أنموذجاً:**

ويبين سماحته أهمية عقد اللقاءات التوحيدية في سورية، البلد التاريخي الذي عاش- ولا يزال- الإخاء الإنساني، على الرغم من وجود المذاهب فيه. وفي هذا الشاهد دليل عملي على حقيقة الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، لا وهمها واستحالتها التي يرددها المشككون.

- **التقارب أضعف الإيمان والوحدة أسماهُ:**

وكذلك يخاطب سماحته المجتمعات الإسلامية بحكمة وحزم، عندما يرفض أضعف الإيمان- وهو **التقارب**- ما دمنا قادرين على تحقيق أقوى الإيمان وهو **الوحدة**، ويعَلّل ذلك بوضوح وواقعية.. فالإسلام قرّبنا منذ زمن، والآن وقت الوحدة والتكامل.

- **قوة العالم الإسلامي في وحدته:**

ويلفت سماحته نظر الجميع إلى حقيقة مهمة، تُعَلِّل سبب المسارعة إلى القيام بالوحدة، ألا وهي تشوق دعاة الحق إلى قيام قوة إسلامية تكافئ

القوى المستحكمة في إرادة العالم الجديد.. وتلك القوة تعني قيام الوحدة الإسلامية.. التي هي عنصر قوة للعالم الإسلامي.. يقول تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران].. ويقول تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة الأنفال].

○ العالم الغربي ودراسةٌ مقارنة :

ويقوم سماحته بعرض مفارقة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي في أمر الوحدة؛ إذ يأبى الأول الوحدة، على الرغم من توفّر مقوماتها.. ويقوم الآخر بها، على الرغم من عدم توفّر هذه المقومات فيه؛ ما يجعل العاقل المؤمن يفكر بجدية للعمل على نزع أسباب الفرقة وزرع أمل الوحدة في نفوس المسلمين وعقولهم.

○ البشارة، والنصف الآخر من طريق التقريب:

ويبشِّر سماحته أن التعصب إلى زوال، لا سيما بعد الانتهاء من النصف الأول من طريق التقريب والوحدة.. إذ جرى الانتهاء من التعصب بين المذاهب الأربعة؛ وأما النصف الآخر من هذه الطريق-

وهو بين السنة والشيعة، والسلفية والصوفية- فهو لا يزال همَّ العالم الإسلامي، ويحتاج إلى فكر ناضج وإخلاص، من العلماء خاصة والمسلمين عامة.. وإلى نبذٍ للأفكار البالية، التي تبتعد كل البعد عن روح الإسلام وتشريعه.. ولا سيما فكرة إلغاء الآخر، وترسيخ الحوار والتناصح والتفاهم بدلاً من ذلك.

- **المجتمع فاعليات ومسؤوليات:**

ويعرض سماحته أهمية معرفة كل مستوى من مستويات المجتمع مسؤولياته تجاه الوحدة الإسلامية فلا يجوز لطرف إلقاء المسؤولية على عاتق الآخر.

- **مجْمع العلاّمة الشيخ أحمد كفتارو وهموم الأمة:**

وكذلك يفعَل المجمع، الذي أسسه سماحته، حتى صار بيت كل الداعين إلى وحدة الأمة. ولقد عمل سماحته طوال عمره الدَّعَوي على هذا.

- **إرادة سياسية وجهود عُلُمائية:**

ويركز سماحته على وجوب أن يبذل كل عالم وداعية جهده وحياته في مسعى توحيد الأمة؛ ثم يوضح أن قيام الوحدة يحتاج إلى إرادة سياسية، تتضافر مع جهود علماء الفكر والدعوة في توجيه المجتمع

نحو نبذ جميع أشكال التمزق والشقاق.. والبحث عن روابط التعاون الفكري الجامعة.

ولهذا يجب على الأمة أن تنتقي خيرة زعاماتها وعلمائها من جميع المذاهب ممن يكونون على درجة عالية من المسؤولية والوعي، ليتساندوا في وأد الفتن. فنحن- اليوم- لا نعيش أزمة مبادئ وأفكار في توحيد الأمة، بل نعيش أزمة وجود رجال حضاريين وصل مستواهم من النواحي الفكرية والنفسية والروحية إلى مستوى ذاك السلف المستنير المضحي. فإذا ما استطاع رجال الفكر والدعوة الرقي بأحوالهم.. ثم الرقي بمن معهم، وصل الجميع- في عالمنا الإسلامي- إلى المرحلة التنفيذية المنشودة في الوحدة والقوة والتبليغ والنصر.

- **مجلس من الفاعليات في المجتمع الإسلامي :**

ثم ينحو سماحته إلى الارتقاء بدعوته إلى الوحدة لتشمل فاعليات المجتمع الإسلامي كافة.. في مجلس يضم ساسة واقتصاديين وإعلاميين وعلماء ومفكرين.. كل على حسب موقعه، إلى القيام بواجبهم متآزرين معاً في التوعية والعمل المثمر للعودة إلى منهج القرآن في التقريب والوحدة والتعاون، الذي يعود بالنفع على كل فريق على السواء، ومن ثم على جميع الأمة.

- **تنشئة أجيال بوعي جديد :**

ويركز سماحته على الشباب، الذي ينبغي رعايته بأمانة وإخلاص، لينشأ جيلٌ جديد بعيد عن التعصب والتفرق، وإلا وقعنا في دوامة الجاهلية.

■ وصيته: قضية عظيمة ومسؤولية عظمى

وفي الختام، ينبه سماحته إلى عدم الغفلة مطلقاً عن العقبة الكأداء في وجه نداء وحدة الأمة، العقبة المتمثلة في التعصب المذهبي، الذي يقوم بتغذيته في عقول أبناء المسلمين أسرى الماضي بسلبياته.. الغافلين عن صوره المشرقة.

ويلقي سماحته بالمسؤولية على أهل الشأن في عدم الاكتراث بدعوات التيارات المظلمة في كل مذهب وأبواقها الناعقة، والعمل على وأد فتنهم وأفكارهم وكتبهم التي تدعو إلى التفرقة. فاليقظة والانتباه إليهم، مع العمل على اغتنام الأمل.. الذي في قلوب الناس.. وتنميته وتطويره، هما الحل لاستدامة العمل على بناء الوحدة والإخاء في المجتمعات المسلمة..



الفصل الثاني

الإسلام والقضايا الوطنية والسياسية

أولاً: الأفكار والنصوص

المبحث الأول: نداء القدس.

المبحث الثاني: نداء للعالمين الإسلامي والمسيحي من أجل القدس.

المبحث الثالث: القدس محور السلام.

المبحث الرابع: واقع العالم الإسلامي اليوم وما يجب أن يُعمل لإعادته إلى أمجاده.

المبحث الخامس: الأسلوب الأمثل للخروج من أزمة التطرف الديني.

المبحث السادس: رسالة مفتوحة إلى ملوك ورؤساء بلدان العالم الإسلامي.

- **كلمات وحوارات**

١- واقع الأمة الإسلامية: مشكلات وحلول.

٢- الجهاد والكفاح التحريري والعنف غير المشروع.

٣- العنف في الجزائر.

٤- موقف الإسلام من التطبيع مع الكيان الإسرائيلي ومن العمليات الاستشهادية.

٥- رد سماحته على الدعوة الموجهة إليه للقاء الحاخام الأكبر في الكيان الإسرائيلي.

٦- كلمة سماحته بمناسبة زيارة وفد حركة حماس- برئاسة المجاهد الشيخ أحمد ياسين- مجمعَ الشيخ أحمد كفتارو بدمشق.

- **بيانات**

١- بيان المؤتمر الشعبي المنعقد في جامع يلبغا لنصرة الشعب الجزائري المسلم.

٢- بيان موجه إلى السفارة الأمريكية استنكاراً للعدوان الثلاثي على مصر .

٣- بيان بمناسبة قيام انتفاضة القدس رداً على فتح نفق تحت المسجد الأقصى.

٤- بيان رداً على بناء المستوطنات في القدس.

٥- بيان استنكاراً للمجازر والعنف على أرض الجزائر المسلمة.

٦- بيان رداً على الاعتداء على السياح الأجانب والمصريين في مدينة الأقصر.

٧- بيان رداً على التحضير الأمريكي البريطاني للعدوان على الشعب العراقي.

٨- بيان بمناسبة مرور خمسين عاماً على نكبة الشعب الفلسطيني وتشريده.

ثانياً: الدراسة والتحليل

المبحث الأول

نـداء الـقـدس[1]

(١) خطاب مرتجل لسماحته، بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج في حرم المسجد الأقصى، المنعقد في القدس الشريف في فلسطين، في ٢٧ رجب ١٣٨٥هـ / ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٥م.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- سيدنا عمر أعلن من مدينة القدس: أننا قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما نرد العزة بغيره يذلنا الله.

٢- بكاؤنا على فلسطين والأندلس يجب أن يسبقه تحسرنا على ضياع الأغلى، وهو الإسلام.

٣- أعداء الإسلام لا يحاربون المسلمين في شخوصهم فقط، بل يحاربون الإسلام عقيدة وتربية وأخلاقاً.

٤- المسلمون مستقلون صورةً ومستعمرون قلباً وفكراً وأخلاقاً.

٥- رؤساء العرب وحكامهم مسؤولون عن فلسطين. وما لم يحملوا رسالة الإسلام معتزين بها، فليس لفلسطين منا إلا البكاء.

٦- بلاد العرب لم تحررها العروبة والقومية، بل الإسلام وحده.. الذي اتخذه الحكام الأولون منهجاً وسلوكاً.

٧- لن تدوم العروش لرؤساء العرب وملوكهم، وغداً سيسألون عن ضياع الأقصى وعن إهمال العمل بتشريع الإسلام.

٨- جميع الشعوب متطلعة لرؤساء العرب وملوكهم ليقودوهم إلى العزة والتقدّم بالإسلام. ويكفيهم أن الإسلام جعل مئات الملايين من أبناء الشعوب غير العربية تهتم بأمر فلسطين.

٩- الافتخار بالوليد والرشيد لا يكون بالشعارات، وإنما بسلوك الدستور الذي كانا يحكمان به.

١٠- من يتولَّ عن الإسلام، يتوعده الله أن يستبدل به. ونحن لا نيئّس، فالنبي ﷺ بشر بآخر هذه الأمة.

١١- الإسلام دين الجهاد والحضارة والتربية والوحدة والتعاون. فلِمَ يا ملوك العرب ورؤساءهم لا تلتزمون بتعاليمه وهو سر عزتكم؟

* * * * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص الخطاب المرتجل

لا يخفى- على من قرأ تاريخ الإسلام- أن سيدنا **عمر** ﷺ- لما أتى القدس.. هذه البلدة المقدسة.. لفتحها- اعترضته مخاضة من طين، فنزل عن جمله، وأمسك نعليه بيديه، وشمّر عن ساقيه، وخاض الطين على مرأى من قواد الرومان المستعمرين، **فقال** له القائد العام **أبو عبيدة**: ما هذا يا أمير المؤمنين، والأعداء يروننا؟ فجمع عمر يده، ودفعها في صدر أبي عبيدة قائلاً: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما نرد العزة بغيره يُذلنا الله"(١).

الآن، نبكي على فلسطين وتشريد أبنائها، ومن قبل بكينا على ضياع الأندلس وتشريد أهله، وقد ضاع منا ما هو أعز من فلسطين وأعز من الأندلس، لقد ضاع منا الإسلام، ونحن الذين أضعناه، حتى حيل بيننا وبين الإسلام، وعزة الإسلام، وكرامة وانتصارات الإسلام.

(١) البداية والنهاية، فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب ﷺ (٧/ ٦٠).

لقد كان الصليبيون يحاربون المسلمين في الزمن الماضي؛ وأما في عصرنا الحاضر فإنهم يحاربون المسلمين، ويحاربون عقيدة الإسلام.. وأخلاق الإسلام. ويا ليت عدو الإسلام الصليبيون فقط، وإنما اجتمع على الإسلام في هذا العصر الصليبيون والشيوعيون والصهيونية العالمية.

إن المسلمين- في بلاد الإسلام- أسرى لرسالات الاستعمار؛ فالمسلمون مستقلون صورة، ولكنهم مستعمرون قلباً وفكراً وأخلاقاً وميولاً وأهواءً.

أيها المسلمون، عرباً وعجماً:

إن المسؤولية عن ضياع فلسطين- في ساعتنا الحاضرة- إنما يتحملها ملوك العرب ورؤساء العرب.. وما لم يحملوا رسالة الإسلام معتزين بها، ورافعي الرؤوس بعظمتها، من غير خوف ولا وجل، فليس لفلسطين منا- والحال هذه- إلا الدموع والآهات، والعويل والحسرات، شأن الأطفال وشأن النساء النائحات.

لقد كانت بلاد العرب مجزأة بين دول الحبشة والفرس والرومان، فهل الذي حررها العرب أو القومية؟ لا يا سادة، إن الذي حرر البلاد العربية إنما الإسلام. ومن الذي وَحَّد العرب؟ إن الذي وحّدهم إنما الإسلام. فهذا عُمر- الذي ما ولدت النساء.. بعد

النبي ﷺ والصديق.. مثله، وقد عرف قدره الأعداء قبل المسلمين- يقول: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما نرد العزة بغيره يُذلنا الله". وإن هذا القول لم يقله عمر وحده، بل قاله: عثمان، وعلي، وخلفاء بني أمية، والخلفاء العباسيون، وقاله: ملوك المماليك، والعثمانيون، بل قاله: التاريخ، بل قالته: الأرض والسماء.

ولما كان المسلمون- ساستهم ورجال دولتهم- يأخذون القرآن بأيمانهم، والإسلام في قلوبهم، ويرفعون رؤوسهم به، كان الله يرفع شأنهم ويعزهم وينصرهم. فالملك المظفر قطز التركي (٦٥٧هـ)- الذي أتى من مصر ليجابه الجيوش المغولية التترية، التي مزقت العالم الإسلامي وطحنت دوله- هو الذي هزم- بالإسلام وبالإسلام وحده- الجحافل المغولية التترية! وهذا هو صلاح الدين الكردي (٥٣٢هـ)- وقبله نور الدين التركي (٥١١هـ)؛ لم يصدَّا هجمات المستعمرين الصليبيين في قرنين عن بلاد العرب بالقومية والجنسية العربية، وإنما صدَّا الصليبيين وهزماهم بالإسلام، وبالإسلام وحده.

إن العرب والمسلمين لم يكُن واحدهم- في ذلك الوقت- يقول: "إنه عربي أو كردي أو تركي"، وإنما كانت جنسية العرب والمسلمين جميعاً الإسلام وحده.. ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة المائدة].

يا ملوك العرب، يا رؤساء العرب:

إن في أعناقكم ضياع فلسطين، وإن التاريخ سيسجل عليكم ذلك. إن ملككم ورئاستكم لا تدوم لكم، وإن أعمالكم لمسجلة عليكم عند الله، وقريباً ستنـــزلون عن عروشكم إلى نعوشكم، وعن قصوركم إلى قبوركم، وستقفون مكتوفي الأيدي بين يدي جبار السماوات والأرض، وسيسألكم عن ضياع المسجد الأقصى[1]، وعن ضعف الإسلام، وعن إهمال العمل بتشريع الإسلام.

يا ملوك العرب، يا رؤساء العرب:

هل سمعتم **قول النبي** ﷺ: «الإسلام والسلطان أخوان، لا يصلح واحدٌ منهما إلا بصاحبه، فالإسلام أمين، والسلطان حارس، وما لا أمين له مُنهدم، وما لا حارس له ضائع»[2]؟ إن ٧٠٠ مليون مسلم[3] ينظرون إليكم نظرة الجندي والجيش إلى قائده. إن الشعوب المسلمة- في مشارق الأرض ومغاربها- لتتطلع إليكم، لتقودوها إلى العزة والتقدم بالإسلام، الإسلام الذي جعل لكم- بفضله- عشرات الشعوب ومئات

(١) هذه خطبة سماحة الشيخ من على منبر الأقصى في عام ١٩٦٥، وكان يتوقع ضياع المسجد الأقصى إن لم نحرك ساكناً.. وقد ضاع الأقصى.. لما احتله الصهاينة في عام ١٩٦٧.

(٢) أخرجه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما، باب الهمزة، فصل في الإسلام، برقم ٣٩٦.

(٣) صاروا- اليوم- قرابة المليار ونصف المليار.

الملايين إخوةً وأشقاء، وهم يبكون على ضياع فلسطين بالدماء والدموع.. ويفدونها بالمهج والأرواح.

فيا رؤساء العرب، يا ملوك العرب:

اذكروا أن الحياة فانية، والملك مؤقت، واقتدوا بآبائكم وأجدادكم: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي.

أيها العرب:

عندما نرفع الرأس عالياً، فبمن نعتز وبمن نفخر؟ إننا نقول: "فمنا الوليد ومنا الرشيد"، فهل تدرون ماذا كان تشريع الوليد؟ وماذا كان دستور الرشيد؟ وبماذا كانا يعتزان؟ وبأي تشريع كانا يحكمان؟ لقد كانا وأمثالهما جميعاً يحكمون بالقرآن، ويعتزون بالإسلام. ولما أعزوا دين الله أعزهم الله، ولما نصروا الإسلام نصرهم الله، وما نحن وهم إلا كما قال الشاعر:

قد حوى القرآن نوراً وهدى ... فعصى القرآن من لا يعقل
قل لقوم نبذوا أحكامه ... ما لكم مما نبذتم بدل
فاسألوا التاريخ عن قرآنكم ... يوم ضاءت بسناه السبل
فكأن الكون أفق أنتم ... فيه بدر كامل لا يأفل
وكأن الكون فيكم روضة ... وعلى الأغصان أنتم بلبل

أيها المسلمون..

لا تقنطوا، وأبشروا، **فنبيكم** ﷺ **يقول**: «خيار أمتي أولها وآخرها، وبين ذلك ثَبَجٌ أعوج، ليسوا مني ولست منهم»[1].

فيا رؤساء العرب وملوكهم:

إن تتولّوا عن الإسلام فإن الله يقول: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [سورة محمد]. وما الإسلام؟ الإسلام دين الثقافة والمعرفة، دين الجهاد والتضحية، دين الصناعة والزراعة والعلوم، دين الأخلاق والعقيدة والإيمان، دين الوحدة والتعاون على البر والتقوى.

فأسأل الله العظيم- ببركة هذه الليلة المباركة[2]- أن يلهم رؤساءنا وملوكنا أن يتقوا الله في دينهم، أن يتقوا الله في إسلامهم، وأن يفكروا ليكونوا خلفاء أبي بكر وعمر، ونواب نور الدين وصلاح الدين. وإني لعلى يقين أنه عندما يرى الصهاينة رجوع المسلمين إلى إسلامهم- علماً،

(١) أخرجه أبو نعيم- في معرفة الصحابة- عن عبد الله بن السعدي رضي الله عنه، باب السين، برقم ٣٧١؛ وهو ضعيف، وقد جاء في هذا الباب بطرق مختلفة [انظر: عقد الدرر في أخبار المنتظر لابن علي المقدسي (١/ ٢٤)]. والثبج: الوسط.

(٢) أي: ليلة الإسراء والمعراج.

وعملاً، وفهماً، وتنفيذاً- فإنهم سينسحبون من فلسطين؛ لأنهم يعرفون ما الإسلام، وأخلاق الإسلام، وما تلكم الأخلاق.

وختاماً، قولوا: آمين. اللهم ببركة هذه الليلة الكريمة، وببركة مسرى رسول الله ﷺ ومعراجه، أسألك يا الله! أن ترد المسلمين جميعاً إلى صراطك رداً جميلاً. أسأل الله العظيم ربّ العرش الكريم أن يلهم ملوك المسلمين والعرب أن يكونوا مسلمين في حكمهم وملكهم ودولتهم.

* * * * *

المبحث الثاني

نداء للعالَمَين الإسلامي والمسيحي

من أجل القدس[1]

(١) كلمة سماحته، التي ألقاها في المؤتمر الإسلامي المسيحي الخاص بمدينة القدس، المنعقد في بيروت من ١٤ إلى ١٦/ ٦/ ١٩٩٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- موقف المسلمين من قضية القدس:

أ- هي قضية شاملة ترمز إلى حقيقة الإيمان بالله ورسالاته، وإلى تسلسل الرسل، وإلى مسؤوليتنا بجعلها مدينة مفتوحة للعبادة.

ب - هي مدينة عربية قبل هجرة سيدنا إبراهيم إليها. ولذا، نعَدّها عاصمة للدولة الفلسطينية العربية.

ج- قدسية مقدساتها تنبع من تعظيم المسلمين لجميع الرسالات السماوية؛ ففيها داود وسليمان وموسى، وفيها ولادة عيسى- عليهم السلام-. ويزيدها قدسية عند المسلمين الإسراء بنبينا ﷺ إليها.

د- المسلمون والأمة العربية أقدر الأمم على رعاية القدس، لأن المسلمين يؤمنون بجميع الرسالات السماوية، ويقدسون جميع المقدسات؛

فالمقدسات فيها إسلامية كلها، وحتى لو كانت مسيحية أو يهودية، لأن تقديس عيسى وموسى ورسالتيهما عقيدة إسلامية.

هـ- في ظل الدولة الإسلامية، بقيت القدس مفتوحة لجميع المتعبدين من أتباع الرسالات السماوية، وتشرف المسلمون بخدمة الأمكنة المقدسة لهذه الرسالات كافة.

و- ثبت- تاريخياً- أن المسلمين لم يفتحوها بالحرب، احتراماً لقدسيتها، وتَسَلَّم مفتاحها الخليفة عمر بن الخطاب. وسميت (القدس) من يوم فتحها المسلمون، وجاءت قداستها من القرآن وأحاديث النبي ﷺ.

ز- أبى عمر الصلاة في كنيسة القيامة خشية جعلها مسجداً.

ح- الدفاع عن القدس وما حولها عقيدة دينية إسلامية ثابتة، لا يعتريها الضعف أو الالتباس، متجددة مع كل مولود مسلم، تدفع العدوان ولا تعتدي، تصون حقوقها ولا تغتصب حق أحد وتحافظ على حقوق كل إنسان فيها.

٢- موقف الكيان الإسرائيلي من القدس:

أ- في ظله، نفذوا مذبحة كبرى في الأقصى للمصلين العزل.

ب-حاولوا تدميره بإشعال النيران فيه سنة ١٩٦٨.

ج- يرصدون الملايين لبناء الهيكل فوق أنقاض المسجد الأقصى، وأعمال الحفر تهدد المسجد بالسقوط.

د- ما آل اليه وضع القدس- في ظل السياسة الصهيونية- يشكل خطراً محدقاً باليهود ومستقبلهم، وهو لا يقل عن الخطر المحدق بالمسلمين والمسيحيين.

هـ- قرروا **تهويد القدس**، وتهجير أهلها المسلمين والمسيحيين، حتى صار عدد اليهود فيها عام ١٩٩٢ يفوق عدد المسلمين والمسيحيين معاً.

و- يصادرون أراضي المسلمين والمسيحيين وأوقافهم الدينية.

٣- موقف الكنيسة الغربية من القدس:

أ- تحالف أكثر الإنجيليين والبروتستانت الغربيين مع الصهاينة لإقامة الكيان الإسرائيلي، تصديقاً لرؤيا يوحنا.. التي تجعل من اجتماع اليهود في فلسطين شرطاً لعودة المسيح! وهذا جعل زعيماً من الزعماء الغربيين- مثل بلفور- يقدم وعده المشؤوم لليهود.

ب-هناك منظمات- أمريكية وغيرها- تعمل لصالح المشروع الصهيوني، فعقدوا مؤتمرات خرجت بهذا التوجيه: يجب التوحد مع الكيان الإسرائيلي وتأييده تعويضاً لليهود عما تعرضوا له من المسيحيين سابقاً.

ج- اتخذوا قرارات دعوا فيها الفاتيكان إلى الاعتراف بالكيان الإسرائيلي، وطالبوا جميع الأمم بالاعتراف به.

د- ضمن الكنيسة الإنجيلية، يوجد مجلس وطني لكنائس المسيح يُعارض ذلك التوجه، وعلينا دعمه لمواجهة عنصريي الإنجيليين والبروتستانت.

٤- موقف الكنيسة العربية من قضية القدس:

أ- معارضة المسيحيين العرب لمواقف بعض الكنائس الغربية والتقارب بين الفاتيكان والكيان الإسرائيلي المتوج **بمعاهدة ١٩٩٣**، المتضمنة اعترافاً بالكيان الإسرائيلي وتأييد اغتصابه للأراضي العربية.

ب-كتابة بعض المطارنة العرب عن خطر الصهيونية على المسيحية، من خلال حلمها بتسلم القصر البابوي في الفاتيكان، لتبسط سيادتها على الحكومات سياسياً؛ وكذلك من خلال سعيها إلى نزع ما يتعارض مع وجهة نظرها من الكتاب المقدس، والحصول على شرعية وجودها في فلسطين. وأولى خطوات تحقيق هذا الحلم تمثلت في انتزاعها تبرئة اليهود من دم المسيح، علماً أن صاحب الفكرة هو الكردينال الألماني **بيا** اليهودي الأصل.

ج- رد **مجلس كنائس الشرق الأوسط** على مؤتمر **منظمة السفارة المسيحية الدولية**- الذي عقد في القدس في عام ١٩٨٥- بإدانته، لأنه يهدف إلى استغلال التوراة لإضفاء القدسية على الكيان الإسرائيلي.

٥- موقف الهيئات الدولية من قضية القدس:

أ- احتج مجلس الأمن على قرار الكيان الإسرائيلي بمناداته القدس المحتلة موحدة، وأنها عاصمة أبدية للكيان الإسرائيلي، وأصدر قرارات تؤكد أن قرارات الكيان بحق القدس لاغية.

ب- بقي مجلس الأمن والجمعية العامة يأسفان ويشجبان على الورق، ولم يتخذا أي إجراء عملي ضد الكيان الإسرائيلي، الذي ما زال يقوم بخطوات عملية لتهويد القدس.

ج- ظهرت سياسة الكيل بمكيالين في مجلس الأمن؛ إذ يعجز عن ردع الكيان الإسرائيلي، على حين يستطيع- بسرعة كبيرة- تنفيذ قراراته تجاه دول أخرى.

٦- المسلمون والمسيحيون بحاجة إلى التعاون.. والوقوف صفاً واحداً.. للدفاع عن حقوق أمتنا.

٧- المقترحات والتوصيات:

أ- الإشادة بدور مجلس كنائس الشرق الأوسط، والدعوة إلى تعميم موقفه على الكنائس الصديقة.

ب-دعوة مجلس كنائس الشرق الأوسط إلى وضع خطة عمل، للتأثير في الكنيسة الغربية المتحالفة مع الكيان الإسرائيلي من أجل تغيير موقفها تجاه قضية فلسطين والقدس.

ج- التنديد بموقف مجلس الأمن وسياسة الكيل بمكيالين.

د- الضغط على الأمم المتحدة لإلغاء **نظام الفيتو الديكتاتوري،** الذي يحمي العدوان الصهيوني على فلسطين واغتصاب القدس.

هـ - تشكيل **مجلس إسلامي مسيحي عالمي** للدفاع عن القدس.

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المحاضرة

إنني أشكر الله- تعالى- الذي جمعنا في هذا اللقاء، وألهمنا السعي إلى خدمة المدينة المقدسة وقضايانا المصيرية. وأستهل كلمتي بمواقف الأطراف المختلفة تجاه قضية القدس، ثم أختمها بالمقترحات والتوصيات.

١- موقف المسلمين من قضية القدس:

بداية، عندما نتحدث عن القدس وقضيتها، فماذا نقصد؟ وماذا تعني لنا هذه القضية؟ هل تعني المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، وبقية المقدسات الإسلامية والمسيحية واليهودية؟ أم إنها تعني لنا قضية الأمة ومصيرها ومستقبلها وأجيالها؟

إنها تعني جميع ما سبق، إنها قضية شاملة، ترمز إلى حقيقة الإيمان بالله- تعالى- ورسالاته كلها، وإلى تسلسل الرسل والأنبياء جميعهم، وإلى مسؤوليتنا بجعلها مدينة مفتوحة للعبادة، وكونها عاصمة الدولة العربية الفلسطينية المرتقبة.

إنها مدينة عربية مباركة قبل هجرة سيدنا إبراهيم- عليه السلام- إليها. فكما جاء في التوراة؛ فإن نبي الله إبراهيم حينما جاء إلى مدينة القدس، كان يحكمها رجل صالح قديس موحد لله، وهو زعيم قبيلة كنعانية عربية تسمى "اليبوسيين"[1].

إن قدسية المقدسات في القدس تنبع من تعظيم المسلمين لجميع الرسالات السماوية، ولجميع أنبياء السماء: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وداود وسليمان وموسى وعيسى ومحمد، عليهم وعلى جميع إخوانهم أفضل الصلاة والتسليم.

ونحن نعتقد أن وجود داود وسليمان وموسى وغيرهم من أنبياء الله في القدس، قد زاد من قدسية هذا المكان عند المسلمين، وأنَّ ولادة عيسى المسيح في الأرض المقدسة يزيد في اعتقادنا بقدسية تلك الأرض، وأن إسراء النبي محمد ﷺ إلى المسجد الأقصى يزيد عندنا من قدسية القدس.

ونحن لا نفرق بين أحد من رسل الله؛ فإبراهيم وداود وسليمان وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء، كلهم- في اعتقادنا- أنبياء كمحمد ﷺ، ونقف معهم ضد أعدائهم، كما نقف مع محمد ﷺ ضد أعدائه.

(١) فلسطين وقضيتها، مكتب منظمة التحرير، سورية، ١٩٦٠، ص ٧- ٩.

وبجهود المسلمين صارت هذه الأرض أكثر قدسية. والأمة الإسلامية العربية هي أقدر الأمم على رعاية القدس وحمايتها؛ فالمسلمون يؤمنون بكل الرسالات السماوية، ويقدسون جميع المقدسات، سواءٌ أكانت إسلامية أم مسيحية أم يهودية. وبعبارة أدق، فإنها- جميعاً- مقدسات إسلامية؛ لأن تقديس المسيح وأمه وإنجيله عقيدةٌ إسلامية، وتقديس موسى وتوراته عقيدةٌ إسلامية؛ بل لا يصح إسلام مسلم ما لم يتحقق فيه الإيمان الكامل بأنبياء الله ورسالاتهم السماوية كافة.

وتتحدث الوقائع التاريخية عن أنّ مدينة القدس كانت- في ظل الدولة الإسلامية العربية- مدينة مفتوحة لجميع أبناء الرسالات السماوية، لممارسة نشاطاتهم الدينية والدنيوية كلِّها، حتى إن المسلمين تشرفوا بخدمة الأمكنة المقدسة كافة عند أتباع الرسالات السماوية، وحافظوا عليها، وقدموا التضحيات لحمايتها.

نعم، في ظل الإسلام، رفض خليفة المسلمين عمر **بن الخطاب** أن يدخل القدس بالفتح العسكري. والدارس للتاريخ يرى أن خطة المسلمين لفتح بلاد الشام لم تتعرض مطلقاً لفتح القدس بالمعارك الحربية، لعظيم مكانة القدس عندهم، وإنما أحاطوا بها بعيداً عن أسوارها، وجعلوها جزيرةً معزولةً عن الإمبراطورية البيزنطية. وكانت المدينة الوحيدة التي تُسلِّم مفاتيحها لخليفة المسلمين، بعد أن طلب

صفرونيوس [بطريرك القدس] هذا من عمر بن الخطاب[1]. ومن يومها، صارت تحمل اسم "القدس"، بعد أن كانت تسمى "أورشليم".

فالقدس اسم إسلامي، وقداستها حقيقة إسلامية، فرضتها تعاليم الإسلام بنص القرآن وأحاديث النبي ﷺ؛ فالمسجد الأقصى مسرى النبي محمد ﷺ، يقول تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [سورة الإسراء].. وهو أولى القبلتين، يقول تعالى: ﴿ ... وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ ... ﴿١٤٣﴾ ﴾ [سورة البقرة].. وهو ثالث الحرمين الشريفين، **قال** ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد الأقصى»[2].

وفي ظل الإسلام، رفض الخليفة عمر **بن الخطاب** أن يقيم صلاته في كنيسة القيامة، على الرغم من أن رهبانها دعوه إلى إقامة الصلاة فيها. فسئل: لماذا؟! **فقال**: "لأنني أخشى أن يتخذ بعض المسلمين صلاتي فيها حجة لتحويلها إلى مسجد".[3]

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٤٩).

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أبواب التطوع، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، برقم ١١٣٢.

(٣) البداية والنهاية (٤/ ٥٧).

وخلاصة القول: إن القدس والأرض التي حولها.. التي بارك الله فيها، والدفاع عن حريتها وكرامتها، وصيانة مقدساتها، وصيانة حقوق أهلها، والدفاع عن الأراضي الإسلامية العربية المحتلة كافة.. جميع ذلك عقيدة دينية إسلامية ثابتة، لا يعتريها الضعف أو الالتباس، وهي عقيدة متجددة مع كل مولود مسلم، تدفع العدوان ولا تعتدي، وتصون حقوقها ولا تغتصب حق أحد، وتحافظ على حقوق الإنسان مهما كان اعتقاده.

٢- موقف الكيان الإسرائيلي من القدس:

في ظلال الإسلام صارت "أورشليم" القدس مدينةَ السلام؛ ولكن في ظلال الاحتلال الإسرائيلي، نُفذ في القدس مذبحة كبرى، شهدها المسجد الأقصى، عندما هاجم الجنود الإسرائيليون والمستوطنون الصهاينة المصلينَ من المسلمين العُزّل، وقاموا بقتلهم في ساحات المسجد. وفي شهر آب (أغسطس) من عام ١٩٦٨، قام الصهاينة بمحاولة تدمير المسجد الأقصى، بإشعال النيران فيه.

وبعد عام ١٩٦٧، رصد الصهاينة ٢٠٠ مليون دولار لبناء الهيكل فوق أنقاض المسجد الأقصى. ورصدت مؤسسة معبد القدس الصهيونية- وهي من المؤسسات المسيحية الإنجيلية المتحالفة مع الكيان

الإسرائيلي- ١٠٠ مليون دولار سنوياً لهذا الهدف[١]. وقد أعلنوها صريحة على لسان ابن غوريون حين قال: "إنه لا معنى للكيان الإسرائيلي من دون القدس، ولا معنى للقدس من دون الهيكل"[٢]. وما زالت أعمال الحفر تحت المسجد الأقصى مستمرة، وتهدِّد بتصدعه وانهياره؛ بل صار تدمير المسجد الأقصى ومسجد الصخرة الشريفة أحد الأهداف الكبرى للحركة الصهيونية.

أجل، هكذا يتحدث التاريخ.. كيف كانت فلسطين والقدس مفتوحة ثلاثة عشر قرناً للعيش الديني المشترك، بين المسلمين والمسيحيين واليهود، وكيف صارت- في ظل السياسة الصهيونية- خطراً محدقاً باليهود ومستقبلهم، لا يقلُّ أبداً عن الخطر المحدِق بالمسلمين والمسيحيين!!.

ومنذ أن اغتصب الإسرائيليون القدس في عام ١٩٦٧، عملوا على تهويد القدس؛ فاتخذ الكيان الإسرائيلي قرارات سياسية على أعلى مستوى لتهجير المسلمين والمسيحيين منها، وتهجير الصهاينة واليهود إليها.. وتتحدث الأرقام فتقول: إنّ عدد اليهود في عام ١٩٩٢ في القدس صار أكبر من عدد المسلمين والمسيحيين مجتمعين.. فعدد

(١) الفكر التوراتي والحرب النووية لغريس هالسل، ترجمة عبد الهادي عبلة، ص١٣٠.

(٢) في تصريحه للصحافة العالمية عندما كان رئيساً لوزراء الكيان الصهيوني؛ رسالة الجهاد، العدد ٦٩.

المسيحيين في عام ١٩٦٧كان ٣٨ ألفاً، وكان ينبغي أن يصير- اليوم- ١٢٠ ألفاً، ولكنه في الحقيقة لم يتجاوز- اليوم- ١٢٥٠٠ مسيحي.. وأما المسلمون فقد تعرضوا لتهجير أشد.[١]

لماذا حصل هذا؟! إنها سياسة الكيان الإسرائيلي، التي تقضي بمصادرة أراضي المسلمين والمسيحيين.. وأوقافهم الدينية، وتهجيرهم.. لا مِن القدس فحسب، بل من جميع الأراضي الفلسطينية. ولعلكم تدركون فداحةَ الأمر إذا علمتم أن عدد اليهود في فلسطين في عام ١٩١٨ لم يكن يتجاوز ٥٥ ألفاً من أصل ٧٠٠ ألف (عدد سكانها في ذلك الوقت)؛ أي: إن نسبة اليهود لم تتجاوز ٨ % من تعداد السكان[٢].

٣- موقف الكنيسة الغربية من القدس:

تحالف أكثر الإنجيليين والبروتستانت الغربيين مع الصهاينة، لإقامة الكيان الإسرائيلي في فلسطين المحتلة، تصديقاً لرؤيا يوحنا[٣]، التي فسروها عملياً ومادياً أن المسيح لن يعود ليحكم العالم ألف سنة إلا إذا اجتمع اليهود في فلسطين وأقاموا دولتهم الإسرائيلية فيها. ومن هنا،

(١) ندوة القدس، الدكتور أحمد صدقي الدجاني، القاهرة، ١٩٩٤/٧/٨، ص١٨.
(٢) الصهيونية المسيحية، محمد السماك، ١٩٩٠، ص ٥٩.
(٣) انظر: الإصحاحين ١٠ و١١ من رؤيا يوحنا اللاهوتي، أو سفر الرؤيا، وهو الكتاب الأخير من العهد الجديد من الكتاب المقدس.

انتشرت هذه الفكرة الصهيونية في بعض الكنائس الغربية، واكتسبت إلى جانبها شخصيات غربية كبيرة ناصرت الفكرة الصهيونية، ومنهم بلفور، صاحب الوعد المشؤوم بجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود.

واليوم، صار- وراءهم- عشرات المنظمات، وكلها تعمل لصالح المشروع الصهيوني، على أساس من العقيدة المنسوبة ظلماً إلى المسيح والمسيحية.. وقد صار عدد هذه المؤسسات والمنظمات أكثر من ٢٥٠ منظمة، منها- مثلاً- **منظمة السفارة المسيحية الدولية** في القدس، التي تأسست في عام ١٩٨٠، وقد عقدت مؤتمراً في القدس حضره أكثر من ألف مشارك من كنائس ٢٣ دولة، ومؤتمراً آخر في بال بسويسرة في آب (أغسطس) ١٩٨٥، وصدر عن المؤتمر بيان جاء فيه: "نحن الوفودَ المجتمعين هنا من دول مختلفة، وممثلي كنائس متنوعة، جئنا للصلاة.. وكي نعبّر عن التضامن مع الكيان الإسرائيلي.. وإننا ندرك أن اليهود كانوا- وما زالوا- يواجهون قوى حاقدة ومدمّرة، مثل تلك التي تعرضوا لها في الماضي. وإننا ندرك- كوننا مسيحيين- أن الكنيسة أيضاً لم تنصف اليهود طوال تاريخ اضطهادهم. إننا نتوحد- اليوم- في أوربة بعد مرور أربعين عاماً على اضطهاد اليهود، كي نعبّر عن تأييدنا للكيان الإسرائيلي..."[1].

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية اتجاه الصراع العربي الصهيوني، الدكتور يوسف الحسن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠، ص١٣- ١٤.

ومن القرارات التي اتخذوها في هذا المؤتمر:

- دعوة الفاتيكان إلى الاعتراف بالكيان الإسرائيلي.
- مطالبة جميع الأمم بالاعتراف بالقدس عاصمة أبدية للكيان الإسرائيلي، وبنقل سفاراتها إليها.
- دعوة **مجلس الكنائس العالمي** في جنيف إلى الاعتراف بالصلة التوراتية، التي تربط بين الشعب اليهودي وأرضه الموعودة.
- يصلي أعضاء المؤتمر، وينظرون- بلهفة- إلى اليوم الذي تصير فيه القدس **مملكة الرب** حقيقة واقعة.

وتجاوباً مع الضغط الذي مارسته هذه المنظمة، صدر عن الكونغرس الأمريكي بيان بالاعتراف بالقدس عاصمة للكيان الإسرائيلي[1] .

ولكن يجب أن نبيّن أن هناك- ضمن **الكنيسة الإنجيلية**- قاعدة لمعارضة هذا التوجه، تتمثل في **المجلس الوطني لكنائس المسيح**، ولهذا المجلس مؤسسات إعلامية متعددة، وله نشاط لا يستهان به، **يجب دعمه** وتنميته لمواجهة العنصريين من الإنجيليين والبروتستانت، المتحالفين مع الحركة الصهيونية.

(١) أُعلنت القدس عاصمة للكيان الإسرائيلي في ٢٣ يناير ١٩٥٠.

٤- موقف الكنيسة العربية من قضية القدس:

لقد عارض المسيحيون العرب- بعامتهم- بقوة مواقف بعض الكنائس الإنجيلية والبروتستانتية الغربية المتعاونة مع الكيان الإسرائيلي، والتقارب بين الكيان الصهيوني والفاتيكان، الذي توج- في ٣٠/ ١٢/ ١٩٩٣- بعقد معاهدة خطِرة بينهما[١]، نُشرت في جريدة ‹الحياة› اللندنية، وتتضمن **الاعتراف بالكيان الإسرائيلي**؛ وكذلك تتضمن اعتراف الكنيسة الكاثوليكية الغربية بالأمر الواقع في فلسطين المحتلة؛ أي: تأييدها للكيان الإسرائيلي باغتصاب الأرض والحقوق الفلسطينية. وتتحدث المعاهدة عن **العلاقات المتميزة** بين الكنسية الكاثوليكية الغربية واليهود، وعن التعاون بينهما.. ومما ورد فيها ذلك التعميم الخطِر، من جهة التأكيد أن تعبير الكنيسة الكاثوليكية الوارد في المعاهدة يشمل جميع المؤسسات الكاثوليكية في العالم.

وإنني أقدّم هنا مثالاً على **موقف الكنيسة العربية المعارض**، ضمن المقطع الوارد في مبحث قيم، وهو بعنوان: ‹الصهيونية **وخطرها على الدين المسيحي**› ، الذي ألقاه المطران باسيليوس **سماحة**، وفيه: "ولقد أدركت الصهيونية أن الخطر الكبير- الذي يقف حائلاً دون غاياتها- إنما هو الدين المسيحي. ولهذا نجد نشاطها- اليوم- مسعوراً

(١) جريدة الحياة اللندنية، ١٩٩٤.

ضمن دائرة المسيحية، والغاية منه ملاشاة الدين المسيحي، ومن ثم بقية الأديان. إنها تحلم بتسلُّم القصر البابوي في الفاتيكان، وهذا الحلم الذي أصبح بالنسبة لها كل ما تتمناه، سيساعدها على أن تبسط سيادتها على الحكومات سياسياً، وكما يقول البروتوكول السابع عشر: (حينما يحين الوقت كي نحطّم البلاط البابوي تحطيماً تاماً، فإنّ يداً مجهولة ستعطي إشارة الهجوم. (وحينما يقذف الناس في أثناء هيجانهم بأنفسهم على الفاتيكان، سنظهر نحن حماة له لوقف المذابح، وبهذا العمل سننفذ إلى أعماق قلب هذا البلاط، وحينئذ لن يكون لقوة على وجه الأرض أن تخرجنا منه، حتى نكون قد دمرنا السلطة البابوية).

لذا، فإن الصهيونية تسعى- بكل قواها- إلى أن تنتزع من تعاليم الكتاب المقدّس كل ما يتعارض مع وجهة نظرها، ويختلف مع خط سيرها، وتُقبِلُ على شروح وتفسيرات الكتاب المقدس بما يتفق ورغباتها، ويبرز مساعيها للحصول على شرعية وجودها في فلسطين. وهي ترمي من وراء محاولاتها- أيضاً- إلى كسب تأييد و عطف المسيحيين العرب ليكونوا إلى جانبها..

وما اعتمادها على بتر الآيات الواردة في الكتاب المقدس إلا نوع من التجديف، الغاية منه الوصول إلى الهدف، الذي رسمت خطوطه أبالسةُ اليهود، وانسجاماً مع الطريقة التشويهية.. التي أمعنوا بها خبثاً وتضليلاً.

والصهيونية العالمية- اليوم- تنطلق من مبدأ زرع الألغام.. وخلق

الشكوك بين الشعب المسيحي و رجال الدين، متسللة عبر معاني الكتاب المقدس تارة، ومستفيدة من الانقسام الكنسي تارات أخرى.

و لم تكن الثمرة- التي قطفها بنو صهيون، في أن برّأت البابوية شعبهم من الجريمة، التي لحقتهم في صلب المسيح- لم تكن هذه الثمرة سوى نتيجة لنجاح الصهيونية في خلق التداعي والانقسام بين رجال الدين وعامة الشعب، وليتنا نعلم- جميعاً- أن صاحب تبنّي المشروع- مشروع تبرئة اليهود الذي قدم إلى الفاتيكان- هو الكردينال اليهودي الأصل **(بيا)**[1].

والجدير ذكره أن **مجلس كنائس الشرق الأوسط**- صاحب الدعوة إلى هذا اللقاء الكريم- اتخذ موقفاً مناهضاً، وأصدر بياناً[2]، ردّ فيه على المؤتمر.. الذي عقدته منظمة السفارة المسيحية الدولية- ومقرها القدس- في مدينة بال السويسرية في عام ١٩٨٥، الذي أشرنا إليه آنفاً. ومما ورد في هذا البيان: "لما كنا نعي المسؤوليات الملقاة على عواتقنا حيال الطوائف المسيحية والرأي العام العالمي، فإننا نؤكد أن لهذا الاجتماع صفةً سياسية مفضوحة، على الرغم من الإشارات الدينية الكثيرة. إننا ندين استغلال التوراة واستثمار المشاعر الدينية في محاولة لإضفاء صبغة قدسية على إنشاء الكيان الإسرائيلي".

(١) جريدة الأنوار اللبنانية في العدد الصادر بتاريخ (١٦/٨/١٩٦٧م).

(٢) الهيئة المختصة بدراسة المسيحية الصهيونية في مجلس كنائس الشرق الأوسط، قبرص، نيسان (أبريل) ١٩٨٨.

٥- الهيئات الدولية وقضية القدس:

بعد احتلال القدس في عام ١٩٦٧، وفي شهر آب من ذلك العام، أصدرت الحكومة الإسرائيلية قراراً ينادي بالقدس المحتلة موحدة، وأنها عاصمة أبدية للكيان الإسرائيلي.

وبعد أسبوع واحد، احتج مجلس الأمن على الادعاء الإسرائيلي، وأصدر جملة قرارات تؤكد أن القدس الشرقية أرض محتلة، وأنه لا يجوز للكيان الإسرائيلي تغيير الصفة القانونية للقدس، وليس للكيان تقرير مصير القدس من طرفه وحده، وأن القرارات- التي أصدرها الكيان الإسرائيلي بحق القدس- تعَدّ لاغية على أساس القانون الدولي.(١)

وتتابعت عشرات القرارات للجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي- قبل عام ١٩٦٧ وبعده- بالشجب والإدانة والاستنكار وإبداء الأسف.. ومما جاء- مثلاً- في القرار ٢٦٧ لعام ١٩٦٩: تأكيد مجلس الأمن الدولي قراراته السابقة بشأن وضع القدس، وإشارته إلى أنه يأسف لفشل الكيان الإسرائيلي في أن يُظهر أي احترام لقراري مجلس الأمن والجمعية العامة، وشجبه بشدة جميع الإجراءات المتخذة لتغيير وضع القدس، وتأكيده أن جميع الإجراءات أعمال باطلة، وطلبه إليها أن تمتنع عن اتخاذ أي إجراءات مماثلة في المستقبل.(٢)

(١) ندوة القدس، الدكتور عبد الله الأشعل، القاهرة، ٨/ ٧/ ١٩٩٤، ص٥٩.

(٢) القدس فوق أي تفاوض، منشورات القيادة الشعبية الإسلامية، ص١٣.

وهكذا، ظل مجلس الأمن على موقفه النظري من وضع القدس، وبقيت قراراته حبراً على ورق، على حين ظل الكيان الإسرائيلي يقوم بخطوات عملية لتهويد القدس والأراضي الفلسطينية المحتلة، ضارباً بقرارات القانون الدولي والمنظمات الدولية عرض الحائط، مع الاستعلاء والسخرية. وهنا تظهر- على نحو صارخ- سياسة الكيل بمكيالين في مجلس الأمن الدولي، ويظهر- على نحو فاضح- عجزه عن اتخاذ أي إجراءات لفرض احترام قراراته الدولية بشأن القدس والأراضي المحتلة، على حين تظهر قدراته السريعة.. المؤهلة جداً لتنفيذ قراراته بحق دول أخرى.

ما أحوجنا- نحن المسلمين والمسيحيين- إلى أن نعيش معركة النضال المشترك ضد العدوان الصهيوني الغادر على القدس ومقدساتها، وعلى فلسطين وأهلها، وعلى المسيحية وكنيستها، وعلى المسلمين والإسلام والقرآن.. ما أحوجنا إلى أن نقوي جبهتنا، ونعتصم جميعاً بحبل الله المتين، لنكون صفاً واحداً في الدفاع عن حقوق أمتنا وأوطاننا، كما **قال المطران سماحة** في كلمته التي استشهدتُ بهـــا آنفاً: "فلنا من تاريخنا العريق، ومن اتحادنا وتعاوننا- مسيحيين ومسلمين- في خدمة أمتنا وعروبتنا ما يحتِّم علينا أن نحافظ على عُرى الأخوة والتعاون، لإنقاذ أمتنا العربية مما ورَّطها به الاستعمار والصهيونية.

فتاريخنا حافل بهذا التعاون والتآخي؛ فالمسيحيون العرب هللوا للمسلمين العرب، عندما جاءت طلائعهم إلى القدس الشريف، وقدّموا مفاتيح المدينة ومقدساتها للخليفة العادل عمر الفاروق عربون ولاء وتعاون ومحبة، فصان المسلمون هذه العهود ورعوها. وصلى الخليفة عمر خارج كنيسة القيامة، لئلا يطالب المؤمنون- بعده- بأن يجعلوا المكان الذي صلى به مسجداً لهم.

ولو عدنا إلى التاريخ نستقصي الشواهد على مثل هذا التعاون، لطال بنا المقام، ولاحتجنا إلى الساعات الكثيرة نقضيها معاً لاستكمال مثل هذا العمل.وإنما حسبي- الآن- أن نتخذ من ذلك التعاون القديم دافعاً لتعاون أخوي دائم، لكي تظل فلسطين كما كانت عربية إلى الأبد، ولكي يظل عَلَمُ أمتنا الإسلامية العربية يخفق فوق القدس، التي كانت.. ولا تزال.. وستبقى إلى الأبد عربية" [1].

(١) الصهيونية وخطرها على الدين المسيحي، للمطران باسيليوس سماحة، جريدة الأنوار اللبنانية، ١٩٦٧/٨/١٦.

مقترحات وتوصيات:

وفي خضم هذا الواقع، أتقدم إلى مؤتمركم الكريم بهذه المقترحات:

١- الإشادة بدور مجلس كنائس الشرق الأوسط، للموقف الوطني الصلب تجاه قضية القدس، والدعوة إلى تعميم هذا الموقف وتحذيره في أكبر عدد من الكنائس الصديقة والمتعاونة.

٢- دعوة مجلس كنائس الشرق الأوسط إلى وضع خطة عمل للتأثير في الكنيسة الغربية، المتحالفة مع الكيان الإسرائيلي، لتغيير مواقفها تجاه قضية القدس خاصة.. وقضية فلسطين عامة، والتنسيق مع القاعدة المعارضة في الكنيستين الإنجيلية والبروتستانتية ودعمها لنصرة القدس.

٣- التنديد بموقف مجلس الأمن الدولي، بسبب استمراره في سياسة المكيالين، وبسبب تقاعسه عن حماية حقوق الفلسطينيين، وعن الوقوف في وجه المحتل الإسرائيلي، وردعه عن مضيه في مشروع تهويد القدس والأراضي العربية المحتلة.

٤- دعوة دول العالم إلى الضغط- في هيئة الأمم المتحدة- لإلغاء ديكتاتورية الفيتو، الذي تمارسه القوى الكبرى ضد الشعوب المستضعفة، والذي يحمي العدوان الصهيوني على فلسطين واغتصاب القدس.

٥- الدعوة إلى تشكيل المجلس الإسلامي المسيحي العالمي للدفاع عن القدس، ويتألف من الشخصيات والمؤسسات الإسلامية والمسيحية، المؤمنة بالقدس وقضيتها. ويكون لهذا المجلس ميثاق عمل وأمانة عامة.

في الختام، من هذا المكان، وفي هذا الموقف التاريخي، أحيّي مواقف إخواننا المسيحيين العرب الشجاعة في تأييد الحق العربي في فلسطين والقدس. وكذلك أشعر بالغبطة أن نتفق جميعاً- ومعنا شعوبنا- على الدعوة العملية إلى جعل القدس عاصمة الدولة العربية الفلسطينية المرتقبة، ومدينة السلام المفتوحة للعبادة، لجميع أتباع الرسالات السماوية، وجعل مدينة السلام رمزاً للسلام، وموئلاً لجميع الدعاة إلى السلام بصدق وإخلاص في أنحاء العالم.

المبحث الثالث

القدس محور السلام[1]

(١) محاضرة سماحته إلى الندوة العالمية، المنعقدة في جامعة الأزهر، في القاهرة، من ٢٩ إلى ٣٠ نيسان (أبريل) ١٩٩٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- للقدس مكانة عالية عند المسلمين، فالقرآن ربطها بمكة.

٢- ما يفعله الكيان الإسرائيلي- اليوم- من تهويد للقدس شر كبير.. على اليهود أنفسهم وعلى المسلمين والمسيحيين، لأن فيه نسفاً لعملية السلام العادل الشامل.. وجر المنطقة إلى حرب مدمرة، لأن الكيان الإسرائيلي يتعدى على المقدسات الأهم عند المسلمين.

٣- في التاريخ، عند فتح العرب للقدس، أكد المسلمون والمسيحيون أنه لا حق لليهود في بيت المقدس.

٤- العالم تأثر بفلسفة الدول القوية، التي جعلت من الأمر الواقع حقاً للمعتدين. ولذا، علينا أن نسقط- اليوم- ما يسمى "حق القوة" وإقرار نظام "قوة الحق".

٥- سلوك العرب المسيحيين والمسلمين تجاه بعضهم في القدس أكد التلاحم الإسلامي المسيحي، وقد تمثل ذلك في سلوكات دولة الإسلام خلال حكمها للقدس.. وشكر مسيحيي العرب المقدسيين المسلمين على إنقاذهم من الرومان البيزنطيين.

٦- استمرار التلاحم المسيحي الإسلامي بعد احتلال الكيان الإسرائيلي القدس، وقد شعر اليهود به وكتبوا عنه.

٧- السياسة العدوانية للكيان الإسرائيلي في القدس تتمثل في:

أ- حرق المسجد الأقصى، وكثرة الحفريات والأنفاق تحت أسس المسجد بحثاً عن هيكل سليمان المزعوم.

ب- المذابح والمجازر ضد المسلمين والمسيحيين.

ج- تهويد القدس، من خلال بناء مستوطنات محيطة بها.. وهجرة يهود إليها، ما زاد عددهم في القدس الشرقية كثيراً.

د- استلاب الأراضي الفلسطينية ولا سيما المقدسية، وتهجير العرب بأساليب، منها:

١- سحب البطاقة الشخصية.

٢- فرض الضرائب الخيالية على العقارات، وبيعها بالمزاد العلني للعاجز عن دفع هذه الضرائب.

٣- السماح للعرب ببناء ٣ طوابق ولليهود ببناء ٨ طوابق.

٤- تحويل العرب إلى غرباء في مدينتهم ومقيمين غير شرعيين.

٥- حرمان العرب من الخدمات الاجتماعية.

هـ- العمل على إخراج مدينة القدس من مفاوضات سلطة الحكم الذاتي.

٨- السلام رغبة كل إنسان مخلص.. في هـذه الأرض عامـة وفي القدس خاصة.

٩- السلام لا يتحقق بالحنكة السياسية، بل بالرغبة إليه من قلب صادق مع نفسه ومع غيره.

١٠- إن أي حلول سياسية تتجاهل القدس- أو تؤخرها- لا تخدم السلام في شيء، بل تجعل السلام قائماً على فوهة بركان.

١١- القدس نقطة لقاء للجميع، فلا يجوز جعلها مشكلة دائمة.. برفضنا جعلها عاصمة للدولة العربية الفلسطينية.

١٢- إن القدس ملهمة السلام وهي محوره، وسلام القدس سلام للعالم. ولذا، لا يجوز للعالم البقاء محايداً.

١٣- صرختنا لأجل السلام والعدل في القدس غير مبنية على أساس التوازن العسكري، بل على أساس القيم الإلهية والإنسانية.

١٤- يجب تكاتف المسلمين والمسيحيين في وجه غطرسة الكيان الإسرائيلي واغتصابه الحقوق.

١٥- إعلان الجهاد لردع الكيان الإسرائيلي عن ممارساته العدوانية.

١٦- دعم صمود عرب بيت المقدس وأهل فلسطين بوضع ميزانية

إسلامية عربية لتثبيتهم بأرضهم.

١٧- رفض السلام المتصور من الكيان الإسرائيلي.

١٨- التواصل السياسي الإسلامي العربي لمتابعة قضية السلام العادل الشامل وتحرير بيت المقدس.

١٩- دور وسائل الإعلام ومنابر المسلمين والمسيحيين لدعم قضية فلسطين والقدس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص المحاضرة

يقول الله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [سورة الإسراء].

مكانة القدس عند المسلمين:

القدس أُولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، إليها وَفَدَ أنبياء الله، ومن أختها مكة أُسري بمحمد بن عبد الله ﷺ ليلاً إليها، ليلتقي أنبياء الله ورسله، ويصلي بهم إماماً، محباً للجميع، مُقدِّراً لما قدموه من جهود مباركة لحماية هذه المدينة.. ورفعِ الظلم عنها عبر العصور.

والقرآن الكريم قد ربط بين المسجدين الحرام والأقصى، وذاك دليل

على أن هذين المسجدين قديمان قِدَمَ التاريخ، وأن المسجد الأقصى صنو المسجد الحرام؛ طهراً، وقداسة، وأنه فوق الحسابات العصبية والعرقية.

وإنني أعتقد أن في تهويد القدس.. وفي تدنيس مقدسات المسلمين والنصارى.. شر كبير على المسلمين والنصارى واليهود على السواء؛ لأن فعلتهم هذه تعني نسف عملية السلام برمتها. ونعني بالسلام السلامَ العادل الشامل، الذي يعيد الحق إلى أهله.. والأرض إلى أصحابها. وإذا ما استمر الكيان الإسرائيلي في تحدياته لمشاعر المسلمين والمسيحيين في أنحاء العالم، فضلاً على رفضه لشرعة الله في الأرض.. ولشرعة حقوق الإنسان.. ولجميع المواثيق والعهود الدولية، فإن هذا الوضع لن يستمر على النحو الذي يحلم به الكيان الإسرائيلي ومن معه، والتاريخ يؤكد سقوط الظلم والظالمين، ولو بعد حين. ولا أكتمكم ما في قلبي، من أن الكيان الإسرائيلي يَجُرُّ العالم- اليوم- إلى حافة حرب مدمرة، لا يعلم نتائجها إلا الله تعالى.

وإذا كان العالم قد استعد لدخول القرن الحادي والعشرين.. ويحدوه الأمل بقرن فيه سلام وخير وتعاون إنساني.. ورخاء اقتصادي لكل فرد من أفراد العالم، فإن الكيان الإسرائيلي يريد أن يهدم آمال الشعوب وتطلعاتها، وهو لا يرى إلا مصالحه الخاصة، متناسياً حقوق الآخرين، ضارباً عرض الحائط جميع النداءات المنبعثة من حناجر الشرفاء في هذا العالم.

وإني- من على هذا المنبر- أتوجه إلى الغرب المسيحي خاصة.. وإلى المسلمين عامة، مُذكراً إياهم بهذه النقاط:

- يوم فتح العرب القدس- في عهد الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب ﷺ، وكتب العهد المعروف بـــ "العهدة العمرية"- أصر الموقعون- من مسلمين ومسيحيين- أنه لا حق لليهود في بيت المقدس، وها هو التاريخ يؤكد ذلك.(١)

- إن العالم- مع الأسف- تأثر بفلسفة الدول الصناعية القوية، التي جعلت من الأمر الواقع حقاً للمعتدين؛ ففلسطين لم تكن لليهود، بل كان لها سكانها، وهم: العرب اليبوسيون والعرب الكنعانيون.(٢)

- والعرب المسلمون عادوا إلى تحريرها وإعادتها إلى حكم العرب.

- وإن علينا أن نسقط ما يسمى- اليوم- "حق القوة"، وأن نعود إلى "قوة الحق"؛ فالكيان الإسرائيلي يعيش بحق القوة.. وهو نظام الغابة، وأما الشعوب المتحضرة فإنها تؤمن بقوة الحق.

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٤٩).

(٢) فلسطين وقضيتها، مكتب منظمة التحرير، سورية، ١٩٦٠، ص٧- ٩.

التلاحم الإسلامي المسيحي في القدس:

١- تميّز سلوك العرب المسيحيين- تجاه إخوانهم العرب المسلمين- بالتعاون والانسجام والتنسيق، من أجل خدمة الأمكنة المقدسة.. والدفاع عنها خاصة وعن مصالح الأمة الإسلامية العربية عامة.

٢-وكان سلوك العرب المسلمين تجاه المسيحيين على هدي من القرآن والسنة النبوية وسيرة السلف الصالح، وتمثل- في حدّه الأدنى- في عدّهم أهل كتاب سماوي.. ولهم ذمة الله ورسوله ﷺ والمؤمنين.. تحميهم وترعاهم.. وتصون حقوقهم وحرياتهم ومعتقداتهم.. وتعفيهم من الخدمة العسكرية. ومما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ...﴿٨٢﴾﴾ [سورة المائدة].

٣-ومن الواضح أن العُهدة العُمرية ميّزت بين مواطني القدس المسيحيين العرب والمسيحيين الروم البيزنطيين؛ فالعهدة أُعطيت لأهل القدس، وليس للسلطة البيزنطية.

٤-ومما جاء من أقوال بطاركة النصارى معلنة التلاقي الإسلامي المسيحي:

آ- قول البطريرك صفرونيوس: "إن دولتكم باقية على الدهر؛ فدولة الظلم ساعة، ودولة العدل إلى قيام الساعة"[١].

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي.

ب- وأما البطريرك اليعقوبي في أنطاكية ميخائيل السرياني فقد قال: "لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة، واتهمونا من دون شفقة. ولهذا، جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل، لينقذونا من أيدي الرومان. وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية، وعشنا في سلام"(١).

ج- وعبّر النساطرة عن موقف مماثل **بقولهم**: "إن قلوب المسيحيين انشرحت بسيادة المسلمين، فليزد الله في قوة هذه السيادة، وليجعلها زاهرة"(٢).

وكذلك استمر التلاحم والتعاون منذ إعلان السلطة الإسرائيلية دولة سنة ١٩٤٨.. وبعد عدوان ١٩٦٧. وقد شعر اليهود بالتلاحم الإسلامي المسيحي، وأشار إليه كثير من كتّابهم وساستهم وصُحفهم، والفضل ما شهدت به الأعداء.

ما الذي يحدث في ساحة بيت المقدس؟

أعلنت السلطة الإسرائيلية عن ضم شطري مدينة القدس الشرقي إلى الغربي وتوحيدهما إثر حرب ١٩٦٧، وتحديداً في ٢٨/ ٦/ ١٩٦٧؛ ثم في ٥/ ٨/ ١٩٨٠، أعلنت أن القدس الموحدة عاصمة للسلطة

(١) تاريخ مصر في العصر البيزنطي، لصبري سليم ص ٦٢، طبعة القاهرة، دار عين، ٢٠٠١.
(٢) للاستزادة: الدعوة إلى الإسلام للمستشرق الإنجليزي توماس أرنولد (١٨٦٤- ١٩٢٠).

الإسرائيلية. وأخذت تنسج خيوط التهويد ببطءٍ وهدوء. وما تقوم به حكومة **نتنياهو** من استلاب للأراضي.. وبناء للمستوطنات في القدس وغيرها، ليس بخافٍ على المهتمين بأوضاع هذه المدينة المقدسة؛ فحكومته تستكمل خطة أنجزها الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، بهدف خلق حقائق جديدة على الأرض، لتثبيت السيطرة الإسرائيلية الدائمة على القدس. ولتحقيق ذلك سلكوا طرقاً عدة، منها:

١– تنفيذ جريمة حرق المسجد الأقصى صباح الخميس ٢١/ ٨/ ١٩٦٩. وسبق ذلك القيام بحفريات كثيرة حول أسس المسجد، بحثاً عن هيكل سليمان المزعوم. وكذلك أُعلن حديثاً عن حفر نفقٍ تحت المسجد، وعن نفقٍ آخر قيد التنفيذ، وكل ذلك من أجل أن ينهدم المسجد ذاتياً لإقامة الهيكل المزعوم مكانه.

٢– تنفيذ المذابح الجماعية لعرب فلسطين بين الفينة والأخرى؛ منها ما قام به أحد الصهاينة، عندما أطلق النار على المصلين في المسجد الأقصى.. ومثل ذلك، المجزرة التي قام بها باروخ **غولدشتاين** في الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل في ٢٥/ ٢/ ١٩٩٤.[1]

٣– العمل على تهويد مدينة القدس بالإكثار من بناء المستوطنات

(١) موسوعة اليهود واليهودية للمسيري (٢٠/ ٢٤٩).

حولها، للإحاطة بها.. وللدفاع عنها من الخارج.. وإخضاع عرب القدس من الداخل؛ فهي مستوطنات مسلّحة.

٤- تركيز السلطة الإسرائيلية على تهويد المدينة سكانياً؛ فقد وصل عدد السكان اليهود في القدس الشرقية إلى ١٦٨ ألفاً، إلى جانب العرب.. الذين يقرب عددهم من ١٨٠ ألفاً.[١]

٥- يتوسع الإسرائيليون في استلاب الأراضي الفلسطينية عامة.. وأراضي القدس خاصة؛ فقد وضعوا أيديهم- أخيراً- على جبل أبو غنيم لإقامة مستوطنة في القدس الشرقية؛ مع حصر نسبة عدد السكان العرب في حدود ٢٠ في المئة، بمحاصرة التوسع العمراني العربي في القدس بكل الوسائل، ودفع الفائض السكاني عن النسبة المحددة إلى الهجرة منها بأساليب مجحفة خبيثة، منها[٢]:

أ- سحب البطاقة الشخصية، وقد بدأ ذلك منذ ثمانية عشر شهراً، حارمين السكان الأصليين من حق الإقامة في الأرض التي ولدوا فيها.

أ- الضرائب الخيالية والباهظة التي تفرض على المتر المربع من العقار، وبيع أرض كل من يعجز عن الدفع بالمزاد العلني.

(١) ندوة القدس، الدكتور أحمد صدقي الدجاني، القاهرة، ٨/ ٧/ ١٩٩٤.

(٢) ندوة القدس، الدكتور عبد الله الأشعل، القاهرة، ٨/ ٧/ ١٩٩٤.

ب- السماح للعرب ببناء ثلاثة طوابق فقط، على حين يسمح لليهود ببناء ثمانية طوابق، مع هدم المباني العربية المخالفة، والاكتفاء بغرامة مالية على المباني اليهودية المخالفة.

ت-تحويل العرب إلى غرباء يختبئون في مدينتهم.. ويقيمون على نحو غير شرعي، وهذا يعني إلغاء بطاقة الهوية التي يصدرها الاحتلال.

ث- حرمان العرب من الخدمات الاجتماعية في المدينة.

وهكذا، تتعجل السلطة الإسرائيلية في تهويد القدس جغرافياً وسكانياً، تمهيداً لعزلها عن الضفة الغربية، ومن ثم إخراجها من بنود مفاوضات المرحلة النهائية مع سلطة الحكم الذاتي، لتصير العاصمة الأبدية للكيان الإسرائيلي، وليكون السلام وفق التصور الإسرائيلي.

وبعد حسم موضوع القدس، يشرع نتنياهو في الخطوات العملية لتحقيق إسرائيل الكبرى، وهذا لا يتم إلا بالاحتفاظ بمساحات واسعة من أراضي الضفة الغربية، تمهيداً لإعلان الحدود الإسرائيلية النهائية.

القدس محور السلام:

إن من أسماء الله- عز وجل- "السلام"، وتحية المسلمين هي "السلام"، ويردد المسلمون بعد صلواتهم في كل يوم: «اللهم أنت

السلام، ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام»[1]، وقال الرسول ﷺ: «أفشوا السلام بينكم»[2]...

وقال النبي عيسى عليه السلام: "طوبى لصانعي السلام"[3]، وفي أحد مزامير التوراة: "وتعانق العدل والسلام"[4].

إن الرغبة في السلام تسكن قلب كل إنسان على هذه الأرض، وتسكن- خاصة- قلوب أبناء هذه البقعة من العالم، التي صارت مسرحاً للصراعات والحروب والويلات والمآسي.

إن السعي إلى السلام لا يعتمد- أساساً- على الحنكة السياسية والدهاء الإنساني، بل على العدل والإنصاف قبل أي شيء، وعلى نقاء قلب يقبل السلام.. ويصبو إليه.. ويخضع لمتطلباته.. ويرجوه لنفسه ولغيره.

إن الرغبة في السلام تقتضي- قبل أي شيء- أن ينظر الواحد إلى الآخر- فرداً أو جماعةً- كما ينظر الله إليه، النظرة التي يباركها الله-

(١) أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها، في كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم ١٣٦٣.

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، برقم ٢٠٣.

(٣) إنجيل متى (٥: ٣-١٠).

(٤) المزمور ٨٤/ الردة.

تعالى- بإعطاء كل ذي حق حقه، لا كما تُصوره الأهواء والأنانيات والمصالح الضيقة والنظر القصير.

والحق يقال: إن الشعوب الإسلامية العربية- المعنية بالسلام- تتعامل بجدية مع هذا الظرف التاريخي، وتمد يداً صادقة للسلام.. الذي يؤدي إلى حل عادلٍ شاملٍ دائمٍ مشرّف.

إن القدس هي قلب الصراع القائم، ولا أحد يستطيع أن يتجاهل هذا الواقع، الذي يدعونا إلى التوقف متأملين في موقع القدس من مسيرة السلام. وهنا يسود اعتقادٌ أن الحلول السياسية للقضية الفلسطينية يجب أن تترك القدس إلى آخر المطاف، لصعوبة عُقدها، وهذا خطأ عظيم؛ لأن القدس ليست هي المشكلة، بل هي الحل.. فالقيم- التي تمثلها هذه المدينة الفريدة- هي الكفيلة بتوجيه الجميع نحو طريق السلام الحقيقي. فسلام القدس هو سلام فلسطين.

إن القدس محور السلام، يتجسد فيها الأمل في العدل والسلام. والقدس محور السلام والعدل المستمد من واقع القدس مادياً وروحياً. فلا يمكن أن يتم السلام لفئة على حساب أخرى. وكذلك لا يمكن أن ينعم شعب بسلام القدس، عندما يحرم غيره من هذه النعمة. وهذا يتطلب رؤية سياسية رحبةً، تترجم هذا الواقع إلى حقيقة سياسية، تستوعب معطيات القدس ومركزيتها لجميع أبنائها وأبناء العالم بأسره.

وعلى هذا الأساس تصير القدس نقطة لقاء، بدل أن تكون نقطة تنافر.. وداعية الجميع إلى أن يكونوا قادرين على قبول حق جميع الأطراف في العيش، آمنين على أموالهم وأنفسهم وأراضيهم وحقوقهم.

إن حل القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي يجب أن يبدأ بإيجاد صيغة سياسية تؤدي إلى قيام الدولة الفلسطينية، وأن تكون عاصمتها القدس. وإن الإخفاق في هذا الحل يعني إبقاء المنطقة على بركان دفين، يمكن أن ينفجر في أي لحظة. إن القدس تستحق جميع ما يمكن أن يبذل من جهود، وأن تجنّد لها أفضل طاقات المخيلة الإنسانية الخلاقة، لإيجاد الحل.. الذي يشعر به كل من ينتمي إلى هذه المدينة- انتماءً قومياً أو روحياً- أنه في بيته، حيث لا ظالم ولا مظلوم... ألا إن **القدس ملهمة السلام وهي محوره.**

سلام القدس سلام العالم:

ومصير القدس يتعدى حدود أهلها ومحبيها؛ لأنه صورة لمصير العالم كله. وما يحدث فيها من حروب وخصومات لا يمكن أن يترك العالم محايداً ولا مبالياً، لأنه يعرف أن مصيره يتقرر في رحابها المقدسة. فإذا عجزت مكانتها الروحية عن خلق آلية السلام، فمعنى ذلك أن أملاً من آمال الإنسانية قد تداعى.. تاركاً الإنسانية فريسة قيم الغاب.

وبناء عليه، فإن سعي أهل القدس إلى العدل والسلام، لهو سعيٌ- باسم الإنسانية جمعاء- من أجل السلام ومن أجلها خاصة. إن دعاة السلام- في أرضنا المقدسة- لا يمثلون أنفسهم فحسب، بل يمثلون عطش الناس أجمعين، الذين تهددهم أنواع شتى من المظالم والمخاوف.

إن صرختنا من أجل سلام القدس لهي صرخةٌ مدويةٌ من أجل سلام العالم وعدله، لا على أساس أوهام التوازن العسكري والمصالح الأنانية، بل على أساس القيم الإلهية والإنسانية.. التي تميز حضارة الإنسان.

توصيات:

ومن أجل تحقيق ما نحن بصدده، فإني أقترح:

١- أدعو العرب- من مسلمين ومسيحيين- إلى الاستمرار في التكاتف لاتخاذ موقف موحد في وجه الغطرسة الإسرائيلية، ليس من أجل القدس وحدها، بل من أجل جميع الحقوق العربية المغتصبة.. والتصدي لجميع الممارسات غير الشرعية التي تمارسها السلطة الإسرائيلية.

٢- إذا لم ترتدع السلطة الإسرائيلية عن ممارساتها.. وتلتزم بالشرعية الدولية وقراراتها، **فالجهاد واجب على جميع العرب والمسلمين**.. وإذا لم يقم به أصحاب الإمكانات، فإن المسؤولية والإثم يكونان على جميع العرب والمسلمين.

٣- أدعو الدول العربية والإسلامية إلى وضع ميزانيةٍ موحدةٍ سخيةٍ مديدة الأجل، لدعم صمود عرب بيت المقدس خاصة.. والمواطنين في الأراضي المحتلة عامة، للتشبث بأراضيهم وعدم بيعها، وتدعيم القوة العربية.. خشية الغدر الإسرائيلي المفاجئ.

٤- رفض السلام كما تتصوره السلطة الإسرائيلية؛ فالسلام الحقيقي لا يكون إلا بإعادة الأراضي المحتلة، والحقوق العربية المغتصبة كافة.

٥- الاستمرار في التواصل السياسي الإسلامي العربي على أعلى المستويات، لمتابعة قضية السلام العادل، ودعم صمود سورية.. وانتفاضة الشعب الفلسطيني.. والمقاومة الإسلامية الوطنية في جنوب لبنان.

٦- الإصرار على عودة بيت المقدس محرراً من كل طغيان صهيوني.

٧- على الإعلام الإسلامي العربي والمنابر الإسلامية والمسيحية دور كبير في توعية المسلمين والمسيحيين، من جهة ضرورة دعم هذا الواجب المقدس تجاه القدس.. والجولان.. وجنوب لبنان.. وفلسطين كلها.. وغيرها من الأراضي العربية.

٨- لا معنى للسلام من دون القدس، ولا معنى للسلام إذا بقيت الأراضي محتلة والحقوق مغتصبة.

المبحث الرابع

واقع العالم الإسلامي
وما يجب أن يُعمل لإعادته إلى أمجاده[1]

(١) كلمة مرتجلة لسماحته، في المؤتمر الرابع للفكر الإسلامي، المنعقد في طهران في إيران، في أيار (مايو) ١٩٨٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- معاناة مجتمعنا الإسلامي وواقعه المؤلم يتجليان في:

أ- التمزق السياسي والتنازع المذهبي والتقاتل وفق الرغبات والنزعات الاستعمارية.

ب-التخلف العلمي.

ج- الضعف الاقتصادي.

د- الغزو الثقافي العقَدي.

هـ- وجود بقايا إسلام (سطحي) في عقول بعض العلماء أو بعض الصوفية المنعزلة.. أو وجود تجمعات لشباب متحمس عاطفي متهور أساء إلى الإسلام.

و- العيش في جاهلية القرن العشرين، وفيها ما فيها من عبادة لأصنام الأنانية والشهوات.

ز- تشويه صورة الإسلام جعل العالم يعتقد أن الإسلام سبب تخلفنا.

٢- الإسلام عظيم بمبادئه؛ فقد حرّم اليأس، وعلينا أن نجتهد لتشخيص الداء ومعرفة الدواء.

٣- الإسلام عظيم بعقيدته؛ فقد ضمن للصادقين النصر، وبشر ببقائه ووصوله إلى ما وصل إليه الليل والنهار.

٤- لنا في التاريخ عبرة؛ فلقد هب المسلمون من نكباتهم بفضل العلماء المجددين، وعادت عزة الإسلام.. واندحر العدوان، بل أحياناً كان المستعمر يدخل في الإسلام بسلاح الدعوة وجهاد الدعاة.

٥- أكثر الشعوب الإسلامية تحنُّ للإسلام والإيمان، ووجود فئة منحرفة يرجع إلى عدم وجود العالم الخبير والطبيب الحاذق.. ووجود عود ثقاب واحد يكفي لتبديد الظلام.

٦- الإسلام دين الفطرة والعقل السليم؛ فكل شعوب الإنسانية مهيأة لاعتناق الإسلام. ولذا، نرى انتشار الإسلام في العالم الغربي- ولا سيما بين صفوف العلماء- بمحض معرفة سطحية بسيطة عن مبادئه وعقائده.

٧- لا بد من وجود منظمة إسلامية عالمية، تملك الإمكانات.. وتعد الدعاة الأكفاء، ليكون القرن الحادي والعشرون قرن السلام والإسلام، وهذا نداء لحكام العرب والمسلمين، ثم للعلماء المستنيرين ليعملوا على تحقيق ذلك..

٨- الخلل موجود في الحكومات الإسلامية وفي شعوبها. والحكام بشر يقبلون النصيحة، وعلى العلماء نصحهم بحكمة، والعمل- معاً- في الدعوة والتبليغ. ولقد سجل التاريخ قصة علماء ثلاثة:

شمس الدين وجمال الدين ورشيد الدين، أوقفوا- بحكمتهم- جيشاً جباراً.. وأدخلوه الإسلام.. وغيروا خريطة العالم.

٩- تطبيق أحكام الشريعة يحتاج إلى أرضية إيمانية.. ووسائل تهيئ النفوس والعقول، والدول تتفاوت في تحقيق ذلك. ولا بد من العمل على تحويل الأمنيات إلى برامج عمل.. ولقد علمنا الله تهيئة الأسباب لإيجاد المسببات، على الرغم من أنه القادر على كل شيء.

١٠- على من يملك الوسائل، أن يهيئها للعلماء الحكماء المخلصين، ضمن برنامج مدروس الزمن والخطوات والواجبات، وإلا بقي العمل نكبة وكارثة؛ فالحصاد الجيد لا يأتي إلا بعد مقدمات مدروسة.

١١- لا سعادة ولا نجاة ولا قوة للمسلمين إلا بتطبيق شريعة الله عقيدة وتزكية وأحكاماً ودعوة وجهاداً، وبذلك يتحقق السلام والرخاء العالمي.

١٢- إن الأساس للعودة إلى عزة الإسلام هو العلماء الأكفاء ذوو القدوة الحسنة تربية وعلماً وعملاً.

١٣- الشعوب الإسلامية متلهفة لرؤية الحاكم الملتزم والعالم الحكيم.

١٤- الكثير من علماء الجمعيات والحركات الإسلامية بحاجة إلى دورات تدريبية، تتعدى حدود أحكام العبادات إلى فهم جميع أساليب الحياة، وفقه الجهاد وإعداد القوة واحد منها.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المحاضرة

حضرات الإخوة العلماء:

يعيش مجتمعنا الإسلامي- اليوم- في واقع مؤلم لا يحسد عليه، نطلق عليه العالم الإسلامي لمحض انتمائه إلى الإسلام. ولكن النظرة البدَهية البسيطة إلى واقع أكثر بلدان هذا العالم ترينا واقع التمزق السياسي والتفرق المذهبي.. والتشاحن والتدابر.. والتنازع والتقاتل؛ ومن ثم التخلف العلمي.. والضعف الاقتصادي.. والانقسام وفق الرغبات والأغراض الاستعمارية، التي مزقت العالم الإسلامي، لتضع على كل جزء من الأرض الإسلامية قطعة منه بتسمية خاصة.. فهذه إيران، وتلك تركيا، وهناك المغرب، وإندونيسية، وهذه دول الشرق الأوسط، وهناك دول المغرب العربي، وهنا دول المشرق العربي، إلى آخر المسلسل التقسيمي. هذه الصورة المفككة الواهنة للعالم الإسلامي

هي التي أحزنت الأحباب، وأفرحت الأعداء، وأطمعتهم بأرضنا وبموارد بلادنا.

لقد صار الدستور الإلهي لصلاح الإنسان- وهو كتاب الله "القرآن"- من حظ الأموات ليتلى عليهم، ومن حظ الألحان والموسيقى ليتغنى به. ولذلك، نظر العالم غير المسلم إلينا- من خلال هذه الصورة المشوهة لحقيقة الإسلام وجوهره- فاعتقد أن الإسلام هو السبب في ما نعيشه من التخلف والقهر، والضياع والفقر... ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة الممتحنة].

إلى جانب ما قدمت، هناك الغزو العقَدي الثقافي، من خلال برامج التنصير والغزو المادي المعنوي من أعداء الإسلام، ومن خلال العادات والتقاليد التي نعيشها.

ولم يبق في عقول بعض علماء الإسلام وقلوبهم إلا بقية من إسلام سطحي مذهبي جامد، أو عرفان صوفي رهباني منعزل.. أو تجمعات لشباب عاطفي متحمس متهور، تقوده زعامات لا كفاءة لها ولا حكمة، لتصل به إلى نتائج كثيراً ما أحزنت، وأضرّت بالإسلام وبالمسلمين.

ألا ترون أننا عدنا لنعيش جاهلية، هي جاهلية القرن العشرين[1]، التي تعبد فيها أصنام الأنانية والشهوات، وسميناها إسلاماً، فظلمنا

(١) ألقيت الكلمة في عام ١٩٨٤.

أنفسنا بها وظلمنا الإسلام؟!.

في البداية، لا بد لنا من تشخيص الداء.. ومعرفة العلة والمرض، لعلنا نهتدي إلى معرفة الدواء، ونطلبه من صيدلية قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ...﴿٣٨﴾﴾ [سورة الأنعام].. وقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الإسراء].

ولكن مع جميع هذه المشكلات، ومع كثافة الأعداء والظلمات، ما يزال الإسلام- والحمد لله- عظيماً بمبادئه؛ فقد حرَّم اليأس على المسلمين، وجعله من صفات الكافرين، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة يوسف]. وإن الإسلام لا يزال عظيماً بعقيدته؛ فقد ضمن الله النصر للمؤمنين الصادقين، يقول تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الروم]... وحث على العمل مهما ضعف الأمل، **فقال النبي** الكريم ﷺ: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل»[1].

ويبقى الإسلام عظيماً ببشاراته لنا، **فيقول رسول الله** ﷺ:

(١) أخرجه أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك ﷺ، برقم ١٢٩٨١، وهو صحيح.

«ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار»[1].. ويبقى الإسلام عظيماً بوعد الله للمؤمنين، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة الأنبياء].. ويقول تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾[سورة القصص].. **وقال** ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[2].

ولنا في التاريخ الإسلامي.. وفي أولئك الذين صدقوا الله في أعمالهم.. الدروس والعبر. فلقد نُكب المسلمون في حروبهم مع أعدائهم الصليبيين والمغوليين التتريين بسبب ما كانوا عليه من التخلف والتفرقة بأعظم مما هم عليه في العصر الحديث. ولكن بظهور المجددين من علماء هذه الأمة، وبوعد الله الذي لا يتخلف عن المؤمنين الصادقين، كان العالم الإسلامي يعود أعز وأقوى مما كان، ويندحر العدو الظالم بالخزي والهوان، أو يدخل الأعداء في عقيدة الإسلام، وينضمون إلى صفوف المسلمين، وما كان ذلك إلا بسلاح الدعوة وجهاد الدعاة المخلصين والحكماء العاملين، وبالتوجه إلى الله بيقين.

(١) أخرجه أحمد من حديث تميم الداري ﷺ، مسند الشاميين، برقم ١٦٩٩٨، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود ﷺ، باب العين، برقم ١٠٢١٤؛ وهو صحيح [انظر: فضائل الشام ودمشق (١/ ١٦)].

أيها العلماء الفضلاء:

إن الشعوب الإسلامية المعاصرة- بأكثريتها الساحقة- متمسكة بإيمانها التقليدي، غيورة عليه، وإنها لتحن إلى إسلامها الأصيل حنين الأمهات إلى أولادهن. ولئن وجد في هذا المجتمع المؤمن بعض المنحرفين عن جادة الإسلام المستقيمة، فما ذلك إلا لغياب الدليل الخبير في دروب صحارى مبادئ الاستعمار الفكري والضلال العقَدي، وما ذلك إلا لفقدان الطبيب الحاذق عند هجوم الجراثيم والطفيليات والأوبئة الفكرية.

وفي الظلام- مهما تكاثفت غيومه وسحبه- فإن عود ثقاب واحداً مضيئاً كفيل بطرد الظلمات والقضاء على جميع ساحات الظلام. فإذا أشرقت شمس القرآن، وبزغ قمر هدي النبوة المحمدية، ففي لحظة ينقلب الليل نهاراً والظلمات أنواراً. وكم رأينا من ملاحدة كبار، بل من فلاسفتهم ومفكريهم، قد انحازوا إلى صف الإسلام جنوداً هداة، وانضموا إلى قافلة الإيمان إخواناً دعاة، وذلك بحوار بسيط مع عالم حكيم أو مع داعية إلى الإسلام عليم.

ليست الشعوب الإسلامية- التي ورثت الإيمان من الآباء والأجداد- وحدها منسجمة مع الإسلام، بل جميع شعوب الإنسانية- ولا سيما المتحضرة المتمدنة- مهيأة لذلك، ولها من القابلية- اليوم- في

اعتناق الإسلام والانسجام الكامل معه، كانسجام الظمآن وتعطشه للماء البارد المحلى، أو كالجائع للغذاء الشهي الطازج، وما ذلك إلا لأن الإسلام هو دين الفطرة، دين العلم والعقل، دين الإنسانية والحياة الكريمة. ولكن كيف نحصل على رغيف بلا خباز، أو ثمارٍ بلا غراس. وكلنا يعلم أن انتشار الإسلام- الآن- في العالم المتمدن وإقبال الشعوب عليه- ولا سيما بين صفوف العلماء والفلاسفة- هو بمحض معرفة سطحية بسيطة عن مبادئه وعقائده.

وللحق أقول: لم يكن هذا الإقبال بدعوتنا ودعائنا، بل بدراسات أولئك المهتدين وتتبّعاتهم الخاصة من دون معلم أو مرشد مختص. فكيف لو كانت هناك منظمة إسلامية عالمية، تملك الإمكانات العلمية، والمواهب الروحية، والطاقات الفكرية، والوسائل التي تحتاج إليها الدعوة مادياً ومعنوياً؟ كيف لو تهيأ الدعاة الأكفاء، وضُمنت لهم جميع الوسائل اللازمة للبلاغ المبين؟.

لقد تهيأ العالم- اليوم- لاعتناق الإسلام بعد سيطرة حكم العلم، وفتحت العقول أبوابها مرحبة بالإسلام، وعُبِّدت الطرقات لوصوله إلى الأفئدة والقلوب بهديه وأنواره.. بعلمه وعقلانيته.. في حقيقته وواقعيته، بل أعتقد أن القرن الحادي والعشرين سيكون عصر الإسلام العالمي، عصر الإخاء العالمي والسلام العالمي، وهذا أكّده- سبحانه وتعالى-

بقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ...﴿٣٣﴾﴾ [سورة التوبة].

فأين العلماء الدعاة؟ أيها المجاهدون في الدعوة إلى الله؟ أين إسلام وفريضة البلاغ المبين؟ .

وإلى حكومات العالم الإسلامي، وإلى ملوك الدول الإسلامية ورؤسائها وعلمائها، أوجه ندائي- من على هذا المنبر- أن لبّوا داعي الله، بلغوا رسالة محمد رسول الله ﷺ، رسالة الأُخُوَّة والمحبة والسلام.

أيها الملوك والرؤساء، أيها القواد والزعماء، أيها العلماء: هذه الدعوة أمانة في أعناقكم. فمسؤوليتكم لا تنحصر في أمتكم وشعوبكم فحسب، بل أنتم مسؤولون عن العالم كله.. عن شعوبه وجماهيره.. عن أمنه وسلامه.. عن سعادته وإخائه، وقريباً ستسألون عن أداء فريضة هذه الأمانة، حين تنقلون من القصور إلى القبور، ثم تقفون في محكمة الخالق العظيم، فهل أعددتم الدفاع فيها عن أنفسكم؟ وهل أعددتم للسؤال جواباً؟ وهل هيأتم للمحكمة ما يضمن لكم البراءة؟.

أيها العلماء الأفاضل:

إن وضع الحكومات الإسلامية كوضع شعوبها؛ فالخلل واقع في أكثر الحكومات والشعوب، في أكثر العلماء والأفراد. وجميعنا يعلم أن المريض مرضاً مزمناً، إذا حظي بالطبيب الحكيم الناصح، فالشفاء واقع

وحتمي بإذن الله.. «إن الله لم يترل داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله، إلا السام وهو الموت»[1].

إن الحكامَ بَشرٌ كـــبقية الناس؛ وكما أن الإنسان العادي إذا ضل طريقه أو أضاع ثروته، فقانون الفطرة الإلهي يفرض عليه أن يقبل هداية الدليل.. وأن يشكر من يُرجع إليه ثروته الضائعة، فكذلك الحاكم هو إنسان، يقبل النصيحة والخير ويكره الضياع والفوضى.

إن أكثر علماء الدين الإسلامي يضعون المسؤولية في واقع تردي حال المسلمين وتخلفهم على عاتق الحكومات وحدها، ولا شك أن هناك مسؤولية كبرى على الحاكم المسلم، إذ إن الله ليَزَع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن[2]. ولكن مسؤولية علماء المسلمين- في رأيي- أعظم، وتقصيرهم أكبر، لأنهم هم الدعاة، وهم المهندسون البناة، وهم المعلمون الحكماء، والوُرَّاث لتركة النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- في الهداية والعلم والتزكية والتبليغ؛ فالنبي- صلى الله عليه وآله وسلم- ربَّى جميع المسلمين: حكامهم ومحكوميهم، قادتهم وشعوبهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال:

(١) أخرجه الحاكم عن أبي سعيد ﷺ، في كتاب الطب، برقم ٨٢٢٠؛ وهو صحيح.
(٢) القول لعثمان، ولعمر برواية أخرى [انظر: الدر المنثور (٤/ ٩٩)]. والزع هو الردع.

لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[1].

لقد سجل لنا تاريخ علماء المسلمين وقائع مضيئة عن جهادهم في الدعوة إلى الله، وفي خلاص المسلمين في أشد محنهم. إن علماء على مستوى الوراثة المحمدية: الشيخ شمس الدين الباخَرْزي من بخارى، والشيخ جمال الدين وابنه الشيخ رشيد الدين من إيران، هم رجال ثلاثة صدقوا ما عاهدوا الله عليه[2]، وخاضوا غمار معركة الدعوة، فأوقفوا- بسلاحها وجهادها- الزحف المغولي التتري.. أوقفوا- بحكمتهم وإخلاصهم- تدمير العالم وخراب الحضارة الإنسانية، وأعادوا بناء الإسلام المهدم، وغيروا خريطة العالم بأحسن بناء.. لقد بدلوا التدمير بالتعمير، والظلام بالتنوير، والتعاسة بالسعادة، والوثنية بالربانية. أجل، لقد قلبوا وحوش العالم بشراً طيبين، وشياطينه ملائكة مباركين، وأعداء الإنسانية والمسلمين إخوة متحابين.

إن المسؤولية مشتركة، فالحكومات مسؤولة عن ضعف المسلمين، والعلماء مسؤولون عن جهل المسلمين وتخلفهم، وعلى الفريقين أن يتلاقيا ويتعاونا.. «الإسلام والسلطان أخوان، لا يصلح واحدٌ منهما إلا بصاحبه، فالإسلام أمين، والسلطان حارس، وما لا أمين له مُنهدم، وما

(١) أخرجه مسلم عن تميم الداري ﷺ في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم ٢٠٥.
(٢) مآثر الإنافة في معالم الخلافة لأحمد بن عبد الله القلقشندي (١/ ٢٠٦).

لا حارس له ضائع»[1].. ولقد طلب إلينا ربنا- عز وجل- ذلك بقوله: ﴿... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ... ﴿٢﴾﴾ [سورة المائدة].. وقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ...﴿١٠٣﴾﴾ [سورة آل عمران].

ولا بد لي من القول: إن قابلية العالم الإسلامي لتطبيق الأحكام الإسلامية ليست متساوية؛ فتنفيذ الأحكام الشرعية يتطلب أرضية الإيمان المهيأة لقبول الأحكام، مع إعداد الوسائل الكافية لتهيئة النفوس لتطبيق أحكام الشرع الإسلامي.. مثلما خطط القرآن لبناء كيان الشرع الشريف في إقامة مسيرة الحياة الإنسانية.

إن النبي الكريم- صلى الله عليه وآله وسلم- أقام أولاً دولة الإيمان القلبي والأخلاقي في النفوس والأرواح، وبنى الحكمة في العقول والأفهام، وصنع أبطال الدعوة والنضال والبناء. وهكذا، وصف القرآن الكريم المجتمع الإسلامي بقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة النور]. وعلى هذا الأساس المتين من العقيدة والصلة بالله، أقام تطبيق الأحكام الشرعية، فوضع- بذلك- نواة الدولة العالمية، التي لا تعرف الحدود ولا السدود، ولا تميز بين الألوان والجنسيات إلا

(١) أخرجه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما، باب الهمزة، فصل في الإسلام، برقم ٣٩٦.

بالتقوى؛ أي: بالعلم والعمل. أجل، فالعلم للجميع، والعدل للجميع، والسعادة للجميع، في عالم واحد موحد.. عقلاً وعقيدة.. أهدافاً وغايات، إنه الرحمة للعالمين.. ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [سورة الأنبياء].

إن إيجاد الأرضية الصالحة لتطبيق أحكام الله، أمنية كل مؤمن، وكذلك هي أمنية كل إنسان، ولكن «ليس الإيمان بالتمنّي ولا بالتحلي، ولكن هو ما وَقَرَ في القلب وصدقه العمل»[1]. والله- تبارك وتعالى- إذا أراد أمراً، هيأ أسبابه، وهو القادر على كل شيء.. ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة يس]. وبناء على ذلك، يهيئ الله الأسباب لإيجاد المسببات. فكيف يصل المخلوق الضعيف إلى غاياته بلا مقدمات سليمة وبلا أسباب معقولة صادقة؟ إن رجاء تحقيق الأماني موقوف على إيجاد أسسها وأصولها، وعلى شق طرقها وتعبيدها، فعند ذلك ينقلب الأمل رجاء، والأمنية حقيقة وواقعاً، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [سورة البقرة].

(١) أخرجه الديلمي عن أنس ﷺ، برقم ٥٢٣٢. قال ابن عدي: هو ضعيف، وقد روي معناه بسند جيد عن الحسن البصري من قوله [انظر: فيض القدير للمناوي (٥/ ٣٥٦)].

فالواجب يقضي على من يملكون الوسائل أن يقدموا لحكماء المسلمين وعلمائهم العاملين المخلصين- الذين يرجون الله والدار الآخرة، البعيدين عن التعصب والجمود، العارفين بزمانهم ومكانهم- ما يملكون من الوسائل؛ وهم بالمقابل يقدمون ما يملكون من طاقات، ضمن برنامج محدد الزمان والخطوات والواجبات، لتنقلب الأمنية رجاءً محققاً.. والغاية حقيقة ملموسة مشاهدة.. وإلا فسيبقى العمل نكسة، والجهد والجهاد كارثة ونكبة، وما دروس معركتي أحد وحنين عنا ببعيد.

إن المقدمات- من حراثة الأرض أولاً، وتنقيتها ثانياً، وبذرها ثالثاً، وسقايتها رابعاً، وحمايتها خامساً، وتحديد الزمن سادساً- هي التي تعطينا حصاداً جيداً وغلة طيبة. وإنني لأقرر أن لا سعادة ولا نجاة ولا نصر ولا تحرير ولا خلاص للمسلمين.. ولا سلام للعالم، ولا نجاة للجميع، من محنهم وتخلفهم، بل من فنائهم بالسلاح النووي وغيره- الذي يتهددهم ويهدد الوجود الإنساني- إلا بتطبيق شريعة الله كما أُنزلت.. أخلاقاً وتزكية، حقاً وعدالة، دعوة ونضالاً، علماً وعملاً؛ فبذلك يكون السلام العالمي، والإخاء العالمي، والرخاء العالمي.

إن قطب الرحى في خلاص العالم الإسلامي من تخلفه وتمزقه، ومَعقدَ الرجاء لعودة العزة والمجد إليه، والوسيلة الحقة في استعادة كرامته ومكانته- التي بوأها الله للمسلمين- متمثلة في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ

﴿ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ...﴿١١٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران].. وفي قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ...﴿١٤٣﴾ ﴾ [سورة البقرة]. وإن قطب الرحى- الذي يبنى عليه هذا الأمل والرجاء- هو حسن دور العلماء.. وكفاءتهم في تحمل هذه المسؤولية الخطِرة، في العودة بالعالم الإسلامي إلى ما كان عليه في عصره الذهبي، مع إعادة بنائه على قواعد الهندسة الربانية، التي شاد أصولها النبي الكريم ﷺ.. وآل بيته الطيبون الطاهرون.. وصحابته الغر الميامين.. ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الأحزاب].. الذين ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[1].. وهم إخوة بعضهم أولياء بعض.

إن العمل على تجديد بناء العالم الإسلامي، بل إنقاذ السلام العالمي.. وتحقيق العدالة والسعادة في العالم، لا يكون إلا بما قاله سيدنا **عمر بن الخطاب** في القدس الشريف لقائد جيشه: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما نرد العزة بغيره يُذلنا الله"[2].. ولا يكون إلا بما ورد

(١) ورد هذا المقطع القرآني في سور: المائدة [الآية ١١٩]، والتوبة [الآية ١٠٠]، والمجادلة [الآية ٢٢]، والبينة [الآية ٨].

(٢) البداية والنهاية، فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب (٧/ ٦٠).

من أنه: "لن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها"[1].

إن المسؤول الأول عن هذا الحمل العظيم هم العلماء العاملون، ومعهم الحكام المسلمون، الذين نابوا عن النبي الكريم ﷺ.. وورثوا منه فقه البناء والترميم عند خراب المجتمع وإعادته إلى جوهره الأصيل، بالاعتماد على نهج القرآن والسنة النبوية. فإن رسولنا الأعظم ﷺ أقام المجتمع الإسلامي.. وبنى الدولة بمنهج الله- تعالى- في عشرين سنة؛ فحقق أمة واحدة ودولة عزيزة.. وعقيدة راسخة، شعّت شمسها على العالم أجمع. ولم يقع من الضحايا- في سبيل ذلك- أكثر من خمسمئة شهيد وقتيل. وتابع صحابته المسيرة- والمسلمون معهم- على المنهج نفسه؛ فاستطاعوا أن يحرروا نصف العالم ويوحدوه.. عقيدة وسياسة، ديناً ودولة، في أقل من نصف قرن. وكذلك استطاع مخلصو الدعاة- في العصور الأخيرة- أن يفتحوا قلوب الشعوب وعقولهم، في الشرق الأقصى وإفريقية وآسية وغيرها، في مدة وجيزة، بلا سيف ولا سنان، بل بقوة الدعوة وبالحكمة والإيمان الحي، وأن يعمروها بالمحبة والأُخُوَّة، وبالجنسية الإيمانية، وما ذلك إلا بما حملوا من علم وحكمة.. وقلوب مليئة بنور الله وخشيته.

وإن الأجيال الإسلامية- في عصرنا- لفي لهفة لرؤية قائدها الملتزم

(١) رواه الحاكم عن طارق بن شهاب، في كتاب الإيمان، برقم ٢٠٨، وقال صحيح على شرط الشيخين.

بالإسلام، وعالمها الرباني.. الذي يتقن غرس الإيمان العملي الحكيم.

وحينما فُقدت القيادة العلمية والقيادة العملية، تسلط الاستعمار الغاشم على شعوبنا الإسلامية؛ فبدد وحدتها، واستلب خيراتها، وزرع الشوك والفرقة بين صفوفها. فلو توحدت القيادة الإسلامية، والتعليم الرباني، لكان المصير الحتمي.. ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الروم]، ولتحقق الضمان الرباني.. ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [سورة النساء].

نعم، إن العالم الإسلامي- اليوم- يعيش أزمة حادة، ألا وهي فقدان هذه النوعية من العلماء.. ويشهد المسلمون الخراب في مصانع الدعاة، وضعف برامج التربية والتعليم في الكثير منها، ومحاربة أصحاب الكفاءات من أهل هذه الصناعة الربانية. إن الكثير من علماء الدين الإسلامي.. والمشرفين على الجمعيات والحركات الإسلامية، يحتاجون إلى دورات تدريبية تعليمية.. وإلى مناهج دراسية يكملون بها المعرفة الإلهية والعلم الرباني، الذي يرشحهم لخلافة النبوة المحمدية وميراث العلم الإلهي. وكذلك يحتاجون إلى الحكمة- بقسميها العلمي والعملي- كي يتحقق للوارث ما قام به الموروث، وليعمل الوكيل ما كان قد عمله الأصيل.

إن المسلمين- اليوم- ليسوا في أزمة جهل بكيفية الوضوء أو الطهارة أو أعمال العبادات الجسدية.. من صلاة وصيام وحج وتلاوة للقرآن، بل إن المسلمين في أشد الحاجة إلى فقه وحدتهم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ...﴿٩٢﴾ ﴾ [سورة الأنبياء].. وإلى فقه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ...﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة الأنفال].. وفقه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة الصف].. وفقه قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا ﴾ [سورة التوبة].. إن المسلمين في أزمة فهم قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ... ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة التوبة].. وفي جهالة من فقه قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ...﴿٦٠﴾ ﴾ [سورة الأنفال].

فهل في عالمنا الإسلامي- اليوم- العدد الكافي من العلماء الأكفاء ليقدموا الدواء الشافي لعالمنا المريض؟

إن المسلمين اليوم فيهم بذرة الخير جميعاً.. عامتهم وعلماءهم، جمعياتهم وتجمعاتهم؛ ولكن الكثيرين منهم فقراء إلى معرفة أسلوب مدرسة النبوة التي كان برنامجها.. ﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[1].. التي كانت تُخرج حكماء أدباء، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء.

(١) ورد هذا المقطع القرآني في سورتي آل عمران [الآية ١٦٤] والجمعة [الآية ٢].

إن طلبة العلم- اليوم- بحاجة إلى برنامج فقهي عملي تربوي فكري.. إنهم بحاجة إلى ثورة تثقيفية تحررية، تحررهم من الجمود والتفرقة المذهبية.. إنهم بحاجة إلى ثقافة وفقه إسلام الحياة، إلى فقه القرآن والسنة.. علماً وعملاً، أخلاقاً وسلوكاً، قلباً وقالباً.

ومن الواجب علينا- نحن علماء الإسلام- أن نعرف كيف نستفيد من صحوة المسلمين المعاصرة، وأن نعلم أن الفرصة إذا أهملت ضاعت، ولن ينتظر الطير صياده لليوم الثاني، وكان- صلى الله عليه وآله وسلم- لا يؤخر عمل اليوم إلى غد.

أيها العلماء الأفاضل:

ليس العالم الإسلامي وحده في صحوة، بل جميع العالم المتمدن في صحوة، وفي بحث عن الحقيقة. وها نحن نسمع ونرى أن أشراف القوم وكبار علمائهم وفلاسفتهم يعتنقون الإسلام بكل عمق وإخلاص، ويقومون بالدعوة إليه بالحكمة والبرهان. وإذا رأينا الملحد منهم، فإنما ألحد بخرافات وأباطيل سميت له ديناً، فرفضها، ولّما يجد البديل.

لقد زرت معظم العالم في غربه وشرقه، وحاورت الكثير من رجال السياسة وكبار العلماء في مؤتمرات دولية، والتقيت أساتذة الجامعات وعلماء الدين.. على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم، فما

رأيت إلا طرقاً معبدة لوحدة العالم وسلامه، من خلال الإسلام وتعاليمه، وأقصد إسلام القرآن، الإسلام الذي دعا إليه سيدنا محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- بأقواله الحكيمة، وأفعاله الرصينة، ونضاله الصادق المخلص.

وأخيراً، أقول: استعدوا للمسؤولية أيها العلماء الأماثل[1]! استعدوا لمحكمة قاضيها الله جل جلاله! وأول الشهود علينا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أعمالنا وجوارحنا.. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة الشعراء].. في يوم لا ظلم فيه، بل.. ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة المدثر] و.. ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ... ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة آل عمران]....

وفقنا الله جميعاً للخير، هو مولانا، فنعم المولى ونعم النصير.

(١) أماثل القوم: خيارهم (مختار الصحاح: مثل).

المبحث الخامس

الأسلوب الأمثل
للخروج من أزمة التطرُّفِ الديني[1]

(١) محاضرة سماحته، التي قدمها للمؤتمر الخامس للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وشعاره "الصراعات الفكرية وأثرها في استقرار الأمة الإسلامية ومستقبلها"، في القاهرة، من ١٩ إلى ٢١ كانون الثاني (ديسمبر) ١٩٩٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- إطلاق مصطلح "الأصولية" على التطرف الإسلامي- حسب مفهوم الغرب- لا يتناسب وأصول التشريع الإسلامي، التي تتسم بالمرونة والتطور؛ وإنما يناسب الأصولية الغربية، لأن جماعات التطرف في الإسلام لا تلتزم بالأصول النيرة لديننا، بل تنظر إلى جمهور المسلمين على أنهم ضالون.

٢- ظاهرة الصحوة الإسلامية إيجابية، ولكنها تحتاج إلى ترشيد من الدعاة، لتحول دون تسييس العواطف في الهدم والأذى.

٣- للتطرف خمسة أسباب رئيسة:

أولاً: التطرف اللاديني: وفيه النقاط الآتية:

١) الدول لا تقوم بما يجب تجاه تفشي الانحلال في مجتمعاتها.

٢) وسائل الإعلام تعرض الجريمة وتشجع على الرذائل وتغرس في الجيل أسلوباً للعيش بعيداً عن التربية الإسلامية.

٣) ما سبق يؤدي إلى إرباك في توجيه الجيل الجديد، ويقسم المجتمع إلى شطرين:

أ- شطر منحل أعمى، خالٍ من الفضائل.

ب- شطر غاضب، فاقد للثقة بحكوماته.

٤) المجتمع ضحية أطماع المستغلين للعواطف الهائجة.

٥) التطرف اللاديني سبب التطرف الديني، وعلينا مكافحته بحكمة لتوجيه الصحوة الإسلامية الوجهة السليمة.

ثانياً: الولاء الأعمى للغرب، وفيه:

١) نشوء حركة التغريب، التي سعت إلى تقليد الغرب في جميع أنشطته، على أنها كانت سبباً في تفوقه الحضاري.

٢) هذه الظاهرة كثرت في الجامعات والمؤسسات التعليمية.

٣) الدعاية إلى اتباع الغرب، حتى في العادات الخاصة، وغاب عنهم أن الحياة محكومة بموروثات كل أمة وتاريخها.

٤) هؤلاء صدموا بالغرب لما تخلّى عنهم لأجل مصالحه.

٥) انقسم المجتمع الإسلامي إلى شطرين:

أ- شطر أسلمَ قيادته للغرب وليس فيه إحساس عربي أو إسلامي.

ب- شطر رأى في الغرب شراً محضاً وجُنّدَ لمواجهة الجميع، بدءاً من حكوماته الوطنية وانتهاء برموز التقدم.

ثالثاً: الإعراض عن شريعة القرآن، وفيه:

١) كثير من الأنظمة غيبت الشريعة والتراث الإسلامي الحي، ما أدى إلى وجود تيار يكفر تلك الأنظمة.. ويعد مقاومتها جهاداً.
٢) المطلوب إعادة الشريعة إلى مجالات الحياة كافة، ولا سيما أنها قادرة على مواكبة التطور.

رابعاً: الأصولية الصهيونية والأصولية الغربية، وفيه:

١) التطرف الصهيوني يمارس العنف والاضطهاد في حق الفلسطينيين، وهذا يولِّد ما يسمَّى "الأصولية الإسلامية".
٢) مجلس الآمن يقف متفرجاً ولا يفرض قراراته على الغاصب ما يسهم في تنامي "الأصولية الإسلامية".
٣) بعض الأصوليين الغربيين ينظرون إلى الإسلام على أنه العدو الأول بعد انتهاء الشيوعية.

خامساً: التوجيه الخاطئ، وفيه:

١) مسؤولية علماء الدين- في تجديد المناهج- كبيرةٌ.
٢) ثمة فتاوى ظهرت في الماضي، تبدلت ظروفها، ولا بد من استخلاص دلالتها على ضوء الظروف الجديدة وفق الكتاب والسنة.
٣) هناك تخريج لحملة شهادات شرعية غائبة عن حركة التاريخ

غير واعية لعالمها.. ولا بد من تقويمه على نحو ينسجم مع مقاصد الشريعة.

٤) كما نجحنا في تخطي مشكلة المذاهب الفقهية، يجب التحرك لمعالجة الخلاف العقَدي بالحوار لا بالجبر.

٥) التوجيه الخاطئ أورثنا اقتتالاً في أفغانستان ولبنان والجزائر.. وممكن أن يتكرر في بلدان أخرى. ولذا، لا بد من إصلاح التوجيه المقدَّم لطالب العلم.

٦) لا بد من إلقاء الضوء على جوانب السيرة الداعمة لاحتواء الآخر.. الرافضة لسياسة الجبر، مثل:

أ- تفاهم النبي ﷺ مع النجاشي، على الرغم من أنه لم يهاجر إلى رسول الله ﷺ.

ب- احتواؤه للمنافقين في المدينة.

ج- تعامله التجاري مع يهود المدينة.

د- ودّه وتراحمه مع وفد نجران.

٤- العودة إلى منهج القرآن والسنة في إعداد الدعاة على منهج المحبة والتسامح، فالعالم مهيأ لتقبل الإسلام بعد سقوط الإلحاد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص المحاضرة

أصحاب السماحة:

إننا هنا للمُدَارسة في واحدة من أهم مشكلات العالم الإسلامي المعاصر، وهي قضية التطرف الديني، الذي صار حقيقةً لا يملك أحد تجاهلها أو تجاوزها.

بداية لا بد من أن نحدد ما المقصود بالتطرف الديني. فلقد دأب الغرب على إطلاق تسمية "الأصولية" ليصف كل اتجاه متزمت لا يقبل أي حوار، ويكافح متبعوه في سبيل رد الناس إلى نمط من الفكر والمعيشة والتصور كان- في وقت من الأوقات- التزاماً لجيل القاعدة الأولى في ظروفها ومقاييسها. وهذا الوصف يبدو دقيقاً حين يطلقه

الغرب على الأصولية الإنجيلية، والأصولية الهندوسية، والأصولية الشيوعية، والأصولية التوراتية. ولكن هذا الوصف يبدو غير دقيق حينما نطلق لقب «الأصولية الإسلامية» على جماعات التطرف الديني، التي تنظر إلى العالم كله نظرة الخوارج إلى جمهور المسلمين.. على أساس أنهم حطب جهنم، ودماؤهم وأعراضهم وأموالهم هدر مباح. إن هذا الربط بين المفهوم وأصول التشريع الإسلامي ربط هزيلٌ مائع، لأنه يسقط من اعتباره أهم خاصة من خصائص هذه الشريعة السمحة، ألا وهي المرونة والتطور في ظلال القيم الإلهية الثابتة، وهي الخاصة التي سمحت- على نحو واقعي ظاهر- أن تكون الشريعة الإسلامية هي الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان.

لقد كان هذا المعنى واضحاً غاية الوضوح لدى رجال الفكر الإسلامي. فنحن لسنا في مشكلة مع الأصولية الإسلامية، بل نحن في مشكلة مع اللاأصوليين.. ذلك أن الذين يحتكمون إلى الأصول الإسلامية مدركون ما فيها من تسامح وخير، ويقدّرون ما تشتمل عليه من مرونة وتطور، ولا يمكن أن يشكلوا- في حال من الأحوال- عبئاً على أي وطن.

أصحاب السماحة:

إنني أعَدّ ظاهرة الصحوة الإسلامية بركة حقيقية على الأمة، وخيراً ظاهراً، ونعمة مباركة توجب على المؤمنين الشكر الجزيل للمولى سبحانه وتعالى. ولكن ترشيد هذه الصحوة وتوجيهها هما مسؤولية الدعاة إلى الله ﷻ، الذين يتعين عليهم أن يحولوا دون تسييس العواطف النبيلة إلى مقاصد هدامة تسيء إلى الإسلام أكثر مما تحسن إليه.. وتعود على المسلمين بفادح الضرر والأذى.

إن دفع ظاهرة التطرف- التي أجاد المتحدثون قبلي في بيان أخطارها وما يترتب عليها- لا يمكن من دون الوقوف على أسبابها وبواعثها، وقد رأيت أن نشوء التطرف الديني يمكن أن يرد إلى خمسة أسباب رئيسة:

أولاً- التطرف اللاديني:

إن سلوك كثير من الدول الإسلامية- تجاه ظاهرة الانحلال والفساد الخلقي- سلوك محيّر؛ فثمة دول لا تفعل ما يجب تجاه تفشي البغاء والرذيلة وتفسّخ الأسرة وتمزق الروابط الاجتماعية، ولا تعمل ما يجب عمله تجاه شيوع الخمور والمخدرات.. إلخ.

وإن الإعلام ليتحمل أكبر دور في هذه الظاهرة، بعد أن صارت

وسائله داخل كل بيت تعرض الجريمة وتشجع على الرذيلة، وتدعو إلى تمزيق الروابط الأسرية، وتدرج القتلة والمجرمين- دائماً- في عداد الأبطال المغامرين. ووسطياً، فإن الطفل لا يصل إلى سن العاشرة حتى يشاهد بعينيه عشرات الممارسات من جرائم القتل، ومئات القرائن المفهومة التي تدعو إلى البغاء والرذيلة، وعشرات المسلسلات التي تطالب- بوضوح- بوجوب نبذ التربية الإسلامية، ما يتسبب في إرباك التوجه الحضاري للجيل الجديد.. هذا فضلاً على الفساد الذي ينشأ عن أشرطة الفيديو والأقراص الحاسوبية غير المراقبة إعلامياً.

إن هذه الوقائع حقيقة نملك عليها مئات الشواهد والأدلة، وكلها تُسهم في شطر المجتمع إلى شطرين متباعدين أيّما تباعد... إما انحلال كامل وتفلت كامل، وتبعية عمياء لكل اتجاه خال من الفضائل.. وإما غضب عارم شامل، وضياع تام للثقة المفترضة بين الشعوب الإسلامية وحكوماتها وقياداتها الوطنية على مختلف الصعد السياسية والاجتماعية والدينية، وبذلك يصير المجتمع ضحية لأطماع المستغلين، الذين يجيدون استثمار هذه العواطف الهائجة.. وإن فئة قليلة هي التي تستطيع أن توازن نفسها بين هذه المتناقضات الصارخة.

إذن، إن **التطرف اللاديني سبب رئيس في ولادة التطرف الديني**. ولن نحسن توجيه الصحوة الإسلامية المباركة إلا إذا كافحنا-

بالحكمة- ظاهرة الانحلال والفساد الخُلقي، وأعدنا للفضائل والقيم مكانها في النصوص التشريعية وأدوات السلطة ووسائل الإعلام، وهذا مصداق قول الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣﴾ [سورة الرعد].

ثانياً- الولاء الأعمى للغرب:

لقد نشأت- في مطلع القرن العشرين- حركة التغريب في العالم الإسلامي، وهي حركة تُجمِلُ سعيها إلى تقليد الغرب في مختلف أنشطته، التي بدا لها أن التقاليد الغربية كانت سبباً من أسباب التفوق الحضاري، على أساس أنه سنة كونية ظاهرة. وقد وجدت هذه الظاهرة صداها في أكثر الجامعات والمؤسسات التعليمية، وكانت تنفخ فيها- باستمرار- مراكز التعليم الخاصة بالمؤسسات التنصيرية. لقد كانت دعوة هؤلاء تتلخص في ضرورة اتباع أوربة في أنظمتها، وأولوياتها، وعاداتها الخاصة في الملبس والمسكن والمأكل والمشرب.. إلخ. وغاب عن بال هؤلاء أن قوانين الحياة محكومة بظروف كل أمة وموروثاتها وتاريخها. وسرعان ما وجد هؤلاء أنفسهم على فُتات موائد الغرب، أطوع من الأيتام على مأدبة اللئام. وتبين أن الحضارة الأوربية- التي نشأت أساساً على المبدأ النفعي- لا تعترف بمعاناة الأمم إلا بقدر مصالحها فيها. وهكذا، فإننا نرى المجتمعات الإسلامية- مرّة أخرى-

مشطورة إلى شطرين متناقضين.. الأول تيار أسلم قيادته للغرب، وولاؤهُ لتاريخ الغرب ورجاله وثقافاته وتقاليده ولغاته أعظم من ولائه لأمجاد أمته، لا يكاد يتحرك في شرايينه دم عربي أو إحساس إسلامي... والآخر تيار أغلق على نفسه أبواب الحياة والفكر، وعكف على الانعطاف على الذات، ورأى في الغرب شراً محضاً وفساداً مطلقاً، وجُنّدَ- سلباً- لمواجهة العالم كله، بدءاً من حكوماته الوطنية والقيادات الإسلامية المتنورة وانتهاء بكل رموز الحضارة والحرية.

ثالثاً- الإعراض عن شريعة القرآن:

إن قيام كثير من الأنظمة بتهميش الشريعة الإسلامية وتغييب التراث الإسلامي المجيد الحيّ قد أدى إلى ولادة تيار ينظر إلى سائر الأنظمة العربية والإسلامية على أنها أنظمة ملحدة كافرة، وأن مقاومتها جزء من الجهاد الذي فرضه الله على الأمة.

فالمطلوب- إذن- إعادة الشريعة الإسلامية إلى مجالات الحياة كافة، على الرغم من أن أحداً منّا لا يجهل أن هذه الشريعة السمحة قادرة على مواكبة التطور في الزمان والمكان، يقول تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة ص].

رابعاً- الأصولية الصهيونية والأصولية الغربية:

إن الإعلام العالمي يتناسى- وهو يتحدث عن أزمة التطرف الديني في الشرق الأوسط- التطرف الصهيوني، الذي يمارس أبشع أنواع العنف والاضطهاد في حق الفلسطينيين.. ويتحدى الأعراف والقرارات الدولية، ولكن من غير أن يخسر منـــزلته كـــ "**ولد مدلل للغرب**"، وهذا الأمر هو أهم أسباب ولادة ما يسمونه "**الأصولية الإسلامية**". أضف إلى ذلك، أن مجلس الأمن الدولي لا نزال نراه يقف متفرجاً- وأحيانا داعماً- على معاناة المسلمين في العالم، ولا سيما في فلسطين[1]، من دون أن يسجل له أي موقف حازم تجاه التطرف المعادي للمسلمين، الذي يمارس أبشع أنواع الاستبداد. ونحن هنا في القاهرة، هناك أكثر من أربعمئة فلسطيني يوشكون أن يتحولوا إلى أربعمئة جثة تحت أكوام الثلوج العاتية في مرج الزهور في جنوب لبنان، ومجلس الأمن يكتفي أن يتمنى- بكل خجل- على الكيان الإسرائيلي أن ينهي هذه المشكلة!.. من غير أن يكلف نفسه عناء إجراء أي عقوبات اقتصادية أو غيرها ضد الكيان الإسرائيلي!!.

ولقد سمعت- بأذني هاتين- تصريحاً لرئيسة وزراء بريطانية سابقاً مرغريت تاتشر- مترجماً في إذاعة لندن- قالت فيه بكل صراحة: "لقد

(١) وجاء- من بعدُ- العراق وأفغانستان والشيشان والسودان و... و....

كان يقف في وجه الحضارة الغربية عدوان رئيسان: الأول هو الشيوعية.. وقد أمكن الانتصار عليها من دون دماء، ولم يبقَ- الآن- في وجه الغرب إلا عدو واحد.. هو الإسلام!!.... **إن هذا العداء غير المبرر هو السبب الجوهري في ولادة تيار التطرف الديني في بلادنا.**

خامساً- التوجيه الخاطئ:

وهنا نجد أنفسنا وجهاً لوجه مع مسؤوليتنا، نحن علماء الدين والقيادات الإسلامية؛ إذ تبقى الأسباب الأربعة السالفة مسؤولية رجال السياسة والإعلام.

فثمة فتاوى صدرت في أزمنة من التاريخ تبدلت ظروفها كاملة.. وتغيرت أطرها ومبرراتها، ولا بد من النظر إليها بوعي.. واستخلاص دلالاتها على ضوء الظروف الجديدة وضمن توجيهات الكتاب والسنّة.

وإن منهاج التعليم والتربية الإسلامية عامة في حاجة إلى إصلاح وتجديد. فتخريج أجيال من حملة الشهادات الشرعية- بثقافات غائبة عن حركة التاريخ، غير واعية للعالم الذي تعيش فيه- يُعَدّ جهداً خاطئاً، لا بد من تقويمه حتى يسير في السبيل الذي ينسجم مع نظرة الإسلام إلى الكون والحياة.. ومقاصد الشريعة السمحة في بناء الأمة الماجدة، وعالم يسوده الإخاء والمحبة.. في ظلال كتاب الله وسنّة رسوله العظيم ﷺ.

لقد أفلحت القيادات الإسلامية في تجاوز ظاهرة التعصب المذهبي الفقهي، التي كانت إلى سنين قريبة من أكثر المشكلات الإسلامية حساسية. والمطلوب- اليوم- من قادة الحركات الإسلامية في العالم معالجة مسألة الخلاف العقَدي على أساس من الحوار والتفاهم والتعاون.. لا على أساس من البغضاء والكراهية والجبر.

إن الوضع الإسلامي- اليوم- في أفغانستان لا يسرّ أحداً. وقد فُجع العالم الإسلامي يوم رأى تلك المدافع- التي نصبت ليُحَاربَ بها الاستبداد الأحمر- تتحول.. بكل عبث.. إلى وسائل لتصفية خلافات سياسية واجتهادية، ينبغي أن تكون وسيلتها الحوار على أساس المحبة. إن ما جرى في أفغانستان.. وفي لبنان من قبل.. والجزائر- اليوم- مؤهل لأن يتكرر في أكثر من عاصمة إسلامية غداً، إذا لم يقم الدعاة والمسؤولون بواجبهم في إصلاح التعليم والتوجيه الديني وإبراز جانب الحوار والتعايش في كل ثقافة يتلقاها طالب العلم.

فها هو النبي محمد ﷺ قد بدأ دعوته في المدينة وهي مجموعة طوائف مختلفة، وفي غزوة أُحُد انسحب عنه ثلث جيش المدينة.. وتبين له أن ثلث الناس منافقون. وعلى الرغم من كثرة المنافقين في المدينة وتعدد جرائمهم ومخازيهم، لم يؤثر عنه ﷺ أنه هدر دم أحد منهم، بل ما زال يستأني بهم ويتعاهدهم بالحلم والإغضاء والتعليم والتأديب حتى

سلمت له المدينة.. ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ... ﴿١٥٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران]. وكذلك سُجّل له ﷺ تفاهم مع ملك الحبشة النجاشي وتعاون وانفتاح. ويوم «بلغ النبي ﷺ موت النجاشي قال: إن أخاكم مات بغير أرضكم، فقوموا فصلوا عليه، فصفهم رسول الله ﷺ خلفه وصلى عليه»[1]. وسُجل له ﷺ- أيضاً- ود وتراحم مع نصارى نجران على نصرانيتهم[2]، ومع مقوقس مصر على قبطيته[3]، و«توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي»[4].

إن عقدة احتواء الناس بالجبر وقضم أفكارهم وآرائهم بالقوة لم تكن قط في منهج النبي ﷺ، بل عاش ﷺ ومات وهو مكلل بشرف قول الله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [سورة الأنبياء].

علينا أن نعود جميعاً- رعاة ورعية- إلى تربية القرآن والسنّة

(١) أخرجه الطبراني عن حذيفة بن أسيد ﷺ، برقم ٣٠٤٨. وأصله في الصحيحين، وقال الهيثمي (٣٩/٣): وإسناده حسن.

(٢) الخراج لأبي يوسف، ص٧٨.

(٣) فقد قبل الرسول ﷺ هدية المقوقس النصراني ملك مصر [انظر: الطبراني في الأوسط (برقم ٧٣٠٥)]. وكان إذا قبل الهدية، جازى عليها بمثلها وأحسن منها [انظر: صحيح البخاري (برقم ٢٥٨٥)].

(٤) أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها، في كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب، برقم ٢٧٥٩.

ومنهاجهما السماوي لإعداد أجيال الدعاة، فنكشف عما فيهما من محبة وخير.. وتسامح ونور.. وإخاءٍ ورحمةٍ.

وإني لمتفائل بالمستقبل؛ فالعالم لم يتهيأ يوماً لتقبل رسالة الحق كما هو اليوم، بعد أن سقطت الإديولوجيات الإلحادية في العالم، وبقي الإنسان الحر يبحث عن ذاته في ركام العقائد المتهافتة، وقد أيقن العالم أن رموز الإلحاد السالفة لم تكن إلا آلهة كاذبة، وهو في طريقه إلى: لا إله إلا الله، ويوشك أن يسمع العالم تتمة الشهادتين: محمد رسول الله ﷺ.. يقول تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ...﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة فصلت].. ويقول سبحانه: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة التوبة].

المبحث السادس

رسالة مفتوحة

إلى ملوك ورؤساء بلدان العالم الإسلامي[1]

(١) رسالة من سماحته بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي الثامن في طهران، من ٩ إلى ١٩٩٧/١٢/١١.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- الأمل في أن يخرج القادة- بعد اجتماعاتهم- بقرارات مصيرية، تُخرج الأمة من وضعها الصعب المتخلف، لتسهم في صناعة الحضارة الإنسانية الحديثة.

٢- أولى المهمات الواجب الاهتمام بها ترك الخلافات وتوحيد الجهود للدفاع عن حقوق أمتنا والتحرير.

٣- إعادة تكوين الإنسان المسلم وفق القواعد السليمة هو أساس تحقيق الهدف الكبير في تحرير الأرض والمقدسات.

٤- تحرير إرادة الشعوب والتنمية الإنسانية من أكبر الأسس لبناء الحضارة والازدهار.

٥- الإسلام قادر على صناعة الإنسان بما يملك من طاقات إيمانية وأخلاقية وعقلانية، وعلماء الأمة الحكماء هم الصناع، والحكام هم أصحاب القرار.

٦- سلاح الإيمان وفق المنهج الرباني يحقق المعجزات، والماضي والحاضر شاهد على ذلك؛ والمقاومة في لبنان وفلسطين.. وسورية الداعمة لهما.. يستحقون الدعم مادياً ومعنوياً.

٧- سلاح الإيمان يولد طاقة تطوي المسافات في السباق الحضاري مع البلاد المتقدمة.

٨- الممارسات الخاطئة لبعض الجماعات- باسم الإسلام- مخطط لها من أعدائه لتشويه صورته وجعل الأمة ضعيفة متخلفة.

٩- الطلب إلى قادة الأمة إعطاء حكماء الأمة فرصة لمعالجة ظواهر الممارسات الخاطئة، لأن الجهل يعالج بالعلم.

١٠-إعطاء مساحة كافية لحرية الرأي وللعمل الإسلامي الناضج، وتجنب العنف المضاد، وترك الاستفزاز الإعلامي لما يلامس المعتقدات، جميعها أساس في حل أزمة التطرف.

١١-مستقبل الأمة والحضارة الإنسانية بين أيدي الحكام والقادة.. وواجبنا العام في ضمان حق الإنسان يتحقق بالتعرف إلى حقيقة الإسلام، وإعادة شبابه، وتنقية واقعنا من أخطائه، ونشر مبادئ ديننا في العالم المحتاج إليها لأجل سلامه.

١٢-دعوة قادة الأمة إلى الاستفادة من الفضائيات للتعريف بالإسلام، ولتأسيس دعاة علماء حكماء بعيدين عن التعصب، وللأخذ بمنهج الله بعد فشل البرامج الشرقية والغربية، وإن المسؤولية- بين يدي الله- عظيمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص الرسالة

السادة رؤساء بلدان العالم الإسلامي وملوكها وأمراءها:

أتوجه إلى الله- تبارك وتعالى- أن يحيطكم برعايته وتأييده ورحماته ونفحاته، ليلهمكم القرارات المصيرية، التي تحقق خروج أمتنا الإسلامية من وضعها الحالي الصعب، ولتنفض عن كاهلها غبار التخلف، وتبدأ مسيرتها المرتقبة للمشاركة في صناعة الحضارة الإنسانية في القرن العشرين.

وإن أولى المهمات التي توجب الرعاية والاهتمام، ترك الخلافات الجانبية والصراعات الشخصية، والتوجه إلى توحيد الطاقات والجهود، للدفاع عن الحقوق المغتصبة لأمتنا.. وتحرير الأرض والمقدسات. وإن تحقيق مثل هذا الهدف الكبير ليحتاج إلى إعادة تكوين الإنسان المسلم وفق

القواعد السليمة، المتمثلة في منهج الله في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

إن تحرير إرادة الشعوب والتنمية الإنسانية من أكبر الأسس لبناء الحضارة والازدهار؛ فالإنسان صانع الحضارة هو الثروة الحقيقية للأمم والشعوب، وليس أدل على ذلك مما نشاهده- اليوم- من تفوق واضح لشعوب في عالمنا المعاصر لا تملك من الثروات الطبيعية شيئاً، على حين تتركز ثروتها الحقيقية في إنسانها، الذي خضع للتنمية الإنسانية وفق قواعد أخلاقية وعقلانية تنسجم وحال تلك الشعوب.

وإن الإسلام بما يملك من طاقات إيمانية وأخلاقية وعقلانية ومنهج حياة لديه القدرة على صناعة الإنسان المسلم، الذي ننشده في عصرنا الحالي. ويمكن ذلك، إذا أعطيت الفرصة لعلماء الأمة وحكمائها.. وتوفّرت الإرادة لدى قادة هذه الأمة.

إن قراءة تاريخية لمسيرة هذه الأمة في الماضي والحاضر ولما نشاهده من نماذج معاصرة ناجحة ولافتة، تؤكد أن سلاح الإيمان- إذا استعمل وفق المنهج الرباني- سيحقق ما يعدّه بعضهم من المعجزات وفق الحسابات المعمول بها في عالمنا المعاصر، وهو ما نراه جلياً في إنجازات المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان وفي الأرض المحتلة. وهذه المقاومة تستحق جميع الدعم والتأييد والمساندة كي تحقق أغراضها بتحرير الأرض المغتصبة من العدو الإسرائيلي. وكذلك تستحق سورية جميع

الدعم والتأييد بنوعيه المادي والمعنوي لمساندتها نضال المقاومين، ولموقفها في عملية السلام المستند إلى العدل وإعادة الحقوق المغتصبة وعدم التفريط بالأرض.

إن سلاح الإيمان- إذا جرى توظيفه على نحو سليم في بناء أمتنا- سيطوي مسافات كبيرة في السباق الحضاري المعاصر، الذي يفصل بيننا والشعوب الأخرى، التي حققت سبقاً مادياً واضحاً على غيرها من الشعوب والأمم، بسبب الطاقة الجبارة المتولدة عن حقيقة الإيمان والسارية مسرى الدم في وجود الكائن الإنساني.

وإذا كنا نشاهد- اليوم- على الساحة الإسلامية ممارسات خاطئة تحمل شعارات إسلامية، فالحقيقة- التي لا ينتابها الشك- أن هذه الأعمال مخطط لها لتشويه الإسلام وإبعاده عن ساحة البناء والتقدم، وهذا ما يريده أعداء أمتنا الإسلامية كي تبقى متخلفة ضعيفة، خوفاً على ضياع هيمنتهم على الشعوب المستضعفة، وتأكيد شل قدرتها على النهضة والتقدم.

وإنني إزاء ما نشاهده من العنف والإرهاب والإجرام المنسوب إلى الإسلام والإسلام من ذلك براء، أدعو قادة الأمة الإسلامية إلى أن يعطوا علماء هذه الأمة وحكماءها الفرصة لمعالجة هذه الظواهر المدانة؛ فالجهل يعالج بالعلم، وأهل مكة أدرى بدروبها. وعلينا أن نترك مساحة

كافية للتعبير الحر للعمل الإسلامي الناضج السليم، كي يستطيع ملء الساحة وتغطية الثغرات؛ وعلينا تجنب العنف المضاد وكل ما يمكن أن يستفز مشاعر جماهير المسلمين في جميع المجالات، ولا سيما الإعلامية والفكرية، وعلى الأخص ما يلامس المعتقدات، كي لا يقوم المتطرفون بتوظيف ذلك في غسل أدمغة الشباب لتجنيدهم في تياراتهم العنيفة.

يا ملوك المسلمين ورؤساءهم:

إن حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها بين أيديكم، بل إن مستقبل الحضارة الإنسانية بين أيديكم. فإذا وعينا جميعاً واجبنا الإسلامي في أداء حق الإنسان في جميع العالم، بتعرفه إلى حقيقة الإسلام، وإعادة شبابه ونضارته إليه.. بتصحيح السير وإزالة ما لحق به من أخطائنا، ونشر علومه ومبادئه في العالم كله، فإن العالم أحوج ما يكون إليه.. وهو مهيأ لحمل رسالة الإسلام والسلام والمحبة.. والعيش المشترك السعيد لجميع أبناء الإنسانية في ظلال الإيمان بالله.

وإنني أغتنم هذه المناسبة لدعوة الملوك والرؤساء والأمراء إلى العمل على توظيف جزء من قنواتهم الفضائية للتعريف بالإسلام، أو بناء محطة فضائية مختصة للتعريف بالإسلام باللغات العالمية الحية، يُختار لها حكماء العلماء، الذين يجيدون التعريف بالإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة؛ وكذلك أدعوهم إلى تأسيس جامعات ومعاهد إسلامية..

ودعم الموجود منها، لتخريج العلماء العاملين.. والدعاة والداعيات، الذين يفهمون الإسلام بجوهره وحقيقته بعيداً عن التعصب والتطرف.

يا ملوك المسلمين ورؤساءهم:

إنني أناشدكم- باسم الإسلام والمسلمين- أن تعملوا على الأخذ بمنهج الله- تبارك وتعالى- لإعادة إحياء هذه الأمة وبعثها من ثباتها، لا سيما أننا جربنا برامج كثيرة.. شرقية وغربية.. فما أغنت عنا شيئاً! علينا أن نبدأ بتحقيق هذا الواجب، وهذه مسؤوليتنا المقدسة تجاه الله، وسنقف كلنا بين يديه- تعالى- بلا سلطان ولا ثروة ولا جاه.. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة الشعراء].. ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة التوبة]..

وفقكم الله- تعالى- لخير المسلمين وأبناء الإنسانية أجمعين..

كلمات وحوارات

واقع الأمة الإسلامية

مشكلات وحلول [1]

(١) حوار مع سماحته، أجراه مراسل مجلة منار الإسلام، الصادرة في أبو ظبي عن وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، في دمشق، في ١٧/ ١٢/ ١٩٩٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- العلاقة بين الدول الإسلامية علاقة أخوية كمثل الجسد الواحد. ويجب دعم القضايا العربية والإسلامية، ولا سيما قضية صراعنا مع الكيان الإسرائيلي.

٢- ضعف المسلمين حديثاً يعود إلى أسباب، منها:

أ- قلة علماء الإسلام كمّاً وكيفاً، ما أدى إلى قصور في فهم الإسلام.

ب- التركيز على أجزاء من التشريع، وترك أجزاء أخرى- مثل فقه الحياة- باسم الزهد أو التوكل أو القدر.

ج- استغلال الاستعمار لهذا التقصير، فقسم البلاد واستنـــزف خيراتها وجعلها جاهلة فقيرة.

د- تقصير المسلمين في الأخذ بأسباب القوة التي دعا إليها الإسلام.

٣- الإسلام أراد القوة في العلم والصناعة والاتحاد للمسلمين بـــدعوته إلى:

أ- التكافل العلمي.

ب- التكافل الاجتماعي.

ج- الاتحاد ونبذ التنازع.

د- الثروة وتسخيرها في خدمة الصالح العام.

٤- عَجَبُ تَقَدُّمِ العالم الغربي وتخلف العالم الإسلامي، على الرغم من أنه لا يوجد في دينهم ما يدفعهم إلى ذلك.. بخلاف ديننا، الذي جعل المسلم مسؤولاً عن واجباته الدنيوية والدينية.

٥- خلاف المسلمين مع بعضهم يعود إلى الأسباب الآتية:

أ- نقص التربية الإسلامية والتعليم الحياتي سياسياً واجتماعياً.

ب- سيطرة الاستعمار الثقافي الغربي على عقول أكثر أجيالنا.

ج- زرع الاستعمار بذور الفرقة ووجد من يرعاها منا لتحقيق مصالحه الخاصة.

د- ضعف ثقافة إصلاح ذات البين لنقص في الإيمان.

٦- من أسباب تعنت الكيان الإسرائيلي بشأن السلام:

أ- اختلاف العرب وتنازعهم.

ب-لا يعمل العرب بمقتضى منطلقاتهم القومية.. ولا بمقتضى

مبادئهم الإسلامية.

ج- ترك الجهاد، على الرغم من أن العدو اعتدى علينا.

د- مسارعة بعضهم لعقد معاهدات مع الكيان الغاصب.

هـ - أكثرنا نائم عما يلاقيه الفلسطينيون من ذل وإهانة.

٧- كفانا لهواً وسباتاً وكلاماً، والعمل بالوسائل كافة لإعادة بناء الأمة.

٨- إنشاء محطة فضائية يُنْتَقى لها علماء ذو حكمة ويعرفون الإسلام الحقيقي، وهذه مسؤولية حكام العرب والمسلمين بين يدي الله.. وقد بلغت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص الحوار

✍ **السؤال الأول**: كيف تنظرون إلى واقع العلاقة الأخوية، التي تربط بين دولتي الإمارات وسورية؟ وما آفاق تطورها في المستقبل؟.

الجواب: إن العلاقة بين سورية والإمارات هي علاقة عربية وإسلامية وأخوية، بكل ما في هذه الكلمات من معنى. ومعلوماتي أن هذين القطرين الشقيقين يتعاونان دائماً في جميع الشؤون العربية والإسلامية، في السراء والضراء.. ورسول الله ﷺ يقول: «مثل المؤمنين- في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم- مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»[1]. هذا هو واجب

(١) أخرجه مسلم عن النعمان بن بشير ﷺ، في كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم ٢٥٨٦.

المسلم نحو إسلامه وخالقه، وعليه أن يقف مع أخيه المسلم في السلم والحرب، وأن يدعم القضايا العربية والإسلامية.. ولا سيما في صراعنا المصيري مع الكيان الإسرائيلي. ونرجو من الله- تعالى- أن تتوسع هذه الروابط.. وتزداد قوة ومتانة وعمقاً.. على حسب الواجبات الإسلامية والعربية؛ لأن مصيرنا واحد، وعدونا يستهدف الجميع.

✍ **السؤال الثاني**: ما واقع المسلمين في عالمنا اليوم؟ وكيف تنظرون إلى هذا الواقع، الذي يعيشه المسلمون في ظلِّ الاضطهاد.. في فلسطين والشيشان وغيرهما؟

الجواب: واقع المسلمين- عامة، في العصور الأخيرة- ضعيف وخطِر، لأسباب عدة، منها: عدم توفّر العدد والمستوى اللازمين من علماء الإسلام، الذين يتحملون واجب التعريف بالإسلام الصحيح، ما أدى إلى قصور في فهم الإسلام، وتخلف في واقع المسلمين.

وكذلك أدى التركيز الشديد على أجزاء من الفقه الإسلامي.. والتقصير الكبير في العمل بالأجزاء الأخرى، منها فقه: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ...﴿٢٠١﴾﴾ [سورة البقرة].. إلى تخلف العالم الإسلامي، وتحوله إلى مستعمرات للدول الكبرى، التي استنـــزفت خيراته.. وقسمته إلى دول ودويلات.. ومارست عليه جميع أنواع الاضطهاد..

وعملت على جعله عالماً جاهلاً متخلفاً، تتنازعه الأهواء، وتسيطر عليه مشكلات خاصة وعامة، على الرغم من أن الإسلام أراد للمسلمين أن يعيشوا أقوياء، حسب الأمر القرآني ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ... ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الأنفال].. وحسب قول رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف»[(١)]. والقوة في عصرنا الحاضر هي قوة العلم والصناعة والاقتصاد والتجمع والتكتل. ولذلك، دعا الإسلام إلى التكافل العلمي، فقال الرسول ﷺ: «ليس مني إلا عالم أو متعلم»[(٢)].. وإلى التكافل الاجتماعي، فقال ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»[(٣)].. ودعا إلى الاتحاد؛ لأن في الاتحاد قوة، وفي التنازع الفشل والضياع، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ...﴿٤٦﴾﴾ [سورة الأنفال].. ودعا إلى الغنى والثروة، لتسخيرها في خدمة الصالح العام، **فقال** ﷺ: «نعمّا بالمالِ الصالحِ للرجلِ الصالحِ»[(٤)].. وقد امتن الله على نبيه ﷺ بالغنى، حيث قال تعالى:

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ، في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، برقم ٦٩٤٥.

(٢) أخرجه الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما، باب اللام، برقم ٥٢٧٩.

(٣) أخرجه الطبراني- في الكبير- عن أنس ﷺ، برقم ٧٥١، بسند حسن.

(٤) أخرجه أحمد، بقية حديث عمرو بن العاص رضي الله عنهما، برقم ١٧٨٠٢؛ وهو صحيح.

﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الضحى].. وامتن رسول الله ﷺ على الأنصار فقال: «ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرّقين فألّفكم الله بي؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي»[1].

وهكذا، نقل الإسلام الأمة العربية من الجهل إلى العلم، ومن التخلف إلى التقدم، ومن الفقر إلى الغنى، ومن الفرقة إلى الوحدة والاتحاد، وإلى جميع ما ينفع الإنسان في دينه ودنياه.

والعجيب أنه في العصور الأخيرة تخلف المسلمون عن الفقه الحياتي الإسلامي، على حين تقدم العالم الغربي (أوربة وأمريكة واليابان).. ورفع أهله من شأن الإنسان عندهم.. على الرغم من أنه لا يوجد في تعاليم دينهم ما يدفعهم إلى تحقيق هذه المعاني؛ وأما الإسلام فقد وفّر للمسلمين معاني التقدم والرخاء، وكل ما يرفع من شأنهم، وجعل هذا من الدِّين. وهناك حديث نبوي يحث المسلمين على التقدم الدائم في جميع مجالات الحياة، يقول فيه ﷺ: «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يومه شرا فهو ملعون، ومن لم يكن على الزيادة فكان على النقصان، ومن كان على النقصان فالموت خير له»[2].

(١) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم ﷺ، في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، برقم ٤٠٧٥.

(٢) أخرجه الديلمي عن علي ﷺ، في باب الميم، برقم ٥٩١٠. وإسناده ضعيف [انظر: التذكرة في الأحاديث المشتهرة (١/ ١٣٨)].

إن الأمم المتقدمة تسير على هذه المعاني، ولكن ليس على أساس أنها دين، وإنما بدافع العزة والكرامة في الحياة. والإنسان المسلم مسؤول عن هذه الواجبات في الدنيا والآخرة، لأنها مما أمر به الدين الإسلامي. والغريب أن المسلمين عزلوا أنفسهم عن فقه الحياة.. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ...﴿٢٠١﴾﴾ [سورة البقرة]، بل صار هناك دعوة إلى الزهد بمعنى الفقر وترك العمل للدنيا، على الرغم من أنها تحريف وجهالة، وهي ليست من الإسلام في شيء. فالزهد لا يكون في المفقود، ولكنه في الموجود؛ أي: أن تُوجِد عزة وثروة، ثم لا تتعلق بهما، بل تسخّرهما في الصالح العام، بعيداً عن الأنانية.

إن ضعف المسلمين في فقه الأمور الحياتية أدى إلى تخلفهم، علماً أن أحد روافد النهضة الأوربية مصدره الثقافة الإسلامية في الأندلس وغيرها.

إن هؤلاء المسلمين يدعون- من طريق راحة الكسول، ومن طريق التعليم الناقص، وباسم الزهد- إلى ترك الدنيا؛ وباسم التوكل أهملوا العقل؛ وباسم القدر أهملوا العمل.

فما أشد حاجتنا إلى الفهم السليم لتعاليم ديننا!.

✍ **السؤال الثالث:** ما أسباب خلاف المسلمين مع بعضهم، في الوقت الذي نحتاج إلى الوفاق لمواجهة الاستعمار الشرس؟.

الجواب: كان العرب- قبل الإسلام- في خلاف دائم، وحروب متواصلة بين القبائل، وكان بعضها يستمر ٤٠ سنة؛ فلما جاء الإسلام نادى بالوفاق والتعاون، يقول تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ... ﴿٢﴾ ﴾ [سورة المائدة].

وإنَّ نقص التربية الإسلامية.. والقصور في التعليم الإسلامي الحياتي.. على المستويات الاجتماعية والسياسية كافة، من أسباب الخلاف؛ إضافة إلى أن الاستعمار الثقافي الصليبي سيطر على عقول أجيال كثيرة من أبنائنا، وزرع فيها الفكر والثقافة التي يريدها، وهو يعمل جاهداً على زرع بذور الخلاف بين أبناء الأمة الواحدة، وهناك منا من يرعى هذه البذور ويسقيها، ويجني منها الكثير، انطلاقاً من مصالحه الذاتية والأنانية. ففي بعض جوانب فطرة الإنسان حب الذات والأنانية، والإسلام يسعى إلى أن يخرجه من روح الأنا إلى روح الجماعة. وعلى نحو عام، وثمة نقص في بناء هذه المعاني في شخصية الإنسان المسلم، ويجب إعادة الثقافة الإسلامية إلى قواعدها السليمة، بدءاً من الفرد إلى الأسرة إلى المجتمع الإسلامي.

وإذا وقع الاختلاف، فالقرآن يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ ...﴿١﴾﴾ [سورة الأنفال]. ولكن الشعور بإصلاح ذات البين ضعيف بين المسلمين، وهو نقص في إسلامهم؛ فالإسلام علم وعمل، وليس محض قولٍ وادِّعاء.

✍ **السؤال الرابع**: كيف تنظرون إلى تعنت الكيان الإسرائيلي بشأن السلام في الشرق الأوسط، على الرغم من مساعي كثير من الدول الإسلامية إلى تحقيق السلام؟.

الجواب: يحق للكيان الإسرائيلي أن يتعنت، لأن هناك ما يدفعه إلى التعنت. فالعرب والمسلمون- باختلافهم وضعفهم وتنازعهم- هم الذين دفعوه إلى هذا. فالخصم عندما يرى فيك الضعف، يطمع فيك؛ لأن الاستيلاء عليك هو أمله وهدفه.. عندما يرى الطريق معبَّدة، فلا يتخلَّف عن تحقيق ذلك.

إننا لا نعمل بمقتضى المنطلقات القومية العربية، ولا بمقتضى المنطلقات الإسلامية. جميع دول العالم تدافع عن حقوقها انطلاقاً من مبادئها الوطنية، ونحن نملك فوق هذا المبادئ العظيمة للإسلام.

الإسلام ينص: إذا اعتدى العدو على أرض المسلمين، فيجب الجهاد والقتال على الكبار والصغار.. والرجال والنساء، بكل الوسائل

المتاحة حتى يتحرر البلد. ولكن عندما يرى الكيان الإسرائيلي بعض الدول تسارع إلى عقد معاهدات معه.. وتتقرب منه، فلماذا لا يتعنت؟ وماذا يمنعه- حينئذ- من التعنت في عدم رد الحقوق لأهلها؟! .

إننا نرى إخواننا الفلسطينيين- يومياً- يعانون الذل واغتصاب الأراضي والقتل، ما يفرض علينا- وطنياً وقومياً وعربياً وإسلامياً- الجهاد، ولكن أكثرنا نائم أو متناوم! وهذا إهانة لجميع العرب. شبعنا غناءً ورقصاً وكلاماً فارغاً.. ويجب أن يبدأ العمل بالوسائل كافة لإعادة بناء الأمة، وأهمها وسائل الإعلام والتعليم.. نحن في سُبات ونحتاج إلى إيقاظ.. نحن في جهالة ونحتاج إلى تعليم.

وماذا يمنعنا من أن ننشئ **محطة فضائية** لإيقاظ المسلمين، وصياغة الإنسان المسلم على طريقة الرسول ﷺ، بدءاً من إصلاح الفرد فالأسرة فالمجتمع، إلى إصلاح العالَم.. ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [سورة الأنبياء]؟ وإنني أوجِّه- من على صفحات مجلتكم- نداءً إلى جميع العرب.. حكاماً وعلماء وأغنياء، من أجل إنشاء قناةٍ فضائية تعرِّف العرب والمسلمين وغيرهم بالإسلام الحقيقي، الذي يعطي القوة والثروة والحياة السعيدة، وهذا فرض على جميع الحكام.. في جميع العالم الإسلامي والعربي، وإلا فإنهم مسؤولون بين يدي الله، وأنا مبلِّغ، وقد أدَّيت الأمانة، وأنا مستعدٌ للعمل.. وإذا دُعيت فسألبي.

ويجب أن يُنتقى لجنة من كبار العلماء- الذين عُرفوا بالعقلية الناضجة، والفكر المنوَّر- للتعريف بالإسلام الحقيقي، الذي ينقل الإنسان من الضعف إلى القوة. ومهمةُ هذه اللجنة أن تضع برنامجاً لإيقاظ العرب، بعيداً عن البرامج التقليدية المعروفة للمسلمين.. نحن بحاجة إلى أن نُعلِّم الناس ما يفتقدونه وما هم بحاجة إليه.

فلنحرص جميعاً على العمل على إعادة بناء مجد هذه الأمة، والدفاع عن حقوقها ومقدساتها.. فالكيان الإسرائيلي كتب على باب برلمانه: من النيل إلى الفرات.. وليس هناك قريب وبعيد.

كلمات وحوارات

الجهاد والكفاح التحرري

والعنف اللامشروع[1]

(١) حوار مع سماحته، أجراه سعيد محمد أحمد [مراسل وكالة أنباء الشرق الأوسط في جمهورية مصر العربية]، القاهرة، في ١٢/ ١/ ١٩٩٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- دعوة الإسلام إلى الرفق والعدل والإحسان، وتظهر في:

أ- أمره بالدفع بالتي هي أحسن.

ب- توصيته بالرفق في جميع شؤون الحياة.

ج- أمره بالرفق مع الحيوان إلى درجة نهيه عن جعل ظهورها منابر والإحسان في قتل المؤذي منها.

د- الجزاء العظيم للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس.

ه- حثه على احترام الإنسان والحيوان والجماد عند الحروب.

٢- بعض الأحوال تحتاج إلى قتال وقصاص، لأن في الحياة وحوشاً وظَلَمَة، وهذا يُشرع لمنع الظالم عن التمادي.

٣- دول الغرب لا تعمل بوصايا أنبيائها في القصاص والتسامح وعدم الاعتداء.

٤- بين العنف المشروع واللامشروع يكمن الظلم أو عدمه.

٥- العنف المشروع يتولد من الجور والظلم على العرب والمسلمين.

٦- نحن لم نضرب أمريكة على خدها الأيمن، وعلى الرغم من ذلك فهي تدعم المعتدي، بل تضربنا على الخدين الأيمن والأيسر، ثم تطلب إلينا التحلي بالأخلاق العالية.

٧- معالجة العنف يكون بمعالجة بذوره، وما دامت بذوره- المتمثلة في الظلم- موجودة، فسيلجأ بعضهم إلى العنف؛ لأن ذلك غريزة في كل مخلوق.. ولو كان حيواناً.

٨- القانون في هيئة الأمم ومجلس الأمن يصاغ لمصلحة الأقوياء، واستخدام نظام "حق الفيتو" الديكتاتوري عين الظلم وسبب بقاء الحروب.

٩- الدفاع عن الحقوق واجب مشروع ولا يجوز تسميته عنفاً.

١٠- وجوب الاقتداء بالنبي ﷺ في تطبيق القانون على نفسه وأهله، لأن ذلك يحقق السلام ويقضي على العنف.

١١- ضعف الدين في الغرب سبب الظلم.. ومن ثم العنف، وذلك لعدم عرض الكنيسة للدين بشكله الصافي المنـــزل من السماء.

١٢- إذا لم ترجع الدول الكبرى إلى صوابها، فهي مهددة بالزوال، وجنود الله كثيرة.. والإيدز وتفكك الاسر والاستغناء بالحرام أكبر دليل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص الحوار

✍ **السؤال الأول:** موضوع العنف من الموضوعات التي تهز الرأي العام العالمي اليوم، ما موقف الرسالات السماوية عامة من العنف، وموقف الإسلام خاصة؟.

الجواب: إن كلمة العنف- في وقتنا الحاضر- غدت من الكلمات المشهورة في العالم. والإسلام يدعو- عامة- إلى الرفق والعدل والإحسان، يقول الله- تعالى- في القرآن الكريم: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1]؛ أي: لا تدفع السيئة بالسيئة، بل لا تدفع السيئة بالحسنة. إذن، بماذا ندفع السيئة؟ يقول تعالى: ﴿ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾..

(١) ورد هذا المقطع القرآني في سورتي المؤمنون [الآية ٩٦] وفصلت [الآية ٣٤].

ويقول رسول الله ﷺ: «يا عائشة: ارْفُقِي؛ فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه، ولا نُزع من شيء قط إلا شَانَه»(١). وقد أوصى ﷺ بالرفق في جميع شؤون، ولو مع الدواب.. ومما كان يقوله ﷺ في ذلك: «إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر»(٢). المقصود بذلك أن راكب الدابة إذا أراد أن يخطب أو يتكلم مع أحد في حديث ما، فلا يفعل ذلك وهو على ظهر الدابة؛ لأن الدابة إذا حملت حملاً ثقيلاً وهي واقفة، فإن ذلك يتعبها؛ وأما إذا كانت تمشي فلا يتعبها، فقال له النبي الكريم ﷺ موصياً: أيها المتكلم: انزل عن ظهر الدابة، ثم تكلم وأنت على الأرض، ولا تفعل ذلك وأنت على ظهر الدابة. أجل، لقد أوصى ﷺ بالرفق بالحيوان ولو كان حيواناً مؤذياً، فقال ﷺ: «فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذّبح»(٣)..

ثم جعل ﷺ الجنة للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، فجاء في القرآن.. ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ...﴿٤٠﴾ ﴾

(١) أخرجه أبو داود من حديث شريح ﷺ، في كتاب الأدب، باب في الرفق، برقم ٤٨١٠. وهو صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ، في كتاب الجهاد، باب في الوقوف على الدابة، برقم ٢٥٦٩؛ وهو صحيح.

(٣) أخرجه مسلم من حديث شداد بن أوس ﷺ، في كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، برقم ٥١٦٧.

[سورة الشورى]. ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة الشورى]...

وهذا أبو بكر لما أنفذ جيش المسلمين بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة لقتال الروم، أوصاه قائلاً: (لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تقطعوا شجرة مثمرة. وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له)[1].

ولكن الإسلام في بعض الأحوال يقول: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ... ﴿١٩٤﴾ ﴾ [سورة البقرة]، والسبب أننا نرى في الحياة نفوساً ظالمة جائرة مثل الوحوش، فيجوز لنا أن نقابل عدوانها بالقصاص منها وتأديبها، يقول سبحانه: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ...﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة الشورى]، فسماها سيئة للمقابلة اللفظية؛ وأما في الحقيقة، فالمسيء عندما تعاقبه الدولة لا تكون المعاقبة سيئة.. إنما حسنة، لأن المسيء إذا تُرك بلا عقاب تمادى في إساءته، فلا يستقر السلم ولا الطمأنينة في المجتمع. ولذلك، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [سورة البقرة]. ويقول الله عز وجل: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٧).

ٱللَّهِ ...﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة الشورى]. إذن، يجوز رد السيئة بالسيئة، كما في توراة موسى، والقرآن يقول: ﴿ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ ...﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة المائدة].

وأما السيد المسيح فيقول: "من لطمك على خدك الأيمن، فحوّل له الآخر أيضاً"[1]. فهل تعمل أمريكة وبريطانية المسيحيَّتان بتوجيهات السيد المسيح؟! .

إن بريطانية جلبت اليهود إلى فلسطين، وأخرجت الفلسطينيين من وطنهم بمئات الألوف؛ ثم صدَرت عشرات القرارات من هيئة الأمم لإرجاعهم إلى أوطانهم، ولكن من دون جدوى؛ فما كانت قراراتها إلا حبراً على ورق، وما مصيرها إلا للغبار وللتلف، وأما التنفيذ فممنوع. أليس هذا صحيحاً؟! وكم عاماً مضى على هذه القرارات؟! بعضها مضى عليه أكثر من أربعين سنة! فالقرارات ضد الكيان الإسرائيلي- بسبب احتلالها للأراضي الفلسطينية والسورية واللبنانية قراراتٌ على الورق لا للتنفيذ؛ وأما إذا كانت القرارات ضد دولة عربية أو إسلامية، فتنفذ من فورها!!.

(١) إنجيل متى (الإصحاح الخامس: ٤٠).

✍ **السؤال الثاني**: ما حقيقة العنف؟ وهل يمكن أن نقول: هناك عنف مشروع وعنف غير مشروع؟!..

الجواب: العنف هو العدوان على المسالم، على الآمن، غير الظالم، غير الجائر، هذا هو العنف؛ وإلا فإن قتال الظالم لا يكون إلا بعنف. إذن، هناك عنف مشروع ضد ظالم غاشم معتدٍ أثيم، وعنف غير مشروع.. كالعدوان على بريء، غير آثم، غير معتدٍ.

✍ **السؤال الثالث**: برأيكم ما أسباب العنف المشروع أو ما يسمى اصطلاحاً "الكفاح التحرري"، الذي تتبناه حركات التحرر والاستقلال في فلسطين وجنوب لبنان والجولان والأراضي العربية التي اغتصبها الصهاينة؟.

الجواب: العنف حسب الحقيقة يتولد من جور الجائرين، ومثاله الجور الاستعماري الصهيوني الأمريكي على العرب والمسلمين.

عندما كنا في سن الطفولة، كان يشيع بيننا أن أمريكة لا تعتدي على الشعوب. كنا نظن ذلك ونحن أطفال أبرياء، وكانت عواطفنا مع أمريكة، ونحب أمريكة لأنها لم تعتدِ؛ وأما الآن، فإن أمريكة هي التي تغذي الكيان الإسرائيلي بالأموال، وبمختلف أنواع الأسلحة، وبحق الفيتو، وبالتأييد السياسي والتأييد الاقتصادي، وكل أنواع التأييد، وهم

يدَّعون أنهم مسيحيون، والمسيح- كما ذكرت آنفاً- يقول: "من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً". ونحن لم نضرب أمريكة على خدها الأيمن. ينبغي إذا ضربناها على خدها الأيمن- إذا كانت مسيحية بحق- أن تدير لنا خدها الأيسر، ولكنها- اليوم- تضربنا على خدينا الأيمن والأيسر، وبالمطارق على رؤوسنا، ثم تطلب إلينا أن نكون أصحاب أخلاق عالية! وإذا صرخنا من الألم يقولون: إننا نحرض على العنف.

العنف ينبغي لنا أن ندرس أسبابه؛ فإذا كانت أسبابه مشروعة، فللمظلوم حق الدفاع والرد. فلو أن ذئباً هجم على غنم؛ أيهجم بعنف أم بلطف؟ فبماذا نقابله؟ أنضرب له التحية ونقول: أهلاً بسيدنا الذئب!!

✍ **السؤال الرابع**: وهل يوجد وسائل لمعالجة العنف؟.

الجواب: العنف إذا أُريد مكافحته، ينبغي لنا أن نفتش عن بذوره، التي أنبتته وأوجدته بعد أن لم يكن موجوداً.. العنف يأتي من الظلم والجور والعدوان؛ فما دام هناك ظالم ومظلوم.. وما دام هناك معتد ومعتدى عليه.. ولا ناصر للمظلوم على ظالمه ليسترجع حقه، فمن غريزة كل ذي روح- ولو كان حيواناً ضعيفاً- أن يستعمل العنف إذا ضُغط عليه. أذكر واقعة حقيقية ذكرها أحد أحبابنا، قال: أدخل رجل هراً إلى غرفة، وأغلق الباب وراءه، وأراد قتله؛ فالتفت

الهر، وشاهد أن لا منفذ ولا مهرب، فوثب على ظهر طاولة مرتفعة. فأتى الرجل بعصا يريد أن يقتل الهر.. فلما رأى الهر اليأس من النجاة، هجم على عنق الرجل بأنيابه ومخالبه.. إنه لما يئس من النجاة، ما كان منه إلا الهجوم بعنف وبلا عقل، على مذهب قاتل أو مقتول. فلو أن الرجل ترك الباب مفتوحاً، لم يضطره إلى العنف؛ فطبيعة الحياة والأحياء أن تدافع عن ذواتها بالأمور الممكنة.. فإذا انعدمت النجاة، فستستعمل وسائل شتى للخلاص، ولو كان فيها تلفها، انتقاماً من الجائر الظالم، وبسبب فقدان القاضي العادل.

هل أنصفت هيئة الأمم الفلسطينيين؟! لو أرادت هيئة الأمم أن توقف الحرب في أفغانستان أما كانت تستطيع ذلك؟! وفي الصومال كذلك؟! إنهم يملكون جميع القوى والطاقات. ولكن القانون يُصاغ في هيئة الأمم ومجلس الأمن لمصلحة الأقوياء!! وحتى إذا صدر قرار بالإجماع ضد عدوان المعتدي، فيكفي أن تعترض عليه إحدى الدول الخمس بحق الفيتو ليلغى! أهذه هي الديمقراطية؟! أهذه هي العدالة؟! أهذه هي حقوق الإنسان؟! .

ولذلك نرى أنه إذا لم ينفذ الحكم الدولي العالمي بصدق وأمانة وعدل ومساواة، فإن كلمة سلم وسلام لن تكون إلا كذباً وضحكاً على الناس. ولذلك، ستبقى حال الإنسانية في اضطراب، وستبقى الحروب قائمةً، إلا إذا رجعنا إلى قانون الله.

هل يوجد أعظم من النبي ﷺ- مكانةً ومنصباً- في مجتمعه الذي بناه؟! إنه هو ﷺ الذي قال: «والذي نفسي بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[1].. ودعا ﷺ الناس، فقال: «فمن كنت أصبت من عِرْضِهِ أو من شعره أومن بَشْرِهِ أو من ماله شيئاً، هذا عرض محمد وشعره وبشره وماله، فليقم فليقتص»[2]. هذا هو الذي يحقق السلام، ويقضي على العنف؛ وأما أن يكون الظلم متواصلاً بعضه فوق بعض، فماذا تكون ردة فعل الضعيف؟ إن الهر- ذلك الحيوان البهيم، الذي لا يملك العقل الإنساني- فعل ما فعل على ضعفه في وجه ظالمه.

إن الدفاع عن النفس وعن الأرض وعن الأهل وعن الحقوق كافة.. هو حق مشروع، بل هو واجب، ولا يصح أن نسميه عنفاً أبداً. ولذلك نرجو من الله أن يلهم الأقوياء أن يؤمنوا بالله، لأن أحد أسباب العنف والمشكلات الناتجة منه هو عدم الإيمان بالله، وضعف الدين في العالم الغربي، والسبب يرجع إلى الكنيسة التي تعرض الدين بغير شكله الذي نزل من السماء؛ فالمطر عندما يترل من السماء لتوّه، فإنه يعطي الحياة؛ ولكنه عندما يختلط بأوساخ الناس، فإنه يعطي

(١) أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها، في كتاب الحدود، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع، برقم ٦٤٠٥.

(٢) أخرجه أبو يعلى عن الفضل بن عباس رضي الله عنهما في مسند عبد الله بن الزبير برقم ٦٨٢٤. وإسناده ضعيف.

الأمراض، وقد يعطي الموت، والعدل من الدين الصحيح، وكذلك نصرة المظلوم.

إن العدل هو الذي يرفع العنف، ونصرة المظلوم هي التي ترفع العنف؛ وأما إمداد الظالم بما يزيد من جوره، وإمداد المعتدي بما يزيد من عدوانه، فهذا عدوان على الشعوب، وعدوان على حقوق الإنسان.

ونرى الغرب- اليوم- يشتكي من العنف. وفي الواقع أنه يموت أبرياء كثيرون لا علاقة لهم بهذه الموضوعات، ولكنها حال اليأس، وحال اليأس تصير حالاً خطرة، تختل عندها الموازين.

فالذي يقضي على العنف هو العدل والإنصاف؛ ففي فلسطين، نشاهد- كل يوم، في التلفاز ووسائل الإعلام الأخرى، منذ عام ١٩٤٧ وإلى الآن- الظلم والجور واغتصاب الأراضي والتهجير والقتل. أَهُمْ أقل شعوراً بالدفاع عن أنفسهم من بقية الناس؟! فإذا ما دافع عن حقه وقاوم المعتدي المحتل، أيكون ظالماً عنيفاً؟! .

✍ **السؤال الخامس**: هل من كلمة أخيرة في هذا الموضوع؟.

الجواب: إذا لم تتق الله الدولُ الكبرى، فالعاقبة وخيمة. هذا الاتحاد السوفييتي- على الرغم من عظمته- انهار وسقط.

وسيأتي يوم مماثل على أمريكة، إذا استمرت بظلم عباد الله في

أقدس البقاع المقدسة في العالم، ولا بد من أن ينتصر الله للضعفاء. إن أمريكة- على عظمتها- ليست أعظم من الله. وكم من أرامل وأيتام ومهجرين بمئات الألوف، تقع اللائمة- في حقهم- على أمريكة وبريطانية ومن عاونهما.

فإذا تدخَّلَ جنود الله.. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ... ﴿٣١﴾﴾ [سورة المدثر]، فسيعلم ﴿.. ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [سورة الشعراء]. فالإيدز. ما الإيدز!؟ ليس إلا جرثوماً لا يرى بالعيون، هو محض فيروس، لا يملك قنابل ذرية، ولا طائرات قاذفة مثل ‹الشبح›، وعلى الرغم من ذلك فهو يقتل بالملايين...

إن الاستغناء بالحرام وتفكك الأسرة والاستغراق بالملذات والمخدرات وغيرها هي إشارات على بداية انتقام الله عز وجل من الظالمين..

فلذلك أسأل الله أن يلهم الإنسان أن يعود إلى قانون الله، وأن يتثقف بثقافة الله، التي تجعله إنساناً كريماً، وبذلك نتخلّص من العنف من مصدره ومن ردات فعله.

كلمات وحوارات

العنف في الجزائر
تحليل وحلول[1]

(١) حوار مع سماحته، أجراه مراسلا مجلة الشراع اللبنانية وجريدة القدس العربي، في دمشق، في ١٨/ ١/ ١٩٩٨.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- ما يقع في الجزائر من قتل الأبرياء مرفوض عقلاً وشرعاً.

٢- سببه ضعف الإيمان بالله وغياب تعاليم الإسلام.

٣- وهذا بدوره نتيجة طبيعية لغياب العلماء الحكماء، كما أن الظلام نتيجة طبيعية لغياب الشمس.

٤- لا بد من التقاء أهل العلم والسياسة لدراسة واقع الأمة، وتشخيص مرضها، ووصف المعالجة ومتابعتها.

٥- هذا الداء نتيجة لشح مطاع (بخل بالإنفاق على التعليم الحقيقي لكتاب الله) ولهوى متبع (سيطرة الغرائز على العقل والروح) ولإعجاب المرء بنفسه (بروز الأنانيات والتفاخر ولو بالحرام). ولذا، تعالى الناس بعضهم على بعض، وحاول كل طرف إلغاء الآخر، وبدأت دوامة العنف.

٦- حل هذا الواقع في أداء كل طرف الحقوق الواجبة عليه للآخرين، ومعرفة حدود ما له وما عليه.

٧- الحكم الشرعي في أنّ القتل بغير حق حرام ولو بالمساعدة، وأن قتل مسلم لمسلم يُدخل الفاعل في دائرة الكفر.

٨- هذا الواقع يتماشى مع مشروع استعماري تخريبي لمقومات النهوض، تخطط له وتنفذه محافل سرية، ويهدف إلى تشويه صورة الإسلام في العالم لمنعه من تأييد قضايا المسلمين.

٩- لا نعتقد أن جماعة إسلامية ترتكب هذه الأعمال الفظيعة. وهناك من يدعي أنه إسلامي، ولكن أعماله تحكم عليه بغير ذلك، لمخالفتها للنصوص، ويجب نَسْبها إلى المندسين والمزيفين.

١٠- أحداث العنف هي نتيجة مشروعات صهيونية وقتلة مأجورين، لاستعداء العالم ضد المسلمين واستقطابه لصالح الصهيونية.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص الحوار

✍ **السؤال الأول:** سماحة الشيخ أحمد كفتارو، مفتي الجمهورية العربية السورية: كيف ترون ما يقع في الجزائر؟.

الجواب: إن ما يقع في الجزائر من ذبح للأطفال والنساء والرجال والشيوخ الأبرياء لا يقبل به عقل ولا دين، وهو مرفوض بكل المقاييس، ويتناقض- على نحو صارخ- مع المبادئ الإسلامية والتوجيهات الإلهية.

وفي تقديري، إنَّ ما يحدث سببه ضعف الإيمان بالله تعالى، وغياب سلطانه وثوابه وعقابه، وغياب تعاليم الإسلام.. بجوهره وحقيقته وصفائه ونقائه ومفاهيمه الحضارية. والنتيجة الطبيعية إذا غابت شمس الحقيقة أن يحل ظلام الجاهلية، ويعيش الناس في عالم الشك والخوف

والأوهام، وبعد ذلك يتخبط الناس في دياجير الظلام، ويضيعون في صحارى التيه، ويغرق العابثون والجانحون في مستنقعات الدماء. وهذا ما كان يحدث في التاريخ بين حين وآخر، عندما يفتقد الناس الهداة من العلماء والحكماء من ورثة الأنبياء، ويصيرون بلا رعاة يهدونهم سبل السلام، كما قال سيدنا محمد ﷺ: «العلماء مصابيح الأرض، وخلفاء الأنبياء، وورثتي، وورثة الأنبياء»[1].

وإنَّ ما يحدث من نكبات ومآسٍ في الجزائر، يستدعي- من دون تأخير- أن يسعى رجال العلم والسياسة في هذه الأمة- من أهل الحل والعقد- إلى بحث واقع الأمة ودراسته، لتشخيص حالها اليوم، وتحديد أمراضها، ووصف المعالجة المناسبة لها، ومتابعة مداواتها حتى تتعافى. وفي تقديري: إن من أسباب هذا الداء الذي أصاب الأمة ما قاله رسول الأمة ﷺ: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»[2]، فعندما تبخل الأمة بالإنفاق من مواردها على تعليم كتاب الله الحكيم، وفهم منهجه في بناء مجد هذه الأمة وعزها وازدهارها وأمنها واستقرارها؛ وعندما تتبع الأمة الهوى والشهوات، وتسيطر الغرائز على مدارك العقل والروح، وتنفق كثيراً من مواردها على اللهو

(١) أخرجه ابن عدي عن علي ﷺ. وهو حديث صحيح كما قال المناوي [انظر: كشف الخفاء (٢/٦٤)].

(٢) أخرجه الطبراني- في الأوسط- من حديث أنس ﷺ، برقم ٥٤٥٢؛ وهو حسن.

والاستمتاع، عندها تختلط الأمور، وتنقلب رأساً على عقب، ويتفاخر الناس بالزينات والمقتنيات، ويتنافسون في الكسب الحرام، وحب التسلط والشهوات، ويصاب الناس بالغرور وداء العجب، وتبرز الأنانيات والفرديات، وتعمى بصيرة الأمة، ويتعالى الناس بعضهم على بعض، ويحاول كل طرف إلغاء الطرف الآخر وتصفيته، وتبدأ دوامة العنف والعنف المضاد.

إن ما يقع في الجزائر له صلة بما ورد في حديث رسول الله ﷺ: «ليأتينّ على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قَتَل، ولا يدري المقتول على أي شيء قُتِل»[1].. والحل ما ورد في قول النبي ﷺ: «إنكم سترون بعدي أثرة (أي: أنانيات وفرديات وتسلط ومغانم)، وأموراً تنكرونها (لأنها تتنافى والفطرة السليمة والمنطق السليم، وما تعارف عليه الناس). قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدوا إليهم حقهم (وهي التكاليف الشرعية، وهي: حقوق الله تعالى، وحقوق العباد، تؤدونها كاملة غير منقوصة) وسلوا الله حقكم»[2] فإذا قام كل طرف بأداء الحقوق الواجبة عليه للآخرين، وعرف حدود ما له وما عليه، فلا يبقى هناك مشكلة مستعصية.

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ، في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، برقم ٧٤٨٧.

(٢) أخرجه البخاري عن ابن مسعود ﷺ، في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: سترون بعدي أمورا تنكرونها، برقم ٦٦٤٤.

وأما الحكم الشرعي فيما يقع من أحداث، فإنه وارد في قوله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ...﴿٣٢﴾﴾ [سورة المائدة]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴿٩٣﴾﴾ [سورة النساء]، وقول رسول الله ﷺ: «من أعانَ على قتلِ مؤمنٍ بشطرِ كلمة لقيَ الله عز وجل مكتوب بين عينيه آيسٌ من رحمةِ الله »[1]، وقوله ﷺ في خطبة حجة الوداع: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا... لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض»[2].

وإن ما يقع في الجزائر من صراعات دامية تأتي في سياق مشروع تخريبي تدميري لمقومات الوجود والنهوض، تخططه وتنفذه محافل سرية، بأيدٍ عميلة تتقن أساليب إدارة الجريمة والإرهاب، لأن بعضهم رفع شعار المواجهة مع الإسلام والقضاء عليه، بعدما تم القضاء على الشيوعية. والمقدمات تعرف من نتائجها، والنتائج تشير إلى الدوافع

(١) أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب الديات، باب التغليظ في قتل مسلم ظلماً، برقم ٢٦٢٠. وقال البوصيري (٣/ ١٢٢): هذا إسناد ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي بكرة ﷺ، في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، برقم ٦٦٦٧.

والبواعث. ومن البدَهي، أننا- نحن المسلمين- ندعو إلى العالم الفاضل ونجاهد من أجله، وهذا يتعارض والمصالح الاستعمارية القائمة على إشاعة الفوضى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ولذا، إن هذه الأحداث البشعة، تهدف إلى تشويه صورة العرب والمسلمين، وعزلهم، وضرب مصالحهم وقضاياهم، ومنع تأييد العالم لهم.

ومن الواضح أن الصهيونية تخوض صراعاً وسباقاً لاستقطاب الرأي العام العالمي، وكسب تأييده لمخططاتها ومشروعاتها، التي تتمثل في السعي الحثيث إلى السيطرة والهيمنة على مقدرات المنطقة.

✍ **السؤال الثاني:** إلى أي درجة تتحمل الجماعات الإسلامية مسؤولية ما يحدث؟.

الجواب: إني لا أعتقد أن جماعة إسلامية ترتكب مثل هذه الأعمال الفظيعة والشنيعة، إذ إن الأعمال وليس الأقوال هي التي تحكم على الأفراد أو الجماعات، إذا ما كانوا ينتسبون إلى الإسلام حقاً أو لا! وأما التزين بزينة الإسلام، أو الادعاء بالانتماء إليه ظاهراً، وأعمالنا- في الواقع- تخالف أقوالنا وادعاءاتنا، فعندئذ نكون قد وقعنا في مخالفة الإسلام...

لقد خاطب الله نبيه محمداً ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا

﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة الأنبياء]، والرسول ﷺ يقول: «الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(١)، ويقول ﷺ: «لا يدخل الجنة إلا رحيم. قالوا: يا رسول الله، كلنا يرحم. قال: ليس رحمة أحدكم خُوَيْصتَه، ولكن حتى يرحم العامة»(٢).. وأما ما نسمعه ونشاهده من فظائع تطول الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ، فلا يمكن أن تُنسب إلى جماعة إسلامية، بل تنسب إلى المندسين بين صفوف الطرفين. وإن ما نراه وما نسمعه من أحداث وصراعات دامية، هي نتيجة لمخططات ومشروعات صهيونية واستعمارية، تنفذ بأيدٍ عميلة غبية، امتهنت تجارة القتل والإجرام، من أجل القضاء على الحضارة الإسلامية، التي تقف حائلاً في وجه المشروعات الصهيونية والاستعمارية. وأول أغراض هذه الحملة الباغية، تشويه صورة الإسلام الناصعة، واستعداء الرأي العام العالمي عليه، وتوظيف هذا الرأي ضد الإسلام والمسلمين، لصالح المشروع الصهيوني.

ولقد آن الأوان لأن يتنبه جميع المعنيين إلى خطورة المشروعات القائمة، وأن يعملوا مخلصين على سد الثغرات، التي يمكن أن يَنْفُذَ منها

(١) أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، في كتاب البر والصلة، باب رحمة المسلمين، برقم ١٩٢٤، وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي عن أبي هريرة ﷺ، في الأصل السبعين والمئتين في أن من لا يرحم لا يرحم؛ وهو ضعيف. وخُوَيْصتَه: يعني أهله وولده.

الطامعون، الذين يستخدمون المتطرفين والعملاء مطايا لأغراضهم، وذلك بإعطاء مساحة أوسع للعلماء الحكماء.. الذين يجيدون رأب الصدع، وإصلاح ما أفسدته السنون.

✍ **السؤال الثالث:** برأيكم، هل للدولة الجزائرية دور معين فيما يقع، سواء بالمسؤولية المباشرة كما يجرى الحديث أحياناً، أو بالتقاعس عن القيام بواجبها- كونها سلطة- تجاه حماية مواطنيها؟.

الجواب: لا بد من أن يتعاون جميع المخلصين والعاملين من رجال السياسة والحكم والإعلام والمال لسد الثغرات، التي يتسلل منها العابثون تجار الحروب والدماء، من خلال اعتماد مبادئ أخلاقية وحضارية، تتمثل في الشورى والحوار، بعيداً عن المصالح الشخصية والفردية.. والأثرة وحب الذات؛ ومن خلال دعم المؤسسات العلمية والتربوية والإعلامية الجادة الملتزمة ومساندتها، واعتماد المنهج الرباني للإصلاح والبناء وصيانة الموارد ومقومات الوجود.

وأما في ما يتعلق بالمسؤولية ؛ ففي الإسلام كل مسلم مسؤول، يقول تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة الصافات]، وقال ﷺ: «ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته»[1]، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لو هلك حمل من ولد الضأن ضياعاً بشاطئ الفرات،

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، برقم ١٨٢٩.

خشيت أن يسألني الله عنه"[1]. وفي جميع الشرائع والقوانين والأعراف، يُعَدُّ ولاة الأمور مسؤولين عن جميع شؤون رعاياهم، قال ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه، أَحَفِظَ ذلك أم ضيَّعه؟ حتى يُسأل الرجل على أهل بيته»[2]، وقال ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، فلم يحطها بنصحه، إلا لم يجد رائحة الجنة»[3].

وإنّ أخشى ما نخشاه أن يكون الهدف من جميع ما يقع من مآسٍ ونكبات هو الحرص على تصفية كل طرف للآخر، وعند ذلك يكون قد وقع الطرفان- كلاهما- في المصيدة المعادية والمخطط الشيطاني.

✍ **السؤال الرابع**: ما مسؤولية الدول العربية والإسلامية تجاه ما يقع في الجزائر؟.

الجواب: من الطبيعي- عندما تصل الأمور إلى هذا الحدّ من التردي- أن يتنادى أهل الحل والعقد من علماء الدين والعلم والحكمة والسياسة والإعلام للبحث والدراسة والتقويم.. واستخلاص النتائج والعبر، قبل أن تفلت زمام الأمور، وتصل الأمة إلى نقطة اللاعودة.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣ / ٣٠٥).

(٢) أخرجه النسائي عن أنس ﷺ، أبواب حقوق الزوج، مسألة كل راع عما استرعى، برقم ٩٧١٤؛ وهو صحيح.

(٣) أخرجه البخاري من حديث معقل ﷺ، في كتاب الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح، برقم ٦٧٣١.

والأمة الإسلامية العربية- وما فيها من هيئات ومؤسسات ورجال من أهل الحل والعقد؛ من علماء وفقهاء وحكماء وسياسيين وإعلاميين- مدعوة إلى القيام بدورها، وتحمل مسؤولياتها، لمساعدة الشعب الجزائري على الخروج من محنته ومعاناته. ويعدُّ التقصير في هذا المجال موجباً لمساءَلة الله- تعالى- للمقصرين.

✍ **السؤال الخامس**: هل من مسؤولية معينة على المجتمع الدولي والدول النافذة، ونخص بالذكر منها إيران وفرنسة والولايات المتحدة؟

الجواب: إن ما يقع في الجزائر له بعد إنساني. وفي الحدود الإنسانية، لا بد من تقديم كل مساعدة وعون للشعب الجزائري للخروج به من دوامة العنف بكل الوسائل الممكنة.

كلمات وحوارات

موقف الإسلام
من التطبيع مع الكيان الإسرائيلي
ومن العمليات الاستشهادية[1]

(١) حوار مع سماحته، أجراه علي الصيوان مراسل جريدة تشرين السوريِّة، في دمشق، في عام ١٩٩٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- الرد على اتهام الصهاينة ومن خلفهم أن الإسلام مصدر إرهاب، وفيه النقاط الآتية:

أ- لا مبدأ أحق أن يسمى باسم السلام إلا الإسلام.

ب- الإسلام تجاوز السلام (الهدنة بين متحاربين وقلوبهم حاقدة مترقبة) إلى الرحمة (الحال السامية التي تكون بين الأخ وأخيه والأم وابنها).

ج- الإسلام أعطى المواطنين (مسلمين وغير مسلمين) حقوقهم، وأوقف حكم الغاب.

د- الجاليات- التي عاشت ضمن كنف الحكم الإسلامي- تشيد بالتراحم والتكافل، الذي رمزه الإسلام لها؛ حتى إن اليهود- بعد سقوط الأندلس- فضلوا الهجرة مع

المسلمين المغلوبين على البقاء- في إسبانية- مع الفرنجة الغالبين، وتوجهوا إلى بلاد المسلمين وبخاصة فلسطين وأحسن إليهم المسلمون أيما إحسان.

هـ - لا تجد مسلماً يذم المسيح أو موسى، على الرغم من جميع ما عاناه المسلمون من الصليبيين أو الصهاينة.

٢- موقف الإسلام من التطبيع مع الكيان الإسرائيلي فيه نقاط عدة:

أ- إقامة علاقات طبيعية في جوانب مختلفة مع الكيان الإسرائيلي لا تحتاج إلى اجتهاد كبير، فالتطبيع مع الظالم ظلم.

ب- النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تقر بعدم جواز إقرار الظالم على ظلمه، وهو موقف العقل والتشريع الدولي.

ج- **لا يشك عاقل في تحريم التطبيع مع الكيان الإسرائيلي ما دام يصر على الظلم**. ومن غيّه وبغيه أنه لا يعترف بحق عودة أكثر من أربعة ملايين فلسطيني مشردين بحجة أنهم خرجوا قبل جيل أو جيلين، على الرغم من أنه يسمح ليهود يحتمل أن أجدادهم مروا- قبل سبعين جيلاً- على فلسطين، أو لم يمروا مطلقاً.

د- استناداً إلى النصوص والواقع، نفتي بحرمة التطبيع مع الكيان الإسرائيلي ما دام على سياسته الحالية.

٣- الموقف الشرعي من التضحية بالنفس (العمليات الاستشهادية) لدفع العدوان، وفيه النقاط الآتية:

أ- يجب التمييز بين الانتحار والاستشهاد. وإطلاق مصطلح "العمليات الانتحارية" خاطئ، ويراد به إقناع الجماهير أن الاستشهاد انتحار.

ب- المنتحر نيته قتل نفسه فقط، وأما المستشهد فنيته انتصار الإسلام وتحرير الأرض.

ج- الشهادة قيمة عظمى ما دامت لإعلاء الحق وإسقاط الباطل.

د- تلاميذ رسول الله ﷺ تسابقوا إلى الموت في المعارك لإعلاء الحق.

هـ - سنة الله في كونه أن الإصلاحات الكبرى لا تقوم من غير تضحيات.

و- غزوة مؤتة هي مثال لجواز العمليات الاستشهادية، لأن ثلاثة آلاف مقابل مئة وخمسين ألفاً يوجب التضحية.

ز- وحديث الأنصار السبعة- يوم أحد- دليل على جواز العمليات الاستشهادية، لأن الخمسة الباقين أقدموا على القتال وهم يعلمون أن وراء إقدامهم موت محتم.

ح- أجاز الفقهاء حمل الرجل الواحد على الألف من الأعداء

ما دام يطمع في نجاة أو نكاية في عدو أو يقصد تشجيع المسلمين على القتال أو إرهاب العدو ليعلم صلابة الدين.

ط- آية {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} لا تدخل في هذا المضمار، بل هي تخص من انشغل بأمواله عن الجهاد ونصرة الحق.

ي- الشهيد في العمليات الاستشهادية يُقْتل بسلاحه، وأما الشهيد في المعارك فيقتل بسلاح أعدائه.. والأمر سيان ما دام قصده نكاية العدو وقتل الأعداء لا قتل نفسه.

ك- اللجوء إلى مثل هذه العمليات يكون في حال الضرورة القصوى، عندما لا يكون ثمة وسيلة لدحر العدو إلا هذه.

ل- للعمليات الاستشهادية ضوابط في الإسلام:

١) مقصدها الدفاع عن الأمة الإسلامية.

٢) موجهة ضد الظلمة المحاربين.

٣) تكون ضمن خطة عامة تضمن مصلحة الأمة الإسلامية.

٤- المقارنة بين صلح الحديبية والاتفاقات مع الكيان الإسرائيلي، فيها تصويبان:

أ- المقارنة خاطئة لأسباب عدة:

١) صلح الحديبية هدنة بين عدوين، وأما التطبيع والسلام

مع عدو يضيع الحقوق ويحتل الأرض فلا يجوز شرعاً، والهدنة جائزة.

٢) صلح الحديبية عقده قائد الأمة للأمة كلها كتلة واحدة، وأما الاتفاقات فهي منفردة تضعف الأمة.

ب- الاتفاقات مع الإسرائيلي جرّأته على احتلال الأرض والاحتفاظ بها وانتهاك حقوق الأمة.

٥- من سبل مواجهة الأخطار التي تهدد الأمة:

أ- الوحدة الإسلامية هي وسيلة إنقاذ فلسطين وإعادة اعتبارنا.

ب- ضاعت فلسطين ثلاث مرات تاريخياً ثم أنقذها الإسلام:

١) احتلها الرومان وحررها المسلمون زمن الفاروق.

٢) احتلها الصليبيون وحررها صلاح الدين.

٣) احتلها المغول التتر وحررها المظفر قطز.

ج- ضيعنا فلسطين للمرة الرابعة، ولا بد من الرجوع إلى المنهج الإسلامي في التجمع والوحدة وإعداد القوة حتى نسترجعها.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص الحوار

✍ **السؤال الأول:** شن الإسرائيليون- ومن يساندهم- حملة على الإسلام باعتباره إرهاباً. علماً أن المجتمع الإسلامي العربي تفرّد عبر التاريخ بعدم اضطهاد اليهود. فما سر هذه الحملة؟.

الجواب: الإسلام رسالة السلام، والسلام من أسماء الله الحسنى، وتحية المسلمين السلام، وباب الجنة باب السلام، ومكة دار السلام، وتحية أهل الجنة السلام.. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ٢٣﴾ [سورة إبراهيم].

فلو كان لمبدأ في الأرض أن يسمى باسم "السلام"، لم يكن شيء أولى من الإسلام بهذه التسمية، وذلك لما حققه الإسلام- على أرض الواقع- من الأمن والسلم.

والإسلام لم يكتف بالسلام، بل حقق ما هو أعظم من السلام: حقق الرحمة. فالسلام هدنة بين متحاربين.. تنام قلوبهم على الحقد والترقب، وأما الرحمة فهي ما يكون بين الأخ وأخيه والأب وولده والأم وأبنائها، وهو مقتضى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [سورة الأنبياء].

لقد جاء الإسلام ليحقق كرامة الإنسان، ويوقف حكم الغاب وتسلط القوي على الضعيف، ويمَنَعَ اعتداء المسلم على المسلم وعلى غيره، ويعطي للمواطنين غير المسلمين حقوقهم، ويصون كرامتهم وحرياتهم، وفق القاعدة الذهبية: "لهم ما لنا وعليهم ما علينا"[1].. يقول تعالى: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ ﴾ [سورة الممتحنة].

وهكذا، فإن الإسلام- في مصادره وأصوله- رسالة سلام ورحمة. وخلال التاريخ الإسلامي، فإن الجاليات والأقليات- التي عاشت في

(١) لما أغار أمير التَتَر قطلو شاه على دمشق في أوائل القرن الثامن الهجري، وأسر من المسلمين والذميين من النصارى واليهود عدداً، ذهب إليه الإمام ابن تيمية ومعه جمع من العلماء، وطلبوا فك ذمام الأسرى، فسمح له بالمسلمين، ولم يطلق الأسرى الذميين، فقال له رحمه الله: "لا بدمن افتكاك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا، ولا ندع لديك أسيراً، لا من أهل الملة، ولا من أهل الذمة، فإن لهم ما لنا، وعليهم ما علينا"، فأطلقهم الأمير التتري جميعاً [مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦١٧-٦١٨)].

كنف الأمة الإسلامية- كانت تتحدث عن التراحم والتكافل.. الذي وفّره الإسلام لها. وأضرب لهذا التسامح مثالاً من الأندلس؛ فقد عاش اليهود في ظلال الحكم الإسلامي في الأندلس قروناً عدة، وكانوا يحظون بحقوقهم كاملة. ولعل أوضح دليل على ذلك أن سقوط الأندلس وضعهم في مواجهة خيارين اثنين: إما البقاء مع الإسبان الغالبين، وإما الهجرة مع المسلمين المغلوبين. وهكذا، فإنهم فضلوا أن يهاجروا مع المسلمين وأقاموا في ديار الإسلام وبخاصة فلسطين، لمَا كانوا يجدونه في تعاليم الإسلام من سماحة وخلق كريم وإحسان عظيم.

إن الإسلام يربي المسلم على احترام سائر الرسالات السماوية. فعلى الرغم مما جرى بيننا والصليبيين الفرنجة من حروب، ثم الاستعمار الصليبـــي الجديد لعالمنا، فإنك لا تجد مسلماً واحداً يقدح في منـــزلة السيد المسيح أو أمه الطاهرة العذراء. وعلى الرغم مما ظهر من اليهود من مخازٍ وخيانات عبر التاريخ.. وغدر وفجور وظلم في زماننا.. وحتى ارتكابهم أبشع المجازر بحق المسلمين الآمنين، فإنه لا يوجد مسلم واحد يقدح في منـــزلة نبي الله موسى أو داود أو سليمان أو أي نبي من أنبياء بني إسرائيل.

وهكذا، فإن هذه الاتهامات- التي يطلقها الإسرائيليون على الإسلام- جزء من التضليل الإعلامي، الذي لا يمت بصلة لتعاليم أي نبي

من الأنبياء، وهو مناقض للواقع التاريخي والنصوص المنـــزلة من الله تعالى.

✍ **السؤال الثاني**: ما موقف الإسلام من التطبيع مع الكيان الإسرائيلي؟.

الجواب: يُراد بالتطبيع إقامة علاقات طبيعية في الجوانب المختلفة: فهناك تطبيع سياسيّ، وتطبيع اقتصادي، وتطبيع دبلوماسي، وغير ذلك. وهذه المسألة لا تحتاج إلى اجتهاد كبير، فهي جلية؛ **فالتطبيع مع الظالم ظلم، لأنه إقرار له على ظلمه**، وهذا منصوص عليه في مواضع قرآنية كثيرة، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ...﴿١﴾﴾ [سورة الممتحنة]، ويقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة القصص].. وقال ﷺ: «من أعان على خصومة بظلم، لم يزل في سخط الله حتى يترع»[(١)]، وقال ﷺ: «إذا رأيتَ أمتي تهابُ الظالم أن تقول له: أنت ظالم، فقد تُودِّع منهم»[(٢)].

وهكذا، فإن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية متوفّرة

(١) أخرجه ابن ماجه عن ابن عمر ﷺ، في كتاب الأحكام، باب من ادعى ما ليس له وخاصم فيه، برقم ٢٣٢٠؛ وهو صحيح. وحتى يترع: أي حتى يترك ذلك بالتوبة.

(٢) أخرجه أحمد عن ابن عمرو رضي الله عنهما، مسند المكثرين من الصحابة، برقم ٦٥٢١. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي (٩٦/٤).

متضافرة، تدل بمجموعها على عدم جواز إقرار الظالم على ظلمه، وهذا- في الحقيقة- موقف العقل والنقل، يعرفه التشريع الدولي ويقره، وهذا ما نص عليه الإسلام. **ومن خلال هذا المعيار، فإنه لا يشك عاقل في تحريم التطبيع مع الكيان الإسرائيلي**، ما دام يصرُّ على الظلم، ويصرُّ على تشريد الشعب الفلسطيني، واغتصاب الأرض العربية. إن الكيان الإسرائيلي- اليوم- لا يعترف بأي حق إنساني لأكثر من أربعة ملايين فلسطيني مشردين في الأرض.. بحجة أنهم خرجوا قبل جيل أو جيلين، على حين يرون حق الهجرة متى شاؤوا لليهود.. الذين يحتمل أن أجدادهم- قبل سبعين جيلاً- مرّوا من فلسطين، بل ربما أن أجدادهم لم يعرفوا أصلاً شيئاً اسمه فلسطين، لأن أكثرهم لا يمتون بأي صلة إلى سكان هذه المنطقة.

ولنسأل التاريخ وعلم الأجناس: هل كان سكان فلسطين أفارقة من العرق الأسود كي يُعطى الحق ليهود الفلاشة الإثيوبيين بالهجرة إلى أرض فلسطين؟! أم كان سكان فلسطين من الخزر أو الجرمان أو الأجناس الأخرى التي تُعطى- اليوم- حق الهجرة إلى فلسطين؟! على حين يُحرم الفلسطينيون- الذين تمتد آثارهم في فلسطين إلى آلاف السنين- من العودة إلى أراضيهم وبيوتهم ومزارعهم بعد أن أخرجوا منها بالقوة والترويع!!

وهكذا، فاستناداً إلى النصوص الشرعية السالفة.. وإلى الواقع الذي

يتحرك فيه العدو الإسرائيلي؛ نفتي بحرمة التطبيع مع الكيان الإسرائيلي ما بقي على سياسته الحالية من الظلم والبغي والعدوان واحتلال الأرض.

✍ **السؤال الثالث**: ما الموقف الشرعي من الاستشهاد بطريق التضحية بالنفس لدفع العدوان الإسرائيلي عن الشعب وتحرير الأرض؟.

الجواب: قبل أن أرد على السؤال، أريد أن أنبّه إلى خطأ تقع فيه بعض أجهزة الإعلام، إذ يطلقون على هذه الأعمال "العمليات الانتحارية"، وهذا خطأ فادح، وكأنما هناك من يريد إقناع الجماهير أن هذا العمل إنما هو عمل انتحاري! وما أبعد المسافة بين الاستشهاد والانتحار؛ فالاستشهاد فضيلة عظيمة، والانتحار رذيلة وكبيرة عند الله وعند الناس.

المنتحر نيته وإرادته الانتحار بقتل نفسه، والمستشهد نيته وإرادته انتصار الإسلام.. وتحرير الأرض.. ودفع الظلم.. واستعادة الحرية والكرامة لأمته وشعبه وأجياله، ورسول الله ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[1]، وقال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[2]. فالشهادة قيمة عظمى في

(١) أخرجه أبو داود من حديث ابن الخطاب رضي الله عنه، في كتاب الطلاق، باب فيما عنى به الطلاق والنيات، برقم ٢٢٠٣؛ وهو صحيح.

(٢) أخرجه البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه، في كتاب العلم، باب من سأل وهو قائم عالماً جالسا، برقم ١٢٣.

الإسلام ما دامت لإعلاء الحق وإسقاط الباطل، والشهداء هم الأحياء حين تقاس الحياة بما قدموه من عطاءات في سبيل الإنسانية في ظل مرضاة الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ...﴿١٧٠﴾﴾ [سورة آل عمران].

وقد كان تلاميذ رسول الله ﷺ من الصحابة الكرام يتسابقون إلى الشهادة في ميادين المعارك، لإعلاء الحق وإزهاق الباطل، وكان سيف الله خالد بن الوليد يخاطب قادة الجيوش الرومية بقوله: "لقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة"(١).

لقد قضت سنة الله القائمة في الكون أن الإصلاحات الكبيرة في هذا العالم، لا تقوم من دون تضحيات كبيرة. ولأجل ذلك استشهد كثير من الأنبياء. وأصحابهم، وكان الله قادراً على أن ينصرهم من دون تلك التضحيات، ولكن هكذا شاءت إرادة الله.

ولقد أرسل النبي ﷺ أصحابه إلى غزوة مؤتة، وكان يعلم أنهم ماضون في عملية استشهادية؛ فهم ثلاثة آلاف في مقابل مئة وخمسين ألفاً من أعدائهم من الروم، ولكن لم يكن هناك بدّ من التضحية؛ لأن

(١) الأموال لابن زنجويه (١/ ١٢٧).

الروم كانوا يفكرون بغزو المدينة، ولن يردهم إلا كتائب الحق، وقد سمى رسول الله ﷺ ثلاثة من الصحابة قادة أمراء.. ولم يكن فعل هذا من قبل.. كلما استشهد منهم واحد، ولي الآخر القيادة بعده.[1]

وجاء في السيرة أيضاً: «إن رسول الله ﷺ أُفْرِدَ يومَ أُحدٍ في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش. فلما رَهِقُوه، قال: من يردهم عنا وله الجنة؟ (أو هو رفيقي في الجنة؟) فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رَهِقُوه أيضاً، فقال: من يردهم عنا، وله الجنة؟ (أو هو رفيقي في الجنة؟) فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل. فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة»[2]. وقد يرد إشكال في فهم هذا الحديث.. والاستدلال به على جواز العمليات الاستشهادية، من جهة أن الأول والثاني ربما لم يتيقنا الموت في القتال. ولئن سلمنا بهذا، فإن الخمسة الباقين أقدموا- بلا مراء- على القتال.. وهم يعلمون أن وراءه الموت المحتم.. وأن من ورائهم وعد النبي ﷺ بالجنة، وهذا ينطبق على العمليات الاستشهادية.

جاء في تفسير القرطبي عن القتال، الذي يغلب فيه الهلكة، وهو ما يسمى في عُرفنا "العمليات الاستشهادية": "لو حمل رجل واحد على

(١) إرشاد الثقات للشوكاني (١/ ٥٧).

(٢) أخرجه مسلم عن أنس ﷺ، في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، برقم ٤٧٤٢. ورهقوه: بمعنى ضيق عليه كفار قريش.

ألف رجل من المشركين وهو وحده، لم يكن بذلك بأس إذا كان يطمع في نجاة أو نكاية في العدو. فإن لم يكن كذلك، فهو مكروه؛ لأنه عرض نفسه للتلف في غير منفعة للمسلمين. فإن كان قصده تجرئة المسلمين عليهم كي يصنعوا مثل صنيعه، فلا يبعد جوازه؛ لأن فيه منفعة للمسلمين على بعض الوجوه. وإن كان قصده إرهاب العدو وليعلمهم صلابة المسلمين في الدين، فلا يبعد جوازه. وإذا كان فيه نفع للمسلمين فتلفت نفسه لإعزاز دين الله وتوهين الكفر، فهو المقام الشريف الذي مدح الله به المؤمنين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ...﴿١١١﴾﴾ [سورة التوبة]. إلى غيرها من آيات المدح التي مدح الله بها من بذل نفسه... ولا يدخل هذا في قوله تعالى: ﴿... وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة البقرة]؛ لأن الآية أنزلت لغير هذا. فقد رُوي أن المسلمين كانوا يحاصرون القسطنطينية، فخرج إليهم الروم، فاصطفوا. فحمل رجلٌ من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس، وقالوا: سبحان الله، يُلقي بيديه إلى التهلكة؟! فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أيها الناس، إنكم لتُؤوِّلون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت فينا معشر الأنصار، لمّا أعز الله الإسلام.. قال بعضُنا: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام، وكثُرَ ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا، فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله يرد علينا ما قُلنا: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى

ٱلتَّهۡلُكَةِ...﴿١٩٥﴾ ﴾ [سورة البقرة].. فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو".[1]

ويبقى هناك فرق بسيط بين العمليات الاستشهادية وما دلت عليه الآثار السابقة، من جهة أن الشهيد هنا يُقتل بإرادته، وبفعل سلاحه هو، كأن يركب سيارة مفخخة، أو يحيط نفسه بحزام متفجر.. على حين أن الشهيد- من الأدلة السابقة- هو من يُقتل بيد أعدائه. والأمر سيان، ما دام في ذلك نكاية بالعدو، وبث للرعب والقلق في نفوس أعداء الإسلام، ودفع للظلم عن أمته.

ويجب أن نؤكد أن المنفذ للعملية الاستشهادية- عندما يضغط على مفتاح المتفجرات- يقصد- في نيته في تلك اللحظة- قتل أعدائه وليس قتل نفسه، ويأتي استشهاده نتيجة لذلك. وكذلك لا يلجأ الاستشهاديون إلى هذه العمليات إلا عند الضرورة القاهرة، عندما تكون الأمة في ضعف لا تستطيع معه الرد على جبروت العدو، ولم تبق عند المجاهدين من قوة رادعة إلا العمليات الاستشهادية.

وبناء على ما سبق، فإنه **يجوز القيام بالعمليات الاستشهادية،** وإن **أصحابها من الشهداء،** الذين وعدهم الله الجنة؛ على أن تكون هذه العمليات منضبطة بقواعد الجهاد في الإسلام، منها: أن يكون

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣٦٤).

مقصدها الدفاع عن الأمة الإسلامية، وأن تكون موجهة ضد الظلمة المحاربين، وأن تكون ضمن خطة عامة تضمن مصلحة الأمة الإسلامية.

وإنني أتطلع إلى يوم يفهم فيه العالم مقاصد هؤلاء الشهداء، **فهذا النمط الجهادي الفريد أعظم درس للعالم عن المظالم التي ترتكب** بحق الشعب الفلسطيني المجاهد.

✍ **السؤال الرابع**: هناك من يقارن بين علاقاته مع الكيان الإسرائيلي وصلح الحديبية. فما قولكم؟.

الجواب: من أبسط ما يقال: إن هذه المقارنة خاطئة من وجوه عدة، منها:

إن صلح الحديبية هو هدنة بين عدوين، ولا يقارن بإقامة السلام والتطبيع مع عدو ما زال يغتصب الأرض العربية ويشرد أهلها، والسلام- في هذه الحال- لا يجوز شرعاً، على حين أن الهدنة جائزة.

وإن صلح الحديبية عقده قائد الأمة حينذاك، فكان اتفاقاً واحداً للأمة صان وحدتها، ولم يمكّن أعداءها منها. ولكن الاتفاقات المنفردة فرطت عقد الأمة، وأضعفت شوكتها، وقوت أعداءها، ومكنت سرطان الصهيونية الفتاك من التجرؤ على احتلال الأرض والاحتفاظ بها وانتهاك حقوق الأمة.. يقول تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً

﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [سورة الأنبياء]، ويقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة المؤمنون]، ويقول تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟... ﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

السؤال الخامس: يتنادى العرب إلى مؤتمر قمة. فما الذي ترونه لمواجهة الأخطار التي تتهدد الأمة؟.

الجواب: لا بديل عن الوحدة الإسلامية لإنقاذ فلسطين وإعادة الاعتبار للأمة الإسلامية العربية. لقد ضاعت فلسطين عبر التاريخ ثلاث مرات، وكان الإسلام يحررها كل مرة:

المرة الأولى: سقطت فلسطين بيد الرومان في أعقاب توسعات روما الإمبراطورية، وبقيت كذلك قريباً من ثلاثة عشر قرناً، ولم يتمكن العرب من تحريرها إلا بعد أن أكرمهم الله بالإسلام، وكان تحريرها على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المرة الثانية: سقطت القدس بيد الصليبيين الفرنجة، الذين أرسلتهم المطامع الأوربية في عام ٤٩٢هـ. وبقيت- كذلك- حتى توحد المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي، فحررها بعد معركة حطين.

المرة الثالثة: حين الاجتياح المغولي التتري للعالم الإسلامي، وقد عاثوا في الأرض فساداً، وبلغوا فلسطين في عام ٦٥٧هـ، وبقيت محتلة

حتى توحد المسلمون بقيادة الملك **قطز** في عام ٦٥٩هـ، فحررها في معركة عين جالوت.

والآن، نحن نضيّع فلسطين للمرة الرابعة، والسبيل إلى تحريرها واضح يدل عليه التاريخ كما بيناه، ويدل عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ ﴾ [سورة محمد].

إنه لا بديل عن الوحدة والتجمع على صيغة مناسبة. وإن الوحدة العربية هي مرحلة ضرورية لتحقيق الوحدة الإسلامية، وأي سبيل إلى هذه الوحدة هو ضرورة يفرضها الدين. ولا بد من العودة إلى المنهج الإسلامي في الوحدة وإعداد القوة حتى نسترجعها.

كلمات وحوارات

رد سماحته
على دعوته إلى لقاء
الحاخام الأكبر في الكيان الإسرائيلي[1]

(١) دمشق في ٢١/ ١٠/ ١٤١٨هـ الموافق لـ ١٨/ ٢/ ١٩٩٨م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- عدم جواز التطبيع، ولو بلقاء المؤسسات الرسمية الدينية في الكيان الإسرائيلي.

٢- احتلال الأراضي وسلب الحقوق وتدنيس المقدسات أسباب عدم اللقاء.

٣- إذا أعيدت الحقوق كاملة، فلا مانع من الحوار.

٤- الحوار مع علماء الدين غير الممثلين أو المؤيِّدين لدولة تغتصب الحقوق جائزٌ.. ويُمَارسُ منذ زمن.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المقابلة

✍ **سؤال من وكالة الصحافة الفرنسية:** ما رد سماحة الشيخ أحمد كفتارو- المفتي العام للجمهورية العربية السورية، رئيس مجلس الإفتاء الأعلى- على الدعوات التي تطلب إليه لقاء الحاخام الأكبر في الكيان الإسرائيلي؟.

الجواب: لا لكل لقاء يحمل صفة التطبيع مع المؤسسات الرسمية الدينية في الكيان الإسرائيلي، ما دامت الأراضي العربية الإسلامية محتلة.. وحقوق الشعب الفلسطيني مغتصبة.. والمقدسات الإسلامية محتلة.

وإذا أراد حاخامات الكيان الإسرائيلي اللقاء، فليعملوا على إعادة الحقوق المغتصبة للعرب والمسلمين كاملة، وبعدها فلا مانع من الحوار.

وأما الحوار فهذه قضية نمارسها ويمارسها الكثير من علماء المسلمين- منذ عقود- مع علماء سائر الرسالات في أنحاء العالم.. الذين لا يمثلون دولة تغتصب حقوق العرب والمسلمين ولا يؤيدونها.

كلمات وحوارات

كلمة سماحته بمناسبة زيارة وفد حركة حماس برئاسة المجاهد الشيخ أحمد ياسين مجمعَ الشيخ أحمد كفتارو في دمشق[1]

(١) ألقاها عقب محاضرته الأسبوعية في جامع أبي النور، في دمشق، في ٢٦/ ١/ ١٤١٩هـ الموافق لـ ٢٢/ ٥/ ١٩٩٨م. وكان حاضراً إلى جانب الوفد الفلسطيني: وفد جمهورية تشاد برئاسة الدكتور آدم قجة وزير التعليم العالي؛ فضيلة الدكتور الشيخ حسن حسين أبكر رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية؛ وعدد من السادة العلماء والسفراء.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- بناء قوتنا الذاتية أهم عامل لحل القضايا المصيرية، وعلى رأسها قضية فلسطين.

٢- قوتنا تنبع من بناء إنساننا المعاصر على المبادئ الإسلامية، وعلى رأسها الجهاد والاستشهاد.. وجنوب لبنان أكبر دليل.

٣- وضع برنامج عمل على المستويات كافة.. وعلى امتداد العالم الإسلامي.. لدعم فلسطين ومقاومتها الإسلامية ..

٤- آن للعالم الغربي أن يكفّر عن خطيئته في إقامة الكيان الصهيوني وتشريد شعب آمن.

٥- سياسة الكيل بمكيالين الغربية خرق لحقوق الإنسان، وستنعكس نتائجها على العالم الغربي سلبياً. وعلى الشعب الأمريكي القيام بجهود كبيرة لمناصرة الشعوب المظلومة، ولا سيما الشعب الفلسطيني.

٦- وجوب استدراك الخطأ الحاصل في العلاقات الدولية بين الدول القوية والدول الضعيفة.

٧- وجوب تعاون المسلمين والمسيحيين لنشر قيم الخير والعدل .

٨- وجوب تشكيل المسيحيين في العالم الغربي قوة ضاغطة على حكوماتهم ليتخذوا قرارات ترفع الظلم عن الشعوب.

٩- لا استقرار في العالم ما دام هناك ظالم ومظلوم.. وفيه أناس يموتون من الجوع وأناس يموتون من السمنة.

١٠- وجوب تصحيح نظام مجلس الأمن من خلال ضمان أمن جميع الشعوب وإلغاء نظام الفيتو الديكتاتوري.

١١- الخروج من أزمات العالم يكون باتباع المنهج الإلهي، الذي يقوم على العدل والإنصاف لجميع الناس.. ويمثله الإسلام.

١٢- الإشادة بدعم سورية للقضية الفلسطينية والمقاومة في جنوب لبنان.. ولا بد للعالمين العربي والإسلامي من دعم سورية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص الكلمة

إن حل القضايا المصيرية للعالم الإسلامي- وعلى رأسها قضية فلسطين- لا يمكن أن يتحقق إلا إذا قمنا ببناء قوتنا الذاتية في المستويات كافة؛ لأن عالمنا المعاصر- للأسف الكبير- لا مكان فيه للضعفاء ولا رأي فيه إلا للأقوياء.

إن قوتنا الحقيقية تنبع من بناء إنساننا المعاصر على المبادئ الإسلامية، وعلى رأسها قيم التضحية والفداء.. وإحياء روح الجهاد.. وبعث عصر الشهادة والاستشهاد في سبيل الله.

إن أعمال المقاومة المشرّفة في جنوب لبنان- النابعة من القيم الإسلامية الأصيلة- أرغمت الإسرائيليين على التفكير بالانسحاب من جنوب لبنان.

وقضية فلسطين لا تخص الفلسطينيين وحدهم، بل هي مسؤولية كل عربي وكل مسلم. ولذلك، يجب أن يكون هناك برنامج عمل- على المستويات كافة: السياسية والاقتصادية والعلمية والتربوية، وعلى امتداد العالم.. حيثما وجد المسلمون- لدعم قضية فلسطين، ودعم المقاومة الإسلامية في الأرض المحتلة.

وإن العالم الغربي- وفي مقدمه بريطانية وأمريكة- أسهم إسهاماً واسعاً في إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة. وقد آن الأوان ليكفّر الغرب عن فعلته الشنيعة، التي نتج منها تشريد شعب آمن واغتصاب أرضه ومقدساته، وإحلال الإسرائيليين مكانهم.

ماذا يحصل لو تم احتلال بلد غربي وطرد أهله منه؟ لقامت قيامة هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ومنظمات حقوق الإنسان! فأين حقوق الإنسان الفلسطيني والعربي؟! لماذا احتلال الأرض الأوربية حرام، واحتلال الأرض العربية وتشريد أهلها حلال؟! لماذا الكيل بمكيالين؟! كيف سيعيش العالم في ظل المكاييل المختلفة؟! كيف سيعيش العالم في ظل القهر والظلم والعدوان؟! ماذا ستكون النتائج؟! هل ستبقى الدول والشعوب الضعيفة ضعيفة إلى الأبد؟! لماذا تُحاصر شعوب السودان وليبية والعراق وإيران؟! لماذا يموت الأطفال تحت سمع العالم وبصره بسبب الحصار؟!.

إنني أدعو الشعب الأمريكي الحر إلى القيام بجهود كبيرة لمناصرة الشعوب المحاصرة والمظلومة، وفي مقدمها الشعب الفلسطيني؛ فنصفه في الأسر ونصفه الآخر مشرد في الشتات.

على عقلاء العالم أن يستدركوا- قبل فوات الأوان- الخطأ الفادح والخلل الحاصل في العلاقات الدولية.. بين الدول القوية والغنية من جهة والدول الضعيفة والفقيرة من جهة أخرى.

وعلى المسلمين والمسيحيين- في أنحاء العالم- أن يتعاونوا على نشر قيم الخير والعدالة والإنصاف. وعلى المسيحيين- في العالم الغربي خاصة- أن يناصروا قضايا الشعوب المظلومة، ويشكلوا قوى ضاغطة ليحملوا حكوماتهم على اتخاذ القرارات اللازمة لرفع الظلم عن الشعوب المقهورة.

لن يتحقق الاستقرار في العالم وهناك ظالم ومظلوم.. لا يمكن القبول بنظام عالمي فيه دول يموت الناس فيها بسبب الجوع والمرض.. وفي بلد آخر يعيش الناس في البذخ والرفاهة على حساب الشعوب الجائعة والمحرومة في العالم.

يجب العمل- قبل فوات الأوان- على إشاعة العدل بين الشعوب. وعلى مجلس الأمن أن يحقق الأمن للشعوب كافة، وليس

تأمين مصالح الأقوياء ضد الضعفاء.. وعلى مجلس الأمن إلغاء نظام الفيتو؛ لأنه تعبير فاضح عن نظام ديكتاتورية الدول القوية ضد الدول الضعيفة.

لا يمكن الخروج من الأزمات- التي يعيشها العالم- إلا بالمنهاج الإلهي؛ لأن الإسلام يربي الشعوب على العدل والإنصاف لجميع الناس والمخلوقات.. لا تمايز بين حاكم ومحكوم .. ولا بين قوي وضعيف. الإسلام يقدم للناس الضمان بأنواعه: العلمي والأخلاقي والصحي، ويقدم الضمان من الفقر والتخلف، والضمان بالعدل بين الأفراد والشعوب.

وإني لأشيد بدعم سورية للقضية الفلسطينية والمقاومة الإسلامية في جنوب لبنان، وأدعو العالمين العربي والإسلامي إلى دعم موقف سورية تجاه العدو الإسرائيلي.

البيانات

بيان
المؤتمر الشعبي المنعقد في جامع يلبغا
لنصرة الشعب الجزائري المسلم[1]

(١) صدر في ٢/ صفر/١٣٧٥ هـ الموافق لـ ١٩/ ٩/ ١٩٥٥. ونشرته جريدة الأيام السورية في عددها ٢٦٣٢، بتاريخ ٢٠/ ٩/ ١٩٥٥، وأشارت إلى أنه بيان صادر عن جماعة الأنصار، التي يرأسها فضيلة الشيخ أحمد كفتارو.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- صفات الأمة التي يمكن مصادقتها والتي يجب معاداتها.
٢- البحث في ما يجب عمله لنصرة المسلمين في المغرب العربي.
٣- استعراض لأعمال الفرنسيين الوحشية في المغرب العربي.
٤- حث الدول العربية والإسلامية على مقاطعة فرنسة اقتصادياً وثقافياً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ثانياً: نص البيان

يقول الله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الممتحنة].

في هاتين الآيتين الكريمتين، تحديد لصفات الأمة التي نستطيع أن نصادقها، والأمة التي يجب أن نعاديها.. لا ظلماً ولا اعتباطاً، بل نتيجة لأعمال يقر الشرع الدولي- اليوم- عدم السكوت عنها، كسفك الدماء، والإخراج من الديار، ومساعدة المعتدين.

ونحن المجتمعين- **من شيوخ دمشق وعلمائها وشيبها وشبابها**، في المؤتمر الشعبي، في مسجد يلبغا مساء يوم الاثنين الواقع في ٢/ صفر/

١٣٧٥هـ الموافق لـ ١٩/ ٩/ ١٩٥٥م- لبحث ما يجب عمله لنصرة إخواننا في المغرب الإسلامي، قد استعرضنا أعمال الفرنسيين في المغرب، فوجدنا أن الآية الكريمة تفيد النهي صراحة عن التعامل معهم: ﴿.. وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الممتحنة]، ومن أعمالهم...

١- تهديم المساجد: فالفرنسيون قد هدموا المساجد في المغرب، وأقاموا مقامها كنائسهم. وقد أثبت الإحصاء أن ٣٦٠ مسجداً قد هدمت بهذه الطريقة.

٢- القضاء على لغة القرآن: فقد جند الفرنسيون قواهم لمقاومة لغة القرآن؛ فعَدّوها لغة أجنبية في الجزائر، ومنعوا تدريسها في المدارس. وكذلك عَدّتها- في تونس، منذ سنة ١٩٤٦- لغة غير ضرورية، فلا تدخل في مواد الامتحان!!

٣- القضاء على الأوقاف الإسلامية: وكذلك حارب الفرنسيون الأوقاف الإسلامية، فحولت مواردها إلى الجمعيات التبشيرية الفرنسية!!

٤- سياسة الفتك والتكفير: فقد أقام الفرنسيون سياستهم على مبدأ الفتك والإبادة، وتحويل العربي المسلم إلى فرنسي، شرط أن يتعهد بعدم الاعتراف بأحكام الإسلام.

فإذا أضفنا إلى ذلك كله ما يرتكبه الجنود الفرنسيون من فظائع مع السكان الآمنين، حتى لقد بقروا بطون الحبالى، وقتلوا الأطفال الرضع على حجور أمهاتهم!!.. تبين بوضوح أن الفرنسيين يقاتلون المسلمين ليخرجوهم من دينهم، ومن أرضهم.. وبذلك فقد حقت عليهم الآية، وصار من واجب كل مؤمن أن يتمثل أوامر الله، فلا يتولى الفرنسيين في شأن من شؤونه.. ﴿.. وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾ [سورة الممتحنة].

ولذلك كله، فإننا نحن المجتمعين في المؤتمر الشعبي- من علماء دمشق وشيوخها وشبابها- نتوجه إلى العالمين العربي والإسلامي بهذا النداء، آملين أن تعلن البلاد العربية والإسلامية مقاطعة فرنسة اقتصادياً وثقافياً، ولا سيما الامتناع عن إدخال أطفال المسلمين في أي مدرسة من مدارسهم المبثوثة في الشرق الإسلامي العربي، كالفرير واللاييك والفرنسيسكان، وأمثالها.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [سورة الصف].. صدق الله العظيم.

البيانات

بيان
موجّه إلى السفارة الأمريكية
استنكاراً للعدوان الثلاثي على مصر[١]

(١) في عام ١٩٥٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- الطلب إلى سفير أمريكة في دمشق دفع قلق المسلمين من الوضع الشاذ.. الذي أعقب تأميم مصر قناة السويس والذي يعبر عن الروح الاستعمارية، ولا سيما أن أمريكة اشتركت في أولى مراحل هذا الوضع.

٢- التحذير من تورط أمريكة- مع فرنسة وأنكلترة- في العدوان على مصر كما تورطت- سابقاً- في احتضانها للكيان الإسرائيلي.

٣- وجوب الامتناع عن الأساليب الاستعمارية الرجعية في معاملة الشعوب.

٤- قضية مصر هي قضية العرب والمسلمين جميعاً.

٥- دعوة أمريكة إلى كبح النـــزوات الاستعمارية، لتحسن إلى نفسها وإلى سلام العالم.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص البيان

سعادة سفير أمريكة المفوض في سورية: المستر جيمس موس المحترم

فقد رأيت... أن ترفعوا إلى حكومتكم قلق المسلمين الشديد حول الوضع الشاذ، الذي أعقب تأميم الحكومة المصرية لشركة قناة السويس..

فإن المظاهر الدولية- التي اشتركت أمريكة في مراحلها الأولى- لا يفهم لها المسلمون معنى إلا استمرار الروح الاستعمارية القديمة، التي لا تزال تحكم العقليتين البريطانية والفرنسية في معاملتهما لجميع قضايا الشعوب، وفي العدوان الصريح على سيادة مصر.

وجاء البيان الثلاثي متناقضاً مع نفسه، فهو يعترف لمصر بسيادتها، ثم ينكر عليها حقها الشرعي في تأميم شركة من شركاتها بحجة المصلحة الدولية...

وما كان لأمريكة- التي أحرزت استقلالها بعد حرب مريرة مع الاستعمار- أن تتورط في أمثال هذا النوع من الحجج، وحسبها ما تورطت فيه باحتضانها للكيان الإسرائيلي.. وعليها أن تبادر إلى النصح لأنكلترة وفرنسة ومن سار في ركابهما، بوجوب الترفع عن هذه الأساليب الرجعية في معاملة الشعوب، التي تطلب حقوقها الطبيعية المعترف بها في ميثاق هيئة الأمم، وأن تضغط على هذه الدول لتمنع فتنة رهيبة، لا بد من أن يتعرض إليها الشرق الأوسط.. بل العالم كله، إذا امتدت أي يد إلى مصر بعدوان؛ فإن قضية مصر هي قضية العرب والمسلمين جميعاً.. ومن المؤسف حقاً أن نجد أنفسنا مندفعين إلى ما نكره، ومضطرين إلى الاستعانة بكل من يساعدنا على دفع العدوان عن أنفسنا وعن حقوقنا المشروعة. والدفاع عن النفس حق أجمعت عليه جميع الشرائع والرسالات السماوية.. وبالأمس قال تشرشل [رائد السياسة البريطانية المعتدية]: "سنتحالف ولو مع الشيطان"!!

يا صاحب السعادة:

إن أمريكة تحسن إلى نفسها وإلى سلام العالم وأمنه، إذا بادرت إلى عمل حاسم يكبح جماح النـــزوات الاستعمارية، التي لن تكون عاقبتها إلا فتنة حمراء...

وتقبلوا تحياتي

الشيخ أحمد كفتارو

رئيس جماعة الأنصار

البيانات

بيان

بمناسبة قيام انتفاضة القدس
رداً على فتح نفق تحت المسجد الأقصى[1]

(١) دمشق في ١٤/ ٥/ ١٤١٧هـ الموافق لـ ٢٧/ ٩/ ١٩٩٦م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- توصيف الواقع في المنطقة، وفيه:

أ- ما يحدث من قتل- في فلسطين وجنوب لبنان- يهز ضمير المؤمنين بحقوق الإنسان.

ب- هذا استمرار لمسلسل دموي بدأ منذ احتلال فلسطين بمساعدة الحكومات الغربية.

ج- الكيان الإسرائيلي يرفض جميع القرارات الدولية، وحكام العرب يستمرون في التنديد ورفع الشكاوى لمجلس الأمن.. الذي صار لعبة سخيفة في يد قوى الاستكبار.

د- النظام العالمي الجديد ينشر الفقر والجهل، ويتحكم في مصير الشعوب، وينعم بالخيرات على حساب الشعوب.

٢- حقيقة الكيان الإسرائيلي:

أ- في شريعة هذا الكيان المحرمات جائزة ولا قدسية للمواثيق.

ب- هذا الكيان الصهيوني يسعى إلى ابتلاع الأراضي العربية والإسلامية، ومحاربة الإسلام والمسيحية، لأجل بسط نفوذه على العالم.

ج- يستخدم الكيان الغاصب وسائل الإفساد ونشر الإباحية وهدم القيم الإنسانية لتحقيق مآربه الخبيثة.

٣- الكيان الإسرائيلي والسلام مع العرب، وفيه:

أ- بعض الدول العربية وقعت اتفاقات التطبيع، كما في كامب ديفيد وأوسلو ووادي عربة.

ب- الكيان الإسرائيلي طبعه الخيانة؛ فقد ظهر أنه وقع تعهدات أوسلو لتمييع القضية الفلسطينية وحقوق شعبها؛ والاستفادة من الوقت لتحقيق مكاسب له في تهويد الأرض التي احتلها.

ج- الكيان الإسرائيلي لا يعترف بالمسيحية ولا بالإسلام، ولا يحترم مكانة القدس، ويخرق الأعراف الدينية والسياسية، ويتمادى في عدوانه.

د- لا للسلام إذا لم يضمن:

- إعادة الحقوق..
- حماية ديمومته..
- استناده إلى العدل والشمول.

٤- واجب الأمة الإسلامية العربية، وفيه:

أ- الوقوف جبهة واحدة تجاه العدوان الإسرائيلي.

ب- إن إعداد جميع الطاقات المادية والمعنوية لمواجهة الظلم واجبٌ ديني، وإثبات للأجيال القادمة أننا لم نقصِّر.

ج- عدم التساهل مع أعداء الأمة والوطن والعقيدة، وإدانة مواقف التطبيع مع العدو الإسرائيلي.

٥- الكيان الإسرائيلي والغرب- الذي يدعمه- يزوران الحقائق ويقلبان المفاهيم الإنسانية والعقلانية والدينية، وفيه النقاط الآتية:

أ- توصيف المناضل لنيل حقوقه وتحرير أرضه من المحتل الغاصب بالإرهابي المجرم.

ب- وضع المحتل الظالم في رتبة المدافع عن العدل.

٦- الأمل بالنصر وعوامله، وفيه:

أ- المراهنة على إنهاء الشعوب وهضم حقوقها مراهنة خاسرة.

ب- بقيت أمتنا قائمة، على الرغم من جميع محنها التاريخية.

ج- المزيد من تحدي الأمة للتعنت الإسرائيلي من خلال:

١) دعم المناضلين والمقاومين العرب.

٢) تفعيل سلاح المقاطعة ضد الدول الداعمة للكيان الإسرائيلي، لنثبت قدرتنا على إيقاف الظلم الإسرائيلي.

٣) الاستجابة لنداء الله في الوحدة واتباع منهج الحق في بناء القوة وما يلزم لأجل الدفاع عن الوطن والإنسان.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص البيان

إلى الأمتين العربية والإسلامية، وإلى جميع الشرفاء في العالم:

إن ما يحدث- اليوم- على أرض فلسطين المحتلة من أحداث دامية، وما حدث قبل اليوم على أرض الجنوب اللبناني- من قتل وتدمير بيد القوات الإسرائيلية يهز ضمير جميع الذين يؤمنون بحق الإنسان في الحياة.

وما هذا إلا استمرار للمسلسل الدموي، الذي بدأه الكيان الإسرائيلي منذ احتلاله للأرض العربية الفلسطينية، بمساعدة الحكومات المعادية للعرب والمسلمين من الدول الغربية، وفي مقدمها الولايات المتحدة.

إن الكيان الإسرائيلي كان- ولا يزال- يستهتر بكل القرارات

الدولية التي تصدرها الأمم المتحدة ومجلس الأمن عقب جميع اعتداءاتها على الأرض والإنسان العربي. وبعض قيادات الأمة العربية تكتفي بالتنديد والاستنكار، ورفع الشكوى بعد الشكوى إلى مجلس الأمن، الذي صار- اليوم- لعبة سخيفة بيد أمريكة، لتصدر القرارات المِزاجية، التي تحقق مصالحها ومصالح الكيان الإسرائيلي في جميع العالم.

وهذا ما أُطلق عليه بالنظام العالمي الجديد، الذي يتحكم في مصير الشعوب، التي لا تملك القوة والقدرة.. هذا النظام الذي يعمل على نشر الفقر والجهل في الشعوب المستضعفة، لتكون بلادهم لقمة سائغة للطامعين الظالمين.. وليحافظ أولئك الطواغيت على مستوى المعيشة الرفيع لإنسانهم ومواطنهم، وما ذلك إلا من خيرات الشعوب المناضلة ودمائها في سبيل حياة أفضل لأبنائها.

يا أمة العرب والإسلام:

إن الكيان الإسرائيلي لا يعترف باتفاقات ولا مصالحات ولا مواثيق ولا عهود؛ فكل المحرمات جائزة في شريعة هذا الكيان الغاصب، من أجل تحقيق مصالحه وما يريده من ابتلاع للأرض العربية بداية.. والإسلامية نهاية، وحتى القضاء على المسيحية والسيطرة على الفاتيكان، من أجل بسط النفوذ على العالم.

وقد استخدم العدو- في سبيل الوصول إلى هذا الهدف- جميع الوسائل الدنيئة والمخططات الشريرة، من إفساد الأفراد والمجتمعات.. ونشر الإلحاد والإباحية.. وهدم جميع القيم السامية في الإنسان، وهذا ما يلاحظه العالم- اليوم- من تفكك في الأسر.. وضياع في الشباب.. وأزمات في جميع المجالات.

يا أمة العرب والإسلام، يا شرفاء العالم في كل مكان:

لقد حاولت بعض الدول العربية- بعد أكثر من أربعين عاماً على الاحتلال- أن تصل إلى سلام مع الكيان الإسرائيلي، فجرى عقد اتفاق كامب ديفيد، ثم محادثات أوسلو، ثم اتفاق الصلح مع الأردن في وادي عربة.

لقد وقَّعت بعض الدول العربية اتفاقات التطبيع مع الكيان الإسرائيلي، ولكن هذا الكيان الذي لا يعرف إلا الخيانة منهجاً.. فيلغي- اليوم- جميع التعهدات التي وقَّعها في أوسلو، وكأن شيئاً لم يكن. وظهر أن الكيان الإسرائيلي إنما كان يوقّع ويتعهد للوصول إلى تمييع القضية.. وتحقيق أغراضه ومكاسب له فقط.

اليوم، يتخلى الكيان الإسرائيلي عن قضية السلام، ويتابع بناء المستوطنات لليهود، ويسعى إلى **إنهاء الوجود العربي في القدس الشرقية،** ويعمل على تهويدها، من غير النظر إلى أن القدس بلدة مقدسة يرتبط بها

أبناء الرسالتين الإسلامية والمسيحية. وكل ذلك لم يضعه الكيان في حسابه دينياً، إذ إن الرسالة اليهودية لا تعترف بالمسيحية ولا بالإسلام ديناً. ولم يحترم هذا الكيان القدس سياسياً، إذ إن هناك القرارات الكثيرة من أجل انسحابه من الأرض المحتلة، والإدانات المتكررة لجميع الجرائم.. التي ارتكبها في حق الشعب العربي في فلسطين، من قتل وتشريد وتدمير، واستهانة بكرامة الإنسان العربي: المسلم والمسيحي.

يا أمة العرب والإسلام:

لكل ما يحدث- اليوم- من جرائم، على أمتنا أن تكون جبهة واحدة للوقوف في وجه هذا العدوان الإسرائيلي الغاشم، وهذا ما دعا إليه القرآن الكريم، فيقول تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ...﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران]، ويقول تعالى: ﴿ .. وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ.. ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة الأنفال].

ولا بد لنا من أن نعد أنفسنا بكل ما نملك من طاقات مادية ومعنوية للوقوف في وجه هذا المد الظالم والعدوان الغاشم، ولنُثبت لأجيالنا القادمة أننا لم نقصر في واجب الدفاع عن الأرض والإنسان والمقدسات، وهذا أمر إلهي وواجب ديني يجب أن نؤديه، يقول تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ...﴿٦٠﴾ ﴾ [سورة الأنفال].

وعلى القيادات العربية والإسلامية أن تتحرك في الاتجاه الصحيح في نصرة الحق العربي، من غير تهاون مع أعداء الأمة والوطن والعقيدة. وهنا ندين بشدة مواقف بعض الحكومات العربية و الإسلامية في التسابق إلى التطبيع مع الكيان الإسرائيلي من دون وجود أدنى ضرورة تكتيكية أو استراتيجية لذلك.

وهذه هي الحقائق على الأرض، تبين بوضوح الأهداف القريبة والبعيدة للعدو الصهيوني، التي لا ينفع معها تطبيع.. ولا سلام ما دام لا يضمن استعادة الحقوق، لا سلام ما دام لا يستطيع حماية ديمومته، لا سلام ما دام لا يستند إلى العدل والشمول.

إلى الأمة العربية والإسلام وجميع الشرفاء في العالم:

إنَّ أمريكة والغرب بعامة والكيان الإسرائيلي بخاصة يزوّرون الحقائق، إذ يصنفون المواطن الشريف- الذي يناضل من أجل الوصول إلى حقه في وطنه، والدفاع عن مقدساته والخلاص من أعدائه- على أنه إرهابي مجرم، ويضعون المحتل الظالم القاتل المفترس في رتبة المدافع عن العدل والحق. وهكذا، انقلبت المفاهيم الإنسانية والعقلانية والدينية، فصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً في ظل النظام العالمي الجديد.. نظام الإدارة المتغطرسة.

ولكننا نعلن أن كل من يراهن على محق الشعوب وإذلال الأوطان وهضم الحقوق هو خاسر. ولقد مرت الأمة الإسلامية العربية في ظروف حالكة مظلمة في عهد الاجتياح الصليبـــي وعهد الاجتياح المغولي التتري، ولكن العروبة بقيت قائمة والإسلام ثابتاً.. وأسفر الفجر وانزاحت الظلمة.. وفرح المؤمنون بنصر الله.

وهنا نسجل بكل الاعتزاز الموقف السوري الثابت، الذي عرف طبيعة العدو في مناوراته وخياناته، ورسم المنهج السليم من أجل الوصول إلى الحق العربي من غير مساومة أو مداورة.

لقد ظهرت- اليوم- وانكشفت ألاعيب الكيان الإسرائيلي وخياناته لجميع العهود والمواثيق التي وقعها في ظل المؤسسات الدولية العالمية. وها هو يستمر في ضرب المواطن العربي وقتله.. وهدم مقدساته.. والعمل على تقويض دعائم المسجد الأقصى، بحجة البحث عن هيكل سليمان المزعوم. وليست أحداث القتل الجماعي للمؤمنين في مسجد الخليل والمسجد الأقصى وهم يؤدون صلاتهم وعبادتهم إلا دليلاً واضحاً على ذلك. علماً أن السياسة الإسرائيلية تعتمد في سلوكها أسلوب القتل والتدمير، وعدم المبالاة بكل المؤسسات الدولية.. وكل العهود والمواثيق.. وكل الاتفاقات والمعاهدات.

يا أمة العرب والإسلام:

مزيداً من التضامن، ومزيداً من العطاء، ومزيداً من التحدي في وجه العدوان الإسرائيلي الظالم. ومن اللازم- اليوم- أن نوقف جميع ما يُمَكِّن الكيان الإسرائيلي من تحقيق أغراضه.

ومن اللازم- أيضاً- دعم موقف المناضلين لتحرير الأرض العربية المحتلة، الذين يدافعون عن أعراضهم وأولادهم وأموالهم وأرضهم. وإننا لنملك جماهيرياً **سلاح المقاطعة** لجميع مصالح وبضائع الدول المؤيدة للكيان الإسرائيلي في الوطن العربي والأمة الإسلامية، وبذلك نثبت أن العرب والمسلمين يملكون القدرة على إيقاف هذا الوضع الظالم من الكيان الإسرائيلي والمؤيدين لعدوانه.

يا أمة العرب والإسلام:

وأخيراً، استجيبوا لنداء الله- تعالى- في أن تكونوا أمة واحدة، كجسد واحد، ومؤمنين صادقين.. مخلصين شرفاء، كي تستحقوا نصر الله تعالى.

لا بد في معركتنا مع عدونا من الإيمان بالله العظيم، واتباع المنهج الحق في بناء قوة أمتنا ومجدها، وأن نبذل جميع ما نملك من أجل الدفاع عن الوطن والإنسان والدين...

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [سورة آل عمران]

البيانات

بيان

رداً على بناء المستوطنات في القدس[1]

(١) ألقاه سماحته في المحاضرة الأسبوعية، في جامع أبي النور في دمشق، في ٧/ ١١/ ١٤١٧ هـ الموافق لـ ١٥/ ٣/ ١٩٩٧م.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- نداء إلى جميع المنظمات العربية والإسلامية والدولية وجميع الشرفاء للتحرك في وجه العدوان الإسرائيلي عامة.. وتهويد القدس وبناء المستوطنات بخاصة.

٢- استنكار استخدام "حق الفيتو" الديكتاتوري من أمريكة ضد الإجماع الدولي.

٣- يستخدم "حق الفيتو" لسحق حقوق الإنسان في فلسطين. فأين ما يدعونه من ديمقراطية وحفظ لكرامة الإنسان؟!

٤- التنديد بدعوة أمريكة إلى حصار السودان وليبية والعراق وإيران بذرائع تختلقها هي وينفذها عملاؤها.

٥- دعوة الأمة الإسلامية والعربية إلى بناء القوة الذاتية الفاعلة وعدم انتظار مجلس الأمن والقوى العالمية في نصرة قضاياها.

٦- الأمم القوية تفرض احترامها على المجتمع الدولي.

٧- ضرورة استخدام سلاح الإيمان في مواجهة الأعداء، والمقاومة في جنوب لبنان وفلسطين خير دليل على أهميته، وعلينا دعمها.. وتطبيقها في الجولان.

٨- عدم اللجوء إلى الحلول المنفردة المضعفة للصف العربي، والدعوة إلى وقف اتفاقات التطبيع مع الكيان الإسرائيلي.

٩- ما يقع في فلسطين عار على العرب والمسلمين وعلى الإنسانية جمعاء.

١٠- أين حقوق الإنسان العربي والإنسان المسلم؟! وكأن قوانين حقوق الإنسان صممت للإنسان الغربي فقط!!

١١- أهمية تعاون المسلمين والمسيحيين لإنقاذ القدس والضغط على الحكومات الغربية.

١٢- ضرورة تفعيل دور الفاتيكان للضغط على الحكومات الغربية للوقوف في وجه المخططات الصهيونية لتهويد القدس.

١٣- عقد قمة روحية عالمية للعمل على إنقاذ المقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين، ومنع بناء المستوطنات.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص البيان

إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، وجامعة الدول العربية، ومنظمات حقوق الإنسان، وجميع الشرفاء في العالم:

أدعوكم إلى التحرك السريع للوقوف في وجه العدوان الإسرائيلي المستمر على الأرض والحقوق العربية، في فلسطين وجنوب لبنان والجولان، لا سيما العدوان الفاضح على **المدينة المقدسة** و**العمل على تهويدها**.. بإقامة المستوطنات اليهودية فيها، خلافاً للمواثيق والأعراف الدولية وشرعة حقوق الإنسان، وتحدياً للإرادة الدولية.

وأستنكر- بشدة- موقف الولايات المتحدة في مجلس الأمن.. واستخدامها الفيتو ضد إرادة الشعوب وضد الإجماع الدولي، من دون النظر إلى إرادة المليارات من البشر على سطح الأرض.

إن **نظام الفيتو نظام ديكتاتوري** يستخدم لسحق إرادة الشعوب الحرة، ولهدر حقوق الإنسان على المستوى العالمي، في الوقت الذي يدّعي مستعملوه أنهم حُماة هذه الحقوق. والحقيقة- التي لا ينتابها شك- أنهم أعداء حقوق الإنسان والمتاجرون بها، وأعداء المسيح وتعاليمه.

ولا يخرج عن هذا الإطار- أيضاً- موقف الولايات المتحدة في مجلس الأمن، الداعي إلى محاصرة الشعوب الإسلامية في السودان وليبية وإيران والعراق، بذرائع مختلفة وأحداث مفتعلة.. تختلقها بنفسها أو تنفذها عن طريق عملائها في المنطقة.

على الأمة الإسلامية والعربية أن لا تنتظر من مجلس الأمن والقوى العالمية المسيطرة عليه أي تحرك لإعادة حقوقنا المغتصبة؛ فهذه الحقوق لا تعود إلا ببناء القوة الذاتية الفاعلة للأمة على الساحتين المحلية والعالمية. وإن الأقوياء لا يحتاجون إلى مساعدة أحد، وإن الأمم- التي بنت قوتها- فرضت احترامها على المجتمع الدولي. فانظروا- مثلاً- كيف استطاع الشعب الصيني- الذي حاز استقلاله في عام ١٩٤٧- أن يستعيد أراضيه في مستعمرة هونغ كونغ، وكيف صارت دولته واحدة من الدول الكبرى الخمس في العالم.. وصاحبة مقعد دائم في مجلس الأمن الدولي.

ويلزم أمتنا استعمال **سلاح الإيمان** في معركتها مع أعدائها. وإن

المقاومة الإسلامية- في فلسطين المحتلة وفي جنوب لبنان- أعطت الدليل لجميع الدارسين والباحثين على أهمية استخدام سلاح الإيمان في الانتصار على الأعداء، مهما ملكوا من أسلحة الدمار. وعلينا دعم هذه المقاومة الباسلة، النجم المضيء في العصر المظلم.

ويا أهلنا في الجولان المحتل: عليكم أن تقتدوا بإخوانكم المقاومين في جنوب لبنان، كي يعلم المحتلون أن لا أمان لهم ولا استقرار مع اغتصاب الحقوق.. وأن احتلالهم للأرض العربية ثمنه باهظ جداً، ونتيجته الهلاك والدمار للمحتلين الغاصبين.

إن مقولة "لبنان أولاً" في المماحكات- التي يستخدمها الصهاينة في الحديث عن السلام في المنطقة- دليل قاطع على الحرج الكبير، الذي يعانيه الكيان الصهيوني وآلته الحربية في جنوب لبنان.. نتيجة للأعمال البطولية للمقاومة الإسلامية الباسلة.

وأدعو الدول العربية والإسلامية إلى توحيد جهودها في مواجهة العدوان الإسرائيلي، وعدم اللجوء للحلول المنفردة التي تضعف الصف العربي.

وكذلك أدعو إلى وقف الاتفاقات المتعلقة بالتطبيع مع العدو الصهيوني، الذي يقتّل المواطنين العرب في فلسطين المحتلة.. ويشرّدهم..

ويغتصب بيوتهم وأراضيهم وأموالهم.. ويعمل على إذلالهم.. من دون النظر إلى أدنى ما ورد في الشرعة العالمية لحقوق الإنسان.

وهذا الذي يقع في فلسطين عارٌ على جميع المسلمين في العالم. أين هم من قول رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين- في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم- مثل الجسد»[1]؟! هل خططوا؟! هل بدؤوا بتوحيد الجهود؟! هل فهموا قوله تعالى: ﴿..وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ.. ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الأنفال] وعملوا به؟!.

إن هذا الذي يقع في فلسطين عارٌ- أيضاً- على الإنسانية جمعاء، وعلى المنظمات الدولية من هيئة الأمم إلى مجلس الأمن. أين قوانين حقوق الإنسان؟! أم إنها صُنعت وصُممت فقط للإنسان الغربي.. وليس هناك حقوق إنسانية لمن سواهم؟! أين قرارات مجلس الأمن؟! ولماذا تطبق في مكان دون مكان، وعلى جهات دون جهات؟!.

إن القدس مهمة في حياة المسلمين والمسيحيين. ولذا فإني أدعو قادة المسلمين والمسيحيين وعلماءهم إلى استنفار جميع الطاقات لإنقاذ القدس قبل فوات الأوان. وأؤكد أن للفاتيكان دوراً يجب أن يقوم به

(١) أخرجه مسلم من حديث النعمان بن بشير ﷺ، في كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم ٢٥٨٦.

للضغط على الحكومات الغربية، للوقوف- بحزم- في وجه المخططات الصهيونية لتهويد القدس وطمس معالمها الإسلامية والمسيحية.

وأدعو إلى عقد **قمة روحية إسلامية مسيحية عالمية**، لبحث الانتهاكات الصارخة في حقوق الإنسان في فلسطين، والعمل على إنقاذ المقدسات والحقوق العربية المغتصبة، ومنع بناء المستوطنات.

* * * * *

البيانات

بيان
استنكاراً للاعتداء على السياح
الأجانب والمصريين في مدينة الأقصر[1]

(١) ألقاه سماحته في المحاضرة الأسبوعية، في جامع أبي النور في دمشق، في ٢١/ ٧/ ١٤١٨هـ الموافق لـ ٢١/ ١١/ ١٩٩٧م.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- استنكار سماحته الاعتداء الآثم في مدينة الأقصر المصرية على السياح المستأمنين والمواطنين.

٢- هذه الأعمال تهدف إلى:

أ- تشويه صورة الإسلام محلياً وعالمياً.

ب- هدر طاقات ا لدول العربية والإسلامية.

ج- إشغال الأمة عن مهماتها العظمى في بناء الوطن والإنسان.

د- صرفها عن عدوها الأساس في فلسطين، الذي يسعى إلى ضرب استقرار الدول الإسلامية ليسيطر على المنطقة.

٣- هذه الأعمال مخالفة لتعاليم الإسلام نصاً وروحاً.

٤- هذه الأعمال اعتداء على الإسلام ذاته.. وأهدافه في توحيد الصفوف لمواجهة العدو.

٥- التنبه للأيدي الخفية المرتبطة بالعدو الصهيوني الخادمة لأهدافه.

٦- على أبناء الأمة الحَذَر ممن يستهدفون استقرار الأمة.

٧- تعاون أصحاب القرار على معالجة هذه الظواهر الشاذة.

٨- إتاحة الفرصة للعلماء ليقوموا بتصحيح المفاهيم من خلال دعمهم وإعطائهم دورهم الفاعل.

٩- غياب العمل الإسلامي الإيجابي- المبني على كفاءات حقيقية- أو تغييبُه يؤدي إلى ظهور التطرف.

١٠- الحق والباطل سيظلان في الصراع، ويبقى الإسلام أساس انطلاقة أمتنا لبناء الإنسان والوطن والحضارة.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص البيان

أستنكر بشدة الاعتداء الآثم في مدينة الأقصر المصرية على المواطنين الأبرياء والسياح الأجانب المستأمنين.

إن هذا العمل وأمثاله لا يقرها دين ولا عقل، ولا تنسجم مع أبسط العلاقات الإنسانية؛ بل إن هذه الأعمال بعيدة كل البعد عن الإسلام وأساليبه، ومخالفة- نصاً وروحاً- لتعاليمه.

وإن هذا العمل العدواني واحد من الكثير من الأعمال، التي تسعى إلى تشويه صورة الإسلام محلياً وعالمياً ومحاربته على كل صعيد؛ وكذلك تستهدف هدر طاقات الدول العربية والإسلامية، وإشغالها عن مهماتها العظمى في بناء الوطن والإنسان، وصرفها عن مواجهة عدوها الأساس.. الذي اغتصب الأرض والحقوق في فلسطين المحتلة، العدو

الذي يعمل جاهداً على ضرب استقرار الدول العربية والإسلامية ليحقق مآربه.. ومخططاته بعيدة المدى في السيطرة الكاملة على المنطقة والتحكم في مقدراتها وشعوبها.

إن هذه الأعمال هي اعتداء على الإسلام ذاته، وأهدافه في إحياء الأمة وجمع كلمتها وتوحيد صفوفها تجاه العدو المتربص بها الدوائر.

وثمة أيدٍ تعمل في الظلام، وهي مرتبطة- على نحو مؤكد- بأهداف الصهيونية في المنطقة، وتتحرك في التوقيت المناسب لهذه الأهداف. وعلى أبناء الأمة الإسلامية العربية التنبه والحذر من الذين يستهدفون استقرار أمتهم، وضرورة فضح أهدافهم واستنكار وسائلهم.

وأطالب أصحاب القرار والفاعليات بأن يتعاونوا معاً على معالجة هذه الظواهر الشاذة، ولا سيما من خلال إتاحة الفرصة لعلماء هذه الأمة ليأخذوا دورهم الفاعل على جميع الصعد.. وعلى جميع المستويات.. وفي جميع الجوانب ذات الاختصاص، ليقوموا بتصحيح المفاهيم الخاطئة وإصلاح الخلل، ولتحصين هذه الأمة من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين. وإن أحد أسباب ظهور هذه الأحوال الشاذة، غياب العمل الإسلامي الإيجابي أو تغييبه على المستوى المطلوب وبالكفاءات المطلوبة. وإذا تهيأ لهذه الأمة من يرشدها ويدلها على الطريق الصحيحة، فستختفي هذه الظواهر البائسة.. وستسطع شمس الحقيقة، التي يحترمها جميع الناس.

إن قضية الصراع بين الحق والباطل والخير والشر قائمةٌ لا تنتهي؛ ولكن للباطل جولة، ويبقى الإسلام هو القاعدة الأساس لانطلاق أمتنا في بناء الإنسان والوطن، وإسهامها في بناء الحضارة الإنسانية وازدهارها.

* * * * *

البيانات

بيان
رداً على التحضير الأمريكي البريطاني للعدوان على الشعب العراقي الشقيق[1]

(١) ألقاه سماحته في المحاضرة الأسبوعية، في جامع أبي النور في دمشق، في ٢٣/ ١٠/ ١٤١٨هـ الموافق لـ ٢٠/ ٢/ ١٩٩٨م.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- على المسلمين مساعدة أي شعب مسلم معتدى عليه، بالوسائل كافة.. ومنها مقاطعة الدولة المعتدية.

٢- الحروب الظالمة ضد أمتنا أدت إلى تقسيم منطقتنا.. وقيام الكيان الصهيوني.

٣- تقوم أمريكة وبريطانية- ومن معهما- بحشد القوى لضرب العراق وشعبه المحاصر، وهذا يعزز ذلك التمزق في منطقتنا.

٤- حصار الشعب العراقي يتحمل مسؤوليته النظام العراقي، الذي تسبب في تفاقم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمنطقة كلها.

٥- مفارقة ساخرة بين حشد هذه الدول لقواتها بذريعة احتمال وجود أسلحة الدمار الشامل في العراق.. وعدم حشدها لمواجهة الأسلحة النووية المؤكد وجودها في الكيان الإسرائيلي والمهددة لشعوب المنطقة.

٦- قوى العدوان تتحرك لتنفيذ قرار دولي واحد بشأن العراق.. ولا تتحرك لتنفيذ ١٩٣ قراراً بحق الكيان الإسرائيلي.

٧- وجوب تحكيم العقل والمنطق في العلاقات الدولية والإنسانية، والتخلي عن منطق القوة وافتعال الحروب.

٨- هذه الحروب تسبب اتساع دائرة التطرف، الذي ستكون الدول المعتدية الخاسر الأكبر بسببه.

٩- ما يحدث هو مخطط استعماري لتنفيذ حروب بسبب ذرائع واهية، تقضي على ما تبقى من مقومات الوجود العربي الإسلامي، ما يؤدي إلى هيمنة المشروع الصهيوني على المنطقة.

١٠- دعوة أصحاب القرار والجماهير في الدول العربية والإسلامية إلى التعاون لصد العدوان.

١١- دعوة النظام العراقي إلى تحسين علاقاته مع الدول المجاورة خاصة.. والدول العربية والإسلامية عامة.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص البيان

في حال قيام أي دولة بالعدوان على دولة وشعب مسلم، فعلى المسلمين- في أنحاء العالم- العمل على مساعدة الشعب المعتدى عليه، بالوسائل المشروعة كافة، منها مقاطعة بضائع الدولة المعتدية ومصالحها.

لقد شهدت المنطقة العربية- خلال القرن العشرين- حروباً عدوانية ظالمة عدة، تسببت في تقسيم شعوب المنطقة إلى دويلات إقليمية، وقيام الكيان الإسرائيلي من خلال المشروع الصهيوني، وموت الملايين من أبناء أمتنا العربية الإسلامية أو تشريدهم.

وتطالعنا وسائل الإعلام المختلفة أن أمريكة وبريطانية- ومن يجري في فلكهما- تقومان بحشد الجيوش البرية والبحرية والجوية، لتنفيذ ضربة تدميرية ضد العراق، الذي يعاني شعبه من الحصار، الذي مضى عليه

أكثر من سبع سنوات.. وأتى بعد حرب مدمرة في الخليج تسببت في كثير من الأزمات، التي يتحمل مسؤوليتها النظام العراقي، ومنها: استهلاك الأرصدة الاحتياطية لبعض الدول، وارتفاع نسب المديونية، وتفاقم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في المنطقة.

ويأتي التحضير لهذا العدوان- وحشد الرأي العام وراءه- بذريعة منع العراق من إنتاج أسلحة الدمار الشامل؛ على حين يعلم الجميع أن التهديد- الذي تشهده شعوب المنطقة العربية، والمتمثل في العدوان المستمر منذ خمسين عاماً- يأتي من جانب الترسانة الإسرائيلية. وإن هذا العدوان لم يجد أي موقف من الولايات المتحدة يماثل موقفها بشأن العراق.

وإذا كانت الذريعة تتحدث عن أسلحة التدمير الشامل، فإن أمريكة تعلم يقيناً أن أكبر مخزون لهذه الأسلحة في المنطقة موجود في الكيان الإسرائيلي؛ وأما الترسانة النووية في المنطقة، فليست موجودة إلا في الكيان الإسرائيلي. والسؤال الكبير المطروح- دائماً- على كل لسان: ماذا فعلت أمريكة وحلفاؤها لإزالة هذا التهديد؟! ولماذا لا تعمل أمريكة وحلفاؤها على تنفيذ ١٩٣ قراراً دولياً يستخف بها الكيان الإسرائيلي، ويرفض تنفيذها متحدياً العالم كله طوال خمسين سنة ماضية!! ألا يتعارض تعنته- على نحو صارخ- مع القوانين الدولية والقيم الإنسانية والحضارية؟.

إنه لمن العجيب أن نجد قوى العدوان والاستعمار تندفع بحماسة لا مثيل لها، لا لتنفيذ ١٩٣ قراراً يستخف بها الكيان الإسرائيلي، بل لتنفيذ قرار دولي واحد بشأن العراق، الذي مات من أبنائه مليون إنسان.. بسبب الجوع والأمراض وسوء التغذية الناتجة من الحصار، في وقت باتت الحاجة ماسة إلى رفع الحصار، وتقديم العون للشعب العراقي.. لإسعافه.. وتخفيف معاناته وآلامه.. وتضميد جراحه.

إني أدعو جميع المعنيين من أصحاب القرار إلى تحكيم العقل والمنطق السليم في العلاقات الدولية والإنسانية، والتخلي عن منطق القوة والتسلط والعدوان، والعمل الجاد على منع نشوء الحروب، وتوظيف معظم الإمكانات والجهود في مجالات التنمية والصحة والتعليم.. ولا سيما في المجتمعات الفقيرة.

إن هذه الحروب التدميرية ستتسبب في تعاظم مشاعر الظلم والقهر والاضطهاد، وسيتولد عنها اتساع دائرة والعنف والتطرف على نطاق واسع يصعب تقدير أبعاده ومداه! وسيكون الخاسر الأكبر الدول المعتدية ومصالحها في المنطقة والعالم.

إن هناك مخططاً استعمارياً شريراً لتفتيت المنطقة العربية، وإضعافها بتحويلها إلى كيانات هزيلة، لا يسعها إلا أن تتلقى الأوامر لتنفيذها، من خلال افتعال أحداث وذرائع واهية لتنفيذ حروب تدميرية

تأتي على ما تبقى من مقومات الوجود الإسلامي العربي، بغرض تمرير المشروع الصهيوني للسيطرة على المنطقة!.

وأدعو جميع المعنيين- من أصحاب القرار وجماهير الأمة الإسلامية العربية- إلى الوقوف صفاً واحداً في وجه العدوان قبل فوات الأوان. وكذلك أدعو النظام العراقي إلى إقامة علاقات حسنةٍ طيبة.. مع الدول المجاورة خاصة، ومع جميع الدول العربية والإسلامية عامة، لتفويت الفرصة على أعداء أمتنا، وإنقاذ الشعب العراقي من الكوارث، وإعادته بإمكاناته الفاعلة إلى صفه العربي الإسلامي.

البيانات

بيان

بمناسبة مرور خمسين عاماً على نكبة الشعب الفلسطيني وتشريده[1]

(١) ألقاه سماحته عقب محاضرته الأسبوعية في جامع أبي النور في دمشق، في ١٨/ ١/ ١٤١٩هـ الموافق لـ ١٥/ ٥/ ١٩٩٨م.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- دعوة الأمة إلى نصرة الشعب الفلسطيني بكل الوسائل المادية والمعنوية الممكنة.

٢- وجوب إعادة النظر في استراتيجية الأمة لحل قضية فلسطين.

٣- الصمت واللامبالاة لم يعد مقبولاً من بعض قادة الأمة.

٤- القوى الظالمة المساندة للكيان الإسرائيلي أهدرت جميع القيم الإنسانية لتحقيق مصالحها.

٥- خمسون سنة على احتلال فلسطين والعالم يشاهد، ومنظماته الدولية هيكل دون مضمون.. وراعية لحقوق الإنسان في دول الغرب فقط، لا الإنسان في العالم كله.

٦- متى تستيقظ الأمة؟ فالشعارات والبكاء لا تحرر شيئاً..ولا الاحتكامُ إلى جلاديها ونظام الفيتو الديكتاتوري.

٧- الحل في إعادة الإسلام إلى الإنسان تربية وإعداداً، وتعزيز قيم الجهاد والاستشهاد، وإحياء عصر القوة، وإيقاظ الهمم، والتخطيط الدقيق.

٨- ما حصل في فلسطين لم يوقف جهاد شعبها، وما يحصل لن يوقف إصراره على اقتلاع الاحتلال.

٩- إن شعباً أنتج أطفال الحجارة قادر على تحرير أرضه مهما طال الزمن، وطرد الصليبين خير دليل في التاريخ.

١٠- مسؤولية تحرير فلسطين مسؤولية جميع الأمة الإسلامية العربية.. ولا مكان لليأس في عقيدتنا.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص البيان

إن على الأمة الإسلامية العربية أن تعيد النظر في خططها وبرامجها في موضوع القضية الفلسطينية، فلم يعد مقبولاً الصمت واللامبالاة من بعض العرب والمسلمين تجاه اغتصاب الأرض المقدسة فلسطين.. من الصهاينة مجرمي العصر ومن وراءهم من القوى الظالمة والغاشمة، التي أهدرت جميع القيم الإنسانية الفاضلة.. لتحقيق مصالحها وأغراضها الدنيئة.

وتأتي الذكرى الخمسون على اغتصاب أرض فلسطين.. وقتل وتشريد الشعب الآمن في أرضه ووطنه، تحت نظر العالم كله وسمعه، وما يسمى "المنظمات الدولية".. من هيئة أمم ومجلس أمن ومنظمات حقوق الإنسان. والواقع المشاهد يدل دلالة أكيدة على أن جميع هذه

المنظمات صارت- اليوم- هيكلاً من غير مضمون، وصورة من غير حقيقة، ووسيلة لسيطرة الدول الباغية على الدول الضعيفة المقهورة.

ماذا يحصل لو أن الشعب الفرنسي.. أو الشعب الياباني.. أو أي شعب أوربي.. احتُلتْ قطعةٌ من أرضه؟!.. لقامت الدنيا وما قعدت من أجل حقوق الإنسان الأوربي، فأين حق الإنسان العربي؟ أين حقوق الشعوب المقهورة والمظلومة؟!

إن فلسطين لا تتحرر بالدعاء، ولا تتحرر بالشعارات، ولا تتحرر بالاحتكام إلى جلاديها، ولا إلى مجلس ديكتاتورية "الفيتو".

لقد ضاعت أراضي الشعب الفلسطيني، وسُلبت أموالهم، وطُردوا من بيوتهم، وصار الشعب الفلسطيني نصفه مشرَّداً ونصفه بالأسر، فمتى تستيقظ العروبة؟! متى تستيقظ الدول الإسلامية؟!

لا بد من العودة إلى الإسلام تربيةً وإعداداً وجهاداً، ولا بد من أن نبني إنساننا ووطننا على قواعد متينة من العلم والمعرفة والتخطيط، ولا بد من أن نُحْيي عصر الشهادة، ولا بد من أن نحيي عصر القوة ؛ لأنها اللغة التي يحترمها الجميع في عالمنا المعاصر.

إن القلب لينصدع، عندما نرى ما يحصل لأبناء أمتنا في فلسطين؛ ولكن البكاء لا يُفيد، وإنما الذي يُفيد هو إيقاظ الهمم والتخطيط الدقيق.

إن الأمة الإسلامية والعربية تحتاج إلى التحريض والإيقاظ، وإن البرنامج الإسلامي ومخططه يُفيد جداً في هذا الموضوع، ولا سيما في مجال التوعية والإيقاظ وبناء الإنسان القادر على التضحية والفداء من أجل قضايا أمته وشعبه.

ومع جميع ما حصل للشعب الفلسطيني ويحصل، لم تستطع جميع قوى البغي والعدوان أن توقف جهاده، أو تَقتَلع جذوره من أرضه ووطنه. ولا يزال هذا الشعب المؤمن بالله وبقضيته العادلة يجاهد ويناضل بكل الوسائل الممكنة- حتى بالحجر والعصا- ضد جيش الظلم والقهر، ومهما كانت التضحيات.. ومهما كان الثمن.

إن الشعب- الذي أنتج أطفال الحجارة في فلسطين، الذين استطاعوا أن يصمدوا في وجه جيش العدوان الصهيوني بكل طاقاته وإمكاناته- قادرٌ على أن يصل إلى تحرير أرضه وإعادة مقدساته مهما طال الزمن، وإن الغرب الصليبي- الذي وصل إلى أرض فلسطين، وأقام فيها دولاً وكيانات- ليعْلم علم اليقين كيف خرج من فلسطين، وكيف عادت الأرض إلى أهلها، وكيف تحققت الكرامة والحرية للأمة.

وسيعيد التاريخ نفسه، وسيحقق الشعب العربي الفلسطيني إرادته ولو طال الزمن، ولن يموت حق وراءه مطالب، ولن تستطيع القوى الظالمة والمخططات الدنيئة أن تقتلع الشعب العربي الفلسطيني من

أرضه، وسيبقى صوت الحق معلناً في كل مكان وزمان حتى يأتي نصر الله، وما ذلك على الله بعزيز.

إن مسؤولية تحرير فلسطين هي مسؤولية كل عربي من المحيط إلى الخليج، وكذلك مسؤولية الأمة الإسلامية من إندونيسية إلى المغرب.. وسيأتي يوم يعلم فيه الذين ظلموا أي مُنقلبٍ ينقلبون.

إن **اليأس هو عقيدة الكفر**، يقول تعالى: ﴿...إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة يوسف]. ونحن مؤمنون بالله، ومتمسكون بحقنا ومقدساتنا، وسيبقى الجهاد قائماً في سبيل الله حتى يأتي نصر الله...

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [سورة آل عمران]

* * * * *

ثانياً

الدراسة والتحليل

(لما ورد في فصل الإسلام والقضايا الوطنية والسياسية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام والقضايا الوطنية والسياسية

- ❑ **نداءات لنصرة قضايانا**
  - o نداءات تنوعت فيها شرائح الخطاب
  - o استصحاب الحال والتاريخ في قراءة المستقبل

المحور الأول: دعوة الحكام إلى تحمل مسؤولياتهم

- o من اللامبالاة إلى استراتيجية التغيير
- o مفتاح العزة عضّوا عليه بالنواجذ
- o العلماء والحكام مسؤولية مشتركة
- o الوحدة ونبذ الخلاف

- صراع على المصالح الشخصية ورؤية ضيقة بدلاً من رؤية استراتيجية.
- الأقوياء ليسوا في حاجة إلى أحد
- العمل ضمن الإمكانات المتاحة، والتقاعس خيانة
- النصر بين البشارة واليأس، وقراءة تاريخية
- تهديد مصالح الكيان الإسرائيلي
- المقاطعة سلاح فعال
- الصلف الإسرائيلي بين الاتفاقات المنفردة والقوة الإسلامية
- التطبيع وتحكيم الدين في العلاقات الدولية

المحور الثاني: غارة على العالم الإسلامي

- همجية فرنسية ونُصْرة للشعب الجزائري المسلم
- مساندة للشعب المصري في العدوان الثلاثي عليه
- عدوان على العراق وصمت عالمي

المحور الثالث: نداءُ القدسِ صرخاتٌ من وجدانِ عالِم

- **كيان خطِر على العالم أجمعه**
- تراجع التعاطف الدولي
- مكانة القدس وعدالة قضيتنا

- العرب بين اتفاقات السلام وتهويد الأرض
  - لا معنى للسلام من دون القدس
  - سنفقد القدس إذا فقدنا منهج الإسلام

■ **العالَم والقدس**

- العالم الديمقراطي بين متفرج أو داعم!!
- الاستكبار العالمي وتزوير الحقائق
- دعوة الغرب إلى التعقّل
- التطرف في العالم مرهون بالغرب
- إمهال الظالم لا إهماله

■ **القدس قضية العالمين الإسلامي والمسيحي**

■ **دعوة إلى المنظمات الإنسانية**

■ **واجبات الأمة**

- من عوامل ضعفنا فَقدُ العالم الرباني الحكيم

• مدارس أنموذجية ومنظمة عالمية لإنشاء الدعاة

• صناعة الإنسان المسلم والنهوض بالأمة

• أعداء الإسلام ومحاربة الدين

• مقارنة بالغرب

- برنامج عمل لفاعليّات المجتمع
- وسائل الإعلام وتوعية الشعوب

المحور الرابع: الأصولية العالمية ودعوى الإرهاب في الإسلام

أولاً: مفهوم الأصولية بين الغرب والمسلمين

- حقيقة التطرف عند بعض المسلمين
- الإسلام يدعو للسلام وليس للإرهاب
- التاريخ وسماحة الإسلام
- مخطط صهيوني استعماري

ثانياً: أهم أسباب التطرف الديني عند بعض المسلمين

- العنف الخارجي
- الأصولية الصليبية الغربية والأصولية الصهيونية
- التطرف اللاديني
- العنف الداخلي

ثالثاً: حلول ومعالجات

- نبذ التطرف وترشيد الصحوة وضبط النفس
- منع الظلم يمنع العنف
- رؤيتان في قراءة شرعية وتاريخية

– الساقي يشرب من كأسه

- الظلم إلى زوال

- التنمية الإنسانية
- نقص التربية الإسلامية وتشجيع الرذيلة من أسباب التطرف
- دور العلماء الحكماء
- تشارك فاعليات المجتمع
  - حل خلافاتنا بالحوار
  - صفاً واحداً
- الفكر الجهادي والفرق بين المقاومة المشروعة والعنف
  - العمليات الاستشهادية حق مشروع ضد الظلم

❑ **خاتمة**

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام والقضايا الوطنية والسياسية

❑ نداءات لنصرة قضايانا

إن الفصل الثاني من الباب الثالث يتحدث عن موقف سماحته من القضايا الوطنية والسياسية لأمتنا.

○ نداءات تنوعت فيها شرائح الخطاب

في محاضرات وحوارات وبيانات هذا الفصل ونداءات كلماته **يتنوع الخطاب**، وإن كان يوحده العقل والوجدان والإيمان؛ فهي خطاب سماحته- رحمه الله تعالى- للشعوب العربية والإسلامية لتتحمل مسؤولياتها.. وفيه يجيّش جميع طاقات الأمة وفاعليّات المجتمع.. وفيه خطاب لحكام العرب والمسلمين.. وخطاب للشرفاء في العالم.. وخطاب لحكام الغرب.. وخطاب للمسؤولين في هيئة الأمم ومجلس الأمن.

○ استصحاب الحال والتاريخ في قراءة المستقبل

وكذا تضمن بعض خطابات سماحته **تحذيرات**، تحقق بعضها..، ومن أمثلة ذلك ما قاله: جميع من يعاند حريات الشعوب يفشل.. وكل من يساوم عليها يُخْذَل.. بل يحيق المكر السيئ بأهله!.. ولا سيما عندما حذر الولايات المتحدة من التعاطف مع الكيان الإسرائيلي على حساب الحق العربي، فذلك سيجعله كياناً خطراً على العالم كله، وسيؤدي إلى اتساع دائرة السخط عليهما كليهما.. وكذا تحذيره إياها من العدوان على أفغانستان والعراق وما سينجم عن ذلك من ظهور التطرف والأصولية والإرهاب في العالم الإسلامي وتناميه الخطِر على العالم كله!.. وقبل ذلك تحذيره زعماء العرب من ضياع القدس قبل عام ١٩٦٧ إن استمروا على سياساتهم ونهوج حُكمهم في التقاعس والتفريط!.. وتحذيره الزعماء العرب من تعاظم تعنت الكيان الإسرائيلي إن استمروا في حلولهم المنفردة مع ذاك الكيان وفي خلافات دولهم بعضها مع بعض!.. وكنا رأينا في أحد فصول الكتاب- التي مرت- توقعه انهيار الاتحاد السوفييتي، وأن القرن الحادي والعشرين قرن الإسلام!

وإن حلقات هذا الفصل ذات طابع خاص، عندما يتكلم سماحته عن قضايا السياسة والوطن، وهو ذلك الطابع المقبول من السياسيين أنفسهم، والذي **يتصف بالمسؤولية والبعد عن التجريح** والتعنيف.. وبالرغبة الصادقة في النصح لهدف سامٍ راقٍ، ألا وهو مصلحة الأمة في

دينها ودنياها. ولذا، فإن سماحته يذهب إلى الحكام العرب والمسلمين- في نصحهم وتنبيههم- مذهب الحكمة والحنكة شكلاً ومضموناً، ما ينعكس إيجاباً على طروحه. ودائماً ما يثبت سماحته أنه الناصح المخلص الحكيم، الذي لا يسعى إلى دنيا يصيبها، وإنما يضع جميع علمه وفكره وجهده في خدمة الأمة وقضاياها المصيرية.

المحور الأول:

دعوة الحكام إلى تحمل مسؤولياتهم

وضمن سلسلة "الإسلام والقضايا الوطنية والسياسية"، يقتدي سماحته برسول الله ﷺ في اغتنام الفرص والمناسبات لنشر الدعوة وتقديم النصح، فينتهز اجتماعات قادة العالم الإسلامي أو ممثليهم، ليسهم في تحسين إفادتهم من اجتماعهم.. ويقدم لهم الرأي والفكر المستنير.. ويذكرهم بمسؤولياتهم الدينية والدنيوية.

وعلى رأس مسؤوليات حكام الدول العربية والإسلامية دعم الفلسطينيين عامة والمقدسيين خاصة.. للحفاظ على هوية القدس العربية. ولـ "نداء القدس"- الذي يحمله سماحته بين حناياه جمرةً متقدة- تأثير كبير، حتى في نفوس السياسيين؛ فكل رئيس أو ملك.. عربي أو مسلم.. يقبل أن يُنصَح لأجل القدس، لأنه يعلم مقدار أهميتها لجميع الشعوب العربية والإسلامية.

○ من اللامبالاة إلى استراتيجية التغيير

ويطلق سماحته دعوته لنبذ النوم.. وتغيير الاستراتيجيات.. وترك اللامبالاة؛ فقد مرت سنون، ولم تنفع تلك الاستراتيجية.. فهلاّ تفكَّر قادةُ الأمة في البديل، والحل الأكثر فاعلية! وهنا يؤكد سماحته وجوب اتخاذ الأسباب في بناء الاستراتيجية الجديدة للعمل الإسلامي والعربي.. ولا سيما في تحرير فلسطين.. **استراتيجية تعتمد الإسلام والوحدة والقوة**، وتعدّ لذلك عدته.

○ مفتاح العزة عضّوا عليه بالنواجذ

ويدعو سماحته حكام العرب والمسلمين إلى تحمل مسؤولياتهم تجاه الإسلام ونهج سياسة تستجيب لنداء الله في مجابهة الظلم، ويؤكد لهم- مراراً وتكراراً- أنه لا مفر من العودة إليه؛ فسلاح الإيمان هو الذي يضمن النصر للأمة، ويزرع الثقة بذلك النصر في نفوس أبنائها "شعوباً وحكاماً".. واتباع المنهج الرباني في غرس القيم الدينية هو **المنهج الوحيد لإعادة حقوقنا المغتصبة، وضمان خروج أعداء الإسلام من فلسطين والقدس**؛ لأنهم يعلمون أهمية تمسك العرب بالإسلام، ومقدار تأثيره في قومهم.. وأنهم من دونه يصيرون ضعافاً، لا يحسنون إلا البكاء.

وينبه سماحته حكام العرب إلى أن الإسلام ليس عبادة فقط.. ولا

يكفي فيه الأمنيات، بل هو علم وحضارة وتربية ووحدة.. إنه حياة متكاملة. ولذا، يوجههم إلى أهمية العمل على تهيئة الأرضية المناسبة لتطبيق أحكام التشريع في البلدان المسلمة.. والعمل على تهيئة الأسباب بالتربية وزرع الإيمان والقناعة.. والعمل بحكمة بالغة.. اقتداء بسيرة الرسول محمد ﷺ.

ويسألهم سماحته: إذا كنتم تفخرون بالوليد والرشيد وأمثالهما، فلماذا لا تعملون بمبادئهم؟! ويذكرهم أن هذه الدنيا لن تدوم، وأن الحساب يوم القيامة سيطولهم إن فرطوا في حقوق الأمة.. ولم يعودوا إلى الإسلام قولاً وعملاً.

ويطلب سماحته إلى حكام العرب والمسلمين أن يدرسوا تاريخهم، لأخذ العبرة والعمل بما تقتضيه.. يوم انتصر العرب بالإسلام.. وماذا حصل يوم تركوه؟! .

○ العلماء والحكام مسؤولية مشتركة

وينوّه سماحته إلى أن مسؤولية العلماء والحكام كبيرة بين يدي الله في تحقيق المراد للأمة.. وما على حكام المسلمين والمفكرين والدعاة المخلصين المستنيرين في العالم الإسلامي إلا التعاون لأجل ذلك، فإن تعاون الطاقات المتنوعة ينتج حصاداً طيباً ويعيد هذه الأمة إلى مجدها.

○ الوحدة ونبذ الخلاف

ويؤكد سماحته ضرورة العمل على توحيد الجهود ضد الاستكبار العالمي والعدوان الإسرائيلي.

وإن اجتماع قادة الأمة هو أمل في الخروج بقرارات تغير وضع الأمة إلى الأحسن، وفي بذل الجهود لترك الخلافات الجانبية؛ لأن الاجتماع الشكلي- من غير **توحيد القلوب** على هدف الدفاع عن أمتنا وتحرير أرضها- ليس بشيء. فكل عمل له شروط، لا ينتج ولا يفيد من دونها. واجتماع القادة شرطه الأساس وحدة القلوب والفكر على هدف سامٍ مما يوجب نبذ الخلافات.

وعلى ضوء هذا، يؤكد سماحته للأمة أن إيجاد صيغة مناسبة للجمع والتوحد كفيل بتحرير الأراضي المحتلة من الصهاينة.. ويقدّم الدليل على ذلك تاريخياً ثلاث مرات، للقضية والهدف نفسهما. فأي حاكم عاقل لا يتعظ من نصر جاء بعد وحدة، ويصرُّ على السير بانفراد في أفعاله وتطبيقاته.. وإن ادّعى الوحدة، واجتمع في مؤتمرات؟!

○ صراع على المصالح الشخصية ورؤية ضيقة بدلاً من رؤية استراتيجية

إن صراع بعض الحكام على المصالح الشخصية، أو الرؤية الضيقة

بدلاً من الرؤية الاستراتيجية في أحسن الحالات، من الأسباب المؤدية إلى تفريق كلمة الأمة وعدم قدرتها على مواجهة عدوها موحدة وكأنها بنيان مرصوص.. وهذا يؤدي إلى الضعف والوهن بسبب تشتت الطاقات وعدم توظيفها ضمن مخطط استراتيجي واحد في منطلقاته وأهدافه.. وبمناشدته للحكام، يؤكد سماحته خطورة هذا الموقف؛ لان العدو لن يترك أحدا وسيجتاح الجميع ويقهرهم ويستنـــزفهم ضمن مخططه الكبير ولن يشفع للمتخاذلين تخاذلهم ولا انبطاحهم للعدو، أو إدارة ظهورهم لقضايا أمتهم والمظالم الواقعة فيها..

○ الأقوياء ليسوا بحاجة إلى أحد

بالتزامن مع **بذل الطاقات** والإمكانات للنهوض إلى مستوى مواجهة الظلم، إرضاءً للواجب الشرعي ودفاعاً عن أنفسنا تجاه الأجيال القادمة، فأولُ واجب على الحكام لتحقيق النهوض هو **بناء القوة** الذاتية المؤسسة على المبادئ الإسلامية. نعم، إنها **القوة** في كل شيء. ولو وجدت، لما احتاجت الأمة إلى النداء.. ولما اكتفت بالاستهجان.. ولما اضطرت إلى مجرد الاستنكار.

ولإحياء عصر القوة- التي لا يفهم العدو إلا لغتها- يجب تحريض الشعوب، وإيقاظ الهمم، والتخطيط الدقيق، وتعزيز قيم الجهاد

والاستشهاد. فالبلاد لا تحرر بالخنوع أو الاستسلام.. والحقوق لا تسترد بالبكاء والاستنكار، بل بالجهاد على المستويات كافة: رؤساء ومرؤوسين.. وبالأشكال كافة: العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية والتربوية.

أجل، بالجهاد لا بالبكاء تسترد الحقوق من أعداء الأمة. ولكن دعوة سماحته للأمة إلى بناء قوتها- باستخدام سلاح الإيمان، وترك الخلاف- ما هي إلا كلام يحمل بين طياته لوم لهذه الأمة على تركها العمل على ما يقويها.. ويغنيها عن هذا الاستنكار.. وانتظار الحلول من مجلس الأمن. ولذلك، وضع سماحته عنواناً رائعاً للانتهاء من هذه الحال: (**الأقوياء ليسوا بحاجة إلى أحد**).

○ العمل ضمن الإمكانات المتاحة والتقاعس خيانة

ولا بد للحكام من العمل ضمن الإمكانات المتاحة حتى نصل إلى الهدف الأسمى؛ وأما التقاعس عن القيام بأي واجب- بحجة أن الحل الجذري صعب المنال حالياً- فهذا من الغباء والنفاق.. ولعله يدخل في الخيانة لقضايا العرب والمسلمين المبنية على الحق والعدل.

○ النصر بين البشارة واليأس، وقراءة تاريخية

وفي محطة "الأمل بالنصر وعوامله"، يؤكد سماحته أنه يتحتم على حكام العرب والمسلمين الوقوف بقوة.. متسلحين بسلاح الأمل؛ فالإسلام يحرم على المؤمنين اليأس.. ويعدهم بالنصر، ويبشر بوصول هذا الدين إلى ما وصل إليه الليل والنهار. نعم، إنه لا يأس مع إيمان.

ولنا في التاريخ عبرة.. ليست ببعيدة عن أذهاننا.. ولا عن أذهان الدول الغربية المعتدية. ويقدّم سماحته أمثلة تاريخية عن قدرة الإسلام على العودة.. والأمة على البقاء والنهوض، على الرغم من مرورها بنكبات وتعرضها لاعتداءات عالمية.. وغزوات كبرى من الشرق والغرب.

ثم على الرغم من ذلك الواقع الأليم، يرى سماحته الأمل في المقاومة والجهاد.. جهاد العدو وجهاد البناء.

■ تهديد مصالح الكيان الإسرائيلي

ولذلك يدعو سماحته إلى تهديد مصالح الكيان الإسرائيلي.. وسحب السفراء.. وإيقاف المحادثات معه، ما لم يتوقف عن تهديد الأقصى.. وتشريد الفلسطينيين، وإلا لن يرتدع الكيان الإسرائيلي ولن يتوقف عن غيّه وشروره.

○ المقاطعة سلاح فعال

ويدعو سماحته- من موقع مسؤوليته الشعبية- إلى مقاطعة الدولة المعتدية على أي جزء من أرضنا، لأن إمكانات المقاطعة متوفّرة لدى شعوبنا. وهذه الدعوة تدل على الحكمة في طرحه للتوصيات؛ إذ لا يطلب إلى الشعب ما يستحيل فعله. ولعل بعضهم يظن أن المقاطعة وسيلة ضعيفة التأثير، بل هي قوية في معناها الرمزي.. وقوية في جدواها اقتصادياً وثقافياً. ولو أن الشعوب الإسلامية والعربية مارست المقاطعة المستمرة مع الدول الداعمة للكيان الإسرائيلي في الغرب كله، لوجدنا تغييراً جذرياً في سياسة تلك الدول تجاه قضية فلسطين. وهذا المستوى من مقاومة المحتل لا يلغي المستويات الأعلى، إن أمكن تحقيقها. وواجب الحكومات أن تأخذ مسؤولياتها في البحث والعمل على وسائل أخرى تناسب إمكاناتها.. وكذلك واجب الشعوب أن تعمل ضمن إمكاناتها.

○ الصلف الإسرائيلي بين الاتفاقات المنفردة والقوة الإسلامية

وفي موضوع تعنت الكيان الإسرائيلي تجاه السلام، يُرجع سماحته أسبابه إلى ضعف الأمة وتخلفها.. فتعنتها يصب وفق مصالحها.. وضعفنا وتخلفنا يوافقان مصالحها. ولماذا لا يتعنت الكيان الإسرائيلي وبعضهم يسارع إلى إبرام المعاهدات معها.. والآخر لا يتأثر بمعاناة

إخوانه المعتدى عليهم.. ولا حتى يفكر بضرورة الجهاد بكل الوسائل، على الرغم من أنه فُرض علينا في هذه الظروف شرعاً ومنطقاً وواقعاً.

ويستغرب سماحته من أن العرب لا يعملون تجاه الوقوف ضد الكيان الإسرائيلي **بمنطلقاتهم القومية**؛ فضلاً على المبادئ الإسلامية الموجودة منذ أربعة عشر قرناً ونيف، والتي تحتم عليهم الوقوف متحدين بالفكر والإعداد؛ بل لعل كلام سماحته يحمل- بين طياته- أكثر من لوم، فهي مسؤولية بين يدي الله والشعوب والأجيال، التي لن تسامح من ظلم أو قصَّر.

إن سماحته واضح في طرحه؛ فإما سلام حقيقي يرد الحقوق إلى أهلها.. وإما جهاد عسكري يرجع الحق.. ويوقف العدوان. فلا أحد فوق الحق والعدل.. وإن طال عبثه وظلمه.

○ التطبيع وتحكيم الدين في العلاقات الدولية

وعلى المنهج نفسه، يعطي سماحته حكمه، ويصدر **فتواه في حرمة التطبيع مع الكيان الإسرائيلي**. فدراسة الواقع- على نحو وافٍ- تظهر أن الاعتداء مستمر بأشكاله كافة.. وفهم النصوص- على نحو كامل- يفضي إلى حرمة التعاون مع المعتدي. ولذا، كان الحكم واضحاً لا لبس فيه؛ ثم إن العقل والتشريع الدولي يؤكدان نهج شرعنا في هذا الأمر ويتطابقان معه.

وإن إلقاء سماحته الضوء على مشكلة اللاجئين الفلسطينيين توقظ العقل لدى العاقل.. وتحيي الضمير لدى المؤمن بالحق في جميع هذا العالم. فما بال العرب والمسلمين يسعون إلى التطبيع المخالف لكل مبدأ وشرع وخلق ومنطق وعقل! لقد كان حري بمن يبحث عن فتوى للتطبيع أن يرشده عقله وضميره إلى الحُكم من دون عناء في الاجتهاد، بل كان الأولى به ألا يفكر في مسألة التطبيع.. ولو مجرد تفكير؛ لأن الظلم محرّم في جميع الأعراف والشرائع، ولو بتقديم العون.

ولأجل هذا، يجعل سماحته **الاتفاقات المذلة المنفردة مع الكيان الإسرائيلي** غير مقبولة شرعاً. إن الاتفاقات المنفردة مع الكيان الإسرائيلي مثلها مثل الذئب الذي يأكل الشاة القاصية.. ومن ناحية أخرى، يُؤدّي إلى تمزيق الأمة واستخفاف العدو بها. ولذا، فالتزام الجماعة أولى من اجتهاد فردي، وإن ظن أنه سيحقق مكاسب وفوائد.

ويحث سماحته- الذين يسارعون إلى التطبيع والاتفاقات مع أعداء الأمة- على التوقف عن ذلك، ولزوم **تحكيم الشرع والعقل والمنطق والشرائع الدولية...**

ثم إن كلمة "لا" كلمة مختصرة.. تظهر الوعي العميق لسماحته، عندما **يميِّز بين لقاء علماء دين يهوداً يمثلون دولة مستعمرة ولقاء علماء دين يهوداً لا يؤيدون الدولة الصهيونية**؛ لأن الحال الأخيرة تدخل ضمن

إطار الحوار، وهو جائز ومُمَارس. وكان لا بد من التمييز بين الحالين، لأنه لا أرضية مشتركة مع رجل دين يؤيد الظلم والعدوان..

المحور الثاني:
غارة على العالم الإسلامي

وهذا هو عنوان كثير من المحاضرات والحوارات والبيانات الصادرة عن سماحته تجاه مساندة قضايا عربية وإسلامية.

وإن النداءات- التي يوجهها سماحته في هذا المحور- تدخل في دائرة حديث النبي ﷺ: «مثل المؤمنين- في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم- مثل الجسد...»[1].. وفي محور حديث النبي ﷺ: ‹مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى›[2].. فأي بلد إسلامي اجتاحته محنة، لا بد لجميع المسلمين في العالم من بذل جميع إمكاناتهم لمساعدته.. فضلاً على أن أمتنا تحتاج إلى الكثير لتنهض، وتدافع عن حقوقها، وتُعد الأمورَ.. التي تضمن نصرها وعزتها.

(١) أخرجه مسلم عن النعمان بن بشير ﷺ، في كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم ٢٥٨٦.

(٢) أخرجه الديلمي عن أنس ﷺ في باب الميم، ذكر فصول في الأمثال، برقم ٦٤١١، وهو ضعيف.

○ همجيةٌ فرنسية ونُصْرةٌ للشعب الجزائري المسلم

وفي البيان الخاص بالجزائر- في عام ١٩٥٥- يعرض سماحته فظائع الفرنسيين في المغرب العربي، التي توجب الوقوف في وجه هذا العدوان الفرنسي.

○ مساندة للشعب المصري في العدوان الثلاثي عليه

واستكمالاً لروح بيان المساندة للشعب الجزائري، يصدر سماحته بيان المساندة للشعب المصري في مواجهة العدوان الثلاثي على أرضه ومقدراته في عام ١٩٥٦.

وفي هذا البيان، نلمس لهجة العقل، التي يظهرها سماحته في خطابه مع أمريكة؛ لأن أمريكة- في ذلك الوقت- لم تكن تظهر العداء للعرب والمسلمين.. العداء الصريح الصارخ، الذي نراه اليوم. ولذلك، على الداعية معرفة الواقع والحال عند مخاطبة الآخر. ولكن بيان سماحته يتضمن- في الوقت نفسه، بين السطور- تحذيراً من التمادي في دعم العدوان والمعتدي، وتحذيراً من تنامي الكراهية عند الشعوب العربية والإسلامية ضد سياسة الإدارة الأمريكية خاصة والحكومات الغربية عامة.. وهذا ما يحدث الآن.

○ عدوان على العراق وصمت عالمي

ويوضح سماحته نتائج الحروب على أمتنا، وعلى رأسها التمزق وقيام الكيان الصهيوني.. وما حرب العراق- عام ١٩٩٢- وما نتج منها من تمزق شديد بين الدول العربية إلا دليل على صحة المحاذير التي تحدث عنها سماحته في بياناته الموجهة إلى الأمة، بل قد يكون ما هو شرٌ من تلك التحذيرات.

وهذا الشر القادم- ومنه مشروع الشرق الأوسط الجديد، الذي فيه تمزيق الممزق وتجزيء المجزئ- ألا يحرك ضمائرنا للوقوف ضد هذه الحرب مع الشعب العراقي، على الرغم من جميع الذرائع؟! والخَطِر في الأمر أن الذرائع تخترعها الدول المعتدية، ولا يتحرك العالم تجاهها، بل يتجاوز عن مخالفاتها؛ على حين يركض مجلس الأمن- بخطى حثيثة- لمعاقبة دولة.. ولتنفيذ قرار دولي ضدها.. فقط لأنها عربية.. أو إسلامية!!

ولكن الأخطر من هذا وذلك هو عدم سعي الدول العربية والإسلامية- بكل جدية- إلى منع هذه الحرب، بل لعل بعضهم مقتنع بها خوفاً على مصلحة فردية.. أو كسباً لدعم غربي ما.. وهو ينسى سنة الله في الكون، عندما يتخلى الأخ عن أخيه.. ويعين على ظلمه.. وهي السنّة التي يعبر عنها قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥ ﴾ [سورة الانفال]

المحور الثالث:
نداءُ القدسِ صرخاتٌ من وجدانِ عالِم

وأحد أهم محاور هذا الفصل- المتعلق بالقضايا الوطنية والسياسية للأمة العربية والإسلامية- القدس.

وإنه بيان آخر يستصرخ فيه سماحته الأمة لتقوم في وجه استباحة الأرض والشعب والمقدسات، بل إنها نداءات. ولكن معنى القدس للأمة أكبر من البيانات والنداءات.. إنها وقفات مع الشعب الفلسطيني في انتفاضته للدفاع عن القدس والأقصى.. بل عن كامل الأرض العربية.

ووقفات القدس تعرّج على خمس محطات، لها آثار مصيرية في التاريخ المعاصر لأمتنا: الكيان الإسرائيلي، العالم والقدس،تعاون العالم الإسلامي والمسيحي من أجل القدس، المنظمات الإنسانية، وواجبات الأمة وعلمائها وحكامها وفاعليات مجتمعها وأدواته.

▪ كيان خطِر على العالم أجمعه

ويوضح سماحته في المحطة الأولى (الكيان الإسرائيلي) فظاعة هذا الكيان في قتله الأبرياء وتشريدهم.. وطمسه للحقائق التاريخية والديموغرافية.

ثم يتوجه سماحته إلى العالم كله ليستيقظ، وينتبه إلى الخطر المحدق به من الكيان الإسرائيلي. فاليوم نرى الكيان الإسرائيلي يظلم العرب والمسلمين والمسيحيين في المنطقة العربية.. وغداً سيظلم المسيحيين في العالم كله. ويستدل سماحته على ذلك بواقع الأعمال التخريبية والإفسادية للكيان الإسرائيلي في حق الإنسانية جمعاء.. ويشير سماحته إلى أن الإسرائيليين سيجلبون الخطر الداهم لأنفسهم، عندما يقومون بتهويد القدس، ويستمرون في ممارسة الظلم على الشعب العربي عامة والشعب الفلسطيني خاصة.

○ تراجع التعاطف الدولي

وعلى الرغم من صعوبة دعوات سماحته بشأن القدس والأراضي المحتلة، فلا بد أن نبدأ ونحاول.. ونزرع الأمل في التغيير، وهذا ما يحدث هذه الأيام؛ إذ نرى تراجعاً في الدعم المطلق للكيان الإسرائيلي، بدءاً من انخفاض مستوى التعاطف مع هذا الكيان، ولا سيما بعد حروبه الأخيرة في لبنان وفلسطين، وانتهاء باتساع التأييد للقضية الفلسطينية على الصعيدين الشعبي والدولي.

○ مكانة القدس وعدالة قضيتنا

ويوضح سماحته بداية الحقيقة البدَهية المتمثلة في مكانة القدس لدى المسلمين، وأن التاريخ أسس حق المسلمين والمسيحيين في القدس.

ويبرهن- رحمه الله تعالى- على عدالة قضيتنا، وظلم الكيان الإسرائيلي ومَن وراءه.. وعدوان هؤلاء على الأرض، والتاريخ، وتطويع المحافل الدولية لخدمة أغراضهم.

○ العرب بين اتفاقات السلام وتهويد الأرض

وفي هذه الوقفة "الكيان الإسرائيلي واتفاقاته مع العرب"، يبيِّن سماحته عدم جدوى هذه الاتفاقات لسببين: عدم احترام الكيان الإسرائيلي العهود والمواثيق؛ وأن الخيانة طبعه.. وكون هذا الكيان يجعل الاتفاقات مع العرب والمسلمين وسيلة لتحقيق مصالحه وغاياته من جهة، ووسيلة لتمييع القضية من جهة أخرى، وكسب الوقت لفرض الأمر الواقع ببنائه المستوطنات وتهويد فلسطين.

ثم يتكلم سماحته عن سياسة الكيان الإسرائيلي- على نحو مفصَّل- تجاه القدس.. وفلسطين؛ فهو كيان يسعى إلى خراب القدس. وسماحته- عند عرضه لسياسة الكيان الإسرائيلي الدائمة في بناء المستوطنات وتهويد القدس- يقدم البرهان الواقعي على ضرورة ترك هذه الاتفاقات.

• لا معنى للسلام من دون القدس

وهذا هو النداء الذي يريد سماحته توجيهه ضمن حلقة القدس في فصل الإسلام والقضايا الوطنية والسياسية.

فمن يفاوض سياسياً مسؤول عن القدس في عدم إبعادها من مفاوضات السلام، أو تأخير حلها. فالقدس هي الحل، لا المشكلة.. ومن يتجاوزها، فإنه يلعب بالنار.. ويعمل عبثاً.. وهو يحسب أنه يحسن صنعاً.

- **سنفقد القدس إذا فقدنا الإسلام**

ويذكّر سماحته في خطاب القدس بقصة فاتح القدس، عندما قدم المدينة فاتحاً، ليبرهن للحكام أن مفتاح العزة في أيديهم، ولا حاجة لهم إلى أن ينشدوه من هنا أو هناك؛ فالله لما اختار العرب لحمل مسؤولية نشر الإسلام، فإنه ربط عزتهم بمقدار تطبيق هذا الدين سلوكاً وتشريعاً، على مستويات الفرد والمجتمع والدولة معاً... فالإسلام هو الذي حرر بلاد العرب والإسلام هو الذي صد أعداء الإسلام على مختلف العصور .. فلِمَ التخلي عنه والاعتماد على غيره. ولذا، ينبَّه سماحته إلى أن الأهم من البكاء على ضياع فلسطين- وقبلها ضياع الأندلس- هو ضياع الإسلام من العرب سلوكاً وتطبيقاً وتشريعاً.

ألا يكفي الإسلام فخراً أنه ضمن تضامن مئات الملايين من أبناء الشعوب الإسلامية مع العرب تجاه فلسطين والقدس؟!

▪ العالَم والقدس

وفي المحطة الثانية، يقسم سماحته مواقف العالم- تجاه القدس- إلى خمسة مواقف، وما ذلك التقسيم إلا ليوضح للجميع من الذي على حق؟ ومن الذي على الباطل؟! إنهما موقفان رائعان يتمثلان في موقف المسلمين قديماً وحديثاً وموقف الكنيسة العربية من القدس. ويقابلهما موقفان سيئان.. مخالفان للقيم والحق والتاريخ، يتمثلان في موقف الكيان الإسرائيلي العدائي وموقف الكنيسة الغربية المنحاز للكيان الغاصب.. المؤيد لظلمه وعدوانه على نحو أعمى؛ ومعهما موقف متعمد أو عاجز على نحو فاضح، يتمثل في مجلس الأمن.. الذي يكيل بمكيالين في قراراته وتنفيذها تجاه الخصماء. فيشرح سماحته شرحاً مبيناً عظمة موقف الإسلام وتواطؤ الكنيسة العربية، ودناءة موقف الكيان الإسرائيلي وتواطؤ الكنيسة الغربية، وخذلان موقف مجلس الأمن وسلبيته.

والعالم الغربي المنحاز يتبع سياسة خاطئة في فرض **حق القوة**، وكأنه ينسى أن **قوة الحق** آتية يوماً ما ولا مفر من ذلك.

○ العالم الديمقراطي بين متفرج أو داعم!!

في هذه الوقفة، يَصِف سماحته واقع الاعتداء على البلاد العربية من الكيان الإسرائيلي وموقف حكومات العالم الغربي الداعمة،

والمخططة لنظام عالمي.. جديد في شكله، قديم في معانيه ومفاهيمه.. نظام الشرطي على العالم، القائم في الغرب.. بما فيه من جاهلية الغاب.. وتسلط القوي الظالم واستغلال الخيرات. إنها الحال المأساوية التي اختصر فيها العالَمُ الغربي نفسَه في "الكيان الإسرائيلي"، فصار هذا الكيان الوسيلة والهدف والأمل، وكأن الشعوب المغلوبة على أمرها لا رأي لها. ويا للأسف، فهذه هي حال من يدعون الديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان.

وفي هذا المنطلق، يستنكر سماحته- أيضاً- **استخدام أمريكة لحق الفيتو**، الذي هو في أساسه مستنكر.. وعلى العالم الحر العمل على إيقافه؛ لأنه يمثل ديكتاتورية الدول الكبرى ويؤدي إلى هضم حقوق الإنسان. وكذلك يستنكر دعوة أمريكة إلى حصار الشعوب المستقلة بذرائع تختلقها وينفذها عملاؤها.

○ الاستكبار العالمي وتزوير الحقائق

ويلقي سماحته الضوء- في هذه الوقفة- على **تزوير الحقائق**، وهو موضوع مهم، يتعلق بقلب المفاهيم؛ إذ يصير المنكر معروفاً والمعروف منكراً.. وعلى المستوى السياسي يصير المناضل إرهابياً والمعتدي مدافعاً

عن العدل. وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على استكبار القوى العالمية.. واستخفافها بالحق والعدل.

○ دعوة الغرب إلى التعقّل

ولو أن أمريكة أخذت بنصح العقلاء والحكماء في العالم، لما آلت صورتها إلى ما آلت إليه من سوء الآن.. وهذه عبارة لسماحته كانت في الخمسينيات. والآن نرى آثار التحذيرات التي أطلقها سماحته وقد ظهرت جلية؛ لأن سلوك مسالك الظلم أو مساندة أهله يؤدي إلى هذه النتائج، وذلك ليس بالعجيب، ولكن العجيب هو استغراب أمريكة- الآن- من كره الشعوب لها.. حتى من بعض الشعوب غير المسلمة، على الرغم من أنها سلكت معها طريق الظلم والعدوان، وتتساءل: لماذا يكرهوننا؟! أفلا يكفي تشريدها الشعوب وظلمها كي تكرهها؟! ألا يكفي تقتيل عشرات الآلاف في فلسطين ولبنان والعراق وغيرها، بدعم مباشر منها أو غير مباشر؟!

ويطلب سماحته إلى الشعوب الغربية- في أمريكة وأوربة- الضغط على حكوماتهم لاتخاذ القرارات الرافعة للظلم والعدوان، ويدعوهم- مستقبلاً- إلى أن يختاروا من يمثلهم من حكام ومسؤولين، ليقوموا بتحسين أفعال أمريكة وأوربة تجاه الشعوب، ومن ثم ليستعيدوا الثقة بدولهم عند جميع الشعوب.

ثم يضيف سماحته بنداً ثالثاً، وهو وجوب استدراك العالم الغربي خطأه والتكفير عن دعمه للعدوان والظلم على الشعوب المستضعفة، وضرورة مراجعة شاملة للعلاقات الدولية وأسسها الخاطئة، ولا سيما فيما يتعلق بنظام الفيتو في مجلس الأمن.

○ التطرف في العالم مرهون بالغرب

ويلقي سماحته الضوء على نتيجة مهمة لتحكيم الدول العربية والإسلامية العقل والمنطق في علاقاتها الدولية، وهذا يفيد الدول القوية- أيضاً- من جهة انحسار التطرف فيها، حين تقوم العدالة الدولية. ويدعو سماحته- في الوقت نفسه- جماهيرنا إلى ضبط النفس، وعدم التحرك على طريقة رد الفعل المباشر من غير حكمة أو دراسة.

○ إمهال الظالم لا إهماله

ويوضح سماحته أن الرهان على إنهاء الشعوب والاستمرار في الاعتداء عليها وسلب حقوقها أمرٌ جدُّ خطأ.. وهذا تحذير من سماحته لقوى الاستكبار في العالم كافة لأن تتعظ وتترك كبرها؛ فسنة الله في كونه إمهال الظالم لا إهماله، والضعيف لن يبقى ضعيفاً إلى الأبد، والشعوب لا تنسى حقوقها ومظالمها.

■ القدس قضية العالمين الإسلامي والمسيحي

وأما المحطة الثالثة فهي **تعاون المسلمين والمسيحيين** على نصرة القدس ونشر قيم العدل والخير.

ويبرز سماحته ضرورة التعاون المستديم بين المسلمين والمسيحيين العرب للوقوف في وجه العدوان الصهيوني على فلسطين والقدس. وهذه الجبهة يجب أن لا تقف عند المؤتمرات والتصريحات، بل يجب أن تتجاوزها إلى العمل.. وإعداد القوة بكل أنواعها: سياسية كانت أو ثقافية أو داعمة للمقاومة.

ومن أهم التوصيات- التي يطالب بها سماحته- دعوة مجلس كنائس الشرق الأوسط إلى العمل على تغيير موقف الكنيسة الغربية، وإلى تشكيل جبهة مشتركة بين أحرار العالم.. مسلميهم ومسيحييهم.. بإنشاء **مجلس إسلامي مسيحي عالمي للدفاع عن القدس**.. ومناهضة الظلم والاستكبار، ولا سيما بوجود من يساند الكيان الإسرائيلي من قوى صليبية فرنجية.. وعلى ضوء الموقف اليائس من نصرة مجلس الأمن والأمم المتحدة.

ويبرهن سماحته على إمكان تطبيق فكرته هذه من خلال بيانه للحقائق التاريخية في سلوك المسلمين والمسيحيين العرب تجاه بعضهم..

وتجاه احترامهم لقدسية مدينة القدس، ما يجعل هاجس الدفاع عنها ضد عدوان الكيان الإسرائيلي أمراً محتوماً وإن طال الزمن.

فالمسلمون- على مدار حكمهم لمدينة القدس- لم يقتلوا أحداً لدينه، بل المسلم يقدس جميع ما هو متصل بالرسالات السماوية. ومن جانبهم، يبرز المسيحيون العرب إخلاصهم للدولة الإسلامية ووفاءهم.

- **دعوة إلى المنظمات الإنسانية**

وأما على **المستوى العام**، فيلقي سماحته الضوء على المحطة الرابعة، من خلال دعوته **المنظمات** كافة- المعنية بحقوق الإنسان، وبقضية فلسطين والقدس- إلى التحرك ضد العدوان الإسرائيلي عامة، وضد بناء المستوطنات في القدس خاصة.

- **واجبات الأمة**

وفي المحطة الخامسة "واجب الأمة الإسلامية"، يؤكّد سماحته أن من حقوق الأخوة الإسلامية التعاطف بين المسلمين، ولا سيما عندما يكون هناك اعتداء على بلدٍ إسلامي.

إنها **أمة التعاطف والتناصر** كما يصفها سماحته، مهما حاك أعداؤها المؤامرات. ولذا، تهبُّ الأمة في كل ذكرى، لتثبت أنها ما

زالت على ثقافة الانتصار لكل من يعيش في حناياها، وفي طليعتها قضية فلسطين.. التي صارت ألمها وأملها في الوقت عينه.

وينبّه سماحته إلى أمر جوهري في موضوع التعاطف، إذ ينبغي أن يبتعد المتعاطفون عن الشعارات والخطب الحماسية والبكاء؛ فالهتاف لا يحرر شبراً.. والبكاء لا يسترد كرامةً، ولا سيما أن أعداءنا يعملون ولا يتقاعسون أو يتّكلون.

إن من يقرأ كلمات سماحته ويفند أفكارها، يرَ أن التعاطف الحقيقي- في طرحه- ورشة عمل، إن صح التعبير؛ ففيها التخطيط والمسؤوليات على مستويات المجتمع والدول كافة.. بما فيها الجانب الدولي.

○ من عوامل ضعفنا فقدُ العالم الرباني الحكيم

وأما في موضوع ضعف المسلمين في هذا العصر، فلا بد من التعمق لمعرفة سبب الداء، وإلا تحول الداء إلى وباء.

يعرض سماحته أسباب تفشي الخوَر في أمتنا، التي تتركز في الابتعاد عن الفهم الحقيقي للقرآن، الذي يتجلّى في فقد حلقة الوصل بين تعاليم الإسلام والمسلمين.. ألا وهي الدليل الخبير.. العالم الوارث.. المربي الحكيم المستنير، الذي يعرض الإسلام على نحو مشوق.

إن قلة العلماء الربانيين الحكماء أدت إلى انتشار ثقافة بعيدة عن حقيقة الإسلام، متمثلة في ثقافة خاطئة عن الزهد وكذلك في ترك فقه الحياة والقوة، ما جعل الاستعمار يستثمر هذا التقصير فيبسط يده على بلاد المسلمين ويستغل ثروات بلادنا ويستنـــزف خيراتها..

والعالم الداعية لا ينتظر حدوث الإمكانات المناسبة، بل يتحرك وفق الإمكانات المتاحة، وينشر الوعي بين المسلمين ليحققوا نهضة الأمة، كما نهض بها رسول الله ﷺ ، فأحياها من سبات ووحدها وأمدها بعناصر القوة إلى أن تحولت في زمن قياسي إلى القوة الأعظم في زمانها، وقدمت أعظم الإسهامات في بناء الحضارة الإنسانية.

- **مدارس أنموذجية ومنظمة عالمية لإنشاء الدعاة**

ويدعو سماحته إلى العمل على إنشاء مدارس وجامعات، وفق برنامج مدروس ودورات تدريبية جامعة للعلم والتزكية والحكمة.. وكذلك العمل على إيجاد منظمة عالمية إسلامية داعمة.. لتخريج دعاة وعلماء حقيقيين يسهمون في توعية المجتمع التوعية المنشودة.

- **صناعة الإنسان المسلم والنهوض بالأمة**

ويربط سماحته بين الهدف الكبير المراد تحقيقه (النهوض بالأمة) وإعادة منهج الإسلام في تربية الإنسان المسلم.. وتكوينه وفق القواعد

الصحيحة؛ إذ إن الإنسان هو أساس النهضة، فلا نهضة ولا بناء من غير أسس.. وإلا ضاع الجهد والوقت والمال سدىً.

وهذي القواعد يجب أن تستمد من الإسلام الحقيقي، وتكون بالعودة إلى تعاليم الإسلام الداعية إلى القوة في الاقتصاد.. والوحدة.. والعلم.. والتنمية الاجتماعية، مع العمل على تغيير المفاهيم الخاطئة البالية السائدة حول مفاهيم.. مثل: الزهد والتوكل والإيمان بالقدر.

ومع العمل على تبيان عظمة الإسلام في مبادئه وعقيدته ومخاطبته الفطرة والعقل السليم، ما يجعله مقبولاً لدى الجميع إن أُحسن عرضه. والعالم الإسلامي يحن إلى إيمانه، بل العالم أجمع مهيأ لتقبل الإسلام.. وإسلام بعض علماء الغرب ومفكريهم خير دليل.

- **أعداء الإسلام ومحاربة الدين**

ولهذا يلقي سماحته الضوء على الأسلوب الجديد لأعداء الإسلام في حربهم. إنه أسلوب يعتمد على محاربة الدين لا الشخص، محاربة العامل المؤثر الحقيقي، ألا وهو الإسلام تربية وعقيدة وخلقاً وتشريعاً. وواقع الحال يظهر مصداقية هذا القول، حين يبيِّن سماحته أن أكثر الدول الإسلامية مستقلة صورياً.. ولكنها مستعمرة قلباً وفكراً وخلقاً.

- **مقارنة بالغرب**

ويستغرب سماحته من تقدم الغرب، على الرغم من عدم وجود

ما يدفعهم إليه في دينهم.. ومن تخلف المسلمين، على الرغم من وجود ما يدعوهم إليه إسلامهم، الذي يجعل من النهضة- بأشكالها الزراعية والصناعية والاجتماعية والصحية وبناء قوة الأمة- عملاً دينياً. وإذا لم تقم الأمة بذلك، فإنها تأثم.

○ برنامج عمل لفاعليّات المجتمع

وفي الحقيقة، إن سماحته يدعو إلى وضع برنامج عمل يضم جميع فاعليات المجتمع الإسلامي (حكاماً وعلماء واقتصاديين و...) لدعم القضايا العربية والإسلامية، ولا سيما قضية فلسطين والمقاومة الإسلامية. وهذه دعوة من سماحته للعقلاء والحكماء من حكام وعلماء هذه الأمة، ولأصحاب الإمكانات والقرار إلى العمل على تقوية الاقتصاد من صناعة وتقنية (تكنولوجية) وغيرها.

○ وسائل الإعلام وتوعية الشعوب

وكذلك يدعو سماحته وسائل الإعلام إلى الاستمرار في توعية العرب والمسلمين بقضاياهم الوطنية والسياسية، وفي مقدّمها حقهم في القدس.

ومن الحلول العملية- التي يراها سماحته- إنشاء محطة فضائية تسهم في التوعية وتصحيح المفاهيم وتنشئ ثقافة واعية تغرس قيم الإخاء والتعاون بين المسلمين، ضمن شرط أساس.. هو اختيار الأكفاء

الحكماء من العلماء والمفكرين المستنيرين المخلصين. ويؤكد سماحته ضرورة الإسهام في بناء مستقبل الحضارة الإنسانية والسلام العالمي.. ولا يكون ذلك إلا بنشر ثقافة الإسلام في العالم مستفيدين من الوسائل الإعلامية المختلفة.

وتلك الدعوة رافقها تأكيد، عندما ألقى سماحته بمسؤوليتها على أصحاب القرار في العالم الإسلامي. أجل، إنها مسؤولية بين يدي الله.. يجب التعامل معها بجدية.. وخيرها عائد إلينا وإلى أمتنا.

المحور الرابع:
الأصولية العالمية ودعوى الإرهاب في الإسلام

هذه هي الرسالة الرابعة، التي يريد سماحته توجيهها من خلال حلقات يتضمنها فصل: "الإسلام والقضايا الوطنية والسياسية"، وهذه الحلقات تتمحور حول ـ **العنف: حقيقته ومظاهره وأسبابه ومعالجته** ـ. وتراه- رحمه الله تعالى- يستعمل في طرحه للموضوع **الأسلوب العلمي في تحليل ظاهرات المجتمع**، من جهة بيان الأسباب والأهداف ووضع الحلول.. ومن جهة البدء بدراسته بعمق، وشَرْحِ النصوص وفَهْمِها بإسهاب، ثم إعطاء حكمه الصريح.

وهنا يتناول سماحته خطورة أزمة العنف من جهة مصدرها المشبوه،

الذي يتبين هدفُه الرامي إلى تشويه الإسلام؛ ومن جهة معالجتها، حتى يفوّت العالَمُ الإسلامي على أعداء الأمة فرصة عظيمة يريدون استخدامها في محاربة المسلمين من خلال ما يسمونه التطرف، بعدما عجزوا عن محاربتهم بالسلاح وبالفكر.. وكسر الإرادة ومحو الهوية.

وفي هذا دعوة من سماحته إلى المخلصين- في العالم كافة- للدفاع عن الحق وعدم الانجرار وراء الدعاية الصهيونية أو الاستكبارية العالمية.. فالعنف ليس له جنسية أو دين.. والعاقل المنصف يقف مع الحق ولو كان مع عدوه.

أولاً: مفهوم الأصولية بين الغرب والمسلمين

يبدأ سماحته بالتمييز بين فهم الغرب للأصولية (العنف/ الإرهاب/ التطرف) وفهم المسلمين لها، ما يجعل إطلاق الأصولية على أنها تطرف ديني في الإسلام ظلماً للإسلام.. ومبادئه الرحيمة.. وأصوله السمحة.

ولذا، يدعو سماحته الغرب إلى عدم إطلاق مواقفه وعباراته إلا بعد نَخْلها ودراستها على حسب مرجعية ثقافتنا. وهذا يدفعنا إلى دراسة المصطلحات كافة، التي تطلق هنا وهناك؛ فقد تكون خارجة عن هذه المرجعية الثقافية.

○ حقيقة التطرف عند بعض المسلمين

ويصف سماحته مظاهر هذا المشهد بالعمل المرفوض عقلاً وشرعاً، لأنه يتنافى مع مبادئ الإسلام. ويؤكد سماحته أن هذه الأفعال لا يمكن أن تقوم بها جماعة إسلامية، مقدماً برهانه وتحليله، وان ما نراه من تطرف ما هو إلا ردة فعل غير منضبطة على تطرف معادٍ للإسلام هو اشد تطرفا وتنكيلا بالمسلمين.

• الإسلام يدعو للسلام وليس للإرهاب

وفي موضوع افتراء أعدائنا على أن الإسلام مصدر للإرهاب، يجلّي سماحته حقيقة أن الإسلام يدعو إلى السلام، وهذه الحقيقة نلمسها في أن من أسماء الله الحسنى **السلام**، وأن من أسماء الجنة **دار السلام**، وأن التشريع الإسلامي قيامُه وغايته السلام للإنسان والحيوان والنبات وحتى الجماد. والسلام- الذي ينشده الإسلام- ليس هدفاً شخصياً أو وطنياً أو قومياً، بل هو شمولي عالمي.. السلام الذي ينشده هو الذي يحقق الرحمة والسعادة للعالمين، السلام الذي يمنع العدوان والظلم، ويدفع المسلم إلى أن ينتصر للحق ولو كان على نفسه، ثم يرتقي الإسلام بالسلام إلى معاني الإحسان. والسلام في الإسلام يطول كل جوانب حياة الإنسان، فينشد له السلام من الفقر والجهل والجوع والمرض وسوء العلاقات الاجتماعية. وكل هذه المعاني للسلام في

الإسلام تحققت سلوكاً وأخلاقاً في دولة النبوة والخلافة وفي ظل الحضارة الإسلامية طوال قرون وقرون.

- **التاريخ وسماحة الإسلام**

ثم يظهر سماحته- تاريخياً- عظمة الإسلام في التعامل مع الآخرين بسلام ورحمة.. فيزيل اللَبْس والغشاوة عن أعين المخطئين في وصف الإسلام بالإرهاب.

فلقد حقق الإسلام السلام العالمي، ليس نظرياً فقط، وليس في حقبة زمنية بعينها.. بل كان السلام في ظل الإسلام واقعاً معيشاً على مدار التاريخ. ولعل أكبر دليل على نبذ الإسلام للعنف، أنه في تاريخه القتالي- لما كانت القوة له- التزم بالمعايير الإنسانية، ولم يظلم أحداً. ولذا، لم تشتكِ أمة فتحها المسلمون من أزمة العنف. وإن كان لا بد من ردع، فهو لكف الظالم عن ظلمه.. لا لقتل الأبرياء، وغصب الحقوق. ومن الأدلة العظمى- أيضاً- على نبذ الإسلام للعنف، هجرة اليهود مع المسلمين بعد خروجهم من إسبانية. وكذلك عدم تعرض أحد من المسلمين لأنبياء بني إسرائيل: المسيح وموسى عليهما السلام، على الرغم مما لاقوه من ظلم على يد المسيحيين الصليبيين واليهود الصهاينة.

- **مخطط صهيوني استعماري**

ويؤكد سماحته أن أعمال الإرهاب لا يمكن أن تقوم بها جماعة إسلامية، بل هو مخطط استعماري ينفذ بأيدٍ جاهلة أو عميلة، تندس في كل زاوية، بهدف تشويه صورة الإسلام والمسلمين في العالم.

ويفند سماحته أهداف هذه الأعمال الشاذة، ويبيّن علاقتها بالمخطط الصهيوني، ثم يحذر الأبناء ممن يستغلونهم لضرب استقرار الأمة وصرفهم عن عدوهم الحقيقي.

فالصهيونية وأعوانها وقوى الاستكبار- التي جعلت محاربة الإسلام هدفاً لها بعد الشيوعية- هي التي تقوم بتحريك ذلك من خلال عملائها، ثم ينسبون ذلك إلى الإسلاميين، أو من خلال أجهزة مخابرات السلطات المحلية الديكتاتورية، أو من خلال جماعات تنتسب إلى الإسلام وهي جاهلة بأحكامه وثقافته وتتحرك من خلال العواطف والهيجان وردود الأفعال غير المدروسة، والنتيجة هي تشويه صورة الإسلام.

ثانياً: أهم أسباب التطرف الديني عند بعض المسلمين

يحدِّد سماحته أسباباً مباشرة دقيقة لظهور التطرف الديني عند القليل من المسلمين، ويضعها ضمن إطارين: إطار خارجي، و إطار داخلي.

○ العنف الخارجي

إطار خارجي يتمثل في تنفيذ مخططات تهدف إلى تشويه الإسلام.. وهدر طاقات الأمة.

• الأصولية الصليبية الغربية والأصولية الصهيونية

إن إطلاق مصطلح الأصولية يناسب- في الحقيقة والواقع- الأصولية التي نشأت وترعرعت في الغرب والأصولية الصهيونية؛ فنحن نرى كيف أن الغرب يضطهد الشعوب العربية والإسلامية، وما العراق وأفغانستان والشيشان عنا ببعيدة، ويطبع عدواناته هذه أحياناً بطابع الصليبية، ليجعل تدميره وتقتيله واستباحته الحرمات وكأنها بين الإسلام والنصرانية، ويغلف مطامعه وأحقاده ومصالحه بهذا الطابع الديني؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى يضطهد شعوبنا ويجور عليها عندما يتبع سياسة الكيل بمكيالين وتجيير المنظومات الدولية- كمجلس الأمن ونظام الفيتو الديكتاتوري-لدعم الأصولية الصهيونية في الكيان الإسرائيلي، الذي يمارس العنف والإرهاب والاضطهاد في فلسطين والجولان وجنوب لبنان..

وفي الواقع فإنّ هذه الأصولية البشعة التي يمارسها الغرب والصهيونية هي السبب الحقيقي في جنوح بعض المسلمين إلى العنف

ثأراً ممن يظلمه ويستبيح أرضه ويغتصب حقوقه.

وهنا، يستغرب سماحته من تناقض فعل الغرب مع تعاليمه الدينية المسيحية؛ فهو لم يُدِر خده الأيسر، بل ظلم وبغى.. على الرغم من أنه لم يُضْرَب- أصلاً- على خده الأيمن. وفي الحقيقة، إنهم يضربوننا ويبكون..، ليجعلوا ردة الفعل العنيفة- لدى أقلية منا على ظلمهم هم- حجةً لزيادة اعتداءاتهم علينا كلنا.

- **التطرف اللاديني**

ويقصد به سماحته التطرف الناشئ رداً على انتشار الرذيلة وتفشي الفاحشة. فسلوك الدول متخاذل أو متواطئ تجاه هذا التفشي اللاأخلاقي القاتل، بل إن وسائل الإعلام صارت تقتحم بيوتاتنا مع قنواتها الفضائية وشبكة اتصالاتها العنكبوتية (الإنترنت)، وتعرض الجرائم وتشجع الرذائل وتؤجج العواطف الهائجة، وتغرس في الجيل الناشئ أسلوباً للعيش بعيداً عن الأخلاقيات والتربية الدينية. لقد أفضى ما سبق إلى إرباكٍ في توجيه الجيل الجديد، فظهر شطر من المجتمع خالٍ من الفضائل، وشطر غاضب لدينه.. فكان التطرف اللاديني سبباً حتمياً في ظهور التطرف الديني. ولذا فإن على الساسة وحكوماتهم إصلاح سياساتهم وممارساتهم وتجنب إستفزاز مشاعر المسلمين وصدمها بعنف حتى يتم تجنب ردات فعل عنيفة من أجيال الأمة انتصاراً لدينها، وعلى

العلماء ومعاهدهم وكلياتهم ورجال الإعلام ووسائلهم معالجةُ عنف هؤلاء بحكمة، وترشيد الصحوة الإسلامية، وتوجيهها الوجهة السليمة في إصلاح النفس والمجتمع.

- **العنف الداخلي**

والإطار الداخلي للعنف هو محور يطرحه سماحته في تناوله "العنف في العالم الإسلامي والعربي"، و"الاعتداء على السياح".. الواردين في سلسلة الفصل الثاني: "الإسلام والقضايا الوطنية والسياسية".

ويلخص سماحته أسباب دوامة العنف هذه في مجموعتين: الأولى يراها في الجهل بتعاليم الإسلام.. وغياب دور العلماء الحكماء، وعدم العناية بالتعليم الإسلامي.. وتغييب العمل الإسلامي الإيجابي.

ومن الأسباب- من جهة أخرى- ضعف أداء المؤسسات الإعلامية والتعليمية في غرس مبادئ الحوار، نتيجة بعدها عن منهج القرآن في تعليم البيان وأسس الحوار. علماً أن العنف الداخلي له صلة بالعنف المعادي للإسلام والمسلمين، ولكنه رد فعل لا ينتهج الحكمه..

ثالثاً: حلول ومعالجات

لم يقصد سماحته في عرض الحلول مجرد العرض، بل يريد أن يضع أيدينا على مواضع الداء وتقديم الدواء الناجع لمعالجة العنف وأسبابه والعمل على تقديم حل متكامل داخلياً وخارجياً.

○ نبذ التطرف وترشيد الصحوة وضبط النفس

ويؤكد سماحته أنه لن يوقف العنف **تسمية الغرب له بالعنف**؛ إذ إن كلمة العنف تستقبحها النفوس، وتأبى أن توصف بها. ولكن سماحته في الوقت نفسه يدعو الجماهير إلى ضبط النفس وعدم التحرك على طريقة رد الفعل المباشر من غير حكمة أو دراسة. وكذلك لا يجوز أن نتكلم عن الأزمة ونحن متجاهلون الدوافع الحقيقية، فنتحول إلى محاربة الصحوة الإسلامية، بدلاً من محاولتنا لترشيدها.

○ منع الظلم يمنع العنف

ولكن المعالجة التي يطرحها سماحته واضحة وبسيطة معاً.. ويعرفها كل إنسان عاقل، ألا وهي منع الظلم؛ فالبذرة ما دامت موجودة سينبت العنف.. وما دام دعم العدوان الإسرائيلي مستمراً.. وتجاهل قرارات الأمم المتحدة مستمراً.. فإن الدفاع عن الحقوق مستمر. فالظلم الشديد يدفع اليائسين إلى فعل أي شيء يمكن أن ينقذهم من الهلاك.

فتحكيم العقل ورفع الظلم لا يعود بالنفع على الدول الضعيفة فحسب، بل يلقي سماحته الضوء على نتيجة مهمة لتحكيم العقل والمنطق وإقامة العدل في العلاقات الدولية، تفيد الدول القوية أيضاً، ألا وهي انحسار التطرف.. الذي تتسع دائرته وينتشر مداه مع تصاعد الظلم والضغط على الشعوب واستغلالها واستنزاف مقومات وجودها.

- **رؤيتان في قراءة شرعية تاريخية**

– الساقي يشرب من كأسه

ولعل الزمن أثبت صحة رؤية سماحته في هذا الباب، فقد طال التطرف الدول المعتدية أو المساندة للعدوان في عقر دارها؛ لأنها أعطته المبرر والذريعة.. إذ أوضحت تلك الدول أنها جزء لا يتجزأ من المشروع الصهيوني للسيطرة على المنطقة..

– الظلم إلى زوال

وكذلك يبشر سماحته جميع من تمادى في ظلمه بانتقام الله منه، لأن ذلك سنة الله في خلقه. والتاريخ– في قديمه وحديثه– أكبر شاهد على ذلك.. فلقد انهار الاتحاد السوفييتي. ووسائل العقاب الإلهية كثيرة وقد لا يتوقعها الظالم... فليتق الظالم دعوة المظلوم، فليس بينها وبين

الله حجاب.

ولذا يدعو سماحته الدول الكبرى إلى ضرورة الرجوع إلى الله، والتزام نهجه السماوي الحقيقي. والكنيسة الغربية مسؤولة ويجب أن تضغط على الحكومات الغربية لوقف العدوان على الشعوب المظلومة.

○ التنمية الإنسانية

إنه عنوان صغير.. "الغفلة من التنمية الإنسانية" في الدول العربية والإسلامية. فأين خطط تنمية الشباب واستثمار طاقاتهم في البناء؟!

إن التخطيط الشامل الصحيح للتنمية الإنسانية في الأمة يضمن نتائج إيجابية.. وإهمال الإنسان يؤدي إلى الجهل والتخلف وهما مُستَنْبَتٌ قويٌ للتطرف.

○ نقص التربية الإسلامية وتشجيع الرذيلة من أسباب التطرف

ويلقي سماحته الضوء على أسباب ذلك التطرف، حاضّاً على معالجتها، غير مكتفٍ بتشخيصها. ويرى السبب الرئيس في ذلك هو نقص التربية الإسلامية، المتمثل في نقص التعليم بوجهيه السياسي والاجتماعي، وضعف الشعور بثقافة إصلاح ذات البين وأهميتها، ما جعل الاستعمار يسيطر على عقول أجيالنا.. ويزرع بذور الشقاق

والفرقة، التي يسقيها ويُهيأ لها وينميها بعض المسلمين أنفسهم، وما ذاك إلا لضعف إيمانهم.

ولذلك يوجه سماحته إلى الاعتناء بقوة التعليم المغذي للعقل والخُلُق، الداعم للإيمان والالتزام بمبادئ الإسلام، لا سيما مبدأ إصلاح ذات البين.. فلقد بيَّن الإسلام منهجه، وطرقه في القرآن والسنة.. وإن النفس المزكّاة والعقل المستنير هما اللذان يضمنان تطبيق أي منهج وتشريع في الكتاب والسنة.

○ دور العلماء الحكماء

وفي إطار الحل السريع لمشكلة التطرف لا بد من إعطاء علماء الدين الحكماء الدور الحقيقي للتوعية وتصحيح المفاهيم؛ لأن أهل مكة أدرى بشعابها.. ولأن الشباب المتحمس في حاجة إلى من يرشِّد سيرهم ويبين لهم حقائق الأمور ويدفعهم إلى الأخذ بالمنهج الإسلامي الذي يضع الأشياء في مواضعها ويجابه مخططات الأعداء مجابهة فاعلة ضمن خطط مدروسة لا عشوائية فيها.

ويرى- رحمه الله تعالى- أنه لو أعطي العلماء الحكماء المخلصين فرصتهم لممارسة دورهم الأساس في التوعية والإصلاح وهدم احد الأسباب المؤدية إلى العنف- وهو الجهل- لكانت نتيجة الحال أفضل..

مع الاهتمام بإنشاء مدارس تربوية وتعليمية، والإنفاق عليها، وقيام هؤلاء العلماء على رعايتها، لإنتاج العلماء المؤهلين.

إن بعضهم يُظهر أن الدين هو سبب تخلف الأمة، ليبعد الدين عن حياة هذه الأمة.. ويبقيه حبيسَ دور العبادة؛ فوقع بعضهم في الإساءة، وآخرون في التقصير عن بناء الأمة حياتياً ودينياً.

ولا أحد يستطيع أن يمنع سلوك الطريق الخاطئة في الصحوة والإصلاح ما دام هناك تشجيع على الرذيلة أو إعراض عن تراثنا الإسلامي، من أناس ينتسبون إلى الإسلام اسماً وينسلخون عنه سلوكاً وتطبيقاً... ولا أحد يستطيع أن يمنع السلوك الخاطئ لبعض الشباب المتحمس، ما دام المنهاج التعليمي في مدارسنا بعيداً عن المنهج الإسلامي.

○ تشارك فاعليات المجتمع

ولا بد من الشعور بالمسؤولية تجاه ما يحدث من جميع فاعليات المجتمع ولا سيما العلماء والحكام.. ووجوب لقاء أهل العلم والسياسة للدراسة وتشخيص المرض ووصف المعالجة.. وأداء كل طرف الحقوق الواجبة عليه.. والعمل على سد الثغرات.. وزيادة الوعي.

ثم إن الاعتداء على السياح في العالم الإسلامي والعربي يجب أن ينبه الأمة- بكل فاعلياتها- إلى إعادة التفكير في نظام بناء المجتمع.. وتربية الأجيال وإعادة النظر في المنظومة القيمية للأبناء، ووضعه مخططاً للإصلاح وفق المنهج الإسلامي.. مع دعم العلماء الحكماء وأصحاب الاختصاصات ذات العلاقة.. لرسم الطريق الصحيحة لتفعيل المقدرات المادية والمعنوية والإنسانية للأمة.. والإسهام في بناء الوطن والإنسان.

• حل خلافاتنا بالحوار

ويؤكد سماحته أن الحل يكون بالرجوع إلى المبادئ الإسلامية الحضارية واهمها الحوار واحترام الرأي الآخر، لا الاحتكام إلى العنف؛ لان الحوار هو الخيار الوحيد للإصلاح.. وكذلك اعتماد الشورى...

• صفاً واحداً

ويدعو سماحته الشعوب إلى التعاون مع أصحاب القرار في دولها للوقوف صفاً واحداً والخروج بصيغة مقاومة وشكل ممانع يناسب الحال والزمان؛ وأما التفرق والانفراد فهو مطلب العدو، وبالوقت نفسه لا يحقق الغاية الأسمى في التحرير والنصر.. بل يعود بالسمعة السيئة على قضايانا.

○ الفكر الجهادي والفرق بين المقاومة المشروعة والعنف

ويكشف سماحته عن ضرورة التمييز بين بناء الإنسان المسلم على الإيمان ليقوى على المقاومة المشروعة، وبين الفهم الخاطئ لتطبيق الإيمان المؤدي لممارسات العنف وظهور التطرف.

ويوضح سماحته معنى المقاومة المشروعة وحقيقتها.. ولم يُعقِّد سماحته الأمور.. بل يأتي ببيان واضح متماشٍ مع الفطرة، التي أودعها الله في كل مخلوق.. فالاعتداء على الأبرياء هو العنف، وليس العنف هو الدفاع عن الحقوق المغتصبة وتحرير الأرض المحتلة.

فلا أحد يستطيع أن يمنع المقاومة المشروعة ما دام هناك عدوان واحتلال واغتصاب للحقوق في فلسطين وغيرها من بلاد المسلمين...

• العمليات الاستشهادية حق مشروع ضد الظلم

وفي موضوع "العمليات الاستشهادية"، يعطي سماحته تصوراً حقيقياً لها على المنهج السابق نفسه، المعتمد على فهم النصوص ودراسة الواقع.

فبدءاً من التمييز بين الانتحار والاستشهاد، ومروراً بالأحاديث وأحداث السيرة، وانتهاءً برأي الفقهاء، مع تعزيز ذلك بدراسة الواقع، الذي أوجد ضرورة القيام بهذا؛ إذ الضعف من جانبنا والتفوق من

جانب العدو، مع استمرار الاعتداء، ووجوب الوقوف ضد اعتدائه، يجعل العملية الاستشهادية حلاً عند نفاد الحلول الأخرى لمواجهة العدو.. وأما الإشكال الأخير وهو أن الاستشهادي يُقتل بسلاحه لا بسلاح أعدائه، فيوضح سماحته أن النية والقصد هما الأساس.. فما دامت النية هي دحر الأعداء، جازت الوسيلة.. مهما كان شكلها؛ فالغاية نبيلة، ونحن مأمورون بتحقيقها. وهذه الشكلية "سلاحه أم سلاح العدو" لا تؤثر، ولا تفسد القياس. ولهذا حدد سماحته الضوابط الشرعية للعمليات الاستشهادية[1].. ولعل الضابط الأخير "كون العملية ضمن خطة عامة هو الأهم".. لما فيها من دعوة إلى وحدة العمل والجهد حتى في مقاومة العدو.. لأن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً.. ولأن الاجتهاد الفردي أكثر خطأ من الاجتهاد الجماعي.. وفي مثل هذه الأمور، قد يودي الإجتهاد الفردي- إن أخطأ صاحبه- إلى أضرار شديدة بالأمة.. أو يقضي على هدفها الأسمى في التحرير والتنمية.

❑ خاتمة

وهكذا، يرسي سماحته- رحمه الله تعالى- قواعد العمل لحل بعض مشكلات العالم الإسلامي، من خلال تحديد المشكلة وتوصيفها.. وبيان أسبابها.. ثم البحث عن الحلول المناسبة.. باعتماد المنهج الإسلامي المؤسِّس لمبادئ حضارية وأخلاقية تضمن النجاح.

---

١) راجع: الصفحة ٩٢٦.

وإن بعض الحلول- التي يطرحها سماحته- يحتاج إلى خلية عمل.. وإلى بذل الجهود. وكلامه ليس ضرباً من الخيال؛ فالقوة الذاتية- التي يدعو سماحته إلى العمل على بنائها- يضرب لها مثالاً عملياً.. واقعاً في جنوب لبنان وغزة.. وها نحن- اليوم- نرى ما تمثله هذه المقاومة من ردع للعدوان الإسرائيلي.

والأمة الإسلامية والعربية قادرة على إجبار الغرب على تعديل سياساته نحونا، إن قامت بالعمل المنشود.. والوحدة.. وبناء قوتها الذاتية. فالنصر لا يأتي بالأماني.. ولا بالرجاء.. ولا بالخطب الجوفاء.. ولا بالبكاء على الآلام.

لقد آن الأوان لتشمير السواعد، وتغيير السياسات، وهدف الإسلام هو بناء نظام عالمي جديد.. قائم على المبادئ السماوية.. ملؤه العدل والخير للجميع.

ويُحمِّل سماحته أصحاب القرار في العالم كله المسؤولية لتحقيق هذه الأهداف الربانية.. بتعاون حقيقي بين أصحاب الشأن كلهم، ثم يوجه الجميع إلى دراسة المنهج الإلهي.. المتمثل في الإسلام.. والتعاون على تحقيق الآمال المنشودة.





الفهارس

فهرس الموضوعات

للجزأين : الأول والثاني

فهرس موضوعات الجزء الأول

العنوان ---------- الصفحة
المقدمة ---------- ١٧
الباب الأول: الشيخ أحمد كفتارو ---------- ٣١
الفصل الأول: لمحة عن العلاّمة العارف بالله الشيخ أحمد كفتارو وأعماله وإنجازاته ---- ٣٢
الفصل الثاني: قالوا عن الشيخ المجدِّد وجهوده العلمية والدعوية والإنسانية لعدد من العلماء والدعاة والمفكرين والسياسيين على المستويين المحلي والعالمي ---------- ٨١
الفصل الثالث: منهج مجمع الشيخ أحمد كفتارو ---------- ١٥١
الباب الثاني : أفكار وأساليب في التجديد والإصلاح والدعوة الإسلامية ١٨١
الفصل الأول
التجديد والإصلاح ---------- ١٨٣
أولاً: الأفكار والنصوص ---------- ١٨٤
المبحث الأول: تجديد التصوف بإعادته إلى قواعد القرآن والسنة، واقتراح ميثاق العمل الصوفي ---------- ١٨٥
المبحث الثاني: مفهوم الإسلام في حقيقته وجوهره---------- ١٩٧
المبحث الثالث: القرآن الكريم وموقعه في الحياتين العملية والدعوية عند المسلمين ---- ٢١٥
المبحث الرابع: القرآن الكريم وبناء الحضارة الإسلامية ---------- ٢٣٧
المبحث الخامس: القرآن الكريم وبناء الحياة المزدهرة على وجه الأرض---------- ٢٦٧
المبحث السادس: ضرورة الأخذ بفقه القرآن بمعناه الواسع في حياة المسلمين ------ ٣١٣
المبحث السابع: دور الاجتهاد في الفكر الإسلامي---------- ٣٧١
المبحث الثامن: إصلاح التعليم الديني ---------- ٣٩٩
المبحث التاسع: ضرورة تملُّك الأمة الإسلامية للثروة ووسائل التقدم الحضاري ----- ٤٢٧
ثانياً: الدراسة والتحليل ---------- ٤٣٧
الفصل الثاني
الدعوة الإسلامية العالمية ---------- ٤٦١
أولاً: الأفكار والنصوص---------- ٤٦٣
المبحث الأول: ترشيد جهود الدعوة وتوحيدها في العالم الإسلامي---------- ٤٦٥
المبحث الثاني: الدعوة الإسلامية مسؤوليات وأهداف ---------- ٤٨١
المبحث الثالث: الواقع المعاصر للأمتين العربية والإسلامية ومستقبل العمل الإسلامي -- ٥٠٩
المبحث الرابع: إعداد الشباب المسلم لتحمُّل مسؤولياتهم ---------- ٥٢٣

- **حوارات**
- الدعوة الإسلامية المعاصرة: طموحات ومشكلات (١) ---------- **٥٣٥**
- الدعوة الإسلامية المعاصرة: طموحات ومشكلات (٢) ---------- **٥٥٩**
- الدعوة الإسلامية المعاصرة: طموحات ومشكلات (٣) ---------- **٥٨٥**
- الدعوة الإسلامية المعاصرة: طموحات ومشكلات (٤) ---------- **٦٠٣**

ثانياً: الدراسة والتحليل ---------- **٦٢١**

الباب الثالث: الوحدة الإسلامية والقضايا الوطنية والسياسية

الفصل الأول

الوحدة الإسلامية ---------- **٦٤١**

المبحث الأول: الوحدة الإسلامية ومحاربة التعصب المذهبي ---------- **٦٤٣**

المبحث الثاني: من آثار التقريب بين المذاهب الإسلامية في الثقافة والاقتصاد والسياسة - **٦٦٧**

المبحث الثالث: دور السيرة النبوية في تحقيق الوحدة الإسلامية ---------- **٦٩٥**

المبحث الرابع: الوحدة الإسلامية والمذاهب الفقهية ---------- **٧٠٩**

المبحث الخامس: أدب الحوار والاختلاف في تحقيق الوحدة ---------- **٧٢٥**

ثانياً: الدراسة والتحليل ---------- ٧٣٩

الفصل الثاني

الإسلام والقضايا الوطنية والسياسية ---------- **٧٥٩**

المبحث الأول: نداء القدس ---------- **٧٦٣**

المبحث الثاني: نداء للعالمين الإسلامي والمسيحي من أجل القدس ---------- **٧٧٥**

المبحث الثالث: القدس محور السلام ---------- **٨٠١**

المبحث الرابع: واقع العالم الإسلامي اليوم وما يجب أن يُعمل لإعادته إلى أمجاده ---- **٨٢١**

المبحث الخامس: الأسلوب الأمثل للخروج من أزمة التطرف الديني ---------- **٨٤٥**

المبحث السادس: رسالة مفتوحة إلى ملوك ورؤساء بلدان العالم الإسلامي -------- **٨٦٣**

- **كلمات وحـــوارات**

١- واقع الأمة الإسلامية: مشكلات وحلول ---------- **٨٧٣**

٢- الجهاد والكفاح التحريري والعنف غير المشروع ---------- **٨٨٩**

٣- العنف في الجزائر ---------- **٩٠٣**

٤- موقف الإسلام من التطبيع مع الكيان الإسرائيلي ومن العمليات الاستشهادية ---- **٩١٧**

٥- رد سماحته على الدعوة الموجهة إليه للقاء الحاخام الأكبر في الكيان الإسرائيلي --- **٩٣٩**

٦- كلمة سماحته بمناسبة زيارة وفد حركة حماس- برئاسة المجاهد الشيخ أحمد ياسين- مجمعَ الشيخ أحمد كفتارو في دمشق ---------- **٩٤٥**

- **بـــيـــانـــات**

١- بيان المؤتمر الشعبي المنعقد في جامع يلبغا لنصرة الشعب الجزائري المسلم------- ٩٥٣
٢- بيان موجه إلى السفارة الأمريكية استنكاراً للعدوان الثلاثي على مصر -------- ٩٥٩
٣- بيان بمناسبة قيام انتفاضة القدس رداً على فتح نفق تحت المسجد الأقصى ------ ٩٦٥
٤- بيان رداً على بناء المستوطنات في القدس---------- ٩٧٩
٥- بيان استنكاراً على الاعتداء على السياح الأجانب والمصريين في مدينة الأقصر --- ٩٨٩
٦- بيان رداً على التحضير الأمريكي البريطاني للعدوان على الشعب العراقي ------ ٩٩٧
٧- بيان بمناسبة مرور خمسين عاماً على نكبة الشعب الفلسطيني وتشريده------- ١٠٠٥
ثانياً: الدراسة والتحليل ---------- ١٠١٣
الخاتمة

فهرس موضوعات الجزء الثاني

العنوان ---------- **الصفحة**
الباب الرابع: حوار الحضارات والطريق إلى السلام العالمي
الفصل الأول: الحوار مع غير المسلمين
أولاً: الأفكار والنصوص
المبحث الأول: موقف الإسلام من الرسالات السماوية ---------- ١٠٨١
المبحث الثاني: العمل المشترك بين أتباع الرسالات السماوية ---------- ١١١٣
المبحث الثالث: الحوار بين الإسلام والمسيحية: نهاية الحروب الصليبية أم بداية جديدة؟- ١١٣٣
المبحث الرابع: آفاق المستقبل ودعم الحوار بين المسلمين والغرب---------- ١١٥٣
المبحث الخامس: القواسم المشتركة بين الإسلام والمسيحية ---------- ١١٨١
المبحث السادس: عطاءات الدين للمجتمع---------- ١١٩١
المبحث السابع: الحوار الإسلامي المسيحي: حقيقة تاريخية وضرورة اجتماعية------ ١٢١٧
المبحث الثامن: العلاقات بين أبناء الرسالات السماوية ---------- ١٢٣٧
المبحث التاسع: الإسلام شفاء للإنسانية ورحمة للعالمين ---------- ١٢٥٥
المبحث العاشر: وجوب العمل المشترك من أجل نصرة المظلومين ---------- ١٢٩٥
- **كلمات وحوارات**
١- حوار مع وفد الكنيسة المصلحة في سويسرة---------- ١٣٠٧
٢- حوار مع وفد مقاطعة جنوبي ألمانية---------- ١٣٢٧
٣- نظرة الإسلام إلى التعايش مع غير المسلمين ---------- ١٣٤٣
٤- بيان مشترك مع رابطة الكنائس البروتستانتية في ألمانية الديمقراطية (الشرقية) سابقاً ١٣٦٥
٥- كفتارو يتحدث عن ميلاد سيدنا عيسى المسيح عليه السلام ---------- ١٣٦٩

٦- احتفاء المسلمين والمسيحيين بميلاد سيدنا عيسى عليه السلام ---------- ١٣٧٧
ثانياً: الدراسة والتحليل
الفصل الثاني: السلام العالمي وإنقاذ الجنس الإنساني
أولاً: الأفكار والنصوص
المبحث الأول: السلام العالمي في الإسلام---------- ١٤٣٧
المبحث الثاني: نحو عالم تسوده روح الإخاء الإنساني والسلام---------- ١٤٥٥
المبحث الثالث: الطريق إلى السلام ---------- ١٤٦٣
المبحث الرابع: القيم الخالدة ---------- ١٤٧٧
المبحث الخامس: التربية البيئية في الإسلام---------- ١٤٩١
ثانياً: الدراسة والتحليل
الباب الخامس: حوارات مع الصحافة ووكالات الأنباء العالمية
- **أولاً: الأفكار والنصوص**

١- الوقف الإسلامي والتنمية الاقتصادية ---------- ١٥٣٣
٢- الإسلام والعلمانية ---------- ١٥٥١
٣- أسباب تخلف المسلمين في عالمنا المعاصر ---------- ١٥٦٩
٤- الإسلام والتحدي الحضاري المعاصر ---------- ١٥٨٣
٥- الإسلام والقضايا المعاصرة ---------- ١٥٩٥
٦- موقف الإسلام من القنوات الفضائية ---------- ١٦١١
٧- الدعوة الإسلامية المعاصرة ---------- ١٦٢٣
٨- الدعوة وأحداث معاصرة ---------- ١٦٤٣
٩- شهر رمضان المبارك ويوم القدس---------- ١٦٦٥
١٠- الإفتاء وشهر رمضان ---------- ١٦٧٧
١١- حوار عن رمضان وعن الأحداث المعاصرة---------- ١٦٩٣
ثانياً: الدراسة والتحليل
الخاتمة---------- ١٧٥٦

العلاّمة الشيخ أحمد كفتارو

أفكار وأساليب

لتجديد نهضة الأمة الإسلامية

إعـــداد و دراســة

محمـد غسّـان خليل الجبّـان

الجُنيدي الحُسيني

الجــزء الثانـي

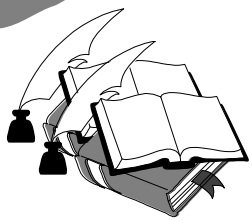

إنا فتحنا لك فتحا مبينا

الباب الرابع



أفكار وأساليب في

حوار الحضارات والطريق إلى السلام العالمي



عناوين الباب الرابع

❋ **الفصل الأول** : الحوار مع غير المسلمين.

❋ **الفصل الثاني**: السلام العالمي وإنقاذ الجنس البشري.

الفصل الأول

الحوار مع غير المسلمين

■ أولاً: الأفكار والنصوص

* **المبحث الأول:** موقف الإسلام من الرسالات السماوية.
* **المبحث الثاني:** العمل المشترك بين أتباع الرسالات السماوية.
* **المبحث الثالث:** الحوار بين الإسلام والمسيحية: نهاية الحروب الصليبية أم بداية جديدة؟
* **المبحث الرابع:** آفاق المستقبل ودعم الحوار بين المسلمين والغرب.
* **المبحث الخامس:** القواسم المشتركة بين الإسلام والمسيحية.
* **المبحث السادس:** عطاءات الدين للمجتمع.
* **المبحث السابع:** الحوار الإسلامي المسيحي: حقيقة تاريخية وضرورة اجتماعية.
* **المبحث الثامن:** العلاقات بين أبناء الرسالات السماوية.
* **المبحث التاسع:** الإسلام شفاء للإنسانية ورحمة للعالمين.
* **المبحث العاشر:** وجوب العمل المشترك من أجل نصرة المظلومين.

- كلمات وحوارات

١- حوار مع وفد الكنيسة المصلحة في سويسرة.

٢- حوار مع وفد مقاطعة جنوبي ألمانية.

٣- نظرة الإسلام إلى التعايش مع غير المسلمين.

٤- بيان مشترك مع رابطة الكنائس البروتستانتية في ألمانية الديمقراطية (الشرقية) سابقاً.

٥- كفتارو يتحدث عن ميلاد سيدنا عيسى المسيح عليه السلام.

٦- احتفاء المسلمين والمسيحيين بميلاد سيدنا عيسى عليه السلام.

▪ ثانياً: الدراسة والتحليل

أولاً

الأفكار والنصوص

المبحث الأول

موقف الإسلام من الرسالات السماوية[1]

(١) محاضرة سماحة العلاّمة الدكتور أحمد كفتارو، التي ألقاها في المؤتمر الإسلامي المنعقد في بفالو في نيويورك، من ٢٣ إلى ١٩٩٧/٥/٢٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

- خلق الله الإنسان، وجعل له ديناً سماوياً واحداً، هو دين الإسلام، بمعنى الاستسلام والخضوع لله.

- العقيدة (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) والأخلاق واحدة عند جميع الأنبياء ، ولكن المتبدِّل هو الشرائع على حسب أحوال الأمم، إلى أن ختمها الله بشريعة النبي محمد ﷺ.

- أكد الإسلام الخاتم وحدة الأصل الإنساني، الذي يعطي كل فرد من البشر الحقوق والكرامة الإنسانية (الحياة، الطعام والشراب، اللباس والمسكن، الأمن والحرية).

- جعل الله اختلاف الإنسانية- في ألوانها وأجناسها ولغاتها- آية دالة على عظمته، وبين الإسلام أن هذا الاختلاف لا يجوز اتخاذه وسيلة للاضطهاد، بل لا بد من جعله وسيلة للتعاون والتلاقي على الخير.

- الناس سواسية من جهة إنسانيتهم، متمايزون بتقواهم وأعمالهم المفيدة للناس؛ فالتصنيف القرآني للبشر قائم على أساس الإيمان والتقوى.

- سمى الله أهل الرسالات السماوية السابقة "أهل الكتاب"، إشارة إلى احترامهم؛ لأنهم أهل العلم وأهل الكتب السماوية.

- يصنف القرآن أهل الكتاب إلى صنفين:

١. صنف اتبع الحق، وسار على نهج الأنبياء كلهم، حتى خاتمهم النبي محمد ﷺ.

٢. صنف آخر جهل الحقائق، وخالف نهج الأنبياء.

- جعل القرآن علاقة المسلمين بغير المسلمين مبنية على أساس البر والقسط، ما داموا في مجتمعنا مواطنين صالحين. وتسميتهم "أهل الذمة" مفخرة؛ لأن الذمة في العربية تعني "العهد والضمان والأمان"، لا كما يصورها بعضهم- ممن لا يفهم اللغة العربية- بأن فيها دونيَّة. ويمكن أن نستبدل بها- على حسب عرفنا المعاصر- اسم "حاملي الجنسية الإسلامية"، أي: مواطنون.

- أهم قاعدة في التشريع الإسلامي توضح العلاقة بين المسلمين وغيرهم: "لهم ما لنا وعليهم ما علينا"، فهي قائمة على المعاملة بالمثل، وتفسُّرها النقاط الآتية:

أ- تأمين الحماية الخارجية: ندافع عن غير المسلم من عدوه كما ندافع عن المسلم.

ب- تأمين الحماية الداخلية، وتشمل:

١- حماية الدماء والأبدان.

٢- حماية الأعراض.

٣- حماية الأموال.

٤- كفالة بيت المال لغير المسلم في حال عجزه.

ج- الحريات العامة، وتشمل:

١- حرية المعتقد، وصون أمكنة العبادة، حتى في الحروب.

٢- حرية الفكر والتعليم، ويدل على ذلك الإنتاجُ العلمي.. الذي ظهر على يد غير المسلمين.

٣- حرية التنقل.

٤- حرية العمل والكسب، وتولي مناصب الدولة.

٥- الحرية الاجتماعية في الاحتفال بالأعياد والمهرجانات والزيارات.

- تصنيف غير المسلمين- خارج المجتمع الإسلامي- يكون على حسب علاقتهم مع المسلمين، وهم- في هذا- ثلاثة أصناف:

أ- **المحايدون**: ليسوا في حرب معنا، ولا تربطهم بنا معاهدات؛ فهؤلاء لهم السلام، والاستعداد لإنشاء علاقات صداقة معهم. وكذلك من لهم علاقة مع محاربين للمسلمين، ولكنهم تجنبوا دخول الحرب معهم ضد المسلمين.

ب- **المعاهدون**: يوجد معاهدات بيننا وبينهم، لهم السلام والوفاء والتعاون على مبدأ العدالة.

ج- **المحاربون:** هم الذين في حال حرب معنا، ويمنعوننا نشر الدعوة إلى الله بعنف؛ فهؤلاء تنطبق عليهم قوانين الحروب.

- ما حدث في التاريخ من سلبية في التعامل أو حروب فهو من أخطاء بعض الحكام، الذين أساؤوا إلى المسلمين وغيرهم، وقد وقف العلماء في وجههم؛ أو كان بعضها ردة فعل على أخطاء ارتكبها غير المسلمين في حق المسلمين؛ أو كان بعضها بسبب تصرف عوام المسلمين، وعمل حكام المسلمين على كَفِّهم، وعوضوا غير المسلمين عما لحق بهم من أذى.

- الحقيقة التي يجب إعلانها بوضوح: احترام وجود الآخرين والأخوةُ الإنسانية يلتقي عليهما المسلمون مع جميع البشر.

- توصيات لأتباع الرسالات السماوية:

أ- التقيد بوصايا الأخلاق في الرسالات السماوية، وتسخير الإعلام لذلك.

ب- يجب الابتعاد عن التعصب، الذي زاد بسبب وجود الأهواء، وكذلك يجب نبذ التأويلات الخاطئة.

ج- دعوة جميع أتباع الرسالات السماوية إلى دراسة القرآن- كونه آخر خطاب إلهي للبشر- على نحو جدّي.. بعيدٍ عن التعصب والمفاهيم المعلبة؛ فنحن نؤمن بكل الأنبياء، وآن للآخرين أن يعاملونا بالمثل.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ثانياً: نص المحاضرة

خلق الله- تعالى- هذا الكون بما فيه وسخره لأكرم مخلوق، وهو المستخلف على الأرض، ألا وهو الإنسان؛ يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ...﴿٢٠﴾﴾ [سورة لقمان]، ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴿٣٠﴾﴾ [سورة البقرة]. وهذا الإنسان أكرم مخلوقات الله تعالى.. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ...﴿٧٠﴾﴾ [سورة الإسراء]. ومن تمام تكريم الخالق العظيم لهذا الإنسان، أن أرسل إليه رسلاً يدلونه على طريق الخير في الدنيا والآخرة، ويحذّرونه من طريق الشر كذلك.

فكل أنبياء الله ورسله أتوا بدين سماويّ واحدٍ، هدفه سعادة

الإنسان في الدنيا والآخرة. وهذا الدين السماوي سماه الله- تعالى- **الإسلام**؛ فالدين في جوهره يعود إلى **ثلاثة أسس: العقيدة، الشريعة، الأخلاق**. والعقيدة الصحيحة (بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) والأخلاق الكليةُ واحدة عند جميع الأنبياء والمرسلين، ولكن المتبدل هو الشرائع، على حسب اختلاف أحوال الأمم والشعوب، الذين كانت تأتيهم رسالة السماء.

وإذا كان مفهوم العقيدة وأركانها واحداً على ألسنة جميع الأنبياء والمرسلين، وهذا هو الذي يسمى **الدين السماوي الواحد**؛ فلا توجد أديان سماوية، بل يوجد دين إلهي رباني واحد، اسمه الإسلام.. ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ... ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران]. وهذا الدين الإلهي هو الذي ارتضاه الله لجميع خلقه، من لحظة أن خلقهم إلى يوم لقائه؛ يقول تعالى: ﴿ ..ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ..﴿٣﴾ ﴾ [سورة المائدة]. ولن يقبل الله من أي إنسان إلا الإسلام ديناً، **الذي يعني الاستسلام المطلق لجميع أوامر الله ونواهيه**. ولذلك، نقرأ في القرآن هذه الحقيقة جلية في قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ...﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الشورى].

إذن، هذا هو الدين الإلهي السماوي، الذي اسمه الإسلام بالمعنى العام، وهو الذي دعا إليه جميع رسل الله. **فالحقائق الإيمانية– عندهم جميعاً– واحدة**، وهي: الإيمان بوجود خالق عظيم، واحد لا شريك له، متصف بالكمال المطلق، منَزّه عن النقائص، والإيمانُ باليوم الآخر، يوم الحساب والدينونة، والإيمان بالملائكة الأطهار، والإيمان بجميع أنبياء الله ﷻ ورسله، والإيمان بكتب السماء المنزلة على جميع المرسلين، يقول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ ...﴿١٧٧﴾﴾ [سورة البقرة]. وإلى هذا المفهوم نبه القرآن– أيضاً– جميع المؤمنين، يقول تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة البقرة]. فجميع **الأنبياء**.. وجميع **أتباعهم الصادقين**.. **سمّاهم القرآن الكريم اسماً واحداً: المسلمون**.

وإلى هذه الحقائق كلها، أشار النبي الخاتم **محمد** ﷺ بمثال نطق به، **فقال**: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسَنه وأجمله، إلا موضع لبنةٍ من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويَعجَبون له، ويقولون: هلاّ وُضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتِم النبيين»[1].

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، برقم ٣٥٣٥.

نظرة الإسلام إلى الإنسان

ختم الله جميع شرائع الأنبياء السابقين بشريعة النبي الخاتم محمد ﷺ، وجمع له العقيدة والشريعة والأخلاق، وسمى دينه الإسلام، وأعلن أن الناس جميعاً خُلقوا من نفس واحدة. وبعبارة أوضح، أكد الإسلام الخاتم وحدةَ الأصل الإنساني، فجاء توضيح هذه الحقيقة في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ...﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء]؛ فهم أخوة من أب وأم.

وهذا الأصل الإنساني يعطي كل فرد من أفراد العائلة الإنسانية حقوق الكرامة الإنسانية من دون استثناء أو تمييز.. ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ..﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة الإسراء]. **فالحقوق الخمسة** ثابتة لكل إنسان من البشر، ومنها: حق الحياة، ويتضمن: حق الطعام والشراب، حق اللباس، حق السكن، حق الأمن، حق الحرية.

ثم جعل الله اختلاف الإنسانية- في ألوانها وأجناسها ولغاتها- من الآيات الدالة على عظمته؛ يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة الروم]. ويبين الله أنه لا يجوز أن يُتخذ هذا الاختلاف وسيلة من أجل تمزيق الأسرة الإنسانية واضطهاد بعضها لبعض، وإنما يجب أن

يكون وسيلة من وسائل التعاون الإنساني، والتعارف، والتلاقي على الخير ومصلحة الإنسان، حيث انطلق المبدأ الإنساني الخالد في القرآن.. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ... ﴾.. فالناس سواسية من جهة إنسانيتهم، ولكنهم يتمايزون بتقواهم.. وبما يقدمون من خير لسعادة الإنسان.. ﴿ ..إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ...١٣ ﴾ [سورة الحجرات]. ولذلك، فرّق القرآن بين الإنسان، الذي اتبع رسالة السماء الداعية إلى الإيمان والخير وسعادة الإنسانية.. وبين أولئك، الذين رفضوا رسالة السماء؛ أي: رفضوا الإيمان والعلم والسلام والخير للإنسانية، وذلك بغضِّ النظر- قطعاً- عن اللون أو الجنس أو الإقليم، يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢ ﴾ [سورة التغابن].

فالمسلم- في نظر القرآن- هو من أسلم وجهه وقلبه وحياته كلها لله، واتبع شرعه، وآمن باليوم الآخر والملائكة والكتب والمرسلين من دون استثناء أو تمييز؛ وغير المسلم هو من اختل عنده هذا الميزان السماوي.

موقف القرآن من الرسالات السماوية السابقة

خاطب القرآن أهل الرسالات السابقة- وهم اليهود والنصارى- بألطف العبارات وأجمل الألفاظ، فكان يصفهم دائماً بلفظة ﴿ يَٰٓأَهۡلَ

﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾، وقد وردت هذه الكلمة في واحد وثلاثين موضعاً تقريباً[1]؛ وخاطبهم أيضاً بلفظة ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ في ثلاثين موضعاً تقريباً[2].. وهذا الخطاب فيه الاحترام الكبير، فهو- تعالى- يقول لهم: يا أصحاب العلم والمعرفة، ويا أهل الكتب السماوية.

والمستعرض **لمنهج القرآن في حديثه عن أهل الكتاب**، يجده يتحدث عن **صنفين**: صنف اتبع الحق وآمن به، وسار على نهج الأنبياء كلهم.. حتى خاتمهم محمد ﷺ؛ وصنفٍ آخر جهل الحقائق، وخالف نهج الأنبياء. ويتضح هذا التصنيف من استقراء الآيات القرآنية، فنحن نقرأ قوله تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة آل عمران]. وامتدح القرآن الذين اتبعوا الحق وكانوا خاشعين؛ يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ ...﴿١٩٩﴾﴾ [سورة آل عمران]، ثم سمى القرآن علماء أهل الكتاب المتبعين للحق أنهم الراسخون في العلم، يقول تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لفؤاد عبد الباقي، ص٥٩٢ وما بعدها.
(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٥٩٢ وما بعدها.

أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ... ﴿١٦٢﴾ ﴾ [سورة النساء]. وتحدث القرآن عن خشوع أهل الكتاب، ورقة قلوبهم، وخضوعهم للحق الذي جاء على لسان النبي محمد ﷺ؛ يقول تعالى: ﴿ ...وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة المائدة].

دستور العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين

وضع القرآن قاعدة تعد الدستور الأساس في معاملة المسلمين لغيرهم من الناس؛ يقول تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الممتحنة]. فالآية واضحة- تماماً- في تقرير العلاقة بين المسلمين وغيرهم، وإنها علاقة قائمة على أمر أعظم من **العدل**، الذي هو إعطاء كل ذي حق حقه، إنها علاقة ترتقي إلى مرحلة **الإحسان**، وهو الزيادة على الحق فضلاً. ولقد قدمت الآية لفظة البر على لفظة القسط، وهو العدل، وهي إشارة قرآنية رائعة إلى كيفية معاملة غير المسلمين.. إنها معاملة قائمة على البر والإحسان. والشيء الرائع أن الإسلام سمّى غير المسلمين داخل مجتمعه "أهل الذمة"، أي: الذين لهم العهد والضمان والأمان، لأن

لهم عهد الله وضمانَ رسوله ﷺ وأمانَ جماعة المسلمين على أن يعيشوا في حماية الإسلام وتحت راية المجتمع الإسلامي آمنين مطمئنين.[1]

ولكن العجب من بعضهم أن يَعُدّوا في هذه التسمية شيئاً من الدُونيّة، وهذا كلام مردود؛ فمن يفهم العربية حين **يقول**: "أنت في ذمتي"، يعي تماماً ما معنى أهل الذمة، أي: أنت في حمايتي ورعايتي وكنفي، لا أؤذيك، ولا أسمح لأحدٍ بأذيتك. ويمكن أن نستبدل بهذه الكلمة حالياً- من خلال العرف المعاصر- تسميةَ **حاملي الجنسية الإسلامية، أي: المواطنين** [2]؛ فهؤلاء- في الحقيقة- مواطنون، كبقية أفراد المجتمع المسلم.

(١) بدائع الصنائع، للكاساني (٧/ ١١٠).

(٢) أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، لعبد الكريم زيدان، ص٦٥.

موقف الإسلام من غير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي

وضع فقهاء الشريعة الإسلامية قاعدة لتوضح العلاقة بين المسلمين وغيرهم داخل المجتمع، وهذه القاعدة هي: "لهم ما لنا، وعليهم ما علينا"[1]. وقد فُسرت هذه القاعدة في النقاط الآتية:

آ- تأمين الحماية من العدوان الخارجي:

يوجب المجتمع الإسلامي أن تُؤَمَّن جميع ضوابط الحماية لكل من رضي العيش داخله، وهذا هو ما صرح به الفقهاء في إرشاداتهم؛ **يقول ابن حزم الأندلسي**: "إنّ من كان في الذمة، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكِرَاع والسلاح، ونموت دون ذلك، صوناً لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ. فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة"[2].

ولعل أروع الأمثلة على ذلك- في التاريخ- موقف القائد أبي عبيدة **بن الجراح** من أهل حمص وغيرهم، حينما ردّ عليهم أموالهم- التي دفعوها مقابل حمايتهم من الاعتداء الخارجي- بسبب عجزه عن ذلك، **فقالوا**: "ردكم الله إلينا، ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من

(١) بدائع الصنائع (٧/ ١٠٠).
(٢) الفروق، للكرابيسي (٣/ ١١٤).

الروم. ولكن- والله- لو كانوا هم ما ردّوا إلينا، بل غصبونا"[1].

وهذا **ابن تيمية** يقف- بشدة- في وجه المغول التَتَر، عندما أرادوا إطلاق سراح أسرى المسلمين فقط، وإبقاء النصارى في الأسر؛ **فقال**: "إنا لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسرى من المسلمين وغيرهم؛ لأنهم أهل ذمتنا، ولا ندع أسيراً، لا من أهل الذمة ولا من أهل الملة"[2].

ب- تأمين الحماية الداخلية: وتشتمل هذه الحماية على:

١) حماية الدماء والأبدان:

لقد تضافرت الأحاديث النبوية وسلوك الصحابة على تحريم إلحاق أي أذى أو ظلم بأي إنسان مواطن أو زائر غير مسلم؛ فهو في ذمة المسلمين وعهدهم، ومن تلك الشواهد **قوله** ﷺ: «ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة»[3]، **وقوله** ﷺ: «من آذى ذمياً فأنا خصمه،

(١) فتوح البلدان، للبلاذري، ص١٤٢.

(٢) الرسالة القبرصية، لابن تيمية، ص٤٠. وكان قد كتب بهذه الرسالة إلى **سرجوان** [ملك قبرص النصراني]، يبين له فضل الإسلام، ويدعوه إلى رعاية المسلمين الذين تحت حكمه.

(٣) أخرجه أبو داود، عن صفوان بن سليم ﷺ عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله عن آبائهم دنية عن رسول الله، باب تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، برقم ٣٠٥٤؛ وهو صحيح.

ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة»[1].

وكان علماء المسلمين يوصون الأمراء والخلفاء بحسن معاملة غير المسلمين والإحسان إليهم؛ فهذا القاضي **أبو يوسف** يكتب إلى **الرشيد قائلاً**: ".. وقد ينبغي يا أمير المؤمنين- أيدك الله- أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك، حتى لا يُظلموا ولا يُؤذَوا ولا يُكلَفوا فوق طاقتهم"[2]. ومن أمثلة التاريخ أيضاً وقوف الإمام **الأوزاعي** في وجه الوالي العباسي صالح **بن علي**، عندما أساء إلى بعض أهل الذمة[3].

إن في جميع ما سبق تأكيدُ حماية غير المسلمين في المجتمع الإسلامي.

٢) حماية الأعراض:

فلا يجوز في الإسلام إلحاق أي أذى بالمسلم أو غير المسلم، من شتم أو قذف أو تجريح أو حتى غيبة، **يقول فقهاء الحنفية**: "ويجب كفّ الأذى عنه [أي: الذمي]، وتحرم غيبته كالمسلم"[4]، **ويقول فقهاء المالكية**: "إن عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا لهم.. فمن اعتدى عليهم-

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد، عن ابن مسعود ﷺ، باب الدال (٨/ ٣٧٠). وأشار السيوطي إلى حسنه في الجامع الصغير (٢/ ٣٠١).
(٢) الخراج، للقاضي أبي يوسف، ص١٣٦.
(٣) فتوح البلدان، ص١٦٧.
(٤) الدر المختار، لعلاء الدين الحَصْكفي (٣/ ٢٥٠).

ولو بكلمة سوء، أو غيبة في عرض أحدهم، أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك- فقد ضيّع ذمة الله"[1].

٣) حماية الأموال:

وهي مشابهة لحماية الدماء والأعراض. وكان من ضمن المعاهدة- التي وقعها **النبي** ﷺ مع نصارى نجران- **قوله**: «ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله ﷺ.. على أموالهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبِيَعِهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير»[2].

والواقع التطبيقي لأحكام الشريعة يُظهر بوضوح هذه الحماية لجميع ممتلكات غير المسلمين؛ فلهم الحق في دخول جميع المعاملات الاقتصادية، وممارسة جميع الصفقات، إلى غير ذلك من الحرية الاقتصادية وحق التملك.

٤) كفالة بيت المال:

يكفل المجتمع الإسلامي للمسلم وغيره جميع الاحتياجات، ولا سيما عند العجز عن العمل والكسب، **لقول النبي** ﷺ: «ألا كلكم

(١) الفروق (٣/ ١٤).

(٢) الخراج، ص٧٨.

راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته»[1].

وقد **قيل**: "إن مساعدة الذمي من بيت مال المسلمين حال عجزه أمرٌ قد أجمعت عليه الأمة"[2]. والأمثلة على ذلك كثيرة؛ فأهل الذمة هم من أولى الناس- مع المسلمين- بالبر والصلة. وكانت ضمانات المجتمع المسلم واضحة ضد الفقر والعجز والشيخوخة لجميع فئات المجتمع، لا تفريق بين مسلم وغيره؛ فهذا صلح خالد بن الوليد مع أهل الحيرة جاء فيه: ".. وجعلتُ لهم أيّما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر، وصار أهل دِينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعِيْل من بيت مال المسلمين وعياله، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام"[3]. والخليفة الصدّيق قد أقر خالداً على ذلك.

ومن الأمثلة أيضاً، كتاب الخليفة عمر **بن عبد العزيز** إلى والي البصرة، **جاء فيه**: "وأما بعد، فانْظُر أهل الذمة، فارفِق بهم. وإذا كبر الرجل منهم وليس له مالٌ، فأنفق عليه"[4].

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، برقم ١٨٢٩.
(٢) أحكام الذميين والمستأمنين، ص١٠٤.
(٣) الخراج، ص١٥٦.
(٤) الطبقات الكبرى، لابن سعد (٥/ ٣٨٠).

ج- الحريات العامة: وتشتمل هذه الحريات على:

١) حرية المعتقد، وممارسة الشعائر، وصون أمكنة العبادة:

أقر الإسلام- بوضوح تام- حرية الاعتقاد لجميع الناس؛ فلا إكراه لأحد على دخول الإسلام، وإن كان يدعوهم إليه. والدعوة إلى دخول الإسلام والإجبار عليه أمران مختلفان: الأول جائز مشروع، والآخر حرام ممنوع؛ يقول تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ.. ﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة النحل]، ويقول تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ..﴿٢٥٦﴾ ﴾ [سورة البقرة]. والقاعدة في ذلك هي **قول الإمام علي** كرم الله وجهه: "نتركهم وما يدينون"[١].

والشواهد التاريخية على هذا كثيرة، من زمن النبي ﷺ إلى عصرنا الحاضر؛ فقد **جاء** في **عهده** ﷺ إلى يهود المدينة.. «.. لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأَثِم»[٢]، وفي **عهده** ﷺ- أيضاً- لأهل نجران: «.. ولا لِيُغيّر أُسْقفٌ من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، وليس عليه دَنيّة»[٣].

(١) تكملة فتح القدير، لقاضي زاده (٧/ ٣٩٨).
(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (٣/ ٣٤).
(٣) الخراج، ص٧٨.

وقد حفظ الإسلام علماء المسيحية واليهودية من سطوة الحروب؛ فقد جاء في الحديث **قوله** ﷺ: «ولا تقتلوا الوِلدان، ولا أصحاب الصوامع»[1]. وفي خطبة **الصديق** إلى جيوشه لتحرير العراق والشام، جاء **قوله**: "وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع.. فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له"[2]. وجاء في عهد **الفاروق** إلى أهل القدس ضمانة واضحة لحريتهم الدينية وحرمة معابدهم وشعائرهم، ما **نصّه**: "هذا ما أعطى عبد الله، أمير المؤمنين، أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، سقيمها وبريئها، وسائر ملتها، أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا يُنتقص منها ولا من حَيّزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يُضار منهم"[3].

ومن أبلغ الأمثلة على تسامح الإسلام الرفيع، سماح النبي ﷺ لوفد نصارى نجران- وكانوا ستين شخصاً- أن يدخلوا مسجده، وأن يمكثوا فيه بضعة أيام. فإذا حضرت صلاتهم، قاموا متوجهين إلى الشرق، على

(١) أخرجه أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما، من مسند بني هاشم، برقم ٢٧٢٨، وهو حسن لغيره.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، للطبري (٢/ ٢٤٦).

(٣) المرجع السابق (٢/ ٤٤٩).

مرأى رسول الله ﷺ ومسمع منه، من دون اعتراض منه أو منع.[1]

والحق- الذي يجب الصدع به- أن أعظم الشواهد الواقعية على حرية المعتقد في الإسلام هو ما يُرى الآن- بعد حكم دام أربعة عشر قرناً- من أمكنة العبادة: الكنائس والمعابد والأديرة منتشرة في كل مكان من بقاع العالم الإسلامي، شرقاً وغرباً. وهي شاهدة تنطق بحرية المعتقد، التي جاء بها الإسلام. فلو أن المسلمين كانوا كغيرهم من أتباع الملل والنِحل، لما شوهد برج كنيسة واحد، ولَمَا سُمِع صوت ناقوس؛ على حين أن الآخرين كانوا يستأصلون شأفة المسلمين في ديارهم، وما الأندلس مِنّا ببعيد، وما البوسنة والهرسك عَنّا بغائبة.

٢) حرية الفكر والتعلم:

عندما أرسى الإسلام قواعد المجتمع الإسلامي، كان من بين أسسه نشر العلم بين جميع فئات ذلك المجتمع، وأبلغ دليل على ذلك هو كثرة الإنتاج العلمي، الذي ظهر على أيدي غير المسلمين في مجالات علمية شتى، واشتهرت أسماء علماء كثيرين من اليهود والنصارى وغيرهم.

فليس في أحكام الإسلام ما يمنع غير المسلمين حرية الفكر والتعلم، ولهم تعليم أبنائهم وتنشئتهم وفق مبادئ دينهم، ولهم إنشاء المدارس الخاصة بهم.

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٥٧٤).

وكانت أول مظاهر هذه الحرية قد برزت في التطبيقات العملية للرسول ﷺ، إذ كان من ضمن الغنائم- التي آلت إلى المسلمين بعد فتح خيبر- مجموعة كبيرة من نسخ التوراة، فأمر النبي ﷺ بردها مباشرة إلى أصحابها اليهود.(١)

ولقد كانت الجامعات والمعاهد الإسلامية- عبر التاريخ- مفتوحة على مصارعها لأهل الذمة، فتتلمذوا على أيدي علماء المسلمين وفقهائهم؛ فدرس حُنين بن **إسحاق** على يد الخليل **الفراهيدي** و**سيبويه**، حتى صار حجة في اللغة العربية.. وتتلمذ يحيى **بن عدي** على يد **الفارابي**.. ودرس ثابت **بن قُرّة** على يد محمد **بن موسى**.(٢)

٣) حرية التنقل:

ولغير المسلمين من أهل الرسالات الأخرى حرية التنقل والحركة، والسفر والترحال، من بلد إلى آخر، في أي وقت شاؤوا، وإلى أي اتجاه ساروا؛ فقد جاء في العهد الذي أرسله النبي ﷺ إلى أهل أيلة النصارى قرب العقبة: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذه أمنةٌ من الله، ومحمد النبي رسول الله، إلى يوحنا **بن رؤبة** وأهل أيلة، سفنهم وسياراتهم في البر والبحر، لهم ذمة

(١) أحكام الذميين والمستأمنين، ص١٠١.

(٢) مواطنون لا ذمّيون، لفهمي هويدي، ص٧١.

الله، وذمة محمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام واليمن.. وإنه لا يحل أن يُمنَعوا ماء يرِدونه.. ولا طريقاً يريدونها من بر وبحر"[1].

٤) حرية العمل والكسب وتولي مناصب الدولة:

إن أبواب العمل مفتوحة للمسلمين ولغيرهم لممارسة أي عمل أو مهنة، وهذا دفع غير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي- بكل ثقة وطمأنينة- إلى أن يتجهوا إلى الأعمال، التي تدر أكبر قدر من الأرباح، فكانوا صيارفة وصياغاً وتجاراً وأطباء.[2]

وكذلك الأمر بشأن تولي وظائف الدولة، فلهم مطلق الحرية في ذلك، باستثناء الوظائف التي لها السّمة الدينية العقَدية البحتة، كالإمامة العامة والقضاء.

ولهم المشاركة فيما يسمى مجلس الشعب ترشيحاً وانتخاباً؛ لأن عضوية هذا المجلس تفيد في إبداء الرأي للدولة، وعرض أحوال المواطنين ومشكلاتهم ومعالجتها.[3]

ولعل في شهادة توماس **أرنولد** أبلغ دليل على ما سبق عرضه؛ إذ

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٥٢٦).
(٢) الخراج، ص٦٩.
(٣) أحكام الذميين والمستأمنين، ص٨٤.

بيّن أنه كانت لأهل الذمة أوقات مديدة، تُعَدّ العهود الزاهرة في تاريخهم، لما لقيه هؤلاء من تسامح في ممارسة شعائرهم الدينية، وفي بناء الكنائس والأديرة، وفي مساواتهم بالمسلمين في الوظائف؛ فكانت طوائف الموظفين الرسميين تضم مئات من المسيحيين، وقد صار عدد- الذين رقوا منهم إلى مناصب الدولة العليا- من الكثرة إلى حد إثارة شكوك المسلمين.(١)

٥) الحرية الاجتماعية:

والمقصود بها حرية ممارسة جميع النشاطات الاجتماعية، كالمهرجانات والأعياد والزيارات. وكانت سمة المجتمع الإسلامي هي التعايش السلمي بين جميع طوائفه وملله. وقد سبق الحديث عن الآية التي حثت على البر وحسن الصلة لغير المسلمين. و«كان النبي ﷺ يوصي بهم خيراً، ويزورهم ويكرمهم، ويحسن إليهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم ويعطيهم، ويتفقد أحوالهم، ويتجاوز عن مسيئهم، ويدعوهم إلى الإسلام بكل رفق ولين»(٢).

ولقد كان احتفال غير المسلمين- بأعيادهم ومناسباتهم- من الأمور المألوفة في المجتمع الإسلامي، في جو من الحرية والتسامح(٣).

(١) تاريخ الدعوة إلى الإسلام، لتوماس أرنولد، ص٨١ وما بعدها.

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠٦).

(٣) الديّارات، للشابُشتي، ص١٤. وقد ذكر فيه كل دير بالعراق والشام والجزيرة ومصر.

موقف الإسلام من غير المسلمين خارج المجتمع الإسلامي

غيرُ المسلمين- خارج المجتمع الإسلامي- هم على ثلاث فئات: المحايدين، المعاهدين، المحاربين. وهذا عرض موجز عن علاقة المسلمين بهم.

آ- **المحايدون:**

وهم ممن ليسوا في حال حرب مع المسلمين، ولا تربطهم بالمسلمين معاهدات ولا علاقات، وليس بينهم وبين المسلمين حرب أو عداء مُعْلن؛ فهؤلاء لهم السلام، وعدم الاعتداء، ما داموا على حال من الحياد؛ مع استعداد المسلمين لقبول أي بادرة لإنشاء علاقات صداقة وتعاون. وإن الأصل في علاقة المسلم مع **الخارج غير المسلم** هو السلام والتعاون والبر[1].. وهذا كله مستمد من قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الممتحنة].

وهناك حال أخرى للحياد، حين يكون المسلمون في حرب مع عدو معين، وثمة قوم آخرون تربطهم بالمحاربين للمسلمين علاقات، ولكنهم تجنبوا الدخول في الحرب ضد المسلمين، فهؤلاء يجري عليهم **حكم الحياد**؛ يقول تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ

(١) الجهاد والحقوق الدولية في الإسلام، ظافر القاسمي، ص٨٧ وما بعدها.

عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾ [سورة النساء].

ب- المعاهدون:

وهم من خارج بلاد المسلمين، يرتبطون بمعاهدات واتفاقات ومواثيق مع المسلمين[1]؛ فلهؤلاء الوفاء الكامل، والسلام الكامل، والتعاون على مبدأ العدالة، والاحترام المتبادل.. وعلى المسلمين الوفاء لهم بعهودهم وعدم الإخلال بها، ما داموا أوفياء من جانبهم؛ لأن الوفاء بالعهود والمواثيق من أعظم الواجبات الإسلامية، يقول تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [سورة التوبة]. فإذا نقض هؤلاء المعاهدون عهودهم، وجب معاملتهم بالمثل، حتى لو وصل الأمر إلى حال الحرب معهم.

ج- المحاربون:

وهم الذين في حال حرب مع المسلمين، بسبب اعتدائهم وظلمهم وأذيتهم للإنسان، مسلماً كان أو غير مسلم.. وبسبب منعهم تبليغ دعوة الله تعالى، والوقوف بوجه انتشارها بالقوة والعنف.. فهؤلاء تنطبق عليهم قوانين الحروب.

(١) آثار الحرب في الفقه الإسلامي، لوهبة الزحيلي، ص١٧٧.

وبعد هذا العرض لموقف الإسلام من الرسالات السماوية السابقة وأتباعها، لا بد من الإشارة إلى أنه إذا حدث- في زمنٍ من تاريخ العلاقة بين المسلمين وغيرهم- أيُّ تغيير في هذه العلاقة نحو السلبية في التعامل.. والقسوة في الاحتكاك.. والوصول إلى حد السِنان؛ فإن ذلك التغيير يجب أن ننسبه- قطعاً- إلى عوامل أخرى، لا علاقة لها- مطلقاً- بجوهر الإسلام وحقيقة رسالته. فلقد أخطأ بعض حكام المسلمين عبر التاريخ، وأساؤوا إلى المسلمين وإلى غير المسلمين، وهؤلاء ليسوا حجة على الإسلام والمسلمين، وكان العلماء يقفون دائماً في وجوههم، كما سبق الحديث عن الإمام **الأوزاعي** و**ابن تيمية**؛ إذ يصححون الانحراف، ويعيدون القضايا إلى نصابها.

وإذا حدثت أخطاء من المسلمين، فيجب- كذلك- النظر إلى الأسباب التي دفعتهم إليها. وكثيراً ما نرى أن سبب تغير العلاقة إلى السلبية هو- في الحقيقة- ردة فعل على الأخطاء، التي تُرتكب من غير المسلمين في حق المسلمين.

وحدث- أيضاً، في أوقات من التاريخ- أن قام بعض عوام المسلمين بالاعتداء على بعض الكنائس والمعابد في مصر والشام، ولكن الحكام المسلمين حين ذاك كفّوا أيدي العابثين، وقدموا المساعدات اللازمة لغير المسلمين. ولكن تصرف عوام المسلمين- حقيقة- كان ردة فعل على ما قام به بعض غير المسلمين من إحراق بعض المساجد

والبيوت، فما كان من العوام إلا الرد بالطريقة مثلها.[1]

وشهادة المؤرخ **رنسيمان** خير توضيح لما سبق، حين **يقول**: "لم يُثرِ التعصبُ الإسلامي إلا التعصب المسيحي، الذي دل عليه ما قام به الصليبيون من سفك الدماء"[2].

والحقيقة- التي يجب إعلانها بوضوح- أن الإسلام احترم وجود الآخرين مطلقاً، وهم المخالفون له في الرأي والاعتقاد.. واعترف بكيانهم دائماً، سواء أكانوا أفراداً أم دولاً؛ فقد جاء في سورة الكافرون- أو سورة الفصل، أي: التي فصلت بين المسلمين وغيرهم- قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾، وفي سورة المائدة قوله تعالى: ﴿.. لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ..۝٤٨﴾.

لقد فصّل القرآن في ذكر غير المسلمين، واعترف بوجودهم جميعاً، فلهم وجودهم المطلق.. ولا سبيل إليهم إلا بالدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، والمعاملة القائمة على العدل؛ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ

(١) قصة الاضطهاد الديني، لتوفيق الطويل، ص١٥٤.
(٢) تاريخ الحروب الصليبية، لبريدج (١/ ٤٢٧).

﴿وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الحج].

فالوشائج التي تربط المسلمين بغيرهم أخوةً في الإنسانية، يلتقي عليها المسلمون مع البشر كافة، سواء كانوا من أصحاب الرسالات السماوية أو من مذاهب وملل أرضية. والاتفاق في الاعتقاد ليس شرطاً لاستمرار الوجود على ظهر الأرض في مجمل التصور الإسلامي. وفي الوقت نفسه، إن الاختلاف في الاعتقاد لا يعني مطلقاً أنه- في حد ذاته- سبب لإلغاء الوجود كله على وجه الأرض، وصدق الله- سبحانه- حين قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الزمر].

توصيات

كي يكون اللقاء والحوار مثمراً علينا أن نلتزم بالأسس التالية:

١- حث أتباع الرسالات السماوية على النظر إلى الوصايا الأخلاقية في رسالاتهم السماوية، والسعي إلى تطبيق هذه الوصايا عملياً بين أبناء الإنسانية، وتسخير الإعلام والتعليم وتوجيههما وفق هذه الوصايا، من أجل تخليص الإنسانية من شبح الحروب وكوارث الخلافات والجوع والمرض والتخلف.

٢- ننظر- نحن أتباع الرسالات السماوية، بكل شجاعة وصدق وإخلاص- إلى أنّ مرور الزمن.. وكثرة الترجمات للكتب المقدسة.. ووجود أصحاب المطامع والأهواء، قد أثر ذلك كله في الأصول الحقيقية الرسالة السماوية المنزّلة، وهو الأمر الذي فتح المجال لبذور التعصب والعداء أن تنمو بين عباد الله تعالى. فهذا كله يجب مراقبته وتصحيحه، وإعادة النظر في جميع التأويلات والتفسيرات الخاطئة، والاستعانة على ذلك بالعقول النيرة والبحوث العلمية الحديثة.

٣- دعوة جميع أتباع الرسالات السماوية إلى دراسة القرآن الكريم- الذي هو آخر خطاب إلهي للبشر- دراسةً جدِّيةً متفحصة، بعيدة عن التعصب والنظرة السابقة الخاصة، كي يصلوا جميعاً إلى **مبدأ المعاملة بالمثل**: فنحن المسلمين قد آمنّا بكل أنبياء الله ورسله السابقين، وآن لأتباع هؤلاء الأنبياء والرسل- جميعاً- أن يعاملونا بالمثل.. فينضموا إلينا.. ويؤمنوا بنبينا الخاتم محمد ﷺ.

المبحث الثاني

العمل المشترك بين أتباع الرسالات[1]

(١) محاضرة سماحته، التي ألقاها في مؤتمر السلام من أجل الإنسانية، المنعقد في فيينة في النمسة، من ٣/٣٠ إلى ٤/ ٤/ ١٩٩٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- الإسلام يقرّ أن الرسالات السماوية واحدة في أصولها وأهدافها.

أ- الإسلام دافع عن جميع رسل الله ورسالاتهم السماوية، والآيات عن ذلك في القرآن كثيرة.

ب- حث القرآن أهل التوراة والإنجيل على اتباع كتابيهما المترلين من عند الله تعالى.

ج- تعنيف جميع أهل الرسالات إن لم يتبعوا ما أنزل الله إليهم.

د- تعنيف من يدعي الإيمان من دون العمل به.

هـ- التأكيد أن الرسالات السماوية يكمل بعضها بعضاً.

و- التأكيد أن الدين بناء إلهي أسهم فيه جميع الأنبياء.

٢- لما كان الإسلام خاتم الرسالات.. واحترم جميع الرسالات السابقة، فقد ألحَّ على إثبات حقوق الإنسان.. ولا سيما حرية المعتقد.

٣- يجب أن ينظر إلى الإسلام بإنصاف، لأنه نقل أكثر من مليار إنسان إلى الإيمان بموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، ولولا ذلك بقَوا وثنيين.

٤- الإسلام ضمن لليهود والمسيحيين- في بلاده الواسعة- دُور عبادهم وحرية معتقدهم.

٥- إنه من الإساءة إلى الحقيقة ادعاء أن الحروب بين المسيحيين والمسلمين قامت لأسباب دينية محضة، بل هي- أيضاً- لأغراض أنانية وأطماع استعمارية، والدين منها براء.

٦- عندما حرر الإسلام بلاد الشرق الأوسط من الاستعمار، سعد بذلك المسيحيون، لرفع الاضطهاد عنهم.. واسترجاع كل طائفة معابدَها وممتلكاتها.

٧- زيادة عدد الكنائس والمعابد- في ظل دولة الإسلام- دليل على احترام الإسلام للرسالات السماوية.

٨- المسلمون- في صلاتهم- يقرؤون سيرة الأنبياء، وتعاليم الرسالات السماوية السابقة. فهل يستطيع أحد أن يتهم الإسلام بالظلم؟

٩- يطلب إلى مسيحيي اليوم التوجه إلى الإسلام والمسلمين بمد يد التعاون، لأنه دين يؤمن بالمسيح وأمه ويقر بأنه كلمة الله، وأن يقابلوا إيمان المسلمين بالمسيح عليه السلام بإيمانهم بمحمد ﷺ.

١٠- الحوار الجميل يؤدي إلى المودة والتعاون.

١١- الثناء على اعتراف الفاتيكان بالإسلام ديناً سماوياً.

١٢- على المسيحيين التنادي إلى إدانة الظلم والاضطهاد مهما كان مصدره، ولا سيما في فلسطين والبوسنة والهرسك.

١٣- علينا التعاون لإنقاذ الإنسان من جميع الأخطار المحيطة به، من: المخدرات والأوبئة والإباحية والتلوث البيئي.

١٤- على علماء الدين التعاون لكسب العلم ونبذ التعصب والخرافة، والعمل بتعاليم رسالاتهم بالحكمة وتزكية النفس.. لكسب رضاء الله تعالى، ثم لصناعة المدينة الفاضلة.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المحاضرة

إننا نشكر الله تعالى، الذي أتاح لنا فرصة لقاء إخوتنا في الإنسانية الذين كنا نتمنى أن يسعدنا الحظ بلقائهم منذ أمد بعيد.

وفي الحقيقة، منذ أن نزل القرآن الكريم أمرنا- في مناسباتٍ عدة- أن نؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين.. ونقدسهم ونحبهم، ولا سيما سيدانا عيسى وموسى. إن القرآن ورسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ يعلماننا- بإلحاح- أن الرسالات السماوية واحدة في أصولها.. وهدفها واحد، ألا وهو إسعاد الإنسان.. كل بني الإنسان. ولعل بعضنا يستغرب هذا أو ينكره أو يجهله، ويرى مثل هذا الكلام من قبيل المجاملة ليس إلاّ. ولكن الإسلام والمسيحية يؤمنان- كما تعلمون- بالإله الخالق الواحد، وبيوم القيامة، وبالعمل الصالح الذي يسعد

الإنسان.. وينقذه من عذاب الله ويدخله فردوسه. هذا ما أعلنه القرآن ودعا إليه الإسلام، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة البقرة].

وكذلك وصف القرآن الكريم أبناء الكتاب المقدس هؤلاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [سورة آل عمران]، وقال تعالى عنهم: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة المائدة].

وكل من يتصفح القرآن ويدرس سيرة رسول الإسلام ﷺ وتعاليمه، يجد أن الإسلام قد أتى مدافعاً عن المسيح ومؤيداً لرسالته، بل لجميع رسل الله ورسالاتهم السماوية، لا ناقضاً لها ولا هادماً، بل جامعاً لها.. وداعياً إلى الإيمان والعمل بمقتضاها. وإنك لتجد القرآن يحث أهل التوراة والإنجيل على اتباع كتابيهما، ويعنف أولئك الذين يتهاونون في العمل بهما؛ يقول الله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة المائدة]، ويقول

تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴿٦٨﴾ ﴾ [سورة المائدة]. **وقال حاطب** ﷺ- سفير سيدنا محمد ﷺ- **للمقوقس**: "ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنّا نأمرك به"[1].

وإنك لتجد التعنيف نفسه منصباً على المسلمين وغيرهم، الذين لم يتبعوا تعاليم الإسلام.. واكتفوا بالانتماء إليه، يقول الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [سورة النساء]. وكأني بهذا التوجيه الإلهي يضع المؤمنين كافة من الرسالات السماوية كافة تجاه مسؤولياتهم.. وتجاه خالقهم.. وتجاه الإنسان، ولا يشفع لهم مجرد الانتماء الشكلي إلى هذا الدين أو ذاك، بل عليهم أن يتبعوا الإيمان الحقيقي- من صميم قلوبهم وعقولهم وأعمالهم- لينالوا الخلاص؛ يقول الله- تعالى- معنفاً من يدعي الإيمان من دون العمل به: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة الحجرات].

(١) زاد المعاد، لابن قيم الجوزية (٣/ ٦٩١).

فالرسالات السماوية ليست إلا سبلاً تجعل المؤمنين الأصلاء يقتربون من الله، وتنتعش أرواحهم بأنواره، وعقولهم بحكمة آياته.. **يقول** الشاعر العربي المسيحي حليم **دموس**:

لعمرك ما الأديان إلا نوافذ ترى الله منها مقلة المتعبد
فألمس في القرآن عيسى ابن وألمح في الإنجيل روح محمد

والإسلام يؤكد أن الرسالات السماوية في أصولها واحدة، وأن بعضها يكمل بعضاً، **يقول** ﷺ: «والأنبياء إخوة لعَلاّت، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[1]. فكل نبي أتى مقراً برسالة من قبله، مضيفاً إليها جميع ما يرفع من شأن الإنسان، مبشراً بنبي آخر يأتي من بعده، وهذا المعنى يظهر جلياً في سورة الأنبياء في القرآن الكريم، حيث يقص الله علينا سيرتهم وجهادهم في دعوة أقوامهم، من إبراهيم.. إلى إسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وداود وسليمان وعيسى ابن مريم ومحمد.. عليهم السلام أجمعين. وفي نهاية المطاف، يختم القرآن هذه السيرة العطرة مبيناً أن الغاية هي توحيد جميع أفراد العائلة الإنسانية تحت مظلة الإيمان الحق بالله، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [سورة الأنبياء].

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ، في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ [سورة مريم: ١٦]، برقم ٣٤٤٣. وبنو العلات: الإخوة لأب. ودينهم واحد، أي: أصول الدين واحدة.

ثم أتى النبي الكريم محمد ﷺ موضحاً أن بناء صرح الدين ما كان ليكتمل لولا إسهام كل نبي بوضع حجر فيه، وأنه قد بقي موضع لبنة واحدة، فكان محمد ﷺ هو تلك اللبنة الأخيرة.. «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسَنه وأجمله، إلا موضع لبنةٍ من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويَعجَبون له، ويقولون: هلاّ وُضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتِم النبيين»[1].

فالفضل في هذا البناء للأنبياء والرسل مجتمعين، وليس لواحد من دون الآخرين. ولأن الإسلام أتى موحداً للعائلة الإنسانية.. منادياً باحترام جميع الأنبياء والرسل ورسالاتهم السماوية، فقد ألح على إثبات حقوق الإنسان.. ولا سيما حرية المعتقد، ففتح الباب للشعوب والأمم للدخول فيه أفواجاً، داعياً الجميع إلى الإيمان بنبوة جميع الأنبياء الذين أتوا قبله؛ فهم حينما يؤمنون بالنبي الجديد ﷺ، لا يتنكرون لنبيهم ورسالته.. التي كانوا يؤمنون بها؛ فمن كان يؤمن بعيسى عليه السلام ثم آمن بمحمد ﷺ، فإن ذلك يزيده إيماناً وحباً لعيسى عليه السلام؛ لأن محمداً ﷺ يأمره بذلك ويدعوه إليه.

وإن أيّ نظرة منصفة تبين أن أكثر من ألف مليون إنسان في العالم الإسلامي كانوا من الممكن أن يظلوا وثنيين عبدة للأصنام، ولكن

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، برقم ٣٥٣٥.

بفضل الإسلام تراهم- اليوم- مؤمنين بموسى وتوراته.. وعيسى وإنجيله.. فضلاً عن إيمانهم بمحمد ﷺ وتعاليمه. فيا ترى ما موقف أبناء موسى وأبناء المسيح من الإسلام، الذي حول أكثر من ألف مليون إنسان إلى مؤمنين يحبون جميع الأنبياء ويقدسونهم، ولا سيما موسى وعيسى- عليهما السلام- وكتاباهما السماويان؟ فهلا بادر أتباع هاتين الرسالتين برد تحية أتباع الإسلام بمثلها؟!

ولم يكتف الإسلام بذلك، بل ضمن لليهود والمسيحيين- في بلاده الواسعة الشاسعة، التي امتدت من الصين شرقاً إلى فرنسة غرباً، عندما كانت دولته تمثل الدولة العظمى الوحيدة في العالم- دورَ عبادتهم وحرية معتقدهم. وفي وقت من الأوقات، اشترك المسلمون والمسيحيون في عبادة الله الواحد الأحد، في معبد واحد، يدخلونه من باب واحد.. يصلي المسلمون في قسمه الشرقي، والمسيحيون في قسمه الغربي. وبقوا كذلك مدة خمسين عاماً، وذلك في دمشق في المسجد الأموي، عندما كان كنيسة ومسجداً في آن واحد. ومرة «استقبل النبي محمد ﷺ في مسجده وفداً نصرانياً. وعندما حان وقت صلاتهم، أراد بعض المسلمين منعهم، فقال لهم النبي: دعوهم، وفتح لهم مسجده النبوي، فأقاموا صلاتهم النصرانية فيه»[1].

لقد كان من عظيم إيمان المسلمين بالله وتقديسهم لتعاليمه- التي

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٥١).

تنادي برعاية المؤمنين من أهل الكتاب- أن عميراً **بن سعد** [وهو والي حمص في عهد عمر **بن الخطاب**، الخليفة الثاني للنبي محمد ﷺ] قدم استقالته من ولايته لعمر، لأنه **قال** لنصراني: "أخزاك الله"(١). فوجد أنه لا يستحق أن يكون حاكماً على ولاية من ولايات المسلمين؛ لأن الحاكم المسلم لا يفرق بين الناس ولو اختلف دينهم وعرقهم ولونهم.

وهذا عمر بن الخطاب يعاقب ابناً لعمرو **بن العاص** [حاكم مصر] لضربه قبطياً، وكان ذنب هذا القبطي النصراني أنه سبق ابن حاكم مصر في سباق للخيل. وكاد عمر أن يعاقب والده عمرو حاكم مصر، لأن ابنه ما ضرب النصراني إلا بسلطانه، و**قال** عمر موبخاً حاكم مصر بكلمته المشهورة: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟!"(٢).

واحتراماً لحقوق الإنسان، يرى الدارس للإسلام كيف أنه يحرص على رعاية شيخوخة غير المسلمين.. وكيف أنه خصص لأهل الكتاب من الخزينة العامة عطايا تضمن لهم الحياة الكريمة الهانئة.. وإذا تعطل

(١) أحكام أهل الذمة، لابن قيم الجوزية (١/ ٣٥٦).

(٢) تاريخ عمر بن الخطاب، لابن الجوزي، ص١٢٠. ويذكر الدكتور معروف **الدواليبي** أن جان جاك **رسو** كان له أستاذ عربي مسلم اسمه **أبو زيد**، وأن روسو أخذ مقولة عمر **بن الخطاب** هذه، وانطلق يتكلم في حقوق الإنسان [انظر: مذكرات الدواليبي، لعبد القدوس أبو صالح].

أحدهم عن العمل، ضمن له الإسلام راتباً ما دام في حاجة إليه. وليس المجال هنا لأن نعدد- على نحو مستفيض- أبواب **الضمان الاجتماعي لجميع أبناء الرسالات السماوية، ولو كانوا أقلية قليلة في بحر الأمة الإسلامية**. ويسيء كل مؤرخ إلى التاريخ والحقيقة حينما يذكر أن الحروب- التي قامت بين المسلمين والمسيحيين- كانت لأسباب دينية. كلا! لم يسمح الإسلام بالإساءة إلى أحد.. أو ظلمه.. أو إراقة دمه من أجل دينه. لقد كانت تلك الحروب تخدم أغراضاً أنانية وأطماعاً استعمارية، والدين منها براء؛ بل على العكس من ذلك.. فعندما حرر الإسلام بلاد الشرق الأوسط من الاستعمارين الفارسي والبيزنطي، فإن أول من سعد بهذا الفتح هم المسيحيون، الذين كانوا مضطهدين من حكامهم المسيحيين المخالفين لهم في المذهب. فعندما أتى الإسلام، أرجع إلى كل الطوائف معابدهم وممتلكاتهم المصادرة، ومنحهم حرية العبادة.. التي كانوا محرومين منها؛ لأن حكامهم المسيحيين كانوا يفرضون عليهم مذهبهم الأرثوذكسي على الرغم منهم.. ولم يسعدوا بالحرية والكرامة إلا في ظل الإسلام، حتى وصل تعداد كنائسهم- في ظل الخلافة العباسية- إلى خمس عشرة ألف كنيسة. فهل يدل ذلك على شيء سوى أن الإسلام حرر الشعوب من الاستعمار، واحترم الرسالات السماوية وقدسها وكرمها، بعد أن حرر أبناء موسى وعيسى من الطغاة والمستعمرين؟.

وكل من يتمعن صلاة المسلمين.. وينظر فيما يقرؤونه من القرآن الكريم في صلاتهم.. التي يؤدونها كل يوم خمس مرات، يراهم يقرؤون فيها سيرة موسى وأنبياء التوراة وتعاليمهم.. وسيرة عيسى وأمه والمؤمنين به. فهل يستطيع أحد أن يتهم الإسلام بالظلم والجور والإرهاب؟ لقد وصف الله رسالة محمد ﷺ بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء].

ولعل سائلاً يسأل: ما المطلوب من المسيحيين- اليوم- تجاه الإسلام والمسلمين؟ والجواب في رأيي هو أن النصرانية كانت طوائف ومذاهب شتى، فتنادت في النصف الثاني من القرن العشرين إلى جمع الكلمة والاتفاق فيما بينها، على الرغم من خلافاتها العقَدية الكبيرة؛ فلم لا تقترب من الإسلام في حركتها التوفيقية، وتَعُدّه طرفاً جديراً بأن تمد يدها إليه، ما دام يؤمن بالمسيح وأمه ويقدسهما.. ويحترم تعاليمه، ويُقر أنه كلمة الله ألقاها إلى مريم.. ﴿... إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ...﴾ [النساء : ١٧١]؟ وكلمة الله- على حسب الإسلام- هي علوم الله وحكمته، التي تجلى بها على عباده المؤمنين، فنطقوا بها وتصرفوا بأمره. وما عيسى عليه السلام إلا كلمة الله، أي: إنه رجل ينطق بعلم الله وقدرته وحكمته. ولذلك، عندما أشارت السيدة العذراء مريم إلى سيدنا عيسى عليه السلام وهو طفل

في المهد، نطق شاهداً على طهارتها، كما ورد في القرآن الكريم.. ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة مريم].

وهكذا، نصل- بالحوار الجميل- إلى نقاط كثيرة للالتقاء، فينتفي الجهل والبعد والجفوة، ويحل محلها التعاون والسلام.

ولقد اتخذ الفاتيكان- قبل مدة- خطوة طيبة في هذا الصدد، قدرها جميع العالم الإسلامي وشكره عليها، وهي: اعترافه بأن الإسلام دين سماوي. ولكن حبذا لو تبع هذا الاعتراف خطوات أخرى تُمَتّنُ أواصر الإيمان، الذي أراده الله في جميع الرسالات السماوية موحداً قوياً؛ إذ إن دعوة جميع الأنبياء واحدة، والقرآن يقول عن رسالة محمد ﷺ: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الأعلى].

والخطوة الأخرى- التي لا بد من أن نتخذها نحن أبناء الرسالتين السماويتين- هي أن نتنادى إلى إدانة الظلم والاضطهاد مهما كان مصدره، وأن لا نكتفي بإلقاء التبعة على السياسيين ونقف مكتوفي الأيدي. فلا بد للمسيحيين- في جميع العالم- من أن يدينوا الجرائم التي ترتكب في حق المسلمين في البوسنة والهرسك، وفي فلسطين مهد الرسالات، وأيضاً الجرائم التي ترتكب في حق المسيحيين بعضهم مع

بعض في شمال إرلندة، وبين المسلمين في أفغانستان وسواها من بلدان العالم. وعندما يقف علماء الدين في تكاتف وتعاون، فإنهم يثبتون للجميع أنهم آمنوا بإله واحد.. ويعملون في سبيل هدف واحد، ألا وهو إنقاذ الإنسان من الظلم والعدوان. ولتحقيق ذلك، لا بد لنا- جميعاً- من أن نعود إلى جوهر رسالاتنا وتعاليمها. وإن لم نبادر إلى ذلك من فورنا، فإن دين الله في الأرض مهدد بالضعف، ولا يتحمل مسؤولية ذلك سوانا.

إنه بتعاوننا المشترك ننقذ الإنسان من الأخطار المحيطة به.. كالمخدرات، ومن الأوبئة.. كالإيدز وأمراض الإباحية واللامبالاة، التي لا تكاد تقضي على الوجود الروحي للإنسان فقط، بل وجوده المادي كذلك. ولا بد- أيضاً- من أن نسعى جاهدين إلى إنقاذ كوكبنا الأرضي من: التلوث البيئي، والتصحر، وخرق طبقة الأوزون، والانفجار السكاني.

يجب أن نسعى إلى أن تكون الرحمة نصيب الجميع، ليس للإنسان وحده، بل رحمة تشمل الحيوان والنبات أيضاً، **يقول نبي الإسلام محمد** ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس»[1]، **ويقول** ﷺ: «دخلت النار امرأة في هرة ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٢٢٣)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو حسن لطرقه.

ماتت»[1]، **ويقول** ﷺ: «غُفر لامرأة مومسة، مرت بكلب على رأس رَكِيٍّ يلهث، كاد يقتله العطش، فنزعت خفّها، فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فغُفِرَ لها بذلك»[2].

علينا- نحن علماء الرسالات السماوية- أن ندعو أنفسنا أولاً.. ثم ندعو أبناء العائلة الإنسانية جميعاً.. إلى العلم واكتسابه، ونبذ التعصب والخرافات والأوهام، والعمل بتعاليم الدين الحق.. والفكر الواعي الحصيف، والأخذ بكل أسباب الحكمة والعقلانية، كي تكون أمورنا كلها مدروسة في أسبابها ونتائجها، ونسعى إلى الإصابة في القول والعمل؛ ثم ندعو إلى تزكية النفس وتطهيرها من كل دنس ورذيلة وفسق وفجور، ليعود إلى الإنسان صفاؤه ونوره وقربه من الله تعالى.

وقد وصف الله مهمة محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الجمعة]. ومن الآية الكريمة نعلم أن الدين: علمٌ نقدمه للناس، وآياتٌ تدل على الخالق، وحكمة تضع الأشياء في مواضعها، وتزكية للنفس وتطهير كي تصير في مصاف الملائكة. وهكذا، استطاع محمد

(١) أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب المساقاة والشرب، باب فضل سقي الماء، برقم ٢٢٣٦.

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب بدء الخلق، برقم ٣١٤٣. والركي هو البئر.

ﷺ أن ينقل الناس من أمية الجهل إلى نور العلم، ومن استعباد الجسد إلى العبودية لله تعالى، وبذلك تعم السعادة، وتتحقق المدينة الفاضلة.. وما أحرانا- اليوم- أن نحققهما بالعلم والعمل والإخلاص.

المبحث الثالث

الحوار بين الإسلام والمسيحية
نهاية الحروب الصليبية أم بداية جديدة؟[1]

(١) كلمة سماحته، التي ألقاها في مؤتمر منبر SAD لعام ١٩٩٥، برعاية الأكاديمية السويسرية للتنمية، المنعقد في بيل سويسرة من ٢٦ إلى ٢٧/ ١١/ ١٩٩٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- فكرة عقد اللقاء تحت شعار "٩٠٠ عام تكفي" تدل على عقليات فذة تحررت من التقليد والجهل والحقد. ولا بد من ترجمة الشعار عملياً.

٢- الإسلام تعرض إلى التشويه بسبب الجهل به، وقد جُسِّد على أنه دين متعصب أو دين غريب أو دين مخيف. وعلينا أن نبدد هذه الأوهام.

٣- الرسالات السماوية- التي يجب أن تربط بين المجتمعات- لم تحقق ذلك الترابط بسبب الصراعات والحروب الصليبية، التي أحدثت شرخاً في علاقة المسيحيين بعضهم ببعض وفي علاقتهم بالمسلمين.

٤- استمرار الصراعات العَقَدية- بعد نهاية الحروب- أدى إلى العنف.

٥- ما حصل من سوء فهم للرسالات السماوية أدى إلى انحسار الأثرين الإيماني والتوجيهي لهذه الرسالات في تحقيق السعادة للأمم والشعوب، وإلى أخطار تهدد الجنس الإنساني.

٦- الإنسان المجرد من التعصب والهوى يتعجب كيف عجزت الرسالات السماوية عن إيقاف الحروب المهلكة للإنسانية.

٧- العالم لم يعد يتحمل المزيد من الصراعات والحروب. ولذا، نحتاج إلى رسم طريق جديدة للتعاون والسلام.

٨- لا بد من تعاون الرسالتين للعب دور أخلاقي مسؤول لإصلاح العالم، وذلك بالرجوع إلى ينبوعهما الأصيل وتبني الإيمان الروحاني العقلاني.

٩- هناك أمور مشتركة تحض أبناء الرسالتين على التعاون، منها:

أ- حث أتباعهما على أن يكونوا نافعين للمجتمع من خلال التمسك بالأخلاق الحسنة.

ب- دعوة أتباعهما إلى تبادل المحبة بعضهم مع بعض.

ج- الاتفاق على أن العدل أساس المجتمع، وأنه لا بد من منطلقات إيمانية عند كل إنسان لتدفعه إلى الالتزام بالحلال وتجنب الحرام.

د- الدعوة إلى الإيمان بحقائق أبدية، مثل: الإيمان بالله الواحد الأحد الخالق الحي الذي لا يموت، والملائكة، والكتب السماوية، والرسل جميعاً، واليوم الآخر.

ه- العمل المشترك لتحقيق السلام العالمي.

و- العمل المشترك لمنع انتشار أسلحة التدمير الشامل.

ز- العمل المشترك لحماية البيئة من أنواع التلوث كافة.

١٠- لقد زاد الإسلام في الإيمان- على ما في الرسالات السماوية السابقة- مساحات فكرية وعقَدية تناسب تطور الإنسانية، وتؤكد بناء وحدة إنسانية شاملة في ظل منهج الله.

١١- الإسلام قدس الرسالات السابقة، وسمى سور القرآن بأسماء بعض أنبيائهم وعائلاتهم. وعلى الطرف النصراني أن يبادل الإسلام المودة والاعتراف والتكريم.

١٢- لا بد لعلماء الرسالة النصرانية المنصفين والشجعان من أن يدرسوا القرآن بتراهة ليجدوا الحل واضحاً فيه؛ فهو يدعو إلى التعاون والتفاهم، ولا يطلب إلى النصراني التخلي عن نصرانيته، بل الإيمان بسيدنا المسيح ورسالته التي أنزلها الله- تعالى- عليه، لإحلال السلام وإزالة العداوات.

١٣- سيدنا المسيح عيسى وسيدنا محمد- عليهما السلام- أعطيا الحل لتعميق المحبة بين الشعوب؛ وهو أن الإيمان بالله الخالق الواحد الأحد الفرد الصمد يحقق التفاهم بين الشعوب وتقاربها وتوحدها.

١٤- تميز عصرنا في سرعة الاتصالات ووسائلها، وهذه فرصة يجب اغتنامها لتحقيق الآتي:

أ- بث ثقافة البحث عن الحقيقة ومعرفة الآخر لتتحقق الألفة ويتم القضاء على العداوة.

ب- تصحيح مفهوم الإله عند الشعوب كافة بنبذ الخرافات، وتقوية مفهوم الدين عند جميع البشر، والقضاء على الإلحاد، بإيجاد:

١- علماء دين واعين يحققون تعاون الرسالتين للعودة إلى الدين الحقيقي.

٢- تعميق فكرة الحساب واليوم الآخر.

٣- بث روح الأمل عند العصاة ليقبلوا على التوبة.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المحاضرة

إنه ليسعدني، ويسعد أبناء شعبينا المسلم والمسيحي، أن نلتقي- بعد تسعمئة عام من اندلاع الحروب الصليبية- تحت شعار "٩٠٠ عام تكفي". هذا الشعار الذي انبثق من عقليات فذة تحررت من قيود التقليد والجهل والحقد، وانبثق من قلوب امتزجت بالمشاعر الإنسانية وأحاسيس الإيمان بالإله الخالق الواحد، فسعت إلى هذا اللقاء رحمةً بمخلوقات الله، وبذلك تلاقت مع ما جاء من قول النبي محمد ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس»[1].

وإني أسأل: كيف يمكن لهؤلاء العقلاء من بني البشر أن يجعلوا من

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٢٢٣)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو حسن لطرقه.

هذا الشعار عملاً خيّراً؟ وينقلوه من حيز النظرية إلى حيز التطبيق العملي، فيلتقي الجميع على الخير والتعاون، بدلاً من الالتقاء على التدمير والكراهية والحقد.

إن مثلَنا في بُعدنا- بعضنا عن بعض- وخلافنا كمثل أخوين تاه أحدهما عن الآخر سنوات عدة. وفيما كان كل واحد منهما يبحث عن أخيه، مرّ أحدهما في فلاةٍ من الأرض، فشاهد من بعد جسماً أسود يتحرك، فظنه وحشاً، فحمل سلاحه واستعد لقتله. ولما اقترب منه أكثر فأكثر، فإذا به وجهاً لوجه مع أخيه، الذي أضاعه منذ سنوات، فتعانقا وانهمرت دموع الفرح والسعادة باللقاء بعد غياب مديد. هذا هو مثلنا في هذا اللقاء أيها الإخوة. إن جهلنا بعضنا ببعض- طوال هذه القرون- لأمر مخيف حقاً؛ فالجهل هو أخطر أمراض الحضارة، وهو ينبع من الخوف وسوء الفهم والتعصب. والإسلام قد تعرض إلى التشويه عبر ثلاثة عصور؛ ففي عصر الإصلاح الديني- في القرن السادس عشر- جُسِّد الإسلام على أنه دين متعصب شرير، وفي عصر التنوير- من القرن الثامن عشر- نظر إليه على أنه ديانة غريبة سخيفة، وفي العصر الحديث نظر إليه على أنه دين يجب الخوف والحذر منه. فكيف يمكن أن نبدد هذه الأوهام؟!

وعلى الجانب الآخر، لم تحقق الرسالات السماوية ما تملك من

القدرة على خلق الترابط بين المجتمعات؛ فصراعات الإسلام والمسيحية- في العصور الوسطى- ألقت بظلالها القاتمة على التعاون الممكن بين أبناء هاتين الرسالتين طوال تسعة قرون خلت، نتيجة لما عرف بـــ "الحروب الصليبية". وقد تسببت هذه الحروب في إحداث آثارٍ جسيمةٍ في علاقات المسيحيين بعضهم ببعض، وفي علاقتهم بالمسلمين. وقد شعرت- خلال أحاديثي مع بعض المؤمنين من الإخوة المسيحيين- بعدم الرضا عن الطريقة التي اتبعت في حسم الصراعات في الماضي.

ولما توقفت الحروب العسكرية، استمرت مع الأسف الصراعات العقَدية، وارتبط العنف بالعواطف التي فرَّقت بين المجتمعات العقَدية المختلفة.

إذن، لقد حصل- في الماضي- سوءُ فهم للدين، وسوء تفاهمٍ كبير بين كثير من المسؤولين عن الدين، الذين لم يستطيعوا فهم حقيقة ما ترمي إليه رسالاتهم السماوية، وبذلك لم يستطيعوا توجيه أممهم الوجهة الصحيحة لدراسة ما عندهم وعند الآخرين، فانحسر أثر هذه الرسالات- إيمانياً وتوجيهياً- عن الأخذ بيد الأمم نحو سعادتها، فأدى ذلك إلى أخطار جسيمة هددت- ولا تزال تهدد- الجنس الإنساني.

والحقيقة أنّ الإنسان المجرد من الهوى والتعصب، حين ينظر في الأسباب الدينية للحروب.. كالحروب الصليبية أو غيرها من الحروب على مر العصور الماضية.. ينظر بتعجب ودهشة كيف أن الرسالات

السماوية- التي هي في أصولها وينابيعها الصافية دعوة إلى إصلاح الإنسان وتعاونه مع أخيه الإنسان للوصول إلى السعادة الكاملة للجميع- وقفت عاجزةً.. بسب خلافات رجالها.. عن ردع الحروب المهلكة للإنسانية، كالحربين العالميتين الأولى والثانية.. وما تبعهما من حرب باردة، لا تزال تجر ذيولها التي أصابت البريء والمسيء على السواء، ولم تفرق بين ظالم ومظلوم.. وصغير وكبير.. وامرأة ورجل، تلك الحروب التي فشلت المنظمات الدولية- كعصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة- في دفع شرورها!! والعالم لا يستطيع أن يتحمل انزلاقاً جديداً إلى العداء، وإلى مجابهة ثالثة مدمرة للإنسانية والحضارة؛ فنحن بحاجة إلى رسم طريق جديدة للتعاون والسلام القائمين على الفهم المتبادل والنوايا الصادقة.

والدين- بصورته المثلى الحقيقية- في جعبته الكثير ليقدمه إلى عالمنا. ولذا، يجب على القيادات الدينية أن تلعب دوراً خلاقاً مسؤولاً، إذا كانت لديها رغبة حقيقية في السلام؛ فها هي المخدرات والمسكرات.. ومرض الإيدز وغيره من الآفات الإباحية.. والجرائم.. إلى جانب التفكك الأسري، حدثت كلها يوم تاهت رسالة الإيمان بين الخلافات والأباطيل، وكان من وراء ذلك علماء الدين المتعصبون.

ألستم معي في أن الحق يكمن في نزول الإيمان الروحاني العقلاني إلى الساحة؟ الإيمان الروحاني العقلاني، الذي يكون بالتعرف إلى حقيقة

القرآن والإنجيل وأصالتهما وأهدافهما الإنسانية. ولهذا، لا بد من تعاون الرسالتين السماويتين، بالرجوع إلى ينبوعهما الأصيل الصافي؛ فهاتان الرسالتان ما نزلتا إلا من أجل تحقيق أهدافهما الإنسانية، بناءً على الإيمان بأخوة الأنبياء.. وإقامة السلام بين أبنائهما، ليعم السلام في العالم أجمع، **قال سيدنا محمد** ﷺ: «والأنبياء إخوة لعَلاّت، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[1].

وعلى الرغم من أنني قد أشرت إلى بعض السلبيات.. التي اعترضت لقاء أبناء الرسالتين الإسلامية والمسيحية واعترضت تعاونهما نتيجة لما وقع في الماضي، فإن هناك أشياء كثيرة مشتركة بينهما.. وهذا يدعو إلى السرور والأمل والاستبشار. ومن ذلك المشترك الكثير:

١- الرسالتان خرجتا من مشكاة واحدة، وتدعوان- في الحقيقة- إلى الإيمان بالإله الخالق الواحد، وعدم التفرق في الدين، ففي القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ... ﴿١٣﴾﴾ [سورة الشورى]، وقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة البقرة].

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ، في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ [سورة مريم: ١٦]، برقم ٣٤٤٣.

وهناك **قول السيد المسيح**: "والحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويعرفوا أن الذي أرسلته يسوع المسيح"(١).

٢- الرسالتان تحثان أتباعهما على أن يكونوا أعضاء نافعين في المجتمع، ففي القرآن نتلو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥﴾ [سورة المؤمنون].. فالزكاة والعفة والأمانة والوفاء كلها أعمال وأخلاق تعود بمنافع عظيمة على المجتمع، وفي حديثٍ للنبي محمد ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس»(٢)..

وفي **قول السيد المسيح**: "وأحب قريبك كنفسك"(٣).

٣- الرسالتان تدعوان أتباعهما إلى تبادل المحبة، ففي القرآن الكريم: ﴿..وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢﴾ [سورة المائدة].

٤- الرسالتان تتفقان على أن العدل والتكامل هما أساس المجتمع،

(١) يوحنا (١٧: ٣- ٤).

(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٢٢٣)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو حسن لطرقه.

(٣) إنجيل متى (١٩: ١٩).

إذ لا بد من القاعدة الإيمانية عند كل إنسان كي تدفعه إلى الالتزام الأخلاقي، الذي يحد من وقوع الجرائم؛ فقد **قيل**: "قلبٌ لا إيمان فيه كمحكمة لا قاضي فيها".. وفي التاريخ الإسلامي أن عمر **بن الخطاب** ﷺ كان قاضياً للمدينة المنورة- عاصمة الدولة الإسلامية- في خلافة أبي بكر **الصديق**، فطلب عمر إعفاءه من منصب القضاء، بسبب مرور عام كامل لم ترفع فيه إليه قضية واحدة! ولم لا وقد تحقق المجتمع المثالي على قاعدة الإيمان؟![1].

٥- بين الرسالتين قاسم مشترك آخر، وهو التقاؤهما على الإيمان في حقائق أبدية؛ فلهذا العالم خالقٌ واحد لا يموت، ولم يكن وجود هذا العالم مصادفة وعبثاً، وكذلك الإيمان بالملائكة، والكتب السماوية، والرسل جميعاً، واليوم الآخر، والحساب بعد الموت.

٦- على أتباع الرسالتين أن يعملوا- معاً- على تحقيق السلام العالمي، ليعم الوئام والإخاء والسلام في ربوع العالم.

٧- على أتباع الرسالتين أن يعملوا- معاً- على منع انتشار أسلحة التدمير الشامل في العالم، وليجنبوا العالم ويلات الحروب والكوارث الهائلة الناتجة منها.

٨- على أتباع الرسالتين أن يعملوا- معاً- على تأمين حماية البيئة الطبيعية من الكوارث الداهمة الناتجة من تلوث البيئة.

---

(١) أعلام الموقعين، لابن القيم (١/ ٢٠ و٦٢).

وقد زاد الإسلام على الرسالات السماوية الأخرى وأضاف مساحات فكرية وعقَدية، لتتسع دائرة الإيمان للمستجدات بما يتناسب مع تطور الإنسانية، يقول الله- تعالى- في القرآن الكريم: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ...﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة المائدة]. وهذا يعني أن القرآن- إضافة إلى تصديقه بالرسالات السماوية السابقة له- جاء مؤكداً بناء وحدة إنسانية شاملة في ظل منهج الله تبارك وتعالى. وبالفعل، فقد تحقق ذلك بتوحيد نصف العالم القديم.. في أقل من قرن.. بالوسائل البدائية، فكيف لو استُعملت وسائل الإعلام الحديثة لتعريف العالم بهذه الرسالة السماوية الجامعة لرسالات السماء كافة؟! ويخاطب الله- تعالى- أبناء الرسالات السماوية الثلاث قائلاً: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴿٦٨﴾ ﴾ [سورة المائدة]. وإضافة إلى ما سبق، فإن القرآن جعل ثانية كبرى سور القرآن بعنوان "آل عمران".. أي: والد مريم وأسرته.. في جو من التقديس والتبجيل، وعنون سورةً أخرى باسم **مريم**.. الصدّيقة الطاهرة.. في جو من التكريم والاحترام.

إذن، فالحل الناجع لا يكون إلا بالمعرفة الصحيحة للقرآن.

وهكذا يكون الإسلام قد قطع نصف المسافة على طريق التعاون

الإسلامي المسيحي. فهل آن الأوان أن تتقدم المسيحية لتخطو النصف الذي من جهتها، فتبادل الإسلام مودة بمودة، واعترافاً باعتراف، وتكريماً بتكريم؟.

لا بد من أن يتقدم علماء الرسالات السماوية المجددون.. الشجعان.. الحكماء.. المنصفون- بكل جرأة- لدراسة القرآن كتاب الله بكل تجرد ونزاهة، وسيجدون الحل واضحاً مثل نور الشمس في رابعة النهار، وسيجدون كيف أن القرآن يدعو إلى رسالة المسيح وأنبياء التوراة ويدافع عنهم. ويجب أن لا يخطر في بال أحدكم أن هذه الدعوة تهدف إلى تجريد المسيحي من مسيحيته، فهذا هدفٌ لم يسعَ القرآن إليه منذ بزوغ فجر الرسالة المحمدية. فقد أوضح سفير النبي محمد ﷺ إلى **المقوقس** [حاكم مصر] موقف الإسلام من المسيحية **بقوله**: "إنا لا ننهاك عن المسيحية، بل نأمرك بها"[1].

وبعد هذا الاستطراد الصغير لنفي أي شبهةٍ أو غرض، أعود **فأقول**: "على هؤلاء العلماء الشجعان- بعدما عرفوا مراد الله في الأرض- أن يسعوا إلى إحلال الوئام، وإزالة العداوات، والقضاء على أسباب الحروب والأحقاد والخلافات".

(١) زاد المعاد (٣/ ٦٩١).

ها هو المسيح عليه السلام يعطينا- أيضاً- حلاً واضحاً بيّناً، مثل نور الشمس في رابعة النهار؛ فقد سأل السيدَ المسيحَ سائلٌ: ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فأجابه المسيح: "تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قدرتك، ومن كل فكرك، وقريبك مثل نفسك"(١).

وكذلك، فإن نبينا محمداً ﷺ الذي وضع اللبنة الأخيرة من أجل تحقيق بناء وحدة الإيمان بالإله الخالق الواحد عند جميع الشعوب، لجعلهم أمةً واحدةً مثالية **قال** ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٢)، وذهب لأكثر من ذلك حين **قال** ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»(٣).

والفرصة- الآن- مواتية تماماً للاستفادة من مميزات عصرنا، الذي صار قرية عالمية صغيرة، وتوفّرت فيه الاتصالات السريعة، وتنوعت شبكات نقل المعلومات والصور والمعارف، وانجلت حقائق الكون والإنسان والطبيعة، وعمت الوسائل الحديثة للنشر والإعلام.. المنقولة- فوق الحدود الجغرافية- بالأقمار الصناعية المتعددة الأغراض والأهداف، وراح الإنسان يستعمل علومه ومعارفه وثمار دأبه لمعرفة ما ينتظره في

(١) إنجيل لوقا (١٠: ٢٧).

(٢) أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم ١٣.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، عن أنس رضي الله عنه، برقم ٧٥١، بسند حسن.

المستقبل. ولذلك، لا بد من:

١- بث التشويق لمعرفة الحقائق المتنوعة، والألفة بين بني البشر، والقضاء على نشر الأحقاد والفتن عند الأفراد والشعوب.

٢- التشجيع على البحث عن الحقيقة والعلم، والقضاء على الخرافات، بهدف الوصول إلى الغاية الآتية: **تصحيح مفهوم الإله** عند الشعوب كافةً، **وأن الإله لم يمت**، والقضاء على ضعف مفهوم الدين، الذي دفع كثيراً من بني البشر إلى الإلحاد، وليتأكد كل شعب أن مصلحته هي في اتباع شرع الله الحقيقي الصافي. ولتحقيق هذه الغاية لابد من الآتي أيضاً:

آ- إيجاد علماء دين مجددين واعين، يحققون تعاون الرسالتين، للعودة إلى الدين الحقيقي، والرجوع بالناس جميعاً- من روحانيين وعلمانيين- إلى رسالات السماء، التي هي روحانية عقلانية في أصالتها، تدعو إلى الحق والعدل، تحت هذا الشعار القرآني: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ...﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة النحل]، وتحت هذا الشعار النبوي المحمدي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1]، وتحت هذا الشعار **العيسوي** عليه السلام: "وأحب قريبك كنفسك"[2].

(١) أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم ١٣.

(٢) إنجيل متى (١٩: ١٩).

ب- الحرص على تعليم الشعوب أن هناك يوماً للحساب.. آت لا ريب فيه، وسيقتص الله فيه للمظلوم من الظالم، ويجزي المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته، يقول تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [سورة الزلزلة].

ج- بث روح الأمل عند العصاة، ليقبلوا على التوبة.. ويحصلوا على رضاء الله وفردوسه؛ فالجنة تتسع للجميع، وهي لمن آمن بالله واليومِ الآخر وعمل عملاً صالحاً، ويبين تعالى ذلك في قوله: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٢٣ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۝١٢٤ ﴾ [سورة النساء].

د- تشكيل **لجنة مشتركة** من الفريقين، تكون بمثابة أمانة سر للمؤتمر، تقوم بصياغة البيان الختامي.. والتوصيات التي تراها في ضوء توجه الأعضاء المشاركين.. واقتراح وسائل العمل اللازمة لتحقيق هذه التوصيات ومتابعتها.

هـ- عقد لقاءات دورية يتفق عليها، لمدارسة ومتابعة ما تحقق من التوصيات والتوجيهات، وكذلك لتذليل العقبات التي تعترض توصيات هذا اللقاء.

وختاماً، كما مدت أوربة المسيحية يدها- ممثلةً في أشخاصكم الكريمة إلى المسلمين- من أجل تحقيق شعار "٩٠٠ عام من الحروب والفرقة والتباعد تكفي"، فإن المسلمين- وأنا منهم- يمدون إليكم أيديهم، لنتعاهد على نشر رسالة الحق والخير والفضيلة والسلام الأبدي لشعوبنا.. وخير الإنسانية أجمع، والله وحده الموفق.

المبحث الرابع

آفاق المستقبل
ودعم الحوار بين المسلمين والغرب(١)

(١) كلمة سماحته، التي قدمها للمؤتمر التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، المنعقد تحت شعار الإسلام والغرب: الماضي، الحاضر، المستقبل، في القاهرة في مصر، من ١٣ إلى ١٦/ ٧/ ١٩٩٧.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- إن نسبة المسلمين والمسيحيين التي تعدل نصف سكان العالم، والواجب الأخلاقي الروحي، والقواسم المشتركة بينهما، والأهداف النابعة من كلتا الرسالتين.. يفرض كل ذلك عليهما التفاهم والتعاون لمواجهة مشكلات الحياة وبناء عالم الغد القريب.

٢- الصلة الخاصة بين الإسلام والمسيحية نابعة من شهادة القرآن، التي في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة المائدة]، وشهادة **الرسول** ﷺ **بقوله**: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة»[1].

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، برقم ٦٢٨١.

٣- تتمثل القواسم المشتركة بين الرسالتين في القواعد الآتية:

أ- الأصول الإيمانية الواحدة، وهي الإيمان بـــ: الله الواحد، اليوم الآخر، الملائكة، الأنبياء، الكتب.

ب- تكريم السيد المسيح وعائلته، ويتجلى في:

١- تسمية بعض سور القرآن باسم أمه وعائلته.

٢- مدح جدته وأمه.

٣- تبيين حقيقة المسيح أنه: عبد الله ورسوله، وبشر مخلوق، وكلمة الله، والقدوة الصالحة.

٤- مدح الكتاب الذي أتى به المسيح، وبيان معجزاته، ومدح أنصاره الحواريين.

ج- القيَم المشتركة: هناك قواعد أخلاقية وآداب مشتركة تهدف إلى لقاء الإنسان بالإنسان، وقد تحدث عنها سيدنا محمد وسيدنا المسيح عليهما السلام، منها:

١- تكريم الإنسان ورحمته مطلقاً.

٢- نشر المحبة والإحسان بين الناس.

٣- العفو والصفح.

٤- ترك الفواحش والتزام العفاف والطهر.

٥- الأمانة.

٦- حفظ اللسان عن الآثام.

٧- الوصايا العشر.

د- السلام والأخوة الإنسانية، ويتجلى ذلك في:

١- مهمة الرسول ﷺ ملخصة في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء].

٢- اختلاف اللون واللسان بين الشعوب من آيات عظمة الله.

٣- الدعاء بالخيبة والخسران على من فرغ قلبه من الرحمة.

٤- رحمة الرسول محمد ﷺ بأعدائه، كما في إرساله لقريش المال في سنة قحطٍ.

٥- وعد المسيح صانعي السلام بـــ "طوبى".

٦- الإيمان- الذي يعرض بثوب التعصب وعدم الاعتراف بالآخر- مصيره إلى الزوال.

٧- تفرض القواسم المشتركة على أتباع الرسالتين تحمّل مسؤولية نشر الإيمان الحقيقي.. الملتقي مع العقل والعلم.. بين البشر.

٨- تفرض القواسم المشتركة التعاون لحل مشكلات العالم المعاصرة وتتمثل في:

أ- تحقيق السلام والأمن في العالم بعد وضع العدل ميزاناً لجميع الشعوب.

ب-تأمين ضرورات الحياة الكريمة لبني الإنسان مطلقاً، لا هدرها في الملذات أو جني الأرباح برفع الأسعار.

ج- مواجهة الأمراض الاجتماعية والأخلاقية الفتاكة بالمجتمعات.

د- ضمان سلامة البيئة واستمرار أسباب الحياة في كوكبنا.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المحاضرة

المسلمون والمسيحيون يشكلون- حالياً- نسبة كبيرة من سكان هذا الكوكب، تصل إلى نصف سكان العالم. ولذلك، فإن الواجب عليهما أن يكونا في خندقٍ واحد لمواجهة مشكلات الحياة وتحديات العصر، لا أن يكونا في خندقين متعاديين. وإن الواجب الروحي الأخلاقي ليفرض- اليوم- على المسلمين والمسيحيين في أنحاء العالم أن يحاولوا- بسُبل ووسائل شتى من التكاتف والتفاهم والتقارب- بناء عالم الغد القريب، الذي يطل علينا مع القرن الحادي والعشرين؛ لأنه لا يجوز- بحال من الأحوال- أن يكون الفهم الخاطئ للدين سبباً في الاختلاف والتناحر.

ومن هنا، نجد أن هناك قواسم مشتركة كثيرة تربط بين المسلمين والمسيحيين. وهذه القواسم المشتركة نابعة من أصول هاتين الرسالتين: الإسلام والمسيحية. فلقد كان **النبي** الكريم ﷺ يبرز هذه الصلة الخاصة بينه وبين سيدنا المسيح عليه السلام **فيقول**: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة. قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد فليس بيننا نبي»(١).

وإن هذه الصلة الخاصة بين الإسلام والمسيحية.. وبين سيدنا محمد ﷺ وسيدنا عيسى عليه السلام.. نابعة من شهادة القرآن الكريم وقواعده، حيث يقول الله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [سورة المائدة].

فإضافة إلى الأصول المشتركة بين المسلمين والمسيحيين، هناك أهدافٌ مشتركة نابعة من كلتا الرسالتين، ونابعةٌ- أيضاً- من الواقع الذي يفرض نفسه على كل مخلص محبٍ للإنسان والإنسانية.

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، برقم ٦٢٨١. والعلات الإخوة لأب. وليس بيننا نبي؛ أي بين نبينا ونبي الله عيسى عليهما السلام.

وهذه **القواسم المشتركة بين المسلمين والمسيحيين** تتمثل- من وجهة نظرنا نحن المسلمين- في القواعد الآتية:

القاعدة الأولى: الأصول الإيمانية الواحدة

يؤكد القرآن الكريم- دائماً- أن جميع الرسالات السماوية ودعوات الأنبياء- عليهم السلام- قد صدرت عن مشكاة واحدة، وهي الأصل السماوي لها.

فكل الأنبياء والمرسلين أتوا بدينٍ سماوي واحد، يهدف إلى إسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة. وهذا الدين السماوي الواحد كانت شرائعه تتغير على حسب أوضاع الأمم والشعوب، ولكن أركان العقيدة ومفهومها هي ذاتها، لا تتغير من رسالة إلى أخرى.. ومن نبي إلى آخر. ولذلك، نقرأ في القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ...﴿١٣﴾﴾ [سورة الشورى].

والنبي الكريم- سيدنا محمد ﷺ- يضرب مثلاً عن العقائد الواحدة للأنبياء والأصول الواحدة لرسالاتهم، واختلاف شريعة كل واحد منهم،

فيقول ﷺ: «والأنبياء إخوة لعَلاّت، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[1].

ولذلك، فإن الحقائق الإيمانية واحدة عند جميع الأنبياء والمرسلين كما ورد في القرآن الكريم، وتتمثل في ما يأتي:

١- الإيمان بالله الواحد الأحد، لا شريك له، خالق الكون، المتصف بالكمال، المنزه عن النقص، الحي الذي لا يموت.

٢- الإيمان باليوم الآخر، حيث الحساب والجزاء، ثم الثواب والعقاب.

٣- الإيمان بالملائكة الأطهار.

٤- الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، الذين أتوا لهداية الخلق إلى الله تعالى، بدءاً بآدم عليه السلام وختماً بمحمد ﷺ.

٥- الإيمان بكل كتب السماء ورسالاتها المنزلة على الأنبياء والمرسلين، يقول الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [سورة البقرة].

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ [سورة مريم: ١٦]، برقم ٣٤٤٣.

وهذه الحقيقة.. التي نطق بها القرآن الكريم.. نقرؤها- جلية- في أسفار اليهود والنصارى الموجودة حالياً؛ فهذه الوصايا العشر واضحة تماماً في العهد القديم، حيث جاء: "أنا الرب إلهك.. الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية.. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي"(١). ونقرؤها- أيضاً، جلية- في الإنجيل الحالي للمسيحيين، حيث جاء في إنجيل مرقص: "إن أولى.. الوصايا هي اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد.. الله واحد وليس آخر سواه"(٢). وجاء في إنجيل يوحنا **قول المسيح**: "والحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويعرفوا أن الذي أرسلته يسوع المسيح"(٣).

ولذلك، فالقرآن الكريم يدعو- دائماً- أهل الكتاب إلى التعاون والتوافق مع المسلمين، بناءً على هذا الأصل السماوي المشترك، وهو الإيمان بالله الواحد الأحد، فهو يصرح في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾** ﴾ [سورة آل عمران].

(١) سفر الخروج (٢٠: ٢-٣).
(٢) (١٢: ٢٩- ٣٢).
(٣) (١٧: ٣- ٤).

فالكلمة السواء هي التوحيد الخالص لله عز وجل، وهي القضية المشتركة الأولى.. التي جاءت بها جميع رسالات السماء.

ثم هناك كلمة سواء أخرى، وهي الإيمان برسل الله عز وجل؛ ففي القرآن الكريم: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ [سورة البقرة].

فلم يأت القرآن الكريم لينقض رسالات الأنبياء السابقين أو ينقض وجود أتباعهم، بل أوضح أن البناء الإيماني قد وَضَعَ أسسَه جميعُ أنبياء الله ورسله، وقد **قال نبي الإسلام** ﷺ: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسَنه وأجمله، إلا موضع لبنةٍ من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويَعجَبون له، ويقولون: هلاّ وُضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتِم النبيين»[1].

وهذه الحقيقة- التي هي اعتراف كل نبي بمن سبقه- نطق بها السيد المسيح عليه السلام في إنجيل المسيحيين اليوم، **فقال**: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء.. ما جئت لأنقض، بل لأكمل"[2]. فهذا

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، برقم ٣٥٣٥.
(٢) إنجيل متى (٥: ١٧).

تصريح واضح من المسيح عليه السلام بأنه جاء ليؤكد الإيمان بدعوات من سبقه من الأنبياء والمرسلين.

ثم هناك كلمة سواء ثالثة، وهي الإيمان باليوم الآخر، وهي- أيضاً- حقيقة نطق بها القرآن الكريم والمسيح في الإنجيل؛ فهناك يوم للحساب.. ثم للثواب أو العقاب، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١ ﴾ [سورة البقرة]، ويقول الله تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾ [سورة الزلزلة].

وجاء في إنجيل يوحنا عن نهاية المؤمنين والكفار: "فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، وعملوا السيئات إلى قيامة الدينونة"(١).

القاعدة الثانية: تكريم السيد المسيح عليه السلام وعائلته.

لقد كرم القرآن الكريم السيد **المسيح**، ومنحه وأمَّه البتول وعائلتَه الكريمة تبجيلاً عظيماً؛ بل إن تكريم القرآن الكريم للسيد المسيح وأمه وعائلته يفوق- بلا ريب- تكريم كل من التوراة والإنجيل الموجودين حالياً.

(١) إنجيل يوحنا (٥: ٢٩).

ففي القرآن الكريم، توجد سورة "**آل عمران**"، وهي اسم عائلة السيد المسيح، وهذه السورة هي ثانية طولى سور القرآن الكريم. وهناك سورة "**مريم**"، والدة السيد المسيح؛ على حين أنه لا يوجد في القرآن اسم لعائلة نبي الإسلام محمد ﷺ، فلا توجد سورة تحمل اسم "**بنو هاشم**" أو "**بنو المطلب**"، وكذلك لا توجد سورة تحمل اسم "آمنة **بنت وهب**" والدة الرسول ﷺ.

ولقد وصف القرآن الكريم عائلة السيد المسيح بدءاً من جدته، والدة أمه العذراء، وهي امرأة عمران.. بأنها امرأة مؤمنة خاشعة، نذرت إن رُزقت بوليد أن تجعله خادماً لبيت الله، يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

ثم وصف القرآن الكريم أم المسيح بأعظم الصفات.. بالطهارة والسمو ورفعة الفضل.. ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران]، ومدحها في موضع آخر.. ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة التحريم].

أما شخص السيد المسيح- **عيسى** ابن مريم- فقد أوضح القرآن الكريم ما اختصه من تكريم ومعجزات، وفق ما يأتي:

١- المسيح **عيسى** ابن مريم هو كلمة الله، وهو نبي مرسل، وبشر مخلوق، وعبد الله ﷻ، يقول تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة مريم].

وما ولادة المسيح بهذا الشكل المعجز.. من أمٍ من دون أب.. إلا لتكون آية للناس.. ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران].

وهذه الحقيقة القرآنية- بأن المسيح عبد الله تعالى- نجدها جلية في الأناجيل الحالية، فقد **قال المسيح**: "والحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويعرفوا أن الذي أرسلته يسوع المسيح"(١).

٢- المسيح- في القرآن الكريم- كان قدوة صالحةً، وأنموذجاً رائعاً للإيمان والعبادة والإخلاص لله تعالى، يقول تعالى على لسانه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ

(١) إنجيل يوحنا (١٧: ٣- ٤).

وَأَوْصَنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة مريم].

٣- مدح القرآن الكريم المسيح عليه السلام بأنه كلمة الله وروح منه. فهنا إضافة التشريف والتكريم بأن المسيح كلمة الله وروح منه، يقول تعالى: ﴿ ... إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ...﴿١٧١﴾ ﴾ [سورة النساء].

٤- **عيسى** ابن مريم- في القرآن الكريم- نبي ورسول من عند الله، كغيره من الأنبياء والمرسلين.. دعا إلى توحيد الخالق، وتصحيح انحراف الناس عن دينهم وبعدهم عن شريعتهم، يقول الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ... ﴿٢٥٣﴾ ﴾ [سورة البقرة].

٥- مدح القرآن الكريم الكتابَ الذي أنزله الله على المسيح.. وهو الإنجيل السماوي، فوصفه أنه الهدى والنور والموعظة، يقول الله تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة المائدة].

٦- ذكر الله تعالى- في القرآن الكريم- معجزات السيد المسيح عليه السلام، وهي سبع معجزات:

ا- الكلام في المهد، ب- إبراء الأكمه، ج- إبراء الأبرص، د- إحياء الموتى، هـ- تصوير الطين والنفخ فيه.. فيصير حياً بإذن الله، و- الإخبار ببعض المغيبات، ز- نزول المائدة من السماء.

وهذه المعجزات، لم يُذكر بعضها في الأناجيل الحالية، واختص القرآن الكريم بذكرها؛ فتأمل سمو التكريم الذي منحه القرآن الكريم للمسيح عليه السلام! .

٧- لم يقتصر القرآن الكريم على مدح المسيح وعائلته ودعوته وكتابه، بل مدح الحواريين.. وهم أتباع المسيح.. وسماهم الأنصار.. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ... ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة الصف].. ووصف القرآن الكريم هؤلاء الحواريين.. ﴿ ... وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ ...﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة الحديد].

القاعدة الثالثة: المثل الأخلاقية المشتركة:

لما كان مصدر الرسالات السماوية واحداً، فلا بد من أن تكون

المثل والتعاليم الأخلاقية واحدة أيضاً. فما من نبي من الأنبياء إلا حث على الخير بكل أشكاله واتجاهاته، وحذر من الشر بكل ألوانه ومنغصاته. ولذلك، فإننا نجد قواعد أخلاقية ومُثلاً أدبية مشتركة بين المسلمين والمسيحيين، كلها تسعى إلى لقاء الإنسان مع الإنسان، تحت مظلة المحبة والتعاون والإخاء.

ويمكن لنا أن نذكر أمثلة عن هذه المثل الأخلاقية، التي نطق بها الإسلام.. وسبق أن تحدث عنها المسيح عليه السلام:

١- تكريم الإنسان ورحمته مطلقاً:

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الحجرات]، **ويقول النبي** ﷺ في دعائه: «اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين»(١).

وفي الإنجيل، على لسان السيد المسيح: "طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السماوات"(٢).

(١) أخرجه الترمذي، من حديث أنس رضي الله عنه، في كتاب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، برقم ٢٣٥٢؛ وإسناده صحيح.

(٢) إنجيل متى (٥: ٣).

٢- نشر المحبة والإحسان بين الناس:

قال الله تعالى: ﴿ ...وَأَحْسَنُوٓاْۛ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [سورة المائدة]، وقال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ...﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة الإسراء]، **وقال** ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[(١)].

وجاء في الإنجيل **قول المسيح**: "وصية جديدة أنا أعطيكم: أن تحبوا بعضكم بعضاً"[(٢)]، **وقوله**: "تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قدرتك، ومن كل فكرك، وقريبك مثل نفسك"[(٣)].

٣- العفو والصفح:

وهو خلق عظيم حث عليه القرآن الكريم في مواضع شتى، فمدح المؤمنين بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿ ..ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [سورة فصلت].

---

(١) أخرجه البخاري عن أنس ﷺ، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم ١٣.

(٢) إنجيل يوحنا (١٣: ٣٤).

(٣) إنجيل لوقا (١٠: ٢٧).

وجاء في الإنجيل على لسان السيد **المسيح**: "سمعتم أنه قيل: عين بعين وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً، ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين، ومن سألك فأعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده"(١).

٤- ترك الفواحش والتزام العفاف والطُهر:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة الإسراء]، و**قال النبي** ﷺ: «كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مدركٌ ذلك لا محالة؛ فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرجُ ويكذبه»(٢).

وجاء في الإنجيل على لسان السيد **المسيح**: "قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تزنِ، وأما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه"(٣).

---

(١) إنجيل متى (٥: ٣٨- ٤٢).

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب القدر، باب قُدِّر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره، برقم ٦٩٢٥.

(٣) إنجيل متى (٥: ٢٧- ٢٨).

٥- الأمانة:

يقول تعالى واصفاً المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة المؤمنون]. **والنبي** ﷺ **يقول:** «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»[(١)].

وجاء في الإنجيل على لسان السيد المسيح: "فإن قدمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح، واذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعال وقدّم قربانك"[(٢)].

٦- حفظ اللسان عن الآثام:

قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ ...﴿٥٣﴾﴾ [سورة الإسراء]، **وقال النبي** الكريم ﷺ محذراً من شرور اللسان: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم- أو على مناخرهم- إلا حصائد ألسنتهم»[(٣)].

(١) أخرجه أبو داود، عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب الإجارة، باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده، برقم ٣٧٣٥. وقال ابن حجر في بلوغ المرام (١/ ٣٤٢): وهو صحيح بشواهده.

(٢) إنجيل متى (٥: ٢٣- ٢٤).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث معاذ بن جبل ﷺ، في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم ٢٦١٩؛ وقال: حسن صحيح.

وجاء في الإنجيل على لسان السيد **المسيح**: "ومن قال لأخيه: رَقَا، يكون مستوجب المجمع؛ ومن قال: يا أحمق، يكون مستوجبَ نار جهنم"(١).

ومن أراد أن يحصي المثل الأخلاقية المشتركة بين الإسلام والمسيحية، لوجد الكثير الكثير. ولعل في الوصايا العشر أبلغ مثالٍ على الأخلاقيات المشتركة بين الإسلام والمسيحية، وحتى اليهودية.. يقول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [سورة الأنعام].

وإننا لنجد هذه الوصايا جلية في إنجيل لوقا، حيث جاء على لسان المسيح مخاطباً أحد تلامذته: "لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد، وهو الله. أنت تعرف الوصايا: لا تزن، لا تقتل، لا تسرق، لا تشهد بالزور. أكرم أباك وأمك"(٢)، ونجد هذه الوصايا نفسها في سفر الخروج: "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي"(٣).. "أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك. لا

(١) إنجيل متى (٥: ٢٢). ورقا: أي يا فارغ.
(٢) إنجيل لوقا الإصحاح الثامن عشر (١٩- ٢٠).
(٣) سفر الخروج، الإصحاح العشرون (٣).

تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك"[1].

القاعدة الرابعة: السلام والأخوة الإنسانية

وهذا أمرٌ واضح جلي في القرآن الكريم، وفي سنة النبي ﷺ؛ فلقد لخص الله- تعالى- مهمة رسوله ﷺ في كلمات قليلة واضحة.. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء]. وكان **النبي** ﷺ يتحدث عن نفسه **فيقول**: «إنما أنا رحمة مهداة»[2]، بل لقد سمى نفسه ﷺ نبي الرحمة. ولذلك، فإن الرحمة- التي جعلها الله ﷻ صفة لرسوله ﷺ- ليست رحمة خاصة، بل هي رحمة عامة، رحمة للإنسان ، بغض النظر عن دينه ولونه ولسانه؛ فلقد جعل الله- تعالى- هذه الأشياء دالة على عظمته، وليست سبباً في تفريق البشر، يقول تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢﴾ [سورة الروم].

ولذلك، كان النبي ﷺ يدعو بالويل والثبور على أولئك الذين فرغت قلوبهم من حب الإنسان.. وتكريم الإنسان.. ورحمة الإنسان،

(١)سفر الخروج، الإصحاح العشرون (١٢-١٧).

(٢) أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ، في كتاب الإيمان، برقم ١٠٠؛ وقال: صحيح، ووافقه الذهبي.

مهما كان هذا الإنسان. ووضع ﷺ قاعدة يجب أن تكون دستور العلاقات بين شعوب العالم، عندما قال ﷺ: «خاب عبد وخسر، لم يجعل الله- تعالى- في قلبه رحمة للبشر»[1]، وقال ﷺ: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»[2]، وقال ﷺ: «ولا تنزع الرحمة إلا من شقي»[3]، وقال ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس»[4].

ولقد طبّق النبي ﷺ- والمسلمون من بعده- هذه المبادئ الإنسانية، فنراها واضحة في قوله ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»[5].

حتى إنه ﷺ كان يرحم أعداءه الذين يحاربونه؛ فلقد أتت سَنَةُ قحط وجفاف على كفار قريش، فهلك فيها الفقراء والضعفاء، فأرسل النبي ﷺ مالاً كثيراً إلى أبي سفيان- زعيم الشرك في مكة- ليُعين بهذا

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، عن عمرو بن حبيب ﷺ، حرف السين: سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان، برقم ٢٤٧٠؛ وهو حسن.

(٢) أخرجه الترمذي عن جرير بن عبد الله ﷺ، في كتاب البر، باب رحمة المسلمين، برقم ١٩٢٢؛ وقال: صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة في كتاب البر، باب رحمة المسلمين، برقم ١٩٢٣؛ وقال: حسن.

(٤) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٢٢٣)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو حسن لطرقه.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، عن أنس ﷺ، برقم ٧٥١، بسند حسن.

المال أولئك الفقراء المشركين، و لم يطلب إليهم أجراً ولا ثواباً[1].

ومثل هذه المنطلقات الإنسانية- لنشر السلام والأخوة بين الناس- نجدها جلية عند المسيح عليه السلام؛ فقد جاء في موعظة الجبل **قول المسيح**: "طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السماوات. طوبى للحزانى، لأنهم يتعزون. طوبى للودعاء، لأنهم يرثون الأرض. طوبى للجياع والعطاش إلى البر، لأنهم يشبعون. طوبى للرحماء، لأنهم يُرحمون. طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله. طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يُدعون"[2].

إن ما سبق عرضه- من القواسم المشتركة بين المسلمين والمسيحيين- يدفعنا جميعنا إلى الوعي المشترك، والتصدي المشترك للمسؤوليات الجسام، التي يجب القيام بها من المسلمين والمسيحيين في العالم، وتتمثل في التساؤل الآتي:

إلى ماذا تحتاج الإنسانية اليوم؟!

أولاً: بناءً على القواسم المشتركة بين المسلمين والمسيحيين، فإن الإنسانية في هذا العصر إنما هي في أمسِّ الحاجة إلى نشر الإيمان

(١) رواه محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، في شرح السير الكبير (١/ ١٤٤).
(٢) إنجيل متى (٥: ٣-١٠).

الحقيقي، الإيمان الذي يلتقي فيه العقل والدين، الإيمان الذي يكون فيه العلم والدين أخوين توءَمين، يشد كل واحد منهما أزر الآخر في سعيهما إلى بناء حياةٍ سعيدةٍ هانئة للإنسانية.

وأما أن يُعرَض الإيمان بعيداً عن العقل والمنطق- على نحو تمجه النفوس، وترفضه العقول السليمة- فهذا هو خراب الإنسانية. وكذلك إذا عُرض الدين بثوب التعصب والأنانية.. وعدم الاعتراف بوجود الآخرين والتسامح معهم، فهذا إيمان مصيره الزوال.. ولن يستطيع الصمود أبداً في وجه تحديات العالم المعاصر.. بكل أشكال تقدمه وتقنياته، وبكل مشكلاته وكوارثه.

إن الدين الحق هو الدين الذي تستسيغه العقول، وتتعطش إليه القلوب؛ وأما غير هذا، فهو الباطل بعينه وإن ألبس لبوس الدين...

من يكره الورد الجميل وعطره؟ من لا يريد حضارة وتطوراً؟
أمَّن يقول عن الحقيقة باطلٌ؟ من قالها كان الشقيَّ الجائرا
لكنَّ ورداً يابساً ومكسراً من يرتضيه ويرتئيه أيا ترى؟
لكنَّ عرساً والعروس جنازةٌ من يرتضيها زوجة تحت الثرى؟
عرضوا العروس بنتنها وبخبثها والعقل يرفض لؤلؤاً إن زُوِّرا

ثانياً: يفرض الواجب نفسه على جميع المسلمين والمسيحيين في العالم أن يتكاتفوا ويقفوا صفاً واحداً لحل مشكلات العالم المعاصر، وتتمثل في:

أ- السعي إلى تحقيق الأمن والسلام في كل بقعة من بقاع الأرض، وهذا لا يكون أبداً إلا إذا وُضع الحق والعدالة الإنسانية فوق الجميع، من دون تمييز.. أو تفضيل لأحد على أحد.. أو مراعاةٍ لشعبٍ على حساب شعب آخر، بل الواجب الأخذ على يد المعتدي الآثم.. وردعه عن ظلمه وجوره وطغيانه.

ب- السعي إلى تأمين الحياة الكريمة لبني الإنسان.. مطلق الإنسان، بتأمين ضرورات عيشهم.. من طعام وسكن وصحة.. ومجال للعمل الشريف، لا أن تُهدر مواردُ الثروة الإنسانية في الشرق والغرب.. إما على اللذات والأهواء والشهوات.. وإما إتلافاً وإحراقاً وتغريقاً، خشية تدني الأسعار العالية، التي تعود على بعض الدول بالأرباح الخيالية.. وإما في صنع أسلحة الدمار الشامل!!

ج- السعي إلى مواجهة الأمراض الاجتماعية والأخلاقية، التي تفتك بمعظم المجتمعات في العالم، وفي مقدَّمها: الأمراض والكوارث.. الناجمة عن الفواحش والإباحية والمخدرات. وكذلك محاربة الجريمة المنظمة وغير المنظمة.

د- السعي إلى حماية الحياة، وضمان استمرارها على كوكبنا الأرضي في ما يسمى "سلامة البيئة".

إن هذه المسؤوليات تحتاج إلى إخلاص وشجاعة كي يستطيع كل فرد أن يتحمل مسؤوليته في المحافظة على الكيان الإنساني.

وأرجو الله ﷻ أن يعيننا جميعاً على ما فيه خيرنا وسعادتنا، إنه على كل شيء قدير.

المبحث الخامس

القواسم المشتركة بين الإسلام والمسيحية[1]

(١) خلاصة عن كلمة ارتجالية لسماحته ألقاها في محاضرته الأسبوعية صباح الجمعة في جامع أبي النور في دمشق، في ٢٥/ ١٢/ ١٤١٧هـ الموافق لـ ٢/ ٥/ ١٩٩٧م. بحضور البابا شنودة، ومجموعة من البطاركة من سورية ولبنان وفلسطين: البطريرك زكّا، والبطريرك هزيم، والبطريرك حكيم، والبطريرك صباح، وعدد من السادة المطارنة في سورية، وأعضاء مجلس كنائس الشرق الأوسط، وبعض السادة من: علماء الدين الإسلامي، والوزراء، والسفراء، وأعضاء من مجلس الشعب، ومن غرفتي التجارة والصناعة في دمشق.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- القرآن مجمع رسالات السماء كافة، ودعوة إلى الإيمان بكل أنبياء الله.

٢- الإسلام مصحح لما لحق بالرسالات السماوية من اجتهادات خاطئة.

٣- رسالات السماء تتفق- أصلاً- مع الحقيقة والعقل. ومن يخالف ذلك يشوه الدين، الذي يحتاج- عندئذ- إلى تجديد وتصويب.

٤- رسالات السماء أتت لتنمية العقل واحترام الإنسان ونشر العدالة وتحقيق المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات. ومن يخالف ذلك، يحتاج إلى تجديد دينه والعودة إلى أصوله.

٥- الأنبياء حققوا إقامة المدينة الفاضلة واقعاً معيشاً، لا بالشعارات أو على الورق كما فعل الفلاسفة.

٦- إن نهضة علماء الدين لإعادة رسالاتهم إلى أصلها ونبذ ما فيها من أخطاء.. تسهم في توحيد العالم وإنهاء الإلحاد فيه.

٧- التعاون الإسلامي المسيحي ضرورة يفرضها وجود قضايا مشتركة وهموم واحدة، على رأسها القدس.

٨- نحن المسلمين دعاة سلام لأنفسنا وللآخرين، ونأبى اغتصاب حقوقنا.. ولن نتنازل عنها.

٩- على المسيحيين والمسلمين أن يعيشوا معركة النضال المشترك ضد الصهيونية.. ويدعموا جهاد الأمة العربية في فلسطين.. وهذا لا يتحقق إلا بالإيمان الصحيح.

١٠- الدعوة إلى إلغاء نظام الفيتو "الديكتاتوري"، الذي يستخدمه الأقوياء- فقط- ضد الشعوب المستضعفة.

١١- كلمتا سلام وسلم يجب أن لا تكونا كذباً وضحكاً على الناس، وإلا ستبقى الإنسانية في حال حرب واضطراب.

١٢- يجب العمل بجد وحكمة وعقلانية في ميدان الإعلام وتسخير الفضائيات والإنترنت، لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن العالم العربي.. ولنا أنصار في جميع العالم. ولكن إن قصرنا في واجبنا، فلا نستطيع مطالبة الآخرين بالواجب نيابة عنا.

١٣- على العالم المسيحي الغربي والكنيسة الغربية العمل بما ينسجم مع تعاليم السيد المسيح في نصرة الحق ودعم حقوق الفلسطينيين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص المحاضرة

إنَّ الإسلام لم يأت ليلغي الرسالات السماوية السابقة، وإنما جاء متمماً ومكملاً، وإلى هذا أشار النبي الكريم محمد ﷺ **فقال**: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسَنه وأجمله، إلا موضع لبنةٍ من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويَعجَبون له، ويقولون: هلاّ وُضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[1]؛ والله- تعالى- يقول في القرآن الكريم: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾ [سورة البقرة]. فالقرآن هو مجمع رسالات السماء كافة، ودعوة إلى الإيمان بأنبياء الله كافة.

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، برقم ٣٥٣٥.

والإسلام جاء مصححاً لما لحق بالرسالات السماوية من اجتهادات خاطئة؛ لأن رسالات الأنبياء تتفق أصلاً مع الحقيقة والعقل، بل أتت لتنمي العقل الإنساني، ولتجعله في أعلى مراتبه نجاحاً.

أتت رسالات السماء- بأصالتها- لتحول العقل البدائي إلى عقلٍ ناضجٍ متنوّرٍ، ذلك العقل البدائي الذي كان يؤلّه الحجر ويعبده، ويفقد الرحمة فيقتل الأولاد، يقول تعالى: ﴿ ... وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ... ﴿١٥١﴾ ﴾ [سورة الأنعام].. وكان يحقر المرأة، ويدفنها وهي على قيد الحياة، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة التكوير].

أتت الرسالات السماوية لتجعل من القضاء- الذي كانت تتحكم فيه الأهواء والأطماع- قضاءً عادلاً، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ...﴿٩٠﴾ ﴾ [سورة النحل]، يقول تعالى: ﴿ ... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ...﴿٨﴾ ﴾ [سورة المائدة].

أتت الرسالات السماوية لتساوي بين الناس في الحقوق والواجبات، فسيدنا **محمد** ﷺ **يقول**: «والذي نفسي بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[1].

(١) أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها، في كتاب الحدود، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع، برقم ٦٤٠٥.

وكذلك عالجت الرسالات السماوية قضايا الأمم ومشكلاتها ؛ فنقلتها من الفقر إلى الغنى، ومن التخلف إلى التقدم، ومن الجهل إلى العلم، ومن الضعف إلى القوة.

من أجل هذا أتت الرسالات السماوية، ومن أجل هذا دعا الأنبياء والرسل. فإذا وجدنا غير هذا، فمعناه أن هذه الرسالات صارت مشوهة، وصرنا نعبِّر عنها على نحو غير صحيح، وباتت تحتاج إلى التجديد.. في إعادتها إلى أصولها، كما ورد عن النبي ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[1].

إنَّ الرسالات السماوية دعت إلى حقوق الإنسان وجعلتها حقيقة. والدين لم يأت ليرجع بالإنسان إلى الوراء، بل ليجعله متقدماً متنوراً سعيداً، والذين يدَّعون خلاف هذا يكذبون على الدين.

إنَّ الفلاسفة دعوا إلى المدينة الفاضلة على الأوراق، ولكن الأنبياء حققوا هذا في الفرد والمجتمع والأمة واقعاً. ولو أن علماء الرسالات السماوية قاموا فأعادوا الدين إلى أصله.. ونبذوا ما لحق به مما ليس منه، فإننا سنجد أن

(١) أخرجه الديلمي في فردوسه عن ابن عمر رضي الله عنهما، باب الياء، فصل ما لم يسمّ فاعله، برقم ٩٠١٢؛ وهو صحيح [انظر: مشكاة المصابيح، برقم ٢٤٨].

العالم سيتَّحد ويتحول إلى عالم واحد تحت ظلال الإيمان بالله تعالى.

وأعتقد أنه إذا استطعنا أن نُحدث ثورة في تجديد الرسالات السماوية- بأن نُرجعها إلى أصولها- فإننا لن نجد ملحداً أبداً في العالم كله.. وإنني أعتقد أن التعاون الإسلامي المسيحي- في القرن الحادي والعشرين- سيكون حتمياً.

وتجمعنا اليوم قضايا وهمومٌ عربية مشتركة، في مقدَّمها القدس. ولذا، يجب أن تكون القدس محوَر السلام في المنطقة والعالم. إنَّ الدفاع عن القدس ومقدساتها عقيدة دينية لا يعتريها الضعف ولا الالتباس، ويجب أن تسري هذه العقيدة في عروقنا وأن تولد مع أطفالنا.

إننا دعاة سلام، نُريد السلام لأنفسنا وللآخرين، ونأبى أن تغتصب حقوقنا، ولا يمكن أن نتنازل عن شبرٍ واحدٍ من أرضنا.

ما أحوجنا- نحن المسلمين والمسيحيين، في معركة النضال المشترك ضد العدوان الصهيوني الغادر على القدس ومقدساتها، وعلى فلسطين وأهلها، وعلى المسيحية وكنيستها، وعلى المسلمين والإسلام والقرآن- إلى أن نقوي جبهتنا، ونعتصم جميعاً بحبل الله المتين، لنكون صفاً واحداً في الدفاع عن حقوق أمتنا وأوطاننا.

على كل عربيٍّ مسلم أو مسيحي أن يعمل- بكل الطاقات المادية

والمعنوية- على دعم جهاد الأمة العربية، ولا سيما في فلسطين. ونرجو من الله ﷻ أن يُرِيَنا عزة الأمة ونصرتها، والعدل يسود العالم، ولا يمكن أن يتحقق هذا إلا بالإيمان الصحيح.

إنني أدعو إلى **إلغاء نظام الفيتو "الديكتاتوري" في مجلس الأمن الذي يُستخدم ضد الشعوب المستضعفة**، وليس أدلّ على ذلك مما فعلته أمريكة من استخدام الفيتو مرتين.. خلال أسبوع واحد فقط.. ضد إرادة العالم أجمع.. دعماً للكيان الإسرائيلي في اغتصاب الأرض الفلسطينية وإقامة المستوطنات عليها.

أهذه هي المساواة؟! أهذه هي الديمقراطية؟! أهذه هي العدالة؟! أهذه هي حقوق الإنسان التي يدعون إليها؟!

ولذلك، نرى أنه إذا لم يُنفّذ الحكم الدولي العالمي بصدقٍ وأمانة وعدل ومساواة، فإن كلمتي (سلم) و(سلام) لن تكونا إلا كذبة على الناس، وستبقى حال الإنسانية في اضطراب، وستبقى الحروب قائمة.. إلا إذا رجعنا إلى قانون الله.

وعلى الأمتين العربية والإسلامية أن تتحرك في الاتجاه الصحيح في نصرة الحق العربي من غير تهاونٍ أو تساهل.

وأرى أننا مقصرون في ميدان الإعلام العالمي. وأعتقد- جازماً-

أننا إذا استطعنا أن نهيئ سلاح الإعلام دفاعاً عن الحق العربي وما لحق بالأمة العربية من ظلم وعدوان.. وبياناً للوجه المشرق للحضارة العربية.. وتصحيحاً للمفاهيم الخاطئة التي تروّج عن الأمة العربية الإسلامية.. ولا سيما في العالم الغربي، فإننا نستطيع أن نغيّر كثيراً من المفاهيم السائدة هناك نحو الأفضل.. ثمّ نحو الحقيقة، ولا سيما أنه تهيأ من وسائل الإعلام والاتصالات- كالقنوات الفضائية والإنترنت- ما يساعد على تحقيق ذلك. ولقد أعطى الله- تعالى- الأمة العربية الإسلامية جميع الطاقات المادية والمعنوية التي تحتاج إليها، وبلادنا مهد الرسالات السماوية، ولنا أنصارنا في أنحاء العالم. ولكن يجب أن نعلم أننا إذا قصّرنا في حق أنفسنا، فلا نستطيع أن نطالب الآخرين بأن يقوموا بالواجب بالنيابة عنّا.

إنَّ بناء الأمة العربية الإسلامية قويةً متقدمةً مزدهرةً كافٍ لتحصيل الحقوق ودفع الأعداء، وهذا خيرٌ من آلاف المؤتمرات والخطابات والإدانات.

إنَّ على العالم المسيحي الغربي عامة والكنيسة الغربية خاصة أن يؤدوا الواجب في دعم حقوق الفلسطينيين في وطنهم بما ينسجم مع تعاليم سيدنا عيسى المسيح عليه صلوات الله وسلامه، وأن يدعو إلى تغيير الموقف الأمريكي تجاه الحقوق العربية في فلسطين.

المبحث السادس

عطاءات الدين للمجتمع[1]

(١) محاضرة سماحته التي ألقيت في لقاء القمة الديني، المنعقد في كيوتو في اليابان، من ٥ إلى ١٩٩٧/٨/٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

- الدين يقدم عطاءات كثيرة في مستويات عدة: الأسرة، المجتمع، الوطن، المجتمع العالمي.

١- على صعيد الأسرة، دعا الإسلام إلى:

أ- تربية أفراد الأسرة على الخُلُق والتضحية للآخرين.

ب- تربية الزوجين على تحمل مسؤولياتهما في رعاية أحدهما للآخر والأولاد والأرحام.

ج- بر الأولاد لوالديهم، ولا سيما عند الشيخوخة.

د- تحرير المرأة من ظلم الرجل، وإعطاؤها الحق في الدفاع عن حقوقها.

هـ- عدم الاقتراب من الزنا حفاظاً على حقوق المرأة

والأسرة والأولاد.

و- الاعتناء بالطفل، وتعظيم الثواب لمن يدخل الفرح على الأطفال.

٢- على صعيد المجتمع، دعا الإسلام إلى:

أ- تطهير النفس بالإيمان والعبادة ليخلصاها من شرورها، ويدفعا صاحبها إلى محبة الآخرين وإيثارهم على نفسه.

ب- السلام بين الإنسان وربه ليؤدي إلى السلام بينه وبين الآخرين.

ج- اقتداء الإنسان بالأنبياء- الذين أرسلهم الله- في فن التعامل مع الذات ومع الآخرين.

د- الشعور بالآخرين، ولا سيما الجيران.

هـ- العمل الجماعي لصالح المجتمع، وجعل الجنسية الرابطة بينهم هي العلم والحكمة والأخلاق.

و- التقدم العلمي، بفرضه العلم النافع على كل مسلم.. وتعليم العالِم الآخرين.

ز- العمل ونبذ الكسل، وتقديم المسلم الخير للناس.

ح- عدم الإضرار بالآخرين، سواء باللسان أو اليد، ومنه: أكل المال الحرام، والتعدي على حقوق الآخرين وحرماتهم.

ط- تربية الفرد ليصير قاضي نفسه وشرطيَّها، فيقف للاعتراف بخطئه ولو لم يعرف به الحاكم.

ي- مساعدة الفقراء والمحتاجين من مال الزكاة.

ك- مكافحة الخرافة والظلم والمسكرات والمخدرات.

٣- على صعيد الوطن، دعا الإسلام إلى:

أ- العناية بحقوق الإنسان، وطبق ذلك عملياً.

ب- كفالة العلم للجميع.

ج- ضمان العمل للجميع. ومن كان عاطلاً لعجز ما، سُدَّت كفايته.. ولو كان غير مسلم.

د- النهي عن التمييز باللون أو العرق أو الدين.

هـ- العدل والمساواة بين الجميع، وحتى مع القائد.

و- ضمان حرية الفكر والعقيدة، وعدم التعصب.

٤- على صعيد المجتمع العالمي:

أ- جعل الله مهمة النبي محمد ﷺ رحمة العالم بأسره ليعم السلام العالمي.

ب- صار العالم قرية صغيرة. ودعا الإسلام كل غني في العالم (فرد أو دولة) إلى مساعدة جاره الفقير (فرد أو دولة).

ج- أكد الإسلام الأخوة الإنسانية.

د- اعتنى الإسلام بالحيوان والبيئة.

هـ- يدعو الإسلام إلى تحقيق العدل بين الدول المتخاصمة لتفادي الحروب.

- على العالم أن يكون جاداً في تطبيق قانون السماء الداعي إلى الإيمان بكل الأنبياء.. مع العقل والعلم.

- على العالم أن يدرس- بجدية- الإسلام، لأنه دين يبني الإنسان والعائلة والمجتمع والعالم على الفضيلة والمحبة.

- لا بد من تسخير الأموال والإعلام والفضائيات للدعوة إلى الخير وتزكية النفس والعلم والحكمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص المحاضرة

قد طُلب إليّ أن أتكلم حول موضوع عطاء الدين للمجتمع، ولابد بدايةً أن نبين أن هذا العطاء يتناول مستويات عدة: الأسرة، ثم الوطن، ثم المجتمع العالمي.

فعلى صعيد الأسرة، أول ما يسهم به الدين هو أن يُرَبّي أفرادها على الخلق القويم والتضحية والعطاء من أجل الآخرين، **قال** ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس»[1]، وهذا لا يتحقق إلا إذا آمن الإنسان بالله الخالق، الذي أعطاه السمع والبصر والعقل والفؤاد، ليستدل على خالقه عن طريق الآيات الكونية المحيطة به، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٢٢٣)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو حسن لطرقه.

خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

وأمر الدين الإنسان أن يطهر قلبه ويزكي روحه، يقول سبحانه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الشمس].. ولفعل ذلك دلّه على طريق الصلاة.. خمس مرات في اليوم، يقول تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة العنكبوت]، وإلى طريق التأمل وذكر الله في كل حين؛ يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴿١٩١﴾ ﴾ [سورة آل عمران]، ليصير قريباً من خالقه، ويكون كالملاك الذي انتفت من نفسه الميول الشريرة من حسد وحقد وجشع وتكبر وأنانية، ثم يصير يحب للآخرين ما يحبه لنفسه؛ **قال** ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1]؛ بل يؤثرهم على نفسه، فيرضى أن يبيت جائعاً ليطعم غيره، ويعبر سبحانه عن هذا المعنى بأبلغ الكلمات وأوجز العبارات فيقول عز من قائل: ﴿ ...وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...﴿٩﴾ ﴾ [سورة الحشر].

(١) أخرجه البخاري عن أنس ﷺ، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم ١٣.

إنني أؤمن أنه ما لم يتحقق السلام بين الإنسان وربه.. وبينه وبين نفسه، فلن يتحقق السلام بينه وبين الآخرين، وحينئذ يعيش في الشرور والآثام، فيخاف الإنسان من الإنسان أكثر مما يخاف من وحوش الغابة.. ولا يرتدع إلا بخوفه من الشرطة والسجون؛ فإذا غاب سيف القانون، شاع الفساد والظلم في كل مكان.

وفي هذا **يقول محمد إقبال**:

إذا الإيمان ضاع فلا أمانٌ ولا دنيا لمن لم يحي دينـــا

ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قرينـــا

ولذلك، أرسل الله الأنبياء والمرسلين، وجعلهم مثال الطهارة والقداسة والعلم والمعرفة، ليكونوا القدوة الصالحة للإنسان، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ...﴿٩٠﴾ ﴾ [سورة الأنعام]؛ وزودهم بكتبه ورسالاته ليعلِّموا الإنسان ويوصلوه إلى سعادة الروح والجسد.. والدنيا والآخرة.. من أقرب طريق، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ...﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة المائدة].

و**على صعيد الأسرة**، ربى الإسلام الزوجين على تحمل المسؤولية في رعاية أحدهما للآخر.. ورعاية الأولاد.. والأرحام والجيران.. بالمحبة والتضحية، وفي ذلك ورد الحديث الشريف: «ألا كلكم راعٍ، وكلكم

مسؤول عن رعيته... والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيتها»[1].

وأمر الأولاد ببر الوالدين برحمتهما والعناية بهما، ولا سيما عندما يصلان إلى سن الشيخوخة، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الإسراء].

ويذكر الله لنا في القرآن أن مهمة النبي محمد ﷺ هي تحقيق الرحمة للجميع، وكل ذلك ليعمّ السلام العالمي أرجاء المعمورة، يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة الأنبياء].

وأدان النبي محمد ﷺ كل من يبيت شبعانَ وهو يعلم أن جيرانه من حوله جياع، بل أخرجه من دائرة المؤمنين.. «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»[2]. ونفهم من هذا التوجيه

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، برقم ١٨٢٩.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، عن أنس ﷺ، برقم ٧٥١، بسند حسن.

النبوي أنه لما صارت كرتنا الأرضية أشبه بقرية عالمية، صار من واجب كل غني- سواء كان فرداً أو مجتمعاً أو دولة أو هيئة دولية- أن يعتني بكل فقير محتاج مجاور لنا في هذه القرية العالمية ويطعمه ويساعده، وهذا يُفهم- أيضاً- من قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة النساء].

وحرر الإسلام المرأة من ظلم الرجل، وأعطاها الحق في أن تدافع عن حقوقها؛ وجعلها المنتصرة وإن كانت وحدها والأكثرية البرلمانية ضدها، وهذا ما حصل فعلاً زمن خلافة سيدنا عمر **بن الخطاب**، فقد أراد أن يحدد مهور النساء، فقامت خولة **بنت ثعلبة، فقالت**: "ليس لك ذلك يا بن الخطاب، فإن الله- تعالى- يقول: ﴿ .. وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا ..﴿٢٠﴾ ﴾ أتدري كم هو القنطار؟!" **فقال** عمر: "أصابت امرأة وأخطأ عمر".[1]

(١) أصل القول في السنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٢٣٣). وقد قال بصحة القصة مصطفى العدوي في كتابه ‹جامع أحكام النساء› (٣/٣٠١).

ونهى النبي محمد ﷺ عن الزنا حفاظاً على احترام المرأة وحقوقها، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة الإسراء]؛ فلا يجوز لامرأة أن تبيع جسدها للآخرين، سواء كانوا عزاباً أو متزوجين؛ لأن ذلك يعطل فتيات كثيرات عن الزواج، ويفك رباط الزوجية المقدس، ويضيع الأولاد والأسرة، وينشر الأمراض الجنسية.. التي كثرت في هذه الأيام.. وصار الشفاء من بعضها شبه مستحيل.

واعتنى الإسلام بالطفل والطفولة، وجعل في الجنة داراً اسمها الفرح، يدخلها من أدخل الفرح على قلوب الصغار؛ **قال** ﷺ: «إن في الجنة داراً، يُقال لها: دار الفرح، لا يدخلها إلا من فرّح الصبيان»[1]. ولم يسمح الإسلام ولو للحاكم أن يتقدم على الطفل في أي حق من الحقوق، إن كان حق الطفل قبل حق الحاكم.

و**على صعيد الجماعة**، دعا النبي محمد ﷺ الجميع إلى أن يعملوا معاً لصالح مجتمعهم، **قال** ﷺ: «فإن يد الله على الجماعة»[2]؛ وجعل ﷺ الجنسية التي تربطهم جنسية العلم والحكمة والأخلاق، وفي هذا

(١) أخرجه ابن عدي عن عائشة رضي الله عنها (١/٢٠٠)؛ وهو ضعيف.

(٢) أخرجه النسائي، عن عرفجة بن شريح الأشجعي ﷺ، في كتاب تحريم الدم، باب قتل من فارق الجماعة، برقم ٤٠٢٠؛ وهو صحيح.

إشارة إلى **قوله** ﷺ: «ليس مني إلا عالم أو متعلم»[1]، وإلى **قوله** ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»[2]، وإشارة إلى مهمة النبي ﷺ التي حددها الله في ثلاثة أشياء: تعليم الكتاب والحكمة والتزكية، فيقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ ...﴿٢﴾ ﴾ [سورة الجمعة].

وعلى أنّ تقدم المجتمع يقاس بالتقدم العلمي، أمر الإسلام المسلم بطلب العلم بلا توقف، وجعله واجباً من المهد إلى اللحد، وقد **قال** ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[3]. ولم يقتصر الطلب على العلوم الدينية، بل جميع العلوم النافعة، ولو أدى ذلك إلى الترحال في سبيل طلبها، **قال** ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالصّين»[4]؛ ثم أوجب الإسلام على المتعلم أن يعلم الجاهل مجاناً، وهدده بالعقوبة إن رضي

(١) أخرجه الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما، باب اللام، برقم ٥٢٧٩؛ وهو ضعيف.

(٢) أخرجه أبو داود، عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، برقم ٤٦٨٤؛ وهو صحيح.

(٣) أخرجه ابن ماجه من حديث أنس ﷺ، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم ٢٢٤. وقال العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٥): وضعفه أحمد والبيهقي وغيرهما.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، من حديث أنس ﷺ، السابع عشر من شعب الإيمان (باب طلب العلم)، برقم ١٦٦٣؛ وقال (٢/ ٢٥٣): هذا الحديث شبه مشهور، وقد روي من أوجه ضعيفة يعضد بعضها بعضاً.

بوجود الجاهل من دون أن يعلمه، **قال** ﷺ: «والله ليعلّمن أقوام جيرانهم ويفطّنونهم ويفقّهونهم ويأمرونهم وينهونهم، وليتعلّمن قوم من جيرانهم ويتفطّنون ويتفّقهون، أو لأعاجلنّهم بالعقوبة في دار الدنيا»[1]، **وقال** ﷺ: «من كتم علماً عن أهله أُلجم- يوم القيامة- لجاماً من نار»[2]. هذا وقد رفع محمد ﷺ منزلة العالم حين ذكر أن أكرم الخلق- بعد الرسل- شخص تعلم علماً ثم علمه لغيره، أي: لم يحتكره لنفسه؛ **قال** ﷺ: «ألا أخبركم عن الأجود؟ الله الأجود الأجود، وأنا أجود ولد آدم، وأجودهم من بعدي رجل علم علماً فنشر علمه، يبعث يوم القيامة أمة وحده»[3]. وحث الإسلام الجاهل- أيضاً- على طلب العلم، وهدده بالعقوبة إن قصر، وزاد على ذلك أن أخرجه من نطاق الإسلام، **قال** ﷺ: «ليس منّي إلا عالم أو متعلّم»[4].

ونهى الإسلام المسلم أن يكون مصدر ضرر للآخرين، ولو كان

(١) قال السيوطي في الدر المنثور: أخرجه ابن راهويه والبخاري في الوحدانيات وابن السكن وابن منده والباوردي في معرفة الصحابة والطبراني وأبو نعيم وابن مردويه.. عن أبزي الخزاعي والد عبد الرحمن؛ وقال ابن السكن: ما له غيره، وإسناده صالح [انظر: تفسيره الآيتين ٧٨ و٧٩ من سورة المائدة (٣/ ١٢٥)].

(٢) أخرجه ابن عدي عن ابن مسعود ﷺ (٦/ ١٦٥)؛ وهو صحيح.

(٣) أخرجه أبو يعلى، من حديث أنس ﷺ، مسند أنس، ما أسنده الحسن بن أبي الحسن عن أنس بن مالك، برقم ٢٧٩٠؛ وهو ضعيف.

٤) أخرجه الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما، باب اللام، برقم ٥٢٧٩، وهو ضعيف.

ذلك باللسان أو اليد، **يقول** ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولايحقره، التقوى ها هنا- ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه »[1].

وأوجب الإسلام على المسلم أن لا يكون كسولاً خاملاً، بل عليه أن يسعى إلى كسب المال الحلال لينفقه على نفسه وعياله، وقد أشار النبي ﷺ في حديثه إلى أنه سبحانه يحب العبد صاحب الحرفة **فقال** ﷺ: «إن الله يحب المؤمن المحترف»[2].. ولا ينتظر المساعدة من الآخرين، فاليد المعطية خير من الآخذة كما **قال محمد** ﷺ.. «اليد العليا خير من اليد السفلى»[3].. ونهاه عن السرقة، وفرض الله على السارق حد السرقة، وهي قطع يده بشروط موجودة في كتب الفقه، فيقول تعالى: ﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾** ﴾ [سورة المائدة].. ونهاه عن أكل مال الحرام

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ، في باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، برقم ٢٥٦٤ على المسلم.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر رضي الله عنهما، برقم ٨٩٣٤. وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ٣٥٠): وضعّفه ابن عدي.

(٣) أخرجه البخاري من حديث حكيم بن حزام ﷺ، في كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، برقم ١٤٢٧.

والتعدي على الآخرين، فقد ورد عن **رسول الله** ﷺ أنه **قال**: «من أكل لقمة من حرام لم تقبل له صلاة أربعين ليلة، ولم تستجب له دعوة أربعين صباحاً. وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به، وإن اللقمة الواحدة من الحرام لتنبت اللحم»[1].

حتى صار المسلم ملاكاً يمشي على وجه الأرض، وهذا جعل القضاة يستعفون من مناصبهم؛ لأنهم يبقون السَّنَةَ تلو السَّنَةِ ولا يأتيهم متخاصمون.. وشاع الأمن والسلام، حيث إنك أينما اتجهت لا ترى شرطة ولا سجوناً، وهذا حصل مع سيدنا عمر بن الخطاب، الذي ولي القضاء زمن خلافة أبي بكر الصديق ﷺ، وبقي عاماً كاملاً لم يأته متخاصمان، فاستعفى الخليفة من وظيفة القضاء قائلاً: "يا خليفة رسول الله: لا حاجة بي عند قوم مؤمنين، عرف كل منهم حده فوقف عنده، إذا مرض أحدهم عادوه، وإذا افتقر أعانوه، وإذا احتاج ساعدوه، لا حاجة بي- يا أمير المؤمنين- عند قوم دينهم النصيحة، خلقهم القرآن، عملهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ففيم يختصمون؟"[2]

وإن أساء الفرد المسلم.. ولو لم يره أحد، صار هو القاضي الذي

(١) أخرجه الديلمي عن ابن مسعود ﷺ، باب اللام، فصل، برقم ٥٨٥٣. وهو حديث ضعيف له شواهده.

(٢) أعلام الموقعين، لابن القيم (١/ ٢٠ و٦٢).

يدين خطيئته وعدوانه، وصار هو الشرطيّ الذي يقود نفسه لتنفيذ القانون، فتراه يأتي إلى النبي ﷺ يطلب إليه أن يعاقبه لأنه زنا[1]، أو خان الأمانة، أو أهان أحداً، كما «فعل أبو لبابة **ابن عبد المنذر** حينما أرسله النبي ﷺ ليتفاوض مع بني قريظة، فسألوه: إن هم سلَّموا لرسول الله أنفسهم فما عقوبتهم، فأشار إلى حلقه (أي: الذبح) فأحس ذلك الصحابي الجليل أنه قد خان الله ورسوله ﷺ، فذهب إلى المسجد النبوي وربط نفسه بإحدى سواريه، فقال: "والله لا آكل ولا أشرب حتى يتوب الله علي أو أهلك". فبقي هكذا أياماً حتى نزلت توبته في سورة براءة (سورة التوبة) بقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ...﴿١٠٢﴾﴾»[2]؛ وكما فعل عمير **بن سعد** [حاكم مدينة حمص المسلم]، حين طلب إلى عمر [الخليفة الثاني للنبي محمد ﷺ] أن يعفيه من منصبه، لأنه حقر مواطناً غير مسلم في مجتمعه![3].

وحث الأغنياء أن يقدموا للفقراء والمحتاجين والمرضى ما يسد حاجتهم، من إقامة المشافي ودور الأيتام ودور العجزة؛ وإيجاد فرص

(١) إشارة إلى حديث ماعز، الذي أخرجه مسلم في الحدود برقم ١٦٩٥؛ وحديث الغامدية، الذي أخرجه البخاري في الحدود برقم ٦٤٢٠.

٢) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، في كتاب النكاح، باب مساواة المرأة الرجل في حكم الحجاب والنظر إلى الأجانب، برقم ١٣٩١٣؛ وإسناده حسن.

(٣) أحكام أهل الذمة، لابن قيم الجوزية (١/ ٣٥٦).

العمل للعاطلين، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه **قال**: «تخرج الزكاة من مالك، فإنها طهرة تطهرك، وتصل أقرباءك، وتعرف حق السائل والجار والمسكين... فآت ذا القربى حقه وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً»[1].. وحثهم على مساعدة فقراء الشباب على الزواج وإيجاد الأسرة الفاضلة، يقول تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النور].. وأمرهم أن يدفعوا- لهذه الأغراض الطيبة- ربع العشر من أموالهم كل عام، وهذا يسمى- في الإسلام- الزكاة.. وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة تحث على الزكاة، فمنها ما جاء عنه سبحانه واصفاً به المؤمنين، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة المؤمنون]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة النمل]، **وقوله** ﷺ: «إن من تمام إسلامكم أن تؤدوا زكاة أموالكم»[2].

و**على صعيد الوطن**، دعا الإسلام إلى العناية بحقوق الإنسان، وكفل العلم للجميع، **فقال** ﷺ: «من الصدقة أن يتعلم الرجل العلم

(١) أخرجه أحمد من حديث أنس ﷺ، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك، برقم ١٢٤١٧. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح [انظر: الجامع الكبير للسيوطي، برقم ٨٣٧].

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، عن علقمة بن ناجية الخزاعي ﷺ، باب العين، برقم ٦. وهو صحيح.

فيعمل به ويعلمه»[1]، **وقال** ﷺ: «خير الناس أقرؤهم، وأتقاهم، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم للرحم»[2].

وضَمِنَ العمل للجميع، مسلمين وغير مسلمين، ويؤيد ذلك **قول النبي** ﷺ: «ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته؛ فالإمام راع، ومسؤول عن رعيته»[3]؛ إذ يدخل في عموم هذه المسؤولية ضمان العمل للرعية، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين. فإن تعطل امرؤٌ عن العمل، قامت الدولة بسد كفايته إلى أن يجد عملاً؛ وإن صار مديناً وعجز عن سداد الدين، قامت الدولة بسداده، ولو كان ذلك المواطن غير مسلم، ويشهد لهذا مضمون كتاب الصلح، الذي أجراه خالد بن الوليد مع أهل الحيرة، وجاء فيه: "وجعلتُ لهم أيّما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طُرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام"[4]. وقد **قيل**: "إن مساعدة الذمي من

(١) أخرجه أبو خيثمة في كتابه العلم، عن الحسن ﷺ، برقم ١٣٨؛ وقال: وهو مرسل حسن الإسناد.

(٢) أخرجه أحمد، من حديث درة بنت أبي لهب رضي الله عنها، مسند القبائل، برقم ٢٧٤٧٤. وأقرؤهم: أي للقرآن. وهو ضعيف.

(٣) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، برقم ١٨٢٩.

(٤) الخراج، ص١٥٦.

بيت مال المسلمين- حال عجزه- أمرٌ قد أجمعت عليه الأمة"[1].

ونهى عن التمييز بأشكاله العنصرية، سواء أكان لونياً أم دينياً أم عرقياً؛ فالناس إخوة من أب وأم، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ...﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء]، ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ...﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الحجرات].

وضمن النبي محمد ﷺ العدل والمساواة للجميع، وارتفع بهما إلى شأوٍ لم يصل إليه أحد، لا قبله ولا بعده، حينما «أعطى العصا لشخص- وهو سواد- كان قد ضربه ﷺ عندما كان يسوّي الصفوف، **قائلاً** ﷺ له: اقتص لنفسك، وكَشَفَ له عن ردائه ليضربه، فأعطاه ﷺ حق القصاص من نفسه وبالقضيب نفسه، فما كان من ذلك الرجل إلا أن ألقى العصا، وأقبل يعتنق بطنه ﷺ ويُقبّله، قائلاً له بأنه يفديه بروحه»[2].

ورغبة من الإسلام في إقامة مجتمع سليم صحيح متعاون بصدق وإخلاص، فقد منع أن يكره الناس على عقيدةٍ ما، لأن حرية الفكر

(١) أحكام الذميين والمستأمنين، ص١٠٤.

(٢) إشارة إلى حديث سواد بن عمرو ﷺ، الذي أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، أبواب صفة قتل العمد وشبه العمد، باب ما جاء في قتل الإمام وجرحه، برقم ١٥٧٩٩؛ وهو صحيح.

والعقيدة مصونة ومحترمة في المجتمع الإسلامي، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ...﴿٢٥٦﴾ ﴾ [سورة البقرة].

وأدان الإسلام التعصب والتطرف، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ..﴿١٧١﴾ ﴾ [سورة النساء]، **وقال رسول الله** ﷺ ثلاثاً: «هلك المتنطّعون»[1]، أي: المتشددون المغالون المتعصبون.

ودعا إلى التوسط في كل شيء، في الطعام والشراب، يقول سبحانه: ﴿ ..وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ...﴿٣١﴾ ﴾ [سورة الأعراف].. وفي العبادة، فقد **قال** ﷺ: «ما أحسن القصد في الغنى، ما أحسن القصد في الفقر، ما أحسن القصد في العبادة»[2].. وفي الإنفاق، يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة الإسراء].

وكافح الإسلام الخرافة والوثنية والجهل بكل أشكاله، **قال** ﷺ: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على

(١) أخرجه مسلم، عن ابن مسعود رضي الله عنه، في كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، برقم ٦٩٥٥.

(٢) أخرجه البزار في مسنده (البحر الزخار)، عن حذيفة، برقم ٢٥٥٨. وقال السيوطي الجامع الصغير (٢/ ٢٦٥): وهو حسن. والقصد: التوسط والاعتدال في الأمور بلا غلوّ أو تفريط.

محمد»[1].. ومنع المسلم أن يقترب من المسكرات والمخدرات، لئلا يقع فريسة لها، ليكون الفرد والمجتمع معافى جسدياً وعقلياً وروحياً، فيقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [سورة المائدة]

ودعا الإسلام كل مسؤول- سواء أكان أباً أم أماً أم معلماً أم حاكماً- إلى أن يبتعد عن الظلم ويعمل بالعدل، بل بالإحسان؛ لأن المجتمع- الذي ينتشر فيه الظلم- آيل للسقوط والانهيار، فيقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [سورة النحل]، وجعل النبي محمد ﷺ «عدلَ يومٍ واحد أفضل من عبادة ستين سنة»[2].

وعلى **صعيد المجتمع العالمي**، أكد النبي محمد ﷺ الأخوَّة الإنسانية، فقد كان ﷺ **يقول** عقب كل صلاة: «اللهم ربنا ورب كل شيء: أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة»[3].

(١) أخرجه الحاكم عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب الإيمان، برقم ١٥؛ وهو صحيح.

(٢) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه ابن عساكر عن أبي هريرة ﷺ (٣٢/ ١٦٢)؛ وهو ضعيف.

(٣) أخرجه أبو داود من حديث زيد بن أرقم ﷺ، في كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا سلّم، برقم ١٥٠٨. وهو ضعيف.

ولم يتوقف الإسلام في عطائه عند الإنسان، بل دعا إلى العناية بالحيوان، ونبه إلى أن امرأة عاقبها الله بدخول النار لأنها حبست الهرة وحرمتها من الطعام[1]، وغفر لامرأة بغي لأنها سقت كلباً عطشاناً[2].

ودعا الإسلام- أيضاً- إلى العناية بالشجرة حفاظاً على بيئة نظيفة خضراء، **وقال** ﷺ: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل»[3]، أي: لو قامت القيامة وبيدك شجرة صغيرة فاغرسها... ومنع الناس أن يلقوا الأوساخ تحت الأشجار وفي الأنهار، وكان- بذلك- يريد أن لا تتلوث الأنهار ولا تمتلئ الأرض بالنفايات.

ودعا الإسلام إلى إشاعة السلام بين الجميع؛ فإن نشب خلافٌ بين فئتين أو دولتين، دعاهما إلى التصالح، ولم يسمح بنشوب الحرب بينهما.. ونهانا أن نقف مكتوفي الأيدي، ودفعنا إلى القيام بدور الوسيط، لإحقاق الحق والعدل والإنصاف، يقول سبحانه وتعالى:

---

(١) الحديث أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب المساقاة والشرب، باب فضل سقي الماء، برقم ٢٢٣٦.

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب بدء الخلق، برقم ٣١٤٣. والركي هو البئر.

(٣) أخرجه أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، برقم ١٢٩٨١، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا... ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الحجرات].

وأخيراً وليس آخراً، هلاّ درس الإنسانُ- دراسة جادة- قانونَ السماء الداعي إلى الإيمان بكل الأنبياء والمرسلين، على ضوء العقل الحكيم، والعلم النافع، لينعم إنسان القرن الحادي والعشرين بسلام السماء وعطائها، وليصير الإنسان أخاً للإنسان، فلا قضاة ولا شرطة ولا سجوناً نرى، بل تقدماً ورخاء؟

وأعتقد أنه لو وجدت **لجنة لدراسة الإسلام**- الذي حمل معه رايات الأنبياء ورسالاتهم- دراسةً عقلانية حقة، لاكتشفت أن رسالة السماء هي لبناء الإنسان والعائلة والمجتمع، بل العالم أجمع، على الفضيلة والإخاء والتراحم والمحبة.

وكلنا يعلم أن مئات المليارات تُنفق لاكتشاف ما في القمر والمريخ، فهل من الممكن عمل رحلة استكشاف لعطاءات الدين، يقودها مختصون محبون للسلام وللإنسانية؟.

وأعتقد- جازماً- أن الإنسان سيكتشف كنوزاً تسعده، لا في حياته الأرضية المؤقتة فحسب، بل ستصحبه وتسعده- أيضاً- حينما ينتقل روحياً إلى عالم السماء.

وحبذا لو أسهم الإعلام في هذا العمل الإنساني الأرضي

السماوي، فسخر قنوات فضائية تدعو إلى الخير والحكمة والعلم ومكارم الأخلاق، وتزكية النفس وتطهيرها من الرذائل وتحليتها بالفضائل، عندئذ ترضى عنا السماء، وتصير أرضنا جنة وفردوساً، نعيش فيها بكل سعادة وحبور، قبل الانتقال إلى عالم الفردوس والخلود في الدار الآخرة.

المبحث السابع

الحوار الإسلامي المسيحي
حقيقة تاريخية وضرورة اجتماعية [1]

(١) محاضرة لسماحته ضمن فاعليات ندوة الإخاء بين أبناء الرسالات السماوية المنعقدة في مكتبة الأسد بدمشق من ٢٤ إلى ٢٥/ ١/ ٢٠٠٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- العيش المشترك الإسلامي المسيحي من المسلمات العقَدية والتشريعية والأخلاقية في الإسلام.

٢- التعايش له أسس ومبادئ، وقد طبق عملياً في تاريخ الإسلام باستثناء أوقات مظلمة، ربما اعتدى فيها الأخ على أخيه بسبب الجهل بحقيقة الدين.. أو تدخل التأويلات والمصالح.. أو تدخل الغرباء لبث بذور الطائفية.

٣- قواعد التعايش تستند إلى حفظ حق مقدس، وهو "حق الكرامة الإنسانية"، بغض النظر عن ألوان الناس وأجناسهم ورسالاتهم.

٤- أعطى الإسلام غير المسلمين ضمانات واضحة تتجلى في ثلاثة أقسام:

أ- حمايتهم من أي عدوان خارجي: فالمسلمون مطالبون بحماية غير المسلمين وأمكنة عبادتهم من المعتدين الغزاة.

ب-حمايتهم الداخلية: بدفع الظلم عنهم، وحماية دمائهم وأعراضهم وأموالهم، وكفالتهم مالياً عند عجزهم عن العمل.

ج- ضمان الحريات العامة: كحرية المعتقد والدين، وممارسة الشعائر، وصون أمكنة العبادة. وكذلك حرية الفكر والتعلم. إضافة إلى حرية العمل وتولي الوظائف، والحرية الاجتماعية والاحتفال بالأعياد، والتاريخ والحضارة الإسلاميين شاهدان على تحقيق ذلك.

٥- بلاد الشام أنموذج للعالم في التعايش.. واقعاً وتاريخاً، مثل كنيسة يوحنا الكبرى في دمشق.. التي أعطى المسيحيون نصفها للمسلمين ليصلوا فيها صلاتهم.. فكنت ترى صلاتين في مكان واحد، ومثل وقوف المسلمين والمسيحيين- في المشرق- في مواجهة الحملات الصليبية القادمة من الغرب، وكذلك في وجه الاستعمار الفرنسي لسورية.

٦- إضاءات ومعالم تدفع علاقة المسيحيين والمسلمين في كل مكان نحو الأفضل:

أ- الحفاظ على التعايش الإيجابي ورفض إلغاء الآخر.

ب-طوي صفحات الجدال بينهما.

ج- مواجهة بذور التفرقة.

د- رصّ الصفوف لمواجهة الصهيونية، ومناصرة الشعب

الفلسطيني المظلوم.

هـ- مواجهة دعوات تدمير الحرية الدينية والإنسانية واستغلال الحاجات الأساس للإنسان.

و- الوحدة لمواجهة الأزمات العالمية، منها:

خطر المجاعة، الكوارث الطبيعية، الجريمة والإبادة العرقية، الفساد الأخلاقي، الأوبئة والأمراض، سباق التسلح، تلوث البيئة، الأسلحة النووية والكيمائية والبيولوجية، تردي العلاقات الأسرية، تردي العلاقات الاجتماعية، انتشار المخدرات.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المحاضرة

إن موضوع العيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين عبر التاريخ.. والعلاقة بينهما منذ أربعة عشر قرناً إلى اليوم، قضية تعد من المسلّمات العقَدية والتشريعية والأخلاقية لنا نحن المسلمين، والسبب في ذلك أن هذا التعايش قد وضع القرآن الكريم أسسه ومبادئه، وقام النبي الأكرم سيدنا محمد ﷺ بتطبيقه حياة واقعية وأمثلة عملية، ثم نهج الصحابة- من بعده ﷺ- المنهج نفسه، وانطلقت مسيرة التعايش الإسلامي المسيحي- طوال هذه القرون- متألقة، تسير من تطبيق عملي لها إلى تطبيق عملي، خلا بعض الأوقات الزمنية التي كانت علاقة التعايش فيها ترتكس نحو سلبية مظلمة، أو عصبية بغيضة، أو طائفية مقيتة، يسببها الجهل بحقيقة الرسالة السماوية، أو التأويلات المنحرفة،

أو الأهواء والمصالح والأنانيات لبعض علماء الدين، أو تدخل الغرباء الذين يسعون إلى بث بذور الطائفية، تمهيداً لاستعمار بلاد المسلمين والمسيحيين على السواء واستغلالها.

لقد وضع القرآن الكريم وسنةُ النبي محمد ﷺ قواعدَ التعايش مع غير المسلمين، ولا سيما المسيحيون منهم. وكانت هذه القواعد أسساً جلية تستند إلى حفظ حق مقدس، ألا وهو حق الكرامة الإنسانية، يقول الله- تعالى- في القرآن الكريم: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ...﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة الإسراء].. وبيّن أن الناس متساوون من جهة إنسانيتهم، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ...﴿٨﴾ ﴾ [سورة الحجرات].

وجاء في **الوثيقة الإسلامية الكبرى لحقوق الإنسان**- على لسان النبي محمد ﷺ، قبل وفاته بأشهر في حجة الوداع- **قوله** ﷺ: «إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى. أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول الله.... قال: ليبلغ

الشاهد الغائب»[1]، وكان رسول الله ﷺ يكثر من **دعائه**: «اللهم ربنا ورب كل شيء: أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة»[2].

ومن هنا، كانت الحصانة لجميع البشر، بغض النظر عن ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم ورسالاتهم السماوية، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة المائدة].

فالاحترام والتقدير للشخصية الإنسانية حقيقة جلية في نصوص الإسلام؛ فقد جاء في القرآن الكريم أن.. ﴿ ... مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ ..﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة المائدة].

كل ذلك من دون تفرقة بين لون أو جنس أو ملة. ولذلك، كان النبي ﷺ **يقول**: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا»[3].

---

(١) أخرجه أحمد من حديث أبي نضرة ﷺ، برقم ٢٤٢٠٤؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٦٦): رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه أبو داود من حديث زيد بن أرقم ﷺ، في كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا سلّم، برقم ١٥٠٨.

(٣) أخرجه مسلم، عن هشام بن حكيم بن حزام ﷺ، في كتاب البر والصلة والأدب، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق، برقم ٦٨٢٤.

فالإيذاء والاعتداء على الكرامة الإنسانية جريمة من أسوأ الجرائم في الدنيا والآخرة في ميزان الإسلام.

وقد «قام النبي ﷺ- يوماً- من مجلسه تحية واحتراماً لجثمان ميت مرت جنازته به، وقام معه المسلمون، فقيل له من باب التنبيه والتذكير: إنها جنازة يهودي، فقال ﷺ: أليست نفساً؟!»[1].

وإذا أردنا أن نتحدث-من باب التقنين وتقعيد القواعد- في الأسلوب الذي باشر به الإسلام حقيقة التعايش مع الآخرين، فنرى أن هذا التعايش ينطلق من قول الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الممتحنة]. فهذه الآية تشمل جميع أصناف الملل والرسالات، وتوجهنا إلى أن نبرهم ونصلهم ونقسط إليهم؛ لأن الله يحب المنصفين، الذين ينصفون الناس ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، ويبرون من برّهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم[2].

وكانت الضمانات لغير المسلمين واضحة في المجتمع الإسلامي، وتتجلى في ثلاثة أقسام:

(١) أخرجه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى ﷺ، في كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، برقم ١٢٥٠.

(٢) تفسير الطبري، الآية ٨ من سورة الممتحنة.

القسم الأول: حمايتهم من أي عدوان خارجي.

القسم الثاني: الحماية الداخلية لهم.

القسم الثالث: إعطاؤهم الحريات العامة.

وأما حمايتهم من الاعتداء الخارجي، فثمة قول الله تعالى: ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ...﴿٤٠﴾﴾ [سورة الحج]. فالمسلمون مطالبون بقتال المعتدين وردهم عن المجتمع الإسلامي، وحماية جميع أفراد هذا المجتمع، من المسلمين وغير المسلمين. فالصوامع والبيع والصلوات هي أمكنة العبادة لليهود والنصارى، والمساجد هي معابد المسلمين، فيجب حماية جميع هذه الأمكنة من أي اعتداء أو ظلم(١).

ويقول فقهاء الشريعة الإسلامية: "إن من كان في ذمتنا (مواطن غير مسلم أو زائر [معاهد] غير مسلم)، وجاء أهل الحرب (أعداء الوطن يريدون الاعتداء عليهم في نفس أو مال أو أي نوع من الاعتداء)، وجب علينا أن نخرج لقتال هذا المعتدي بكل الإمكانات، صوناً لمن هو في عهد الله وذمته وعهد رسوله ﷺ وذمته"(٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٢/ ٧٠).

(٢) الفروق (٣/ ١٤).

وأما القسم الآخر- وهو الحماية الداخلية- فإنه يشتمل على: حماية الدماء والأبدان، وحماية الأعراض، وحماية الأموال؛ فلقد **قال النبي** ﷺ: «ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة»(١).

وكان العلماء- على مدار التاريخ- يوصون الأمراء والخلفاء والحكام بحسن معاملة غير المسلمين، وتفقد أحوالهم؛ فهذا القاضي **أبو يوسف** يكتب إلى الخليفة هارون **الرشيد** يوصيه بتفقد أحوال أهل الذمة ورعايتهم، **فيقول**: "وقد ينبغي يا أمير المؤمنين أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ، والتقدم إليهم، حتى لا يظلموا ولا يؤذوا، ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق عليهم"(٢).

ونرى في عهد النبي ﷺ لأهل نجران النصارى حماية واضحة للأموال والممتلكات؛ فقد جاء ما نصه: "ولنجران وحاشيتها جوار الله تعالى وذمة محمد رسول الله ﷺ على أموالهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير"(٣).

(١) أخرجه أبو داود، عن صفوان بن سليم ﷺ، باب تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، برقم ٣٠٥٤؛ وهو صحيح.

(٢) الخراج، ص١٣٥.

(٣) المرجع السابق، ص٧٨.

ويكفل المجتمع الإسلامي غير المسلمين-كما يكفل المسلمين- عند عجزهم عن العمل والكسب، مثل ما يسمى- اليوم- **الضمان الاجتماعي**. وقصة الخليفة الراشدي عمر **بن الخطاب** مشهورة، عندما قدم دمشق، فوجد قوماً مجذومين من النصارى، فأمر لهم بالكفالة طول الحياة[1].

وكتب الخليفة العادل عمر **بن عبد العزيز** إلى أحد ولاته كتاباً جاء فيه: "وأما بعد: فانظر أهل الذمة فارفق بهم. وإذا كبر الرجل منهم وليس له مال، فأنفق عليه" [2].

وأما القسم الثالث- وهو **الحريات العامة**، وفي مقدَّمها الحرية الدينية والعقَدية وحق ممارسة الشعائر وصون أمكنة العبادة- فإن القرآن الكريم قد حذر من قضية إلغاء الآخر من خلال قاعدته الربانية.. ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ...﴿٢٥٦﴾ ﴾ [سورة البقرة].

ونرى في عهود المسلمين مع غيرهم ما يؤكد حقيقة هذه القاعدة، فلقد جاء في وثيقة الصلح بين رسول الله ﷺ ونصارى نجران ما نصه: "ولا يُغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا

(١) فتوح البلدان، ص١٧٧.
(٢) الطبقات الكبرى (٥/ ٣٨٠).

كاهن من كهانته، وليس عليه دَنِّيَة"[1].

وجاء في معاهدة الخليفة **الفاروق** مع أهل القدس النصارى: "هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، سقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار منهم أحد"[2].

ولعل من أروع الأمثلة على هذا التسامح الديني الرفيع- على الرغم من أنه لم يكن هناك عقد أو معاهدة- سماح النبي الكريم ﷺ لوفد نصارى نجران- المؤلف من حوالي ستين شخصاً- بدخول مسجده الشريف، وجلوسهم فيه أياماً عدة؛ آكلين شاربين نائمين. وعندما حان وقت صلاتهم قاموا متوجهين إلى المشرق ليصلوا صلاتهم المسيحية، فقام المسلمون لمنعهم من ذلك، ولكن الرسول ﷺ نهاهم عن ذلك وتركهم يصلون في طمأنينة[3].

وأما **بقية الحريات الأخرى**، فكان من أهمها حرية الفكر

(١) الخراج، ص٧٨.
(٢) تاريخ الرسل والملوك (٢/ ٤٤٩).
(٣) السيرة النبوية (١/ ٥٧٤).

والتعلم، إذ كان غير المسلمين مع المسلمين في ميدان الحياة العلمية على السواء تماماً، وأبلغ دليل على ذلك كثرة الإنتاج العلمي الذي ظهر على أيدي غير المسلمين في مجالات علمية شتى، واشتهرت أسماء علماء كثيرين من غير المسلمين كانوا يعيشون في المجتمعات الإسلامية.

ثم هناك حرية التنقل والسفر وحرية العمل والكسب وتولي الوظائف في الدولة الإسلامية، إلا ما كان منها يحمل الصفة الإسلامية الدينية البحتة، كالإمامة وغيرها.

ثم هناك بقية الحريات الاجتماعية، كالأعياد والمهرجانات.. والزيارات وحق الصلة بينهم وبين المسلمين؛ فقد «كان النبي الكريم محمد ﷺ يوصي بهم خيراً، ويزورهم ويكرمهم، ويحسن إليهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم ويعطيهم، ويتفقد أحوالهم، ويتجاوز عن مسيئهم، ويدعوهم إلى الإسلام بكل رفق ولين»[1].

وإذا أردنا أن نضيق مساحة البحث ونلقي بعض الأضواء على تاريخ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في بلادنا.. بلاد الشام.. شام الخير والبركة.. شام المحبة والصفاء، فإننا نرى أُنموذجاً تاريخياً مثالياً يجب أن نفخر به.. نحن المسلمين والمسيحيين على السواء، بل يجب أن

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠٦).

نجعل منه مثالاً يحتذى، ونطالب جميع دول العالم- التي يتعدد فيها أتباع الرسالات السماوية- بأن تدرس هذا الأنموذج الرائع من التعايش منذ اللحظة الأولى لوجودنا معاً على ساحة هذه الأرض.

إن ما حدث في مسجد رسول الله ﷺ، عندما سمح لوفد نصارى نجران أن يتزلوا في مسجده ﷺ مدة ضيافة كاملة.. تكررت صورته في كنيسة يوحنا الكبرى في دمشق، التي صارت فيما بعد الجامع الأموي الكبير. فقد رضي المسيحيون- حين الفتح- أن يأخذ المسلمون نصفها، ورضي المسلمون أن يصلوا فيها صلاتهم؛ فكنت ترى- في وقت واحد- أبناء الرسالتين الإسلامية والمسيحية يصلون متجاورين، هؤلاء يتوجهون إلى القبلة.. وأولئك يتوجهون إلى الشرق.

وإذا حدث في وقت من الأوقات أن تعرض بعض أبناء غير المسلمين لمضايقات وإساءات تخالف مبادئ الإسلام وأحكامه.. ووقع عليهم بعض الاعتداء من جانب أفراد من المسلمين أو بعض أصحاب السلطة، فإن هذه الإساءات لا تمثل الإسلام أو المسلمين ومنهج العلماء الحكماء الذين وعوا الإسلام على حقيقته. ويجب أن لا ننسى أن ظلم بعض أصحاب السلطة عبر التاريخ لم يكن منصباً على غير المسلمين فحسب، بل وقع على جميع فئات المجتمع من المسلمين وغيرهم.[1]

(١) شهادة المستشرق غوستاف لوبون في كتابه حضارة الإسلام، ص٢٣١.

والشيء المهم ذكره- في تاريخ علاقة المسلمين والمسيحيين في بلاد الشام- هو وقوفهم جميعاً في خندق واحد لمواجهة المعتدين والظالمين والمستعمرين، وكان ذلك واضحاً في الحروب الصليبية قبل ألف سنة من الآن. وتكررت الصورة عندما دخل الاستعمار الفرنسي سورية، فوقف الأستاذ فارس **الخوري** في جامع بني أمية الكبير- ضمن احتفال أقيم ضد الاستعمار الفرنسي- وخطب قائلاً: "إن مبرر وجود فرنسة في هذه البلاد هو حماية النصارى، وأنا فارس الخوري نائب النصارى أطلب الحماية منكم أيها المسلمون وأرفضها من فرنسة"(١).

إن تاريخ التعايش الإيجابي بين المسلمين والمسيحيين في بلاد الشام مستمر من قرون، ويجب أن يستمر وينمو ويصان من الطرفين، وإن أمثال هذه الندوات والحوارات واللقاءات يجب أن تثمر خيراً لجميع أبناء هذا الوطن الكريم.

ومن هنا، فإنني أضع- بين أيادي حضراتكم- هذه الإضاءات والمعالم(٢)، لعلها تدفع علاقة المسلمين والمسيحيين- في كل مكان- نحو الأفضل، وتبني مستقبلاً جديداً مشرقاً ضمن الملاحظات الآتية:

(١) المسيحيون العرب: ندوة صحفية، ص٣١.

(٢) كلمة مرتجلة لسماحته، ألقاها في حفل افتتاح السلام العالمي لممثلي قادة الدين، المنعقد في باكو في أذربيجان، في ١- ٣/ ١١/ ١٩٨٦.

أولاً: إن الواجب على المسلمين والمسيحيين- في الوطن وخارجه- أن يحافظوا على التعايش الإيجابي المشترك، القائم على الاحترام والتقدير. ومن هنا، تكون مقولة "إلغاء الآخر" مقولة مرفوضة.

ثانياً: يجب أن تطوى صحائف الجدل العقيم بين المسلمين والمسيحيين كما فعل النبي ﷺ مع نصارى نجران، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ...﴿٤٦﴾﴾ [سورة العنكبوت].

ثالثاً: يجب أن يسعى المسلمون والمسيحيون إلى مواجهة أي بذور للتفرقة والتمزق في صفوف مجتمعنا، كي لا نفسح المجال لدخيل يعيث بيننا فساداً.

رابعاً: على المسلمين والمسيحيين رص الصفوف لمواجهة الغطرسة الصهيونية، التي تغتصب الأراضي العربية.. ولا سيما القدس، وتظلم أبناء المسلمين والمسيحيين بطغيانها واستلابها للحقوق وممارستها محو الهوية التاريخية والإيمانية للأراضي العربية.

خامساً: على المسلمين والمسيحيين مواجهة أي ضغوط من أي جهة تحاول تدمير الحرية الدينية والإنسانية لأحد من أبناء الإنسانية، أو تحاول استغلال الحاجات الأساس للإنسان لتسيطر على الشعوب أو الأقليات.

سادساً: إن العالم- اليوم- يعيش في أزمات ومشكلات على أصعدة ومستويات كثيرة، فيجب أن يتوجه الجميع- ولا سيما أتباع الرسالات السماوية- نحو التفكير والعمل الجاد المشترك لحل تلك الأزمات، ومن أهمها:

آ- مواجهة خطر المجاعة في العالم، ومحاربة الفقر والجهل والتخلف.

ب- مواجهة الأخطار الطبيعية، ومساعدة المنكوبين والمتضررين من الزلازل والأعاصير وغيرها.

جـ- مواجهة الجريمة بكل أصنافها، والفتن الطائفية، وتوقيف الإبادات العرقية والدينية التي يمارسها بعضهم.

د- مواجهة خطر الفساد الأخلاقي والسلوكي، الذي يهدد الكيان الإنساني.. بدءاً بالفرد ومروراً بالأسرة وانتهاءً بالمجتمعات.

هـ- مواجهة أخطار الأوبئة والأمراض القاتلة.

و- حث الدول- التي تمتلك قدرات اقتصادية وتقنية- على أن توجه قدراتها نحو خدمة المجتمع الإنساني، ومحاولة إيقاف سباقات التسلح في العالم.

ز- مواجهة خطر محاولة بعض الدول الكبرى السيطرة- بالقوتين العسكرية والاقتصادية- على مقدرات الشعوب لاستغلالها.

ح- حماية البيئة من التلوث بكل أنواعه.

ط- العمل بكل الطاقات لمنع انتشار الأسلحة النووية، ولا سيما في منطقة الشرق الأوسط، وجعلها خالية من الأسلحة النووية.

ي- العمل على منع تصنيع الأسلحة الكيميائية والبيولوجية وانتشارها.

ك- العمل المشترك على حث الحكومات لوضع تشريعات دولية بإشراف هيئة الأمم المتحدة، لضبط البحوث العلمية التي تتعلق بتغيير الصفات الوراثية للخلية الحية والاستنساخ، والتي تتعلق- كذلك- بإنتاج الأغذية النباتية والحيوانية المهجنة والمدعومة بالهرمونات الخطِرة، ووضع القواعد الضامنة لمستقبل إنساني خال من الأخطار.

وفقنا الله- جميعاً- لما فيه خير البلاد والعباد.

المبحث الثامن

العلاقات بين أبناء الرسالات السماوية[1]

(١) كلمة سماحته التي ألقاها في محاضرته الأسبوعية في جامع أبي النور في دمشق، الجمعة ١٢/ ١٠/ ١٤١٩هـ الموافق لـ ٢٩/ ٩/ ١٩٩٩م، بحضور: الدكتور جورج كيري [رئيس أساقفة كَنْتربري] والوفد المرافق له، وسفير المملكة المتحدة بدمشق، وعدد من أعضاء مجلس كنائس الشرق الأوسط، وعدد من السادة علماء الدين الإسلامي، وحشد غفير من المستمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- يجب أن تتناسب النتائج مع مستوى التعاون بين أصحاب الرسالات السماوية.

٢- هدف الرسالات السماوية تربية الإنسان روحياً ومادياً وفكرياً، ليصير ركيزة بناء المجتمعات المتحضرة.

٣- الرسالات السماوية- في أصولها- جاءت لتحرر عقل الإنسان، لا لتناقضه. ولذا، أمرته بما ينفعه، ونهته عما يضره.

٤- مفتاح السلام المنشود في العالم يكون بالعودة إلى أصول رسالات السماء، التي دعت إلى السلام بين الإنسان وربه.. وبين الإنسان وأخيه الإنسان.. وإلى المحبة والتعاطف.

٥- جميع الرسالات السماوية دعت إلى العفو والتسامح ومحاربة الظلم.

٦- الرسالات السماوية لا يلغي بعضها بعضاً، بل أتت كل رسالة مصدقة لما قبلها، وممهدة لما بعدها، والقرآن مجمع رسالات السماء كافة.

٧- تعاليم السماء تحقق الرحمة والنجاح للناس إن وجدت بحقيقتها، كماء السماء ينفع الناس إن بقي نقياً.. ويضر إن اختلط بالأوساخ.

٨- حرصاً من النبي محمد ﷺ على بقاء الإيمان نقياً، دعا إلى تجديد الدين كل مئة سنة، على نحو ينفي التحريف والتأويل. ولذا، على قادة الرسالات السماوية الاجتماع في مؤتمرات دولية تعيد الدين إلى أصالته، وتنصف المظلومين.. ولا سيما قضية فلسطين، وبذلك يتحقق السلام.. بل الإخاء والرحمة.

٩- معاناة العالم خلال القرن العشرين.. وإشعال الحروب.. وظهور التناقضات والاختلافات، جعلت الإنسان يقر أن الدين النقي الأصيل هو الحل لمشكلاته. ولذا، على قادة العالم بذل الجهد لجعل القرن القادم (الحادي والعشرين) قرن الإيمان المؤدي إلى التآلف والتعاون والحوار.

١٠- دعوات بعض الغربيين- كالأمير **تشارلز**، ووزير الخارجية البريطاني روبن **كوك**- إلى فتح حوار بين الإسلام والغرب، وعدم اعتبار الثقافة الإسلامية غريبة عن الحضارة الإنسانية.. بل أسهمت فيها إسهاماً عظيماً. وبذل الجهد في إنهاء سوء التفاهم بين الإسلام والغرب يفتح باب الأمل بمستقبل جديد للعلاقات الإيمانية الإنسانية.

١١- هذا الأمل بمستقبل جديد يقف في وجهه سياسات الحكومات الغربية تجاه العالم الإسلام، وكيلها بمكيالين.. ولا سيما في قضية فلسطين.

١٢- نحن دعاة سلام، ولكن نرفض اغتصاب أراضينا وهدر حقوقنا. وعلى قادة الرسالتين- الإسلامية والمسيحية- العمل معاً على جعل القدس مدينة السلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المحاضرة

يجب أن يكون للقاء الكبير ثمرة كبيرة، ويجب أن تتناسب مع مستوى أصحاب اللقاء.

لقد جاءت الرسالات السماوية لتعمل على تربية الإنسان وإعداده إعداداً صحيحاً: روحياً ومادياً وفكرياً، ليصير هذا الإنسان الركيزة الفاعلة في بناء المجتمعات الإنسانية المتقدمة المتحضرة. ولذلك، أوصته الرسالات السماوية بكل ما ينفعه، ونهته عن جميع ما يضره.

لقد أتت رسالات السماء- بأصالتها- لتحرر عقل الإنسان، وتحوله إلى عقل متنور ناضج. لم تأت هذه الرسالات لتتناقض مع العقل والحقيقة، بل أتت لتنسجم معها وتنميها وتنصرها.

وإذا كانت شعوب العالم تتطلع إلى تحقيق السلام العالمي، فإن جميع رسالات الأنبياء تأسست على بناء السلام بين الإنسان وربه، وبين الإنسان والإنسان.

فالله- تعالى- يقول بحق محمد ﷺ.. ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [سورة الأنبياء]، وهذا سيدنا **محمد** ﷺ **يقول** في وصاياه: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[1].

ويقول الله- تعالى- في القرآن الكريم: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ... ٢٥ ﴾ [سورة يونس]. والإسلام جعل تحية الناس بين بعضهم دعوة للسلام والرحمة، والنبي محمد ﷺ يدعو إلى بذل السلام.. وهذا سيدنا **عيسى** المسيح عليه السلام **يقول**: "طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون، طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله، طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدعون"[2].

والإسلام والمسيحية يدعوان الناس إلى المحبة والتعاطف والتعاون؛ فهذا سيدنا **محمد رسول الله** ﷺ **يقول**: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب

(١) أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، في كتاب البر والصلة، باب رحمة المسلمين، برقم ١٩٢٤، وقال: حسن صحيح.

(٢) إنجيل متى (٥: ١-١٠).

لأخيه ما يحب لنفسه»[1].. وهذا سيدنا **عيسى** عليه السلام **يقول**: "وصية جديدة أنا أعطيكم: أن تحبوا بعضكم بعضاً"[2]، **ويقول** عليه السلام: "كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس، وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه"[3].

وجميع الرسالات السماوية دعت إلى العفو والتسامح ومحاربة الظلم؛ فهذا الإسلام يدعو إلى محاربة الظلم، فيقول الله- تعالى- في الحديث القدسي: «يا عبادي: إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»[4]، **والنبي محمد** ﷺ **يقول**: «خير الناس أنفعهم للناس»[5].. وجاء في وصايا بولس: "فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الإخوة، ولكنه لا تصيّروا الحرية فرصة للجسد، بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً"[6].

(١) أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم ١٣.

(٢) إنجيل يوحنا (١٣: ٣٤).

(٣) في رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح الثالث(١٥).

(٤) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه، في كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، برقم ٦٧٣٧.

(٥) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٢٢٣)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو حسن لطرقه.

(٦) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية (٥: ١٣).

والنبي محمد ﷺ **يقول**: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»[١].. وجاء في إنجيل لوقا: "من له ثوبان فليعطِ من ليس له، ومن له طعام فليفعل هكذا"[٢]، وفي إنجيل متى: "ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم وخسر نفسه؟"[٣].

والحقيقة إن الإسلام لم يأت ليلغي الرسالات السماوية التي سبقته، وإنما جاء مجدداً ومتمماً لها؛ فالله- تعالى- يقول في القرآن الكريم: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾ [سورة البقرة]، ونبينا **محمد** ﷺ **قال**: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسَنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويَعجَبون له، ويقولون: هلاّ وُضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتِم النبيين»[٤]، وإلى هذا أشار سيدنا **المسيح بقوله**: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل"[٥].

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، عن أنس ﷺ، برقم ٧٥١، بسند حسن.
(٢) (٣: ١١).
(٣) (١٦: ٢٦).
(٤) أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، برقم ٣٥٣٥.
(٥) إنجيل متّى (٥: ١٧).

وقال ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة. قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد فليس بيننا نبي»[1].

وهكذا، لم يأتِ المسيح ليهدم رسالة موسى عليهما السلام، ولم يأت محمد ﷺ ليجرد المسيح عليه السلام من رسالته. فكل نبي أتى مصدقاً لمن سبقه، والنبي السابق أتى ممهداً لمن بعده. والقرآن هو مجمع رسالات السماء كافة، ودعوة إلى الإيمان بكل أنبياء الله، فالأنبياء جميعاً تخرجوا في مدرسة واحدة ومعلمهم واحد وهو الله جلَّ جلاله.

لقد نزلت الرسالات السماوية لمصلحة الإنسان، والله- تعالى- يقول في القرآن مخاطباً محمداً ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء]، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «إنما خلقت الخلق ليربحوا علي، ولم أخلقهم لأربح عليهم»[2]. فهكذا تعاليم السماء تحقق الرحمة للناس والنجاح، فإذا وُجد الإيمان بحقيقته، فإنه كماء السماء عندما يترل نقياً منها، يُعطي الحياة للإنسان، وأما إذا

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، برقم ٦٢٨١. والعلات الإخوة لأب.

(٢) لم يقف له الحافظ العراقي على أصل كما قال في تخريجه أحاديث الإحياء (٦/ ٥٤)؛ وجاء في قوت القلوب في معاملة المحبوب- لأبي طالب المكي- أنه من الأخبار (١/ ٣٦٦).

اختلط بأوساخ الناس، فإنه عوض الصحة يعطي المرض، وعوض الحياة يُعطي الهلاك.

ولذلك، فإن نبينا محمداً ﷺ يدعو إلى إعادة النظر في الدين كل مئة سنة، **بقوله** ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة- على رأس كل مِئة سنة- من يجدد لها دينها»[1]، وذلك بتوجيه من الله تعالى، وحرص من النبي محمد ﷺ على بقاء الإيمان نقياً ناصعاً؛ لأن الزمن يغير طبائع الأشياء ويطمس أحياناً حقائقها.

وإن مهمة المجددين للدين حددها النبي محمد ﷺ بقول: «يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[2].

وهكذا، فإننا- نحن علماء الدين- نتحمل مسؤولية كبيرة في إعادة الدين إلى أصالته، التي يحبها الإنسان وينسجم معها العقل. علينا أن نقوم بواجبنا في إعادة الدين كما دعا إليه أنبياؤنا بحقيقته وجوهره، ننفي عنه تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين؛ فلا يصح

(١) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب الملاحم،، باب ما يذكر في قرن المِئة، برقم ٤٢٩١؛ وهو صحيح.

(٢) أخرجه الديلمي في فردوسه عن ابن عمر رضي الله عنهما، باب الياء، فصل ما لم يسمّ فاعله، برقم ٩٠١٢؛ وهو صحيح.

أن يبقى على سطح الأرض إنسان جائع والنبي **محمد** ﷺ **يقول**: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»[(١)]، ولا يصح أن يبقى على الأرض جاهلاً والنبي **محمد** ﷺ **يقول**: «ليس منّي إلا عالم أو متعلّم»[(٢)]، ولا يصح أن يُهزم الحق وأن ينتصر الباطل وأن يُظلم إنسان والنبي **محمد** ﷺ **يقول**: «إن لصاحب الحق مقالة»[(٣)]. فهلا كنتم مع صاحب الحق؟ وها هو **عمر** خليفة المسلمين يخاطب أحد أمرائه **قائلاً**: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"[(٤)].

ولذلك، فعلينا نحن **علماء الدين في العالم أن نجتمع دورياً، ضمن إطار مؤتمر دولي يعمل على إعادة الدين إلى أصالته؛ لأن الدين من منبع واحد**. وعلينا أن نؤدي- خاصة- نصيبنا لنصرة المظلومين في العالم، ولا سيما حماية القدس ونصرتها وحماية مقدساتها، ونصرة الشعب الفلسطيني، الذي عانى ظلماً واسعاً خلال القرن العشرين؛ إذ

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، عن أنس ﷺ، برقم ٧٥١، بسند حسن.

(٢) أخرجه الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما، باب اللام، برقم ٥٢٧٩.

(٣) وهي من قصة إسلام زيد بن سعنة ﷺ: «فإن رسول الأمة ﷺ لما جذبه اليهودي زيد من ردائه حتى أثر في عنقه، وقال: أعطني يا محمد، فإني ما عهدتكم آل هاشم إلا مطلاً، وأراد عمر أن يبطش به، فقال ﷺ: دعه، فإن لصاحب الحق مقالة» [أخرجها الطبراني في الكبير، باب الزاي، زيد ابن سعنة توفي في غزوة تبوك، برقم ٥١٤٧، وقال الهيثمي: ورجاله ثقات (٨/ ٤٣٣)].

(٤) تاريخ عمر، لابن الجوزي، ص١٢٠.

هُدمت بيوت الفلسطينيين، وصودرت أراضيهم، وشُردوا في أنحاء العالم، وإن الله- تعالى- لا يرضى عن عالمٍ لا يُناصر فيه المظلوم.

فإذا قمنا- نحن علماء الدين- بواجبنا، فسيتحقق للعالم ما هو أهم من السلام، سيتحقق للعالم الإخاء والرحمة.

وأرجو أن يكون هذا اللقاء البذرة الطيبة، التي ستنبت شجرةً أصلها ثابت وفرعها في السماء، ويكون ثمرها الخير والبركة والسلام والعدل، لا لشعبينا فقط، بل لجميع شعوب العالم، وهذا لا يساعد على تحقيق السلام وإيقاف الحروب فقط، بل سيساعد الإنسان على التخلص من المرض والجهل والتخلف وجميع المشكلات التي يعانيها.

لقد عانت الإنسانية- خلال القرن العشرين- صراعات هائلة أدت إلى إشعال حربين عالميتين، وقتل عشرات الملايين من الناس، وتدمير الكثير من المدن والمنشآت الحيوية، وتطوير أسلحة الدمار الشامل، ومزقت العالم التناقضات الفكرية والاختلافات القومية والعرقية والمادية والفلسفية، وكان الدين في هذه الصراعات مستبعداً عن الساحة الإنسانية. ووصل الإنسان إلى نهاية القرن العشرين ليجد أن الفكر والاعتقاد الذي يصلح للإنسانية هو الدين الذي أنزله الله تعالى- خالق الإنسانية- إلى عباده. وجميع الرسالات السماوية ذات مصدر واحد وهدف واحد، والقرن القادم (الحادي والعشرون) إنما هو قرن

الإيمان. وعلى جميع المسؤولين في العالم- وعلى رأسهم علماء الدين- أن يبذلوا الجهد المخلص لجعل القرن القادم قرن تآلف وحوار وتعاون بين أتباع الرسالات، لا أن يجعلوه قرن صراع وتناقض فيما بينهم.

كم كان سرورنا بالغاً عندما سمعنا الأفكار التي دعا إليها الأمير **تشارلز** ومن بعده وزير الخارجية البريطاني روبن **كوك**، عندما أكّدا ضرورة فتح حوار جديد بين الإسلام والغرب، وأن ثقافة الغرب مدينة للإسلام بدَيْن يجدر بالغرب أن لا ينساه، وأن الشيء الكثير من أسس حضارتنا يعود الفضل فيه إلى الإسلام، وأن من أكبر الأخطاء التي يمكن للغرب أن يرتكبها هو الظن أن الثقافة الإسلامية شيء غريب عنه.

وكذلك أكّدا أن الثقافتين الإسلامية والمسيحية متداخلتان، وبينهما قواسم مشتركة عبر التاريخ، ويجب أن تبقيا هكذا؛ وأن في بريطانية مجتمعاً إسلامياً مزدهراً؛ وأن فيها ٩٠٠ مسجد؛ وأن فيها أكثر من مليوني مسلم يسهمون إسهاماً كبيراً في المجتمع البريطاني.. وسائر المجتمعات الغربي، ويؤدون دوراً كبيراً في الحياة بمناحيها الثقافية والسياسية والاقتصادية.

وكذلك أكدا أنه يجب أن لا ندع سوء التفاهم بين الإسلام والغرب يستمر ويتواصل، وأنه في عالم اليوم ليس لدينا أي خيار أوفر من العيش معاً متآزرين بالسلام لمواجهة التحديات الأخلاقية والبيئية والاقتصادية، وأن

هناك قدراً كبيراً من المعارف يمكننا أن نتعلمه بعضنا من بعض.

وإذا كان ينتابنا من هذه الدعوات والتصريحات السرور والأمل بمستقبل جديد للعلاقات، فإن الذي يقف عائقاً كبيراً تجاه هذا الأمل هو السياسات العملية، التي تنتهجها الحكومات الغربية عامة تجاه العالم الإسلامي، ولا سيما تجاه قضيته المركزية في فلسطين. فالعالم الإسلامي لا يستطيع أن يغمض عينيه عن الدعم المطلق، الذي يحظى به الكيان الإسرائيلي من الغرب، ويرى- على نحو واضح- كيف تتدفق الأسلحة ومليارات الدولارات على إسرائيل، على حين أنها تتمرد على عشرات القرارات الدولية الصادرة عن مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة، ناهيك عن الإهانات التي توجهها إلى الساسة الأمريكيين والبريطانيين.

كل هذا.. إضافة إلى سياسة الكيل بمكيالين والمواقف غير المنطقية والمعادية للأمة الإسلامية في معظم الأحيان، يؤدي إلى تدمير جميع الجسور.. التي يحاول أن يقوم ببنائها المخلصون في العالم الإسلامي والعالم الغربي.

إننا دعاة سلام وتسامح، نريد حياة كريمة لأنفسنا وللآخرين، ولكننا نرفض- على نحو قاطع- أن تغتصب أراضينا، وأن تهدر حقوقنا، وأن تنتهك مقدساتنا.

إن مقدسات المسيحيين والمسلمين في القدس تُنتهك يومياً، وعلى علماء الرسالتين الإسلامية والمسيحية أن يعملوا- معاً- على أن تكون القدس مدينة السلام وعاصمة لأصحابها الفلسطينيين، وعليهم- أيضاً- أن ينسقوا الجهود حتى تسود قيم العدالة والحرية والمساواة بين الشعوب التي تدعو إليها رسالات السماء.

إن الرسالات السماوية دعت إلى حقوق الإنسان، ولم تأتِ لترجع بالإنسان إلى الوراء، بل لتجعله متقدماً متنوراً سعيداً، والذين يدَّعون خلاف هذا يكذبون على الدين. ولو أن قادة الرسالات السماوية قاموا فأعادوا الدين إلى أصله، ونبذوا ما لحق به مما ليس منه، فإننا سنجد أن العالم سيتحد.. ويتحول إلى عالم واحد تحت ظلال الإيمان بالله تعالى.

المبحث التاسع

الإسلام شفاء للإنسانية ورحمة للعالمين[1]

(١) كلمة سماحته في مؤتمر السلام من أجل الإنسانية في فيينة في النمسة، في عام ١٩٧٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- هدف رسالات السماء سعادة الإنسانية جمعاء، في الحياة وبعد الممات. ولذلك، أمرت بما ينفعهم.. ونهت عما يضرهم، وأوصت الناس بعضهم ببعض، وجعلت محبة الله- تعالى- للمؤمنين الذين ينفعون الناس بصرف النظر عن لونهم أو عرقهم أو عقيدتهم.

٢- مهمة الرسالات السماوية تربية الأفراد والجماعات لتجنب الإساءة إلى أي إنسان، ولهذا تشابهت الرسالات السماوية في دعوتها إلى توحيد الله وتربية مخلوقاته وحثهم على الفضائل.

٣- جاءت الرسالات السماوية متمماً بعضها بعضاً.. إلى أن ختمها الله- تعالى- برسالة محمد ﷺ المتممة المصدِّقة.

٤- الله- تعالى- أرسل برامج مع الرسل، غطت شؤون الحياة

الإنسانية بما يصلحها، وهي كالدواء الذي يحتاج إلى طبيب ماهر حكيم لتُضْمَن نتائجه المرجوة في الشفاء.

٥- جربت الإنسانية نظريات الفلاسفة، ولكنها لم تشبع حاجاتها، أو بقيت نظريات؛ وأما رسالات السماء- المتوَّجة برسالة الإسلام- فوافقت الحاجات المادية والروحية للبشر، فنجحت في بناء المجتمعات.

٦- إن جفاف ينابيع الروح عند علماء الدين أفقد رسالاتهم بريقها، وهذا جعل الإنسان ينغمس في الماديات والملذات، ما أدى به إلى الضياع والخسران؛ فراح يبحث عن مصادر السعادة الحقيقية في الدين الحقيقي، بعد أن أدرك أن الرسالات السماوية من مصدر واحد.. وأن القرآن اشتمل على خلاصتها، وصحح ما حُرِّف فيها؛ فهو لم يلغِ ما سبقه، بل جدَّده وأحياه. وسمي دين الله الداعي إلى التوحيد الإسلام، بمعنى الاستجابة لله، وهو دين شفاء للإنسانية، ولكن الجسم المريض لا يقبل الغذاء النافع. ولذا، بمقدار ما يكون رقي النفس الإنسانية يكون انتفاعها بدواء القرآن.

٧- ولما كان الإسلام اشتمل على معظم ما جاءت به الرسالات السماوية، فإننا نعرض برامجه، التي فيها شفاء للإنسانية، وهي على ثلاثة مستويات:

آ- من برنامجه على مستوى الأفراد والصحة العامة:

- أحل الطيبات، وحرم الخبائث.. كالميتة والدم ولحم الخنزير.

- أحل الزواج، وحرم الزنا والشذوذ.. تجنباً للأمراض.
- حافظ على العقل، فحرَّم الخمر والمخدرات.
- نهى عن الإسراف في الطعام والشراب.

ب- من برنامجه على مستوى المجتمع:

- حرص على تماسك المجتمع، بدءاً من الأسرة.. فنظم العلاقة بين الزوجين، وبين الآباء والأولاد.
- ضمن التكافل الاجتماعي، من باب الزكاة.. ومساعدة الجائع.. والإيثار، مبيناً آداب الإنفاق.. والتعامل مع المال.
- حث على صلة الأرحام مادياً ومعنوياً.
- أوصى بالجار مادياً ومعنوياً.
- أقام العدل والمساواة في الحقوق والواجبات.
- حث على العلم، لأن الجهل عدو الازدهار والأمن والسلام.
- حرص على ضمان صحة المجتمع، وتخلصه من الأمراض بأنواعها:

- الأمراض الجسمية: دعا إلى الوقاية. ودراسة الطب والتداوي.
- الأمراض الروحية والنفسية: بيّن أعراضها وطرق معالجتها.
- الأمراض الأخلاقية: أوضح أعراضها وطرق معالجتها.
- الأمراض الاجتماعية: أظهر أعراضها وطرق معالجتها.

- شرع مبادئ سلوكية تقوي روابط المجتمع، مثل: الكلمة

الطيبة، والتحية والاستئذان، ولباقة الحديث، والتجمل وحسن المظهر.

ج- ومن برنامجه على مستوى الدولة:

- نقل الشعوب من الحروب والصراعات إلى السلام والأخوة الإنسانية.
- نقل المجتمعات من التمزق والأنانية إلى الوحدة والإيثار.
- نقل المجتمعات من التعصب الديني إلى حرية العقيدة.
- ضمن حقوق الإنسان.. واحترامه، ولو كان على غير دين الإسلام.
- طبق الأحكام على الجميع بمساواة وعدل، ولو كانوا من الشرفاء والحكام وأبنائهم.

٨- إن نهج النبي محمد ﷺ- مع توفّر وسائل **الاتصالات** الحديثة- يوحد العالم في دولة الإخاء والسلام.

٩- لا بد من **لجنة حكماء**.. من علماء رسالات السماء، تتعاون لتحقيق السلام في العالم.

١٠- وعن الحضارة الإسلامية وأثرها في العالم، نرى أنها:

أ- كانت أمينة على الحضارات التي سبقتها.

ب- جددت الحضارات القديمة، وصححت ما ورد فيها من زيف. والمسلمون لم يكونوا جسراً فقط، كما ادعى بعض المستشرقين.

ج- ذات تراث عظيم؛ بل إنها أكبر تراث على وجه الأرض.

د- لم يحجب العرب حضارتهم عن أحد، كما يفعل الغرب اليوم في موضوع التقنية (التكنولوجية) المتطورة.

هـ- انتقلت قيم ومبادئ الحضارة الإسلامية إلى أوربة عن طرق ثلاث:

١- الأندلس: حيث درست بعثات أوربية في الأندلس، وترجمت الكتب العربية إلى اللاتينية.

٢- الحروب الصليبية: حيث نقل الأوربيون- من بلاد الشام ومصر- الكتب والأدوات والمحاصيل والحرف إلى بلادهم، ودرّسوا تلك الكتب في جامعاتهم، على الرغم من الإساءة التي أحدثوها في تراثنا في بداية هجومهم.

٣- صقلية وجنوب إيطالية: حيث شجع روجَر **النُّرْمَنْدي** العربَ المسلمين على البقاء في صقلية، وترجم كتبهم وما حوته من العلوم.

و- نُقلت إلى أوربة على نحو ناقص، لأن الأوربيين نقلوا الجانب المادي من الحضارة الإسلامية.. وأهملوا الجانب الروحي الإنساني فيها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص المحاضرة

أرسل الله الرسل، وأنزل عليهم الكتب السماوية رحمة بالإنسانية، من أجل سعادتها في هذه الحياة، ومن أجل راحة كل فرد وسعادته بعد موته. ولذلك، أوصى بكل ما ينفعهم، ونهى عن جميع ما يضرهم، وأوصى أفراد الخليقة بعضهم ببعض، وجعل محبته مكافأة لكل من ينفع خليقته، **يقول سيدنا محمد** ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس»[1].

والإنسان الخام الذي لم تصقله التربية ولم يستقر الإيمان في قلبه، تصدر عنه أعمال كثيرة يسيء بها إلى نفسه، ويضر بها مجتمعه. ولذلك، جاءت الرسالات السماوية لتلافي مثل هذا الخطر؛ بالسعي إلى تربية

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٢٢٣)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو حسن لطرقه.

الأفراد والجماعات، كي يصيروا أعضاء نافعين لأنفسهم ومجتمعاتهم. ولما كانت علة نقص التربية واحدة في جميع المجتمعات، وفي جميع العصور، وعند جميع الأجيال، تشابهت الرسالات السماوية في كونها عقيدة توحيد لله، وتربية لمخلوقاته، وحثت على القيم والفضائل.. ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ...(١٣) ﴾ [سورة الشورى].

فكان كل نبي يأتي ليتمم ويكمل رسالة من سبقه من الأنبياء، وكان النبي محمد ﷺ اللبنة الأخيرة التي اكتمل بها بناء الدين، مصداقاً لقول الله- تعالى- في القرآن الكريم: ﴿... ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ... (٣) ﴾ [سورة المائدة].

ولحديث النبي ﷺ: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسَنه وأجمله، إلا موضع لبنةٍ من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويَعجَبون له، ويقولون: هلاّ وُضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتِم النبيين»[1].

وأما الشرائع فقد اختلفت باختلاف الأزمان يقول تعالى:

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، برقم ٣٥٣٥.

﴿ ... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ... ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة المائدة]، والجميل أن الله ﷻ وضع لمخلوقاته على لسان أنبيائه برامج غطت جميع شؤون حياتهم يقول تعالى: ﴿ ... مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ... ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة الأنعام]، لكي تستقيم أمور هذه الحياة، ومن ثم تستقيم أمور المجتمعات، فالله خالق الإنسانية وهو أعلم بما يُصلحها.

وهذه البرامج أشبه بالأدوية التي تملأ الصيدلية، ولكن لا فائدة منها إلا إذا كان هناك الطبيب الحاذق الذي يُشخِّصُ علة كل مريض، ويصف الدواء المناسب، وتوصيات الله لعباده في تلك البرامج هي أدوية الأجسام والنفوس والقلوب والعقول عند بني البشر، وهي بحاجة إلى العالم المربي الحكيم الذي يزكي النفوس والقلوب كي تُخيِّم السعادة على الجميع، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ... ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة الإسراء]. وقد حاول كثير من المفكرين والفلاسفة أن يقدموا للإنسانية أفكاراً ونظريات من أجل صلاح الناس وتنظيم حياتهم، ولكنها كانت- في معظمها- تهتم بالحياة المادية، من دون العناية بالحياة الروحية. وقد ثبت- مع مرور الأيام، وبالتطبيق العملي- عدم كفاية تلك الأفكار لإشباع حاجات الناس أو عدم ملاءمتها للطبائع، فظلت حبيسة النظريات واندثرت وتلاشت، في الوقت الذي كانت الرسالات السماوية المتمم بعضها بعضاً والمتوَّجَةُ

برسالة الإسلام متوافقة مع الحاجات المادية والروحية للبشر، متكاملة في طرائقها، لأنها تعتمد على بناء الفرد أخلاقياً وروحياً وتربوياً، وتأمره أن يفتح عقله في الحياة على الآفاق العلمية والاقتصادية والصناعية، وتجعله يتأمل ويتفكر في نفسه، يقول تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [سورة الذاريات]، ويتأمل في كونه المحيط به يقول تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ...١٠١﴾ [سورة يونس]، وبذلك يتم له التوازن بين حاجات الروح والجسد في الدنيا والآخرة يقول تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ...٧٧﴾ [سورة القصص] و**قال** سلمان لأبي الدرداء رضي الله عنهما: «إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعطِ كل ذي حقٍّ حقه، فقال رسول الله: صدق سلمان»[1].

إن جفاف الينابيع الروحية عند كثير من الذين تصدوا لعملية التربية والتوجيه والتزكية، أفقدت الإنسان متعة الحياة الروحية، وجعلته يبحث عن المتع في ظل الحضارة المادية، من انغماس في شرب الخمر، ولعب القمار، وتعاطي المخدرات، وممارسة الجنس غير المشروع، من دون أن تروي ظمأه للسعادة الحقيقية، بل زادته شقاءً وتعاسة بما جلبت

(١) أخرجه البخاري، عن أبي جحيفة في كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له، برقم ١٨٦٧.

له تلك الملذات من خسائر في المال والصحة والسمعة والضياع والأمراض يقول عز وجلَّ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ...﴿١٢٤﴾ ﴾ [سورة طه].

وأخذت كثير من المجتمعات التي تعيش في أتون تلك الموبقات تستيقظ على هول ما صارت إليه، وتسعى إلى البحث عن مصادر السعادة الحقيقية في الدين، وأخذ الكثير يدرك أن الرسالات السماوية هي من مصدر واحد، وذات هدف واحد هو سعادة الإنسان الذي هو ركيزة بناء المجتمع السليم.

والقرآن الكريم- وهو الكتاب السماوي الأخير الذي اشتمل على خلاصة ما جاءت به الكتب السابقة وما نادى به الأنبياء- وصفه الله ﷻ بأنه بصائر للناس يعينهم على كشف حقائق الأمور وينفي باطلها يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ... هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ [سورة الأعراف].

والقرآن الكريم كتاب توحيد لله يدعو إلى دين الإسلام فهو يقول: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ...﴿١٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران]، أي: الاستجابة لله، لا التسمي باسم الإسلام والتوقف عند اللقب به، وهو دين شفاء الإنسانية يقول تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ

لِّلْمُؤْمِنِينَ...﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة الإسراء]، ودين الرحمة للعالمين يقول عز وجلَّ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴿١٠٧﴾ ﴾ [سورة الأنبياء]، ولكنه في الوقت نفسه.. ﴿ ... وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة الإسراء]؛ فكيف يمكن للقرآن أن يكون داءً ودواءً في وقت واحد؟

سنضرب لذلك مثلاً: فالطعام مصدر غذاء للجسم السليم يهضمه ويحوله إلى طاقة، على حين يرفضه الجسم المريض وربما لا يقوى على تناوله. وكذلك، كلما ارتقت النفس الإنسانية وخلصت النوايا، كانت أكثر انتفاعاً بأنوار القرآن ومعانيه، فيكون فيه شفاءٌ من كثير من أمراض النفس والقلب، والله تعالى يؤكد أن القلوب تمرض فيقول تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ...﴿١٠﴾ ﴾ [سورة البقرة]. ومن هذه الأمراض، الأهواء والوسوسة والقلق والاكتئاب والحسد والبغض. وفي القرآن- أيضاً- شفاء من الطمع والحسد، وعصمة للعقل من الشطط في التفكير، وإطلاق الحرية له في المجالات المثمرة ضمن منهج سليم، بالإكثار من التذكير والتبصير والتقويم والتوجيه.

ويدعو الإسلام والقرآن الكريم إلى إحياء الرسالات السماوية المصفاة وتجديدها بالعودة إلى أصولها.

فقد أرسل النبي محمد ﷺ حاطب ابن أبي بلتعة رضي الله عنه رسولاً إلى

حاكم مصر المقوقس ليدعوه إلى الإسلام، فكان مما قاله ذلك الرسول للمقوقس: "لسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به"، فقال المقوقس: "نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه"(١).

وفي حوار بين ملك البحرين، وبين موفد النبي محمد ﷺ إليه، قال ملك البحرين: "قد نظرت في هذا الأمر الذي في يدي فوجدته للدنيا من دون الآخرة، ونظرت في دينكم فرأيته للدنيا والآخرة، فما يمنعني قبول دين فيه أمنيةُ الحياة وراحة الموت، ولقد عجبت أمس ممن يقبله، وأعجب- اليوم- ممن يردُّه"(٢).

وما دام القرآن الكريم قد اشتمل على معظم ما جاءت به الرسالات السماوية، فدعونا نعرض برامجه التي فيها شفاء للإنسانية ورحمة للعالمين.

(١) زاد المعاد، لابن قيم الجوزية (٣/ ٦٩١).

(٢) الروض الأنف، للسهيلي (٢/ ٢٥٠). علماً أنَّ الذي بعثه النبي ﷺ إلى البحرين هو العلاء **بن الحضرمي**، وقد كتب لله على يديه إسلام ملك البحرين المنذر **بن ساوى**.

أولاً: على صعيد الأفراد والصحة العامة:

دعا الإسلام إلى عدم الإفراط في تناول الطعام والشراب يقول تعالى: ﴿ ... وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ... ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة الأعراف]، **وقال رسول الله** ﷺ: «ما ملأ آدمي شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنَفَسِه»[1]، وحارب الرسول ﷺ البدانة والسمنة لما فيها من أضرار على القلب والعمود الفقري والمفاصل؛ فقد رأى رجلاً تدلى بطنه أمامه، فأشار ﷺ إليه **وقال**: «لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك»[2].

هذا وقد أحل الإسلام الطيبات من الغذاء، وحرّم الخبائث منه يقول تعالى: ﴿ ...وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ... ﴿١٥٧﴾ ﴾ [سورة الأعراف]. ومن الخبائث: الميتة والدم ولحم الخنزير يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ ...﴿١٧٣﴾ ﴾ [سورة البقرة]، وأمر بذبح الحيوانات والطيور كي تتخلص من الدماء يقول رسول الله ﷺ: «إنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا

(١) أخرجه الترمذي، عن مقدام بن معدي كرب ﷺ، في كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، برقم ٢٣٨٠؛ وقال: حسن.

(٢) أخرجه أحمد، عن جعدة الجُشمي ﷺ، مسند المكيين، برقم ١٥٩٠٧، وإسناده ضعيف.

القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحدَّ أحدكم شفرته، فليُرِح ذبيحته»[1]، والثابت طبيّاً أن الدم مستودع لأمراض الجسم.

ومحافظةً على الصحة العامة للإنسان، أحل الله له الزواج، **قال رسول الله** ﷺ: «يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج؛ ومن لم يستطع، فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»[2]؛ ودعاه إلى الامتناع عن الزنا والشذوذ الجنسي لوقايته من الأمراض الجنسية؛ فيقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة الإسراء]، وقد أثبت العلم المعاصر صحة تحذير القرآن الكريم من الزنا، وأيُّ سبيل أسوأ من سبيل انتهاء الزاني إلى مرض الإيدز، الذي يعرف الجميع خطورته على الإنسانية والحياتين الاجتماعية والنفسية.

ودعاه إلى اجتناب المسكرات والمخدرات يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ

(١) أخرجه مسلم، من حديث شداد بن أوس ﷺ، في كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، برقم ٥١٦٧.

(٢) أخرجه البخاري، من حديث ابن مسعود ﷺ، في كتاب النكاح، باب قول النبي: «من استطاع منكم الباءة..». وهل يتزوج من لا أرب له في النكاح؟، برقم ٤٧٧٨. وفي اللغة الباءة: الجماع.. والتقدير من استطاع منكم مؤن النكاح، ووجاء: قاطع للشهوة.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة المائدة]، وهي دعوة إلى الحفاظ على العقل والمال، ودعوة إلى حماية النفس من الوقوع في الزنا والأمراض نتيجة للسُّكْر ودعوة إلى حماية الفرد من الضياع الإنساني من تعاطي المخدرات، وتضييع المال وطلبه بالجريمة المنظمة، ودعوة إلى حماية الفرد من القتل والسجون، وأي سوء يمكن أن يلحق بالإنسان أكثر من انحداره إلى هوّة المخدرات والمسكرات يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ...﴿٩١﴾﴾ [سورة المائدة].

ثانياً: على صعيد المجتمع:

خطط الدين لسعادة الإنسان وتماسك مجتمعه مبتدئاً بنواة المجتمع وهي الأسرة، فنظم الزواج بين الرجل والمرأة على نحو يحفظ حق المرأة من شطط الرجال، إذا وجد، وجعل بين الزوجين حقوقاً وواجبات، إذا طبقها كل واحد منهما خيمت عليهما السعادة؛ **قال رسول الله** ﷺ: «ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته؛ فالإمام راع، ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيتها»[1]. وكذلك الأولاد فقد جعل

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، برقم ١٨٢٩.

لهم الحقوق على الوالدين وعليهم الواجبات تجاه الوالدين يقول تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ...﴿٨﴾ ﴾ [سورة العنكبوت]، وعند استحالة تعايش الزوجين جعل التفريق بينهما ضرورياً لحماية بقية الأسرة مع التحذير أن هذا التفريق أبغض شيء إلى الله **قال** ﷺ: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»[1]، وأنه قد يجر عواقب وخيمة على أطفال الأسرة، فالتزام الزوجين بالمخطط الإلهي فيه سعادتهما واستقرارهما وسعادة الأبناء، وفي غير ذلك الدمار والانهيار.

والتكافل الاجتماعي عامل من عوامل تماسك المجتمع.. فعلى صعيد الأفراد **قال النبي محمد** ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»[2]..

وأما على صعيد المجتمع فقد فرض الإسلام على كل مسلم ملك حداً معيناً من أحد أنواع الثروة أن يخرج ما يسُمى زكاة تلك الثروة يقول تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ...﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة التوبة]، وهي في أقلها اثنان ونصف في المئة (٢,٥ ٪) تخرج من الأغنياء

(١) أخرجه أبو داود، عن ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب الطلاق، باب في كراهية الطلاق، برقم ٢١٨٠. وقال الحاكم في مستدركه (٢/ ٢١٤): صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي وقال: على شرط مسلم.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، عن أنس ﷺ، برقم ٧٥١، بسند حسن.

إلى الفقراء. وللحاكم أن يفرض حقوقاً أخرى ما دام المجتمع بحاجة إلى ذلك حتى تكون الكفاية. فإن لم تفِ الزكاة بحاجات المسلمين، فيجوز لولي الأمر أن يفرض في أموال الأغنياء حقوقاً أخرى بحيث تسد حاجات المستحقين[1]. وإذا تخلَّف الأغنياء عن إخراج الزكاة ضاعت حقوق الفقراء، فلجؤوا إلى السرقة وقطع الطرقات والمافيات والجرائم المنظمة، هذا عدا الضياع وانتشار البطالة والأمراض في المجتمع. وفي هذا يقول سيدنا علي كرَّم الله وجهه: "إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم، فإن جاعوا أو عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء، وحقٌ على الله- تعالى- أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه"[2].

وقديماً قيل عن الاشتراكية هي أن تعطي نصف الرغيف الذي معك بالقوة إلى غيرك وعينك عليه، وأما في الدين فهي أن تعطي رغيفك إلى غيرك عن طيب نفس منك، وتبيت جائعاً وهو لا يعلم، وهي أعلى درجات العطاء وتسمى الإيثار، وقد وصف الله- تعالى- المؤمنين بقوله: ﴿... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴿٩﴾﴾ [سورة الحشر].

(١) انظر: فقه الزكاة، للدكتور يوسف القرضاوي (ج١/ ص٢٤٤ وما بعدها) و (ج٢/ ص٩٦٣ وما بعدها).

(٢) المحلى، لابن حزم (٦/ ١٥٨).

ولذا على جميع أقطار العالم الغنية، أن تعمل على مساعدة الأقطار الفقيرة، مادياً وعلمياً، ولا سيما أن كرتنا الأرضية- اليوم- صارت كقرية عالمية صغيرة.

ومن العوامل التي تدفع إلى شفاء المجتمعات من تفككها **صلةُ الرحم**، وصلة الرحم أن تبحث عن الأبوين أولاً، والأخوات والإخوة وأبنائهما، وعن الأعمام والعمات والأخوال والخالات وأولادهم، فتسعى إلى إصلاح الفاسد منهم، وتعين من يحتاج إلى معونة، وترعى من يحتاج إلى رعاية، وتزورهم، وتبقي على الصلة معهم، لا تمنعك مشاغل الحياة المادية من هذه الواجبات. وكلما ارتفعت درجة القرابة، كان ذلك الواجب أشد، فتكسب بذلك رضاء الله ودعاء ذوي الأرحام، وقد جاء من **أقوال النبي** ﷺ في ذلك: «من سرّه أن يُبسط له في رزقه أو يُنسأ له في أثره فليصل رحمه»[1].

والجيران كالأرحام، فيهم الجار القريب، والجار المجاور لك، والجار البعيد، تعينهم ما استطعت وتقيم معهم الصِّلات الاجتماعية، وتقدم لهم العونين المادي والمعنوي، وترعى مَنْ يحتاج إلى الرعاية، وتسعى إلى إصلاح خلاف جيرانك، يقول تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ

(١) أخرجه البخاري، عن أنس ﷺ، في كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، برقم ١٩٦١. وينسأ في أثره: يُؤخر في بقية عمره.

إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ...﴿٣٦﴾﴾ [سورة النساء]، ويقول تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ...﴿١١٤﴾﴾ [سورة النساء]، **وقال النبي محمد** ﷺ: «ما زال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[1].

والعدل والمساواة من عوامل سلامة المجتمع وصلاحه وتماسكه، فإقامة العدل على الضعيف، وترك القوي والغني يرتع في طغيانه، عامل من عوامل تفكك المجتمع، وقد أدرك ذلك النبيُّ **محمد** ﷺ **فقال**: «والذي نفسي بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[2].

والعلم من عوامل تماسك المجتمع ورقيِّه، فالمجتمع الجاهل لا يدرك قيمة التضامن الاجتماعي والتكافل الاجتماعي وتماسك المجتمع، والجاهل عبء على المجتمع في أحسن أحواله، هذا إذا لم يقده جهله إلى الجريمة والإخلال بسلامة المجتمع والعبث بأمنه، فدعا القرآن الكريم أفراد مجتمعه إلى العلم والتعلم بآيات كثيرة، ولا نبالغ إذا قلنا: إن أول

(١) أخرجه البخاري، عن عائشة رضي الله عنها، كتاب الأدب، باب الوصاءة بالجار، برقم ٥٦٦٨.

(٢) أخرجه البخاري، عن عائشة رضي الله عنها، في كتاب الحدود، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع، برقم ٦٤٠٥.

ما نزل به روح القدس- جبريل عليه السلام- على قلب النبي ﷺ من الآيات كانت حول القراءة والكتابة والأقلام بقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [سورة العلق].

وأما النبي **محمد** ﷺ فقد **قال**: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[1]، والعلم ليس لمرحلة واحدة فقط أو لمحو الأمية فقط، بل طوال الحياة، **قال** ﷺ: «إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم»[2]، ويشدد ﷺ في **قوله**: «ليس منّي إلا عالم أو متعلّم»[3]، وفي هذا شفاء للمجتمع من الجهل.

والتداوي وطلب الدواء ودراسةُ الطب من عواملِ قوة المجتمع ورقيّه وتماسكه، ولا خير في مجتمع يغلبُ على أفراده المرضُ، ففي المثل المأثور: "العقل السليمُ في الجسم السليم"، ونحن متفقون على أن عطاء الصحيح أكثر بكثير من عطاء المريض.

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث أنس ﷺ، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم ٢٢٤.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن عائشة رضي الله عنها (٨/ ١٨٨)، وضعّف إسناده العراقي [انظر: تخريج الإحياء (١/ ١٣)].

٣) أخرجه الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما، باب اللام، برقم ٥٢٧٩.

فصحة المجتمع تعني القدرة على العطاءِ، ففي الحديث الشريف للنبي **محمد** ﷺ: «إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله إلا السام وهو الموت»[1]. ولذلك، على الحكومات أن تنشئ العيادات والمشافي لعامة الشعب، ولا سيما لمن لا يملكون أجور المعالجة وقيمة الدواء، وقد عني الإسلام بالوقاية من الوباء بالحجر الصحي، ومن ذلك قوله ﷺ: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها»[2]، وقد أنشأ المسلمون المشافي المجانية، وجعلوا لكل أعمى قائداً، ولكل مُقْعَدٍ معيناً[3].

والأمراضُ أنواع مختلفة، أخفها مرض الأجسام الذي أشرنا إليه، وأما أقساها على المجتمع وأخطرها عليه وعلى الأفراد فهي:

أولاً: الأمراض الروحية والنفسية:

ومن أعراضها الغفلة عن الله، وفعل المعاصي، وظلمات النفس،

(١) أخرجه الحاكم عن أبي سعيد ﷺ، في كتاب الطب، برقم ٨٢٢٠؛ وهو صحيح. وفي رواية الترمذي: «يا عباد الله: تداووا. فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء- أو قال: دواء- إلا داء واحداً... الهرم»، وقد أخرجه من حديث أسامة بن شرِيك ﷺ، في كتاب الطب، باب الدواء والحث عليه، برقم ٢٠٣٩؛ وقال: حسن.

(٢) أخرجه البخاري عن أسامة بن زيد ﷺ، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، برقم ٥٣٩٦.

(٣) شمس العرب تسطع على الغرب، للمستشرقة الألمانية زيغريد هونكه، ص٣٣ وما بعدها.

وقسوة القلب، وموته، والعداوة والبغضاء، والخوف والنفاق والحسد واليأس. ومعالجة هذه الأمراض بذكر الله، وتنفيذ وصايا القرآن الكريم والأنبياء، والصدق مع الله، والتضرُّع والدعاء والتوبة والتقوى والرضا بالقضاء والقدر.

ومثل هذه المعالجة واضحة في آيات كثيرة من القرآن الكريم نكتفي بآية على سبيل المثال لا الحصر، يقول تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾** ﴾ [سورة آل عمران].

ثانياً: الأمراض الأخلاقية، ومن أعراضها:

فساد النفس ومعالجتها بتزكيتها، الغرور ومعالجته بالتواضع، الخيانة ومعالجتها بالأمانة، الجزع ومعالجته بالصبر، والطمع ومعالجته بالقناعة، والكذب ومعالجته بالصدق، **يقول رسول الله** ﷺ: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإنَّ الله ليبغض الفاحش البذيء»[1].

(١) أخرجه الترمذي عن أبي الدرداء ﷺ، في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، برقم ٢٠٠٢؛ وقال: حسن.

ثالثاً: الأمراض الاجتماعية:

ومن أعراضها:

تفرق الكلمة، والأنانية، وتفشي السخرية، وتفشي سوء الظن والغيبة والنميمة، وتفشي البهتان واتهام الأبرياء، وتفشي الظلم وشهادة الزور، وطمس الحقائق أو إخفاؤها، والإصرار على العقوبة وعدم المسامحة، وفسادُ الأمة وتشاحنها وتفككها. وعلاج هذه الأمراض بالعفو والمسامحة، وإصلاح ما بين أفراد الأسرةِ، وتمسُّكهم بشرع الله من حقوق وواجبات وقوله تعالى: ﴿ ... **فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ** ...﴿١﴾ ﴾ [سورة الأنفال]، **ويقول رسول الله** ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى. قال: إصلاح ذات البين، وإن فساد ذات البين هي الحالقة»(١).

وأما على صعيد المجتمع:

فمما يقوي روابطه:

١- الكلمة الطيبة التي **قال** عنها **النبي محمد** ﷺ: «الكلمة الطيبة صدقة»(٢).

(١) أخرجه الترمذي، عن أبي الدرداء ﷺ، في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ٥٦، برقم ٢٥٠٩؛ وقال: صحيح، ويروى عن النبي أنه قال: لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين.

(٢) أخرجه البخاري، عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب الأدب، باب طيب الكلام، برقم ٥٦٧٦.

٢- التحية وتبادلها بين أبناء المجتمع يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [سورة النساء]، **وفي الحديث**: «أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال ﷺ: تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف»[(١)].

٣- الاستئذان في الدخول على البيوت، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة النور].

٤- لباقة الحديث وحُسْن الاستماع وأدب النجوى، **قال** ﷺ: «إنَّ شر الناس من تركه الناس أو ودَعه الناس اتقاء فحشه»[(٢)].

٥- التجمُّل وحسن المظهر، **قال** ﷺ: «السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزءٌ من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة»[(٣)]، **وقال** أيضاً:

---

(١) أخرجه البخاري، عن ابن عمرو رضي الله عنهما، في كتاب الاستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، برقم ٥٨٨٢.

(٢) أخرجه البخاري، عن عائشة رضي الله عنها، في كتاب الأدب، باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب، برقم ٥٠٧٧.

(٣) أخرجه الترمذي، عن عبد الله بن سرجس المزني ﷺ، في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة، برقم ٢٠١٠؛ وقال: حسن. والاقتصاد: أي التوسط في الأمور وعدم مجاوزة الحد، وجزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة: أي هذه الخصال من شمائل أهل النبوة وجزء من أجزاء فضائلهم، فاقتدوا بهم فيها.

«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر. قال رجل: إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة. فقال ﷺ: إن الله جميل يحب الجمال. الكِبْر بطَر الحق وغَمْط الناس»[1].

وعلى صعيد الفرد:

نجد أن من عوامل تماسك المجتمع، أن تتحقق في أفراده آداب الإنفاق، ومنها:

١- الإكثار من الإنفاق في سبيل الله (وجوه الخير) بما فيه مصلحة المجتمع، يقول تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [سورة البقرة].

٢- الحثُّ على الإقراض (القرض الحسن) من دون زيادة ربوية يقول تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ...﴿٢٤٥﴾﴾ [سورة البقرة]، و**قال** ﷺ: «رأيتُ ليلة أُسري بي على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر. فقلتُ: يا جبريل: ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل

(١) أخرجه مسلم، عن ابن مسعود ﷺ، في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، برقم ٢٧٥. والبطر : التكبر على الحق فلا يقبله، والغمط: الاحتقار والاستهانة.

يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة»[1].

٣- عدم التبذير، فهو تضييع للثروة من غير طائل يقول تعالى: ﴿ ... وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة الإسراء].

٤- عدم المن والأذى بالإنفاق يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ ...﴿٢٦٤﴾ ﴾ [سورة البقرة].

٥- التحرِّي والتدقيق والبحث عمّن يستحق العون، فهناك أُسَرٌ متعفِّفَة ذكرها القرآن بقوله تعالى: ﴿ ... يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ... ﴿٢٧٣﴾ ﴾ [سورة البقرة].

٦- التوزيع العادل للثروات على من يحتاج المساعدة، **قال** ﷺ: «من كان عنده فضل ظهر فليَعْدُ به على من لا ظهر له، ومن كان عنده فضل زاد فليَعْدُ به على من لا زاد له»[2].

٧- عدم التعامل بالربا لما فيه من أضرار على المجتمع يقول تعالى:

---

(١) أخرجه ابن ماجه عن أبي أمامة رضي الله عنه، في كتاب الأحكام، باب القرض، برقم ٢٤٣١. وقال البوصيري (٣/٧٠): هذا إسناد ضعيف.

(٢) أخرجه أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، كتاب الزكاة، باب في حقوق المال، برقم ١٦٦٥؛ وهو صحيح.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ [سورة البقرة].

٨- عدم أكل أموال الناس ظلماً وعدم تقديم الرشوة لاغتصاب حقوق الناس عن طريق الحكام القضاة يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [سورة البقرة].

٩- ضرورة العناية بالمكاييل والموازين وإعطاء الحقوق كاملة لأصحابها يقول تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة المطففين]، ويقول- تعالى- على لسان شعيب عليه السلام: ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ...﴿٨٥﴾ ﴾ [سورة هود].

١٠- من قام بتبذير المال وصرفه جزافاً من دون فائدة يُسمى سفيهاً ويُحجَر عليه ويمنع من استخدام ماله ويُعطى منه بقدر الحاجة، يقول تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ ﴾ [سورة النساء].

وأما على صعيد الدولة:

فقد نقل الإسلام المجتمعات من الوثنية والآلام والحروب والجهل والفقر والأنانية إلى مجتمعات السلم والعلم والحكمة والغنى والأخوة والإنسانية والعالمية، ونقل المجتمعات من الجور إلى العدالة، ومن التمزّق إلى الوحدة، ومن الأنانية إلى الإيثار يقول تعالى: ﴿... وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ...﴿١٠٣﴾﴾ [سورة آل عمران]. ولذلك، استغرب نابليون **بونابرت** متسائلاً: كيف استطاع الإسلام أن يوحّد نصف العالم في أقل من نصف قرن، فصارت الأمة كالجسد الواحد؟! **قال** ﷺ: «مثل المؤمنين- في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم- مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»[1].

وكذلك نقل الإسلام المجتمعات من جو التعصب الديني والتعصب المذهبي إلى حريّة العقيدة ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ...﴿٢٥٦﴾﴾ [سورة البقرة]، فها هو هرقل حاكم سورية الروماني يصادر أموال الكنائس التي ليست على مذهبه الديني، ودمَّر الإسبان مساجد المسلمين ومقابرهم في الأندلس، على حين كانت الكنسية في ظل الإسلام آمنةً معافاةً ترفل بالرعاية

(١) أخرجه مسلم عن النعمان بن بشير ﷺ، في كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم ٢٥٨٦.

والتكريم، على حين ولا أنسى كيف كان المسلمون والمسيحيون يصلون- في وقت واحد- في مسجد بني أميّة بدمشق، واستمروا على ذلك زمناً مديداً[1]. فقد كان أصل موضع هذا الجامع معبداً بناه اليونانيون الكلدانيون، الذين كانوا يعمرون دمشق، ولم يزالوا على ذلك حتى دخلت النصرانية بلاد الشام، فحُوِّل المعبد إلى كنيسة، وأطلقوا عليها كنيسة **مري حنا**، حتى زمن الفتح الإسلامي لبلاد الشام، فكان أن وقعت الكنيسة بين المسلمين والنصارى، فحوِّل نصيب المسلمين إلى مسجد. وكان المسلمون والنصارى يدخلون من باب واحد، فينصرف النصارى إلى جهة الغرب إلى كنيستهم، وينصرف المسلمون إلى جهة الشرق في مسجدهم. واستمر الأمر على ذلك من سنة ١٤هـ حتى سنة ٨٦هـ، حيث ضاق المسجد بأهله، فصالح الخليفة الوليد **بن عبد الملك** النصارى على أن يتنازلوا عن حقهم في الكنيسة، مقابل كنيسة توما، وكانت واقعة في نصيب المسلمين، ورضي النصارى، وعندها شرع الوليد في بناء الجامع الأموي.

ويوم أن زار وفد نصارى نجران النبيّ محمداً ﷺ في عاصمته (المدينة) أنزلهم ضيوفاً مكرمين في مسجده ينامون ويتناولون طعامهم ويقيمون صلواتهم، حتى انتهت سفارتهم[2].

(١) البداية والنهاية، لابن كثير (٩/ ١٢٢-١٢٥).

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٢٢٢).

وأما حقوق الإنسان في الإسلام: فقد وصلت إلى القمة في تطبيق النبي محمد ﷺ لدينه، فقد «مرت به ﷺ جنازة فقام، فقيل له: إنّها جنازة يهودي! فقال: أليست نفساً»[1]؛ و«يوم رفض أن يعطي يهودياً من مال كان يوزِّعه قائلاً له: ليس لك من صدقة المسلمين شيء، نزل روح القدس من فوره على قلب النبي محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ...﴿٢٧٢﴾ ﴾ [سورة البقرة].. وأمره أن يرد ذلك اليهودي وأن يعطيه نصيباً من المال نزل روح القدس»[2]. **قال القرطبي**: "قال علماؤنا: نزلت هذه الآية مبيحة للصدقة على من ليس من دين الإسلام. وهذه الصدقات- التي أُبيحت لهم، على حسب ما تضمنته هذه الآثار- هي صدقة التطوع"[3].

والعدالة وصلت إلى القمة في تطبيقها عندما أعلن النبي **محمد** ﷺ **قائلاً**: «والذي نفسي بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[4].

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى ﷺ، في كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، برقم ١٢٥٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣/ ٣٣٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣/ ٣٣٨).

(٤) أخرجه البخاري، عن عائشة رضي الله عنها، في كتاب الحدود، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع، برقم ٦٤٠٥.

«وَسوَّى مرةً الصفوف بقضيب فأصاب أحد جنوده وهو سواد، فأعطاه حق القصاص من نفسه وبالقضيب نفسه، ولما كشف ﷺ عن بطنه، وقال: استقد يا سواد، اعتنقه سواد فقبل بطنه ﷺ، فقال ﷺ: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأحببتُ أن يمسَّ جلدي جلدك»[1].

ولم يكن الحق محفوظاً للإنسان العربي المسلم فقط، بل لأبناء الشعوب على اختلاف أجناسهم ورسالاتهم السماوية، فقد حدث أن جرى سباق للخيل في مصر فاشترك فيه ابن حاكم مصر العربي المسلم، وبعض المصريين المسيحيين، فسبق المسيحي المصريُّ ابنَ حاكم مصر عمرو **بن العاص**، فضربه الأخير بالسوط قائلاً: أتسبقني وأنا ابن الأكرمين، فشكاه المسيحي إلى خليفة المسلمين **عمر**، فاستدعى الخليفةُ حاكم مصر وولده، وأمر المسيحي أن يقتص لنفسه من ابن الحاكم قائلاً: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"[2].

بهذا العدل وبهذه الإنسانية وصل الإسلامُ بالدولة إلى نصف العالم محققاً الدولة العالمية، ولو وجد النبي- في عصرنا الحاضر، على ما فيه

(١) إشارة إلى حديث سواد بن عمرو ﷺ، الذي أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، أبواب صفة قتل العمد وشبه العمد، باب ما جاء في قتل الإمام وجرحه، برقم ١٥٧٩٩؛ وهو صحيح.
(٢) تاريخ عمر، لابن الجوزي، ص١٢٠.

من وسائل مواصلات حديثة واتصالات سريعة- لَوَحَّد العالم أجمع في دولة واحدة، وقضى بها على الجهل والحروب والفقر؛ فيتحقق بذلك شفاء الإنسانية من جميع ما تشكو.

وإنني أعتقد أننا بحاجة إلى **لجنة حكماء**، لتنظيم تعاونٍ بين رسالتي محمد والمسيح- عليهما السلام- السماويتين لتوحيد العالم، ليصير عالماً سعيداً، فلا سجون ولا قضاة ولا شرطة، والأمن منتشرٌ في جميع أرجائه، وتتحقق بذلك نبوءة **النبي محمد** ﷺ **بقوله** لعدي بن حاتم: «فإن طالت بك حياةٌ لترَيَنَّ الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله»[1].

ماذا قدمت الحضارة الإسلامية للعالم؟

كانت الحضارة الإسلامية أمينة على الحضارات التي سبقتها، على الرغم من أن تلك الحضارات لم تكن غريبة عن المنطقة العربية، فحضارات مصر وبلاد الرافدين والشام هي المصدر الأساس لحضارة بلاد اليونان، وعلى الرغم من أن العرب شجعوا نقل التراث اليوناني والروماني فقد انطبق عليهم قول القائل: (بضاعتنا رُدّت إلينا)، فأعلام

(١) أخرجه البخاري، عن عدي رضي الله عنه، في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم ٣٤٠٠. والظعينة: الهودج فيه المرأة، والمقصود هنا المرأة المسافرة.

اليونان تردَّد معظمهم على مصر وبلاد الرافدين وبلاد الشام واقتبسوا منها الكثير، فقد نقلوا الأبجدية الفينيقية (بين ٨٥٠ و ٧٥٠ ق.م). وكذلك أخذوا أسماء الأبراج السماوية والعلوم الفلكية من نجوم وكواكب وأيام الأسبوع عن البابليين، وأخذوا عنهم علوم الطب والرياضيات والأدوية والمعادن، وسائر العلوم التي كانت معروفة حين ذاك.

وعلى الرغم من جميع ذلك فالعرب لم يغمطوا اليونان والرومان جهودهم، ولا بخسوهم حقهم فيما قدموه للحضارة، ولا انتحل العرب علومهم وكتبهم ونسبوها إلى أنفسهم كما فعل الأوربيون.

فالحضارة العربية الإسلامية أحيت الحضارات القديمة، وجددتها، وصححت الكثير مما ورد فيها من أخطاء ودس، وبذل المسلمون جهوداً مضنيةً لتطويرها والخروج بها من الإطار النظري إلى العملي التطبيقي، فقدموا للحضارة الإنسانية أضعاف ما وصلهم.

وليس بصحيح أن دور العرب كان لنقل التراث اليوناني إلى الغرب، فلم يكن العرب في يوم جسراً لذلك، ولا يرضون بذلك، وهذه دعوة طلع بها علينا بعض المستشرقين الأوربيين، لطمس فضل العرب على الحضارة، وجعلهم دائماً على هامش التاريخ.

والمتتبع للحضارات القديمة يجد أنها لا تتعدى نقطة في بحر

الحضارة العربية الإسلامية، وباعتراف معظم رجالات العالم المهتمين بالشؤون العلمية نجد أن التراث العربي الإسلامي هو أكبر تراث على وجه الأرض، وقد عجز المستشرقون خلال مئات السنين عن احتواء التراث العربي الإسلامي في دراساتهم، فكما **قال** المستشرق رودي **بارت**: "كانت دراسات المستشرقين جزءاً صغيراً من كل كبير لا سبيل إلى بلوغه، أو حتى الاقتراب منه في أحسن الأحوال إلا بخطى صغيرة"[1]. و لم يحدث قط أن حجب العرب حضارتهم عن شعب من الشعوب، كما يفعل الغرب اليوم. هذا جزء من أهداف الرسالة الإسلامية لتحقيق الخير والنفع العام والرحمة بالإنسانية.

فضل الحضارة العربية الإسلامية على أوربة، وطرق انتقالها:

انتقلت الحضارة العربية الإسلامية إلى أوربة عن طرق عدة:

١- طريق الأندلس (إسبانية حالياً):

الأندلس هي قطعة من أوربة، تجاور فرنسة، وهي قريبة من إيطالية وإنكلترة وغيرها من الأقطار الأوربية. وقد أرسلت كثير من البلاد الأوربية أبناءها على شكل بعثات ترعاها مستويات رسمية عالية،

١) انظر كتابه: محمد والقرآن: تاريخ النبي العربي ودعوته، سلسلة أربان الألمانية، دار كول هامر، الطبعة الثانية، ١٩٦٦.

أرسلوا طلائعهم للدراسة في بلاد الأندلس، وتصدى كثيرٌ منهم للقيام بعملية ترجمة لأمهات كتب التراث العربي الإسلامي إلى اللاتينية وغيرها، وعلى رأس ذلك كله القرآن الكريم، وبدؤوا بدراسة العلوم، واستمر الانتفاع مما لدى أهل الأندلس من علوم نظرية وفلسفية وعلوم مادية وتطبيقية طوال وجود العرب في الأندلس.

وعندما وقعت الأندلس في محنة الضعف والسقوط بادر بعض الإسبان إلى حرق ما وصلت إليه أيديهم من المكتبات العربية تنفيساً عن أحقادهم، ولكن بعضهم تدارك ذلك فيما بعد، وحفظ ما تركه العرب من تراث، في مستودعات الكنائس، ليحتل مركز الصدارة في مكتباتهم فيما بعد، وبذلك تعَدّ المكتبة الإسبانية العامة في مدريد من المكتبات المهمة التي تحتوي على الكثير من المخطوطات العربية الإسلامية، التي تصدى الغرب لدراستها والانتفاع منها بعد نقلها إلى لغاتهم. وهكذا كانت بذور النهضة الأوربية.

٢- الحروب الصليبية:

لقد وضعت الفرد الأوربي في مواجهة مع الشرق وحضارته وعلومه وتقدمه، وعلى الرغم من الإساءة في البداية إلى التراث العربي الإسلامي (إذ حرق الصليبيون في أنطاكية عند الاستيلاء عليها الكثير من المخطوطات العربية الإسلامية)، فقد التفت الأوربيون إلى ضرورة

الانتفاع من هذا التقدم الذي يشاهدونه، فنقلوا في سفنهم جميع ما استطاعوا نقله من كتب، وأدوات، ومحاصيل يمكن زراعتها في بلادهم، حتى الحِرَف المختلفة نقلوها إلى بلادهم، ونشطوا في إقامة المعاهد والجامعات وتدريس كتب العرب المسلمين في جامعاتهم، (فقد بقي كتاب القانون في الطب **لابن سينا** يُدرّس في بروكسل- بلجيكا- حتى ١٩٠٩م)، وكذلك كتب الجبر، والرياضيات، وعلوم الطب، والصيدلة، وعلم الحيل (الميكانيك)، والكيمياء، والنبات، جميع ذلك انتقل إلى جامعاتهم، واستمر تدريس تلك الكتب قروناً عدة، وبذل علماؤهم جهوداً كبيرةً في الدراسة التطبيقية التجريبية حتى وضعوا بلادهم على عتبة الحضارة الحديثة والمعاصرة، وعجّت معاجمهم بالمفردات والمصطلحات العربية الإسلامية العلمية، على اختلاف أنواعها مع شيء من تطويع هذه المفردات لإدخالها في لغتهم.

٣- صقلية وجنوب إيطالية:

فتح العرب المسلمون صقلية في العهد العباسي، وحيثما حلّ العرب حلّت معهم رسالتهم وعلومهم، وحتى عندما غادر العرب جنوب إيطالية وصقلية على يد روجر **النُّرْمَنْدي**، حرص روجر على تشجيع العرب المسلمين للبقاء في صقلية، وذلك لعلمه بغزارة علومهم وعظمة حضارتهم، ومنهم الشريف **الإدريسي** الذي رسم العالم

المعروف لديه على لوح من الفضة وأهداه للملك، وكذلك أهداه كتاباً في الجغرافية هو ‹نزهة المشتاق في اختراق الآفاق›[1]، وكذلك شجع روجر ترجمة العلوم العربية الإسلامية إلى لغتهم، وسار على نهجه من بعده، أمثال فريدريك ملك صقلية، الذي بشّر بالحضارة الإسلامية في أوربة، وبنى مدرسة للطب في سالِرنو، وأسس جامعة نابولي.. وهكذا، وجدت الحضارة العربية الإسلامية طريقاً ثالثة سلكتها إلى أوربة.. فكانت ولادة الحضارة الأوربية.

ومع الأسف فقد كان النقل الأوربي للحضارة العربية الإسلامية نقلاً ناقصاً، لأنهم نقلوا الجانب العلمي المادي فقط، وتركوا الجانب الروحي الإنساني. وإذا استمرت الحضارة الأوربية على هذا المنوال، فإنها ستقضي على نفسها بنفسها؛ لأنها غرقت في المادية، بدليل خوائها الروحي.

كتب إسبانيٌّ- زار ‹كهف ميلوس›، في بلدة معلولا قرب دمشق- هذه العبارة: "أنا من العرق العربي، صديق الشمس القديم، الذي ربح كل شيء ثم خسره"[2].

وهكذا، كانت الحضارة العربية الإسلامية رحمة للإنسانية، ولن تكتمل هذه الرحمة إلا إذا أخذ العالم بالجانب الروحي منها ليتم التوازن بين جناحي الحياة.

(١) معجم المؤلفين، لكحالة (٢/٢٣٨).

(٢) الإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي (١/ ٢٨٤).

المبحث العاشر

وجوب العمل المشترك من أجل

نصرة المظلومين[1]

(١) كلمة سماحته التي ألقاها بمناسبة زيارة البابا يوحنا بولس الثاني [الرئيس السابق لدولة الفاتيكان، حبر الكنيسة الكاثوليكية في العالم] لجامع بني أمية الكبير في دمشق، الأحد ١٣/٢/ ١٤٢٢هـ، الموافق لـ ٦/٥/ ٢٠٠١م.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- الإسلام دين السلام والرحمة للعالمين.

٢- الإسلام جاء ليصل الرحم الإنساني مع جميع أبناء الإنسانية.

٣- الإسلام جاء مصدقاً لما قبله من الرسالات السماوية ومتمماً.

٤- الدين الحق دعوة إلى التلاقي والتكامل، والاختلاف سنة من سنن الله هدفه اللقاء والتعارف.

٥- سورية تعيش- على مدار قرون- تآخياً بين المسلمين والمسيحيين، وعلى العالم الاقتداء بهذا العيش المشترك.

٦- العيش المشترك نابع من التزام المسلمين بدينهم.

٧- ابتعاد الإنسان عن الرسالات السماوية سبب مشكلات العالم اليوم، من ظلم وخوف وجوع وفقر وجريمة وفساد وأمراض روحية وأخلاقية.

٨- جميع علماء الدين والحكام مسؤولون تجاه الله عن مآسي المجتمع الإنساني. ولذا، لا بد من التعاون الأخوي الذي يثمر عملاً مشتركاً.

٩- هناك أرض مقدسة اسمها "فلسطين" تعاني الظلم والاضطهاد الصهيوني، والعالم يتفرج. ولذا، نتطلع إلى مواقف عملية تتجاوز الدعاء والصلوات، ولا سيما من الكنيسة الكاثوليكية والحكومات المسيحية.

١٠- المسلمون فتحوا قلوبهم وأذرعهم لجميع المجتمعات الإنسانية- ولا سيما المسيحيون- بدافع من إسلامهم وإيمانهم؛ وتجاوزاً لأخطاء بعض أبناء الرسالات السماوية، نعود لنفتح القلوب والأذرع من جديد.

١١- المسلمون يؤمنون بالله الواحد وبجميع الأنبياء والرسالات السماوية، وعلى الطرف الأخر أن يبادل التحية بمثلها.. أو بأحسن منها، والأمل المعقود على الإخوة المسيحيين أن يفتحوا قلوبهم للمسلمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص الكلمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلوات، وأعطر التحيات والتسليمات على سيدنا محمد وعلى أخويه سيدنا موسى وسيدنا عيسى، وعلى أبيه سيدنا إبراهيم، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وآلهم، وأصحابهم أجمعين. وأما بعد:

البابا يوحنا بولس الثاني.. رئيس دولة الفاتيكان، حبر الكنيسة الكاثوليكية في العالم.. حضرات الضيوف الأكارم:

أحييكم بتحية الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأرحب بكم في الأرض المباركة، أرحب بكم في بلاد الشام مهد الرسالات السماوية وموطن الأنبياء والصالحين.

إن دينَ الإسلام الحنيف، دينُ السلام والرحمة للعالمين، فربنا رب العالمين من أسمائه السلام.. «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام»[1].. والجنة عند الله هي دار السلام، والله- تعالى- يدعو إليها جميع البشر ليعيشوا السلام في الدنيا والسلام في الآخرة.

والإسلام منذ أربعة عشر قرناً جاء ليصل الرحم مع جميع أبناء الإنسانية، جاء ليكمل ويُتَمم ما جاءت به رسالات الأنبياء، يقول الله في القرآن: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [سورة الشورى]، والرسول **محمد** بن عبد الله ﷺ **يقول**: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسَنه وأجمله، إلا موضع لبنةٍ من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويَعجَبون له، ويقولون: هلاّ وُضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتِم النبيين»[2]، وتلك هي دعوة **المسيح**- عليه السلام- من قبل، حين **قال**: "لا تظنوا أني جئت

(١) أخرجه مسلم، عن عائشة رضي الله عنها، في كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم ١٣٦٣.

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، برقم ٣٥٣٥.

لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل"[1].

فلم يكن الدين الحق في يوم من الأيام إلا دعوة إلى التلاقي والتكامل، ولم يكن الدين الحق يوماً سبباً للفرقة والتباغض والتعادي، فلا بد إذن من لقاء أبناء الرسالات السماوية، فالهدف من التمايز والاختلاف- وهو سنة من سنن الله في خلقه- الهدف إنما هو التعاون والتعارف كما يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ...﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الحجرات].

لقد عشنا- مسلمين ومسيحيين- في هذه البلاد المباركة قروناً عدة، واقتسمنا خيراتها، وتشاركنا في حلو الحياة ومرها، ونعمنا بفضل الله فيها، وواجهنا أعداء هذه الأمة معاً، وسالت دماؤنا نحن المسلمين والمسيحيين على هذا التراب الطاهر، ورحل العدو الظالم وبقينا نحن، وما الواقع الملموس الذي شاهدتموه بأم أعينكم من التآخي والتعاون، وتعانق المساجد مع الكنائس، إلا برهان ساطع على وحدة وطنية متميزة نفخر بها بفضل الله تعالى، وندعو العالم جميعه إلى أن يقتدي بهذا العيش المشترك، وكل ذلك نابع من التزامنا بتعاليم ديننا الإسلامي الحنيف.

---

(١) إنجيل متى (٥: ١٧).

إن الإنسانية- اليوم- تئن من مشكلات ومعضلات كثيرة جداً وجميعها بسبب ابتعاد الإنسان عن تعاليم الرسالات السماوية، حتى صار خطر الإنسان على الإنسان أكثر من خطر الوحوش المفترسة على الإنسان، والإنسانية- اليوم- تعاني ظلم الأقوياء، وتسلط الأغنياء واستعباد الأكثرية للأقليات في بلدان شتى من العالم، وتولد عن هذا جميعه مشكلات هددت وخرَّبت الأمن والسلام في العالم، وزادت في نسبة الجوع والفقر لدى الإنسانية، ودفعت بالكثيرين ولا سيما الشباب إلى عالم الجريمة والفساد والانحراف، وتفاقمت الأمراض المستعصية الشفاء إلى غير ذلك من فساد البيئة الأخلاقية، والبيئة الحياتية جميعها.

وتقع المسؤولية في المقام الأول على عاتق علماء الدين جميعهم، ومعهم الحكام والشرفاء في العالم جميعهم.

إننا- جميعاً- مسؤولون أمام الله تعالى، ولن ينجو من حسابه أحد، المسلم والمسيحي وغيرهما. ولذا، لا بد من حوار فاعل، ولا بد من لقاء أخوي مثمر لنضع أيادينا بعضها في بعض، ولنسع بكل صدق وإخلاص معاً لنصرة المظلومين والمستضعفين، وإغاثة المحتاجين، ونشر الرحمة بعد السلام، لأن الله- تعالى- لخص مهمة نبينا محمد ﷺ بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء].

نحن هنا في بيت من بيوت الله ﷻ وفي مدينة من مدن الخير

والعطاء، وفي بلد من بلاد الحضارة والتلاقي الإنساني، ولكننا لا ننسى أنه على بعد أميالٍ قليلة منا، هناك أرض مقدسة وبقعة مباركة، تتمة لهذه البلاد، إنها أرض فلسطين، رمز الخير والإيمان والسلام عبر التاريخ كله، ففيها عاش العشرات من الأنبياء والمرسلين وفيها مهد المسيحية الأولى حيث كنيسة القيامة وغيرها، وفيها المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى نبينا محمد ﷺ.

ومنذ الفتح الإسلامي لمدينة القدس، ومنذ العهد الذي وقّعه الخليفة الثاني للمسلمين عمر بن الخطاب ﷺ، مع بطريرك القدس حين ذاك عاشت هذه الديار المباركة بأمن وسلام، وتوحد المسلمون والمسيحيون ضد جميع الغزاة ولم يعكر صفو هذا السلام، إلا أوقاتاً من الحروب الصليبية، ولكنها زالت وعاد الأمن والسلام لفلسطين، ولكن هذه البلاد الطاهرة لا تعيش- الآن- في سلام ولا أمان ولا حرية فكر وعبادة، فمنذ دخول اليهود الصهاينة وإقامة الكيان الإسرائيلي وحتى الآن، يمارس الظلم والطغيان اليهودي الصهيوني على أبناء شعبنا العربي في فلسطين من المسلمين والمسيحيين.

واليوم يرى العالم- وللأسف الشديد- المجازر بنظر المتفرج الذي لا حول له ولا قوة: تُهدم البيوت، وتقلع الأشجار، ويُهَجر الأبرياء، ويقتل المئات من الأطفال والنساء والرجال، ويصاب بالجراح الآلاف

وتنتهك حرمات المساجد والكنائس على السواء، ويعم الخراب كل شيء على أيدي الإسرائيليين.

فأين مجلس الأمن؟! وأين حكومة الولايات المتحدة؟! وأين ادعاءات حكام الكيان الإسرائيلي أنهم يريدون السلام؟

إننا نتطلع إلى موقف أكثر فاعلية، أكثر من الصلوات والدعاء والأمنيات نتطلع إلى موقف عملي، من جميع الشرفاء ومحبي السلام وأتباع الرسالات السماوية لوقف هذه المجزرة الوحشية، بحق أبناء المسيح وأبناء محمد عليهما السلام على أرض الخيرات فلسطين.

ونحن نرغب إلى الكنيسة الكاثوليكية في العالم وعلى رأسها فخامة البابا ونرغب إلى جميع الحكومات المسيحية في العالم الغربي أن يقفوا موقفاً لنصرة العدالة وإنهاء ظلم الصهاينة والضغط على الكيان الإسرائيلي بكل الوسائل لوقف عدوانه الغاشم، وهذا أقل ما يمكن أن تقدمه المسيحية في العالم وفاءً للمسيح عليه السلام.

لقد فتحنا نحن المسلمين عبر تاريخنا المديد مع جميع الإنسانية، ولا سيما المسيحيون منهم، فتحنا قلوبنا وأذرعنا للتلاقي والتعانق بدافع من إسلامنا وإيماننا، وإننا- اليوم- لن نلتفت إلى الماضي ببعض أخطائه التي ارتكبها المنتسبون إلى الرسالات السماوية حين ذاك، إننا- اليوم- نعود

لنفتح هذه القلوب والأذرع حباً بالمسيح عليه السلام لأن نبينا محمداً ﷺ يقول: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة»[1]، أي: أنا أكثر الناس حباً وصلة بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة.

لقد آمنا نحن المسلمين بالله- تعالى- رباً وإلهاً واحداً أحداً، وآمنا بكل أنبياء الله ورسله، وآمنا بالرسالات السماوية، لقد أحببنا المسيح وأمه، ورسالته وإنجيله، وآمنا به، كما جاء في القرآن الكريم، وإن الله يخاطب الإنسانية فيقول: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ...﴿٨٦﴾ ﴾ [سورة النساء].

ولذلك، نأمل من إخواننا المسيحيين أن يفتحوا لنا قلوبهم، كما فتحنا بالحب والإيمان، وأن يردوا التحية بأحسن منها، فهم أهل لذلك.

وأسأل الله- تعالى- الخير للإنسانية كلها إنه سميع مجيب.

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، برقم ٦٢٨١.

حوار مع وفد الكنيسة المصلحة في سويسرة[1]

(١)

(١) حوار مع سماحته في دمشق في ٨/ ١٠/ ١٩٩٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

أ- في الكلمة:

١- الإسلام جمع الإيمان بالرسالات السماوية الثلاث، وبأنبيائها، وبكل الأنبياء والمرسلين من الله رب العالمين.

٢- الإسلام ندد بكل من ينتسب إلى الرسالات الثلاث انتساباً غير علمي ولا عملي، وقسم أبناءهم إلى قسمين:

- مؤمن أصيل.
- مؤمن مزيَّف.

٣- الاختلاف بين الرسالات السماوية الثلاث ليس في جوهرها، وإنما في تفسير بعض موادها؛ فهذه الرسالات دعت إلى وحدانية الله، ولكن وقع اختلاف في تفسير هذه الوحدانية عند بعضها.

٤- تفسير وحدانية الله بطريقة يرفضها العقل أدى إلى ابتعاد الكثير من الناس عن الإيمان.

٥- التباعد بين أبناء الرسالات السماوية سببه تعارف بعضنا ببعض من بعد، ومثلنا مثل إنسان رأى آخر في أعلى جبل.. فهو لا يميز أنفه وعينه وملامحه، بل يراه نقطة سوداء. ولذا، لا بد من الاقتراب من الحقيقة للتعرف إليها على نحو صحيح.

٦- كل دين قد يدخل في اعتقاداته ما هو غير صحيح. ولذا، أمر الرسول ﷺ أن يُبْحَث في الإسلام كل مئة سنة.. خوفاً من دخول أشياء مزيفة على جوهره، تجعله مشوهاً في واقع الحياة الإنسانية.

٧- لم يدع الإسلام إلى الإيمان بالأمور الروحانية فقط، بل دعا إلى الاهتمام بالحياة الجسدية على أحسن وجه.

٨- دعا الإسلام إلى وحدة الشعوب، متخطياً القوميات والألوان والعقائد الدينية؛ فالإنسان أخو الإنسان.

٩- وحد الإسلام نصف العالم القديم، مع رعاية حرية المعتقد.. ووجوب التضامن الاجتماعي بين جميع الشعوب.

١٠- بلادنا كانت مسيحية. وعندما رأت مسيحيتها في الإسلام، تقبّلت تعاليمه. ولكن من أصر على تمسكه بمسيحيته أو يهوديته، تُرك حراً في إقامة شعائره.

١١- يجب العمل- بكل الطاقات- من أجل تحقيق السلام والأخوة العالمية. ونأمل أن يفهم أبناء الرسالتين- المسيحية واليهودية- هذه الحقيقة لنعمل معاً.

ب- في الحوار:

١- والدي- الشيخ محمد أمين كفتارو- هو الذي نقلني من الدائرة الضيقة.. دائرة التعصب.. إلى دائرة الدعوة العالمية.. الدائرة الواسعة، التي تؤمن بالحوار بالتي هي أحسن مع الآخر.

٢- العالم المتقدم مهيأ لتقبل فكرة الحوار والتعاون من أجل عالم يسوده السلام.

٣- أؤمن- إيماناً قاطعاً- أن جميع الأنبياء لو اجتمعوا لتعانقوا وشكلوا شخصية واحدة.. وتبرؤوا ممن لا يتبع تلاقيهم.

٤- نعيش في سورية- مسلمين ومسيحيين ويهوداً- كأبناء عائلة واحدة.

٥- الإسلام أباح للمسلم الزواج من المسيحية أو اليهودية، لأنها في بيت المسلم تُحترم عقيدتها؛ لأن المسلم يؤمن بنبوة موسى ورسالته ونبوة عيسى ورسالته، ومن ثم يُضمن استمرار الزواج؛ وأما منع الإسلام المسلمةَ أن تتزوج من يهودي أو نصراني، فلأنه لا يؤمن بنبوة محمد ﷺ ورسالته، ومن ثم يُخشى أن يُسمعها طعناً بمقدساتها، وهذا

يؤدي إلى انحلال الزواج وضياع الأولاد. ولكن إذا آمن اليهودي والمسيحي بنبوة محمد ﷺ ورسالته- مثل ما يؤمن المسلم بموسى وعيسى رسولين من الله- فلا مانع عندئذ من الزواج.

٦- الأصولية اسم لمن يتعصبون ضد الآخرين ورسالاتهم السماوية، لا لمن يطالبون بحرية المواطن وإحياء الإسلام بهذا المعنى الأخلاقي العالمي.

٧- لا أصولية- بمعنى التشدد- في الإسلام أو في اللغة العربية، بل هي وليدة السنوات الحديثة؛ لأن الإسلام يؤمن بالحوار وحرية المعتقد والرأي.

٨- الإسلام مع الحرية لجميع أبناء الرسالات السماوية، ويمنع إيذاء المواطن مهما كان دينه.

٩- الإسلام يسمح بالاجتهاد، والجميع يحترم آراء بعضهم بعضاً، على الرغم من اختلاف الاجتهاد.

١٠- مسؤولية وجود المادية والعَلْمانية مسؤوليتها تقع على عاتق علماء الدين ، لأننا لا نأخذ الدين من منبعه الأصل. وإن بعض آراء علماء الرسالات القدماء حجب بعض الناس عن المنبع الأصل، واتبعهم الناس بلا عقل أو تفكير. وعندما تحرر العقل، وجد أن بعض علماء الرسالات السماوية يدعو إلى عكس الحقيقة، فهجر الدين! .

١١- الجهاد في الإسلام ليس ضد الشعوب والعقائد الأخرى، بل هو ضد الاستعمار والحكام.. الذين يمنعون العلم عن شعوبهم.

١٢- الإسلام عندما حرر الشعوب، فرض العلم على جميع الناس، فخرج نوابغ من العلماء من غير العرب.

١٣- عندما رأت الشعوب حقيقة الإسلام وتسامحه، انجذبت إليه ودخلت فيه برضاها.

١٤- الإسلام يفرض على الدولة الإسلامية إعانة اليهودي والمسيحي- العاطليْن أو العاجزيْن عن العمل- براتب شهري.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص الكلمة والحوار

- **كلمة سماحة الشيخ أحمد كفتارو:**

أرحب بضيوفنا، أبناء السيد المسيح عليه السلام، وأبناء محمد ﷺ يرحبون بكم؛ إذ إن الإسلام مجمع الرسالات السماوية الثلاث، ويدعو إلى الإيمان بها. فالمسلم إذا آمن بمحمد ﷺ ولم يؤمن بالمسيح عليه السلام، عُدّ كافراً. وإذا لم يؤمن بموسى عليه السلام، عُدّ كافراً؛ لأن الإسلام هو مجموع الإيمان بالرسالات الثلاث، وبأنبيائها، وبكل الأنبياء والرسل الآخرين. يقول الله- تعالى- على لسان المؤمنين به من أتباع محمد ﷺ: ﴿... لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ...﴿٢٨٥﴾﴾ [سورة البقرة].

نحن- المسلمين- عرفنا هذه الأخوة الإيمانية في القرآن الكريم، ومن خلال نبينا سيدنا محمد ﷺ، وكذلك القرآن الكريم نعى على كل

من ينتسب إلى الرسالات السماوية الثلاث انتساباً غير علمي وغير عملي، وندد بهم.. وقسّم أبناء هذه الرسالات إلى قسمين: المؤمن الأصيل، والمؤمن المزيَّف.

فهناك مسلم أصيل، ومسلم مزيف! .

ولقد نوّه القرآن الكريم بالمؤمنين الأصلاء من الرسالات الثلاث، فذكرهم في أكثر من آية فيه، إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة البقرة]، مع وجود الاختلاف بين الرسالات السماوية في بعض موادها، لا في جوهرها؛ فالرسالات الثلاث دعت- مثلاً- إلى وحدانية الله، ووحدانية الله لا تختلف في حقيقتها، ولكن الاختلاف وقع في تفسيرها في بعض الرسالات السماوية، وهذا جعل الكثير من المؤمنين يبتعدون عن الإيمان، لان تفسير الوحدانية بتفسير يرفضه العقل، يجعل الناس ينفرون من الدين. وإضافة إلى ذلك، فقد جرى التباعد بين أتباع الرسالات السماوية، لأنه تعارف بعضهم إلى بعض من بُعد. فعندما ينظر الإنسان إلى إنسان آخر في أعلى الجبل، فلا يرى عينيه ولا أنفه ولا جماله، قد لا يراه إلا نقطة سوداء، وفي هذه الحال، ولكي نعرف الحقيقة، لا بد من أن نقترب منها، فنعرف ملامحها وواقعها الصحيح العملي.

ولذلك، **أقول** عن الإسلام: إن المسلم لا يكون مسلماً، إذا لم يؤمن بالمسيح ورسالته؛ ولا يكون مسلماً، إذا لم يؤمن بموسى وتوراته.. مع اعتقاد المسلم أن كثيراً من الأشياء غير الصحيحة نسبت إلى محمد وإلى المسيح وإلى موسى عليهم السلام.. وهذا جعل محمداً ﷺ يأمر أن يُبحث الإسلام في كل مئة سنة[1]، خوفاً على الأشياء الدخيلة على جوهره، وهذا يجعله مشوهاً في واقع حياة الإنسان.

لقد دعا الإسلام إلى وحدانية الله، وإلى الإيمان بكل أنبياء التوراة، وبسيدنا المسيح وبكل تعاليمه، وبما زاد فيه على الأنبياء من قبله، فهو لم يدعُ إلى الأمور الروحانية فحسب، بل دعا إلى الحياة الجسمية أيضاً، وعلى أحسن شكل، بكل ما يتعلق بالأمور الجسدية من شؤون.

وكذلك دعا الإسلام إلى وحدة شعوب العالم، متخطياً القوميات والألوان، وإلى وحدة الإنسان، متخطياً العقائد الدينية، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ...﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء]، ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ..﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الحجرات]، وكان النبي

(١) فقد ورد في الحديث: «إن الله يبعث لهذه الأمة- على رأس كل مئة سنة- من يجدد لها دينها»؛ أخرجه أبو داود عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب الملاحم،، باب ما يذكر في قرن المئة، برقم ٤٢٩١؛ وهو صحيح.

الكريم **محمد** ﷺ **يقول**: «الإنسان أخو الإنسان أَحَبَّ أم كره»[1]، **ويقول** ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[2].

ودعا الإسلام إلى إقامة الدولة العالمية في ظلال الإيمان. واستطاع المسلمون الأولون- الذين رباهم النبي الكريم محمد ﷺ في مدرسته- أن يوحدوا نصف العالم القديم، في دولة واحدة وأمة واحدة، مع رعاية حرية المعتقد، ومع وجوب التضامن الاجتماعي بين شعوب العالم ؛ فالغني يساعد الفقير، والعالم يعلم الجاهل.

وفي ظل حرية الاعتقاد والتديُّن، حثّ الإسلام بالوصايا العميقة، التي تؤكد الحفاظ على كنائس النصارى وكنس اليهود. لقد كانت هذه البلاد مسيحية، ولكنها عندما رأت مسيحيتها في الإسلام والقرآن، تقبلت تعاليم النبي محمد ﷺ، لأنه لم يأمرها أن تترك تعاليم المسيح، ومن أصر على تمسكه بعقيدته المسيحية أو اليهودية تركه حراً في إقامة شعائره، بكل ما في كلمة " الحرية " من معنى..

وأنا، بكل ما أملك من طاقة، أعمل على تحقيق هذه المبادئ، من أجل تحقيق السلام بين أبناء العائلة الإنسانية.

(١) أخرجه ابن حبان عن انس في البر والإحسان، برقم ٢٥١٠، بإسناد صحيح على شرط مسلم.
(٢) أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم ١٣.

وأرجو الله ﷻ أن يتجاوب أبناء الرسالتين- المسيحية واليهودية- مع هذه الأهداف، لنعمل جميعاً تحت مظلة إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام على تحقيق السلام والإخاء الإنساني.

- **المناقشة بعد الكلمة:**

✍ **السؤال الأول**: ما التغير الذي طرأ على حياتكم، وكان له الأثر الكبير فيها؟ .

الجواب: لقد تعلمت العلوم الدينية على يد أساتذة كثيرين، وكان معظمهم يدعو إلى التعصب- لأنها كانت الثقافة السائدة- ولكني في آخر مراحل الدراسة، كان أستاذي الأخير هو والدي الشيخ محمد أمين- عليه رحمات الله- وكان عالماً إسلامياً كبيراً وصوفياً كبيراً، فنقلني من الدائرة الضيقة إلى دائرة الدعوة العالمية الواسعة التي تؤمن بالحوار بالتي هي أحسن مع الآخر، وأنا أعيش- الآن- في هذه الدائرة، وقد وجدت في أسفاري إلى أمريكة، وأوربة، والاتحاد السوفييتي، واليابان، أن العالم المتقدم مهيأ لتقبل فكرة الحوار والتعاون، التي هي روح الرسالات السماوية الثلاث، وأنا أؤمن إيماناً قاطعاً، أن إبراهيم وموسى وأنبياء التوراة ومحمداً والمسيح- عليهم السلام- لو اجتمعوا لتعانقوا وشكلوا شخصية واحدة، ومن لا يتبع تلاقيهم ووحدتهم هذه فإنهم يتبرؤون منه.

✍ **السؤال الثاني**: لقد تحدثتم عن المحبة والتراحم التي عاش فيها المسلمون والمسيحيون في الماضي، كيف ترون الواقع، ولا سيما فيما يتعلق بموضوع الزواج؟! .

الجواب: نحن في سورية نعيش مسلمين ومسيحيين وكأننا أبناء عائلة واحدة، وأما فيما يتعلق بالشق الآخر من السؤال، فالإسلام أباح للمسلم أن يتزوج من المسيحية أو اليهودية ؛ لأنها إذا دخلت بيت المسلم وجدت عقيدتها مقدسةً محترمةً من زوجها، وبذلك يكون استمرار هناء الأسرة مضموناً، ومنع الإسلام المسلمة أن تتزوج من اليهودي أو المسيحي، خوفاً من أن يُسمعها زوجها الجرح والطعن في مقدساتها، وقد يوجب هذا انحلال الأسرة وضياع الأولاد. ولكن إذا آمن المسيحي أو اليهودي بمحمد ﷺ وبرسالته- كما آمن المسلم بموسى عليه السلام ورسالته وعيسى عليه السلام ورسالته- فعند ذلك لا يكون ثمة مانع من الزواج ! .

✍ **السؤال الثالث**: أعلم أن النزعة الأصولية تنمو في المسيحية أيضاً، كيف ينظر الإسلام إلى هذه النزعة، ولماذا تنمو الأصولية في الإسلام بهذا الشكل؟ .

الجواب: هذه النزعة وليدة السنوات العشر الأخيرة، وكلمة أصولية ليست موجودة لا في قاموس اللغة العربية، ولا في قاموس الدين

الإسلامي، فالإسلام دائماً يدعو إلى الحوار، ويمنع فرض الرأي على الآخرين، وهذا يعد تشويهاً لمرونة الإسلام، وحرية الرأي، وحرية العقيدة في الإسلام، وكثيراً ما يطلق على بعض الجماعات كلمة الأصولية، على حين أنهم ليسوا أصوليين، بل إنهم يطالبون- مثلاً- بحرية المواطن، وبتحرير الأرض من المحتلين.. إنهم يطالبون بإحياء الإسلام بهذا المعنى الأخلاقي العالمي، وهؤلاء لا يسمون أصوليين بالمعنى المعاصر، وأما المتعصبون ضد الآخرين وضد الرسالات السماوية الأخرى، أو الذين يريدون أن يفرضوا آراءهم- بلا حوار- على الآخرين، فهؤلاء لا صلة لهم بالمنهاج الإسلامي. فقد أتى وفد يتألف من سبعين نصرانياً إلى النبي الكريم ﷺ، وأرادوا أن يصلوا، ففتح لهم مسجده وصلوا فيه! ومن قواعد الإسلام الحوار بالحكمة، وبالتي هي أحسن، والإسلام لا يسمح لأي إنسان فرداً كان، أو جماعة، أو دولة، أن يفرض رأيه على الآخرين! والنص في القرآن يؤكد أنه: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ...٢٥٦ ﴾ [سورة البقرة].

إن الإسلام مع الحرية، ومع المساواة، ومع حرية المواطنين، مسلمين وغير مسلمين، لأن **النبي** ﷺ كان **يقول**: «ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب

نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة»[1].

ويروى في التاريخ الإسلامي أن عميراً **بن سعد**- وهو حاكم حمص المسلم في عهد عمر **بن الخطاب**، الخليفة الثاني للنبي محمد ﷺ- **قال** لنصراني: "أخزاك الله"، فأدرك أنه خالف الدين الإسلامي، لوقوعه في خطأ مع إنسان غير مسلم، فاستقال من إمارة حمص![2]

✍ **السؤال الرابع**: كيف تعيش الأسر السنية والأسر الشيعية في سورية؟.

الجواب: هي كالأخوين، تسود بينهما علاقة المحبة.

فالإسلام يسمح بالاجتهاد، وإذا ما حدث اختلاف في الاجتهاد، فالجميع يحترم آراء بعضهم بعضاً، ويصلون في مساجد بعضهم بعضاً.

✍ **السؤال الخامس**: لقد تأثرت كثيراً من جوابكم حول الأصولية، ولكن هناك شيء مهم لا يتعلق فقط بالسنوات العشر الأخيرة، وإنما بالسنين الخمسين الأخيرة، ويتعلق بالعلمانية، والدخول بالعلمانية والمادية. ما رأيكم بهذه التطورات العلمانية والمادية؟! .

(١) أخرجه أبو داود، عن صفوان بن سليم ﷺ عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله عن آبائهم دنية عن رسول الله، باب تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، برقم ٣٠٥٤. وهو صحيح.
(٢) أحكام أهل الذمة (١/ ٣٥٦).

الجواب: نحن علماء الدين نتحمل مسؤولية وجود العلمانية والمادية، لأننا لا نأخذ الدين من منبعه الأصيل. فلو أن المسلم أخذ الإسلام من القرآن ومن النبي محمد ﷺ، ولو أن المسيحي أخذ مسيحيته من المسيح ومن الإنجيل الذي أنزل عليه، فلن نجد ملحداً واحداً بالرسالات السماوية الصحيحة.

إنَّ ما حجب الأجيال المتأخرة عن المنبع الأصل للدين، هو أن الإنسان القديم كان يتبع الآراء الخاطئة لبعض علماء الدين القدماء من غير تفكير، ولا استعمال العقل.

وفي السنين الأخيرة، تحرر العقل، ووجد أن الدين- الذي يعرضه بعض علماء الرسالات السماوية- يدعو إلى ما يخالف الحقيقة، والواقع، ومصلحة الإنسان. ولذلك، آثر أن يهجر الدين الذي لا يتفق مع مصلحة الإنسان، وهذا ما حاورت به البابا يوحنا **بولس الثاني** في سنة ألف وتسعمئة وخمسٍ وثمانين، في **لقاء استمر ساعة كاملة**، قلت له سائلاً: أتدري من خلق الشيوعية والإلحاد في العالم؟ فقال: من؟ قلت له: أنت! فقال مستنكراً مترعجاً: أنا؟! قلت له: نعم، أنت. وأنا معك! فقال: وكيف؟ قلت: لأننا نحن- علماء الرسالات السماوية- عرضنا الدين على نحو لا يستطيع العقل المعاصر هضمه، فوقع في تناقض.. وعذاب فكري عقلي، فآثر أن يترك الدين.. ويكون علمانياً أو ملحداً.

وما لم نرجع- نحن المسلمين، وأنتم المسيحيون- إلى تعاليم سيدنا محمد والسيد المسيح- عليهم السلام- مباشرة، فسيبقى الإلحاد قائماً، ونكون نحن- أنا وأنت وعلماء الدين- مسؤولين في المحكمة الإلهية يوم القيامة.

وعندما انتهت الجلسة- بعد حديث طال- صافحني مودعاً، وقال لي: "أنا أقرأ القرآن كل يوم"، فقلت له- كما هو الواقع-: "وأنا عندي الكتاب المقدس، وأقرأ فيه بحثاً ودراسة".

نحن- علماء الدين- مسؤولون عن الإلحاد والعلمانية، حتى وقع الإنسان في المخدرات، والمسكرات، والإيدز، والحروب.

إن علماء الدين يتحملون مسؤولية كبرى عن الضعف الذي اعترى الإيمان في عصرنا الحاضر.

✍ **السؤال السادس**: أنتم تكلمتم عن موضوع التسامح، وقلتم: إنه لا يوجد إكراه في الدين، ولكن كيف يجتمع هذا مع ما نسمعه عن الجهاد؟! .

الجواب: الجهاد في الإسلام ليس ضد العقائد، وليس ضد الشعوب. فعندما دعا القرآن والنبي ﷺ إلى الجهاد، كان نضالاً ضد الاستعمار الروماني في الغرب، والاستعمار الفارسي في الشرق، وكان هدف الجهاد هو رفع أيدي الحكام المستبدين، الذين يؤخرون شعوبهم،

فتعاليم وواجبات الإسلام هي نشر العلوم بين شعوب العالم، فقد كانت دول العصور الوسطى تُحرّم الثقافة والقراءة والكتابة إلا على رجال الدولة وطبقة النبلاء، وعندما حرر الإسلام الشعوب فرض العلم على جميع الناس. ولذلك، كانت تلك الشعوب تخرج النوابغ من علماء الإسلام، كما خرجت الأمة العربية النوابغ من علماء الإسلام، فهم جميعاً في شرف نشر العلم سواء.

وفي الوقت الذي حارب الإسلام الدول الاستعمارية، حافظ على عقائد الشعوب، وعلى رسالاتها السماوية، وعلى معابدها وكنائسها. ولذلك، عندما رأت هذه الشعوب المنهج الإسلامي على حقيقته، اعتنقته بكامل رضاها واختيارها.

إن الدين الإسلامي يفرض على الدولة الإسلامية- إذا وُجد مسيحي أو يهودي عاطل عن العمل- أن تؤمن له جميع وسائل معيشته. وإذا وصل إلى الشيخوخة فإنها تؤمن له الراتب الشهري، هذا من صلب الإسلام، ولو كان المستفيد من ذلك لم يعتنق عقيدة الدولة.

حوار مع

وفد مقاطعة جنوبي ألمانية[1]

(٢)

(١) جرى الحوار مع سماحته في مجمع الشيخ أحمد كفتارو الإسلامي، في ١٥/ ٥/ ١٩٩٥. ويتألف الوفد من حشد من الفاعليات الدينية والفكرية والسياسية والجامعية، بإشراف جيرَرْد **كُنْتسلمان** [مدير برامج الدراسات الميدانية في المقاطعة الألمانية].

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

أ- في الكلمة:

١- الإسلام معناه الامتثال لأوامر الله والعمل بها.

٢- الأنبياء برسالاتهم السماوية غايتهم تحقيق صلة روح الإنسان بالله، وتحسين صلة الإنسان بأخيه الإنسان.. بغض النظر عن قوميته أو دينه.

٣- الصلة بالله غذاء الروح، وتكون عن طريق الصلاة والتفكر في عظمة الخالق. وهذه الصلة تورث سعادة خاصة في نفس الإنسان.. وتجعله يتغلب على أهوائه.. وتيسر عليه الامتثال لتوجيهات الله تعالى.

٤- من أدلة تأثير الصلة بالله في سرعة الامتثال لله حادثةُ تحريم الخمر وسرعة استجابة الصحابة لأمر الله تعالى.

٥- بسبب مرور الزمان.. والترجمات.. وسيطرة شهوة الإنسان على نفسه، صار الدين بعيداً عن قناعة الإنسان وعقله.

٦- يؤمن المسلم بكل الأنبياء والرسالات السماوية، لكنه يستعمل عقله.. فما يشوه الدين وينافي العقل لا يقبله، لأن الدين ينمي العقل ولا يناقضه.

٧- أقام النبي محمد ﷺ الأمة العالمية، التي يتساوى فيها الإنسان.. على الرغم من اختلاف لونه وقوميته ودينه.

٨- في ظل المبادئ السماوية وإحياء العقل، قام المجتمع الإيماني عشرات السنين. و لم يكن هناك سجن ولا محكمة.

٩- دعا النبي محمد ﷺ إلى إعادة النظر في الدين كل مئة عام، ليبقى ديناً نقياً من سوء فهم بعض علماء الدين.. ومن تشويه وتحريف بعضهم الآخر، وليبقى ديناً يعطي الحياة لا الموت.

١٠- إن سبب ابتعاد الإنسان عن الدين هو أخطاء علماء الدين، التي أبعدت الحيوية عنه. فعندما رأى الإنسان أن الدين لا يناسب حياته وعقله، ألحد أو صار عَلمانياً.

١١- عندما طُبق الإسلام بحقيقته، استطاع في خمسين سنة- بوسائل بسيطة- تحقيق الدولة العالمية والأمن العالمي. ولو ملك النبي

محمد ﷺ وأصحابه وسائل اليوم، لوحدوا العالم في دولة واحدة في أقل من ثلاثين سنة.

١٢- لو استطاع أي شعب أو دولة تبني المشروع السماوي الحقيقي.. مستفيدين من وسائل الحياة المعاصرة، لتحقق السلام العالمي.

ب- في الحوار:

١- الإسلام برنامج سماوي، ومن لا يمشي على مخططه، يقع في أخطاء منها العنف.. أو "الأصولية" كما تسمى. والخطأ يقع من الإسلاميين من جهة.. إذ إن العنف غير مقبول في الإسلام، ويقع من الحكومات من جهة أخرى.. إذ عليها الاستجابة لمطالب الشعب.

٢- التفريق بين سنة وشيعة ليس من أصل الإسلام، وإنما حدث من اختلاف أفكار الناس واجتهاداتهم، وهذا يحصل في جميع المبادئ الدينية والسياسية. ولكن هذا الانقسام سيزول؛ لأن القرآن بقي في لغته الأصلية، وهو واضح، ويجتمع عليه المسلمون.. على الرغم من مذاهبهم. وجميع الطوائف تتقارب إلى الوحدة.

٣- التعصب بين أبناء الرسالتين- الإسلامية والمسيحية- يتراجع بسب التقدم الفكري العلمي. والتقارب يفيد الإنسانية جمعاء.

٤- الإسلام قدَّر المرأة بنتاً وزوجة وأماً، وحفظ لها حقوقها، والنصوص على ذلك كثيرة.

٥- الإسلام هو دين ودولة في آن واحد، وفصل الدين عن الدولة عمل سياسي لا يرضاه الإسلام.

٦- الله تعالى في العقيدة الإسلامية لم يلد و لم يولد، وكلمة "ابن الله" حسب الإنجيل كنايةً تعني أنه المقرَّب من الله، من منطلق **قول المسيح** نفسه: "طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون"[١]؛ وأما أن نجعل عيسى ابناً حقيقياً لله، فهذا خطأ؛ لأن الله لم يلد و لم يولد. والإنجيل نفسه يحل هذه المشكلة **بقول المسيح**: "ويعرفوا أن الذي أرسلته يسوع المسيح"[٢]، و لم يقل: "الذي ولدتَه"! .

(١) إنجيل متى (٥: ٣- ١٠).

(٢) إنجيل يوحنا (١٧: ٣- ٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص الكلمة والحوار

- **كلمة سماحة الشيخ أحمد كفتارو**

الإسلام معناه: الامتثال والانقياد لأوامر الله، وإظهار الخضوع له، والاستسلام لأمره، والعمل به. فكل الرسالات السماوية، وكل أنبيائها، جاءت لتحقيق هدفين وغايتين ساميتين:

الهدف الأول: هو تحقيق صلة روح الإنسان بالله عز وجل. وهذه الصلة تكون عن طريق؛ الصلاة، والتفكر، وتوجيه الفكر وكل الشعور نحو عظمة الله، خالق الكون بكل ما فيه، وتكون هذه الصلة مثل الغذاء لجسد الإنسان، فالجسد بلا غذاء يموت، وكذلك روح الإنسان، فإنها إذا لم تتصل بالله فستموت إنسانيتها، وتعيش في حيوانيتها وبهيميتها. وعندما تحيا روح الإنسان بصلتها بالله، يشعر الإنسان بسعادة لا يجدها

لا في طعام، ولا في شراب، ولا في مناظر جميلة، ولا في الزواج، ولا في أي شيء موجود في الحياة المادية.

وبهذه الصلة للإنسان مع الله، يستطيع المرء أن يتغلب على أهواء نفسه، في الأشياء التي تشتهيها، وتعود بالمضرة والأذى عليه، مثل المخدرات، أو المسكرات، أو الظلم، أو الاعتداء.

فَبِصِلةِ روحه بالله، لا يجد في الامتثال لأوامر الله صعوبة أو حرجاً.

ولذلك، وعلى سبيل المثال، لما نزل روح القدس، جبريل عليه السلام، على النبي الكريم ﷺ، يبلغه عن الله عز وجل تحريم المسكرات، ثم بلَّغ النبي ﷺ المسلمين تحريمها، كسر المسلمون- في يوم واحد- جميع أواني الخمر.. وكل جرارها، وصار الخمر يسيل في أزقة المدينة مثل السواقي[1].

وأما الهدف الآخر: فبعد تحقيق صلة الإنسان بالله، على الإنسان أن يحسن صلته مع أخيه الإنسان، بقطع النظر عن لونه، أو دينه، أو قوميته. وبناء على هذه القاعدة كان النبي **محمد** ﷺ **يقول**: «الإنسان أخو الإنسان، أَحَبَّ أم كره»[2].

(١) انظر نص الحديث في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه، في كتاب المظالم، باب صب الخمر في الطريق، برقم ٢٣٣٢.

(٢) أخرجه ابن حبان عن انس في البر والإحسان، برقم ٢٥١٠، بإسناد صحيح على شرط مسلم.

والله تعالى أرسل الأنبياء إلى الناس ليحققوا الهدفين المذكورين آنفاً- وليقوموا ببناء الإيمان الذي استكمله نبينا **محمد** ﷺ، الذي **يقول**: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسَنه وأجمله، إلا موضع لبنةٍ من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويَعجَبون له، ويقولون: هلاّ وُضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتِم النبيين»[1].

ومع مرور الزمن على الرسالات السماوية، والترجمات من لغة إلى لغة، والتأويلات الخاطئة، وتغلب شهوات الإنسان على نفسه، صار مفهوم الدين بعيداً عن قناعة الإنسان وعن عقلانيته.

ومن أصول الإسلام، الإيمانُ بكل رسالات الأنبياء. فأنا- لأنني مسلم- أؤمن برسالة سيدنا محمد ﷺ. وفي الوقت نفسه، أؤمن برسالة السيد المسيح، وأؤمن برسالة كل من سيدنا موسى وسيدنا إبراهيم، ولكن يجب أن أستعمل عقلي وأنبذ جميع ما لحق بالدين من تشويه وتحريف ينافي العقل؛ لأن الدين ما أتى ليناقض العقل، وإنما أتى لينمي العقل، ويجعل العقل مع الدين أخوين توءَمين.

وباللبنة الأخيرة- التي كان فيها تمام الدين- أقام النبي محمد ﷺ

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، برقم ٣٥٣٥.

الأمة العالمية، وأقام الدولة العالمية، ليتساوى في ظلها جميع الناس على اختلاف ألوانهم وقومياتهم ودينهم.

بهذه المبادئ السماوية، القائمة على وحي السماء، وعلى إحياء العقل، والاستجابة لضيائه، قام المجتمع الإيماني.

ولعشرات السنين لم يكن هناك سجن، لأنه لا يوجد مجرم، ولا يوجد محكمة ولا قاض، لأنه لا يوجد ظالم ولا مظلوم.

وكان النبي محمد ﷺ يدعو إلى إعادة النظر في أمور الدين والإسلام كل مئة سنة[1]، حرصاً على بقاء قانون السماء نقياً من سوء فهم بعض علماء الدين أو تشويه وتحريف آخرين. ورسالات السماء هي- في الأصل- كماء المطر، الذي من دونه لا تبقى الحياة. ولكن عندما يختلط ماء السماء بأوساخ الأرض، فإنه يعطي الموت بدل أن يعطي الحياة. وهكذا الدين إذا بقي على نقائه، فإنه يعطي حياة الروح، وحياة الجسم، وإذا اختلط بأخطاء وتفسيرات غير صحيحة، فيعطي عكس ما أنزله الله وما شرعه.

(١) فقد ورد في الحديث: «إن الله يبعث لهذه الأمة- على رأس كل مِئة سنة- من يجدد لها دينها»؛ أخرجه أبو داود عن أبي هريرة ﷺ، كتاب الملاحم،، باب ما يذكر في قرن المِئة، برقم ٤٢٩١.

ولذلك، فإننا نجد الإنسان في عصرنا الحاضر، قد ابتعد عن مدرسة السماء، وعن تعاليمها.

وليس السبب في ذلك تعاليم السماء، أو لأن هذه التعاليم ليست في مصلحة الإنسان وسعادته. وإنما السبب كامن فيما وقع من أخطاء، وقع فيها علماء الدين. ونتيجة لذلك، أبعدوا الحيوية عن الدين.

ثم إن الإنسان لما تحرر عقله، ورأى هذا الدين لا يتناسب مع حياته، ومع عقلانيته. صار عَلمانياً، أو بعيداً عن الدين. والذنب ليس ذنب هذا الإنسان، وإنما هذا بسبب أخطاء بعض علماء الرسالات السماوية.

عندما طُبِّقَ الإسلام في زمن سيدنا محمد ﷺ إلى ما بعد وفاته بثلاثين سنة، استطاع المؤمنون بهذه المبادئ السماوية الأصيلة، أن يوجدوا الأمة العالمية، من حدود إسبانية إلى بكين. واستطاع الإسلام بمبادئ السماء أن يجعل مع الأمة العالمية، الدولة العالمية، لتحقيق الأمن والواجبات التي لا يتحقق وجودها إلا بوجود الدولة.

أنجز الإسلام هذا العمل التاريخي العظيم بثلاثين سنة، وبالوسائل البسيطة للإنسان؛ إذ لم يكن هناك سيارات، ولا طائرات ولا لاسلكي، ولا محطات فضائية، ولا فاكس، ولا إنترنت.. إلخ. وأما لو ملك النبي محمد ﷺ والمؤمنون معه الوسائل الموجودة في القرن العشرين؛ من

المواصلات، والمطبوعات، والإذاعات، والمحطات الفضائية وغيرها فأعتقد أنه كان بإمكانهم أن يوحدوا العالم في أمة واحدة ودولة واحدة بأقل من ثلاثين سنة، وهذا ما كان يتخيله الفلاسفة ويتمنونه، ولكنهم عجزوا عن تحقيقه.

وأخيراً، لو استطاع أي شعب أو دولة تَبَنِّي هذا المشروع السماوي، وبوسائل الإعلام المعاصرة، فأعتقد أنه سيتحقق السلام العالمي، وحتى الإخاء الإنساني، وسيعيش سكان العالم- في ظلال الإيمان- بلا حرب ولا بغضاء ولا شقاء...

- **مناقشة بعد الكلمة:**

✍ **السؤال الأول:** قد علمنا جمال الإسلام وجمال تعاليمه، ونرى نحن في الغرب أن هناك نزعةً لما يسمى الأصولية والأصوليين، فما هذه النزعة وكيف تصفها؟

الجواب: الإسلام هو برنامج سماوي. وأي إنسان ينتسب إليه ولا يمشي على مخططه التام، فإن المسؤولية تكون عليه، لا على الإسلام كبرنامج سماوي وإيماني وحياتي.

هناك خطآن: خطأ ترتكبه الحكومات، وخطأ من الإسلاميين.

العنف في الإسلام غير مقبول، وكذلك على الحكومات أن تستجيب لمطالب الشعب.

✍ **السؤال الثاني**: هل تبيّن لنا شيئاً عما يوجد في الإسلام من خلافات، كأن نقول: هناك سنّة وهنا شيعة. ما سبب ذلك، وما تفسيركم له؟! .

الجواب: هذا ليس من أصل الإسلام. وهذا الأمر يمكن أن ينشأ في جميع المبادئ الدينية أو السياسية أو غيرها. إذ إنها تبدأ موحدة، ثم باختلاف أفكار الناس، واختلاف اجتهاداتهم يحصل هذا التفرع، سواء كانت دينية أو غير دينية. ولكن هذا الانقسام آخذ في الزوال. لأن القرآن الكريم لم يترجم، بل بقي في لغته الأصلية، ومن ثم فهو لم يُحَرَّف، وهو واضح كل الوضوح، ويجتمع عليه المسلمون جميعاً بجميع فرقهم ومذاهبهم.

إن جميع الطوائف الإسلامية تتقارب -الآن- لتزول الحواجز وتتحقق الوحدة الإسلامية.

وكذلك فإن التعصب بين أبناء الرسالتين الإسلامية والمسيحية قد بدأ يتراجع، وبسبب التقدم الفكري والعقلي في الإنسان، صار التقارب بين أبناء الرسالتين العالميتين يبشر بكل خير في المستقبل القريب لمصلحة الإيمان، ولمصلحة الإنسان.

فنحن مثلاً في سورية- مسيحيين ومسلمين- لا نشعر إلا أننا أبناء عائلة واحدة، يتعاون بعضنا مع بعض لما فيه خير الإنسان أينما كان.

✍ **السؤال الثالث**: ما مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي؟.

الجواب: سيدنا **محمد** ﷺ **يقول**: «إنما النساء شقائق الرجال»[1]، والقرآن الكريم يورد أنه: ﴿ ... **وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**... ﴿٢٢٨﴾ ﴾ [سورة البقرة]. وكذلك «جاء إلى النبي محمد ﷺ رجل اسمه جاهمة فقال: يا رسول الله: أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك. فقال ﷺ: هل لك من أم؟ قال: نعم. قال: فالزمْها، فإن الجنة تحت رجليها»[2]، **وقال** ﷺ: «من كان له ثلاث بنات، فصبر على لأوائهنّ وضرّائهنَ وسرائهن، أدخله الله الجنّة بفضل رحمته إيّاهن. فقال رجل: أو اثنتان يا رسول الله؟ قال ﷺ: أو اثنتان. فقال رجل: أو واحدة يا رسول الله؟ قال ﷺ: أو واحدة»[3]. وكانت من آخر وصاياه، قبل أن

(١) أخرجه أبو داود، من حديث عائشة رضي الله عنها، في كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البلة في منامه، برقم ٢٣٦؛ وهو صحيح.

(٢) أخرجه النسائي عن معاوية بن جاهمة السُّلَمي، في كتاب الجهاد، باب الرخصة في التخلف لمن له والدة، برقم ٣١٠٤؛ وهو حسن صحيح.

(٣) أخرجه أحمد في مسند أبي هريرة ﷺ، برقم ٨٤٠٦. واللأواء: الشدة وضيق المعيشة، وهو حسن لغيره. وفي رواية: ‹بنات أو أخوات›.

تفارق روحه جسده: «استوصوا بالنساء خيراً»[1].

✍ **السؤال الرابع**: ما رأي الإسلام في فصل الدين عن الدولة، أو الكنيسة عن الدولة؟

الجواب: الإسلام هو دين ودولة في آن واحد. وعندما فُصلَ الدين عن الدولة كان ذلك عملاً سياسياً. **والنبي ﷺ يقول**: «الإسلام والسلطان أخوان، لا يصلح واحدٌ منهما إلا بصاحبه، فالإسلام أمين والسلطان حارس، وما لا أمين له مُنهدم، وما لا حارس له ضائع»[2].

✍ **السؤال الخامس**: تتكلمون عن التعاون بين الإسلام والمسيحية، ولكن هناك عقبة تحول دون هذا التعاون، وهي أن المسيحيين يؤمنون أن المسيح هو ابن الله. فكيف نستطيع أن نذلل مثل هذه العقبة كي يتم التعاون؟

الجواب: الله تعالى في العقيدة الإسلامية لم يلد و لم يولد. وانطلاقاً من أن عبارة " ابن الله " لا تعني أبداً البُنوَّة الجسدية، فليس في الإنجيل أي نص يقول بأن لله تعالى زوجة وله منها أولاد ..

وإنما عبارة " ابن الله " تعني المقرب من الله حسب الإنجيل،

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، برقم ٣٧٢٠.
(٢) أخرجه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما، باب الهمزة، فصل في الإسلام، برقم ٣٩٦. وأورده ابن حبان في الضعفاء (٢/ ٢٣٨).

وسيدنا عيسى المسيح لم يقل عن نفسه بأنه إله، أو ابن إله بمعنى أنه مولود من الله تعالى ...

ولكن الذين كتبوا عنه بعد عشرات أو مئات السنوات هم الذين ألصقوا به صفة الألوهية ...

وهذه المشكلة محلولة في الإنجيل نفسه على لسان **المسيح** حين **يقول**: "والحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويعرفوا أن الذي أرسلته يسوع المسيح"(١). والكتاب المقدس لم يجعل لله ابناً واحداً بهذا المعنى، بل سمى كثيراً من الأنبياء والصالحين أبناء الله، **فجاء فيه**: "طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يُدعون"(٢). فإذا كنا أنا وأنتم نصنع السلام، **فالمسيح يقول** عنا: إننا أبناء الله، أي: أحباء الله؛ وكذلك الذين يصنعون الشر سماهم: "أبناء الشيطان"(٣). والإنسان المعاصر يستطيع أن يفهم هذه الأمور بالطريقة الإسلامية، على نحو أكثر عقلانية وأبسط فهماً، من دون طلاسم ولا أسرار. ولذلك، لا توجد مشكلة. هناك مشكلة واحدة، وهي أنه لا يفهم بعضنا بعضاً، ولا يجتمع بعضنا مع بعض، لنعرف الحقيقة بالمواجهة والقرب، وعندها لا يبقى أي إشكال.

(١) إنجيل يوحنا (١٧: ٣- ٤).
(٢) إنجيل متى (٥: ١-١٠).
(٣) إنجيلا يوحنا (٨: ٤٤) و لوقا (١٦: ٨).

نظرة الإسلام إلى

التعايش مع غير المسلمين[1]

(١) حوار مع سماحته، أجراه مراسل جريدة الرأي القطرية، في دمشق، في ٢٤/ ١٢/ ١٩٩٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- الناس- في نظر الإسلام- أبناء عائلة إنسانية واحدة، فجميعهم أبناء آدم، ولهم الحق في العيش والكرامة من دون النظر إلى اختلاف ألوانهم أو رسالاتهم السماوية.

٢- الاختلاف في اللون والعرق والجنس سبب للتعارف والتلاقي على المصلحة المشتركة، وميزان التفاضل هو التقوى ومقدار تقديم الخير للإنسانية مع الإيمان بالله.

٣- الآخر- من لم يدخل مدرسة الإسلام- ليس عدواً، بل هو من البشر.. له الحرية في ما يعتقد، وله حقوق الإنسان الكاملة...

٤- الإسلام طبق التعايش بين المسلمين وغيرهم في المدينة المنورة،

و لم يكره أحداً على دخول الدين. ومحاربة اليهود كانت بسبب نقضهم للمعاهدات، ولتحريضهم الكفار على محاربة المسلمين؛ وأما القبائل العربية المسيحية، فقد أُمِّن لها حرية المعتقد وممارسة الشعائر وصون أمكنة العبادة.

٥- الأسس- التي وضعها الإسلام للتسامح الديني- صالحة لكل زمان ومكان، والأمثلة التاريخية كثيرة، وأحدها ما نراه في سورية اليوم.

٦- الدول الاستعمارية تدخلت في بلدان العالم بحجة حماية الأقليات.. ومنها المسيحية، ففرقت.. وأبرزت الطائفية، على الرغم من أن مسيحيي هذه البلاد تبرؤوا منها.

٧- يجب التفريق بين اليهودية والصهيونية. فالأقليات اليهودية في العالم ليس لها مع المسلمين عداوة، ولكن الصراع مع الصهيونية.. ذات الطابع الاستعماري العنصري، وهي تحارب المسلم والمسيحي.

٨- السلام المنشود هو السلام العادل الشامل، الذي يعيد الحقوق إلى أصحابها.

٩- الإسلام- الذي جاء لخير الإنسانية كلها- رفض الماركسية؛ لأنها حاربت جميع الرسالات السماوية من دون تمييز بين الدين الصحيح والدين المزيف، الذي يحارب العقل والتقدم العلمي؛ فهم قد أخطؤوا في محاربة الإسلام.

١٠- من يقل: إن الإسلام والقومية لا يلتقيان فهو جاهل بحقيقة رسالة الإسلام؛ فالإسلام لم يحارب أي قومية. والقرآن ذكر الأنبياء بأنهم إخوة لأقوامهم، والتمايز بين الناس بالتقوى.

١١- القوميون شاركوا الإسلاميين في نضالهم ضد الاستعمار والصهيونية؛ فالعروبة جسد والإسلام روحها.

١٢- تخلف المسلمين له سبب داخلي، وآخر خارجي. فالخارجي هو الاستعمار، والداخلي هو بعد المسلمين عن تعاليم دينهم.. وهو الأهم؛ لأنه أفاد أعداءهم. وتخلف المسلمين مسؤولية السياسيين وعلماء الدين والأغنياء.

١٣- الغرب- المتمثل في سياسات حكامه- ينحاز إلى خصوم المسلمين ويكيل بمكيالين. وتخلف المسلمين وتقصيرهم يرجع- في أحد جوانبه- إلى هذه السياسات الجائرة المستغِلة المهيمنة.

١٤- لا بد من تهيئة الدعاة لتعريف الغرب بالإسلام، ليغير نظرته إليه.

١٥-العنف ثلاثة أنواع:

أ- مقاومة ضد الاحتلال: وهذا لا يُسمى عنفاً.

ب- التقاتل بين المسلمين: وهذا ضرره كبير على المسلمين ولا يجوز الولوج فيه.

ج- قتل الأبرياء.. وإسقاط الطائرات المدنية.. وتفجير الحافلات.. بحجة محاربة أعداء الله وأنه في سبيل الله، فهذه أحداث نشك أن وراءها يداً مشبوهة غريبة.. قصدها تشويه صورة الإسلام.. لتنفير الناس منه فلا يصل نور الله إليهم.. ولضرب الاستقرار في الدول الإسلامية لصرفها عن عدوها الرئيس.

١٦- الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة من ضرورات الدعوة اليوم.. ولا بد من دعاة حكماء للقيام به، وفيه فائدة كبيرة تعجز عن تحقيقها الجيوش، ويسهم في تحسين صورة الإسلام.. التي شوهتها الصهيونية والصليبية، ويعزز الوحدة الوطنية في بلادنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص الحوار

السؤال الأول: إذا عرفنا الآخر.. غير المسلم- باختصار- على أنه "المختلف"، فكيف ينظر الإسلام والمسلمون إلى الآخر؟

الجواب: الحقيقة إن القرآن الكريم وضع قواعد واضحة للعلاقات الإنسانية، وأعلن الإسلام أن الناس جميعاً خلقوا من نفس واحدة، وهذا يعني وحدة الأصل الإنساني، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء]، والناس جميعاً في نظر الإسلام هم أبناء هذه العائلة الإنسانية، فهم أبناء آدم، وكلهم له الحق في العيش والكرامة من دون استثناء أو تمييز، فالإنسان مكرم في

نظر القرآن الكريم، من دون النظر إلى دينه، أو لونه، أو جنسه، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ...﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة الإسراء] وما اختلاف الإنسانية في ألوانها، وأجناسها، ولغاتها، إلا آية من الآيات الدالة على عظيم قدرة الخالق تعالى، يقول عز وجل: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة الروم].

وهذا الاختلاف لا يجوز أن يكون سبباً في التنافر والعداوة، بل بالعكس يجب أن يكون سبباً للتعارف والتلاقي على الخير والمصلحة المشتركة، فالله- تعالى- يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ... ﴾.. وميزان التفاضل الذي وضعه القرآن الكريم بين الشعوب والقبائل، إنما هو ما يقدمه هذا الإنسان من خير للإنسانية كلها مع الإيمان الحق بالله تعالى، فالله يقول: ﴿.. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الحجرات]. والآخرون الذين لم ينتسبوا إلى مدرسة الإسلام، ينظر القرآن الكريم إليهم من خلال العلاقات الإنسانية، لأنه لا إكراه في الدين؛ وأما القاعدة التي وضعها القرآن في التعامل مع هذا الآخر، فإنما هي قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الممتحنة].

فالآية واضحة في أننا نحن المسلمين عندما لا يريد الآخرون أن ينضموا إلى مدرسة الإسلام، فهم أحرار، وعلينا أن نعاملهم على قاعدة: لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، بناءً على مبدأ الاحترام المتبادل، والعلاقات والمصالح المشتركة.

✍ **السؤال الثاني:** يتسم عالم اليوم بتروع البشر إلى التعايش والتقارب، وفي هذا تبدو للإسلام أسبقية في موضوع التعايش ليس على صعيد المجتمعات بل على صعيد المجتمع الإسلامي الأول زمن النبي ﷺ، فما الأسباب التي قام عليها التعايش بين المسلمين وغيرهم في المدينة المنورة؟.

الجواب: النبي الكريم ﷺ لما هاجر إلى المدينة المنورة، كان فيها أتباعه من المسلمين، إضافة إلى بعض المشركين العرب، وقبائل يهودية، فأقام حلفاً مبنيّاً على التكافؤ والعدالة بين المسلمين واليهود، فلم يأت النبي ﷺ ليمحو وجود اليهود من المدينة، وإنما اعترف بدينهم، وترك لهم حرية ممارسة شعائرهم، ولم يتعرض قط لها، بل كان يدعوهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى إنه ورد في أسباب نزول قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ...﴿٢٥٦﴾ ﴾ [سورة البقرة] أن بعض المسلمين كان لهم أولاد يدينون بالرسالة المسيحية، فأرادوا أن يجبروا أولادهم على ترك المسيحية واعتناق الإسلام، فنهاهم الله في هذه الآية عن ذلك.

وعندما حارب النبي ﷺ اليهود لم يحاربهم بسبب الاختلاف معهم في الدين، وإنما كان سبب الحرب معهم هو نقضهم للمعاهدات التي كانت بينهم وبين المسلمين، إضافة إلى سعيهم الدائم إلى تأليب العرب والمشركين ضد النبي ﷺ ودولة الإسلام، فالحرب كانت دفاعية وقائية بالمقام الأول، ولما توسعت رقعة الدولة الإسلامية زمن النبي ﷺ كان هناك مجموعة كبيرة من القبائل المسيحية العربية ولا سيما في نجران، فما كان منه ﷺ إلا أن أقام معهم المعاهدات التي تؤمن لهم حرية المعتقد، وممارسة الشعائر، وصون أمكنة العبادة، إضافة إلى ضمان حرية الفكر والتعلم، فلقد جاء في معاهدة النبي ﷺ لأهل نجران: "ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته وليس عليه دنية" وكان لهؤلاء ولغيرهم الحرية التامة في التنقل والحركة وممارسة أي نوع من أنواع التجارة والنشاطات الاجتماعية، فهذه هي الأسس التي قام عليها التعايش بين المسلمين الأوائل مع غيرهم.

✍ **السؤال الثالث:** هل يمكن اعتبار الأسس السابقة كافية لتعايش المجتمعات والدول الإسلامية مع غيرها من المجتمعات والدول في عالم اليوم؟.

الجواب: مما لاشك فيه أن الأسس التي وضعها الإسلام في إطار التسامح الديني والتعايش مع الآخرين تعد صالحة للعمل بها في كل زمان ومكان، فالتاريخ الإسلامي يذكر بوضوح تام كيف كان

المسلمون يعيشون مع أتباع الرسالات المختلفة جنباً إلى جنب، والجميع يعيش في حرية دينية سامية، ويمارس الحياة بسائر أشكالها العلمية والاجتماعية والعملية، وحتى تولي المناصب العليا في الدولة، والأمثلة التاريخية كثيرة جداً، ربما لا يمكن حصرها، ولا أظن- بحال من الأحوال- أن الإنسانية التي تدعي التقدم وقد وصلت إلى أعتاب القرن الحادي والعشرين يمكن لها أن تصل إلى ما وصل إليه الإسلام من التسامح، والتعايش السلمي المشترك بين الأجناس الإنسانية كافة، فلا يوجد شيء في الإسلام اسمه إلغاء الآخر، لأن هذا الآخر ولو كان مخالفاً للمسلمين في الاعتقاد والتدين، فهو إنسان له الحقوق الإنسانية كافة، ما دام يريد أن يعيش مع المسلمين جنباً إلى جنب. ولعل في المثال العملي الذي نشاهده في بلاد الشام أعظم دليل على صحة ما أقول؛ فالمسلمون والمسيحيون عاشوا أربعة عشر قرناً جنباً إلى جنب، يتقاسمون الأفراح والأتراح، والشدائد والمسرات، ويواجهون دائماً عدواً واحداً، ويحاربون في خندق مشترك.

✍ **السؤال الرابع**: كيف يرى سماحة المفتي أثر التدخلات الأجنبية- ولا سيما الأوربية- في طبيعة علاقات التعايش في المنطقة العربية بين الجماعات المختلفة؟.

الجواب: هذا الأمر لعلي قد أشرت إليه في إجابتي السابقة، وهو

أن المسلمين وغيرهم من أبناء الوطن الواحد كانوا يعيشون معاً عبر التاريخ، ويواجهون المصير نفسه، وعندما كانت تتدخل الدول ذات المصالح الاستعمارية والاقتصادية والسياسية فإن تدخلها دائماً يبث الفرقة والتباغض بين أبناء الوطن الواحد، ويعمق بذور الطائفية، وتسعى هذه الدول إلى إشعال نيران هذه الطائفية بين الحين والآخر، بحجة أن هذا مسلم وهذا غير مسلم، وإذا كانت هذه الدعوات الطائفية والمذهبية تسبب في بعض الأحيان شيئاً من سوء العلاقات أو تعكير صفو التعايش بين أبناء الوطن الواحد، فإن المسلمين وغيرهم في داخل بلدان العالم الإسلامي يعرفون أهداف هذه الدول التي تتدخل بحجة حماية الأقليات، ويعرف تماماً المسيحيون العرب أن الدول الاستعمارية عندما تمد يد الدعم لبعض الفئات المسيحية لا تبتغي من وراء ذلك إلا مصالحها الخاصة، وأذكر هنا كلمة **قالها فارس الخوري** وهو من رجال الفكر والسياسة في سورية في احتفال أقامه المسلمون في الجامع الأموي ضد الاستعمار الفرنسي، وقف خطيباً ليعلن على الملأ: "إن مبرر وجود فرنسة في سورية هو حماية النصارى، أنا نائب النصارى فارس الخوري أطلب الحماية منكم أيها المسلمون، وأرفضها من فرنسة"[1].

(١) المسيحيون العرب: ندوة صحفية، ص٣١.

✍ **السؤال الخامس**: في ضوء الصراعات التي شهدتها المنطقة، ولا سيما الصراع العربي الإسرائيلي، إلى أي درجة يمكن أن تشهد المنطقة سلاماً بين الجماعات، ولا سيما بين المسلمين واليهود؟.

الجواب: يجب أن أنبّه هنا إلى نقطة، وهي أنه من الواجب علينا أن نفرق تماماً بين شيء اسمه يهودية وشيء اسمه صهيونية، فاليهودية دين منسوب إلى سيدنا موسى عليه السلام، وأتباع اليهودية في بلاد المسلمين كانوا كغيرهم عبر مراحل التاريخ طائفة من الطوائف التي لها كيانها واحترامها، لأن هؤلاء كانوا يسمون في المجتمع باسم أهل الذمة، أي: لهم ذمتنا وحمايتنا ورعايتنا، فالمسلمون لا يوجد بينهم وبين الأقليات اليهودية المنتشرة في العالم الإسلامي أي صراع أو عداوة، وهؤلاء نعيش معهم في سلام واطمئنان وهذا هو الواقع تماماً، ولكن الصراع في حقيقته ليس مع اليهودية إنما هو مع الصهيونية، وهي حركة سياسية عنصرية استعمارية تهدف إلى محاربة الإنسان، ليس المسلم فقط بل المسلم والمسيحي في أرض فلسطين، كي تهجره من أرضه، وتقتله، وتغتصب حقوقه، وتنتهك حرماته ومقدساته، وتهدر كرامته، فهؤلاء لا يمكن وصفهم إلا بالمستعمرين المغتصبين، والصراع الذي بين المسلمين وبين الصهاينة هو الصراع نفسه الذي بين المسيحيين العرب وبين الصهاينة. ولذلك، فإن الحديث عن السلام في المنطقة يجب أن يكون

مبنياً على أساس العدل، ورد الحقوق، وإيقاف الظلم والعدوان الذي ترتكبه الحركة الصهيونية العالمية المتمثلة في دولة إسرائيل، ضد أبناء العرب مسلمين ومسيحيين على السواء، فالسلام المنشود لا بد من أن يكون سلاماً عادلاً وشاملاً يرد الأرض لأصحابها، ويعيد الحقوق لأهلها، وأما السلام الذي يريده الكيان الإسرائيلي فهو سلام المصلحة الخاصة، وسلام استمرار الظلم والطغيان، وهذا لا يرضى عنه عاقل في الدنيا.

✍ **السؤال السادس**: اتخذ الإسلام والإسلاميون موقفاً متشدداً إزاء إديولوجية بعينها منها الإديولوجية الماركسية والإديولوجية القومية، هل تغيرت نظرتهم إلى هذه الإديولوجية في ضوء متغيرين رئيسين: الأول سقوط الاتحاد السوفييتي وكتلته، والآخر هو الحوار الإسلامي القومي العربي؟.

الجواب: ربما هناك خطأ في السؤال وهو **القول**: "الإسلام والإسلاميون" وقضية التشدد، فالإسلام هو تلك الرسالة السماوية الخاتمة التي جاء بها النبي ﷺ من أجل سعادة الإنسانية، ونشر الخير والرفاهة لجميع بني الإنسان، وإذا كان الإسلام يرفض الفكر الماركسي، فالسبب في ذلك هو أن الماركسية حاربت الرسالات السماوية كلها، من دون تمييز بين الدين الصحيح والدين المحرف

المزيف، فلما **قالوا** : "الدين أفيون الشعوب"[1]، قصدوا بذلك الدين الذي يحارب العقل والتفكير العلمي، ويحتقر الكرامة الإنسانية، ولكنهم أخطؤوا الخطأ الكبير عندما أسقطوا هذه النظرة على الإسلام، فالإسلام دعوة إلى التحرر والتقدم وإسعاد الإنسانية، وفيه الملاذ الكافي للعلم والعلماء، لكل ما فيه خير الإنسان؛ فهذا الموقف الإسلامي لا يصح أن يسمى تشدداً أو تطرفاً، ولقد أثبت الواقع صدق المبادئ الإسلامية وصحتها؛ فالشيوعية لم تصلح للبقاء والاستمرار، لأنها لَبَّتْ جوانب جزئية من حاجات الإنسان، وأهملت جوانب كبيرة. ولقد كنت دائماً- ولا سيما قبل عشر سنوات من سقوط الشيوعية- أنبه إخواني وكل الذين ألتقيهم إلى أن الشيوعية ستسقط بعد سنوات، لأن ما بني على باطل فهو باطل، وهذا ما حدث بالفعل.

وأما جواب الشق الآخر من السؤال.. وهو أن الإسلام يحارب القومية ويتشدد معها، فهذا الكلام باطل لا أساس له من الصحة.. والذين يتشددون **ويقولون**: "إن الإسلام والقومية لا يلتقيان"، قد جهلوا طبيعة رسالة الإسلام وحقيقتها. ومن الخطأ الكبير أن تُشوه صورة الإسلام بناء على الفهم القاصر لهؤلاء، فلا يوجد أي صراع أبداً بين الإسلام وبين القوميات، ولا سيما القومية العربية، فعندما أتى

(١) وينسبه أكثرهم إلى كارل ماركس؛ انظر: ماركسية القرن العشرين، ص١٤٤.

الإسلام سجل للأمة العربية الفخر والحضارة والازدهار، ولم يأت الإسلام ليحارب الأمة العربية، ولا القومية العربية، وكذلك عندما فُتحت بلدان العالم القديم في وجه الدعوة الإسلامية، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، لم نسمع قط أن الفاتحين الأوائل من الصحابة الكرام قد حاربوا القوميات، فهناك العشرات من القوميات ما زالت- إلى الآن- تحتفظ بهويتها القومية، وثقافتها، وتراثها، بعد أن دخلت في دين الله عز وجل، فلم يأت الإسلام لإلغاء شخصيتها القومية، ونجد في القرآن الكريم أن الأنبياء كانوا يُوصَفون بأنهم إخوة لأقوامهم، لا أعداء لهم ولقومياتهم، يقول تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ...﴿٨٤﴾ ﴾ [سورة هود].. ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ...﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة هود].. ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ...﴿٦١﴾ ﴾ [سورة هود].

ونرى في القرآن الكريم أن الأنبياء كانوا يخاطبون أقوامهم بقوله تعالى: ﴿ يا قومِ ﴾ وليس "يا أعدائي"، ويبقى تمايز الناس كشعوب وقوميات للتعارف، وتبقى التقوى والعمل الصالح لخدمة الإنسانية ميزاناً للتفاضل، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الحجرات].

ولقد وجد القوميون العرب أنفسهم بعد عقود من التنافر مع الإسلاميين في خندق واحد معهم في النضال ضد الصهيونية والاستعمار، وأثبتت الحركات الإسلامية فاعليتها المتميزة على الآخرين في هذا النضال.

فالعروبة جسد والإسلام روحها، وكما **قال سيدنا عمر** ﷺ: "إنا كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به يذلنا الله"[1].

✍ **السؤال السابع**: ما أثر الآخر في ضعف العالم الإسلامي والمسلمين عامة، هل ذلك الأثر ناتج من سياسة سببها الإسلام والمسلمون أم إنه بسبب سياسة عامة يقع الإسلام والمسلمون في إطارها ليس إلا؟.

الجواب: لقد مرت بالأمة الإسلامية عصور من التخلف في مجالات شتى من الجوانب الدينية والدنيوية، وكانت أسباب هذا التخلف تعود إلى عاملين: الأول خارجي وهو الحروب الاستعمارية كالحروب الصليبية والغزو المغولي التتَري والاستعمار الحديث، والآخر- وهو الأهم- داخلي، هو تخلف المسلمين عن تطبيق أحكام دينهم، فالقرآن دائماً يأمرنا بالسعي إلى تحقيق السعادة في الدنيا وفي الآخرة..

---

١) أخرجه الحاكم، برقم ٦٢.

﴿... رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [سورة البقرة] وعندما أهمل المسلمون دنياهم، ولم يلتزموا أحكام دينهم التي تأمرهم بالتوازن بين الدنيا والآخرة، بحجة الزهد والتقشف وغيرها من المفاهيم الخاطئة، تخلف المسلمون، فاستفاد أعداؤهم من هذا التخلف. وحاول المستعمرون- منذ زمن بعيد- أن يضعوا العراقيل دائماً في وجه المسلمين، كي لا يعودوا إلى دينهم، بهدف أن تبقى دول العالم الإسلامي لقمة سائغة لأهداف الآخرين؛ اقتصادياً، وسياسياً، وعسكرياً، والذين يتحملون مسؤولية التخلف من الداخل هم السياسيون وعلماء الدين وأغنياء المسلمين.

السؤال الثامن: هل توافقون على القول: إن الغرب بالفعل قد نصب الإسلام عدواً له، وهل ثمة طريق لتغيير تلك العلاقة من جانب المسلمين؟.

الجواب: إذا كان المقصود بالغرب سياسة الدول الأوربية وأمريكة تجاه المسلمين، فهذه الدول عامة تنحاز دائماً إلى موقف الخصم ضد المسلمين، وكثير من هذه الدول تسعى إلى فرض هيمنتها على العالم الإسلامي، وتدعم ألواناً كثيرة من الظلم والعدوان الموجه إلى العالم الإسلامي، فالكيان الإسرائيلي في حقيقته ليس إلا وليد الدعم الغربي لها، وما زال- إلى الآن- مجلس الأمن يكيل بمكيالين، فلا

ينتصف للضعيف من القوي، ولا يرد الحق لأصحابه، والسبب في ذلك كما قلت: هو تخلف المسلمين، وعدم وحدتهم، وعدم سيرهم على منهاج النبوة، القائم على العلم، والتزكية، والحكمة في كل شيء، والمسلمون- اليوم- مقصرون جداً في إيصال حقيقة الإسلام وصورته الصحيحة إلى العالم الغربي وغير الغربي، فإذا تهيأ الدعاة الحكماء المخلصون الذين يمكن لنا أن نوجههم إلى العالم الغربي، لينشروا مبادئ الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وليعرِّفوا الناس على حقيقة هذا الدين السماوي، فإن الإنسانية- اليوم- في عطش شديد، لملء هذا الخواء الروحي الذي تعيشه ولا سيما في العالم الغربي، ويمكن للمسلمين أن يغيروا بذلك نظرة الغرب إذا ما عرضوا الإسلام على حقيقته.

✍ **السؤال التاسع**: كيف ينظر سماحة المفتي إلى تأثيرات العنف في علاقات المسلمين مع غيرهم؟.

الجواب: إن قضية العنف التي تشهدها الساحة الدولية والساحة الإسلامية هي على أنواع:

عنف سببه الظلم والعدوان، إذ تقوم به الدول غير الإسلامية فتهاجم المسلمين في بلادهم وتغتصب حقوقهم، كما هي الحال- الآن- في فلسطين والجولان وجنوب لبنان.

فعندما يقوم المسلمون بمواجهة هذا العدوان لا يجوز- بأي حال من الأحوال- أن نسمي هذه المواجهة عنفاً، لأنها حق مشروع، وهو الدفاع عن النفس والأرض، بل هذا عنف يحمد عليه الإنسان، لأنه جهاد ومواجهة للعدو، فعندما واجهت دول أوربة النازيين لإيقافهم عند حدهم، ولمنعهم من الظلم والعدوان، لم يسم أحدٌ هذه المواجهة عنفاً أو تطرفاً، ولكن الشيء الخطِر هو أن يمارس المسلمون هذا العنف بعضهم مع بعض، كما يحدث في أفغانستان، حيث يتقاتل الإخوة بسلاح عدوهم، ولكن الخاسر الحقيقي هو الإسلام والمسلمون في تلك البلاد، فهذا عنف باطل وجريمة شنيعة، وأما ما يحدث بين الحين والآخر في بعض بلدان العالم الإسلامي أو غير الإسلامي؛ من قتل الأبرياء، وتفجير الحافلات، وإسقاط الطائرات المدنية، وتخويف الآمنين، وكل ذلك بحجة محاربة الأعداء، وبحجة أن الإسلام يأمر بهذا، فهذا أمر لا نشك مطلقاً أن هناك أيد غريبة مشبوهة وعميلة، تسعى إلى تفجير هذه الأحداث بين الحين والآخر من أجل تشويه صورة الإسلام الحقيقية، كي **يقول** العالم: انظروا إلى الإسلام، إنه دين القتل والإرهاب، فهذه لعبة مكشوفة رهيبة، ما زال يقع ضحيتها بعض الجهلاء ويروج لها أصحاب المصالح الخاصة، وإن النتيجة التي تنتج من هذا العنف إنما هي تشويه صورة المسلمين، وتلهية وتشغيل الدعاة إلى الله بقضايا جانبية، كي لا يحققوا الهدف من وجودهم، ألا وهو إيصال

نور الله ودعوته إلى أنحاء العالم، وكذلك ضرب الاستقرار في الدول الإسلامية، وصرفهم عن الوقوف صفاً واحداً في وجه عدوهم الرئيس.

✍ **السؤال العاشر**: منذ مدة يجري الحديث عن الحوار الإسلامي المسيحي، ما رأي سماحتكم بهذا الموضوع من جهة ضرورته واحتمالاته؟.

الجواب: الحوار الإسلامي المسيحي هو واجب إسلامي عملاً بقول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ...﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ...﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة العنكبوت] والحوار هو قضية جوهرية في الدعوة الإسلامية اليوم، وأنا أدعو إليه منذ الخمسينيات من القرن العشرين، لأن هذا الحوار في حقيقته شكل من أشكال الدعوة إلى الله، فالنبي ﷺ قد حاور المشركين، وحاور اليهود والنصارى، وجلس معهم الجلسات المديدة يدعوهم إلى الله، بالحكمة والموعظة الحسنة، وعندما يمارس الدعاة الحكماء الحوار الإسلامي المسيحي بالشكل المطلوب، وبالمنهج الذي رسمه القرآن، فيمكن لنا أن نستفيد فائدة كبيرة جداً، قد تعجز عنها قوتنا وجيوشنا، وهذه الفائدة تتلخص في أننا نستطيع أن نوصل الإسلام إلى جميع أبناء المسيحية في العالم بالحوار، وأن نزيل الصورة المشوهة التي رسمتها الصليبية والصهيونية العالمية

للإسلام في نفوس المجتمعات الغربية، وكذلك يمكن بالحوار أن نحقق التفاهم والوحدة الوطنية في البلاد التي يعيش فيها المسلمون والمسيحيون معاً، بحيث لا يتدخل أصحاب المطامع لبث الفتن والفرقة بينهم.

وإنني قد حاورت المئات من المسيحيين بكل طوائفهم ورتبهم، وزرت **البابا** الحالي في الفاتيكان مرتين، فحدثته عن الإسلام، وعن الإيمان العقلي، وبينت له المسؤولية الكبرى الملقاة على عاتق علماء الرسالات السماوية إذا لم يعرضوا الدين الحق بالصورة الصحيحة. فالدين إذا عُرض على نحو مخالف للعقل، فإن العقل الإنساني السليم سيرفضه.. وهذا ما حدث في أوربة، عندما رفضت الدين واختارت العلمانية.

بيان مشترك مع رابطة الكنائس البروتستانتية في ألمانية الديمقراطية (الشرقية) سابقاً[1]

(٤)

(١) برلين في ٢٦/ ٤/ ١٩٨٠.

نص البيان

في يوم السادس والعشرين من نيسان (أبريل) لعام ألف وتسعمئة وثمانين، الموافق الحادي عشر من جمادى الثانية لعام ألف وأربعمئة هجرية، أجرينا لقاء إسلامياً مسيحياً في برلين.. عاصمة جمهورية ألمانية الديمقراطية، بين وفد إسلامي من الجمهورية العربية السورية برئاسة الدكتور أحمد كفتارو المفتي العام، ووفد من رابطة الكنائس البروتستانتية في ألمانية الديمقراطية برئاسة الأسقف البريشت **شونهير** رئيس الرابطة.

وساد اللقاء روح من الاحترام والاعتراف بالرسالتين السماويتين، اللتين نزلتا على عيسى رسول الله ومحمد رسول الله عليهما السلام، واللتين تهدفان إلى سعادة الإنسان وسلامته. ولقد خدم هذا اللقاء التعارف المتبادل للمؤمنين من الدينين. وكذلك ساعد على إزالة سوء التفاهم، وحقق إمكان تعاون مستقبلي مشترك.. إن ما تم إبرازه- على وجه الخصوص، في هذه المباحثات- هو إجماع الرسالتين- الإسلامية والمسيحية- على الإيمان بالله الخالق الواحد الأحد، الذي أرسل عيسى ومحمداً- عليهما السلام- رحمة للناس، وعملا على إسعادهم.

إن مراعاة هذا الإجماع يلزمنا في هذا الوقت بعمل مشترك مؤسس على التفاهم من أجل السلام والعدالة.

البروفيسور كارك هاينتز **بيرهارد**	الدكتور أحمد كفتارو
رئيس مؤتمر السلام المسيحي	المفتي العام للجمهورية العربية السورية
في جمهورية ألمانية الديمقراطية	رئيس مجلس الإفتاء الأعلى

كفتارو يتحدث عن ميلاد سيدنا عيسى المسيح عليه السلام [1]

(١) حديث لسماحته في المحاضرة الأسبوعية صباح الجمعة، في ١١/ ٨/ ١٤١٨هـ الموافق لـ ٢٠/ ١٢/ ١٩٩٦م، في جامع أبي النور، في دمشق؛ ونشرته وكالات الأنباء العالمية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- في ذكر القرآن قصةَ المسيح وتسميةَ سورة باسم عائلته "آل عمران" وأخرى باسم أمه "مريم" تعليمٌ للمسلمين كيف يؤمنون بالمسيح ويحبونه كمحبتهم الأنبياء جميعاً.

٢- القرآن يدل على أن حلقات النور متسلسلة، وأن الرسالات السماوية متمم بعضها بعضاً، ومصدقة لما قبلها، حتى ختمت برسالة محمد ﷺ.

٣- القرآن مجمع لرسالات السماء كافة، ودعوة إلى الإيمان بأنبياء الله كافة.

٤- الاحتفال بميلاد المسيح هو ابتهاج برسالته ،وإحياء لوصاياه ووصايا إخوته من الأنبياء.

٥- وصى المسيحُ الإنسانَ أن يحب ربه، ويحب قريبه.. والقريب هو كل إنسان يحب الخير وينقذ الضعيف وينصر المقهور.

٦- تساؤل سماحته عن مصداقية أمريكة وأوربة في مسيحيتهما وهما تظلمان الشعوب الضعيفة وتحتلانها وتنهبان خيراتها! .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ثانياً: نص الكلمة

تعليماً من القرآن الكريم للمسلمين كيف يحبون سيدنا عيسى ويكرمونه ويؤمنون به كما يؤمنون بالأنبياء والرسل كافة، سمّى ثانية كبرى سور القرآن الكريم "سورة آل عمران"، وهم عائلة السيد المسيح، وعمران جد المسيح لأمه مريم العذراء، التي سمى باسمها سورة أُخرى تكريماً لها، وذكر فيها قصة مولد سيدنا عيسى عليه السلام.

كل ذلك ليدلنا على أن النور حلقات متسلسلة، وأن رسالات السماء من منبع واحد، وإن كانت الشرائع مختلفة، وقد جاءت الشريعة الثانية مصدقة للأولى ومكملة لها على حسب تطور الزمان. وهكذا، إلى أن جاءت الرسالة الخاتمة، رسالة سيدنا محمد ﷺ، يقول تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا

عَلَيۡهِۖ ...﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة المائدة]، ويقول تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ...﴿٢٨٥﴾ ﴾ [سورة البقرة]، ويقول تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [سورة البقرة].

فالقرآن هو مجمع لرسالات السماء كافة، ودعوة إلى الإيمان بكل أنبياء الله عز وجل، فنستطيع أن **نقول** بداهةً: إن القرآن الكريم جمع رسالات جميع الأنبياء من سيدنا آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ، وكانَ ﷺ **يقول**: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة»[1]، أي: بالتكريم والتعظيم.

إن ميلاد سيدنا المسيح **عيسى** ابن مريم هو الابتهاج به، لإحياء وصاياه، ووصايا إخوته من الأنبياء والمرسلين..

ومن وصايا عيسى عليه السلام: "تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قدرتك، ومن كل فكرك، وقريبك مثل

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، برقم ٦٢٨١.

نفسك"[1].. والقريب هنا كل إنسان يحب الخير ويفعل الخير لإنقاذ الضعفاء ونصرة المقهورين..

فالمسيح عليه السلام هذه رسالته، وهذه وصاياه.. فيا ترى هل أوربة وأمريكة- اليوم- مسيحيتان؟! هل تعملان بوصايا السيد المسيح؟! وهل عاملتا الضعفاء بالرحمة؟! هل عاملتا الجائعين والمساكين والشعوب المتخلفة بالمساعدة..؟! هل أعمالهم تدل على الإيمان برسالة سيدنا عيسى المسيح، أم هم كافرون بها..؟! هل أوربة التي استعمرت العالم من شرقه إلى غربه.. فعلت هذا لتحقق وصايا السيد المسيح؟!.. أم لتنهب خيرات وثروات تلك الشعوب الضعيفة، ولتسترق أبناءها، وتهيمن على ثقافاتها، وتمحو شخصيتها الوطنية؟!..

(١) إنجيل لوقا (١٠: ٢٧).

احتفاء المسلمين والمسيحيين

بميلاد سيدنا عيسى عليه السلام[1]

(٦)

(١) رسالة من سماحته موجهة إلى البابا يوحنا بولس الثاني بمناسبة ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام، دمشق، في ٥/ ٩/ ١٤١٩هـ، الموافق لـ ٢٤/ ١٢/ ١٩٩٨م.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- تجدد مشاعر الأمل بتحقيق هدف الأنبياء والرسل في نشر الأخوة الإنسانية مع الاحتفالية بميلاد السيد المسيح.

٢- خلفاء الرسل والدعاة قاموا بحمل رسالة هداية الناس ودفعهم إلى المحبة والتعاون. وبقدر التزام دعاة الرسالات السماوية بمنهج الله الأصيل، يقترب البشر من هدفهم الواحد المنشود.

٣- الثناء على موقف الكنيسة في إعلان أسفها عن رعاية الكنيسة للحروب الصليبية وما ألحقته بالإنسانية من أضرار.

٤- على علماء الدين أداء واجبهم نحو الإنسانية، لأنهم -بسبب تقصيرهم-يتحملون مسؤولية انتشار الإلحاد في العالم.

٥- التقدير لموقف البابا تجاه القضايا الإنسانية في هذا العالم، واستنكاره للظلم الذي يقع من قوى تدعي انتماءها للمسيحية على بعض شعوب العالم.

٦- نحن المسلمين نحترم القيم الإنسانية ونؤمن بجميع الأنبياء والرسل، لأن ذلك من صلب عقيدتنا وأركان إيماننا.

٧- الحزن الشديد والألم العظيم بسب دعم أمريكة خاصة والغرب عامة للكيان الإسرائيلي في الاعتداء على فلسطين ولا سيما القدس، وتقديم المليارات له، على الرغم من أنه يتمرد على العالم وقرارات الأمم المتحدة.

٨- عدم تحرك أكثر الكنائس الغربية ضد الظلم، الذي يقع على العالم الإسلامي في العراق والسودان وفلسطين وليبيا، يعبر عن مقدار تقصيرها في محاربة الظلم ونصرة المظلوم، وبعدها عن تعاليم السيد المسيح.

٩- العالم- اليوم- أشبه بمنزل واحد نسكنه، ونحن نجتمع على شاشة واحدة نرى منها العالم. ولذا، لم يعد يُقْبَل تجاهل الحقيقة، أو التباطؤ في نصرة المظلوم، والسكوت عن ما يحدث؛ فهي إما حرب صليبية جديدة، وإما رضا بنظام القطب الواحد وسياسة الكيل بمكاييل عدة، واعتبار إنسان أفضل من إنسان.

١٠- تحميل إخواننا المسيحيين- في الغرب- المسؤولية الواجبة عليهم أمام الله، وضرورة نصرتهم للمظلومين ومد يد المساعدة والوقوف- بحزم- في وجه السياسات العدوانية.

١١- العالم يترقب اتخاذ البابا موقفاً قوياً تجاه تهويد القدس.. وطرد سكانها مسيحيين ومسلمين، وتجاه ظلم الناس في جميع العالم، انسجاماً مع توجيهات رسالته بمناسبة يوم السلام العالمي الثاني والثلاثين، الداعية إلى احترام حقوق الإنسان وضمان السلام العالمي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص الرسالة

سيادة البابا يوحنا بولس الثاني المحترم

يحتفل المسلمون والمسيحيون في هذه الأيام المباركة بعيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام، وتتجدد مع هذه المناسبة العظيمة مشاعر الأمل المنشود في جميع الناس؛ بتحقيق آمال الأنبياء والرسل، الذين بعثهم رب العباد جل جلاله لأجل تحقيق أُخُوَّة البشر جميعاً إذ يخاطبهم بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الحجرات].

ولقد قام الرسل الكرام بتبليغ رسالاتهم السماوية، ثم قام خلفاؤهم وأتباعهم من بعدهم، يسيرون على دروبهم ويحملون إلى الإنسانية هذه

الرسالات لهداية الناس جميعاً، وإنقاذهم من الضلال والفساد والإلحاد إلى عالم الإخاء والمحبة والتعاون، حيث ينتفي الظلم والعدوان والاضطهاد. وبقدر ما يتمكن أتباع الرسالات- اليوم- من الالتزام بحقيقة هذه الرسالات بقدر ما يقترب البشر إلى هدفهم الواحد المنشود.

كم كنت متفائلاً بلقائكم عام ١٩٨٦، يوم علمت من سيادتكم أسف الكنيسة عن رعايتها للحروب الصليبية والهجمات المعادية التي وقعت في العصور الوسطى، وما ألحقته بالإنسانية والحضارة الإنسانية من أضرار وآلام. واتفقتُ مع سيادتكم على ضرورة أن يحمل كل منا مهمة أداء الرسالة إلى الإنسانية، كي لا نُسأل عن الإلحاد المنتشر الذي حدث بسبب تقصير أتباع الرسالات السماوية في واجباتهم تجاه الإنسانية.

ولَكَم كان سروري عظيماً لمواقفكم تجاه الكثير من القضايا الإنسانية في هذا العالم، واستنكاركم للظلم والعدوان الذي يقع على بعض شعوب العالم، والذي تمارسه عليهم قوى الظلم والاستبداد، التي تدعي انتماءها إلى المسيحية وإلى الحضارة المعاصرة.

ونحن المسلمين في عالمنا الإسلامي وبلادنا العربية؛ ملتزمون باحترامنا للقيم الإنسانية، لأن ذلك من صلب عقيدتنا. ولأن الإيمان بجميع الأنبياء ركن رئيس من أركان الإيمان في الإسلام، والإيمان بالتوراة والإنجيل والزبور هو ركن آخر، فلا يصح إسلام المسلم ما لم

يؤمن بموسى والتوراة وعيسى والإنجيل. ولقد سألني أحد السفراء في بلدنا عن عدد المسيحيين في سورية فقلتُ له: جميع شعبنا مؤمن بالمسيح؛ لأنه لا يكمل إيمان المسلم ما لم يؤمن بالمسيح عليه السلام ورسالته، وسائر رسل الله وأنبيائه.

وتمر الأيام علينا بحزن شديد وألم عظيم، إذ يقوم الغرب عامة وأمريكة خاصة بدعم العدوان الصهيوني على فلسطين ولا سيما القدس، ولم تنسَ الذاكرة بعد القرار الصادر عن الكونغرس الأمريكي بالاعتراف بالقدس عاصمة للكيان الإسرائيلي، ولم تنسَ الذاكرة بعدُ كيف تكافئ أمريكة الكيان الإسرائيلي بمليارات الدولارات وشحنات الأسلحة الحديثة والتقنية المتطورة، على حين أن الكيان الإسرائيلي يتمرد على العالم وعلى عشرات القرارات الصادرة عن مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة.

ويَسْرَحُ الكيان الإسرائيلي ويمرح بما لديه من كميات هائلة من أسلحة الدمار الشامل؛ كيميائية وجرثومية ونووية، على حين يُضرب الشعب العراقي ويُحاصر ويُجوَّع، ويموت شيوخه وأطفاله بذرائع واهية، باتت أكثر دول العالم ترفضها وتشجبها، بل تحتقر أعمال العدوان والحصار الظالمة.

ومقابل هذا كله نلاحظ أن أكثر الكنائس الغربية لم تتحرك

لإدانة واستنكار وإيقاف هذا الوضع الظالم الذي يفرض على العالم الإسلامي، سواء في فلسطين أو العراق أو السودان أو ليبيا.. وهو الأمر الذي دفع أحد أعضاء البرلمان الإنكليزي[1] إلى التنديد بالعدوان على العراق بالصواريخ والطائرات، ووصفه بأنه حرب صليبية جديدة ليست بقيادة **ريتشارد** قلب الأسد، وإنما بقيادة بيل **كلينتون** وطوني **بلير**.

سيادة البابا:

نحن- اليوم- في عالم مختلف، نحن أشبه ما نكون بسكان منزل واحد، يسكن كل فرد في غرفة منه، نجتمع على شاشة واحدة، نرى فيها جميع العالم وباللحظة نفسها، فليس بالإمكان- اليوم- تجاهل الحقائق، أو التباطؤ في اتخاذ المواقف، وسيادتكم كنتم ولا زلتم أصحاب موقف معادٍ للظلم والطغيان، مناصرين للحق والعدل والحرية، فهل يمكن السكوت عن ما يحدث، وهل هي حرب صليبية جديدة..؟!!

وإذا كانت غير ذلك، فَلِمَ نقبل بنظام القطب الواحد الذي يستخدم الهيئات الدولية استخداماً متناقضاً، ويكيل بعدة مكاييل لتحقيق مصالحه الاستعمارية الظالمة..؟

١) وهو جورج كالاوي.

هل يعَدّ إنسانٌ ما في بلدٍ ما أعلى شأناً وأكثر مكانة من إنسان آخر في بلد آخر؟ لِمَ نعامل قضايا المسلمين في هذا العالم بموازين مختلفة؟.

هل سنحتاج بعد زمن إلى سماع اعتذار عن أخطاء وممارسات نعملها اليوم، والنبي **محمد** ﷺ **يقول**: "إياك وكل أمر يُعتذر منه"[1]؟.

والسؤال المطروح: إلى متى سيستمر هذا التدهور والتردي؟ وكيف بنا إذا وقفنا بين يدي الله ليحاسبنا على أعمالنا؟! .

سيادة البابا..

إنني أخاطب إخواننا المسيحيين في العالم من خلالكم لأُحمّلهم أمانة المسؤولية.

إن السيد المسيح الذي تؤمنون به وتقدسون رسالته، نحن نؤمن به ونقدس رسالته، وما رسول الله محمد ﷺ إلا أخ له ومتمم لرسالته، فلنمدَّ أيدي التعاون والإخاء بدل أيدي القتل والعدوان، ولنقدم للإنسانية المحبة والسلام بدل الكراهية والعدوان.

إن العالم يترقب منكم موقفاً قوياً تجاه تهويد القدس وطرد سكانها

(١) أخرجه الديلمي من حديث أنس مرفوعاً، وحسنه الحافظ ابن حجر في زهر الفردوس [انظر: الدرر المنتثرة للسيوطي (٧/١)].

العرب مسلمين ومسيحيين، علماً أن عدد المسيحيين في عام ١٩٦٧ الذي كان ٣٨ ألفاً في مدينة القدس، والذي ينبغي أن يكون اليوم ١٢٠ ألفاً، صار اليوم ١٢٥٠٠ فقط، وأما المسلمون فقد تعرضوا لتهجير أشد.

ولعلكم تدركون فداحة الأمر إذا علمتم أن عدد اليهود في فلسطين عام ١٩١٨م لم يكن يتجاوز ٥٥ ألفاً من أصل ٧٠٠ ألف؛ أي: إن نسبة اليهود كانت لا تتعدى ٨ ٪ من عدد السكان فقط.

وكذلك العالم اليوم ينتظر من سيادتكم الوقوف في وجه الفساد والشر والعدوان الظالم على جميع الناس ولا سيما النساء والأطفال والشيوخ، بصرف النظر عن دينهم أو جنسهم أو لونهم، انسجاماً مع التوجهات التي عبرتم عنها في رسالتكم بمناسبة يوم السلام العالمي الثاني والثلاثين، التي تبرزون فيها الترابط الوثيق بين احترام حقوق الإنسان وضمان السلام العالمي، وأن الاعتراف بالكرامة الملازمة لجميع أعضاء الأسرة الإنسانية يشكل أساس الحرية والعدالة والسلام العالمي.

وختاماً، تقبلوا أطيب التهاني بالعيد المجيد.

ثانياً

الدراسة والتحليل

الحوار مع غير المسلمين

حوارُ عيش مشترك وتعاون يعمُّ خيرُه الإنسانية

- **تأطير الحوار مع غير المسلمين.**
- **منطلقات هذا التأطير.**
- **منهجه في الحوار وأهدافه.**
- **اقتناصه اللقاءات والمناسبات تأسياً برسول الله ﷺ.**
- **اغترافه لمنهجه المعتدل من مدرسة والده الشيخ.**
- **الإسلام والتعايش وأدلته وشواهده.**
  - الأدلة النقلية على التعايش في الإسلام.
  - الآخر في ظل الإسلام.
    - الإنسان والأسرة الإنسانية والإسلام.
    - نظرة الإسلام إلى أهل الكتاب.
    - الإسلام واليهودية.
    - الإسلام والقومية.
    - شواهد من التاريخ.
    - سورية أنموذجاً للعيش المشترك.
    - مساعيه الوطنية والإقليمية والعالمية.
    - الخصومات الموروثة أسبابها ونتائجها ومعالجتها.

- الجزية وأهل الذمة.

■ **نقاط للتلاقي وقواسم مشتركة:**

- الرسالات السماوية من مشكاة واحدة.
- الإسلام تصديق للرسالات التي سبقته.
- عائق اختلاف العقيدة.
- المُثل الأخلاقية المشتركة.

■ **تاريخنا.. وتاريخهم:**

- الغرب النصراني استعمر وافترى.
- التعصب الديني ودعوى التقدم الفكري والعلمانية.
- سبب الخصومة نفس مريضة.

■ **الحوار الحضاري خير من التصادم الحضاري:**

- أيهما خير للعالم: التعاون أم العداء؟
- من تعاليم الرسالات السماوية التعاون والحوار لا الخصومة والتراعات.
- قانون للتعامل العالمي: ليس الاختلاف شراً.. والآخر عدواً.
- الحوار بمنهج الوسطية الإسلامية.
- الأصولية وثقافة التعصب الديني.
- يد الإسلام ممدودة وعلى النصرانية المقابلة بالمثل.
- ادرسوا جميعاً الإسلام وأنصفوه.

- تعاون الرسالات السماوية ضرورة حتمية لحل أزمات العصر.
- التقاؤها من أجل الإنسان والحضارة.
- القدس والسلام ونصرة القضايا العادلة.

■ **الإلحاد والإصلاح الديني والنبع الأصيل:**

- أهداف الدين الأصيل وغاياته وبرامجه.
- بعد المتديّنين عن الواقعية سببُ نفور الناس.
- الإصلاح الديني والتجديد.
- المستقبل لأهل الإيمان الخالص.. والإسلام.

■ **عمل مشترك ومسؤوليات:**

- الرسالات السماوية بين مصداقية علمائها وتحقيق أهدافها.
- لجنة متابعة دورية.
- وفاعليّات العالَم كل له دوره.
- تخديم الوسائل المعاصرة في الإعلام والاتصال.

■ **استشرافه للمستقبل..**

الحوار مع غير المسلمين

حوارُ عيش مشترك وتعاون يعمُّ خيرُه الإنسانية

▪ تأطير الحوار مع غير المسلمين

في هذا الفصل، يؤطر سماحته- رحمه الله- لمحور الحوار مع غير المسلمين، ولا سيما النصارى في العالم، سواء كانوا في عالمنا الإسلامي والعربي أو شعوب الدول الأوربية والولايات المتحدة. ويضع سماحته للمجتمعين في المؤتمرات ذات الصلة- بل للعالم كله- ثلاث حقائق، تتمثل في: أن أصل الدين واحد، ودعوة الجميع إلى النظر في الإسلام بإنصاف، وتعاون أبناء الرسالات السماوية في ما يهم الإنسانية. ولذلك، لا بد من بيان موقف الإسلام من الرسالات السماوية التي سبقته، لتتبعه بعد ذلك حلقات الحوار، ثم التوصل إلى نتائج عملية واقعية تفيد الإنسانية.

▪ منطلقات هذا التأطير

ويرسم سماحته معالم هذا التأطير من النبعين الصافيين.. الثقلين العظيمين: القرآن والسنة، مستشهداً بنصوص قرآنية كثيرة.. وتفسيراتها.. وأسباب نزولها، وبسنة النبي ﷺ وسيرته العطرة. ويستند سماحته- أيضاً- إلى استنباطات الفقهاء والعلماء من المفسرين والمحدثين

والمؤرخين، وإلى تأريخنا الإسلامي على مدار قرون. ومن يفهم سيرة النبي ﷺ- على مدار ثلاث وعشرين سنة، وحكمته وحنكته ورحمته وسعة قلبه وروعة عقله- يستيقن أن ما خطاه سماحته في هذه الطريق ليجلي الصورةَ التي رسمها القرآن والمنهج النبوي في التعامل مع أهل الكتاب، ولا يتعدّى- قيد أنملة- هذه المشكاة الربانية المحمدية.

▪ منهجه في الحوار وأهدافه

ويبحث سماحته عن النقاط المشتركة بين أتباع الرسل للتعاون ، من أجل وضع نقاط الحوار على حروف العمل المشترك.. وتوحيد الجهود.. والاجتماع على كلمة سواء.

ويعرض سماحته الأدلة والبراهين من كلتا الرسالتين: الإسلامية والمسيحية.. ليرسم- بعدها- أهداف الحوار.. التي تتجلى في العيش المشترك، والخلاص من الإلحاد، وإيقاف الحروب والتلوث البيئي، ورفع الظلم عن الضعفاء، وإحلال السلام في العالم، والتعريف بحقيقة الإسلام.

▪ اقتناصه اللقاءات والمناسبات تأسياً برسول الله ﷺ

واقتداءً برسول الله ﷺ، يغتنم سماحته المناسبات للقيام بأمر الدعوة إلى الخير، وبذل النصح والتذكير.. كما في ذكرى ميلاد المسيح.. أو زيارة البابا لسورية والمسجد الأموي.. فيوجّه الرسائل، أو

يتوجه بالخطاب إلى البابا.. وغيره من الشخصيات والقيادات النصرانية الرفيعة المستوى خاصة.. وإلى العالم المسيحي عامة، حاثاً على التعاون بين المسلمين والمسيحيين، لتحقيق أهداف الحوار المذكورة آنفاً.

▪ اغترافه لمنهجه المعتدل من مدرسة والده الشيخ

وعند سؤال سماحته عن التغيير المهم في حياته، يذكر فضل والده المعلم المربي الشيخ محمد أمين **كفتارو** في نقله من التعصب، حيث الدائرة الضيقة.. إلى الدعوة العالمية، حيث الدائرة الأوسع الأرحب.. التي هي الرحمة النبوية العالمية.. المهداة من رب العباد.

▪ الإسلام والتعايش وأدلته وشواهده

هذا ما يردده سماحته، ويأتي بكل الأدلة النقلية والواقعية والتاريخية، التي تدعم أسبقية الإسلام في التسامح وفي طريقة التعايش.. طريقة يشهد بها الأعداء قبل الأصدقاء.

○ الأدلة النقلية على التعايش في الإسلام

لقد أوضحت النصوص القرآنية والنبوية- على نحو لا ريب فيه، ولا لبس، ولا تأويل- قاعدة التعايش مع الآخر، ولا سيما مع من يختلف عن المسلم في الدين.

ولقد تجلت طريقة التعايش في الإسلام في وضع مبادئ وأسس؛ فهي ليست وليدة حادثة أو تكتيك لظرف طارئ، بل هي قانون من قوانين دستور الإسلام، ينطلق من حق الكرامة الإنسانية.. ويتجلى في مظاهر يشرحها سماحته.

○ الآخر في ظل الإسلام

- الإنسان والأسرة الإنسانية والإسلام

وموقف الإسلام من الإنسان، يلخصه سماحته- في أحد محاور هذا الفصل وكلماته- في شعار رائع: "الناس في نظر الإسلام أبناء عائلة إنسانية واحدة"؛ فقد خاطب- تعالى- جميع الناس في سور عدة[1] بقوله: ﴿يا بني آدم﴾.. وخاطب النبي ﷺ الناس **فقال**: «كلكم من آدم»[2]؛ ثم يركز

(١) كما في الآيات ٢٦ و ٢٧ و ٣١ و ٣٥ من سورة ص، والآية ٦٠ من سورة يس.

(٢) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب المناقب، باب في فضل الشأم واليمن، برقم ٣٩٥٥؛ وقال حسن غريب.

سماحته- في هذا- على هاتين الفكرتين: "وحدة الأصل الإنساني"، و"تمايز البشر على أساس الإيمان والتقوى، لا اللون والعرق والجنس"، وهما فكرتان تبعدان عن الأذهان فكرة تمزيق الأسرة الإنسانية على أساس عنصري أو عرقي.

وإن الاقتناع بوحدة الأصل الإنساني.. وتمايز البشر على أساس التقوى، يؤكد تكريم الإسلام للإنسان، ويُعين على التوصل إلى نتائج واقعية معيشة تفيد الإنسانية جمعاء في كل زمان وكل مكان.

ثم إن غاية موضوع تعارف الشعوب- الذي جاء ذكره في القرآن الكريم- هو التلاقي على وحدة الأصل الإنساني. فإذا قمنا بإعمار الأرض في ظل السلام العالمي، فسيتحقق- عندئذ- ما يريده الله من الذين آمنوا بألوهيته وربوبيته، ويكون دينه في الأرض رحمة للعالمين، لأنه ينتشل الناس من حماقاتهم وشهواتهم والكوارث المحدقة بهم، وأكثرها من صنع أيديهم وبُعدهم عن هدي الله.

إنه موقف عظيم من أجل هذا المخلوق، الذي سخر الله له الكون.. وأرسل له الرسالات والأنبياء.. وجعل محور الحياة تدور حوله ولأجله.

إن جميع النصوص والأحكام- التي أتى بها الإسلام- تخدم ذلك الإنسان، مهما اختلف جنسه ولونه ودينه. ويعيش الإسلام مع الإنسان

قصة جميلة.. ولعل أجمل فصولها قضية تعايش الإنسان مع الآخر (المختلف).. ولم يكن ذلك مجرد قوانين مكتوبة، بل واقعاً ملموساً وتاريخاً واضحاً، على النحو الذي يوثقه سماحته ويوضحه.

– نظرة الإسلام إلى أهل الكتاب

ويوضح سماحته– بدايةً– نظرة الإسلام إلى الإنسان عامة، ومفهوم علاقاته بأخيه الإنسان، وضابط التميّز بين الناس.

ثم يقدَّم تفصيلاً واضحاً عن موقف الإسلام من الرسالات السابقة، ابتداء بتسميتهم "أهل الكتاب"، ومروراً بتصنيفه لهم على حسب اتباعهم للحق، وانتهاءً ببيان دستور العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، سواء أكانوا في بلاد المسلمين أم خارجها.

ويتحدث سماحته موضحاً إشكالية من الإشكاليات في العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، التي تثار باستمرار على ألسنة العامة والخاصة، وهي: لماذا الإسلام يسمح للرجل المسلم بالزواج من الكتابية، مسيحية كانت أو يهودية، ولا يسمح بزواج المسلمة بمسيحي أو يهودي؟! ويجيب سماحته– بحكمة ووضوح– بأن المسلم يؤمن بموسى وعيسى ويقدسهما، ومن ثم فإن المرأة المسيحية أو اليهودية ستعيش إلى جانب زوج يعترف بدينها، وفي بيت لا يجبرها على تَرْكِه.. وأما المسلمة إذا تزوجت بمسيحي أو يهودي– وكانا

لا يؤمنان بمحمد- فإنها تخشى أن تكره على ترك عقيدتها، ولكنهما إذا آمنا بمحمد نبياً ورسولاً، فلا مانع- عندئذ- من زواجها بأحدهما.

- الإسلام واليهودية

ويتطرق سماحته إلى موقف الإسلام من اليهود خاصة، مبيناً أن الإسلام يحترم الآخر الذي لا يظلم. فاليهود الذين لا يعتدون على المسلمين، يبرهم المسلمون ويقسطون إليهم؛ وأما اليهود الصهاينة- ومن يعتقد بعقيدتهم الظالمة المعتدية- فأولئك أعداء احتلوا أرضنا ونهبوا أموالنا وقتلوا نساءنا وشيوخنا وأطفالنا، ومن ثم لنا الحق على حسب شرائع الأرض والسماء أن نقاومهم حتى نحرر أرضنا وشعبنا من عدوانهم.

- الإسلام والقومية

ويوضح سماحته أن بعض القوميين أساؤوا فهم الإسلام، عندما حاربوه.. ويبين سماحته أنه لا تناقض بين الإسلام والقومية، ويأتي على ذلك بالبراهين من القرآن وتاريخ المسلمين. وبناء عليه، فإن هؤلاء لا يحاربون الآخر بناءً على أسس وقواعد، بل لأنه مجرد الآخر.. وليس في هذا إنصاف.

– شواهد من التاريخ

والتاريخ خير شاهد ودليل على سماحة الإسلام وتعايشه مع الآخر، بدءاً من الوثيقة.. التي أعلنها رسول الله ﷺ في المدينة حين استقر فيها، وطوافاً بكل الأحداث العظيمة في تاريخ الدولة الإسلامية العربية حتى يومنا هذا.

ولقد وحد الإسلام نصف العالم القديم تحت جناح أمة واحدة تحترم المعتقدات الأخرى والرأي الآخر. ولقد أدت هذه الطريقة في التعامل مع الآخر إلى احترام هذا الآخر للإسلام والمسلمين، إلى حد انجذابه للانضواء تحت مظلة الإسلام ولو بالمواطنة، لأنه وجد أن حرياته العامة وحمايته من أي عدوان داخلي أو خارجي متوفّر في هذه الدولة أكثر مما كان عليه عندما كان تحت مظلة دولة تعتنق دينه نفسه!

لقد أسس تاريخ الإسلام– في موضوع التعايش المشترك– قواعد تصلح لكل زمان ومكان، ولم تشغله فتوحه وانتصاراته عن مبادئه الرئيسة، التي شرعها له القرآن؛ فعاش المسلمون مع الآخر حياة كريمة.. ما دام الآخر يحترم مبادئ الدولة، التي هو مواطن فيها.

– سورية أنموذجاً للعيش المشترك

ويعرض سماحته صورة العيش المشترك في سورية ليكون حافزاً لجميع الدول أن تحذو حذوها. والصورة السورية واقع معيش، لا خيال أو ادعاء؛ إنما الأمر يحتاج إلى شجاعة وإقدام.. وفتح للقلوب.. ومعاملة الآخر بالمثل.

ومن خلال أنموذج التعايش في سورية بين مختلف أبناء الرسالات السماوية، يدعو سماحته علماء الدين أن شمروا عن سواعدكم، وأن اعملوا لأجل الغاية السامية للدين، وهي الإيمان و"السلام العالمي".

– مساعيه الوطنية والإقليمية والعالمية

وكذلك يقدم سماحته شواهد حسية واقعية على إمكان التلاقي الإيماني والعمل الإنساني المشترك، من خلال الأهداف المشتركة للرسالات السماوية، التي بينها سماحته على نحو واضح. وقد قضى أكثر من ستين سنة يدعو إلى هذا على المستويات الوطنية والإقليمية والعالمية، والتقى من أجل هذا علماء الدين والمتخصصين في الفكر والسياسة على المستويات كافة.

– الخصومات الموروثة أسبابها ونتائجها ومعالجتها

ويأسف سماحته لبعض الأوقات المظلمة التي مرت على التعايش، فحولته إلى صدام وتقاتل.. مبيناً أسباب ذلك؛ فأجملها بالجهل بحقيقة الإسلام، أو بسبب المصالح والأهواء، أو انزعاج الغرباء من واقع التعايش.. فدخلوا لبث بذور الطائفية والفرقة.

ويؤكد سماحته أن الحروب الصليبية أساءت إلى العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في الشرق وبين المسيحيين في الغرب. وكذلك يؤكد أن هذه الحروب لم تكن أهدافها دينية محضة، بل اختلطت بأهداف سياسية استعمارية. ولقد قامت هذه الحروب بسبب البعد عن جوهر الدين، وشراء الدنيا بالدين، فلا يعقل أن يكون الدين– الذي مصدره واحد– سبباً في خلاف أو حرب أو دمار. وإنما يرجع السبب إلى ابتعاد الإنسان عن مفهوم الدين الحقيقي.

ومن الأسباب المهمة جهل الآخرين بحقيقة الإسلام، والنظرة العدائية إلى الإسلام، وهذا جعل الدين عندهم منحسراً عن دوره في توحيد الشعوب وإصلاح مشكلاتها، ولا سيما بعد تعميق الصراعات العقَدية على الرغم من انتهاء الحروب.

ولذا، من أراد التعايش في الوقت الحاضر، فعليه أن يفيد من تجارب الماضي ويؤسس لعلاقات صحيحة متينة، ويصلح ما أفسدته أخطاء الماضي.. ولا سيما عندما يتبين له أن الإسلام بمبادئه ونصوصه وتعاملاته التاريخية يدعم التعاون والتعايش. ومن أراد أن يكون الجهل والتعصب منهج حياته، فسيستمر بالعزف على وتر الأوقات المظلمة التي مَضَت، وتظهر من مدة إلى أخرى النزاعات والحروب الطائفية والقتل والدمار، بسبب إصرار بعضهم على البعد عن روحية الرسالة السماوية وأسسها.. والمشيئة الإلهية.

– الجزية وأهل الذمة

ويفصّل سماحته في دستور العلاقة بين المسلمين وغيرهم، ليبين أن دستور العلاقة جاء لحماية غير المسلمين في الشؤون والمتطلبات الإنسانية كافة، على قاعدة الإحسان، الذي هو فوق العدل. ويبين سماحته أن الجزية هي ضريبة مالية يدفعها أهل الكتاب مقابل حمايتهم وإعفائهم من خدمة الجيش.. فإذا شاركوا جيش الدولة في حروبه ضد أعداء الوطن، فعندئذ لا يدفعون هذه الضريبة، ويعفى منها- أيضاً- الصغار والنساء والشيوخ والمرضى المزمنين.. ويشير سماحته إلى أن مصطلح أهل الذمة- قديماً- يقابله- في المصطلحات المعاصرة-

مصطلح "حاملي الجنسية الإسلامية"، أي: المواطنة، **فهم مواطنون لا ذميون.**

ويقدّم سماحته تفصيلاً واضحاً عن موقف الإسلام من أهل الكتاب.. ثم عن الأسس التي جعلها تحكم علاقة المسلمين بغير المسلمين، سواء أكانوا في بلاد المسلمين أو خارجها.. لتقدم هذه الأسس التصور التطبيقي لإرادة الله في هذا الوجود من إنزال الرسالات السماوية على البشر.. وهذه الأسس تدعو إلى احترام حقوق الإنسان. وكذلك تدعو إلى التعاون لتحقيق الأهداف المشتركة بين أبناء الرسالات السماوية؛ وكذلك تدعو إلى إنشاء العلاقات بينهم على قواعد التراحم.. وأما الأعداء فأولئك يخضعون لقوانين الحروب...

- **نقاط للتلاقي وقواسم مشتركة**

ويدعو سماحته أبناء الرسالات السماوية إلى التعاون والعمل معا ضمن أهداف وقواسم مشتركة تهدف إلى إنقاذ العالم والإنسان من الويلات والكوارث، التي تحيط به من كل مكان، ومن هذه الأهداف المشتركة حماية العالم والإنسان من: المجاعات وأخطارها، الكوارث الطبيعية، الحروب الطائفية والعرقية والإبادة الجماعية، الفساد الأخلاقي، تلوث البيئة، انتشار الإلحاد، انتشار أسلحة التدمير الشامل، الأوبئة والأمراض، تردي العلاقات الأسرية، سباق التسلح، تردي العلاقات الاجتماعية، سباق التسلح، الجريمة وانتشار المخدرات.

ومن الأهداف المشتركة العمل معاً من أجل السلام في العالم ونصرة القدس والقضايا العادلة للشعوب المستضعفة وأمور أخرى كثيرة لا يتسع المقام لإحصائها.

- **الرسالات السماوية من مشكاة واحدة**

ويوضح سماحته أن الأصول الإيمانية الواحدة هي أساس لتلك القواسم؛ لأن الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر يوحد البشر، ويوافق العقل والمنطق. وإن برامج الله- تعالى- في الرسالات السماوية موحدة المصدر والأهداف، ما دامت دعوتها تكمن في توحيد الله وتربية مخلوقاته وحثهم على الفضائل.

ويشبه سماحته الرسالات السماوية بالحلقات النورانية المتسلسلة.. وينادي أتباع هذه الرسالات لفهم تلك الحلقات، وعدم فصلها عن بعضها بأفهامهم الخاطئة وتفسيراتهم النابعة من الأهواء والمصالح، بل لا بد من الاجتماع على ما يريده الله عز وجل، ولا سيما أن كتاب آخر رسالة سماوية جمع أصول الرسالات السماوية السابقة كافة، ودعا أتباعها إلى الإيمان بكل الرسالات السماوية والأنبياء؛ ومن ثم يُوجِّه سماحته هؤلاء الأتباع إلى تصحيح ما عندهم في إعادة جوهر الرسالة التي جاء بها كل نبي، ليتم التلاقي الذي أراده الله تعالى.

- **الإسلام تصديق للرسالات التي سبقته**

إن الرسالات السماوية النابعة من مصدر واحد هدفها أن يتمم بعضها بعضاً.. وأن تصدق كل رسالة سماوية لاحقة ما سبقها من رسالات. والإسلام في حقيقته تصديق لما سبقه من هذه الرسالات، وتجديد لما اعترى الدين من تحريف، وتصحيح ما أصابه من أخطاء. فالرسالات السماوية واحدة في أصلها وأهدافها، والنصوص الإسلامية تبرهن على ذلك.

فالإسلام لا يرى اختلافاً في جوهر الرسالات السماوية، وإنما الاختلاف يكمن في تفسير بعض موادها.. وعلى رأسها وحدانية الله تعالى. وحول هذه الحقيقة، يقوم سماحته بعرض الأدلة من نصوص الشريعة الإسلامية.. التي تبرهن على أن الرسالات السماوية كلها تدعو إلى الاعتقاد بالإله الخالق الواحد الذي لم يلد و لم يولد، وليس كمثله شيء، وأن التشريعات المختلفة إنما قضت بها الإرادة الإلهية على حسب أوضاع الناس وتطور حياتهم.

والإسلام يوجب الإيمان بجميع الأنبياء ورسالاتهم السماوية شرطاً لدخول الإسلام وأساساً فيه. والإسلام لا يفرق بين مسلم وغيره إلا على أساس الإيمان الحقيقي بالرسالات المترلة من عند الله تعالى؛ ففي كل دين مؤمنٌ أصيل ومؤمن مزيف، فمن التزم الدين كما أنزله الله تعالى فهو مؤمن أصيل.

– عائق اختلاف العقيدة

وإن عرض مسألة تكريم السيد المسيح وعائلته وتفصيلها في القران الكريم يقرب بين المسلمين والمسيحيين، ولا سيما لمن يجهل منهم هذه المسألة، فلا أحد يَذكر ويمدح من لا يؤمن برسوله وبرسالته ويحترم مبادئه.

ولكن عندما يعرض الحوار لمسألة إيمان المسيحيين أن عيسى ابنٌ لله.. وهذا يخالف عقيدة المسلمين.. يدعو سماحته المسيحيين إلى نظرة شاملة واعية تتجاوز الشكليات والتقيد بالألفاظ إلى الفهم الأعمق للموضوع، بما يتوافق مع روح الرسالات السماوية والمنطق العقلي، ويؤدي– على نحو طبيعي– إلى التوافق انطلاقا من أن عبارة "ابن الله" لا تعني أبداً البنوة الجسدية، فليس في الإنجيل أي نص يقول: إن الله تعالى زوجة وله منها أولاد.. وإنما عبارة "ابن الله" تعني المقرب من الله على حسب نص الإنجيل، فكما قال المسيح: " طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يُدعون"[1]. والمسيح لم يقل عن نفسه: إنه إله أو ابن إله، بمعنى أنه مولود من الله تعالى.. وإنما قال: إنه رسول أرسله الله تعالى.. ولكن الذين كتبوا عنه– بعد عشرات أو مئات السنوات– هم من ألصق به صفة الألوهية، فكما يقول المسيح وفق نص الإنجيل: "والحياة الأبدية

(١) إنجيل متى (٥: ١-١٠).

هي أن يعرفوك أنك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويعرفوا أن الذي أرسلته يسوع المسيح"[1].

- **المثل الأخلاقية المشتركة**

وفي مسألة المثل الأخلاقية المشتركة، يلقي سماحته الضوء على أهم تفصيلاتها التي ينادي بها كل عاقل منصف يبغي نشر المحبة والأمن والفضيلة في العالم. ويؤكد سماحته أن هذه المثل الأخلاقية هي سر بقاء الحضارات وانتشارها.

وإن تعاون علماء الرسالتين في نشر الأخلاق الفاضلة يعزز القواسم المشتركة بينهما. ولعل هذا الجانب من أوضح القواسم وأكثرها قبولاً لدى الطرفين.

- **تاريخنا.. وتاريخهم**

- **الغرب النصراني استعمر وافترى**

إن تاريخ الآخر لم يحترم الأسس والمبادئ، التي وضعتها له رسالته السماوية؛ فاستعمر وقتل وشرّد وزرع الفتن بذرائع مختلفة، وهذا الأمر أثر على نحو واضح على علاقات المسلمين بالغرب. فضلا على أن

(١) يوحنا (١٧: ٣- ٤).

المسيحيين في الشرق تبرؤوا من سياسات الغرب لِما رأوا من كذب وخداع وافتراء وأثرة لمصالحه الخاصة .

– التعصب الديني ودعوى التقدم الفكري والعلمانية

انطلاقاً من هذا يفرّق سماحته بين الغرب في سياساته.. والغرب فكراً منفتحاً متقدماً.. بل يرى أن التقدم بشكليه العلمي والفكري سيزيل التعصب، ليس بين مذاهب الدين الواحد، بل بين أتباع الرسالات السماوية كافة.. ولا سيما بين المسلمين والمسيحيين.

إن سماحته يوجه هؤلاء الذين يدعون العلم والتقدم إلى ربط علومهم بالعمل؛ فلا يعقل من أمة تتبنى العلم والمعرفة أن تبقى تجهل الآخر وتعاديه لمجرد أنه الآخر. إن علمها وتفكيرها المتقدم يجب أن يقودها إلى التعامل الحضاري مع الآخر، تماماً كما قادها إلى التطور التقني (التكنولوجي).

ولعل تساؤلات سماحته الاستنكارية في بعض المواطن دعوةٌ إلى استيقاظ أوربة وأمريكة وإعادة نظرها في التعامل مع الشعوب المسلمة، ولا يكون ذلك إلا بتصحيح أخطائها الفادحة والمظالم الكبيرة، التي ارتكبوها في حق شعوب المنطقة، وبخاصة في حق الشعب الفلسطيني.

- **سبب الخصومة نفس مريضة**

معظم مشكلاتنا من فهمنا الخطأ لديننا وللآخر، وعدم تقبل الإسلام مرده للنفس المريضة لا لحقيقة الدين الجديد. ولكن المشكلة في مقدار رقي تلك النفس الإنسانية لتقبل الغذاء الذي وضعه الله؛ فالجسم المريض لا يقبل الغذاء وإن كان نافعاً أو طيب المذاق.

▪ الحوار الحضاري خير من التصادم الحضاري

إنها رسالة خاصة إلى أتباع الرسالات السماوية أن يصفوا النفوس ويؤمنوا بسياسة الحوار ومنهج اللقاء والتعاون الذي لا يصدر بسبب ظرف طارئ، إنما ينبع من تعاليم رسالات السماء.. وأي إنسان ملتزم بدينه عليه أن يلتزم بكل تعاليمه، ولا سيما فيما يتعلق بالعيش مع الآخر..

ولذا، على العقلاء في الجانبين الإسلامي والمسيحي التعاون والحوار لتجنب أخطار وخيمة، وجَنْيِ فوائد عظيمة لمصلحة السلام في العالم .

ويضع سماحته بكلامه عن الآخر قواعد للتعامل معه فالذي يظلم ويقتل ويستعمر يكون الوقوف ضده هو عين الصواب في التعامل معه.. وأما من يجلس للحوار وينشد التفاهم.. فهو الذي يستحق احترام الإسلام وتقدير المسلمين.. مهما كان اسمه أو انتماؤه.. ولا يجوز أن نعاديه لأنه الآخر فقط.

– أيهما خير للعالم: التعاون أم العداء؟

ولمنع وقوع أي إشكال في حاضرنا، ولتمتين أسس التعايش التي يدعو إليها الإسلام، يضع سماحته تلك الإضاءات والمعالم التي تدفع العلاقة مع الآخر نحو الأفضل؛ لأن التعاون خير للإنسانية جمعاء، ولا سيما عندما يجتاح العالم أزماتٌ لا تفرق بين الناس على أساس دينهم أو عرقهم..

إن العداء بين الرسالتين لم يستفد منه أي من أبنائهما، بل إنه عمّق بعد الإنسان عن دينه، وأفقد الدين دوره في إيقاف الحروب العالمية التي حملت الدمار للمسيحيين أنفسهم ولغيرهم. حتى إن جنى التعاون الإسلامي المسيحي أعظم من اللجوء إلى القوة العسكرية والهيمنة السياسية.

أجل، إن مصلحة العالم في التعاون لا العداء.

– من تعاليم الرسالات السماوية التعاون والحوار لا الخصومة والنزاع

وكيف يعقل أن يكون الدين سبب الحروب والنزاعات ما دام هامش التسامح فيه واسعاً، والحقوق فيه مصانة؟! أليس خلاف ذلك

بعداً عن منهج الله؟! ومن أراد تحقيق الغاية الكبرى في هذا العالم يجب أن يتخلى عن عصبيته وقوقعته.

وما تفصيل سماحته في نقاط الحقوق- التي أعطيت لغير المسلمين في ظل دولة الإسلام، سواء أكانوا داخل الدولة أم خارجها- إلا ترسيخ لحقيقة أخرى في عقول الإنسانية مفادها: إن الرسالات السماوية تدعو إلى المودة والتفاهم، ويستحيل أن تكون سبب الخصومة والتنافر.. والحروب والتراعات، وإن التسامح يجب أن يوسَّع هامشه، فذلك هو مضمون حقيقة الإرادة الإلهية في إنزال الرسالات السماوية للإنسانية.

ولا بد من توظيف مناسبات للقاء علماء الإسلام والمسيحية لما فيه خير الإنسانية وتحقيق التعاون بين أبنائها. وانطلاقاً من هذا، يذكّر سماحته مسيحيي أوربة وأمريكة كيف يصير الاحتفال بميلاد السيد المسيح ذا جدوى، وذلك بتنفيذ وصايا المسيح.. التي تدعو إلى محبة الإله الواحد، ثم محبة الإنسان لأخيه الإنسان.. فلا يظلمه ولا ينهب خيراته ولا يدمر قدراته.

- قانون للتعامل العالمي: ليس الاختلاف شراً.. ولا الآخر عدواً

ويوضح سماحته أن الاختلاف ليس شراً.. والآخر ليس عدواً في الإسلام، وكأن سماحته يضع بذلك أساساً وقانوناً للتعامل بين شعوب العالم اليوم، مهما تباينت وجهات نظرهم أو معتقداتهم.. ويسرد سماحته الأدلة والبراهين على ذلك.

– الحوار بمنهج الوسطية الإسلامية

وسماحته كله يقين أن منهج الحوار بالحكمة والوسطية هو نهج الله ونبيه في هذه الرسالة الخاتمة، التي جاءت لتتمم ما بناه الأنبياء في أقوامهم.. وأن يكون الخطاب بالكلمة الطيبة والمجادلة بالتي هي أحسن، وهذه هي دعوات القرآن والسنة، فبها تُفتح العقول والقلوب والعالم.. ولو بعد حين.. ولا سيما إن كان أصحاب دعوتها يتلمسون طريقهم إلى ذلك الهدف السامي بالعلم والعمل والإخلاص والصلة بالله، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

وفي هذا الباب، نجد أن أجوبة سماحته على أسئلة المقابلات الصحفية والإعلامية- التي أجريت معه، وتناولت موضوعات مهمة، يتعلق بعضها بالعلاقات الإسلامية المسيحية وحوار الحضارات وبعض القضايا المعاصرة- نجد أن هذه الأجوبة تمتاز كعادتها.. بالصراحة والسعي إلى تنقية الدين مما لحق به من تشويه وتحريف، والعمل على

إيقاظ العقول وتحرير الفكر، والحرص على طرح المفاهيم.. التي تزيد التقارب والتلاقي...

لقد كانت الأسئلة في مختلف الحوارات الصحفية مختلفة الموضوعات، وسماحته يجيب عنها بروحية الكلمة نفسها التي يلقيها في مختلف المحاضرات، وتتجلى في الإيمان الحقيقي بالدين ومبادئه، والمجادلة بالتي هي أحسن، وبالحكمة والموعظة الحسنة، مع الانفتاح ومقابلة الآخر بالمودة لا بالخصومة والتجريح...

– الأصولية وثقافة التعصب الديني

ويبين سماحته أن الأصولية ليست سمة من أراد إحياء الإسلام بالمعنى الرباني، وإنما هي سمة من لا يؤمن بحرية المعتقد والرأي. ومشكلة العالم– اليوم– عدم التمييز بين الطائفتين، بل يلقي بتهمة الأصولية على جميع من أراد التمسك بتعاليم دينه، وكأنه يريد لهذا العالم أن يتنكر لشريعة السماء.

والأصولية اصطلاح وفد إلينا من الغرب، حيث ظهرت الأصولية هناك، ثم استعملها بعضهم اصطلاحاً يعبر عن التشدد والتطرف، وليس في الإسلام تشدد ولا تطرف ولا عنف، بل سماحة وتوسط واعتدال وتيسير.

فعند تناول موضوع الأصولية.. يوضح سماحته الأسباب الموضوعية ويبيَّن الحلول على نحو عملي مختصر، من دون التطرق إلى فلسفة الأمور.. فالإسلام لا يقبل العنف، وعلى الحكومات تلبية مطالب الشعب؛ وكأنه- بذلك- يضع الحل العملي السريع لمشكلة الأصولية.

- يد الإسلام ممدودة، وعلى النصرانية المقابلة بالمثل

ثم ينبّه سماحته إلى أن الإسلام يمدّ يده للرسالة المسيحية منذ بداية نزوله، ويبرهن على ذلك بتسمية سورة من سور القرآن "آل عمران" وأخرى "مريم"، والإسلام الزم المسلمين بالإيمان بعيسى ورسالته. وعلى الطرف الآخر أن يقابل المعروف بالمعروف والإيمان بالإيمان، فيدعو المسيحيين للإيمان بمحمد ورسالته، وبذلك تلتقي القلوب والعقول وينتشر السلام في ربوع العالم.

وكما على المسلمين أن يتجاوزوا مشكلات قديمة ومنها الحروب الصليبية، التي سببها بعض المسيحيين في الغرب بسبب سوء فهمهم لحقيقة الدين.. فعلى الآخر أن يفتح قلبه ويمد ذراعه.. ولا سيما أن الإسلام يؤمن بجميع الرسالات السماوية...

– ادرسوا جميعاً الإسلام وأنصفوه

ويؤكد سماحته أهمية أن يعرف بعضنا بعضاً بعمق وبعد دراسة، لا أن نعرف بعضنا من بعد، وضرب بذلك مثلاً حسياً "كالذي يرى الآخر من أعلى جبل"..

وإن أول خطوة لمد اليد للإسلام تكمن في الرجوع إلى القرآن دراسة وبحثاً وفهما. فالإرادة الإلهية–التي يؤمن بها جميع أتباع الرسالات السماوية– اقتضت أن يكون القرآن آخر خطاب إلهي للبشر. ومن يدرس القرآن دراسة منصفة، يجد فيه الجواهر واللآلئ التي يكترها الإسلام، وتدهش الباحثين، وأهمها أن الإسلام لا يطلب إلى المسيحيين إلا التمسك بمسيحيتهم، التي تتصل بينبوعهم الصافي، الذي أنزلته الإرادة الإلهية على سيدنا عيسى.

أجل، إن من دواعي العمل المشترك استنهاض همة جميع أتباع الرسالات السماوية لدراسة الإسلام على نحو واقعي جدي، بعيداً عن النظرة السابقة والتعصب، وإلا كيف ستعمل مع طرف لا تعترف به.. أو تعتقد بسلبيته. ويجب فهم حقيقة الإسلام الجامع لرسالات السماء كافة، المصحح لما لحق بها من اجتهادات خاطئة. وعندما يعرف العالَمُ حقيقة مبادئ هذه الرسالات وأسسها يقدر الدين الذي حباه الله به.. ويجعله منهج حياته.

لقد آن الأوان كي ينظر الجميع إلى الإسلام بإنصاف، لأنه احترم الجميع، وساعد الإنسانية على الإيمان بجميع الرسالات السماوية. ويسوق سماحته الأحداث التاريخية، التي برهنت على أن الإسلام احترم جميع هذه الرسالات. ويكفيه فخراً أنه أسهم في نقل ربع سكان العالم من الوثنية إلى الإيمان برسالات موسى وعيسى ومحمد والأنبياء جميعهم عليهم السلام. ولا بد للآخر من أن يعترف برسالة محمد ﷺ.

إذن، لن تتحقق النتائج المرجوة إلا بالتزام التوصية التي يدعو إليها سماحته، وهي التعرف إلى الإسلام، وكذلك على المسلمين أن يتعرفوا إلى غيرهم. ويريد سماحته من هذا الوصول إلى نتيجة مفادها: "إن الإسلام يحترم حق وجود الآخرين وممارسة دينهم. ولذا، لا بد للآخر من أن يحترم حق وجود الدين الإسلامي وممارسة المسلمين دينهم".

وينوه سماحته بدعوة الأمير تشارلز إلى دراسة الإسلام.. ولكن الدعوات والتصريحات لا تكفي، بل لا بد من مزج القول بالعمل والتصريحات بالسياسات العادلة.. ولا سيما تجاه العالم الإسلامي.. والكف عن سياسة الكيل بمكيالين.. وضرورة الوقوف ضد الصهيونية، وإرجاع الحقوق لأصحابها الفلسطينيين.. فكثير من الآمال تتبدد- أحياناً- بسبب سوء التصرف.

– تعاون أبناء الرسالات ضرورة حتمية لأزمات العصر

وينوّه سماحته إلى أن تعاون أبناء الرسالات تجاه القضايا التي تهم الإنسانية جمعاء صار ضرورة حتمية لحل مشكلات العالم اليوم؛ لأن المسؤولية أمام الله تقع على عاتق الجميع، وإن المشكلات تطال الجميع، وإن الخلاف والاقتتال سببه بعد الناس عن الدين. ولذا، لا بد من تعاون خالص مثمر يعيد إلى أذهان الناس أهمية الدين والعمل به، فينحل الكثير من مشكلاتهم.. ويحل الأمن والسلام بينهم.

– التقاؤها من أجل الإنسان والحضارة

وفي مسألة السلام والأخوة الإنسانية، يبين سماحته أن كلا النبيين– محمداً والمسيح عليهما السلام– أرسيا مفهوم الرحمة ونشر السلام في العالم، بين جميع البشر، وهذا القاسم المشترك مهم جداً.

وكذلك آن لكلا الفريقين العودة إلى منهج الله تبارك وتعالى والهدف من نزول الرسالات في تعارف الشعوب وتعاونها؛ لأن في ذلك تحقيقاً لتقدم الأمم وتطور حضارتها، وتحويل الأموال– التي تصرف على الأسلحة والجيوش– إلى مساعدة المظلومين والفقراء والمحرومين في العالم أجمع بغض النظر عن انتمائهم الديني أو العرقي، وكذلك في توحيد الجهود لمحاربة

الأخطار والأمراض الاجتماعية والأخلاقية التي فتكت بمجتمعات العالم، وصولاً إلى العمل على ضمان سلامة البيئة والحياة في كوكبنا.

السلام والتعاون بين شعوب العالم- مهما اختلفت أجناسهم ورسالاتهم السماوية- غايات سامية ومطالب كل عاقل منصف حر في هذا العالم. وليس من مصلحة المسيحيين والمسلمين بقاء صورتيهما مشوهة.. وليس من مصلحتهما بقاء النزاع وسوء الفهم بينهما.. فالتعاون يضمن الاستقرار والسلام العالمي.. وهذا أنشودة العقلاء في العالم.

ثم يتوجه سماحته ليبين للعالم- عمليّاً- ماذا قدم الدين الصحيح للحضارة الإنسانية، عندما طبق وفق منهج الله تبارك وتعالى، ليفهم العالم أن الإخلاص في إرادة الخير للعالم ينتج حضارة إنسانية تفهم الآخر وتحترمه، وتجعله يعيش معه في أمان وسلام. كل حضارة أخذت وأعطت.. إلا تلك التي اتخذت الأهواء والمصالح نهجها.

- القدس والسلام ونصرة القضايا العادلة

إن لقاءً على مستوى القيادات الدينية ينبغي أن يناقش قضايا عليا ومسائل مهمة.. فينتقل سماحته إلى تحديد هدف يوجب على أتباع الرسالتين- الإسلامية والمسيحية- التعاون والعمل المشترك على تحقيقه، ألا وهو قضية فلسطين والأرض المقدسة المنكوبة.. والدفاع عن

المقدسات فيها.. ودعم جهاد الأمة الإسلامية في رفع الظلم عن أبناء فلسطين ولجم العدوان الصهيوني.

وإن من أهم القضايا في هذا العالم- التي يجب التحرك بسرعة لحلها- قضية تهويد القدس خاصة، وفلسطين عامة.

ويؤكد سماحته أن العمل على تحقيق ذلك يخدم قضية إحلال السلام العادل.. ومن هنا يدعو سماحته إلى إبطال حق الفيتو "الجائر" في مجلس الأمن، الذي فيه هضم لحقوق الناس، والذي يعبر عن منطق ديكتاتورية الدول العظمى في الهيمنة على العالم.

وكذلك يوجه دعوته إلى جميع الحكومات المسيحية- عبر البابا- من أجل أن يكثفوا الجهود، ويتجاوزوا الكلام والدعاء والصلوات إلى العمل المنتج المثمر. ولا يُقْبَل ممن يملك الإمكان والإرادة أن يفعل ما دون مستوى إمكاناته وإرادته. فمساعدة الشعوب المظلومة في العالم في هذا الوقت صارت أكثر إلحاحاً ومسؤولية، لأن العالم صار بمثابة مترل واحد، ولا يعقل لسكان المترل الواحد أن يغفلوا عن بعضهم، أو يميزوا فيما بينهم.. ولا سيما عندما يكون في هذا المترل رجال عقلاء يدعون إلى السلام العالمي واحترام حقوق الإنسان.. وإلا كانت المسؤولية أمام الله كبيرة.. والحساب يوم القيامة واقع لا محالة.

وكذلك كانت رسالة سماحته إلى البابا- بمناسبة يوم السلام العالمي- دعوة إلى علماء الدين كافة- وعلى رأسهم البابا- لربط القول بالعمل، والتحرك على نحو عملي إيجابي نافذ.. وعدم الاكتفاء بالتصريحات ومجرد الاستنكار والتأسف.. وإلا كنا مشاركين في حرب صليبية جديدة ضد العالم الإسلامي، أو نرضى عن سياسة الكيل بمكيالين أو أكثر.. وسياسة التمييز بين الإنسان وأخيه الإنسان.. فنحن- اليوم- بسكوتنا وعدم تحركنا- على الرغم من أننا نشاهد معاً ما يحدث في هذا المنزل الواحد- نضرب أهداف الرسالات السماوية بعرض الحائط.

ويلفت سماحته نظر البابا إلى قضايا العرب والمسلمين، الذين وقع عليهم الظلم.. ولم تتحرك أكثر الكنائس الغربية لاستنكار ذلك الظلم.. على الرغم من أن المسلمين يحترمون القيم الإنسانية ويؤمنون بجميع الأنبياء.. وهم جزء من هذا العالم الإنساني. آملاً من البابا أن يتخذ الموقف القوي تجاه ذلك. وإن ذلك لا يكون إلا بالعودة إلى نصرة الإنسان في العالم كله بغض النظر عن دينه أو جنسه أو لونه.

▪ الإلحاد والإصلاح الديني والنبع الأصيل

على علماء الدين التعريف به تعريفا عقلانيا صحيحا، حتى يستطيع أن يحقق أهدافه في بناء عالم تسوده قيم الإيمان والسلام والرحمة؛ لان غاية

الدين وحقيقته والهدف من وجوده في حياة البشر قضية يتساءل عنها الإنسان مع نفسه ومع الآخرين، ومن ثم لا بد من الرجوع إلى المنابع الصافية للدين كما نزل من عند الله، بعيداً عن الاجتهادات والتفسيرات الخاطئة والتغييرات التي قام بها البشر، فلوثته وأضاعت صفاءه ونقاءه، كما يتلوث ماء المطر النقي عندما يخالط أوساخ البشر، فيصير مصدراً للموت بدل أن يكون مصدرا للحياة والنماء.

وإن فقد الدين لتأثيره يستدعي من علماء الرسالتين التعاون والعمل- من خلال الأهداف المشتركة- على إعادة الأثر الإيماني في الإنسان، والعمل على حل مشكلاته والأخذ به إلى طريق السعادة، وإن التعاون لا يكون ولا يثمر- أيضاً- إلا بعد الرجوع إلى الينبوع الأصيل للرسالتين وتبني **الإيمان الروحاني العقلاني**.

إن أهم ثمرة يجنيها المجتمع- من نهج سياسة الإصلاح والتجديد والعودة بالدين إلى أصوله- هي إحلال السلام في العالم وإنهاء الإلحاد فيه، وهذا مطلب جميع الرسالات، وهذا هو أحد المحاور[1].. التي يدير سماحته محاضراته حولها، متأملاً أن تكون نتائج أي لقاء بين علماء الدين متناسبة مع حجم الآمال المعقودة.

(١) انظر: الصفحتين ١٨١ و٢٠٦.

– أهداف الدين الأصيل وغاياته وبرامجه

ومن يعرف قيمة ما يحمله، يحسن التعريف به وعرضه؛ بل يفخر بالقيم التي يدعو إليها. ومن هذا المنطلق، يوجه سماحته محاضراته وحواراته ولقاءاته، ليبين للعالم أثر الدين الصحيح في شفاء الإنسانية من أمراضها ومعاناتها. وإنه يرى أن الاجتماع على العمل المشترك يجب أن لا يكون شكلاً ويغلب عليه المجاملات، بل يجب أن يكون واقعاً يجسد الحقيقة التي أرادها الله من إنزال الرسالات إلى البشر.

ويعرض سماحته برامج الدين الصحيح على ثلاثة مستويات، تشمل نواحي الحياة جمعاء: الفرد والمجتمع والدولة. والارتقاء بهذه المستويات الثلاثة يضمن حياة راقية ملؤها المودة والتعاون والسلام. ويلخص غاية وجود الدين الأصيل في حياة البشر في هدفين: أحدهما يُعْنَى بصلة الإنسان بربه، والآخر يُعْنى بصلة الإنسان بأخيه الإنسان، وهذا ما يريده كل إنسان.. ويجعله يتعلق بالدين حقاً.

وأما الصلة بالله فلها فوائد ونتائج عظيمة؛ فهي الغذاء للروح، وثمرتها سعادة الإنسان، وبتركها تصير حياة الإنسان بهيمية شقية. فتقوية الصلة بالله خالق الكون حتمية على من أراد التمسك بحبل النجاة في دنياه وآخرته، لأن الصلة بالله هي الطريق السريعة لجعل الإنسان يمتثل لأوامر الله بطواعية.

ثم إن أهداف الرسالات السماوية ودورها في المجتمعات والعالم تبدأ من إعداد الإنسان وتربيته وتنميته، وتواصل ذلك بدعوتها إلى العفو والتسامح ومحاربة الظلم، لتصل- في آخر المطاف- إلى أسمى غاية للإنسان في هذا العالم، ألا وهي تحقيق السلام بين الإنسان وأخيه الإنسان، بعد أن يحققه بينه وبين ربه. فمَنْ يستطيع- بعد ذلك- أن ينكر دور الدين في الحياة والمجتمع؟ .

لقد أتت أهداف الدين الأصيل وغاياته وبرامجه موافقة للعقل، مواكبة للفطرة، ملبية لحاجات الإنسان، منظمة لعلاقاته الربانية والإنسانية.. فأي عاقل راشد يرفضها؟! ومن ثم، يقيم سماحته الحجة على جميع من ابتعد عن الدين ليبحث عن حلول لطموحاته في أُطُر أخرى.

إذن، إن أي رسالة سماوية تلتزم بالأهداف والغايات والبرامج- التي أرادها الله تعالى- ستتلاقى والرسالات السماوية الأخرى أولاً، وسيقبلها كل إنسان عاقل ثانياً.. لأن تلك الرسالة تحقق النجاح للناس والمودة بينهم.

- بُعْدُ بعض المتدينين عن العقل والواقعية سببُ نفور الناس

ويجعل سماحته الصلة بالله الهدف الأول، لأن فقدانها تجعل شهوة الإنسان هي المسيطرة، وهذا يؤثر في حقيقة الدين؛ إذ صار المتمسكون

بالدين "ظاهراً"- البعيدون عنه "باطناً"- يفسرون الدين على حسب أهوائهم ومصالحهم وشهواتهم، وهذا جعل الدين بعيداً عن العقل والواقعية.. وأدى إلى نفور الإنسان منه.

ثم إن التركيز على قيمة البرامج الإيمانية في حياة الإنسانية يبين مقدار حاجتها إلى الدين القويم والعالم الحكيم؛ لأن الإنسان يقبل على الدين الذي يلبي حاجاته المادية والمعنوية.

ولهذا يرى سماحته أن **المادية والعلمانية** هي رد فعل لواقع علماء الدين، الذين أظهروا لأتباعهم أن الدين هو آراء علماء متعصبين أو غير عقلانيين.. وليس هو ذلك الفكر النير، الذي ينبع من منبعه الصافي الأصيل.

ومن جهتها، أُصيبت الماركسية بالعمى، فلم تفرق بين دين يحرر العقل وآخر يحاربه ويحارب تقدمه العلمي وإنجازاته الفكرية.

- الإصلاح الديني والتجديد

ولكن الرسالة التي ابتعد أصحابها عن تلك الأهداف صارت مُشوَّهة. ولذلك، يقر سماحته بصعوبة أن يؤمن الإنسان بالدين إذا وجده يناقض العقل.. أو يحجر على الفكر أو يبتعد عن الروح وغذائها! .

و"التغيير والإصلاح من الداخل أفضل من أن يأتي من الخارج وأقوى".. هذا هو المعنى الذي يريد سماحته أن يفهمه علماء الرسالات السماوية، من ضرورة وقوف أتباع هذه الرسالات وعلمائها الحكماء على الأهواء والشوائب والمتناقضات والتفسيرات الخاطئة والخرافات والأباطيل التي تخالف العقل والحقيقة والواقع والعلم.. وتعتري الدين كل مدة، ليقوموا بإعادته إلى نبعه الأصيل الصافي...

وقد وصى النبي محمد ﷺ بالنظر في واقع الإسلام كل مئة عام، ليخرج علماؤه الأفكار الدخيلة.. وينقوه من الخرافات الدسيسة، فلا يكون مشوهاً عقلاً وواقعاً في حياة الإنسان. والتجديد يكون في العودة إلى القرآن والسنة.. والجمع بين العقل والقلب مع الحكمة.. وهي أصول في القرآن والسنة.. مع السماحة في دعوة الآخر.. والنظرة العالمية إلى السلام في ظل الإيمان.

والدعوة إلى التجديد والإصلاح تحتاج إلى إيمان قوي عميق بمنهج الله تبارك وتعالى، الذي يدعو إلى تعاون الإنسان مع أخيه الإنسان، وبناء المجتمع المؤمن الموَّحِد، الخاضع لإرادة الله.. لا للأهواء والرغبات والمطامع.

ولعل أهم حقيقة يجب بثها هي تصحيح مفهوم الإله عند الشعوب كافة، بأنه الإله الواحد الذي لا يموت، والذي لم يلد ولم يولد، والذي

ليس كمثله شيء.. وإليه يرجع مصير جميع الناس للحساب والجزاء، مع فتح باب الأمل بالتوبة للعصاة.. والعودة إلى منهج الله.

يجب أن نملك الجرأة للاعتراف بالخطأ، ثم المبادرة للعمل على الإصلاح، ما دامت الغاية سامية وتعود على الجميع بالخير!

- **المستقبل لأهل الإيمان الخالص..**

ويأتي سماحته ببرهان عملي على قوة تأثير الدين في الناس إن كان صافياً أصيلاً، وذلك عندما بيَّن ما فعل النبي محمد ﷺ وصحابته خلال ثلاثين عاماً وبوسائل بدائية في توحيد العالم تحت مظلة دين الله وهذا حقق الهدف الآخر من وجود الدين وهو تحسين صلة الإنسان بأخيه الإنسان، حيث أقام النبي محمد ﷺ الأمة العالمية التي يتساوى فيها الإنسان مع أخيه بغض النظر عن قوميته أو جنسه أو دينه.

وينبّه سماحته إلى أن الفرصة- الآن- مواتية أكثر لتقبل الإنسان الدين الصحيح الأصيل، لأن الإنسان جرّب كثيراً من الأطروحات والأفكار والمبادئ الوضعية ونظريات الفلاسفة لحل مشكلات القرن العشرين؛ فلم يفلح، بل عانى الحروبَ والتناقضات والاختلافات في جميع المجالات.. وانغمس في الملذات؛ فعاد ليبحث عن المصدر الحقيقي

لسعادته، فلم يجد سوى الدين الحقيقي الذي يدعو إلى الاستجابة لله وفيه حلول لمشكلاته جميعها.

ثم يأتي سماحته بالأدلة على أن في الإسلام- بمعناه العام الواسع- الدواء، الذي يضمن الشفاء للإنسانية من أمراضها.. وهو الذي يلبي حاجتها المادية والروحية.

▪ عمل مشترك ومسؤوليات

– الرسالات السماوية بين مصداقية علمائها وتحقيق أهدافها

ويربط سماحته تحقيق الأهداف السامية لرسالات السماء بمصداقية علمائها ويدعوهم إلى بناء العالِم المخلص الحكيم، وإلى تحمل المسؤولية كاملة تجاه الله، في حال التقصير في رفع الإلحاد والظلم في هذا العالم.

وآن لعلماء الرسالتين السماويتين- الإسلام والمسيحية- أن يجمعوا ما فَرَّقهُ الدهر، وأن يصححوا ما شوهته الأيدي العابثة، وهذا هو المفهوم الذي يريد سماحته أن يرسخه دائماً؛ لأن واقع الدين في العالم أجمع أليم، والناس عنه في بعد ما دام علماء الدين في عداء وخصام بين بعضهم من ناحية، وحقائق الدين مشوهة من ناحية أخرى.

وعلى المخلصين من علماء رسالات السماء أن يجتمعوا لوضع آليات وخطط للعمل.. وعدم الاكتفاء بالقول والتنظير. وتنفيذ هذه

البرامج يحتاج إلى شجاعة ونبذ للتعصب وترك المصالح والأهواء. وهو- من جهة أخرى- رسالة إلى جميع القادة من علماء دين وسياسيين في هذا العالم لأن يلتقوا ويتحاوروا خدمة للسلام العالمي والقضايا الإنسانية التي يحتاج إليها البشر اليوم.

وكلما اقترب الدعاة والعلماء من منهج الرسالة السماوية، اقتربت الإنسانية من تحقيق أهداف الإرادة الإلهية من الدين.

- لجنة متابعة دورية

ومن جانب آخر، يوصي سماحته- في جميع المؤتمرات التي يحضرها أو معظمها- بالإجراءات العملية، المتمثلة في تشكيل لجنة تقوم- دوريّاً- بتنفيذ التوصيات ومتابعتها، وذلك ليكون دور علماء الرسالات السماوية فاعلاً، لا نظرياً! .

- وفاعليات العالَم كل له دوره

ولعل تعاون علماء الدين يكون المحرك لتعاون جميع فاعليات العالم، لأن الدين الصحيح العقلاني يستطيع أن يؤثر في النفوس ويحرك المشاعر ويغير الأفكار وينير الطريق لأهداف الإخاء الإنساني والسلام العالمي.

ثم ها هي دعوات- مباشرة وغير مباشرة- من سماحته للعالَم الغربي إلى أن يسلك منهج حضارة الدين الصحيح، عندما كانت حضارة منتجة معطية، فيعمل على قيادة العالم بمحبة وإخلاص وتلهف لنشر الخير والسلام والمحبة للجميع مهما اختلفت الأجناس والألوان والرسالات السماوية.

ألاَ إن أي منصف في هذا العالم ليتوق لرؤية تعاون قادة هذا العالم في مختلف مجالاته (علماء، حكماء، أغنياء، ساسة)، ليثمر هذا التعاون أمناً ورخاء وسعادة على الإنسانية جمعاء. وإن على عقلاء العالم وعلمائه وحكامه وأغنيائه التعاون للاسترشاد بالمعالم النابعة من روحية الإرادة الإلهية للرسالات السماوية، والعمل معاً على تنفيذ خطط وبرامج تدفع المجتمع نحو حياة أفضل ينشدها الجميع.

- **تخديم الوسائل المعاصرة في الإعلام والاتصال**

إن تخصيص قناة- أو قنوات- فضائية حوارية تجمع عقلاء العالم من حكام شرفاء وعلماء حكماء أتقياء، بعيداً عن الصواريخ البالِستية والأسلحة المدمرة.. وتعمل على جمع الكلمة بالحكمة... سيعين العلماء- في دعوتهم الربانية- على تحقيق السلام، الذي ينشده الجميع في العالم.. وسيكون الإيمان صفاً منيعاً في وجه الإلحاد في العالم.

وينوّه سماحته بوسائل الإعلام والاتصالات إلى تعريف الناس بالبرامج السماوية، بالطريقة الحكيمة التي اتبعها الأنبياء، ليعيش العالم في دولة القيم الإلهية. ولذا، على هذه الوسائل أن تبث ما يقرب بين الناس في العالم ..ويقضي على عداواتهم، متقيدة بالتراهة ووصايا الأخلاق في جميع الرسالات السماوية.

ثم يدعو سماحته إلى تبني المشروع السماوي الذي طبقه النبي محمد ﷺ وصحابته.. ونشره بوسائل معاصرة، من أي شعب أو دولة تمتلك الإرادة لتحقيق ذلك، وليس لأنه مشروع إسلامي فحسب، بل لأنه نجح فيما ينشده العالم كله.

وكذلك إن تسخير الفضائيات والإنترنت في تصحيح المفاهيم ونصرة القضايا العالمية العادلة- ومنها قضية القدس- أمر يجب أن ننتبه إليه، كي لا نقع في التقصير في حق أنفسنا وقضايانا.

■ استشرافه للمستقبل...

لقد كانت دعواته يجوب صداها في الشرق والغرب، قبل أن يسمع الناس بعدُ بمصطلحات حوار الحضارات وصدام الحضارات؛ فإن من يقرأ القرآن كما نزل على النبي محمد ﷺ.. ومن يطلع على سيرته ﷺ وهديه.. ومن يقرأ تأريخ الإنسانية وسنن الله في كونه وعواقب الأمم التي بادت، يستطيع أن يستشرف المستقبل ويرسم منهجاً للإنسانية على ضوء هذا المخطط الرباني النبوي، ليصل بها إلى بر الأمان ويحقق فلاحها في الدنيا والآخرة.

هذا هو همّ سماحته الذي كان.. واهتمامه.. وجده فيه واجتهاده، أن يوجد- في الواقع المعيش على أرضنا هذه- الأخوة الإنسانية والرحمة العالمية والسلام لأبناء البشرية، ونصرة المستضعفين، وإنقاذ العالم من ويلات الحروب، وتحويل الأموال التي تصرف على أسلحة الدمار الشامل- إلى مواجهة الفقر والمرض والجهل في أنحاء العالم..

لقد أطلقها- رحمه الله تعالى- دعوةً إيمانية صادقة.. غايتُها إنسانية عظمى.. وهديُها من مشكاتي القرآن والنبوة...

ولقد بلّغها علماء الرسالات وقادة الفكر والساسة ومختلف الفاعليّات في العالم...

اللهم إنا نشهد!!

ولقد وضعها أمانة في أعناق الجميع.. والحمولة ثقيلة.. أبت السماوات والأرض أن يحملنها.. وأشفقن منها...

الفصل الثاني

السلام العالمي وإنقاذ الجنس الإنساني

▪ أولاً: الأفكار والنصوص

* **المبحث الأول:** السلام العالمي في الإسلام
* **المبحث الثاني:** نحو عالم تسوده روح الإخاء الإنساني والسلام
* **المبحث الثالث:** الطريق إلى السلام
* **المبحث الرابـــع:** القيم الخالدة
* **المبحث الخامس:** التربية البيئية في الإسلام

▪ ثانياً: الدراسة والتحليل

أولاً

الأفكار والنصوص

المبحث الأول

السـلام العالمي فـي الإسـلام[1]

(١) كلمة مرتجلة لسماحته، ألقاها في حفل افتتاح السلام العالمي لممثلي قادة الدين، المنعقد في باكو في أذربيجان، من ١ إلى ٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- للسلام في الإسلام شأن عظيم، فهو ليس أمراً شخصياً، أو هدفاً قومياً أو وطنياً، بل عالمياً وشمولياً وخالداً.

٢- جميع الأنبياء شاركوا في بناء السلام، وبرسالة النبي محمد ﷺ صار بناءً منهجياً مُتَمَّماً.. فصارت رسالة الإسلام رحمة للعالمين وصار المؤمنين به مصدر سعادة لإخوانهم ولجميع أبناء الإنسانية.

٣- تتجلى قدسية السلام في النقاط الآتية:

أ- جعل الله- تعالى- السلام من أسمائه الحسنى ليكون السلام معشوق المؤمن كما يعشق الله.

ب- جعل النبي محمد ﷺ السلام من مفردات التشريع الإلهي عندما **قال**: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام»[1].

(١) أخرجه مسلم، عن عائشة رضي الله عنها، في كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم ١٣٦٣.

ج- جعل الله تعالى السلام من صفات الجنة (دار السلام)، وجعل تحية أهل الجنة السلام.

د- أمر الله المؤمنين أن يدخلوا في السلام كافة.

٤- جعل الإسلام السلام من أسس الشريعة الإسلامية، ويتجلى ذلك في:

أ- أداء الحقوق إلى أصحابها، وعدم الاعتداء على أي مخلوق.

ب- الإحسان مع العدل على جميع المستويات حتى مع الأعداء المحاربين.

ج- نصرة الإنسان للحق ولو على قريبه، ولو على نفسه؛ فالعدل من أسس الدين.

٥- تجاوز الإسلام السلام بين الناس إلى السلام في كل شيء ليحقق للإنسان سعادته، ويتجلى ذلك في:

أ- ضمانة السلام للإنسان من الجهل.

ب- ضمانة السلام للإنسان ضد الفقر والعوز بفرض الزكاة والدعوة للتكافل الإجتماعي.

ج- ضمانة السلام الغذائي، والبراءة من مجتمع فيه جائع.

د- السعي إلى إصلاح ذات البين.. على مستوى الأفراد والجماعات والدول.

٦- مظاهر وأشكال السلام العملي في حياة المسلمين، وتتجلى في:

أ- استطاعة النبي محمد ﷺ وتلامذته توحيد نصف العالم القديم بأقل من نصف قرن على المحبة والعلم والمساواة والسلام بين الشعوب.

ب- تطبيقهم العدالة الاجتماعية والقضائية وإعادة الحقوق المغتصبة لأصحابها(كنائس الشرقيين).

ج- تعميمهم العلم على جميع الناس، وهذا أدى إلى ظهور علماء بارزين من الأجناس والألوان والأقطار كافة.

د- نشرهم الأمان في المجتمعات، حتى صارت المرأة تقطع الصحراء لا تخاف أحداً.

هـ- كفالتهم الفقير والعاجز وتزويج الأعزب وقضاء دين المدين.

و- ضمانتهم كرامة المرأة وإعطاؤها مكانة رفيعة في المجتمع.

ز- ضمانتهم السلام الاجتماعي والأمر برد المظالم ولو كان الظالم هو الحاكم أو أحد أفراد أسرته.

٧- لا بد من دراسة السلام في الإسلام وتطبيق أسسه لينجو العالم من مسألة أسلحة التدمير الشامل.

٨- ليس بالعلم وحده يحيى الإنسان، بل لا بد من الأخلاق الكريمة والعقل الإيماني والإيمان العقلاني.

٩- وسائل العالم- اليوم- في تحقيق السلام فشلت في الحروب الصغيرة، فكيف بالحروب النووية.

١٠- مسألة فلسطين مثال حي لفشل العالم في تحقيق العدالة والسلام.

١١- دعوة إلى إنشاء لجنة عالمية تسعى إلى نشر ثقافة السلام في العالم.. تتألف من علماء دين ورجال السياسة والعلم والفكر ، يجمعهم الإخلاص للسلام والعدل.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المحاضرة

إن للسلام العالمي في الإسلام لشأناً عظيماً، وأمراً خطِراً، فما نزلت شرائع السماء، وما أرسل الله رسله وأنبياءه إلا بهدف بنائه، ورفع لوائه الدائم، مع بقية المثل العليا التي دعا إليها الإسلام، وما كان السلام في الإسلام أمراً شخصياً، ولا هدفاً قومياً أو وطنياً، بل كان أيضاً عالمياً، وشمولياً، وخالداً، لقد شارك في إنشاء صرح السلام جميع الأنبياء والرسل، ولم يكتمل بناء السلام منهجياً ولم يتم، إلا برسالة النبي الكريم **محمد** ﷺ، إذ **يقول**: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسَنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويَعجَبون له، ويقولون: هلاّ وُضعت هذه اللبنة؟

قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتِم النبيين»[1]. به ﷺ خُتِمَت رسالات السماء، وبه ﷺ كَمُلَ التشريع الإلهي، لتحقيق السلام الأبدي، لا.. بل لتحقيق الإخاء الإنساني والتعاون في العالم، من أجل سعادة البشرية.

لقد سجل الإسلام ذلك في دستوره القرآني، إذ يقول الله- تعالى- لسيدنا محمد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء]، فكان الرحمةَ المهداةَ من السماء لسلام أهل الأرض، ولسعادتهم الخالدة، ما داموا متمسكين بتشريع السماء، ذلك التشريع الذي جعل المؤمنين به إخوة متحابين في الله، متعاونين على الخير، متسابقين إلى العلم والحكمة، باذلين كل غال ونفيس، في سبيل إسعاد إخوانهم وكلّ أبناء الإنسانية، تحت شعار **قوله** ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[2]، و**قوله** ﷺ مؤاخياً بين أنبياء الرسالات السماوية: «والأنبياء إخوة لعَلاّت، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[3].

إن العقل الإنساني، وكلّ الشرفاء من أنصار السلام ومحبيه، مهما بذلوا من جهد، لا يستطيعون أن يقدسوا السلام كما قدسه الإسلام ؛

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، برقم ٣٥٣٥.
(٢) أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، في كتاب البر والصلة، باب رحمة المسلمين، برقم ١٩٢٤، وقال: حسن صحيح.
(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ، في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ [سورة مريم: ١٦]، برقم ٣٤٤٣.

تشريعاً وتنفيذاً وعقيدة. فلقد جعل الله- تعالى- السلام في قمة وذروة القدسية والإجلال، فالسلام من أسماء الله الحسنى، خالق هذا الكون العظيم، ومبدع نظامه الرائع الدقيق، يقول القرآن الكريم: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ...﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الحشر]. فجعل اللهُ السلامَ من أسمائه المقدسة، ليكون السلام معشوقَ الإنسان المؤمن، ومحبوبَه، وهدفَه في هذا الوجود، ومنشودَهُ، فمن أحب السلام فقد أحب الله، وأعداءُ السلام هم أعداء الله، ثم أتى سيدنا **محمد** ﷺ، فزاد أمرَ السلام توضيحاً وتبييناً، **فقال** ﷺ: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام»[1]، ثم أتى القرآن ليجعل السلام يدخل في صفة مهمة من أوصاف الجنة والنعيم، فيقول تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة يونس]. و لم يكتف الإسلام بذلك، بل أصدر القرآن أمره الإلهي للمؤمنين، قائلاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ...﴿٢٠٨﴾ ﴾ [سورة البقرة] هذه قدسية السلام في الإسلام، وأما السلام من جهة التشريعُ الإسلامي وقانونُه، فقد سجل القرآنُ الآياتِ الكثيرةَ لدعم بناء السلام العالمي وتشييده، عن طريق أداء الحقوق لأصحابها، وعدم العدوان على أي

(١) أخرجه مسلم، عن عائشة رضي الله عنها، في كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم ١٣٦٣.

مخلوق، وأمر أن يضيف المسلم إلى العدالة الصرحَ المقدس للإحسان، مع الإنسان والحيوان، وعلى جميع المستويات: الفرد والجماعة، وبين الأبيض والأسود، وكل أبناء الإنسانية، حتى مع الأعداء المحاربين إذا قبلوا السلام، ويجب أن لا تراعى في نصرة العدالة والحق أي عاطفة نحو حبيب أو قريب، ولو اضطر الإنسان أن ينصر الحق على نفسه، فجاء في القرآن الكريم.. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ ...﴿١٣٥﴾﴾ [سورة النساء] بالقسط؛ أي: بالعدل، وأما عن إقامة العدل مع الأعداء فيقول تعالى: ﴿.. وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ ...﴿٨﴾﴾ [سورة المائدة].

إن الإسلام لم يكتف بضمان السلام ضد الحروب، بل تجاوزه إلى السلام تجاه كل شيء يحرم الإنسان سعادته وهناءه، فضمن الإسلام للإنسان السلامة من الجهل، **فقال النبي الكريم** ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[1]، و**قال** ﷺ: «ليس منّي إلا عالم أو متعلّم»[2].. وضمن للإنسان السلام ضد الفقر والعَوَزِ، فجعل السلامَ

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث أنس رضي الله عنه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم ٢٢٤.

(٢) أخرجه الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما، باب اللام، برقم ٥٢٧٩.

من الفقر أحدَ أركان الإسلام الخمسة، وسماه بالزكاة، وأردفها إن لم تحقق غايتها بقول **النبي** الكريم ﷺ: «إن في المال لحقّاً سوى الزكاة»[1]. وإذا ما وجد في المجتمع إنسان واحد جائع، فالإسلام بريء من هذا المجتمع، ولو لم يكن ذلك الجائع مسلماً، فالإسلام يعَدّ أفراد المجتمع مسؤولين عن السلام الغذائي، إذ يقول **النبي** الكريم ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»[2].

وأما السلام بين أفراد المجتمع، فبعد أن سجل القرآن وجوب العدل والإحسان، وتحريم الظلم والعدوان، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ ...﴿٩٠﴾﴾ [سورة النحل].. يقول تعالى في سورة أخرى: ﴿... فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ ...﴿١﴾﴾ [سورة الأنفال].

وأما عن السلام بين المتحاربين، فيقول الله تعالى: ﴿۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الأنفال].

(١) أخرجه الترمذي، من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، في كتاب الزكاة، باب ما جاء إن في المال حقاً سوى الزكاة، برقم ٦٥٩. وهو ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، عن أنس رضي الله عنه، برقم ٧٥١، بسند حسن.

وأما السلام في مجال التنفيذ العملي، فقد كان النبي محمد ﷺ وأصحابه الكرام القدوة البارزة في إقامة السلام، والمثال الحي في تعميم الإحسان والمحبة والإخاء في المجتمع الإسلامي، واستطاع سيدنا محمد ﷺ وتلامذته بذلك في أقل من قرن، وبالوسائل البدائية، أن يوحدوا نصف العالم القديم، من حدود فرنسة إلى الصين، في ظلال العلم، والحضارة، والأُخوّة الإنسانية، والمساواة بين الشعوب، على اختلاف ألوانها، ورسالاتها السماوية، وقومياتها، واستطاعوا أن يرفعوا الحدود السياسية الجغرافية، وأن يطبقوا العدالة الاجتماعية، والقضائية، وغيرهما، ويعيدوا للإنسان عملياً حقوقه المغتصبة، ولا ينكر ذلك إلا غبي جاهل، أو متجاهل مكابر. ولذلك، نبغ في الإسلام عباقرة العلماء والقادة، على اختلاف أقطارهم وألوانهم، وعَمَّ الرخاءُ على الشعوب، وصارت المرأة تجتاز صحراء العراق المخيفة إلى مكة لا تخاف أحداً، وصار الإنسان بثقافة الإسلام كريماً، وعوناً لأخيه الإنسان، بل مؤْثِراً له على نفسه، وفي جميع شؤون الحياة، وكأمثلة ونماذج على ذلك أقول: لقد كان منادي الدولة الإسلامية ينادي: "هل من فقير فنغْنيه؟ هل من أعزب فنزوجه؟ هل من مدين لِنَفِي عنه ديونه؟ هل من أعمى ليس له قائد فنساعده؟".[1]

وكذلك نالت المرأة سلامها في ظل الإسلام، بأسمى ما تحلم به

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٢٠٠).

من كرامة وحقوق، كانت مهدورة مدة مديدة من الزمن، ومن الأمثلة الرائعة على مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي، أنه حين أجمع المسلمون وعلى رأسهم **عمر**، على تحديد مهر النكاح، عارضتهم في المسجد عجوز واحدة، فأذعنوا لرأيها، واستجابوا لصوتها بما فيهم عمر، و**قال** كلمته الرائعة: "أصابت امرأة وأخطأ عمر"[1].

وأما مكانة العمل في الإسلام، فيكفينا من ذلك **قوله** ﷺ: «من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له»[2]؛ وأما ضمان السلم للعامل، فقد دعا الإسلام إلى ضمان حقوق العمال، وفي ذلك **يقول النبي** ﷺ، في ما يرويه عن ربه عز وجل: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة» وذكر منها: ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه و لم يعطِ أجره[3].

وأما ما اختتم فيه النبي ﷺ حياته في تطبيقه العملي للسلم الاجتماعي، فقبل وفاته بأيام، صعد المنبر وهو في مرض وفاته، و**قال**: «وإني لأرجو أن

(١) أصل القول في السنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٢٣٣).

(٢) أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، برقم ٧٥٢٠. وقال العراقي في تخريجه الإحياء (٤٠٣/٣): وفيه ضعف. وأخرجه ابن عساكر برواية «من بات..». وكالاً: أي متعباً مجهداً.

(٣) أخرجه البخاري عن أبي هريرة في كتاب البيوع، باب إثم من باع حراً، برقم ٢١١٤.

ألقى الله ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم ولا مال»[1].

وأما **الهرمزان**.. قائد الفرس، فعند دخوله على **عمر**، رآه في المسجد نائماً على التراب، في ثيابه المرقعة، بلا حراس ولا جنود. واستيقظ عمر من لغط الناس، ليسمع الهرمزان يخاطبه **قائلاً**: "لقد عدلت، فأمنت، فنمت[2]،... ينبغي أن يكون نبياً". فقال الناس: "بل يعمل عمل الأنبياء"[3].

ولما ضرب ابن عمرو **بن العاص** فاتحِ مصر قبطياً، ظلماً وعدواناً، وشكاه القبطي إلى عمر بن الخطاب خليفة المسلمين استدعى عمر بن الخطاب عَمْراً وابنه إلى المدينة، وأمر القبطيَ النصرانيَ أن يَضْرِبَ ابن عمروٍ.. ابنَ فاتح مصر، فضربه القبطي، **فقال عمر** للقبطي: لو ضربت على رأس أبيه، لما منعك منا أحد؛ ثم التفت عمر إلى عمرو معنفاً، وموبخاً، وقائلاً له كلمته التاريخية: "متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"[4].

(١) أخرجه أحمد من حديث أنس ﷺ، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس، برقم ١٢٦١٣، ورجاله ثقات رجال الصحيح.

(٢) فيض القدير (٤/ ٣٧٨).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٧/١٠٠).

(٤) تاريخ عمر، لابن الجوزي، ص١٢٠.

قلّ في عصرنا من يجهل خطر السلاح النووي، والتسابق إلى تطوير أسلحته المدمرة للحياة والأحياء على كوكبنا الجميل، وإذا كان **السيد المسيح قال**: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان"(١)، فأنا والواقع وكل منصف **يقول** أيضاً: "ليس بالعلم وحده يحيا الإنسان"، فلا بد مع العلم من غرس مكارم الأخلاق في نفوس أبناء عصرنا، وعلى قواعدَ حيةٍ من الإيمان العقلاني والعقل الإيماني، وعلى ضوء الحوار العلمي الفكري، لنبني سلاماً عالمياً، وإخاءً عالمياً، وتحابُباً إنسانياً عالمياً، ونستطيع- بذلك- أن نجعل من كوكبنا فردوسَ الأرض، ريثما ننتقل إلى فردوس السماء، كما كلف الله بذلك نبينا محمداً ﷺ، إذ خاطبه قائلاً: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء].

لو سأَلْنا: كم هو رصيد ميزانيات سباق التسلح سنوياً في العالم؟ لكان الجواب الفوري المليارات من الدولارات، ومئات الألوف من الرجال المتفرغين لهذا السباق التسلحي. ولو سألنا: كم أُعد من الأموال والرجال والوسائل لأجل بناء السلام؟ فالجواب البدَهي كما أعتقد أنه لا تتساوى الميزانيتان، والفرق هائل بين الإعداد للحرب، والإعداد للسلام.

(١) سفر التثنية (٨: ٣).

إن جميع وسائل السلام في القرن العشرين- من عصبة وهيئة الأمم، إلى مجلس الأمن ‹الفيتوي› الديكتاتوري، إلى محكمة العدل والمعاهدات الدولية- لم تنجح في إطفاء الحروب الصغيرة، فضلاً على الكبيرة، فكيف بالحروب النووية؟!

إن المؤسسات الدولية بنيت على وسائلَ لا يمكن أن تحقق سلاماً صغيراً، فضلاً على السلام العالمي. ولو دُرِسَ السلامُ الإسلاميّ لتوصل كوكبنا إلى أكثر من سلامه وأمنه. إن بناء السلام المضمون المؤكد قد وضحه القرآن، بعد أن أرسى قواعد الأخُوَّة والمحبة العالمية.

وها هنا أعرض نموذجاً واحداً بسيطاً، حول فشل وسائل السلام الحاضرة المعاصرة في قضية تشغل العالم منذ زمن بعيد، ألا وهي قضية فلسطين، وأمثالها كثير.. ألم يُجرّد شعب من وطنه، وبقيادة، وتخطيط الولايات المتحدة وبريطانية ومن ورائهما الحلف الأطلسي ولمصلحة الصهيونية العالمية؟! وعلى سمع جميع المنظمات العالمية للسلام وبصرها!! وعلى الرغم من ذلك، لا يزال العدوان مستمراً. ولا تزداد قوى الظلم والاستعمار على الشعب الفلسطيني إلا اتساعاً وتفاقماً. وعلى الرغم من وجود هذه المنظمات العاجزة ماذا نشهد؟؟.. إننا نرى أن إسرائيلياً واحداً يُقْتَلُ، فنرى دنيا أمريكة تقوم ولا تقعد، ومعها جميع حلفائها، على حين نرى الشعب الفلسطيني بأكمله يُعمل على إبادته بعد إجلائه

عن أرضه، وتمضي أربعون سنة، لتثبت فشل جميع وسائل السلام الحالية المستعملة. نعم تفشل في أن تعيد لهذا الشعب المظلوم حقه المغتصب، أليس لأنها وسائل غير عملية؟ أليس واقعنا يصدق استنكار الشاعر العربي سلام الضعفاء هذا، إذ يقول عنه شاعرنا:

قتـــل امـــرئ في غابـــةٍ جريمـــــةٌ لا تغتفـــــر
وقتـــلُ شـــعبٍ آمـــنٍ مـــسألةٌ فيهـــا نظـــر

وإذ يقول آخر:

عوى الذئب فاستأنستُ للذئب إذ عوى وصَـــوّتَ إنـــسانٌ فكـــدت أطـــير

باختصار أقول: إن السلام يحتاج مع العلم والإيمان العقلاني والعقل الإيماني، إلى تربية النفس على مكارم الأخلاق، فيجب إطلاق جهد شعبي مؤسساتي تجتمع فيه جهود:

١- علماء ومفكرين، مخلصين للسلام والإنسانية.
٢- علماء دين عقلانيين، مجددين، تقدميين.
٣- رجال سياسة مخلصين.

يعمل كل منهم للسلام، ليضعوا الفكرة العملية العلمية العالمية

لمخطط بناء السلام. فكل عمل في هذه الحياة أوله فكرة، ونتيجته حقيقة واقعية عملية.

وكما قال الشاعر العربي:

وما الإنسان غير الفكـــر دومـــاً ولا عظمـــاً ولا لحمـــاً وجلـــدا
ففـــــردوس إذا فكـــــرت وردا ونـــــيران إذا فكـــــرت عـــــودا

وإضافة إلى تهييء جميع وسائل الإعلام، وما يلزم لتحقيق السلام العالمي، وبذلك ننتقل حينئذ من الأقوال إلى الأعمال، ومن الفكرة إلى الحقيقة الواقعية العملية.

المبحث الثاني

نحو عالم

تسوده روح الإخاء الإنساني والسلام[1]

(١) كلمة سماحته في حفل افتتاح ملتقى السلام العالمي لقادة الدين في العالم، المنعقد في قاعة الصداقة في الخرطوم في السودان، من ١٦ إلى ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩١.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- العالم الذي تسوده الأخوة الإنسانية والسلام يتحقق بإقامة السلام الحقيقي بين الإنسان وربه وشريعته.

٢- شرع الجهاد في الإسلام لتحقيق السلام ورفع الظلم والتسلط على الشعوب.

٣- لن يتحقق السلام مع إنسان أسير لشهواته، يضع أوامر السماء خلف ظهره وينسى الجياع والمرضى ويعامل الناس بقسوة.

٤- مسؤولية نشر السلام وإصلاح الإنسان تقع على عاتق جميع فاعليات المجتمع من علماء وساسة واقتصاديين وإعلاميين، ولا ينبغي لأحد أن يلقي المسؤولية على غيره، وينسى نفسه.

٥- لم تكن غاية رسالات السماء السلام فقط، بل إشاعة الرحمة على الجميع.

٦- مسؤولية علماء الدين تكمن في كونهم ربانيين، ويتحلون بالمحبة، ولا يسعون إلى الخصام، ولا يستغلون جهل الناس وطيبهم فيجبروهم على ترك عقائدهم بالإغراءات أو الإكراه.

٧- مسؤولية رجال الاقتصاد تكمن في عدم سَعْيهم إلى جني الثروات على حساب الضعفاء وإغراق الشعوب بالديون، والتفكير في الجياع والمحرومين.

٨- مسؤولية رجال السياسة تكمن في تجنب الاستبداد، والعمل على تقديم الحياة الكريمة والمعاملة الطيبة.

٩- مسؤولية رجال الإعلام تكمن في كونهم رعاة حقيقيين للسلام وفي وقوفهم مع الحق من دون تحيز أو محاباة.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المحاضرة

الأخ الفريق عمر أحمد البشير، رئيس جمهورية السودان..

أيها الإخوة:

نشكر العاملين على تحضير هذا الملتقى والقائمين عليه، والحضور الكريم من اليابان وإفريقية وأوربة وأمريكة وآسية وغيرها من بلدان العالم، وبعد:

كلنا ينشد عالماً تسوده روح السلام والأخوة الإنسانية، ولكننا لن نصل إليه ما لم نُقِمْ السلام الحقيقي بين الإنسان وربه وشريعته التي

ضمنت للإنسان مع أخيه الإنسان السعادة والإخاء والمحبة والوئام. ولئن شرع الجهاد في الإسلام، فلتحقيق السلام ورفع الظلم والاضطهاد وتسلط القوى الغاشمة على الشعوب المستضعفة.

وما دام الإنسان أسيراً لشهواته وأنانيته، وما دام لا يفتأ يضع أوامر السماء خلف ظهره، ولا يبالي بالجياع والمرضى، ولا ينشر العلم والعدل، ولا يتعامل مع الناس بالمحبة والرحمة فلن يتحقق السلام المنشود، وهذه مسؤولية كبرى تقع على عاتق الحكماء المخلصين من علماء الدين، وعلى عاتق أهل الحكم والسلطان، وعلى عاتق رجال العلم والفكر ورجال الإعلام، ولا يفيدنا أن نلقي المسؤولية على غيرنا، وننسى أنفسنا، فكلنا راعٍ ومسؤول عن رعيته، ولنعلم أن غاية رسالات السماء ليست السلام فقط، بل إشاعة الرحمة على الجميع، كما يقول الله- تعالى- عن مهمة سيدنا محمد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء] وكما يقول سيدنا **محمد** ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس»[1].

فعلى علماء الدين أن يكونوا ربانيين متخلقين بأخلاق الله، يتحلون حقاً بالمحبة والسلام، فلا يسعون إلى بذر الفرقة والخصام، ولا

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٢٢٣)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو حسن لطرقه.

يستغلون جهل الناس وطيبهم فيجبرونهم على ترك عقائدهم بالإكراه والحيل والإغراءات، ويجعلون منهم أعداء لوطنهم ومجتمعهم، فحقوق الإنسان محفوظة في الإسلام، وحرية المعتقد والدين مصونة فيه، والقاعدة في القرآن الكريم: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ...﴿٢٥٦﴾ ﴾ [سورة البقرة]، ويجب أن يكون رائد علماء الدين دائماً: **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي**.

وعلى رجال الاقتصاد والثروة والمال أن لا يسعَوا إلى جني الثروات على حساب الضعفاء والمساكين وإغراق الشعوب بالديون، فلا سلام ما دام الاستغلال قائماً، لا سلام ما دام الجشع مستحكماً، ولا سلام ما دمنا لا نفكر بالجياع والمحرومين، ولا سلام ما دام هناك ظالم ومظلوم، ونبي الإسلام محمد ﷺ ينفي كمال الإيمان عن كل من يملأ بطنه وينسى الجائعين حوله وهو لا يبالي بهم **فيقول** ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»[1].

وعلى رجال السياسة والحكم أن لا يستبدوا بالناس، بل يعاملونهم بالرأفة والإحسان والمحبة، ويقدمون لهم الحياة الكريمة، مصداقاً **لقول النبي محمد** ﷺ: «صنفان من أمتي إذا صلحا صلح

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، عن أنس ﷺ، برقم ٧٥١، بسند حسن.

الناس، وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء»[1]، ومصداقاً **لقول عمر بن الخطاب**، الخليفة الثاني بعد سيدنا محمد ﷺ: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"[2].

وعلى رجال الإعلام أن يكونوا الرعاة الحقيقيين للسلام والمحبة، فيقفوا مع الحق والحقيقة من دون تحيزٍ أو محاباةٍ، رائدهم **قول النبي محمد** ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[3]، **وقوله** ﷺ: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها»[4].

(١) أخرجه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما، باب الصاد، برقم ٣٧٨٤. وجاء في جامع بيان العلم (١/ ٣٣٠)- نقلاً عن التقريب (٢/ ١٦٢)- أن سنده ضعيف.

(٢) تاريخ عمر، لابن الجوزي، ص١٢٠.

(٣) أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم ١٣.

(٤) أخرجه الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب العلم، باب فضل الفقه على العبادة، برقم ٢٦٨٧. وأخرجه ابن حبان في الضعفاء (١/ ١٠٤).

المبحث الثالث

الطريق إلى السلام[1]

(١) محاضرة ألقاها سماحته في ملتقى السلام العالمي لممثلي قادة الدين في العالم، وشعاره "نحو عالم تسوده روح الإخاء والسلام"، المنعقد في الخرطوم في السودان، من ١٦ إلى ١٧/ ١١/ ١٩٩١.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- لم يخص الله سبحانه بحنانه وحبه شعباً دون شعب، فهو رب العالمين وليس رب العرب فقط أو رب العجم فقط.

٢- السلام مطلب إنساني دائم ولا سيما بعد الحربين العالميتين اللتين ذاق فيهما الإنسان الويلات ثم أُغرِق بالفلسفة الوجودية التي أقنعته أنه جاء من لا شيء وسيمضي إلى لا شيء.

٣- بعد الحرب الباردة قام سلام هش أسسته مراكز القوة لمصالحها لا للمبادئ والأخلاق.

٤- علماء الدين والسياسيون والإعلاميون في موقع يجب فيه اغتنام فرصة وقف الحروب الباردة من أجل العمل على تحقيق سلام

حقيقي عادل وشامل تقوم أُسسه على الأخوة الإنسانية والاشتراك في العبودية للرب الواحد، والإيمان بجميع الأنبياء.

٥- للسلام في الإسلام جانب ذاتي يتمثل في إصلاح الإنسان ما بينه وبين ربه، وجانب آخر يتمثل في احترام الإنسان لأخيه الإنسان.

٦- الإسلام مد يده ليصافح جميع أمم الأرض، ويظهر ذلك في التوجيه القرآني المتمثل في دعوة المسلم إلى الإيمان بجميع الأنبياء ورسالاتهم السماوية.

٧- السلام الذي أقامه الإسلام لم يكن نظريات بل طبق عملياً وتاريخياً. حيث لم تزل معابد النصارى واليهود في البلدان التي فتحها المسلمون.. بل زادت في عهد بعض الخلفاء.

٨- السيف الذي رفعه الإسلام لم يوجه إلى الشعوب لتغيير دينها، بل ضد الاستعمار والطواغيت، ولنشر العلم والمعرفة والرحمة والإخاء الإنساني.

٩- جيوش الفتح الإسلامي جَلَتْ عن أكثر البلاد الإسلامية وما زالت شعوب هذه البلاد المفتوحة مع إيمانها.. و لم ترتد إلى وثنيتها الأولى.

١٠- الرسالات السماوية جميعاً رسالات محبة وسلام. واختار الله لدينه اسم الإسلام لأنه مشتق من السلام والتسليم لأوامر الله.

١١- الإسلام مع تقديسه للسلام فإنه تجاوزه إلى المحبة والرحمة والتعاون لأن السلام قد يكون هدنة بين قلوب تمتلئ بالضغائن وأما الرحمة والتعاون فهما أشمل وأوسع.

١٢- علماء الدين مسؤوليتهم عظيمة في هذا العصر وسيسألهم الله عن تعاونهم وحوارهم العلمي العقلي الحر لنشر المحبة والإخاء والسلام في العالم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص المحاضرة

لعلكم تلاحظون أنني افتتحت كلمتي هذه بالكلمة التي افتتح بها الله ﷻ القرآن الكريم وهي قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [سورة الفاتحة]، فلم يخص الله سبحانه بحنانه وحبه شعباً دون شعب، ولا قوماً دون قوم؛ فلم يقل: رب العرب، ولا رب العجم، ولكن قال: ﴿رب العالمين﴾، وهذا يشمل سائر الأسرة الإنسانية، شرقيها وغربيها، مصداق **قول النبي محمد** ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس»[1].

ويقول النبي ﷺ : « الخلق كلهم عيال الله، فأحب الله إلى الله أنفعهم لعياله»[2].

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٢٢٣)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو حسن لطرقه.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، عن عبد الله بن مسعود، باب العين ، برقم [١٠٠٣٣].

لقد اجتمعنا هنا لنبحث في السلام، بعد أن صار السلام مطلباً إنسانياً ملحاً، فقد ابتلي العالم بحربين عالميتين، ذاق الإنسان فيهما الويلات، وأُريقت الدماء أنهاراً، وأُزهقت الأرواح بالملايين، وأفرز ذلك فلسفة وجودية ضائعة، تأمر بالمنكر، وتنهى عن المعروف، وتزين العبث واللامبالاة، وتقنع الإنسان أنه جاء من لا شيء، ويمضي إلى لا شيء، وإن هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع، ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الجاثية].

ثم عاشت الإنسانية قريباً من نصف قرن، في أجواء الحرب الباردة، والإنسان فيها فاقد لطمأنينته، يتقلب قدره فيها بين أهواء الجبارين المتربصين على كرة قائمة على برميل من البارود.

ثم يشاء الله أن تنتهي الحرب الباردة إلى حين، ويقوم في الأرض سلام هش مهزوز، يقوم على أساس مصالح مراكز القوة، أكثر مما يقوم على المبادئ والأخلاق.

وهنا يبرز دورنا في هذا التعاون- نحن علماء الدين والسياسيين والإعلاميين- في اغتنام فرصة وقف الحروب الباردة من أجل العمل على تحقيق بناء سلام دائم وعادل، يقوم على أساس الأخوة الإنسانية، والاشتراك في العبودية للرب الواحد، خالق الإنسان، ومبدع هذا الكون، مع وجوب الإيمان بأنبياء الله واحترامهم جميعاً، وهو الأمر

الذي نادى به القرآن، ودعا إليه في مواضع كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿ ... لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ...﴿٢٨٥﴾ ﴾ [سورة البقرة].

هذا وإن أول خطوة نخطوها في سبيل تحقيق السلام الحقيقي، هي أن نصلح ما بين الإنسان وربه، فقد شهدنا جميعاً ذلك السقوط المريع للإلحاد في العالم الشرقي، ولكن لم نشهد بعد قيام الإيمان الحق الذي يتعانق مع العلم والعقل، ويحترم الإنسان وحُرّيته، ويوجه سلوكه على أساس من هدي الله ونوره، لتحقيق سعادته الخالدة في الأرض وفي السماء، وهذا هو الجانب الذاتي من بناء السلام في الإسلام، وأما الجانب الآخر فهو يتلخص في احترام الإنسان لأخيه الإنسان، لمحض انتمائه إلى العائلة الإنسانية، لأنه من صنع الله وإبداعه، ولأنه مشترك معه في العبودية للرب الواحد، في ظلال نور العقل وحقائق العلم، وعلى هدي من ذلك، فقد دعا الإسلام الإنسان إلى الإيمان بكل رسالات السماء، وسائر الأنبياء، ولتوضيح ذلك أختار لكم هذا النص القرآني، لتـــروا معي كيف مد الإسلام يده ليصافح جميع أمم الأرض، في قوله تعالى مخاطباً جميع الناس: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [سورة البقرة]. خص الله في هذه الآية بعض الأنبياء ثم شمل الجميع، وطلب الإيمان بهم جميعاً،

فمسلم لا يؤمن بالمسيح ولا يقدسه ليس بمسلم، ومسلم لا يؤمن بنبوة موسى ورسالته السماوية ليس بمسلم. وهكذا الحال في احترام جميع أنبياء الله ورسله.

وذكر القرآن في كثير من المواضع أن رسالة النبي محمد ﷺ إنما جاءت مصدقة لجميع الرسالات السماوية السابقة، ومكملة لها، مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ...﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة المائدة].

إن هذا السلام الذي أقامه الإسلام بين أبناء الرسالات السماوية، ليس دعوة مسطورة في كتب التاريخ، بل شاهدها العالم في ربوع دولة الإسلام العالمية، التي كانت في العصور الوسطى تمتد من المحيط إلى المحيط، ولا تزال في عواصم العالم الإسلامي الكبرى منارات الكنائس والكُنس والبيع والمعابد، التي بنيت في أوقات مختلفة في تاريخ الإسلام، لا تزال تؤدي طقوسها، برعاية المجتمع الإسلامي ودولته، ولعل كثيراً منها بني قبل دخول الإسلام إلى تلك الأمصار، ولم يتعطل واحد منها خلال تاريخ الإسلام كله يوماً واحداً.. حتى إن عدد الكنائس والكُنس وصل- في عهد **المأمون**- إلى اثني عشر ألفاً.

وأما السيف الذي رفعته جيوش المسلمين خلال بعض فتوحهم،

لم يكن موجهاً قط ضد الشعوب لإكراهها على تغيير دينها إلى الإسلام، بل كان موجهاً لنشر العلم والمعرفة والرحمة والإخاء الإنساني وكان موجهاً ضد الاستعمار والطواغيت، الذين كانوا يُكرهون الناس على ما لا يريدون ولا يرغبون، فكان السيف يكسر قيود المستضعفين، ولا يكسر أيديهم، ويمسح الغشاوة القائمة على أعينهم، ولا يقلع أعينهم، حتى إذا صاروا أحراراً، تخيروا ما يريدون من عقيدة ودين، وكما يقول الله عز وجل: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ [سورة البقرة].

لقد ساد الحكم الإسلامي دول الشرق الأوسط زمناً مديداً. وعلى الرغم من ذلك، فإننا لا نزال- إلى اليوم- نرى المعابد المختلفة زاهرة زاهية، لا يمسها أثر إكراه، ولا يطالها عسف.

وعلى الرغم من أن جيوش الفتح الإسلامي قد جَلَتْ عن أكثر البلاد الإسلامية، فإن شعوب هذه البلاد المفتوحة لا تزال مع إيمانها، ولم ترتد إلى وثنيتها الأولى، بعد أن نعمت ببركة الإيمان.

الرسالات السماوية جميعاً رسالات محبة وسلام، وهل هناك أجمل من أن يختار الله لدينه اسم الإسلام، ذلك الاسم المشتق من السلام

والتسليم لأوامر الله، وفي الإسلام فإن تحية المؤمنين الأولى هي السلام، وزيادة في تقديس السلام في الإسلام، فإن الله سمى نفسه- سبحانه- السلام، والجنة دار السلام، ومكة دار السلام، وتحية أهل الجنة السلام.

ونادى الله جميع المؤمنين بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ...﴿٢٠٨﴾ ﴾ [سورة البقرة].

إن الإسلام مع كامل تقديسه للسلام، لم يتوقف عند حدود السلام، بل انطلق بالإنسان إلى مقام الرحمة والتآخي الإنساني والتعاون. ذلك أن السلام هدنة بين متحاربين، وربما يكون هدنة بين قلوب تمتلئ بالضغائن.

وأما الإسلام فإنه لا يرضى بالسلام وحده، بل إنه يطلب ما فوق ذلك، يطلب الرحمة والحنان والعطف على الإنسان مهما كانت عقيدته، وفي القرآن الكريم خاطب الله- سبحانه وتعالى- النبي محمداً ﷺ قائلاً: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [سورة الأنبياء].

إن تفصيل ذلك يطول، ولا يتسع له الوقت المخصص لهذه الكلمة، ولكن ألا ترون معي أن مسؤوليتنا- نحن علماء الدين- هي أعظم المسؤوليات في هذا العصر، وأن لنا موقفاً بين يدي الله، يسألنا فيه عن أمانتنا ورسالتنا، ووجوب تحقيق تعاوننا واتحادنا، في ظل حوار علمي عقلي حر؟.

إنني أتوجه من هذا المنبر العالمي العظيم، إلى جميع علماء الدين في العالم، أن يؤدوا رسالات أنبيائهم في نشر المحبة والإخاء والسلام في العالم، كما لو كان أنبياؤهم أنفسهم يتكلمون وينطقون.

وأتوجه أيضاً إلى العقيد جون **قرنق** ومجموعته، أن يستجيبوا لنداء السيد المسيح بالمحبة والسلام، ليكونوا مسيحيين حقيقيين بالقول والعمل، ويجلسوا للتفاوض مع إخوانهم من الوطنيين، مسلمين ومسيحيين وغيرهم، حرصاً على مصلحة الأمة.

ولو كان لنا أن نتكلم بالغيب، ونتحدث عن قيادة المسيح، فإنه بلا ريب سيعمل على إغلاق فوهات المدافع، ويعود بالناس إلى مائدة الحوار والمحبة..

مبارك هذا الاجتماع الكريم، وأسأل الله أن يلهمنا الرشد والصواب.

المبحث الرابع

القيمُ الخالدة[1]

(١) كلمة سماحته في مؤتمر المنبر العالمي، بعنوان "تغيير القيم من أجل البقاء الإنساني"، المنعقد في كيوتو في اليابان، من ١٧ إلى ٢٣ نيسان (أبريل) ١٩٩٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- ما زال البؤس والفقر يسود في العالم على الرغم من تقدم الإنسانية.

٢- ما زال الظلم والحروب الأهلية تنتشر في العالم على الرغم من وجود مؤسسات دولية كمجلس الأمن والمنظمات الدولية.

٣- كل ذلك يرجع إلى سياسة الكيل بمكيالين واستخدام الفيتو "الديكتاتوري" والعمل لمصالح الأقوياء لا لمصلحة السلام.

٤- إنسان القرن العشرين يواجه أخطاراً كثيرة كالأمراض الجنسية المستعصية والتقاتل لأسباب عنصرية والتلوث البيئي وتغير المناخ.. وأعظمها خطراً فقدان الرحمة من القلوب الذي نتج منه تفكك العائلة والطلاق والتباعد بين الناس.

٥- انحدار الإنسانية والأخطار التي تتعرض لها يعودان إلى سيطرة الأنانية، سواء أكانت فردية أم قومية أم دينية محرفة، وهي التي أضعفت روح الإنسان وصلته بالسماء وأعمته عن الحق وصار فعله يناقض قوله.. وصار متجبراً يحتقر الآخرين وينهبهم ويهجرهم من أوطانهم ويراهم كالحيوانات.

٦- لا بد من العمل لإنقاذ السفينة الإنسانية من الغرق بالعمل بقانون السماء والتحرر من الجهل والرذيلة.. والعمل لمصلحة الجميع بإخلاص.

٧- السلام يتحقق بالعودة إلى جوهر القيم في رسالات السماء التي اكتملت بتعاليم رسالة محمد ﷺ.

٨- القيم الآتية من السماء تتسم بالعقلانية والتزكية والحكمة والعلم وتهدف إلى محبة الإنسان لأخيه الإنسان وتحرره من عبادة الإنسان وتحرره من الجهل والخرافة والتعصب الديني والتعصب المذهبي وعبادة أهوائه وتنقله إلى عبادة الإله الواحد العادل القوي.

٩- الإسلام رعى حقوق الإنسان بدعوته الإنسان إلى نصرة الحق، وحثه على العدل ولو على نفسه، والاعتذار عن الخطأ ولو صدر عن الحاكم، ومساعدة الإنسان الفقير، ودفع الظلم عنه على الرغم من اختلاف لونه أو جنسه أو دينه.. واحترام رسالات السماء والنهي عن تحريفها عن أصولها.

١٠- على المنظمات الدولية رعاية هذه الحقوق وأن لا تكيل

بمكيالين ولا تكن كالقاضي الجائر الذي يجافي العدالة.. لأن الإنسان صار يخاف من أخيه الإنسان.. وصار القوي يعتدي على الضعيف على الرغم من غناه وقوته، وصار ينشر الرذائل عبر الأقمار الصناعية ليقضي على طهارة الإنسان.

١١- العالم صار قرية واحدة. وحبذا لو قام الحكماء- من الذين وهبوا أنفسهم للمثل العليا، ومعهم علماء الدين المخلصون- ببناء منهج علمي عقلاني يقدم الدين بجماله فترتاح العقول والنفوس له وتنتشر الرحمة في العالم أجمع.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المحاضرة

أيها الرؤساء، أصحاب الفضيلة، أيها العلماء، أيها السادة والسيدات:

أحيّيكم بتحية الإسلام- السلام عليكم جميعاً- وأُعرب لكم عن فرحتي بلقائكم في هذا المنبر العالمي في هذه المدينة الجميلة "كيوتو" مركز اليابان الثقافي والروحي والتاريخي وأقول:

على الرغم من تقدم الإنسانية الباهر في جميع المجالات التقنية (التكنولوجية) والعلمية والثقافية والفكرية والفنية فإننا نرى البؤس والشقاء في كل مكان، نرى الجوع والفقر وانعدام المأوى، حتى في أكثر البلدان تقدماً حيث يعيش الملايين من سكانها دون مستوى الفقر، ناهيك عن بلدان أخرى في إفريقية وآسية ونصف الكرة الجنوبي.

ونرى الظلم والاضطهاد و**الحروب الأهلية الإقليمية**، التي كثيراً ما يكون الدافع إليها صراع المصالح بين الكبار ويوظف لها **الصراعات الإثنية**، وتقف في وجهها **المنظماتُ الدولية- كمجلس الأمن والأمم المتحدة**- مكتوفة الأيدي، وهذا يجعلنا نسائل أنفسنا: هل هذه المنظمات تعمل بحق من أجل سلام العالم، أم لمصالح الأقوياء؟!

وكذلك نرى هذه المنظمات تصدر قرارات تنفذها من فورها في مكان ما، وتارة أخرى تصدر قرارات لا تنفذها أبداً كما يجري بحق الشعب الفلسطيني، فتبقى القرارات حبراً على ورق، فهي تكيل بمكيالين وتلجأ الدول العظمى إلى **الفيتو** (ديكتاتورية الدول العظمى) لتعطيل بعض القرارات التي لا تناسبها، وهنا يحق لنا أن نسأل: هل هذا الفيتو لمصلحة السلام؟ أم لمصلحة الأقوياء؟

إن إنسان القرن العشرين يواجه أخطر التحديات من خلال الأوبئة والأمراض الجنسية المستعصية، والتناحر والتقاتل لأسباب عنصرية، وغير ذلك من الأسباب، ناهيك عن إساءة استعمال كوكب الأرض حيث تلوثت سماؤه ومياهه وتربته وتصحرت أراضيه، وارتفعت حرارته وانخرقت طبقة الأوزون المحيطة به، بسبب ما ينفث من غازات تضر بالبيئة والإنسان.

ومع جميع هذا فإن أكبر خطر يواجه هذا الإنسان، هو فقدان

المحبة والرحمة من قلوب معظم الناس، فالعاطفة العائلية تكاد تنقرض كواجب ومسؤولية، وحوادث الطلاق تزداد، والأولادُ يهجرون بيوت آبائهم، والإخوةُ يتنكرون بعضهم لبعض، والمسكراتُ والمخدرات تفتك بعقول الأفراد والجماعات، والتباعد والتباغض يزداد بين الناس.

ولو سألنا أنفسنا: لم انحدرت الإنسانية- اليوم- إلى هذه الهوة الضيقة السحيقة التي تكاد أن تبتلعها وتمحوها من الوجود؟! نقول في الجواب إنها الأنانية الفردية أو الأنانية القومية أو الدينية المحرفة، التي سيطرت على الإنسان فضعفت روحه الإنسانية، وضعفت صلته بالقوانين الإلهية الحكيمة، وسيطرت الأهواء والأنانيات على العقول، فصارت عاجزة في وجهها، فتراها تتعامى عن الحق، أو تراه ولا تتبعه، وصار الإنسان يقول بلسانه ما يدعو إليه الحكماء والأنبياء، ولعل فعله يناقض قوله، ومن القوى المسيطرة في العالم من يرى أنه فوق البشر وأن الآخرين حيواناتٌ يجوز استغلالها والسيطرة عليها ونهبها وهتكُ أعراضها وتهجيرها عن أوطانها بل تدميرها نهائياً.

لقد شاعت القيم التي يسيطر عليها الاحتكار والتعدي والإرهاب **ومافيات** السلاح والجنس والمخدرات، وهنا نسأل: هل هذا هو النظام العالمي الجديد ذو العدالة الشاملة التي تطمح إليه الإنسانية كافة؟

ولكي لا تغرق سفينة الإنسانية، وحتى يتم إنقاذ العائلة الإنسانية

لا بد من العمل بقانون السماء الذي لا يتحيز لأحد، سواء كان نبياً أو قوياً، بل للحق حيثما كان ، لا بد من التحرر من الجهل ورذائل الأخلاق، لا بد من العمل بكل إخلاص وتضحية ولمصلحة الجميع.

فلا سلام ما دام ثمة ظالم ومظلوم، ومتخم وجائع. لا بد من العودة إلى جوهر القيم في رسالات السماء التي اكتملت بتعاليم سيدنا **محمد** ﷺ رسول الإسلام الذي **يقول**: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسَنه وأجمله، إلا موضع لبنةٍ من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويَعجَبون له، ويقولون: هلاّ وُضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتِم النبيين»[1].

إنها القيم التي تأخذ بالعقلانية والعلم والحكمة وتزكية النفس، التي تجعل الإنسان يحب لأخيه الإنسان ما يحب لنفسه، كما يقول محمدﷺ والأنبياء قبله جميعاً، تلك القيم التي تحرر الإنسان من عبادة الإنسان، وتحرره من الجهل والخرافات، ومن التعصب الديني والتعصب المذهبي، تحرره من أهوائه وعبادة جسده إلى عبادة الإله الخالق العادل الذي لا تميز عدالته بين أبيض وأسود وبين قوي وضعيف وغني وفقير فالجميع عنده سواسية.

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، برقم ٣٥٣٥.

وهذا هو **محمد** ﷺ- رسول الإسلام- **يقول** في رعايته لحقوق الإنسان: «إن لصاحب الحق مقالة»[1]، وها هو ذا قرآن المسلمين يقول: ﴿ ... كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ ...﴿١٣٥﴾ ﴾ [سورة النساء]، وكما يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ ...﴿٩٠﴾ ﴾ [سورة النحل].

وها هو ذا **محمد** ﷺ- واضع اللبنة الأخيرة في بناء الرسالات السماوية- **يقول**: «كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟»[2]. فتراه يدعو إلى مكارم الأخلاق ويطبقها على نفسه أولاً، ويعتذر للناس إن أخطأ في حقهم، ويعطي المساعدات المالية لجميع الفقراء، سواء كانوا على دينه أو على غير دينه، أو كانوا لا يدينون بأي دين، ومنع أن يُظلم إنسان بسبب لونه أو جنسه أو دينه، ونادى باحترام جميع رسالات السماء، وأمر أتباعه أن لا ينحرفوا عن أصولها، جميع ذلك ليوجد الأسرة الإنسانية السعيدة التي لا تفاضل فيها إلا بأداء الواجبات ورعاية الحقوق واجتناب المنكرات.

---

(١) وهي من قصة إسلام اليهودي زيد بن سعنة ﷺ، أخرجها الطبراني في الكبير، باب الزاي، زيد بن سعنة توفي في غزوة تبوك، برقم ٥١٤٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه، من حديث جابر ﷺ، في كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف، برقم ٤٠١٠. ويقدس الله: أي يطهرهم من الدنس والآثام؛ وإسناده حسن.

فهلا قامت المنظمات الدولية برعاية هذه الحقوق والقيم على أتم وجه؟! لكي لا تكون كالقاضي الجائر الذي تروي الحكايات عنه أنه عندما جاءه قوم وقد عاث ثوره فساداً في مزروعاتهم، فقالوا له: "يا سيادة القاضي: قد هجم ثورنا على مزروعاتك فأفسدها، وعلى شجيراتك فحطمها، وعلى دجاجاتك فقتلها!". فما كان منه إلا أن استشاط غضباً، وأمر- من فوره- بدفع الأضرار المادية. ولما قالوا له: "يا سيادة القاضي، لقد أخطأنا، إنه ثورك هو الذي أفسد مزروعاتنا وغلاتنا وقتل حيواناتنا ". هنا صمت القاضي قليلاً ثم قال: " هلم إلي بكتب القانون والنظام الدولي كي ندرس الملابسات والأسباب، ونسأل المحامين والمختصين، فلعلنا نجد تفسيراً **ديمقراطياً** لما فعله ثورنا".

وأنا أسأل لماذا ترضى هذه المنظمات أن تكون مثل هذا القاضي الذي يكيل بمكيالين؟ أبهذا يكون السلام والعدالة؟!

صار الإنسان يخاف من أخيه الإنسان، وصار يأنس بحيوان الغاب الذي لا يتعدى على أحد إلا إذا أصابه الجوع، وأما إنسان- اليوم- فيتعدى على أخيه الإنسان، على الرغم من أنه متخم من كثرة الأكل، وهو يحمل الأمراض لإفراطه في الرذائل التي بات ناشراً لها في كل مكان عبر الأقمار الصناعية، حيث تُعرض المفاسد وكأنه يريد أن يقضي على آخر ما تبقى من الفضائل والطهر والقداسة التي يتمتع بها الإنسان،

يقول الشاعر:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصـــوّت إنـــسان فكـــدت أطـــير

كلنا يعلم- اليوم- أن عالمنا صار قرية عالمية، أو سفينة تجوب الكون، فلكي لا تتحطم هذه السفينة على صخور الأنانية والرذائل والظلم والطغيان والإرهاب والخرافة والأوهام، حبذا لو قام الحكماء والرجال الذين أحبوا الحق والعدالة ووهبوا أنفسهم لنصرة المثل العليا والقيم وخدموها بكل جهد وجد، وحبذا لو قام معهم المتحررون المخلصون من علماء الدين لبناء منهاج علمي عقلاني يقدم الدين بجماله وحقيقته، فترتاح العقول والنفوس في ريادته.

يقول النبي محمد ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس»[1].

وبالمجمل أقول: إن القرآن الكريم يمثل جميع رسالات الأنبياء، مصداقاً لما وصف الله- تعالى- رسالة نبيه محمد ﷺ إذ يقول في القرآن الكريم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء].

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٢٢٣)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو حسن لطرقه.

المبحث الخامس

التربية البيئية في الإسلام[1]

(١) ورقة عمل إسلامية قدمها سماحته، وناقشها المنتدى العالمي للبيئة والتطور من أجل البقاء الإنساني، المنعقد في موسكو في الاتحاد السوفييتي، من ١٥ إلى ١٩ كانون الثاني (ديسمبر) ١٩٩٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- الإنسان هو أهم عناصر البيئة. ولذلك، اختاره الله ليكون خليفةً في الأرض، وجعله مسؤولاً عن تعميرها.

٢- هناك جوانب للخير والشر لدى الإنسان فإذا تغلبت جوانب الشر عليه فيخرج عن نهج الله في التعامل مع البيئة. ولذا، لا بد من الالتزام بشرع الله ليعيده إلى الطريق الصحيحة.

٣- بدأ الإسلام بتعريف الإنسان بحقيقته المتمثلة في عبوديته لله وطاعته لأوامره واجتنابه لنواهيه مع توظيف أسلوب الترغيب والترهيب لضبط السلوك، مع وضع عقوبات على المسيء للبيئة.. وهذا ركن لحماية البيئة في الإسلام.

٤- وجوب طلب العلم عامة لأنه مدخل للتربية البيئية، وحث على كشف قوانين البيئة ومعرفة حقائق الكون ليتكيف مع بيئته ويحميها من الأذى.

٥- طالب الإسلام الإنسان بتحقيق التوازن بين متطلباته الروحية والمادية من أجل حماية الإنسان من الخروج عن القوانين الحاكمة لبيئته النفسية.

٦- دعا الإسلام إلى الحرص على الحفاظ على توازن البيئة الاجتماعية.. من خلال:

أ- تحميل الإنسان المسؤولية عن حماية البيئة مهما كان موقعه لأن تدهور النظام البيئي يهد الإنسانية جمعاء مثل السفينة التي يتحمل كل شخص فيها مسؤولية حمايتها من أخطاء الآخرين.. وبهذا يتحقق مبدأ الرقابة.

ب-حدد الإسلام العلاقة الناظمة للأفراد مع الأهل ومع أفراد المجتمع ومع الإنسان عامة على مبدأ الاحترام والإحسان والتعاون، وذلك من منظور إنساني بصرف النظر عن اللون والجنس والدين.

ج- وضع الإسلام مبادئ أخلاقية تحمي البيئة بشقيها المادي والاجتماعي من تدهور الأخلاق وانحطاط القيم وانتشار الرذائل.

د- حث الإسلام على حماية البيئة الصحية ليعيش المجتمع بسلام، فحذر من الأذى المادي والأذى المعنوي ونهى عن تلويث الماء وحرم ما يؤذي صحة الفرد العقلية والجسمية والنفسية ودعا إلى الاهتمام بنظافة الجسد.

٧- حث الإسلام على حماية بقية الكائنات الحية غير الإنسان لأن في ذلك حماية لمكونات رئيسة في البيئة مثل الحيوان والنبات.

٨- العمل على حماية البيئة الإنسانية من الفقر، وتطوير الحياة الاقتصادية.. من خلال:

أ- أكد أهمية العمل والكسب الحلال واحترام أخلاقيات العمل من أمانة وإتقان ووفاء بالعهود.

ب- الحث على استثمار الأراضي والقضاء على مشكلة التصحر وجعل الاهتمام بالزراعة والعمل عامة، من الواجبات الإسلامية على المجتمع.

ج- العمل على التنمية الاقتصادية وفق قاعدة الحلال وممارسة النشاطات النافعة للبيئة والإنسان، وتجنب الحرام والنشاطات المؤذية لهما على قاعدة: "لا ضرر ولا ضرار"[1].

د- سد منافذ الفقر بفرض الزكاة والميراث والكفارات والأوقاف ومحاربة الفقر والجوع ونفي الإيمان عمن بات شبعاناً وجاره جائع وهو يعلم.

ه- التقريب بين الطبقات بتحريم مظاهر الترف والحث على التعاون والقرض الحسن وذم البخل والاحتكار والغش.

و- منع وسائل الهدر للموارد حتى أثناء الوضوء للصلاة بتحريم التبذير والإسراف.

٩- الإسلام سبق القانون الدولي في بناء قاعدة بيئية تعترف بحقوق الأجيال الحالية والقادمة، عن طريق التربية التي تجعل المسلم يقدر البيئة ويحميها من التدهور.

(١) أخرجه ابن ماجه، عن عبادة ﷺ، في كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، برقم ٢٣٤٠؛ وهو صحيح.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص المحاضرة

تشكل بيئة الأرض وحدة متماسكة، أحد عناصرها هو الإنسان، والإنسانُ سيد أحياء بيئة الأرض، خلقه الله في أحسن تقويم، وأودع فيه قدرات عقلية وجسدية، وقابلية التكيف المستمر في سبيل تحقيق سعادته في الدنيا ونجاته في الآخرة، وبذلك استحق أن يكون خليفةً في الأرض، فأوكل إليه مهمة تعمير بيئة الأرض، وإدارة عملية التغيير، وبالمقابل جعله مسؤولاً من خلال تلك القدرات، ولكن إرادة الله شاءت أن تتضمن النفس الإنسانية جوانب الخير والشر. فعلى الرغم من قوة العقل وإرادة الخير، فالإنسان كائن ضعيف تغلبه شهوات النفس ورغباتها؛ فتعميه عن الحقيقة، وقد تؤدي به إلى الخروج عن النهج الذي أراده الله، ويحقق فيه الانسجام مع قوانين البيئة التي خلقها الله، فيسيء بجهله

وشهواته إلى بيئته، ومن ثم إلى نفسه، يقول تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ... ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة المؤمنون]، من أجل هذا كان لا بد من قانون إلهي يرسم للإنسان السبيل الذي يبقيه دائماً بانسجام مع الطبيعة وقوانينها الإلهية.

١- لقد بدأ الإسلام بتعريف الإنسان بحقيقته، حتى لا يطغى ولا يسيء إلى نفسه ولا إلى من يحيط به، فطالبه الله بتحقيق مبدأ العبودية فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الذاريات]، فالعبودية تعني الطاعة، والطاعة تعني الالتزام بأمر الله والبعد عما نهى عنه: يقول الله- تعالى- في القرآن: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الشمس]. وكذلك طالب الإسلام بالصلة الراسخة بالله في السر والعلانية، ووظَّف أسلوب الترغيب والترهيب لضبط السلوك من أجل الوصول إلى الإيمان؛ لأن الإيمان يعني سلوكاً إنسانياً سوياً إيجابياً، فعلى حين شجع الإسلام جميع ما هو مفيد للبيئة الإنسانية والطبيعية، وضع عقوبات على المسيء للبيئة بكل جوانبها، وبهذا ضبطٌ دائمٌ لسلوك الإنسان نحو الخير والعطاء والتضحية، والبعد عن الإثم والشر، ومن ثم يشكل هذا ركناً من أركان حماية البيئة في الإسلام.

٢- والعلم هو المدخل الصحيح للتربية عامة، والتربية البيئية خاصة. ولذلك، نرى الإسلام قد طالب الإنسان بطلب العلم، من أجل

كشف قوانين بيئته الصحيحة، والبيئة الكونية، وجعل ثمرة ذلك، التقرب إلى الله سبحانه، يقول تعالى: ﴿ ... إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ...﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة فاطر]، وجعل طلب العلم فريضة لا بد منها، وأمر الإسلامُ بالعلم من دون اعتبار لحدود المكان أو الجنس، وجعل الإسلام العلم يشمل جميع فئات الأعمار، ويبدأ منذ الولادة وحتى الوفاة. **يقول النبي محمد** ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»(١).

وقد وجه الإسلام الإنسان نحو العلم النافع، الذي تعود ثماره عليه وعلى بيئته بالخير، ولا بد لفاعلية العلم من إعمال العقل وتدبر المعارف، فطالب الإسلام الإنسان بأن يُعمل عقله مفكراً متدبراً متأملاً في نفسه وفي ما يحيط به. ولذلك، كثرت الآيات في القرآن التي انتهت بقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٢)، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾(٣).

ومن ذلك التوجيه، قوله تعالى: ﴿ ... إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة الإسراء]، جميع ذلك من أجل كشف القوانين التي تتحكم في البيئة الطبيعية وقوانين النفس الإنسانية، كي لا

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث أنس ﷺ، في كتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم ٢٢٤.

(٢) ذُكر قوله تعالى: ﴿أفلا تعقلون﴾ في مواضع كثيرة، منها: الآيتان ٤٤ و٧٦ من سورة البقرة، والآية ٦٥ من سورة آل عمران.

(٣) ذُكرت في سورة النساء [الآية: ٨٢]، وسورة محمد [الآية: ٢٤].

تقف الأوهام والخرافات عائقاً في وجه معرفة الإنسان لحقائق الكون وقوانينه، فيفهم بيئته بكل جوانبها، ويتكيف منسجماً مع نظامها، وهذا يؤدي إلى حمايتها من الأذى.

٣- ولما كان الإسلام يقوم على الواقعين المادي والروحي للإنسان في آن واحد، فقد طالبه بتحقيق التوازن بين مكونات نفسه جسماً وعقلاً وروحاً، وأن يعيش لها جميعاً من دون تجاوز أو طغيان، وذلك من أجل حماية الإنسان من التطرف والخروج عن القوانين التي تحكم بيئته النفسية، فعندما أراد بعض الصحابة ﷺ الإكثار من الطاعة من دون توازن، رفض الإسلام ما دعوا إليه، وحدد مبدأ التوازن بين مكونات النفس الإنسانية، وبيّن لهم النبي محمد ﷺ أنه يصوم ويفطر، ويقوم الليل وينام، ويتزوج النساء فمن رغب عن سنته فليس منه[١].

٤- وفي مجال الحفاظ على توازن البيئة الاجتماعية، فقد حمَّل الإسلام الإنسان المسؤولية أيّاً كان موقعه ومكانته الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والسياسية، **قال رسول الله** ﷺ: «ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته»[٢].

(١) والحديث أخرجه البخاري عن أنس ﷺ، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، برقم ٤٧٧٦.

(٢) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، برقم ١٨٢٩.

ونَظَّمَ الإسلامُ العلاقة بين الفرد والجماعة، فالفرد لا يمكن أن يكون بمعزل عن الآخرين، إنما هو جزء من كل، إنه مسؤول عن نفسه ومجتمعه الإنساني، ثم إن من مقتضى المسؤولية التنبيه، وإيقاف أي إساءة من الآخرين إلى البيئة الإنسانية؛ لأن تدهور النظام البيئي يهدد الإنسانية جمعاء؛ سواء الذين أسهموا في أذيّة البيئة، أو الذين لم يسهموا، **يقول رسول الله** ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء، مرّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، و لم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»[1]، وبهذا يتحقق مبدأ الرقابة التي تسعى إليها التربية البيئية العالمية.

وكذلك حدّد الإسلام العلاقة الناظمة للأفراد (علاقةَ الإنسان مع والديه، وزوجته، ومع أولاده، وجيرانه وأفراد حيه، ومع بني جنسه)، وأقام مبدأ الاحترام والعطف والإحسان مع من يتعامل معهم، وَطوَّرَ العلاقة الإيجابية للفرد من مجتمعه إلى المجتمع الإنساني ككل، يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ... ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الحجرات]، وقال أيضاً:

(١) أخرجه البخاري عن النعمان بن بشير ﷺ، في كتاب الشرِكة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه؟، برقم ٢٣٦١.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [سورة الأنبياء]. ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [سورة الحجرات]، **وقال الرسول** ﷺ: «مثل المؤمنين- في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم- مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»(١).

وقد احترم الإسلام الإنسان لإنسانيته من دون النظر إلى عقيدته، وإن العقيدة مردّها إلى الله، يقول تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ... ٢٥٦ ﴾ [سورة البقرة]. وحَفِظَ للإنسان مقومات إنسانيته وهي: دمه، وماله، وعرضه، وحرم الاعتداء عليها، قال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»(٢). وهناك الكثير من المبادئ والأسس في الإسلام التي تحمي البيئة الإنسانية، وتمنع- من ثم- أخطر تدهور للبيئة وأقساها، ألا وهو: تدهور الأخلاق، وانحطاط القيم، وانتشار الرذائل، ولهذا فقد أمر بالعدل والحرية والمساواة والصدق والأمانة، وحارب الظلم وكل أشكال الاستغلال والنفاق والغش

(١) أخرجه مسلم عن النعمان بن بشير ﷺ، في كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم ٢٥٨٦.

(٢) أخرجه مسلم، من حديث أبي هريرة ﷺ، في كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، برقم ٦٧٠٦.

والكذب والفساد، وهذا ما تعانيه البيئة الإنسانية الحالية على مستوى الأفراد والشعوب، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [سورة البقرة]. وبمعنى آخر، فقد أحيا الإسلام الضميرَ في وجدان كل مؤمن، وبذلك تتحقق الحياة الكريمة للإنسان، والحفاظ على بيئته.

وفي مجال حماية البيئة من الناحيتين الاجتماعية والصحية أيضاً، نظافةُ الطريق وحماية الناس من أي أذى معنوي أو جسدي، **يقول النبي محمد** ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[1]، أي: عن طريق الحياة والناس.

وكذلك منع الإسلام تلويث الماء الراكد أو الجاري حتى من الأفراد، فقد نهى النبي ﷺ أن يُبال في الماء الراكد[2]، ونهى ﷺ أيضاً أن يبال في الماء الجاري[3]، وقال ﷺ: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في

(١) أخرجه مسلم، عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب الإيمان، باب شُعب الإيمان، برقم ١٦٢.

(٢) أخرجه مسلم، من حديث جابر ﷺ، في كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، برقم ٦٨١.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط، من حديث جابر ﷺ، برقم ١٧٤٩. وضعفه السيوطي في الجامع الصغير (٢/ ٣٧٦).

الموارد وقارعة الطريق وفي الظل»[1].

ومن هذه الشواهد يتضح أن تلويث البيئة والطبيعة أمر خطِر في نظر الإسلام، ولو كان على مستوى فردي محدود، وكذلك أمر الإسلام بالحفاظ على الصحة العامة، وحَرَّمَ جميع ما يؤذي صحة الفرد؛ العقلية والجسمية والنفسية، فحرّم الخمر والمخدرات، وكُلّ الخبائث، ودعا إلى أكل الطيبات من الرزق، والاهتمام بالنظافة الجسدية، والعنصر الجمالي، يقول تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ...﴿٣١﴾﴾ [سورة الأعراف].

٥- طور الإسلام علاقة الاحترام والعطف، حتى مع بقية الكائنات الحية سوى الإنسان، وفي ذلك حماية لمكونات رئيسة في البيئة، وحفاظاً على النظام البيئي من التدهور، فعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه ﷺ **قال**: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته؛ فرأينا حُمَّرة معها فَرْخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمَّرة فجعلت تَفْرُش. فلما جاء رسول الله ﷺ قال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»[2]، وسأله ﷺ مرة صحابتُه: «يا رسول الله: وإن لنا في

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، عن معاذ ﷺ، برقم ٢٤٧.

(٢) أخرجه أبو داود، في كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار، برقم ٢٦٧٧. والحُمَّرة: طائر صغير كالعصفور، وتفرش: ترفرف بأجنحتها؛ وهو صحيح.

البهائم أجراً؟ قال ﷺ: في كل كبد رطبة أجر»[1]. وجاء في **وصية أبي بكر الصديق لأسامة بن زيد،** عندما وجهه إلى الشام: "ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة"[2]. وهذا عمر **بن الخطاب يقول** وهو في المدينة المنورة: "لو هلك حمل من ولد الضأن ضياعاً بشاطئ الفرات، خشيت أن يسألني الله عنه"[3]. إن هذا الإدراك- في حقيقة الأمر- تعبير عن حس إنساني سليم، وفهمٍ كامل لروح الإسلام في احترام مكونات البيئة، وسبقٌ في إعطاء المعلومات عن التربية البيئية، في وقت لم تكن البيئة تعاني ضغوطاً عليها كما في هذه الأيام، و لم يكن هناك- بعدُ- أيّ ذكر لمعلومات تتعلق بالبيئة.

٦- وأما في مجال حماية البيئة الإنسانية من الفقر وتطوير الحياة الاقتصادية:

آ- فقد أكد الإسلام أهمية العمل واحترام الأيدي العاملة، ودعا إلى الكسب الحلال، وجعل على حسب عمل المؤمن واتساع دائرة نشاطه نفعَه وجزاءه، يقول تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ

(١) أخرجه البخاري، من حديث أبي هريرة ﷺ، كتاب المساقاة، باب فضل من سقى، برقم ٢٢٣٤.

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٢٦٦).

(٣) الطبقات الكبرى (٣ / ٣٠٥).

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [سورة النحل]. وطالب الإسلام العامل بالأمانة، **فقال** ﷺ: «من غش فليس مني»[1]. وطالبه بالإتقان، **فقال** ﷺ: «ولكن الله- تعالى- يحب من العامل إذا عمل أن يحسن»[2]، **وقال** ﷺ: «من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له»[3]. وكذلك أمره بالوفاء بالعقود والمعاهدات، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ ... ﴿١﴾ ﴾ [سورة المائدة].

ب- وفي مجال التنمية الاقتصادية فإن النشاطات الإنسانية في مجالات الإنتاج والتنمية والتوزيع تحكمها قاعدة الحلال والحرام. فمن الحلال ممارسة النشاطات النافعة للبيئة الطبيعية والإنسانية، ومن الحرام النشاطات التي تؤذي البيئة الطبيعية أو الإنسانية. ومن هنا، فقد نظر الإسلام إلى الإنتاج النافع على أنه واجب، ولا يكتمل هذا الواجب الديني إلا به. وبهذا فإن الإسلام ينظر إلى الصناعات ضمن منظور مقدار ضررها على البيئة وحماية المجتمع الإنساني، ويمنع الجشع المرجو

(١) أخرجه مسلم، من حديث أبي هريرة ﷺ، في كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: من غشنا فليس منا، برقم ٢٩٥.

(٢) أخرجه البيهقي في شعبه، من حديث كليب بن شهاب الجرمي ﷺ، الخامس والثلاثون من شعب الإيمان وهو باب في الأمانات وما يجب من أدائها إلى أهلها، برقم ٥٣١٥؛ وفي روايته عن عائشة: أن يتقنه؛ وهو حسن.

(٣) أخرجه الطبراني، عن ابن عباس رضي الله عنهما، برقم ٧٥٢٠.

من وراء التطور الصناعي، وما ينتج منه من تخريب الوسط الغازي والصلب والمائي، كما حدث اليوم، فالحديث النبوي الشريف يضع الناظم لدرجة التطور الصناعي وعلاقته مع حماية البيئة بكل جوانبها، **فيقول الرسول الكريم** ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»(١).

ج- وضع الإسلام حداً قاطعاً للتدهور البيئي الناتج من الفقر، وهو ما يعانيه ملايين الناس في العالم، وسد منافذ الفقر، فما آمن بالله ساعة من نهار من أمسى شبعان وهو يعلم أن ثمة إنساناً جائعاً في مجتمعه، مثلما **قال رسول الله** ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»(٢).

ونظر الإسلام إلى الفقر على أنه خطر على العقيدة، وخطر على الأخلاق، وخطر على الأسرة، وعلى المجتمع. فوضع معالجةً للفقر من خلال: فريضة الزكاة، ونظام الميراث، والإنفاق بأموال الكفارات والأوقاف وغيرها.

د- وفي مجال التنمية الاقتصادية ومكافحة الفقر، عمل الإسلام على التقريب بين الطبقات؛ بتحريم الكتر ومظاهر الترف، وحث على

(١) أخرجه ابن ماجه، عن عبادة ﷺ، في كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، برقم ٢٣٤٠؛ وهو صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، عن أنس ﷺ، برقم ٧٥١، بسند حسن.

التعاون والقرض الحسن ابتغاء مرضاة الله، يقول تعالى: ﴿ ... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ... ﴿٢﴾ ﴾ [سورة المائدة]. وذم الإسلام البخل والرياء والمن والأذى، وحارب الغش والاحتكار.

هـ- الإسراف والتبذير في الموارد يزيد في تضخم مشكلة تدهور البيئة. ولذلك، وضع الإسلام قواعد تمنع أي هدر في أي مورد، يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة الفرقان]. ويقول تعالى: ﴿ ... وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [سورة الأنعام]، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ ... ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة الإسراء]. **وقال النبي** ﷺ لسعدٍ وهو يتوضأ: «ما هذا الإسراف؟، فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال ﷺ: نعم، وإن كنت على نهر جار»[1]، و«جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الوضوء، فأراه ﷺ ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم»[2]. فإن كان في الوضوء سرف وهو مدخل للعبادة، فكيف بالإسراف والتبذير الذي يتعدى حدود الحلال، ويُنَفَّذ على نحو واسع عند كثير من الأمم على مستوى الأفراد والجماعات والدول؟!.

(١) أخرجه ابن ماجه، عن ابن عمرو رضي الله عنهما، في كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في القصر وكراهية التعدي فيه، برقم ٤٢٥. وإسناده ضعيف. والسرف: أي التجاوز عن الحد.

(٢) أخرجه النسائي، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم، في كتاب الطهارة، باب الاعتداء في الوضوء، برقم ١٤٠؛ وهو حسن.

و- ومن جهة أخرى فقد وضع الإسلام قواعد إيجابية في استثمار الأراضي والانتفاع بها، وبذلك يقضي الإسلام على مشكلة كبيرة تعانيها شعوب كثيرة، ألا وهي مشكلة التصحر؛ نتيجة إهمال الأراضي الزراعية. **قال رسول الله** ﷺ: «من كانت له أرض فليزرعها، أو ليمنحها أخاه، فإن أبى فليمسك أرضه»(١). فالمسلم مطالب بأن يزرع أرضه بنفسه، أو يتيح لغيره زراعتها من دون مقابل، أو يعطي أرضه لمن يزرعها ويتحمل جانباً من نفقات الإنتاج مقابل شطر من الناتج، وهي المزارعة، **قال رسول الله** ﷺ: «من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها»(٢).

والزراعة من الموارد الرئيسة التي تحمي بيئة الأرض، وقد أولاها الإسلام عناية متميزة، وجعل الاهتمام بها عبادة، **فقال رسول الله** ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة»(٣)، **وقال** ﷺ: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل»(٤)، فهل

(١) أخرجه البخاري، عن جابر رضي الله عنه، في كتاب الهبة وفضلها، باب فضل المنيحة (وهي الناقة أو الشاة ذات الدر، تُعطى لينتفع بلبنها، ثم ترد إلى أصحابها)، برقم ٢٤٨٩.

(٢) أخرجه البخاري، عن عائشة رضي الله عنها، في كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضاً مواتاً، برقم ٢٢١٠.

(٣) أخرجه البخاري، عن أنس رضي الله عنه، في كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أُكِلَ منه، برقم ٢٣٢٠.

(٤) أخرجه أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، برقم ١٢٩٨١، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

هناك شيء أبلغ من هذا في الإسلام في التربية البيئية، لحماية موارد الأرض النباتية وإغنائها؟ .

وهكذا، ففي الوقت الذي تخلف القانون الدولي الإنساني كثيراً عن الانطلاق نحو قاعدة بيئية للتنمية، والاعتراف بحقوق الأجيال الحالية والمقبلة، في بيئة ملائمة لصحتها ورفاهها، وحماية تلك الحقوق، نجد أن رسالة الإسلام قد اهتمت عن طريق التربية بتنظيم العلاقة بين مكونات البيئة، فوضعت نواظم لمعاملة الإنسان وضوابط مع نفسه، ومع الآخرين، ومع الأحياء، وكذلك نظمت العلاقة بين الإنسان وبين موارد الأرض والسماء، ودعت إلى حمايتها، والحفاظ عليها، وإنمائها، وسخرت لتحقيق تلك الغايات تربية شاملة ممتدة امتداد الحياة، من أجل هندسة سلوكية لإنسان متكامل يحمل حساً بيئياً سليماً وعميقاً، لارتباطه الدائم مع موجد البيئة، ومصمم قوانينها.

كل ذلك يجعل الإنسان المسلم يقدّر البيئتين الإنسانية والطبيعية، ويقيهما من التدهور والدمار، من أجل تحقيق بيئة الأمن والسلام على الكرة الأرضية. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [سورة الأنبياء].

ثانياً

الدراسة والتحليل

السلام العالمي وإنقاذ الجنس البشري

- **قيم خالدة قدمها الإسلام للإنسان**
  - قدسية السلام في الإسلام
  - السلام في أحوال الإنسان من أسس التشريع الإسلامي
  - مظاهر السلام العملي وأشكاله في حياة المسلمين
- **السلام مطلب إنساني**
  - السلام مبدأ جوهري لا حالة طارئة
  - تناقض الحضارة الغربية وواقع العالم... وسياسة الأقوياء
- **دراسة الإسلام لمن أراد السلام**
  - برنامج للسلام
  - طريق السلام مقومات وركائز
  - دعوة المنظمات الدولية إلى نبذ سياسة المكيالين
- **البيئة وإنقاذ الجنس البشري**
  - البيئة والإسلام
- **تحقيق السلام مسؤولية الجميع**
  - لا عذر لأحد إن قصر في نشر السلام عالمياً
  - علماء الدين والمفكرون
  - رجال السياسة
  - رجال الاقتصاد
  - رجال الإعلام
  - دعوة إلى جهد شعبي مؤسساتي عجز مؤسسات السلام

السلام العالمي وإنقاذ الجنس البشري

لقد شاءت الإرادة الإلهية أن تكون للرسالات السماوية أهداف سامية، تُبرز أهمية الدين على وجه الأرض. ومن تلك الأهداف نشر السلام بين الشعوب، وهذا ما يحاول سماحته- رحمه الله تعالى- عرضه وبيان دلائله في محاضرات هذا الفصل من الباب الرابع.. ضمن محور السلام العالمي.

- **قيم خالدة قدمها الإسلام للإنسان**

لم يكن السلام في الدين الحقيقي أمراً ثانوياً، بل إن الدين الإسلامي أسهم في بناء صرح السلام تاريخياً على نحو جوهريٍّ عميق؛ فقد حل السلام بين الشعوب- في ظلاله- مئات السنين، ونتج من ذلك أهم مشروع حضاري قدمه الإسلام للعالم.

ولأهمية السلام في الإسلام، يبيَّن سماحته ثلاثة محاور تعالج هذا الموضوع، هي: قدسية السلام في الإسلام، السلام من أسس التشريع الإسلامي، مظاهر السلام العملي وأشكاله في حياة المسلمين.

ويذكر بعضاً من القيم الخالدة التي طبقها الإسلام.. وربطها بالإنسان؛ لأنه محور هذه الحياة.. وهدفها الذي سخر الله له جميع الكائنات.. وأرسل لأجله الأنبياء والرسل.

- **قدسية السلام في الإسلام**

ويعرض سماحته في هذا المحور أربع نقاط تبرز قدسية السلام في الدين الإسلامي، بدءاً من تسمية الله- تعالى- ذاته العلية بالسلام، ومروراً بجعل السلام من مفردات التشريع، ثم جعله من صفات الجنة، ووصولاً إلى أمر المؤمنين بالدخول في السلام.

وكذلك اختار الله لدينه الخاتم اسم الإسلام لأنه يعني السلام والتسليم لله.

إن أهم منطلق عقَدي للسلام في الإسلام أنه ربط بين اسم الله السلام وعقيدة المسلم في السلام؛ فإن محبة المسلم لخالقه ومولاه يترشح منها محبة المسلم للسلام، فالسلام للمسلم عقيدة ومحبة ترتبط بتوحيد الله السلام وبمحبته.. وهذا أمر عجيب، ليس له مثال في جميع الثقافات والعقائد القديمة والمعاصرة!..

إن جعل السلام مقدساً يدفع أتباع الدين إلى الالتزام به عن محبة ورضا، لأن التقديس لا يأتي إلا من خالق هذا الكون. فعندما يسلم المؤمن إرادته لخالق الكون، فإنه يلتزم بكل ما يصدر عنه من توصيات وأوامر ونواهٍ.

- السلام في أحوال الإنسان من أسس التشريع الإسلامي

ويوضح سماحته في هذا المحور أربع نقاط- أيضاً- تبين موضع السلام في أسس التشريع الإسلامي؛ فقد أمر بأداء الحقوق لأصحابها، واقتران العدل بالإحسان مع جميع الناس.. حتى عند معاقبة المعتدي، وإقامة الحق.. حتى على الإنسان نفسه أو على قريبه.

فالسلام في الإسلام له جانبان: جانب ذاتي يحقق السلام بين الإنسان وربه.. وجانب آخر إنساني يحقق السلام بين الإنسان وأخيه الإنسان.

وهنا يشير سماحته إلى بعض الجوانب العميقة في فهم التشريع الإسلامي، عندما يبيِّن أن الإسلام تجاوز- في تشريعاته- السلام الذي يجانف الحروب، إلى الرحمة والتعاون.. إلى السلام في كل شيء يحقق للإنسان سعادته.. كالسلام مع الطبيعة والسلام ضد الجهل والفقر.. والسلام من الخلافات الاجتماعية أو الدولية. وكل هذا يجعل التشريع الإسلامي روضة من رياض الأمن والسلام في العالم.

- مظاهر السلام العملي وأشكاله في حياة المسلمين

وفي هذا المحور، ينتقل سماحته إلى الناحية العملية، بعدما بين مكانة السلام في الإسلام نظرياً؛ لأن البرهنة على الشيء- بتطبيقه عملياً- تعطي مصداقية وواقعية لا شك بهما.

فيعرض ثماني نقاط من الأشكال العملية للسلام في حياة المسلمين.. طبقت كلها، وأثمرت حياة ملؤها الفرح والسعادة والتقدم والازدهار على الأصعدة كافة.. كالتعليم والسياسة والاقتصاد والمجتمع وغيرها.

ولقد أوجد الإسلام السلام عملياً خلال تاريخه النبيل مع أتباع الرسالات السماوية. فعندما أتى الإسلام ديناً خاتماً، مد يده للسلام مع أهل الأرض بدعوته إلى الإيمان بجميع الأنبياء ورسالاتهم، وصار السلام عملاً مُمنْهَجاً للإسلام، فتمم البناء، وصار المؤمنون بالدين الحقيقي شعاع السلام والسعادة لجميع أبناء الإنسانية.

- **السلام مطلب إنساني**

والسلام- في بدايته- مطلب ديني.. ولكن واقع الحياة والظروف العالمية جعله مطلباً إنسانياً مثلما هو مطلب ديني. ويأتي سماحته بالبراهين الواقعية على أن السلام صار مطلباً على الصعيدين الديني والإنساني، بعرضه مآسي الحربين العالميتين وما تبعهما من أزمات الحرب الباردة، إذ تُظهر الآثار السلبية لتلك الحروب الحاجة الملحة إلى صنع السلام بين شعوب العالم؛ فقد شعر الإنسان الضعيف أنه في ظلم وضياع، في ظل تسلط الأقوياء وانتشار نظريات فلسفية وسياسية تؤدي به إلى الدمار، ولا منقذ له من ذلك إلا السلام العالمي.. من خلال التوجيهات الإلهية المترلة على الأنبياء والمرسلين.

– السلام مبدأ جوهري لا حالة طارئة

ليس السلام العالمي حالة طارئة أو أمراً فرضه ظرف معين أو مصالح معينة لدولة ما، ولكن السلام بين البشر مبدأ جوهري يتطلب توفّر قيم بين البشر دعا إليها الإسلام.. وتمثلت عملياً، عندما طبقت شريعة الله المتمثلة في دين الإسلام خاتم الرسالات السماوية.

– تناقض الحضارة الغربية... وواقع العالم... وسياسة الأقوياء

ويستغرب سماحته من تناقض الحضارة الغربية مع واقع السلام في العالم؛ فالإنسانية وصلت إلى ذروة التقدم والتطور، وعملت على بناء مؤسسات دولية، وُضعت لها مواثيق وعهود لاحترام حقوق الإنسان في جميع العالم، ولكن لا يزال الفقر والظلم والحروب العدوانية- الهادفة إلى السيطرة على ثروات العالم، وبسط الهيمنة على مقدراته- تنتشر في أنحاء العالم، وكأن ذلك التقدم وتلك المؤسسات الدولية لا وجود لهما.

ولم يكتف سماحته ببيان استغرابه من هذا الوضع الأليم، بل كشف الغطاء عن السبب وراء جميع ذلك، إنها سياسة الأقوياء الذين يتحكمون في الضعفاء ولا يرحمونهم، إنها سياسة الكيل بمكيالين.. وسياسة القاضي الجائر، إنها سياسة المصالح والأهواء والأنانيات بمختلف مستوياتها، إنها سياسة أفرزت مشكلات في العالم أودت به إلى العيش

في خلاف مع قيم السماء الخالدة.. وأوقعته في أخطار كثيرة هددت سلامته وصحته وأخلاقه وعائلته ومجتمعه.

- **دراسة الإسلام لمن أراد السلام**

ومن أراد الخير للإنسانية، لا بد له من دراسة الإسلام، ليأخذ الدروس والطرق، التي نجح الإسلام- من خلالها- في نشر السلام.

وفي هذا دعوة من سماحته إلى دراسة أسس التشريع الإسلامي دراسة حقيقية، سواء من المسلمين أو من غيرهم، ليعرفوا حقيقة التشريع الإسلامي وروحه. ولذا، لا يوصف الإسلام بأنه دين القتل والإرهاب إلا بسبب القصور في الدراسة والفهم الحقيقي أو بسبب الحقد والكراهية وتزوير الحقائق.

- **برنامج للسلام**

ويدعو سماحته كل من أراد نشر السلام في العالم.. إلى مقومات وركائز للسلام لا تخص الإسلام فحَسْب.. بل يقبلها كل عاقل حُرٍّ في هذا العالم، بل إنه ليدعو إليها من كان مؤمناً إيماناً حقيقياً بحاجة هذا العالم إلى السلام.

- طريق السلام مقومات وركائز

وطريق السلام تحتاج إلى مقومات وركائز، ومسؤولية تحقيقه تقع على عاتق الجميع.. وهذه هي الحلقة الأهم في مشوار السلام، الذي يقوم سماحته على توضيحه في هذا الباب.

ويشير سماحته إلى أهم مقومات السلام وركائزه، ألا وهو إصلاح الإنسان، ليحقق السلام مع ربه من جهة، ومع أخيه الإنسان كنتيجة للسلام مع الله تعالى. فالسلام العالمي المنشود لا بد من أن يبدأ من الإنسان نفسه؛ لأنه صانع السلام، ولا بد من أن يكون الصانع متحرراً من شهواته.. ويراعي المصالح العامة.. ويؤثرها على مصالحه الخاصة.. ويتمسك بشريعة السماء ويحترم أوامرها؛ لأن الغاية والهدف من إرسال الرسل نشر المحبة والسلام بين الشعوب.. وشريعة الله- تعالى- ربطت ذلك بإصلاح الإنسان ومقدار تمسكه بتعاليمها ومبادئها.

- دعوة المنظمات الدولية إلى نبذ سياسة المكيالين

وهنا يدعو سماحته إلى تعاون المنظمات الدولية لإنقاذ السفينة الإنسانية من الغرق، بالعودة إلى القيم الخالدة التي دعت إليها السماء، وطبقتها رسالة الإسلام؛ إذ إنها خاتمة الرسالات السماوية ومكملتها. وفي مقدم هذه القيم رعاية حقوق الإنسان، بصرف النظر عن عقيدته

أو عرقه أو جنسه؛ لأن سياسة القاضي الجائر- الذي يكيل بمكيالين- أفضت إلى زرع الخوف في الإنسان من أخيه الإنسان. وكيف لا يخاف وقد اعتدى القوي على الضعيف، والغني على الفقير، واستبيحت القيم والحرمات في سباق الأقوياء للسيطرة على العالم.

- **البيئة وإنقاذ لجنس البشري**

إن السلام العالمي وإنقاذ الجنس البشري يحتاجان إلى إيجاد أسس وقواعد كثيرة، منها توفّر البيئة الصحيحة، سواء كانت على مستوى الإنسان مادياً وروحياً أو على مستوى الطبيعة، والإسلام كان له السبق في تحقيق ذلك.

ويتحدث سماحته في هذا النطاق ضمن مؤتمر يعنى بإنقاذ الجنس البشري من الأخطار البيئية التي تهدد وجوده؛ إذ إن الإنسان أهم عناصر البيئة، وضمان سلامته ضمان للسلام العالمي بين البشر.

- **البيئة والإسلام**

إن المتأمل في أفكار سماحته ليزداد اعتزازاً بالإسلام..؛ إذ إن الدين الإلهي لم يقتصر على جانب العبادة، بل ناقش وبيَّن وأمر ونهى في جميع المجالات المتعلقة بالحياة المادية للإنسان، التي من ضمنها مجال البيئة الطبيعية والاجتماعية.

ويعدد سماحته النقاط المتعلقة بالتربية البيئية في الإسلام في ستة بنود. ويلاحظ من عرضه لهذه البنود تكامل بناء الإسلام في التربية البيئية. ففي أساس هذا البناء، كان الاهتمام بمعرفة الإنسان حقيقة ذاته ووجوده، المتمثلة في العبودية لله.. ووجوب طلب العلم والتحرر من الجهل والخرافة للوصول إلى كشف قوانين الطبيعة والبيئة.. والحفاظ على تحقيق التوازن بين متطلبات المادة والروح. فذلك الأساس يؤمن حماية البيئة.. ويضع حداً للجشع المادي للإنسان.

وأما الجديد الذي يطرحه سماحته في موضوع البيئة فهو التربية البيئية وعلاقة سلامة البيئة الاجتماعية بسلامة البيئة الطبيعية. ولذلك، فهو يؤكد أن تكملة البناء البيئي يحتاج إلى التربية البيئية والحفاظ على توازن البيئة الاجتماعية، بجانبيها الخُلُقي والصحي. وكذلك حماية مكونات رئيسة في البيئة غير الإنسان كالحيوان والبنات؛ ثم تأكيد تنمية الحياة الاقتصادية وتطويرها بالحث على السلوك الإيجابي، مثل: العمل واستثمار الأرض.. والنهي عن السلوك السلبي، مثل: الجشع والإسراف والهدر والظلم والكسل والبطالة.

إذن؛ ست نقاط في بناء التربية البيئية في الإسلام: ثلاث منها مثَّلت إنْشَاء الأسس، وثلاث أخريات مثَّلت إكمال البناء؛ لأن البناء يحتاج إلى أسس تبقيه قوياً، وإلى تكملة تضمن إمكان البقاء والعيش فيه.

وفي هذا دعوة من سماحته- لفاعليات العالم كافة- إلى دراسة الإسلام دراسة شاملة تخلص إلى الاستفادة من القوانين الإلهية الواردة فيه عن حماية الإنسان وبيئته.. للوصول إلى السلام العالمي وضمان البقاء الإنساني في هذا الكون الذي وهبه الله للإنسان.

- **تحقيق السلام مسؤولية الجميع**

وهنا يدعو سماحته أصحاب الفاعليات المؤثرة في مجتمعات العالم إلى تحمل مسؤولياتهم.. ويخص: علماء الدين والمفكرين والسياسيين والاقتصاديين والإعلاميين، ويؤكد ضرورة تعاون العلم مع الأخلاق الكريمة مع العقل الإيماني والإيمان العقلاني.. لما لها معاً من تأثير قوي ومسؤولية كبيرة، تبينها محاضرات هذا الفصل.

ويوجههم سماحته إلى اقتناص الفرصة لملء الفراغ- الذي أصاب حياة البشر- ببناء سلام عادل حقيقي، ذي أسس متينة، يلخصها في: الإخوة الإنسانية والاشتراك في العبودية للرب الواحد والإيمان بجميع الأنبياء.

- **لا عذر لأحد إن قصّر في نشر السلام عالمياً**

ويبيَّن سماحته دور الفاعليات كافة. وأنه لا هروب من المسؤولية لأحد؛ فهذا الصرح الإنساني الشامخ يحتاج إلى تعاون الجميع، وبقيامه يعم الخير والبركة والرحمة الجميع؛ ومن ثم يتحقق هدف الدين.. ليس في نشر السلام فحسب، بل في نشر الرحمة التي هي أعلى من السلام.

وفي بيان سماحته، نرى أنه لا عذر لأحد في تطبيق السلام ونشره في العالم ما دام قد وُجد في تاريخ البشر مثال عملي وأنموذج واقعي حقق ما يصبو إليه العالم- اليوم- من أمان وسلام، بل نجح في ذلك بأرقى المعايير وأدق المقاييس.

- **علماء الدين والمفكرون**

ويخص سماحته العلماء بتذكيرهم بالمسؤولية أمام الله- تعالى- يوم القيامة وضرورة القيام بواجبهم نحو التعاون والحوار للوصول إلى السلام؛ إذ يفترض أن إيمانهم وفهمهم لروح رسالات السماء يحثانهم على بناء السلام العالمي. ويوضح سماحته جوانب مسؤوليتهم.. ملخصاً لها بكلمة "**ربانيين**"، وهدفهم: **إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي**.

أجل؛ البدء من العلماء، سواء أكانوا علماء دين أم مفكرين؛ لأن العلم ينير الفكر، والفكر النير يبصّر صاحبه بضرورة تحقيق السلام.

ولذا، يدعو سماحته العلماء والمفكرين في هذا العالم إلى التعاون لتعزيز القيم في حياتنا ببناء منهج عقلاني علمي يقدم الدين بأجمل صورة.. لأن العرض الحسن يضمن قبول الناس.. إذ جبلت النفوس على تقبل كل جميلٍ مفيدٍ حسن.. ولا سيما إن كانت النتيجة نشر الرحمة في جميع العالم.

- **رجال السياسة**

ورجال السياسة مسؤوليتهم- كذلك- عظيمة؛ إذ تكمن مهمتهم في تنظيم حياة الأفراد والجماعات، وضمان الحرية والحياة الكريمة لهم. وإن الفرد لا تنتظم حياته إلا عندما يوفّر الساسة له حياة بعيدة عن الظلم والاستبداد، ويشعر فيها أنه محترم في جميع جوانب حياته. فإذا انتظمت حياة الأفراد والشعوب، وجد السلام طريقه بيسر.. وتحقق من دون عناء أو مشقة.

- **رجال الاقتصاد**

ورجال الاقتصاد لا تقل مسؤوليتهم أهمية عن سواهم؛ لأن الإنسان يحتاج إلى المادة كما يحتاج إلى الفكر والروح. وتحقيق السلام لا يكون بين شعوب محرومة ومستغلة، ترزح تحت وطأة ذل لقمة العيش. إن منع استغلال الشعوب المحرومة.. وتوفّر الوسائل المادية

اللازمة لحياة الإنسان وراحته هما من ضرورات تحقيق السلام؛ وأما الجوع والحرمان فإنهما يقفان عائقاً قوياً في طريق السلام.

وان الجشع الرأسمالي وتوحشه في جني الثروات على حساب الضعفاء والفقراء وإغراق الشعوب في الديون يقف حجر عثرة في وجه السلام؛ فلا سلام ما دام هناك استغلال، ولا سلام ما دام هناك ظالم ومظلوم!!

- **رجال الإعلام**

ورجال الإعلام لهم- أيضاً- النصيب الكبير من المسؤولية؛ لأنهم رعاة لكل فكرة يريدون نشرها.. فإن نشروا الحقيقة واجتنبوا المحاباة والتحيز، كان لهم دور فاعل في تحقيق السلام العالمي، ولا سيما في عصر الاتصالات والأقمار الصناعية؛ إذ صار العالم قرية صغيرة. فعندما تُعرض الحقائق على الإنسان مشوهة قاصرة.. منحازة لأصحاب المصالح، فلن يكون للسلام مكان؛ بل إن تشويه الحقائق والانحياز فيها سيفضيان إلى انتشار الأحقاد والكراهية بين الناس والفوضى والاضطرابات في العالم.

– دعوة إلى جهد شعبي مؤسساتي إزاء عجز مؤسسات السلام

وينبه سماحته إلى أن المؤسسات الدولية المعنية بالسلام فشلت في تحقيقه، وما قضية فلسطين إلا مثال على فشلها وفشل الأنظمة العالمية المعمول بها حالياً. ولذا، لا بد من العمل معاً على النطاق العالمي، من خلال جهد شعبي مؤسساتي تجتمع فيه جهود علماء الدين والمفكرين والسياسيين والإعلاميين والاقتصاديين، الذين يؤمنون– بقوة– بتحقيق السلام العالمي المنشود.

الباب الخامس



حوارات مع الصحافة ووكالات الأنباء العالمية.



عناوين الباب الخامس

❋ **أولاً: الأفكار والنصوص**

١- الوقف الإسلامي والتنمية الاقتصادية.

٢- الإسلام والعلمانية.

٣- أسباب تخلف المسلمين في عالمنا المعاصر.

٤- الإسلام والتحدي الحضاري المعاصر.

٥- الإسلام والقضايا المعاصرة.

٦- موقف الإسلام من القنوات الفضائية.

٧- الدعوة الإسلامية المعاصرة.

٨- الدعوة وأحداث معاصرة.

٩- شهر رمضان المبارك ويوم القدس.

١٠- الإفتاء وشهر رمضان.

١١- حوار عن رمضان وعن الأحداث المعاصرة.

❋ **ثانياً: الدراسة والتحليل**

حوارات مع الصحافة

ووكالات الأنباء العالمية

- **أولاً: الأفكار والنصوص**

١- الوقف الإسلامي والتنمية الاقتصادية.

٢- الإسلام والعلمانية.

٣- أسباب تخلف المسلمين في عالمنا المعاصر.

٤- الإسلام والتحدي الحضاري المعاصر.

٥- الإسلام والقضايا المعاصرة.

٦- موقف الإسلام من القنوات الفضائية.

٧- الدعوة الإسلامية المعاصرة.

٨- الدعوة وأحداث معاصرة.

٩- شهر رمضان المبارك ويوم القدس.

١٠-الإفتاء وشهر رمضان.

١١-حوار عن رمضان وعن الأحداث المعاصرة.

- **ثانياً: الدراسة والتحليل**

أولاً

الأفكار والنصوص

(١)

الوقف الإسلامي والتنمية الاقتصادية[١]

(١) حوار مع سماحته، أجراه عادل الحامدي، مراسل جريدة المستقلة اللندنية في دمشق، في ١٩٩٨/٣/٢٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- دور الوقف الإسلامي في عملية التنمية الاقتصادية، وفيه النقاط الآتية:

أ- الوقف باب خير يحقق المصلحة للمجتمع الإسلامي، ويعكس حكمة الإسلام في تنويع مجال الإنفاق ونوعه...

ب- حادثة سيدنا عمر ووقفه أرضاً بخيبر، وذكر بعض أحكام الوقف فيها...

ج- الوقف من خصائص تشريعات الإسلام، يوثق العلاقات بين جميع أفراد المجتمع الإسلامي، بسبب جوازه على كل فئات المجتمع، ولو كانوا: أغنياء، أقرباء، غير مسلمين.. على حسب الشروط الفقهية..

د-تنوع الأوقاف في تاريخ بلاد الشام، مثل: الوقف على الخانات للمسافر، الوقف على الكماليات، الوقف على الأواني، الوقف على الحيوانات وحاجاتها...

هـ - توزيعُ الأوقاف في موارد مختلفة جعلها وسيلة تنمية حقيقية للمجتمع.

و - إمكان تجديد دور الوقف في عصرنا ليلعب دوراً مهماً في عملية التنمية الاقتصادية ضمن أنظمةٍ وشروط يضعها الخبراء من الفقهاء والاقتصاديين معاً...

٢- الوقف بين اجتهادات القدامى وقضايا العصر، وفيه النقاط الآتية:

أ- فقهاء الإسلام أحاطوا الوقف بدراسة اجتهادية دقيقة، ولا يزال الاجتهاد قائماً لحل المسائل المستجدة.

ب-عرض شروط الوقف الإسلامي، الثابت بعضها بالنص والآخر المستنبط بالاجتهاد.

ج- باب الاجتهاد في قضايا الوقف مفتوح في القضايا المستجدة لكل من عنده أهلية الاجتهاد.

د- لا بد من تعاون الاقتصاديين وخبراء هذا المجال مع مجتهدي الأمة ولا سيما بين مؤسسات الاجتهاد ومؤسسات حماية الوقف وتطويره.

هـ - الإسلام وضع القواعد والأسس، وترك لكل زمان حرية التصرف في الوسائل على حسب المصلحة والحكمة.

٣- افتقاد الكفاءات في إدارة الأوقاف، وفيه النقاط الآتية:

أ- القاعدة عند الفقهاء: شرط الواقف كنص الشارع.

ب- تقسيم النشاطات الوقف إلى قسمين:

١- نشاطات استهلاكية: تنفق على وجوه الخير ولا عائد لها.

٢- نشاطات إنتاجية: استثمار ما تم رصده ووقفه ليعود بالفائض على الوقف ويمول المشروعات المرتبطة به.

ج- وجوب توسيع الأنشطة الإنتاجية من تأجير العقارات إلى استثمارات صناعية وزراعية.

٤- نظرة سماحته إلى واقع الوقف وسبب اختفاء دوره التنموي، وفيه النقاط الآتية:

أ- واقع الوقف انعكاس لواقع المسلمين عامة، ويتطلب عودة صحيحة إلى شرع الله.

ب- تطبيق شرع الله على الأرض حقق- تاريخياً- الرخاء الاقتصادي أيام عمر بن عبد العزيز.

ج- قيام الإسلام في الحياة يتطلب عدم هدر كسرة خبز، فكيف بثروات المسلمين التي بأيدي الغرباء أو الضعفاء؟!

د-دعاء النبي ﷺ في أقدس بقعة من الدنيا: "ربنا آتنا في الدنيا حسنة..."، يوجب علينا إقامة الصناعة والزراعة والاقتصاد الحسن، ويوجب أن تعانق مداخن المصانع مآذن المساجد.

هـ - الأكثر غياباً في رسالة الوقف مسألة نشر الدعوة في الآفاق، وهذا يقتصر على معاشات ضئيلة للأئمة والخطباء.. وندرة في إرسال الدعاة إلى الغرب.

و- تعريف الغرب بالإسلام- عن طريق الدعاة- لإنقاذ العالم واجب؛ البلاد عامةً والغنية خاصة. وهذا يدفع عن المسلمين الضرر، ويفتح أبواباً للخير والسلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص الحوار

السؤال الأول: مثّل الوقف في التاريخ الإسلامي أحد أهم الموارد الاقتصادية. هل تعتقد- سماحتك- أنه بإمكان الوقف الإسلامي أن يلعب دوراً في عملية التنمية الاقتصادية في البلدان الإسلامية؟ وكيف؟.

الجواب: الوقف باب خيري، انتهجته الأمة الإسلامية لتحقيق القربات والأعمال الصالحة، ابتغاء مرضاة الله، وهو يعكس حكمة الإسلام في وقف الأموال، مع بقاء عينها لمصالح خيرية دائمة، فهو بذلك مغاير للفهم المعروف من الإنفاق، المحصور في الصدقات على الفقراء والمساكين. **يقول** الإمام **الشاطبي:** "إن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً... وهو اختيار أكثر الفقهاء

والمتأخرين... يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [سورة الأنبياء]"[1].

ويُعَدّ الوقف الإسلامي أحد التشريعات التي تحقق المصلحة للمجتمع الإسلامي. وبناء عليه، فقد ندب الإسلامُ المسلمينَ لفعله، لما فيه من مصالح جمة وفوائد تعود على المجتمع بالخير الكثير، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ ... ٢٦٧ ﴾ [سورة البقرة]. **وقال رسول الله** ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له»[2]، والوقف يُعَدّ من الصدقات الجارية، التي يدوم ثوابها بعد موت صاحبها، **قال جابر بن عبد الله** رضي الله عنه: "ما بقي أحد من أصحاب رسول الله ﷺ له مقدرة إلا وقف"[3]، وورد «أن عمر بن الخطاب أصاب أرضا بخيبر، فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضا بخيبر، لم أصب مالاً قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟ قال ﷺ: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها. قال: فتصدَّق بها عمر، أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث، وتصدق بها في

(١) الموافقات في أصول الفقه للشاطبي (٢/ ٤-٥).

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم ٤٣١٠.

(٣) المغني، كتاب الوقف (١٠/ ٨٨).

الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متموِّل»[1].

هذا ويُعَدّ الوقف الإسلامي من الخصائص التي انفرد بها الإسلام، ودعا إلى تطبيقها حرصاً منه على زيادة أعمال البر والإحسان من المسلمين، تقرباً إلى الله تعالى، وتوثيقاً للعلاقات فيما بين الناس جميعاً داخل المجتمع الإسلامي؛ فأجاز الوقف على الفقراء والأغنياء، الأقرباء والغرباء، من المسلمين وعلى غير المسلمين.. الذين يعيشون داخل المجتمع الإسلامي، بشروط ذكرها فقهاء المسلمين.

لقد فتح الإسلام الباب واسعاً لجميع الناس أن يُوقفوا من أموالهم نصيباً يُنفق في وجوه الخير كلها. وقد استجاب رجال الإحسان عبر التاريخ الإسلامي لهذا الترغيب الإسلامي، فأوقفوا الأوقاف المختلفة في الخيرات، وهذه حال أكثر بلاد المسلمين. وهنا في دمشق- على سبيل المثال- قسم كبير من العقارات القديمة عائد للأوقاف الإسلامية.

ومرت الأيام على بلاد الشام، وكان رجال الإحسان يتخيرون وجوه نفقة الخير على أوثق وجوه القربات، فوقفوا على: المساجد والمدارس الشرعية وطلبة العلم والمشافي والجند وأبناء السبيل.

(١) أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف، برقم ٢٥٨٦. وفي رواية: غير مُتَأَثِّلٍ، أي: غير متخذ بذلك مالاً.

وكذلك من الأبواب التي وقف لها المسلمون الوقف على الخانات، حيث كانت تنتشر على سائر طرق السفر. وكان المسافر يجد في هذه الخانات طعامه وشرابه وفراشه وزاده وعلف دابته، فيقيم في الخان ما شاء، ليلة أو اثنتين أو ثلاثاً، ويتزود لسفره، ثم يتابع السفر، وذلك كله من الأوقاف الإسلامية، من دون أن يكلَّف المسافر بشيء.

ثم تجاوز المسلمون الحاجات الضرورية إلى الحاجات الكمالية؛ فعُرف من الأوقاف في الشام: وقف خاص لشراء الفستق لطلبة العلم، ووقف خاص لشراء الأواني التي تنكسر بأيدي الأولاد، ووقفوا الحلي للاستعارة.. كما فعلت السيدة حفصة رضي الله عنها، وغير ذلك من الأوقاف المختلفة.

ثم تجاوز الوقف الإسلامي حاجات الناس إلى حاجات الدواب والحيوان، فوقفوا أوقافاً لها، ولعل أقرب الأمثلة إلى ذلك أرض المرج[1] في دمشق، التي كانت في الحقيقة وقفاً للدواب التي يستغني أصحابها عنها؛ لتقدم السن بها وعدم فاعليتها.. تأكل منها وترعى فيها سائرَ الأوقات.

وهكذا، فإن اهتمام السلف بتوزيع الأوقاف الإسلامية في موارد مختلفة جعل منها وسيلة تنمية حقيقية للمجتمع، تؤدي دورها في تحقيق

(١) صارت في الخمسينيات من القرن العشرين ملعباً لكرة القدم، باسم الملعب البلدي، ثم صارت ضمن الأرض المخصصة لمعرض دمشق الدولي، قرب التكية السليمانية.

مرضاة الله ﷻ وخدمة العباد.

وهذا الدور التاريخي للوقف يمكن أن يتجدد في كل وقت، إذا تحققت النية الطيبة.. والتخطيط السليم.. والرعاية الصحيحة.

ويستطيع الوقف الإسلامي اليوم أن يلعب دوراً مهماً في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في جميع بلدان العالم الإسلامي، إذا توفّرت الشروط الآتية:

١- وضع الأنظمة والقوانين، التي تحمي أموال الوقف.. وتسهم في تنشيط دور هذه الأموال في الخطط الاقتصادية والاجتماعية في الدول الإسلامية؛ على أن تسند مهمة وضع الأنظمة والقوانين للخبراء من الفقهاء والاقتصاديين.

٢- وضع الأنظمة والقوانين، التي تجعل عملية وقف أموال المحسنين وممتلكاتهم يسيرة مضمونة.

٣- العمل على توسيع ممتلكات الوقف وأمواله، بتشجيع المحسنين من خلال خطط إعلامية وإرشادية.

ويجب الاستفادة من التجارب والخبرات السابقة، ولا سيما في الدول الإسلامية التي حققت بعض النجاحات في هذا المجال.

✍ **السؤال الثاني:** يعتقد كثير من المهتمين بمسألة الوقف الإسلامي أنها مسألة بحاجة إلى اجتهادات فكرية جديدة، تتواءم ومعطيات العصر. فهل تعتقد- سماحتك- أن مراجعةً كهذه ضرورية؟ .

الجواب: إن فقهاء الإسلام كانوا دائماً يحيطون الوقف الإسلامي بالدراسة الاجتهادية الدقيقة، ويستنبطون الحلول الاجتهادية لكل ما يستجد من مسائل، في إطار تقوية دور الوقف الإسلامي. وهذا الاجتهاد ما زال قائماً يتجلى في الإفتاء والمجامع الفقهية المتعددة.

لقد جعل الإسلام للوقف شروطاً حتى يحقق الغاية المرجوة منه؛ منها أن يكون الوقف مما يُنتفع به مع بقاء عينه في الغالب، بحيث تكون منفعته مستمرة من دون انقطاع؛ إذ القصد من وراء الوقف ديمومة الثواب للواقف، واستمرار النفع للموقوف عليه. ومن الشروط- أيضاً- أن يكون الوقف لجهة موجودة قائمة غير منقطعة مع مرور الأيام؛ إذ إنه كيف سينتفع بالوقف من سيزول قريباً أو بعد حين، وهذا مما ينافي مقصود الوقف. وكذلك من الشروط أن لا يكون الوقف في محظور شرعي، كالوقف على أعمال الشر والفجور.. وغير ذلك من الأمور التي ذكرها الفقهاء مع التفصيل.

ويمكننا القول: إن بعض أحكام الوقف ثابتة بالنص، وبعضها الآخر ورد عن طريق اجتهاد الفقهاء. وبناء عليه، فإن باب الاجتهاد

في قضايا الوقف مفتوح لكل من لديه أهلية الاجتهاد، وأراد أن يدلي بدلوه في هذا الميدان الرحب، ولا سيما إذا نظرنا إلى الأمور المستجدة، التي طرأت في عالم الاقتصاد في هذا الزمان.

فعلى العاملين والخبراء في مجال الاقتصاد أن يتعاونوا مع المجتهدين من علماء الأمة الإسلامية في النظر إلى مستجدات الحياة، وكيفية تفعيل الأوقاف مع حركة الاقتصاد، بما يفيد الأمة الإسلامية في حاضرها ومستقبلها. والمسألة الملحة هي إيجاد التنسيق بين مؤسسات الاجتهاد ومؤسسات حماية الوقف واستثماره وتطويره.

إن من مقاصد الشريعة الأساس حفظ المال، والأوقاف مال؛ فينبغي الحفاظ عليه وتنميته بالوسائل الأنجع. والإسلام- في هذا المجال- وضع لنا قاعدة الانطلاق الأولى، وترك لكل أهل زمان ومكان الحرية في التصرف على حسب المصلحة والمنفعة؛ فالوسائل تختلف باختلاف الأيام وتبدل الأقاليم، والحكيم هو الذي يقوم بالعمل المناسب في الزمان المناسب والمكان المناسب ضمن الضوابط الشرعية.

✍ **السؤال الثالث:** يعتقد كثير من المهتمين بمسألة الوقف الإسلامي أن هذه العملية تفتقد إلى الكفاءات المختصة في إدارة مشروعات الوقف. ولذلك اقتصر الوقف على المعاهد الشرعية. ما حدود الحاجة إلى مثل هذا التجديد؟ وبأي معنى؟ وأي أرضية شرعية يمكن الاستناد إليها عند الإدارة الاقتصادية المختصة في الوقف؟ .

الجواب: الوقف الإسلامي شامل لجميع جوانب الخير، والمعاهد الشرعية جزء من هذا الخير، ولكنها ليست الجهة الوحيدة التي رُصدت لها الأوقاف، لا في التاريخ، ولا في الواقع؛ فهناك المساجد والمشافي والمدارس ودور السكن ودور الأيتام وغيرها، وكلها تؤدي دورها من مال الوقف. والقاعدة عند الفقهاء: "شرط الواقف كنص الشارع"[1].

وهكذا، فإنه يمكن تقسيم نشاطات الوقف الإسلامي- الآن- إلى قسمين:

نشاطات استهلاكية: وهي ما ينفق في وجوه الخير، والمساجد والمعاهد الشرعية، وهذه تنفق عليها الأوقاف ولا تعود بعائد مادي.

ونشاطات إنتاجية: وهي ما رصده المحسنون ليتم استثماره بما يعود بالفائض المالي على الوقف، لينهض بالمشروعات المرتبطة به. وفي الحقيقة، فإن النشاطات الإنتاجية لا تتعدى على الأغلب تأجير العقارات، وهذا يعكس حاجة ملحة إلى تنمية هذا الجانب، كإنشاء استثمارات حقيقية في الصناعة والزراعة، وهو ما نتمنى أن ينتبه إليه القائمون على رعاية الوقف في العالم الإسلامي.

✍ **السؤال الرابع**: كيف ينظر سماحة الشيخ أحمد كفتارو إلى واقع الوقف كما هو في العالمين العربي والإسلامي؟ ولماذا اختفى دوره في تحقيق التنمية؟ .

(١) البحر الرائق لابن نجيم (١٦/ ٣٥).

الجواب: واقع الوقف لا ينفصل عن واقع المسلمين عامة. فإذا كنا نطمح إلى النهوض بالوقف الإسلامي، فإن الأمر لا يتوقف على جانبٍ بعينه، بل إن النهوض بالأمة الإسلامية يتطلب عودة صحيحة إلى شريعة الله. فيوم طبقنا الإسلام على الأرض، قام في البلاد الإسلامية المجتمع الإسلامي الفاضل، بلا محاكم وبلا سجون، وصار الناس في أيام عمر بن عبد العزيز يطوفون بالصدقات، وصار منادي عمر ينادي على الناس: "أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين المساكين؟ أين اليتامى؟ حتى أغنى كلا من هؤلاء، وصرف لكل كبيرٍ خادماً، ولكل ضرير قائداً، حتى لم يوجد للمال آخذٌ، فتراكم وفاض، فجعل يشتري الرقاب ويعتقها في سبيل الله"(١).

إن قيام الإسلام في الحياة يعني أنه لن تهدر من أموال الأمة كسرة خبز، فقد «دخل رسول الله ﷺ فرأى كسرة ملقاة، فمشى إليها فمسحها، وقال: يا عائشة، أحسني جوار نعم الله، فإنها قلما نفرت عن أهل بيت فكادت أن ترجع إليهم»(٢). فأين هي كسرة الخبز- في هذا الزمان- من **ضياع ثروات المسلمين وأموالهم بأيدي غرباء أو ضعفاء لا يحافظون عليها؟!**

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٢٢٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها، باب من اسمه محمود، برقم ٧٨٨٩. وضعفه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٣٢).

وكان دعاء النبي ﷺ في الكعبة- بين الركن اليماني وركن الحجر، في أقدس بقعة في الدنيا- قوله تعالى: ﴿.. رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً ...﴿٢٠١﴾﴾ [سورة البقرة]. فهل أقام المسلمون الدنيا الحسنة، والصناعة الحسنة، والزراعة الحسنة، والاقتصاد الحسن؟!

إنه **لا يكتمل تطبيق الإسلام إلا إذا استغنى المسلمون بأنفسهم عن الغرباء، وقامت مآذن المساجد إلى جانب مداخن المصانع في بناء الدين والحياة.. وتنمية الروح والجسد.** فليس الوقف وحده هو الذي تجمد دوره في سلوك المسلمين، فالدعوة والتعليم والوحدة مسائل نحتاج إليها لتحقيق نهضتنا ونشر رسالة الله.

ولعل أكثر الأدوار غياباً في رسالة الوقف الإسلامي مسألة نشر الدعوة، فقد اقتصر إنفاق الوقف على الأئمة والخطباء، ومع أجورهم الضئيلة جداً، يؤدون دوراً محدداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأما الدعوة في الآفاق.. وتخير أفضل الدعاة.. وإرسالهم إلى البلاد المختلفة في الشرق والغرب لنشر الإسلام، فهذا لم يتحقق منه ما يكفي بعد. إننا **لا نستطيع أن نغزو العالم بالجيوش، ولكننا نملك أن نغزوه بالدعاة**.. ونحمل أفكار الخلاص التي يقدمها الإسلام للأجيال.

وإنني أهيب بالقائمين على الوقف الإسلامي في العالم- وفي

البلدان الغنية خاصة- أن يولوا هذا الجانب اهتماماً كافياً. وإنني أصرح- من هذه الصحيفة- أن أمريكة- بكل جبروتها- يمكن أن تتحول إلى الإسلام، لو وفّرنا الأعداد الكافية من الدعاة الناجحين، وكفيناهم مؤونة الدنيا ليقوموا بواجب الدعوة.

إن ألف داعية يمكن أن يكونوا ألف سفير لقضايا العالم الإسلامي، ينشرون المحبة والخير والرشاد. وقد عرفت هذا من خلال تجربتي الشخصية، وتجارب إخواني وتلامذتي وغيرهم من الدعاة في مختلف أنحاء العالم.

(٢)
الإسلام والعلمانية[١]

(١) حوار مع سماحته بتاريخ ٢٩/ ٣/ ١٩٩٨، أجرته بدمشق المراسلة البلغارية دانيالا تيوفانوفا، مراسلة صحيفة "١٦٨ ساعة"- التي تصدر في صوفيا، واتجاهها يساري، وهي واسعة الانتشار.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- دور المسجد في الجمهورية السورية العلمانية، وفيه النقاط الآتية:

أ- العلمانية منشؤها في العالَم الغربي لا الإسلامي، لاختلاف تعاطي الكنيسة والمسجد مع العلم.

ب-الإسلام فرض العلم، ودعا إلى تنمية العقل الحكيم. ولذلك العلمانية- التي تعني العلم- هي حلقة صغيرة من حلقات الإسلام.

ج- الإسلام بريء من العلمانية، التي تعني الإباحية أو الإلحاد.

د- انتهاج العلمانية في بعض الدول الإسلامية ناتج من سوء تعبير المسلمين عن دينهم قولاً وعملاً.

هـ - على كل مسلم أن يُعرِّف بالإسلام الذي يهتم بالعلم.. والعقل..

والعدل.. وحقوق الإنسان مهما كان لونه أو قوميته أو دينه.

و- لا يمكن للعلمانية أن ترفض الحقائق العقلية والعلمية في الإسلام.

٢- المسلمون والمسيحيون يعيشون في وحدة وطنية في سورية، بسبب تعاون رجال الرسالتين السماويتين.. وحرية المعتقد المصونة قانوناً.

٣- دور الدين في السياسة العالمية، وفيه النقاط الآتية:

أ- طغيان المصلحة الشخصية وافتقاد المنطق وعرض الدين بطريقة تصطدم مع العقل- في أوربة وروسية- أفقد الدين جوهره.. وسبب الثورات ضد الكنيسة.. وأظهر شعار فصل الدين عن الدولة.

ب- فصل الدين عن السياسة أنتج مشكلات عظيمة، مثل: الفقر والإباحية وانهيار الأسرة والجريمة والحروب...

ج- سلامة الإسلام من التحريف- بسبب حفظ الله له- أبقت جوهر الدين المحقق لسعادة الإنسان في دنياه وآخرته.

د- بقاء جوهر الدين في الإسلام نتج من وسطيته.. واحترامه لما سبق من رسالات سماوية وكفالته حرية المعتقد لجميع الناس أنتجا تعايشاً بين المسلمين وغيرهم، قد أثبته التاريخ...

هـ - ولذا، كلف المسلم بنشر السعادة بين جميع الناس، ولو أدى ذلك إلى اتباع الجهاد لرفع الظلم عن الشعوب التي قهرت الملوك حريتها.

و- عدالة الإسلام وسماحة المسلمين جذبتا أهالي البلاد المفتوحة في الإسلام بحرية وقناعة.

ز- العالم الآن يحترم الإسلام الحقيقي.. والمشكلة في جهالة الشعوب الإسلامية بحقيقة الإسلام.. فكيف غيرها؟!

ح- ظهور الإسلام الحقيقي في الشعوب الإسلامية في مجالات العدل وحقوق الإنسان وحريته في المعتقد والتفكير والكفاية الحياتية، يوحد العالم وينقذه من مشكلاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

٤- ازدياد العنف الإسلامي حديثاً، وفيه النقاط الآتية:

أ- محاربة الدور الحضاري للإسلام والدعوة إلى التصادم الحضاري، وتعرض الأقليات الإسلامية للاضطهاد سببُ العنف.

ب- العنف المنسوب إلى الإسلام كذباً لا صلة له برحمة الإسلام، بل هو مفتعل.. تديره أيد خبيثة.

ج- لو كان العنف محلياً لأمكن علاجه بالحوار ونشر التوعية والمشاركة في تحمل المسؤوليات.

د- الحاكم في الإسلام أجير مسؤول عن الأمة.. مسؤولية أمانة لا وصاية. ولذا، ينتهي العنف بسلوك مثل هذه المفاهيم.

٥- عودة الشباب والشابات إلى الإسلام، وفيه النقاط الآتية:

أ- الإسلام كماء الحياة.. تزدهر الحياة به أينما حلّ، وعودة الناس إلى الإسلام تدل على تنامي الوعي بحقائق الحياة والإحساس بالمسؤولية.

ب- الإسلام ينتصر لحقوق الإنسان، ومن ضمنهم المرأة.

ج- وجود علماء رسالات سماوية حقيقيين يقدمون الصورة المنهجية والمنطقية للإسلام سبب عودة الناس إلى الإسلام.

د- الدين الحقيقي ينقذ الإنسان من الغرق في بحر الشهوات والضياع في متاهات الفراغ الروحي.

هـ - أخلاقيات الإسلام وشرائعه المهتمة بصحة الفرد والمجتمع مادياً وروحياً لا يرفضها عاقل، سواء كان مسلماً أو غيره.. ولكن المهم هو حسن التعريف به بالحكمة والبلاغ المبين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص الحوار

✍ **السؤال الأول:** ما دور ومكانة المسجد في الجمهورية العربية السورية العلمانية؟.

الجواب: نشأ مفهوم العلمانية في العالم الغربي، لأن الكنيسة كانت تعرض المسيحية على نحو يتناقض مع العلم والعقل، ولأنها كانت تقف حائلاً دون تقدم الإنسان العلمي الحضاري.

وأما الإسلام فقد جعل طلب العلم النافع وتعليمه فريضة، إذ لا يصح إسلام المسلم إلا به، **قال رسول الله** ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[1]. والحقيقة إن الإسلام لم يدعُ إلى تنمية العقل فقط،

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث أنس ﷺ، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم ٢٢٤. وقال العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٥): وضعفه أحمد والبيهقي وغيرهما.

بل دعا إلى تنمية العقل الحكيم.. الذي يصيب في القول والعمل، **قال رسول الله** ﷺ: «رأس العقل بعد الدين التودُّد إلى الناس، واصطناع الخير إلى كل برٍ وفاجر»[1].

وبعد ذلك **نقول**: إن العلمانية- التي تعتمد العلم التجريبي- هي حلقة صغيرة من حلقات الإسلام، وإن العلمانية- التي تعني الإباحية أو الإلحاد- لا محل لها في الإسلام.

وإذا كان ثمة دول إسلامية اتخذت العلمانية منهجاً في سياستها، فسبب ذلك الجهل بحقيقة الإسلام.. وأن المسلمين لا يعبرون عن الإسلام- على نحو صحيح- بأقوالهم وأعمالهم.. ولا يجيدون التعريف به.

إن التعريف بحقيقة الإسلام الحي هو مسؤولية كل مسلم؛ **فالإسلام لم يأت بشيء يتناقض مع العقل والعلم والعدل وحقوق الإنسان**.. أيّ إنسان كان، ومهما كان لونه أو قوميته أو دينه، فقد ورد أنه «مرت به ﷺ جنازة فقام. فقيل له: إنّها جنازة يهودي! **فقال**: أليست نفساً؟!»[2]. هذا هو احترام الإنسان الميت غير المسلم في الإسلام، فما بالك بالإنسان الحي؟ إن الإنسان غير المسلم الحي تحكمه

(١) أخرجه البيهقي في الشعب، عن علي رضي الله عنه، السابع والخمسون من شعب الإيمان وهو باب في حسن الخلق، فصل في طلاقة الوجه وحسن البشر لمن يلقاه من المسلمين، برقم ٨٠٦٢. وفي التيسير بشرح الجامع الصغير- للمناوي- أن إسناده ضعيف (٤٥/٢).

(٢) أخرجه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى رضي الله عنه، في كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، برقم ١٢٥٠.

القاعدة: "لهم ما لنا وعليهم ما علينا"، أي: من الحقوق والواجبات.

بعد ذلك **نقول**: لا مشكلة للإسلام مع العلم، ولا تناقض بينهما؛ فالإسلام يأمر بالتقدم علمياً وتكنولوجياً وحضارياً، ولا يقف حائلاً في وجه الإنسان وتطلعاته؛ بل أتى ليناصر العقل والعلم وحقوق الإنسان. ومما **قاله رسول الله** ﷺ في ذلك: «ليس منّي إلا عالم أو متعلّم»[1]، **وقال** ﷺ: «اغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً (للعلم) أو محباً (للعلم والعلماء)، ولا تكن الخامس فتهلك»[2]. وإذا تخلى الإنسان عن هذه الصفات الأربعة، فهو جاهل، والجهل يؤدي إلى الهلاك. وبعد ذلك، هل يمكن للعلمانية أن ترفض هذه الحقائق العلمية في الإسلام؟

✍ **السؤال الثاني**: ما طبيعة العلاقات بين علماء الإسلام والمسيحية في سورية؟.

الجواب: أنا أزورهم في أعيادهم، وهم يزورونني في أعياد المسلمين؛ ونحن نلتقي لنتعاون في كثير من القضايا الوطنية؛ ويعيش

(١) أخرجه الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما، باب اللام، برقم ٥٢٧٩.

(٢) أخرجه البيهقي في شعبه بسند ضعيف، عن أبي بكرة ﷺ، فصل في فضل العلم وشرف مقداره، باب طلب العلم، برقم ١٧٠٩. وقال الهيثمي في الزوائد (١/ ١٢٢): أخرجه الطبراني في الثلاثة، والبزار، ورجاله موثوقون. والغدو: السير والذهاب أول النهار، والمراد التبكير والإسراع.

المسلمون والمسيحيون في وحدة وطنية متينة.. ففي سورية حرية المعتقد والعبادة مصانة قانوناً ودستوراً.

✍ **السؤال الثالث**: ما دور الدين في السياسة العالمية؟

الجواب: مع مرور الزمن، فقد الدين- بسبب عرضه بطريقة تصطدم مع العقل، وبفعل الترجمات والمصالح الشخصية- الكثير من أصالته وجوهره وجماله؛ فحدثت الثورات ضد الكنيسة في أوربة وروسية، ورُفع شعار "فصل الدين عن السياسة والدولة" من أجل التحرر والتقدم، وسرت هذه العدوى إلى بعض البلدان الإسلامية، وكانت حصيلة ذلك ما نراه- اليوم- من حياة مادية تسببت في كثير من التحديات المعاصرة، في مجالات: الفقر، والبطالة، والإباحية، وانهيار الأسرة، والعنف المتمثل في: الجريمة، والصراعات، والحروب الاجتماعية والاقتصادية! .

ولكن ما حدث من تحريف في بعض الرسالات السماوية لم يحدث في الإسلام، إذ لا يزال في مجمله محافظاً على أصالته وجوهره، لأن الله ﷻ تكفل بذلك، يقول تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الحجر]. فالإسلام- في حقيقته وجوهره- دين، أي: نظام وبرنامج، يحقق للإنسان سعادته الجسدية والروحية في هذه الدنيا، كما يحقق له السعادة في عالم الخلود.

إنه دين التوحيد والوسطية، وهو يدعو إلى الإيمان بكل الأنبياء والرسل؛ فهو يقدس إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، كما يقدس النبي محمداً ﷺ. والحقيقة، إن الإسلام لم يأت لينقض رسالات الأنبياء قبله، بل أتى ليتممها، **قال رسول الله** ﷺ: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسَنه وأجمله، إلا موضع لبنةٍ من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويَعجَبون له، ويقولون: هلاّ وُضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتِم النبيين»[1].

فالإسلام يعترف بالأنبياء ورسالاتهم، ويقدسهم جميعاً.

ومن قواعد الإسلام وأصوله أنه صان الحقوق والحريات الإنسانية لجميع بني البشر، مهما كانت معتقداتهم ومذاهبهم، ومنها حريات المعتقد والعبادة والتعبير. وقد أثبتت الحوادث التاريخية قدرة المسلمين على التعايش والتعاون مع غير المسلمين، سواء في أوطانهم الإسلامية أو في الأوطان غير الإسلامية.

وبناءً على ما تقدم، فإن دور الدين الإسلامي نظاماً قادراً على إسعاد الإنسان هو دور مشهود له تاريخياً؛ فالمسلم مكلف بالعمل الجاد

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، برقم ٣٥٣٥.

لإسعاف الإنسان البائس ومواساته، مهما كان انتماؤه ومعتقده. ومن أجل هذا الهدف النبيل، شُرع الجهاد المقدس، وبذل جيل المسلمين الأُول دماءهم وحياتهم دفاعاً عن حقوق الإنسان وكرامته. ولم تكن الفتوح لاستعمار الشعوب واضطهادها وقهرها ونهب ثرواتها وإذلالها وتقييد حرياتها، بل كانت لتخليص الشعوب من اضطهاد الملوك الطغاة المتسلطين المستبدين وقهرهم، من أجل أن تتمتع الشعوب بحرياتها كاملة.

فكانت الدولة الإسلامية ترعى مواطنيها مهما كانت رسالاتهم السماوية ومعتقداتهم رعاية متساوية تامة؛ فإن كان المواطن مديناً وعجز عن أداء دينه لدائنه، قامت الدولة بوفاء دينه.. وإن كان عاطلاً أو عاجزاً عن العمل، فإن الدولة تقدم له جميع احتياجاته المعيشية، مسلماً كان أو غير مسلم. ولذا، عندما رأت الشعوب عدالة الإسلام وسماحته ورحمته، صارت تتعاون مع المسلمين وتناصرهم ضد حكامهم وملوكهم الطغاة، واعتنقوا الإسلام بمطلق القناعة والحرية والمحبة. ولم يثبت في التاريخ أن المسلمين أكرهوا أحداً على ترك دينه ليعتنق الإسلام، يقول تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ... ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [سورة البقرة].

ومن مشاهداتي وتجاربي- وقد زرت العالم من أمريكة إلى اليابان، مروراً بالفاتيكان مع البابا، وفي الكرملين- كان كبار الرجالات يُصغون إلى الإسلام باهتمام وتقدير واحترام. والمشكلة- الآن- أن

الإسلام مجهول لكثير من الشعوب الإسلامية، فضلاً على الشعوب الأخرى. وأعتقد أنه لو ظهر الإسلام الحقيقي في الشعوب الإسلامية.. في مجالات العدل وحقوق الإنسان وحرياته في المعتقد والفكر والتعبير والتملك والكفاية الحياتية، لتوحدت شعوب العالم، وصارت عائلة واحدة؛ لأنها ستجد في الإسلام المنقذ والمخلص والملاذ.

وإذا استطعنا أن نقدم الإسلام بصفائه ونقائه في مناهجَ وبرامج تنموية، فسيكون له دورٌ بارزٌ في الحياة السياسية والحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية، لأنه يملك المنطق والمنهجية القادرة على معالجة المشكلات والتحديات المعاصرة التي تهدد الإنسانية، والمتمثلة في: انتشار الفقر والجوع والأمراض العضوية والجنسية والنفسية، واتساع رقعة العنف والجريمة والتطرف والحروب العرقية والاقتصادية.

✍ **السؤال الرابع**: ما أسباب ازدياد العنف الإسلامي في الآونة الأخيرة؟.

الجواب: لكل فعل رد فعل؛ فعندما تُشن حروب التصفية على مختلف الأصعدة.. لإلغاء دور الإسلام الحضاري من الجهات الدولية التي تعتقد بنظرية التصادم الحضاري بدل التعايش والتكامل الحضاري.. وعندما تتعرض الأقليات الإسلامية للقهر والاضطهاد والتصفية، تبدأ دوامة العنف التي لا تخدم إلا المؤسسات التي تسعى إلى نهب مقدرات

الشعوب النامية وثرواتها ومواردها.

وهذا العنف- الذي ينسب إلى الإسلام زوراً وبهتاناً- ليس له صلة بسماحة الإسلام ورحمته، لا من قريب ولا من بعيد، وإنما هو مفتعل ملفق، تديره أيد خبيثةٌ مأجورةٌ لتشويه صورة الإسلام وإلغاء دوره الإنساني.

ولو أن المسألة مسألة عنف محلي، لكان من الممكن معالجتها بالوسائل الحضارية الإيجابية، من خلال: مبدأ الشورى والحوار، والمشاركة في تحمل المسؤوليات، ونشر الثقافة والتعليم، وتوعية العامة، وصيانة الحقوق الإنسانية. ولكنا لا نرى شيئاً من ذلك.

وفي الإسلام، الحاكم أجير مسؤول عن رعيَّته. والمسؤولية- في الإسلام- أمانة، وليست تسلطاً ووصاية.. فقد وعظ- يوماً- أبو سعد المعمّر بن علي في خطبة- في جامع المهدي بالرصافة- نظام الملك، وزير السلطان السلجوقي محمد بن ملك شاه، فقال: "وإن كنت وزير الدولة، فأنت أجير الأمة؛ فأما في الدنيا ففي مصالح المسلمين؛ وأما في الآخرة فلتجيب عن الأمير ربَّ العالمين.."![1]

بهذه القيم والأخلاقيات، تنتهي دوامة العنف، وتصير الأمة كالجسد

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٤٣).

الواحد، ويعيش الناس في محبة ووئام وإخاء وسلام. وبهذه المنطلقات والمبادئ السلوكية، ترتقي الأمة إلى أعلى مراتب العزة والحضارة.

السؤال الخامس: يبدو لي أن الشباب في سورية يرجعون إلى الإسلام، والشابات يرتدين الحجاب. فهل هذا صحيح؟ وما السبب؟

الجواب: الإسلام هو ماء الحياة، والحياة لا تزدهر إلا بماء الحياة. وعندما يعود الناس إلى الإسلام رجالاً ونساء.. أطفالاً وشباباً، فهذا يعني تنامي الوعي والإدراك لحقائق الحياة.. وتنامي الشعور بالمسؤولية.. والإحساس بالخواء الروحي، الذي خلفته الحياة المادية والغريزية.. التي نعيشها.

فالإسلام ما أتى ليناصر المرأة فقط، بل ليناصر كل ذي حق.. ويعطيه حقه كاملاً. والحمد لله، نجد في سورية علماء يحسنون تقديم الإسلام وترجمته على نحو منهجي ومنطقي وحضاري. وعندما لامس الإسلام الحضاري عقول الشباب وقلوبهم- الذين ما يزالون صحائف بيضاء نقية، وهم مسلمون في الأصل- أقبلوا على معين الإسلام، ينهلون منه للتخلص من حال الجوع والعطش؛ لأنهم وجدوا في الإسلام وسيلة الخلاص والنجاة من حال الغرق في بحار الشهوات والماديات والغرائز الطاغية.. وبدأ الناس يتداولون التعاليم الإسلامية، ويحرصون عليها؛ لأنهم وجدوا فيها حياتهم وسعادتهم وكرامتهم.

فالإسلام يحرم المسكرات والمخدرات والزنا، وفي ذلك صحة الفرد والمجتمع الجسدية والنفسية، وكذلك الإسلام يحرم الظلم والعدوان، ويأمر بالعدل والإحسان، ويأمر بأداء الحقوق والقيام بالواجبات خير قيام، وعلى أتم وجه، وفي ذلك صيانة للموارد والثروات والكرامات، وتحقيق لما يحتاجه المجتمع من الأمن والأمان.

وكذلك أمر الإسلام بالتعاون والتعاطف والتراحم.. ومواساة الفقراء والمرضى والبائسين.. وبر الوالدين وصلة الرحم، يقول تعالى: ﴿... فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ...﴿٢٤﴾﴾ [سورة الإسراء]؛ وإذا ماتا، علمنا ربنا أن ندعو لهما بقولنا: ﴿.. وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الإسراء]. وقد «جاء إلى النبي محمد ﷺ جاهمة فقال: يا رسول الله: أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك. فقال ﷺ: هل لك من أم؟ قال: نعم. قال: فالزمْها، فإن الجنة تحت رجليها»[1]، وكانت آخر وصية لرسول الله ﷺ عند وفاته **قوله**: «استوصوا بالنساء خيراً»[2]، ومن توجيهات **رسول الله** ﷺ: «من كان له ثلاث بنات، فصبر على

(١) أخرجه النسائي عن معاوية بن جاهمة السُّلَمي، في كتاب الجهاد، باب الرخصة في التخلف لمن له والدة، برقم ٣١٠٤؛ وهو حسن صحيح.

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، برقم ٣٧٢٠.

لأوائهنّ وضرّائهنَ وسرائهن، أدخله الله الجنّة بفضل رحمته إيّاهن. فقال رجل: أو اثنتان يا رسول الله؟ قال ﷺ: أو اثنتان. فقال رجل: أو واحدة يا رسول الله؟ قال ﷺ: أو واحدة»[1]، وعن الخالة **قال** ﷺ: «الخالة بمنزلة الأم»[2].

وفي اعتقادي أن الإسلام كالماء البارد للعطشان، فهل يرفضه؟ وكالنور لمن يمشي في الظلام، فهل يمتنع عن قبول المصباح الكهربائي إذا قدم له؟ وهل يمتنع الغريق من أن يمسك بالحبل وبقارب النجاة إذا ألقي له؟.

وعلى حسب مشاهداتي وتجاربي مع كبار السياسيين في العالم، ما استطاع أحد منهم أن يرفض الإسلام بصفائه ونقائه، ولقد **قال** لي **نائب بريجنيف** في الكرملين: "إذا كان الإسلام ما أسمعه منك، فهذا شيء حسن". وبعد ما يقارب من ساعتين من لقائي مع **نائب رئيس الدولة في بلغارية** أيام الشيوعية، **قال** لي: "لقد أنعشتني روحياً". وعندما حدثته عن الحال المتداعية لمسجد صوفية، أمر بترميمه وإصلاحه

(١) أخرجه أحمد في مسند أبي هريرة ﷺ، برقم ٨٤٠٦، وهو حسن لغيره. وفي رواية: ‹بنات أو أخوات›. واللأواء: الشدة وضيق المعيشة.

(٢) أخرجه البخاري من حديث البراء ﷺ، في كتاب الصلة، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان وفلان بن فلان وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه، برقم ٢٥٥٢.

من فورهم. وفي زيارتي له بعد سنة، وجدت المسجد على أحسن حال، وكأنه الحمامة البيضاء.

إن من المهم- الآن- أن نحسن التعريف بالإسلام.. بالبلاغ المبين، والحكمة والموعظة الحسنة، وحسن الأداء والتوجيه والتعليم، والسعي إلى إيجاد القدوة الحسنة في كل زاوية وناحية ومجال، وبذلك تتحقق للإنسانية جميع الأماني والتطلعات.

(٣)

أسباب تخلف المسلمين

في عالمنا المعاصر[١]

(١) حوار مع سماحته، أجراه داود الماني، مراسل مجلة الوطن القطرية في دمشق، في ١٩٩٦/١٢/٢٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- واقع المسلمين في الزمن الحاضر، وفيه النقاط الآتية:

أ- واقع المسلمين ينتابه ضعف وتقصير في أكثر جوانبه.

ب-سبب الضعف يرجع إلى ضعف فهمنا لحقيقة الإسلام، وضعف الإيمان الحقيقي الذي يجب أن ينعكس إلى عمل.

ج- فهمُ المسلمين الأوائل لحقيقة الإسلام مع الإيمان الحقيقي جعلهم خير أمة أخرجت للناس، قامت فيها قومية واحدة: **قومية العلم والعقل والأخلاق.**

د- أمة الإسلام تقوم على قواعد حضارية، منها:

١- فرضية التعليم، ٢- العمل بالحكمة، ٣- التزكية والتربية.

هـ -يتخلف المسلمون بقدر بعدهم عن تلك القيم الحضارية.

و- النهوض بأمتنا من جديد يكمن في:

١- قراءة تاريخنا قراءة صحيحة وأخذ العبرة من الإنجازات والإخفاقات.

٢- الإفادة من الوسائل الحديثة في التعليم والإعلام لإعداد جيل النهضة.

٣- اختيار العلماء الأكفاء، ذوي الحكمة، الناجحين عملياً.

ز- مسؤولية النهضة تتحملها ثلاثة أصناف في المجتمع: الحكام، الأغنياء، العلماء الحكماء...

٢- مسألة تنامي الحركات الإسلامية المتطرفة وعواملها واستيعابها، فيها النقاط الآتية:

أ- غير صحيح قولنا: "تنامي الحركات الإسلامية المتطرفة"، بل نقول: "صحوة إسلامية متنامية"؛ لأن العالم المتقدم يشهد إقبالاً واسعاً على الإسلام.

ب- توجد جماعات متطرفة منتسبة إلى الإسلام، تمارس أساليب بعيدة عن روح الإسلام وجوهره ومقاصده.

ج- علينا دراسة أسباب هذا التطرف وينابيعه.

د- من أسباب نشوء هذه الجماعات:

١- عدم التعمق في علوم الشريعة ومقاصدها.

٢- ضعف التربية السلوكية.

٣- تغلب القيم السياسية على القيم الإسلامية.

٤- تحول الولاء من الإسلام إلى الجماعة، وظهور فلسفة الاستعلاء وإلغاء الآخر.

هـ - تتحمل الحكومات الإسلامية مسؤولية كبيرة عن ظهور هذه الجماعات نتيجة رد فعل على بعض التصرفات السلبية لهذه الحكومات؛ وكذلك تتحمل المسؤولية في معالجة أسباب هذه الظاهرة من خلال:

١- تفهم إحباط شباب المسلمين، بسب الضعف الشديد والتخلف اللذين تعانيهما الأمة وتسلط أعدائها عليها.

٢- استيعاب اندفاع الشباب، الذي يريدون العودة إلى أمجاد المسلمين.

٣- عدم سد المنافذ في وجه العمل الإسلامي الإيجابي، لأن ذلك يغذي التطرف.. فهناك شباب مندفع، ولكنه غير متطرف.. وبحاجة إلى ترشيد.

٤- محاورة هؤلاء المندفعين، وإعطاؤهم الفرصة للتعبير عن آرائهم.

هـ – من يذبح النساء والأطفال أيدٍ خفية، يحركها أعداء الإسلام... لأنه لا يوجد مسلم حقيقي يجرؤ على القتل من دون حق.

و– على الإسلاميين أن لا يتصادموا مع حكوماتهم الوطنية، ولا يستعجلوا النتائج.. حذراً من أن تشعل الأيدي الخفية الفتنة بينهم.

ز– على الجميع عدم الانشغال بالخلافات الجانبية عن مواجهة العدو الصهيوني وسياساته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص الحوار

✍ **السؤال الأول**: كيف تنظرون إلى واقع المسلمين في الزمن الحاضر؟ .

الجواب: واقع المسلمين- في أكثر جوانبه- ينتابه الضعف والتقصير، ولا سيما في ميدان العلوم والتقدم الاقتصادي والصناعي والتقني، وهذا الأمر لا يخفى على كثير من المسلمين، والسبب في ذلك يرجع إلى ضعف فهمنا لحقيقة الإسلام وأهدافه ومقاصده، وكذلك إلى ضعف الإيمان عامة، ذلك الإيمان الذي يُنتج ويُولد العمل.. والإيمان إذا لم ينعكس في حياة المؤمن إلى عمل فهو أماني وحديثُ نفس.. يقول تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ...﴿٧٨﴾ ﴾ [سورة البقرة].

إن المسلمين الأوائل لما فهموا الإسلام بحقيقته- على الرغم من

أنهم أُميّون- استطاعوا- بأقصر المدد وأبسط الأساليب- أن يحققوا نهضة عربية إسلامية شاملة.. بالإيمان وبفهم الإسلام تحولوا من قبائل متنافرة متناحرة إلى عباقرة، أنشؤوا أعظم أُمة عالمية في عصرهم، وحّدت إلى جانبها عشرات الأُمم الأُخرى على اختلاف القوميات واللغات، وصهروها في بوتقة واحدة، ليكونوا خير أُمة أُخرجت للناس.. أُمة عالمية قائمة على قواعد حضارية أوجدها الإيمان الحقيقي والفهم الصحيح للإسلام.. ومن تلك القواعد فرضية التعليم؛ فعلى العالِم أن يُعلِّم، وعلى الجاهل أن يتعلم بغير اختيار.. والتعليم مجاني.. ولا يحده زمان؛ فهو من المهد إلى اللحد.. ولا يحده مكان.. «اطلبوا العلم ولو بالصّين»[1]. ومن تلك القواعد العمل بالحكمة، والحكمة هي الإصابة في القول و العمل.. ومن تلك القواعد التزكية والتربية، أي: تخليص النفس الإنسانية من رذائلها وتحليتها بالفضائل؛ فلا حسد ولا غرور ولا تكبر، بل صاروا كما وصفهم **رسول الله** ﷺ **بقوله**: «فقهاء أدباء، كادوا يكونون أنبياء»[2].

فبالإسلام- عندما استقبله العرب بإيمان قلبي صادق عميق،

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، من حديث أنس رضي الله عنه، السابع عشر من شعب الإيمان (باب طلب العلم)، برقم ١٦٦٣؛ وقال (٢/ ٢٥٣): هذا الحديث شبه مشهور، وإسناده ضعيف، وقد روي من أوجهٍ ضعيفة يعضد بعضها بعضاً.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه، من حديث علقمة بن الحارث رضي الله عنه، حرف العين، برقم ٨٢٤٣.

وفهموه فهما صحيحا بجوهره وحقيقته- وصلوا إلى تلك المكانة العالية، وبنوا أعظم دولة في عصرهم، دولة انصهر الجميع فيها في قومية واحدة.. هي قومية العلم لا قومية الأرض واللغة.. قومية العقل الحكيم.. قومية مكارم الأخلاق.. تحت راية «مثل المؤمنين- في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم- مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»(١).

فهل المسلمون اليوم يحملون هذه القواعد الحضارية؟! هل يحملون الفهم الصحيح للإسلام بحقيقته وجوهره؟! إن واقع المسلمين اليوم مُتخلّف بقدر ما هم بعيدون عن هذه القيم الحضارية، التي صنعت مجدهم وقوتهم وعزتهم. ولكن ما الحل؟ **وكيف نستطيع النهوض بأُمتنا من جديد؟** .

بدايةً، علينا أن نقرأ تاريخنا قراءة صحيحة، لنستفيد من عبره، ونأخذ من دروسه كيف تنجح الأُمم.. كيف تنهض.. كيف تسقط الحضارات.. لنجتنب جميع ما يضر ويؤذي، ونُقبل على جميع ما ينفع ويُسعد.. ثم علينا أن نستفيد من الوسائل الحديثة- مثل التعليم والإعلام- لإعداد جيل الحضارة والنهوض.. ويجب أن نختار العلماء

(١) أخرجه مسلم عن النعمان بن بشير ﷺ، في كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم ٢٥٨٦.

الأكفاء.. قادة العلم والحكمة والتزكية، الذين أثبتوا جدارتهم وكفاءتهم، وحققوا النجاح على المستويات كافة.. فنضع الرجل المناسب في المكان المناسب. ومن هذا المنطلق، فإنني أضمن- خلال سنوات- أن يبدأ العالم الإسلامي حركة نهوض واسعة، من الضعف إلى القوة، ومن التفكك إلى الوحدة، ومن التخلف إلى التقدم والعزة والكرامة. **ويتحمل مسؤولية تحقيق هذا النهوض ثلاثة أصناف من الناس**، هم: الحكام والعلماء والأغنياء. فعلى حكام المسلمين أن يتجاوبوا مع هذه الحقيقة.. وعلى أغنياء المسلمين أن يبذلوا أموالهم في سبيل نهوض هذه الأُمة.. وعلى علماء المسلمين أن يُعلِّموا ويجددوا الإسلام- بحقيقته وجوهره- في نفوس المسلمين، ويقوموا ببناء الأُمة على مكارم الأخلاق وفضائلها.. وكما **قال الشاعر**:

وإنما الأُمم الأخلاق ما بقيت فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

هذا هو الواقع من جهة التشخيص.. ومن جهة الدواء.. ويبقى العمل.

✍ **السؤال الثاني**: هل الواقع الحالي المؤسف للمسلمين بداية النهضة أم نهاية لها؟ .

الجواب: هذا يتوقف على الإمكانات والوسائل والرجال، الذين

يقومون بأداء هذا الواجب. فعلى حسب كفاءة الطبيب وإعداد الأدوية المناسبة يكون الشفاء سرعة أو بطئاً.. وجوداً أو عدماً.. نفعاً أو ضرراً. وقد يُخطئ الطبيب.. أو يكون غير ذي أهلية، فينقلب الأمر بعكس ما يُراد له. فنهوض الأُمة مُرتبط بالإمكانات والوسائل والرجال.

إن الحل موجود.. والمنهج موجود، ولكنّ الأمر يتوقف على العمل، الذي ينبعث من دراسة واقع المسلمين وتحليله، ثم من تنامي الشعور بالواجب؛ فكل فرد من أفراد الأُمة يجب أن يتحمل مسؤولياته، وعليه أن يعمل في حدود طاقاته وإمكاناته، ولا سيما الحكام والعلماء والأغنياء؛ فعليهم- جميعاً- أن يسهموا ويشاركوا في أداء الواجب، لينالوا- جميعاً- شرف الدنيا والآخرة. وإذا صدقنا مع الله، صَدقنا الله تعالى. ومن يتعامل- بإخلاص- مع الله، لا يمكن إلا أن ينجح ويفوز، يقول تعالى: ﴿ ... إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ...٧ ﴾ [سورة محمد] ويقول تعالى: ﴿ ... وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ ...٥ ﴾ [سورة الروم].

السؤال الثالث: تتنامى الحركات الإسلامية المتطرفة على مستوى العالمين العربي والإسلامي، وفي دول العالم كافة. برأيكم، ما العوامل التي أبرزت هذه الظاهرة؟ وهل يمكن استيعاب هذه الظاهرة باتجاه إيجابي لخدمة الدولة والمجتمع؟ .

الجواب: بدايةً: أنا لا أُوافقك الرأي على تنامي الحركات الإسلامية المتطرفة في أنحاء العالم. أنا أقول: هناك صحوة إسلامية مباركة متنامية في أنحاء العالم. والعالم المتقدم- اليوم- يُقبل إقبالاً واسعاً على الإسلام والدخول فيه؛ لأن الكثيرين منهم يشعرون أن الإسلام يستجيب لحاجاتهم وأهدافهم. ولا يخفى على أحد أن الإسلام صار الدين الثاني في أكثر الدول الأوربية وأمريكة، وأنه الدين الأسرع انتشاراً في العالم. ولكن- من ناحية أُخرى- نلاحظ وجود جماعات متطرفة في أمكنة مختلفة، تنتسب إلى الإسلام.. وتمارس أساليب مخالفة لروح الإسلام وجوهره ومقاصده. والواقع علينا أن ندرس هذا التطرف، وينبغي أن نعرف ينابيعه وأسبابه. ومن هذه الأسباب: عدم التعمق في علوم الشريعة ومقاصدها، وضعف التربية السلوكية، وتغلب القيم السياسية على القيم الإسلامية، وتحول الولاء من الإسلام إلى الجماعة، وهذا أدى إلى ظهور فلسفة استعلاء ومحاولة إلغاء الرأي الآخر، والقناعة أنهم النخبة، وأن الآخرين ليسوا على شيء. ولكن من جانب آخر، فإن الحكومات في البلدان الإسلامية تتحمل مسؤولية كبيرة عن ظهور هذه الجماعات في رد فعل على بعض تصرفاتها السلبية؛ وكذلك تتحمل المسؤولية في معالجة أسباب هذه الظاهرة.

إن شعوبنا شعوب مسلمة مؤمنة، تبحث عن أمجادها، وتؤمن بتراثها؛ ثمة شباب مسلم يعرف ماضيه وما كان عليه من عظمة وعالمية

وتقدّم، ويرى- اليوم- حال الضعف والتقهقر والتمزق وتسلط الأعداء على هذه الأُمة، وجرّب النظريات والحلول كافة.. هذا الشباب- وغيرهم من أفراد أُمتنا- يريدون العودة إلى أمجادهم وقوتهم ودينهم.. وعلى الحكومات أن تستوعب هذا الاندفاع، وأن توجهه لمصلحة الدولة والمجتمع.. لا أن تحارب- بعنف- كل ظاهرة إسلامية إيجابية باسم مقاومة الإرهاب والتطرف. إن سدّ جميع المنافذ والأبواب في وجه العمل الإسلامي الإيجابي هو الذي يُغذي ينابيع التطرف والعنف.

وبالمقابل، هناك شباب مسلم مندفع.. متسرع وليس بمتطرف.. وهو بحاجة إلى من يُرشّد صحوته ويوجه مسيرته.. قد تنقصهم الحكمة.. وقد تنقصهم أشياء كثيرة.. مثل معرفة: كيف؟ ومتى؟ أين يبدؤون العمل لبناء مجد الأُمة الإسلامية، وهو هدف المجتمع الإسلامي كله؟ فمن وجهة نظري، أرى أن على الحكومات الإسلامية أن تستوعبهم وتلتقيهم بصدر رحب، وتحاورهم عبر العلماء الحكماء المتنورين، وتهيئ لهم الوسائل اللازمة، وتعطيهم الفرصة ليفصحوا عن آرائهم، وتترك لهم حيّزاً للتعبير.. كما تفعل مع الأحزاب العلمانية وغيرها. فمثلاً، كان على الحكومة الجزائرية أن لا تُلغي نتائج الانتخابات، فتحرم بعض الإسلاميين من حقهم بالفوز. ومن ناحية أُخرى، كان على هؤلاء أن يطالبوا بحقهم بالفوز بطريقة يوافق عليها المنهج الإسلامي، وأن لا يلجؤوا إلى وسائل القتل والتفجير، التي لا

يوافق عليها الإسلام أبداً.. وإنني أعتقد أن الذي يُنفذ ذبح النساء والأطفال ذبح النعاج هي الأيدي الخفيّة، التي يحركها أعداء الإسلام؛ لأنه لا يوجد إنسان مسلم- يؤمن بالله وباليوم الآخر- يقبل أن تُنفذ مثل هذه المذابح.. **والنبي** ﷺ **يقول**: «من أعانَ على قتلِ مؤمنٍ بشطرِ كلمة لقيَ الله يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيسٌ من رحمةِ الله »[1].

إن هذه المذابح تُنفَّذ باسم الإسلام من أعداء الإسلام ليصدوا الناس عن الإسلام.. وعلى الإسلاميين أن لا يتصادموا مع حكوماتهم الوطنية، وأن لا يستعجلوا النتائج، بل عليهم أن يتعاونوا مع حكوماتهم لبناء قوة الأُمة وعزتها، لنقف- جميعنا- في وجه العدو الصهيوني الإسرائيلي.. وعلينا أن لا ننشغل بالخلافات الجانبية، بل نوجه جميع الطاقات للدفاع عن الأرض والمقدسات والحقوق.. وعلى الحكومات أن يتقبلوا الشباب المسلم بصدرٍ رحب ويساعدوهم بدل أن يستفزوهم، وهذا الذي يحبه الله ورسوله ﷺ، ويُغيظ العدو ويُغضبه.. وبخلاف ذلك ستدخل الأيدي الخفية بين الطرفين وفي الطرفين.. لتشوه الإسلام، ولتزيد النار ضراماً.. حتى تتمكن من إضعاف مجتمعنا وتمزيقه، ومن ثم تستطيع تنفيذ أغراضها وأهدافها في بلادنا.

(١) أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب الديات، باب التغليظ في قتل مسلم ظلماً، برقم ٢٦٢٠. وقال الحافظ في التلخيص (٤/ ١٤): في إسناده ضعف.

(٤)

الإسلام والتحدي الحضاري المعاصر[١]

(١) حوار مع سماحته، أجراه مراسل جريدة القبس الكويتية في دمشق، في ٢٠/ ١٢/ ١٩٩٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- قدرة الإسلام على التحدي الحضاري ونمائه، وفيه النقاط الآتية:

أ- التحدي الحضاري في عالَم اليوم مادي، يؤمن الرفاهية للإنسان في مناحي الحياة المادية.

ب- الحضارة تتألف من مادة وروح وعقل وعلم، والاعتماد على المادة فقط كان له الأثر السلبي في حياة الإنسان.

ج- أي حضارة تقوم بها أمريكة بضرب مدينة بقنبلة ذرية تعرف مداها وأضرارها؟!

د- تجربة الإسلام في الحضارة بنت العالَم مادةً وروحاً وعقلاً وأخلاقاً.

هـ - لم يفتح الإسلام أبواب المادة أمام الإنسان بحيث يسعد على حساب الآخرين .. بل بجهده وعمله.

و- جاء الإسلام بجناحي العلم والأخلاق.. لأن العلم فيه مصلحة الإنسان.. والأخلاق تحجزه عن الاستعمالات السلبية.

ز- مسؤولية المسلمين كبيرة في نشر الإسلام في العالم المتقدم مادياً، ليتلقح تقدم الغرب بمبادئ الروح الإسلامية وأخلاقها.

ح- على المسلمين الخروج من تخلفهم المادي، وبناء مجدهم على أساس التقدم المادي الموجه بروحانية الإسلام.

٢- موقع الأمة الإسلامية من الدعوات القادمة من الغرب عن صدام الحضارات، وفيها النقاط الآتية:

أ- لا قدرة للأمة الإسلامية أن تقف في وجه الصراع المادي، لأنها لا تملك أسبابه.

ب- الحضارة الإسلامية تفاعلت مع كل الحضارات التي سبقتها حتى كان لها طابعها المميز.

ج- حضارة الغرب قامت على منطق القوة وشريعة الغاب واحتلال الدول، وما زالت الدول- التي تحررت- تدور في فلكها لغة وثقافة وسياسة واستغلالاً للموارد..

د- دولنا الإسلامية تنقسم إلى دول في فلك السياسة

العالمية.. ودول واقعة تحت الضغوط الدولية والمقاطعات وسياسة الحصار...

هـ -لا بد من تحقيق الذات من خلال الاعتماد على النفس في مواجهة التحديات.

و- لا بد من مبادرتنا الغرب بنشر دعوتنا وإجراء الحوار معه على يد دعاة أكفاء موهوبين.

٣- موقف المسلمين من دَمْغ الإسلام بالتطرف، وفيه النقاط الآتية:

أ- وصم الإسلام بالتطرف أكذوبة أطلقها الغرب، متعاوناً مع الصهيونية، للحد من نشاط الأمة الإسلامية في الدفاع عن الإنسان والأرض والمقدسات.

ب- تاريخ الغرب مؤسس على العنف.. وإبادة الهنود الحمر خير دليل. ولذا؛ هم يُسقطون ذلك علينا مع أنهم يمارسونه ضدنا في فلسطين.

ج- النظام العالمي الجديد يسكت عن ظلم الصهاينة لنا ولشعبنا.

د- تاريخنا المجيد لم يسجل واقعاً سلبياً في فتوحاته، وصورة الأندلس خير دليل وشاهد.

هـ - اليوم أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

٤- الإسلام الحق ثابت كالشجرة الثابتة، ولا بد لنا من العودة إليه. والعنف- الذي ينسب إلى الإسلام- مشبوه، غايته تشويه الإسلام، والإسلام بريء من كل عنف.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص الحوار

✍ **السؤال الأول:** يكبر التحدي الحضاري بوتيرة متسارعة وقوة ضاغطة. كيف هي- من وجهة نظركم- رؤية الإسلام إلى هذا التحدي؟ وما العمل؟ وما العدّة، التي علينا التزود بها لكي نشارك في بناء ذاتنا وبناء العالم؟ .

الجواب: إن التحدي الحضاري- الذي نراه اليوم على الساحة العالمية- إنما هو حضارة مادية.. تقوم على المنطق المادي المطلق، وتأمين الرفاهة للإنسان، كل على حسب مقدرته، إذ كان الإنسان يركب الدابة، فصار- اليوم- يستعمل الطائرة، وعلى هذه الوتيرة تندرج جميع شؤون الحياة.. في المسكن، والملبس، والمأكل، والمعالجة الدوائية للأبدان.

ولكن ليست هذه هي الحضارة بكاملها؛ فالمادة جزء من حياة

الإنسان، وأما الجزء الآخر فهو: الروح، والعقل، والفكر، والثقافة، كما يقول الله تعالى: ﴿... رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [سورة البقرة]، وكما **قال رسولنا محمد** ﷺ: «ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً»(١)، وكما **قال المسيح** عليه السلام: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان"(٢).

وهذه الحضارة المادية.. بتحديها في السباق الموصل إلى امتلاك نواصي المادة، كان لها أثر سلبي واضح في حياة الإنسان. فعندما ضربت أمريكة هيروشيما بالقنبلة الذرية، كان ذلك عن علم ومعرفة بالذرة وأثرها المدمر. وفي الحربين العالميتين قُتِلَ ما يزيد على ٥٠ مليون إنسان، فهل نسمي هذا حضارة؟ .

وأما الإسلام الحق- ذلك المجهول، ويا ليت العالم يعلم حقيقة الإسلام قولاً وتطبيقاً- فهو الدين الذي بنى الحياة المادية على أفضل ما تكون، وفتح أبواب الأمل في وجه الناس ليسلكوا جميع الدروب الموصلة إلى رفاهتهم وسعادتهم، كل بجهده وعمله، لا على حساب

(١) أخرجه الديلمي من حديث أنس رضي الله عنه، باب اللام، برقم ٥٢٤٩. وقال السيوطي في الجامع الصغير (٢/ ٢٥٠) بضعفه.

(٢) إنجيل متى: ٤- ٤.

الآخرين ومصالحهم، كما يفعل الغرب اليوم. ومع هذا البناء المادي، يسعى الإسلام إلى بناء الكيان الروحي والعقلي والأخلاقي في الإنسان.. ولذلك **قال رسولنا الكريم** ﷺ: «ليس منّي إلا عالم أو متعلّم»[1].. فقد جاء ﷺ يحمل العِلْم، والعلم هو ما كان في مصلحة الإنسان. ولذلك، لا بد لهذا العلم من أخلاق تحجزه عن الشر والاستخدام السلبي له، **قال رسول الله** ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2]. فالعلم والأخلاق جناحان متساويان، يطير بهما الإنسان إلى عوالم السعادة والرفاهة والخير. ولذلك، فعلى المسلمين مهمة كبرى، للقيام بواجب نشر الإسلام في العالم.. ولا سيما المتقدم مادياً، لتلقيح حضارته المادية بالمبادئ الأخلاقية والروحية في الإسلام، وذلك لتحصين هذه الحضارة من الشر والفساد وهدم القيم الفاضلة في الإنسان. ومن ناحية أخرى، على المسلمين الخروج من واقعهم المتخلف، والعمل على بناء مجدهم المعاصر القائم على التقدم المادي الموجه بروحانية الإسلام، وبذلك يَسعدوا ويُسعدوا، ويهتدوا ويقوموا بواجب الهداية.. الذي دعاهم الله- تعالى- إلى القيام به على أحسن وجه.

١) أخرجه الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما، باب اللام، برقم ٥٢٧٩.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة ﷺ، باب حُسن الخلق، برقم ٢٧٣.

✍ **السؤال الثاني:** ثمة دعوات في الغرب إلى صِدَام الحضارات وليس التحاور والتفاعل فيما بينها. في أي موقع نكون نحن؟ .

الجواب: الأمة العربية الإسلامية- اليوم- ليس في مقدورها أن تقف في وجه هذا الصراع المادي الدموي، لأنها لا تملك أسبابه، ولكن الحضارة الإسلامية استطاعت أن تتفاعل مع جميع الحضارات الفارسية والرومانية والهندية، فأخذت مناهج العلوم والمعرفة.. وترجمتها وطورتها حتى كان لها طابعها المميَّز.

إن حضارة الغرب- اليوم- قائمة على منطق القوة، الذي هو شريعة الغاب، وهذا ظاهر من القرن الخامس عشر، حين انطلقت دول أوربة لاستعمار الشعوب في آسية وإفريقية وأمريكة اللاتينية. وما زالت الشعوب- التي استعمرت سابقاً وتحررت لاحقاً- تدور في فلك تلك الدول.. لغة، وثقافةً، واستغلالاً للموارد، وتبعاً في المحافل السياسية.

وأين نحن اليوم؟ ثمة دول إسلامية تدور في فلك السياسة العالمية، وبعضها الآخر واقع تحت الضغوط الدولية والمقاطعات الاقتصادية والحصار للشعوب.

وإذا أردنا الانتصار في معركة تحقيق الذات، فلا بد لنا من الاعتماد على النفس لإحياء الشعوب الإسلامية، لنقف صفاً في وجه

جميع التحديات التي تواجهنا، وهذا ممكن وليس بالمستحيل. ومن ناحية أخرى، نحن نملك القدرة على المبادرة، من خلال: نشر الدعوة الإسلامية، وإقامة حوار مفيد مع الشرق والغرب؛ فالإسلام لديه الكثير مما يستطيع أن يقدمه في حوار الحضارات، ولا سيما إذا تهيأ له الدعاة الأكفاء الموهوبون.

إن الإسلام يملك الطاقات الفكرية والروحية والأخلاقية لإخراج الحضارة المادية من مأزقها، وتحويلها إلى حضارة إنسانية يشارك فيها الجميع.

✍ **السؤال الثالث:** يريدون دمغ الإسلام بالتطرف والعنف وجعلها صفة ملازمة له في المنشأ وفي المسار. ماذا نقول نحن؟ وماذا علينا أن نفعل؟

الجواب: إن وصم الإسلام بالتطرف والعنف أكذوبة أطلقها الغرب- بالتعاون مع الصهيونية- للحد من نشاط الأمة الإسلامية العربية في الدفاع عن الإنسان والأرض والمقدسات، وهذه عملية إسقاط،؛ فحياة الغرب- بداية من أمريكة- قائمة على العنف والتطرف، والدارس للواقع الأمريكي يرى أن الوافدين الأوربيين إلى تلك القارة قد أبادوا الهنود الحمر، واستوطنوا أرضهم، وأخذوا ثرواتهم. واليوم، أعاد الصهاينة هذه الجريمة في فلسطين، فشردوا شعباً آمناً في وطنه وأرضه، واغتصبوا الأرض، ودنسوا المقدسات.

وما زال القتل والاضطهاد والتدمير قائماً على مسمع الدنيا وبصرها، وبتأييد المنظمات الدولية.. التي صارت لعبة في يد النظام العالمي الجديد. وبالمقابل، ففي نظرة عابرة في تاريخنا الإسلامي- مع جميع الفتوح التي قامت بها جيوش المسلمين- نجد أنه لم يسجل التاريخ واقعاً سلبياً، وقد **قال أحد المنصفين من فلاسفة الغرب**: "فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً مثل دينهم"(١).

وصورة الأندلس صورة مشرقة، فقد بنى المسلمون فيها حضارة وثقافة، بقيت- إلى اليوم- شاهد عدل على أن الإسلام يبني ولا يهدم، يسامح ولا يحقد. ولكن المنكر صار- اليوم- معروفاً، والمعروف منكراً.

وسيبقى الإسلام شجرة ثابتة، أصلها ثابت وفرعها في السماء. وعلينا العودة إلى هذا الإسلام الحق، البعيد عن التشويه وأنصاف الحلول، وعن الإفراط أو التفريط.

وأما العنف- الذي ينفذ في بعض البلدان الإسلامية، ويُنسب إلى حركات إسلامية متطرفة- فإنه أعمال مشبوهة!!.. الغاية منها تشويه صورة الإسلام، وهي أعمال مدانة، والإسلام براء منها.

(١) شهادة المستشرق غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب، ص٦٠٥.

(٥)

الإسلام والقضايا المعاصرة[1]

(١) حوار مع سماحته، أجراه مراسل جريدة الخليج في الشارقة الإماراتية، في دمشق، في ١٩٩٧/١٢/١٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- الدعوة إلى الله واجب على كل مسلم ومسلمة، بالحكمة والموعظة الحسنة..

٢- الداعية يجادل بالأحسن لا بالحسن، ولا بد له من صفات، أهمها: الرحمة بالناس، الصبر، التجرد الخالص لله، التعاون مع الحاكم والنصح له.

٣- لا بد للداعية من اتباع سياسة الممكن.

٤- لا بد للعالم من أن يرث من رسول الله ﷺ الأخلاق، والعلم الصحيح، والعقل الحكيم، والصلة بالله، والصدق، والتواضع، والإيثار، وعدم التطلع إلى ما في أيدي الناس، والصبر....

٥- للأجهزة الإعلامية الحديثة دور كبير في إصلاح الفرد والمجتمع.. بل العالم، إذا استعملت على نحو هادف بناء، وخاطبت كل أمة بلغتها وفهم واقعها.

٦- لا تنافس بين العلماء في كسب الناس، بل في كسب مرضاة الله، والاختلاف بينهم في الوسيلة لا الهدف، والمطلوب التعاون والتنسيق في ما بين الجميع ليتكامل العمل على جبهة واحدة.

٧- مهمة الداعية التبليغ لا القتل والتدمير.. وما نراه من قتل وتدمير فناجمٌ عن جهل بالإسلام أو عن يد خفية تحرك عملاء باسم الإسلام.

٨- علاقة العالم بالحاكم علاقة تعاون لمصلحة البلاد... **وليس كل ما يطلبه العالم يمكن للحاكم أن ينفذه.. لتعقيد مصالح عالَم اليوم.**

٩- لقاء القادة في منظمة المؤتمر الإسلامي مفيد، وكي ينجح لا بد لكل حاكم من:

أ- تعيين مستشار له في الشؤون الدينية، مثلما له مستشارون في الشؤون الاقتصادية والعسكرية.

ب- التحول من المصالح الشخصية إلى المصالح العامة.

ج- وضع مصالح الشعوب قبل أي مصلحة أخرى.

د- وضع الخطط المناسبة خلال الزمن المناسب للنهضة..

هـ- الشعور بكونه أميناً على مصالح العباد أمام الله.

١٠- لا يمكن الاطمئنان للكيان الإسرائيلي والتطبيع معه ما دام يمارس القتل والتدمير والإرهاب.

١١- المخرج الوحيد من الأزمة مع الكيان الإسرائيلي هو إعادة الحقوق لأصحابها...

١٢- ما يفعله الكيان الإسرائيلي من بناء للمستوطنات لتهويد القدس مخطط له منذ البداية، ومدعوم من القوى العالمية.

١٣- للباطل جولة، ولكن الله يحق الحق.. إذا ما تحرك أهل الحق بتخطيط وعمل صادق.

١٤- رمضان حجة على الإنسان في أنه يستطيع أن يحقق ما يريد إذا وجدت الإرادة.. والتعامل مع الله يبدأ من فعل الإنسان، ثم يعطيه الله ويرضيه..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص الحوار

السؤال الأول: لكم تجربة عريقة في الدعوة، تمتد بضعة عقود. فأي الطرق هي الأصوب والأسلم في الدعوة؟

الجواب: الدعوة إلى الله واجب كل مسلم ومسلمة، أخذاً من قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ...﴿١٠٨﴾ ﴾ [سورة يوسف].

وقد رسم الله ﷻ لرسوله ﷺ- وهو الداعي الأول- منهج الدعوة لإيصال الخلْق إلى باب الحق، فيقول تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ...﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة النحل]، ولاحظ استعمال كلمة الأحسن وليس الحسن؛ ثم لابد للداعي من أن يكون

طيب النفس رحيماً بالناس، ولهذا يقول تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ... ﴿١٥٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران]؛ ثم لا بد من الصبر والتحمل، يقول تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ... ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الكهف]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ ...﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة الأحقاف]؛ ثم التجرد الخالص لله- تبارك وتعالى- واتباع قاعدة: **"إلهي أنت مقصودي، ورضاك مطلوبي"**؛ ثم التعاون والنصيحة مع الحاكم، وهذا مطلوب شرعاً من أجل صالح الأمة والوطن، فعن **النبي** ﷺ **قال:** «الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1]؛ ثم اتباع **سياسة الممكن**؛ فإذا وصلت إلى بعض الشيء، أفضل من لا شيء... وهناك أمور أخرى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها.

✍ **السؤال الثاني:** ما صفات العالم والمرشد؟ وهل ثمة أخلاق مميزة يجب أن يتصف بها لكسب الناس إلى الإسلام؟.

الجواب: العالِم المسلم هو وارث لرسول الله ﷺ، أخذاً من **قول النبي** ﷺ: «إن العلماء ورثة الأنبياء»[2]. ورسول الله قدوة كل مسلم،

(١) أخرجه مسلم عن تميم الداري ﷺ في كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة برقم ٢٠٥.
(٢) أخرجه الترمذي، من حديث أبي الدرداء ﷺ، في كتاب العلم، باب فضل الفقه على العبادة، برقم ٢٦٨٢ مكرر؛ وهو صحيح.

ويجب أن يتحقق في العالم المرشد أمور، منها: العلم الصحيح، العقل الحكيم، الصلة بالله.. وهي التقوى، مع الصدق والتواضع، وإيثار الآخرة على الدنيا، وعدم التطلع إلى ما في أيدي الناس، قال ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك»[1]، مع الصبر وعدم اليأس؛ لأن اليأس هو عقيدة الكفر.. ﴿...إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة يوسف].

السؤال الثالث: هل يمكن للأجهزة الحديثة- كالدشّ- أن تلعب دوراً في الدعوة وتنقية النفوس؟.

الجواب: الأجهزة الحديثة من مذياع وتلفاز.. والآن الفضائيات والصحافة والإعلام، هي خير وسيلة إلى إصلاح الفرد والمجتمع، بل إصلاح العالم، إذا استعملت على نحو صحيح.. وعرضت حقائق الإسلام من غير تفريط أو تعصب أو تشنج.. وخاطبت كل أمة باللغة التي تفهم.. مع فهم واقع الشعوب وتفكيرهم. ولذا، نحن لا نخاف الغزو الثقافي الفكري، ما دمنا نخطط ونعمل ونملك منهج الله الذي هو

(١) أخرجه ابن ماجة من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ، في كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، برقم ٤١٠٢. وقال النووي عقب هذا الحديث: أخرجه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة [انظر: حاشية السندي (٧/ ٤٦٢)].

الفطرة، التي فطر الله عليها الناس، يقول تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ... ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة الملك].

السؤال الرابع: نلاحظ أن لكل عالم وداعية أتباعه ومريديه. إلى أي حد يمكن أن يكون التنافس بين العلماء مفيداً للتلاميذ والمريدين؟

الجواب: أنا أقول: ليس هناك تنافس بين العلماء على كسب الناس، وإنما التنافس والتسابق هو لكسب مرضاة الله تعالى.. وتنفيذ واجب العمل في سبيل الله. قد نختلف في الأسلوب والوسيلة، ولكن الهدف والغاية واحدة، ولا مانع من ذلك أبداً.

وكذلك اتباع قاعدة: "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ونعذر بعضنا بعضاً ونتناصح ونتحاور فيما اختلفنا فيه"[1]، يحسم كثيراً من الأمور. فبالاحترام المتبادل مع المحبة، نضع الناس في طريق واحدة، ونحسم كثيراً من المشكلات. وأرى أن بعض الأتباع المتعصبين- بسبب الجهل- هم سبب الخلاف.

والمطلوب- منا جميعاً- أن ننسق ونتعاون على خدمة دين الله،

(١) أول ما وردت هذه العبارة في صيغة قريبة منها في أعداد مجلة المنار لصاحبها الداعية محمد رشيد **رضا** وكان يسميها القاعدة الذهبية لوحدة المسلمين، وينسبها إلى شيخيه: جمال الدين **الأفغاني** ومحمد **عبده**.

وأن ينهض كل واحد منا بجانب من العمل المطلوب على امتداد جبهة العمل الإسلامية.

✍ **السؤال الخامس**: بعنوان الإسلام، لا تزال بعض الفئات تقوم بالقتل والتدمير، ضد المسلمين- كالجزائر- أو الأجانب -كمصر- على السواء. ماذا تقولون في هؤلاء، ولا سيما الذين يقتلون السياح؟.

الجواب: إن الإسلام حصر القدرة على الهداية بالله، يقول تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ...﴿٢٧٢﴾ ﴾ [سورة البقرة]، وهناك آيات وآيات تدل على هذا المعنى. وأعلن الإسلام أنه ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ...﴿٢٥٦﴾ ﴾ [سورة البقرة]، وهذا البيان ظهر بوجود القرآن الكريم وإرسال الرسول العظيم ﷺ، مع وجود العقل الذي يحاكم الأمور ليصل إلى الأفضل. من هذا كله، نجد أن مهمة الداعي إلى الله هي تبليغ رسالة الله، بالأسلوب الذي ذكرت؛ وأما القتل والتدمير، فهذا لا يرضى به الإسلام ولا يقرّه أبداً. وإن ما نراه- اليوم، على الساحة الإسلامية- من مظاهر الإرهاب والعنف هو من أناس اندفعوا بجهل وعدم معرفة وعلم بالإسلام، هذا على افتراض أنهم يعملون بدافع من ذواتهم؛ وأما المصيبة الكبرى إن كان هؤلاء- الذين يسفكون الدماء، ويقتلون الأبرياء من أي ديانة أو قومية أو جنس- هم اليد الظاهرة لمن يحركهم في الخفاء- من وراء ستار- من

أعداء الإسلام والمسلمين، وقد **قال أحدهم**: "لن نستطيع أن نقضي على شجرة الإسلام إلا بغصْن منها".

✍ **السؤال السادس**: ما حدود العلاقة بين العالم المسلم والسياسيين في الحياة المعاصرة؟.

الجواب: إن العلاقة بين العالِم المسلم والحاكم المسلم علاقة تعاون من أجل مصلحة العباد والبلاد، وقد ورد حديث عن **رسول الله** ﷺ **يقول**: «الإسلام والسلطان أخوان، لا يصلح واحدٌ منهما إلا بصاحبه، فالإسلام أمين والسلطان حارس، وما لا أمين له مُنهدم، وما لا حارس له ضائع»[1]. فليس جميع ما يطلبه العالم من الحاكم، يمكن للحاكم تنفيذه؛ لأن العالَم- اليوم- صارت مصالحه مترابطةً معقدة. ويكون الحاكم- أحياناً- مطلعاً على أمور لم يطلع عليها العالم؛ فالتعاون يجب أن يكون أساس العلاقة بينهما، إذا ما خلصت النوايا والأعمال.

✍ **السؤال السابع**: كيف تنظرون إلى لقاء القادة في منظمة المؤتمر الإسلامي؟ وكيف السبيل إلى تضامن حقيقي بينهم؟.

الجواب: إن لقاء حكام المسلمين في مؤتمرات القمة الإسلامية

(١) أخرجه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما، باب الهمزة، فصل في الإسلام، برقم ٣٩٦. والأس هو الأساس.

جيد مفيد، ولكن من المفروض أن يكون لكل حاكم مستشار للشؤون الدينية، ومن اللازم أن يكون من عقلاء العلماء وحكمائهم، ليعطي رأي الإسلام في أي مشكلة يبحثها حكام المسلمين، كما يعطي كل مستشار رأيه في السياسة والاقتصاد والشؤون العسكرية.

ولا يمكن تحقيق التضامن بين الحكومات الإسلامية إلا إذا تحولنا من المصالح الشخصية إلى المصالح العامة، ووضعنا نصب أعيننا مصالح شعوبنا وأجيالنا. ولا بد من وضع الخطط المناسبة خلال الزمن المناسب، لتحقيق نهضة شعوبنا اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وعسكرياً، وأن نكون الأمناء على مصالح العباد تجاه رب العباد.

✍ **السؤال الثامن:** ما تزال مسألة العلاقة مع العدو الإسرائيلي موضع تردد من بعضهم، ومثال ذلك مؤتمر الدوحة. كيف تنظرون إلى ما يسمى التطبيع مع إسرائيل؟.

الجواب: إن التطبيع مع الكيان الإسرائيلي لا يمكن أن يخدم الدول العربية والإسلامية، لأن هذا الكيان قام من البداية على الإرهاب والقتل والتدمير وسلب الأرض. وما زالت هذه السياسة قائمة لم تتبدل؛ فكل يوم نسمع عن القتل وهدم البيوت وقصف الطائرات للمدن والقرى. فكيف يمكن الاطمئنان إلى هذا الكيان، وأن نوجد معه علاقات، وأن نسير معه باتجاه التطبيع؟!

ولذلك، فإن قضية التطبيع- إن حدثت- تبقى قشرة وصورة، وليست من الحقيقة في شيء؛ لأن الوطن لا يمكن أن ينساه أهله، والذين قتلوا ظلماً وعدواناً لهم مكانتهم في قلوب أهليهم وأقربائهم ومواطنيهم، ويبقى الظلم أصعب شيء على النفوس. والمخرج الوحيد هو إعادة الحقوق إلى أهلها، وإرضاء الذين ظُلموا وعُذبوا واضطهدوا.

✍ **السؤال التاسع**: لا يزال الكيان الإسرائيلي ماضياً في بناء المستوطنات وتهويد القدس. هل ترون أن الموقف الإسلامي الحالي بحجم هذا الاعتداء؟.

الجواب: إن ما يفعله الكيان الإسرائيلي من بناء المستوطنات وتهويد القدس إنما هو مخطط له من البداية. وإن هذا الكيان أضعف من أن يفعل ذلك، ولكن القوى العالمية- التي تسانده- هي التي تعطيه هذا الاندفاع؛ فالمعركة ليست مع هذا الكيان وحده، ولكن مع القوى التي وراءه، وهي الولايات المتحدة وحلفاؤها. ولكني أقول: للباطل جولة، يضمحل بعدها.. ويحق الله الحق، عندما يتحرك أهل الحق بتخطيط وعمل صادق، وهذا ما نأمله من قادة العالم الإسلامي في مؤتمرهم في طهران.

✍ **السؤال العاشر**: كلمة توجيهية بمناسبة شهر رمضان المبارك؟.

الجواب: رمضان شهر الإقبال على الله- تعالى- بالصيام والصلاة

والزكاة والأعمال الصالحة. ويأتي رمضان ليقيم الحجة على الإنسان بأنه عندما يريد، يستطيع أن يحقق جميع ما يريد؛ فالطعام هو من مقومات حياة الإنسان، وعند وجود الإرادة يترك طعامه وشرابه وكل مشتهيات نفسه. وهكذا، يستطيع الإنسان بهذه الإرادة أن يحقق كل شيء.

ورمضان هو شهر تغيير العادات.. وتبديل ما درج عليه الإنسان، كي يملك أمر نفسه.. ولا تحكمه عادة مهما كانت وكيف كانت، وهذا هو مفتاح تغيير الواقع السيِّئ إلى واقع أحسن وأفضل، وعن هذا يقول ربنا جل وعلا: ﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ... ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الرعد].

فالوصول إلى الأفضل يبدأ من فعل الإنسان أولاً، وهذا هو قانون الله ﷻ حين يقول: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [سورة البقرة].. ويقول تعالى: ﴿ ... وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ... ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة البقرة]. فالتعامل مع الله ﷻ يبدأ من فعل الإنسان واختياره، وبعدها يعطيه الله ويرضيه. وهكذا، في جميع أمور الدنيا: يزرع، ثم يحصد.. وقد قيل: "من جدّ وجَد". وكذلك الآخرة، فمن عمل صالحاً وجد صالحاً، ومن عمل سوءاً وشراً وجد عقوبة وعذاباً.. ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الزلزلة]، وهذا في الدنيا والآخرة.

ورمضان شهر الرحمة والبر، **والرسول** ﷺ **يقول**: «الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[1].

وأخيراً، أبارك للأمة الإسلامية بشهر رمضان، وأرجو الله أن يجعلنا فيه من المقبولين، وأن يعيده علينا وقد تحققت آمال أمتنا بالنصر والتقدم والازدهار.

(١) أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، في كتاب البر والصلة، باب رحمة المسلمين، برقم ١٩٢٤، وقال: حسن صحيح.

(٦)

موقف الإسلام من القنوات الفضائية[1]

(١) حوار مع سماحته، أجراه مراسل جريدة البيان الإماراتية في دمشق، في ١١/ ١/ ١٩٩٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- أهمية الإعلام في مواجهة التحديات المصيرية التي تواجه الإنسانية.

٢- التساؤل عن مدى معالجة الفضائيات لهذه التحديات وعن الخطة المرسومة لمعالجتها.

٣- ضرورة وجود برامج ترفيهية بما يتلاءم مع فطرة الإنسان وبالقدر المناسب؛ وأما إضاعة الوقت في ما لا يفيد فمرفوض.

٤- لزوم احترام القائمين على الفضائيات العقل العربي والإسلامي من خلال تأدية رسالة بناء المجتمعات على حسب القواعد الصحيحة.

٥- التساؤل عن دور خبراء الدين والنفس والاقتصاد ... في

دراسة واقع مجتمعاتنا ومشكلاتنا ووضع الخطط الإعلامية لتقديم ما تحتاج إليه مجتمعاتنا؛ إضافة إلى ما هو مطلوب منا للإسهام في بناء الحضارة البشرية من خلال نشر قيم الحضارة الإسلامية.

٦- عدم إنكار وجود برامج مفيدة، لا يعني إغماض أعيننا عن البرامج السيئة المفسدة للطبائع والقيم والأخلاق.

٧- وجوب تقويم الناتج الإعلامي للميزانيات الهائلة التي تنفق وبيان أثره في منحى السلوك العام.

٨- بيان الخطاب الإعلامي في القرآن والسنة الهادف إلى الارتقاء بالحياة والإنسان إلى أعلى درجات السعادة.

٩- لزوم إدراك خطورة الكلمة وأثرها في سلوك الإنسان ومصيره في الدنيا والآخرة.

١٠- العجب من أمة تلهو وتلعب والعدو على بابها.. العجب من أمة تغني وترقص وتضيع أوقاتها وأبناؤها يذبحون في فلسطين وغيرها.

١١- حث رجال الأمة- من كل فاعلياتها- على العمل على مواجهة الغزو الإعلامي الهدام.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثانياً: نص الحوار

السؤال: ما الموقف من سياسة الفضائيات العربية بعد التوجهات المعارضة للبرامج المتَّهَمَة بالإباحية وتجاوز الأخلاق والتقاليد العربية الإسلامية؟ .

الجواب: تواجه الإنسانية تحديات مصيرية، تتمثل في: انتشار الفقر والبطالة، والعنف والإرهاب، واشتعال الحروب الأهلية والعرقية، والأوبئة الاجتماعية المتمثلة في: اتساع ظاهرة الطلاق، وانهيار الأسرة، والتشرد، والانحرافات والشذوذات، والمخدرات، وتفشي الجريمة؛ إضافة إلى تحدي تلوث البيئة، واختلال توازنها، وما ينتج عنه من كوارث طبيعية. ومن هنا، تبرز أهمية الإعلام في مواجهة هذه التحديات، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وإصلاح ما يمكن إصلاحه، للحفاظ على الحياة واستمرار نموها، وتخفيف معاناة الإنسان والإنسانية.

وموقف الإسلام من الفضائيات العربية خاصة.. والعالمية عامة.. يتمثل- ببساطة- في السؤال الآتي: هل تعالج هذه الفضائيات الإشكالات- التي ذكرناها وغيرها- على نحو فاعل؟!

هذا إذا كان هناك- بالأساس- خطة مرسومة واضحة.. موضوعة من مؤسسات يشرف عليها خبراء.. كل اختصاص على حدة.. لمعالجة هذه الإشكالات الخطِرة.

إننا لا ننكر أن البرامج التلفازية الإعلامية يجب أن يكون لها رسالة ترفيهية للناس، والإسلام يتلاءم مع طبيعة الإنسان وفطرته، ويعالجها بموضوعية وواقعية.. ولذلك، كان **نبينا محمد** ﷺ **يقول**: «روّحوا القلوب ساعة بساعة»[1]، وكان ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً، وكان يمازح أصحابه، ويدخل السرور على نفوسهم وأرواحهم. ولكن بالمقابل لا يقبل الإسلام أن تصير أكثر أوقاتنا لهواً ولعباً ولا يقبل الإسلام أن تصير بعض برامجنا رقصاً وغناءً ماجناً وإفساداً للإنسان. ولو رجعنا إلى برامج الفضائيات العربية، فما نسبة البرامج الموجهة لمعالجة المشكلات التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، مقارنة ببرامج الغناء والرقص، أو بالموضوعات التافهة التي ليس لها غرض إلا ملء ساعات البث؟!

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب عن أنس ﷺ، الباب الرابع، فصل روّحوا القلوب ساعة بساعة، برقم ٦٧٢؛ وهو ضعيف.

إنني أعتقد أن من واجب القائمين على هذه الفضائيات أن يحترموا العقل العربي والإسلامي على نحو أفضل، وأن يؤدوا رسالة مهمة في إعادة بناء وتكوين المجتمعات العربية والإسلامية على قواعد صحيحة تمليها الوقائع، ويخطط لها الخبراء والمختصون الحكماء، وليس تجار البرامج.. الذين تحركهم أهداف عدة.. أحسنها الربح التجاري على حساب وقت أجيال هذه الأمة ومستقبلهم.

أقول: أين مؤسسات الخبراء من علماء الدين والنفس والاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية والتنمية، التي تدرس- بدقة- حال مجتمعاتنا وأمراضنا ومشكلاتنا، وترسم الخطط بما يتناسب مع الواقع داخلياً وعالمياً؟! فضلاً على ما هو مطلوب منا أن نقدمه للعالم وللإنسان أينما كان، إسهاماً منا في بناء الحضارة والمستقبل السعيد للإنسانية، والله- تعالى- يقول في القرآن الكريم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [سورة الأنبياء].

أين خططنا في نشر ثقافتنا وحضارتنا الروحانية؟ ثقافتنا التي صار العالم- اليوم- أحوج ما يكون لها، حتى صرنا نسمع نداءات- من هنا وهناك- من علماء الاجتماع في العالم الغربي، يستصرخون ويستغيثون لإخراج مجتمعاتهم من المستنقع المادي المتكالب الذي سقطوا فيه، حتى فقدوا شعورهم بواقعهم الإنساني، وسيطر الجفاف الروحاني عليهم،

فراحوا يلتجئون إلى المخدرات، سعياً وراء نشوة يعوِّضون بها ما فقدوه من روحانية، وهروباً من واقعهم، ولكنهم كالمستجير من الرمضاء بالنار!

إننا لا ننكر أن هناك برامج مفيدة تُبَثُّ عبر الفضائيات؛ ولكننا لا نستطيع بالمقابل أن نغمض أعيننا عما يجري في أكثر هذه الفضائيات، وما توجهه من رسالة صارت لا تخفى على الإنسان العادي، فضلاً على المختص.

إننا إذا ما لاحظنا الميزانيات الهائلة التي تنفق على صناعة الإعلام وتقنيته- مقارنة بالناتج الإعلامي في مختلف المجالات- وجدنا الحاجة باتت ماسة إلى تقويم الواقع، وأثره في منحى السلوك العام عربياً وإسلامياً، وأثر ذلك في واقع الحياة ومستقبل تطورها.

وإذا ما أدركنا مسؤولية الإنسان- أيّـاً كان موقعه- في حمل الأمانة وأدائها على حسب التكليف والخطاب الإلهي، وإذا ما تناولنا هذا الخطاب الإلهي في القرآن الكريم والحديث النبوي الموجه إلى الإنسان، وجدنا فيهما خطاباً إعلامياً سامياً.. يهدف إلى الارتقاء بالحياة والإنسان إلى أعلى درجات السعادة، يقول تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [سورة طه]، ويقول تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [سورة الرحمن]. وهذا يفيد أن الإنسان المؤمن بالله قادر على البيان، وأن حقيقة البيان

الإلهي هو كشف الحقائق للإنسان من أجل أن يستفيد منها ويتناغم معها، لتحقيق سعادته على الأرض، وخلوده في عالم الآخرة، من خلال الالتزام بقوانين صيانة الحياة والحفاظ عليها.. ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [سورة النحل]. وقد تضمن البيان والخطاب الإلهي تنمية العقل الإنساني، الذي هو وسيلة النجاة والنجاح، يقول تعالى: ﴿ ... قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

ولا بد لنا من أن ندرك خطورة الكلمة.. التي هي صوت ومعنى وفعل، وأثرها في سلوك الإنسان المُسْتَخْلَف على البيئة والحياة، يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة إبراهيم]، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة الأحزاب]، **وقال رسول الله** ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى لها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في

النار»[1]. ومما ورد عن خطورة الكلمة- التي هي دعامة البيان والخطاب الإنساني والإعلامي- **قول أحدهم**: "إن الإنسان يدخل جنة الأرض والسماء بكلمة التوحيد، ويخرج منها إلى الجحيم بكلمة الكفر، ويبني أسرة بكلمة، ويهدمها بكلمة، ويبيع ويشتري بكلمة، وتقوم الحروب الطاحنة الساحقة بكلمة، وتنطفئ نيران الفتن والحروب بكلمة".

وأما ما نراه أحياناً من لهو ولعب وعبث بالأجيال وعواطفهم وأحاسيسهم.. وما يترتب على ذلك من هدر في الأوقات والثروات.. وما ينتج من ذلك من ضعف ووهن عام في جسد الأمة وروحها.. وانسلاخ الإنسان العربي المسلم عن تراثه وحضارته والعيش بعيداً عنها بشخصية مضطربة، فإن محصلة ذلك كله تكريس للجاهلية والتخلف في وجه عدو يتربص بنا الدوائر، وقد نهانا تعالى عن ذلك بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة الأعراف].

عجباً لقوم- والعدو ببابهم- كيف يغرقون باللهو واللعب؟! عجباً لقوم كيف يقضون أوقاتهم بالرقص والغناء الماجن وتضييع الأوقات، وأبناء أمتهم يذبحون ويقتلون في فلسطين وجنوب لبنان

(١) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، برقم ٢٣١٤؛ وقال: حسن غريب.

ومناطق كثيرة في العالم؟! عجباً.. عجباً.. وما أكثر ما يتعجب منه الإنسان في عالمنا اليوم! .

إنني لأهيب بالعلماء ورجال الإعلام والسياسة والمال العمل لمواجهة الغزو الإعلامي الهدام، وتحصين الأمة.. والحفاظ على الهوية.. وحماية الأجيال والمستقبل والكرامات. وما أحوجنا إلى إعلام راشد يصلح ما أفسدته السنون، ويعمل وفق خطط علمية واضحة، لإعادة بناء مجد الأمة وعزها، وتقدمها وازدهارها.

(٧)

الدعوة الإسلامية المعاصرة[1]

(١) حوار مع سماحته، أجراه مراسل جريدة البيان، التي مقرها دبي الإماراتية، في دمشق، في ١٩٩٨/١٢/٢٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- قدرة الداعية على الاستمرار في عمله بوتيرة عالية، وفيه النقاط الآتية:

- شروط يجب أن يتصف بها الداعية إلى الله تعالى:
  - المعرفة بالله من طريقي العقل والقلب.
  - إخلاص النية لله.
  - الاعتقاد بأنه مبلِّغ، والهداية من الله.
  - اتباع أسلوب الدعوة في القرآن، ويتلخص في أربع مراحل:

أ- الدعوة إلى الله دعوة خالصة له سبحانه، لا لشخص أو جماعة أو مصالح شخصية.

ب- الدعوة بالحكمة.

ج- استخدام الموعظة الحسنة مع الخلق كلهم.

د- الحوار الإيجابي البناء.

• كيف يعمل الداعية وسط الأجواء المناقضة لما يدعو إليه؟ وفيه:

أ- بالحكمة والوعي يستطيع الداعية الوصول إلى قلوب الناس وعقولهم.

ب- حاجة الناس إلى الداعية القدوة أكثر من حاجتهم إلى الشعارات والنظريات.

ج- وصف حال دعوة الرسول ﷺ، عندما بدأها مع أجواء متناقضة مع دعوته، وبيان نجاحه خلال مدة وجيزة.

٢- تفسير سماحته للمستقبل الزاهر للإسلام على الرغم من التحديات، وفيه:

أ- لا خوف على الإسلام، لأنه دين محفوظ بحفظ الله.

ب- الإسلام هو الدين الأسرع انتشاراً في العالم.

ج- المشكلة في ابتعاد المسلمين عن الواقع الإسلامي العملي.

د- تحميل العلماء والحكام مسؤولية تراجع المسلمين عن حقيقة إسلامهم.

هـ- كلمات الترجيع والحوقلة لا تفيد إلا مع العلم والتخطيط والعمل على رصد محاولات الأعداء كلها.

٣- موقف سماحته من مد الصحوة وجزرها، وفيه:

أ- الصحوة الإسلامية حقيقة ملموسة.

ب- ثمة إسلاميون لم يعرفوا حقيقة الإسلام بدقة، ولم يتقنوا الحكمة، ويتسرعون في قطف الثمار قبل نضجها، وهذا يؤثر سلباً في الصحوة الإسلامية.

ج- **الخطأ بالصبر خير من الخطأ في النتائج.**

٤- جهود مجمع الشيخ كفتارو في مساعدة مسلمي العالم وبخاصة مسلمي آسية الوسطى، وفيه:

أ- التآخي والتلاقي في الإسلام يفرض مد يد العون إلى الشعوب الإسلامية.

ب- بيان الخطوات العملية التي قدمها المجمع لهذه الشعوب.

ج- خروج تلك الشعوب بنتيجة جيدة في مواجهة الغزو الثقافي والفكري والإعلامي، والحفاظ على هويتهم الإسلامية.

٥- موقف سماحته من امتلاك المسلمين الأسلحة النووية، وفيه:

أ- الإسلام يدعو إلى عالم خالٍ من أسلحة التدمير الشامل، من أي نوع كان.

ب- الإسلام يطالب المسلمين بإعداد القوة الرادعة لأعدائهم.

ج- القوى المعادية تقوم على الظلم، وهذا يوجب على المسلمين امتلاك القوة.. التي تدفع عنهم الظلم وتقيم العدل بين الشعوب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص الحوار

✍ **السؤال الأول:** كيف يستطيع الداعية الاستمرار في عمله بوتيرة عالية، من خلال تجربتكم التي تزيد على ستين عاماً؟

الجواب: إن من يحمل أمانة الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، لا بد له أولاً من التعرف إلى الله تعالى. وتكون المعرفة من طريقين اثنتين: الأولى طريق العقل والتفكر بما خلق الله تبارك وتعالى.. ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ ...﴿١٩١﴾ ﴾ [سورة آل عمران]، والطريق الأخرى هي طريق القلب المطمئن بكثرة ذكر الله تبارك وتعالى، يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الرعد]. **وقال رسول الله** ﷺ: «ألا وإن في الجسد

مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[1].

بعد هذه المعرفة لا بد من إخلاص النية في العمل لله تبارك وتعالى.. ﴿ ... مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ... ﴿٥﴾ ﴾ [سورة البينة]. ومن إخلاص النية لله- عز وجل- أن لا ينتظر الأجر والثواب إلا من الله ﷻ، الذي يعمل الداعي ابتغاء مرضاته.

ولابد للداعي من أن يعتقد أن الهداية بيد الله، وإنما هو مبلّغ عن الله.. اقتداء برسول الله ﷺ.. ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ... ﴿٩٩﴾ ﴾ [سورة المائدة]، فالداعية إنما يقوم بعمل الدعوة أداءً للواجب الملقى على عاتق كل مسلم ومسلمة، أخذاً من الآية الكريمة: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ... ﴿١٠٨﴾ ﴾ [سورة يوسف]، فكل متبع لرسول الله ﷺ عليه العمل بالدعوة إلى الله تعالى.

ثم لا بد من اتباع أسلوب الدعوة الذي دعا إليه القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ

(١) أخرجه البخاري من حديث النعمان بن بشير ﷺ، في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، برقم ٥٢.

بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة النحل]. فبمنطوق هذه الآية الكريمة نجد أن هناك أربع مراحل يجب أن يسلكها الداعي إلى الله:

١- أن تكون الدعوة إلى الله- تعالى- خالصة صادقة.. ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾.. لا أن يكون العمل في ظاهره دعوة إلى الإسلام، وفي حقيقته دعوة إلى شخص أو جماعة.. أو مبدأ غير الحق.. أو للرياء والظهور والادعاء.

٢- أن تكون الدعوة بالحكمة، وهي المنطق العقلي بداية؛ لأن كل إنسان يملك العقل، ومنطق العقل هو البداية للإقناع وتحقيق الحق؛ ثم يسير الداعي مع الحكمة لفعل ما ينبغي.. في الوقت الذي ينبغي.. وعلى الشكل الذي ينبغي.

٣- الموعظة الحسنة، وهي الكلمة الطيبة التي تنطلق من واقع المحبة والصدق، لا بمنطق الكراهية والتعصب. ويجب أن تكون الموعظة الحسنة للخلق كلهم، حتى مع الذين يُظن فيهم عدم قبول الهداية، يقول تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا...﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة طه]. فلمن هذا القول اللّين؟ إنه لفرعون!!

٤- ثم ﴿... وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ... ﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة النحل]، وليس بالحسنى فقط، وهذا هو الحوار الإيجابي البناء، ومن خلال هذا الحوار يمكن الوصول إلى الحق والخير.

بعد هذا، إذا لم يصل الداعية إلى إقناع الطرف الآخر بعد الجهد والمحاولات، فيتركه لنفسه ولله تبارك وتعالى؛ لأن الله هو أعلم بالضالين، الذين لا يمكن أن يصلوا إلى الهداية.. ويعلم المهتدين الطائعين، يقول تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ ...﴿٢٧٢﴾ ﴾ [سورة البقرة].. وما على الداعية إلا العمل المخلص، والنتائج على فضل الله.. ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ ...﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة التوبة].

السؤال الثاني: تقومون بالدعوة من خلال المحاضرات الأسبوعية والمشاركة في المؤتمرات، إلى جانب مهمة الإفتاء. كيف توفقون بين العملين اللذين يحتاج كل منهما إلى التفرغ له؟ .

الجواب: لما كان عمل الإفتاء والدعوة إلى الله – تبارك وتعالى– ينطلقان من مشكاة واحدة.. وهي العمل الإسلامي، فكل منهما مكمل للآخر؛ فالإفتاء بيان وإيضاح للأحكام الشرعية المتعلقة بأحوال الناس وقضاياهم. والمحاضرات والمؤتمرات– أيضاً– بيان وإيضاح لما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، لبناء الفرد والأسرة والمجتمع والعالم على أسس سليمة.. ضمن منهاج الله تبارك وتعالى. فالمنطلق واحد والهدف واحد، ولو اختلفت الوسائل والسبل والتسميات.

ولاشك أن حمل العملين معاً أمر يحتاج إلى الكثير من الجهد والوقت والصبر. نسأل الله الإعانة والتوفيق.. ﴿ ...وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ... ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة هود].

السؤال الثالث: كيف يستطيع الداعية العمل وسط الأجواء المتناقضة مع ما يدعو إليه، سواء في المجتمعات الإسلامية أو الغربية؟

الجواب: لا بد للداعية من أن يمتلك من الحكمة والوعي ما يستطيع به الوصول إلى عقول الناس وقلوبهم؛ فالحكمة- التي هي فعل ما ينبغي.. على الشكل الذي ينبغي.. في الوقت الذي ينبغي- هي من الأسس الأصيلة في عمل الدعاة. وهكذا، وصف الله- تبارك وتعالى- مهمة الأنبياء، يقول تعالى- في الآية الثانية من سورة الجمعة- عن سيدنا محمد رسول الله ﷺ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ ... ﴾.. وهذا بيان لآثار قدرة الله الدالة عليه سبحانه في الكون والخلق والإبداع..﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾.. ليجعل أرواحهم وقلوبهم طاهرة صافية، ليكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى، لا لدنيا يريدها، ولا لمصلحة شخصية يسعى إليها..﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾.. وهو القرآن بما اشتمل عليه من عقيدة وتشريع ومعاملات وأخلاق..﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾.. وهي الإصابة في القول والعمل، حتى يستطيع بها الوصول إلى إقناع الطرف الآخر.

أضف إلى ذلك، أن من بدَهيات الدعوة أن يتحقق الداعية بالأفكار والمبادئ التي يدعو إليها عملاً وسلوكاً؛ لأن الناس- في زحمة الدعوات والأفكار والمبادئ المتناقضة في هذا العصر- يحتاجون إلى صورةٍ عملية صادقة أكثر من حاجتهم إلى الشعارات والنظريات والخطب الرنانة.

وحين بدأ رسول الله ﷺ دعوته، كانت جميع الأجواء متناقضة؛ فهو صوت الإيمان والحق في ساحات الكفر والشرك والوثنية؛ ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة والقدوة، استطاع أن يخترق جميع مظاهر الشرك والوثنية، واستطاع ﷺ- بمدة وجيزة من عمر الزمان (ثلاث وعشرين سنة)- أن يوجد "عقيدة" ما زالت قائمة.. أصلها ثابت وفرعها في السماء، و"أمة" هي خير أمة أخرجت للناس، و"دولة" امتد سلطانها العادل من الشرق إلى الغرب.

✍ **السؤال الرابع**: تؤكدون- في أحاديثكم- أن للإسلام مستقبلاً زاهراً، وهذا المستقبل يبدو مقبلاً تارة.. ومبتعداً تارة أخرى، على حسب الوقائع. ما تفسيركم لهذا الاقتراب والابتعاد، في وقت نتشوق فيه إلى مجتمع إسلامي قوي في وجه التحديات الخارجية؟

الجواب: بداية لا خوف على الإسلام، لأنه دين محفوظ بحفظ الله تبارك وتعالى.. ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الحجر].

وكم تعددت المحاولات لتزوير الكتاب الكريم أو تحريفه، والقضاء على الإسلام في مهده، أو نزعه من قلوب المسلمين، ولكنها كلها باءت بالفشل؛ إذ نجد الحفظ الإلهي ظاهراً في كل زمان ومكان من عالم الإسلام؛ فأطفال المسلمين يحفظون القرآن ذكوراً وإناثاً، في جميع العالم الإسلامي، عرباً كانوا أو غير عرب. وكذلك السنة الشريفة- وهي المصدر الثاني- قد اعتنى بها العلماء المسلمون- من لدن الصدر الأول وإلى يومنا هنا- بياناً وبحثاً وتوثيقاً.

وهناك إقبال عالمي على الإسلام، نشهد ملامحه في العالم الغربي وغيره، حتى صار الإسلام الدين الأسرع انتشاراً في العالم، وصار الدين الثاني في أكثر الدول الأوربية، ويُقبل عليه كبار العلماء والمفكرين..

ولكن المشكلة في المسلمين الذين ابتعدوا عن واقع الإسلام العملي، أمراً ونهياً والتزاماً بالمراد الإلهي من القرآن والسنة. وأنا- هنا- أُحَمِّل علماء المسلمين وحكامهم مسؤولية تراجع المسلمين عن حقيقة إسلامهم، فكما ورد في **الحديث**: «الإسلام والسلطان أخوان، لا يصلح واحدٌ منهما إلا بصاحبه، فالإسلام أمين والسلطان حارس، وما لا أمين له مُنهدم، وما لا حارس له ضائع»[1]. ولا أحمِّل أعداء الإسلام

(١) أخرجه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وأخرجه السيوطي بمعناه في جمع الجوامع (رقم الحديث ١٠١٢٢)، وعزاه للديلمي، وسنده ضعيف [انظر: الفردوس للديلمي (١/١١٧)].

أي مسؤولية، لأنهم ينطلقون من مصلحتهم وأغراضهم في عداء الإسلام، وهذا دأبهم من فجر الإسلام الأول. فلما وُجد الدعاة الحقيقيون، ذهبت جهود أعداء الإسلام أدراج الرياح.

والسؤال المطروح: ماذا نحن فاعلون لصد هذا العدوان في وقتنا الحاضر؟ إن كلمة لا حول ولا قوة إلا بالله وحدها لا تفعل شيئاً، وإن كلمة إنا لله وإنا إليه راجعون وحدها لا تفعل شيئاً؛ بل بالعلم والعمل والتخطيط والالتزام والصدق والإخلاص يمكن صد محاولات الأعداء كلها.

✍ **السؤال الخامس**: تثار قضايا عدة بين حين وآخر من غير الإسلاميين، كمسألة "الحسبة".. ولا نسمع رأيكم حول ما يثار. هل ذلك نتيجة ترفع عن الخوض في حوار مع هؤلاء، أم عدم وصول القضية إليكم؟.

الجواب: إن كثيراً من القضايا- التي يتناولها أفراد من الناس، وهم ليسوا من أصحاب الاختصاص- إنما تثير مشكلات في مجتمع المسلمين، نحن في غنى عنها. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على المسلمين عامة وأهل العلم خاصة.. ومن كان آمراً بمعروف، فليكن أمره بمعروف، من أجل الوصول إلى الهدف.. وامتثال أمر الله تبارك وتعالى.. ﴿ ... تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ... ﴿١١٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

✍ **السؤال السادس:** شهد العالم الإسلامي- منذ سنوات- ما أطلق عليه تعبير الصحوة الإسلامية، ويبدو أن هذه الصحوة بين مد وجزر. ما تفسيركم لهذا الوضع؟.

الجواب: إن الصحوة الإسلامية- في واقع الأمة الإسلامية- حقيقة نلمسها في إقبال الشباب والشابات على دراسة الإسلام، والالتزام بأحكامه في ظاهر الجسد وحقيقة الروح. ولكن بعض الإسلاميين- الذين ما عرفوا الإسلام على حقيقته وأهدافه، وما أتقنوا الحكمة المتلازمة مع الحكم الشرعي- يتصرفون بما يعود على الإسلام والمسلمين- أحياناً- بالضرر لا بالفائدة. وأرى أنهم يستعجلون الثمرة قبل نضجها؛ فلا بد من دراسة الواقع من جميع جوانبه، مع التحمل والصبر، **ولأن نخطئ بالصبر خير من أن نخطئ في تحقيق النتائج.**

✍ **السؤال السابع:** تقومون- من خلال جمعية الأنصار ومجمعكم الإسلامي- بمد يد العون والإرشاد لمسلمي آسية الوسطى. ما أشكال العون؟ وما النتائج التي حققتموها في مواجهة تغلغل هيئات غير إسلامية بينهم؟

الجواب: يفرض الإسلام على المسلمين التلاقي والتآخي والتعاون. ولذلك يقوم مجمعنا بالتواصل مع الشعوب الإسلامية، التي كانت ترزح تحت حكم الاتحاد السوفييتي السابق.. قبل انهيار

الشيوعية، بوسائل وأساليب وطرق متعددة، من أجل العمل على استعادة المكانة الرفيعة التي أرادها الله- تعالى- لعباده الصالحين، وقد تم ذلك على الشكل الآتي:

١- إنشاء اتفاقات علمية وثقافية مع الإدارات الدينية والجامعات والمعاهد والمراكز الإسلامية المنتشرة في تلك البلدان، تتضمن تقديم منح دراسية جامعية للطلاب والطالبات على السواء، ويحظون عندنا بالتعليم والسكن والطعام مجاناً.

٢- افتتاح دورات تأهيلية صيفية باللغات العالمية، مدة كل دورة ثلاثة أشهر، شارك فيها المئات من الأئمة والخطباء والمدرسين القائمين بالشعائر الدينية وواجبات الدعوة الإسلامية في تلك البلدان.

٣- افتتاح عشرات الصفوف في دورات صيفية في مدن تلك الشعوب وبلداتهم وقراهم، لتعليم القرآن الكريم وأحكام الشريعة الإسلامية.

٤- إرسال عدد من المكتبات أو المطبوعات الإسلامية إلى الإدارات الدينية والمراكز الإسلامية.

٥- إرسال الكثير من المدرسين والدعاة للقيام بواجبات الدعوة الإسلامية هناك.

وكان من نتائج ذلك- إضافة إلى جهود الآخرين من المخلصين والمهتمين من أنحاء العالم الإسلامي- أن استطاعت تلك الشعوب النهوض والوقوف في وجه الغزو بأشكاله الفكرية والثقافية والمادية والإباحية ، واستطاعت الحفاظ على هويتها الإسلامية.

✍ **السؤال الثامن:** ما يزال موضوع امتلاك الأسلحة التدميرية (كالقنبلة الذرية) مثار نقاش ساخن، وترفض الدول الكبرى أن تمتلكه دولة إسلامية، على حين تسمح به لدولة تقوم على أرض مغتصبة (وهي إسرائيل). ما موقفكم من أسلحة التدمير الشامل؟ ومن امتلاك المسلمين لها؟.

الجواب: استناداً إلى مفاهيم الشريعة، يدعو الإسلام إلى عالم لا يوجد فيه أسلحة تدمير شامل من أي نوع كانت؛ لأن هذه الأسلحة تفتك بأعداد هائلة من المدنيين الأبرياء، ويهلك الحرث والنسل، وهذا لا يتفق مع مقاصد شريعتنا الإسلامية. والله- تبارك وتعالى- يطالب المسلمين بإعداد القوة الرادعة لأعدائهم، الذين يريدون بهم الشر والسوء، يقول تعالى في الآية الستين من سورة الأنفال: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ... ﴾.. وكلمة قوة نكرة حتى تفيد العموم، ولكن قيد تعالى هذه القوة بوصف.. ﴿ ... تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ... ﴾.. فالسلاح يختلف من زمن إلى آخر؛ فكان القتال قديماً بالسيف والرمح، وصار-

الآن- بالصواريخ.. التي تدمر الإنسان وحضارته، ولكن القوى المعادية- التي ملكت زمام الأمور في العالم- لا تقوم على العدل، بل على الظلم، والواقع المشاهد أعظم دليل على ذلك.

فعلى المسلمين أن يمتلكوا القوة، التي تدفع عنهم الظلم، وتحمي أرضهم وعقيدتهم. وكذلك عليهم أن يمتلكوها ليقيموا العدل بين الشعوب، ويناصروا المظلومين والمستضعفين في الأرض.

✍ **السؤال التاسع**: يبقى شهر رمضان عامل وحدة للمسلمين في العبادة والتقاليد الرمضانية الاجتماعية. كيف ينعكس هذا الفعل المادي على نفوس المسلمين بالتربية والتهذيب؟.

الجواب: شهر رمضان شهر الخير والإيمان، يحرك ضمائر المسلمين ليؤدوا طاعة الله- تعالى- بالصيام والصلاة والقيام، وما يتبع ذلك من البر والصلة والصدقة وأداء الزكاة. من هنا، نجد أن اللهُ- تبارك وتعالى- قد جعل في هذا الشهر المبارك من التأثير ما يشمل العالم الإسلامي كله. ويفرض رمضان نفسه على الفرد بالتزام التقوى لله في قوله وفعله وتصرفاته؛ ويفرض نفسه على الأسرة باللقاء عند الإفطار والتزاور وإظهار المحبة؛ ويفرض نفسه على الأمة بأجمعها بالبر والإحسان، ومساعدة الفقراء والمساكين، والأرامل والأيتام، مع الحضور إلى المساجد في الليل والنهار.. حتى إن رمضان يفرض نفسه على وسائل

الإعلام.. من إذاعة وتلفاز وصحافة، فنرى البرامج الدينية والتاريخية والتوجيهية التربوية.

إذن، لرمضان أثر بالغ في مجتمع المسلمين؛ ولكن من المفروض أن يتخرج المسلم في مدرسة الثلاثين يوماً وقد حمل شهادة التقوى لله تبارك وتعالى، كما ذكرت الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [سورة البقرة].

فالحكمة من الصيام الوصول إلى حقيقة التقوى، وإلا يكون العمل مجرد جوع وعطش، وليس هذا ما أراده الله منا. ولذلك، **قال رسول الله** ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[1].

وشهر رمضان هو موسم الدعاة الهداة، لينشطوا في مسالك الدعوة الإسلامية، بعد أن تهيأت قلوب المسلمين لتقبّل الهدى والخير، في أجواء تهيمن عليها نفحات الإيمان، ولا سيما أن كثيراً من أبواب السوء والشر قد أُوصد، ببركة هذا الشهر العظيم.

(١) أخرجه البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور، برقم ١٨٠٤.

(٨)

الدعوة وأحداث معاصرة[١]

(١) حوار مع سماحته، أجراه مراسل جريدة الشرق الأوسط اللندنية، في دمشق، في ١٩٩٨/١٠/٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- الدعوة الإسلامية تمر في وقت حرج، لكثرة الصعوبات، والنهاية ستكون للحق.

٢- الإسلام محفوظ بحفظ الله، ويبقى العمل على المسلمين.. ولا سيما العلماء والحكام.

٣- بتعاون العلماء الحكماء مع الحكام الرحماء نضع أساس إصلاح المجتمع.

٤- لا أحد في العالم يرفض قيم الإسلام، لأنه يتجاوب مع الفطرة والعقل والعلم.. والمشكلة في من لا يحسن عرضه.

٥- مجمع الشيخ كفتارو يعد الطالب ليكون داعياً حاملاً العلم والحكمة والقلب المزكى مع التدريب والممارسة.

٦- تشويه صورة الإسلام يعود إلى: جهل المسلم، وقيام من ليس أهلاً بالدعوة، ودوائر معادية تقوم بإبراز هذا التشويه من خلال مأجورين.

٧- من يستغل الشباب للعنف يخطئ بحق الإسلام ويسيء إليه، لأن الإسلام يبني ولا يهدم.. يحيي ولا يقتل.

٨- الإسلام يسعى إلى الوصول إلى الحقيقة من خلال ثلاث طرق: المنطق العقلي، الكلمة الطيبة، الحوار الإيجابي.

٩- السيف رفعه المسلمون دفاعاً عن النفس والعقيدة.. ضد المتكبرين المعتدين.

١٠- ظاهرة التخلف طارئة على المسلمين، لأن الإنسان المسلم ليس أقل كفاءة من غير المسلم.

١١- سيطرة الغرب على مقدرات المسلمين- بسبب ضعفهم- تمنع أهل البلاد من استثمار إمكاناتهم. إضافة إلى التقصير الذاتي على المستويات كافة.

١٢- الغرب سخر المنظمات الدولية للضغط على العالم الإسلامي واستغلاله.

١٣- التخلص من التخلف يكون بـــ: نشر العلم، والعمل، والتضحية، وكل ما يلزم التنمية البشرية؛ فالإنسان هو أساس النهضة.

١٤- صراع الحضارات تحركه المصالح والأطماع.

١٥- الحضارة قاسم مشترك بين كل الشعوب، ولو اختلفت مظاهرها.

١٦- حضارة الإسلام استفادت وأفادت العالم أكثر من عشرة قرون.

١٧- المذاهب لا يمكن الاستغناء عنها، لأنها تفتح أبواباً واسعة لاحتواء قضايا الإنسان.

١٨- نبذ التعصب المذهبي.. وعلينا أن نعود إلى مصطلحات القرآن والسنة التي توحّدنا، وأن نأخذ من المذاهب الاجتهادية ما يوافق المصلحة العامة للمسلمين.

١٩- لا يجوز تكفير إنسان مسلم من غير دليل، والنصوص تؤكد ذلك.

٢٠- الفتوى تُدعم بالدليل الشرعي وأقوال السلف والخلف.

٢١- من يبتعد عن الواقع في فتاويه، يخالف صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان.

٢٢- الإسلام فتح باب الاجتهاد في أمور الحياة، لأنه أراد سعادة الإنسان ومصلحته.

٢٣- العمل للخطاب الموحد يحتاج إلى جهود كبيرة، ويمكن اختصارها بالأخذ بمبدأ: العمل فيما اتفقنا عليه، والعذر والنصح والحوار فيما نختلِف عليه.

٢٤- مجامع الفقه ومجالس البحوث يجب أن تتسع للجوانب الدعوية، لأن في ذلك خطوة إلى توحيد الخطاب.

٢٥- التجديد يعني التمسك بحقائق الإسلام وتبيينها للناس، وتنقيحها مما شابها من أخطاء، وليس التفريط بهذه الحقائق بأي ذريعة كانت.

٢٦- الأمة الإسلامية ولود بعلمائها المجتهدين.. والمجتهد لا بد له من معرفة علوم القرآن والسنة واللغة العربية والتفسير والعلوم اللازمة الأخرى...

٢٧- للعلماء دور كبير- قديماً وحديثاً- في إيقاد الروح المعنوية المقاومة لأعداء الأمة.

٢٨- الحوار بين الرسالات السماوية ضرورة لتحقيق السلام في العالم، بالحكمة والجدال بالتي هي أحسن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص الحوار

✍ **السؤال الأول:** كيف ترون مستقبل الدعوة الإسلامية في عالم اليوم؟ وما السبل الكفيلة بتجاوز العقبات التي تعترضها؟

الجواب: تعيش الدعوة الإسلامية- اليوم- وقتاً حرجاً، وتواجه صعوبات وعقبات كثيرة، وليس هذا بالشيء الجديد؛ لأن الصراع بين الحق والباطل.. والنور والظلام.. أمر طبيعي. ولكن النهاية كانت وما زالت، وستكون للحق. وكما نعلم، فإن الإسلام- الذي مصدره القرآن والسنة الصحيحة- محفوظ بحفظ الله.. ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الحجر]. وتبقى المشكلة في المسلمين. فإذا التقى العالم الحكيم والحاكم العادل الرحيم، فنكون قد وضعنا أساس إصلاح المجتمع المسلم.. بالعلم والمعرفة، بالنصيحة والتربية؛ لأن الإسلام هو

دين الحياة، والإنسان هو الإنسان، ولو اختلف الزمان والمكان، ولو تبدل أسلوب الحياة.

✍ **السؤال الثاني**: لكم باع عظيم في مجال الدعوة، يزيد على نصف قرن من العطاء، ولكم دور خاص في دعوة القيادات العالمية شرقاً وغرباً. فما انطباعاتكم عن تقبل الغير للإسلام؟.

الجواب: من خلال جولاتي في العالم.. ولقاءاتي بالقيادات السياسية والعلمية، وجدت أن الإسلامَ الحقَ هو مطلب جميع الناس، ولم أجد أحداً يرفض قيم الإسلام العظيم، الذي يتجاوب مع الفطرة الإنسانية.. ومنطلقات العقل والعلم، ويتوافق مع متطلبات الإنسان في الحياة الكريمة. ولكن القضية تكمن في من يعرض الإسلام، وكيف يعرض الإسلام. فإذا أحسنا عرض الإسلام وتقديمه بنقائه وصفائه للناس، فإن الناس سيقبلون عليه؛ لأنهم سيجدون فيه حلاً لكثير من مشكلاتهم، التي يعانونها في عالمنا المعاصر.

✍ **السؤال الثالث**: تديرون جامعة إسلامية في مجمعكم. فما أبرز أنشطة هذه الجامعة؟.

الجواب: يضم مجمعنا المراحل التعليمية الشرعية كلها: الإعدادي والثانوي والجامعي والدراسات العليا. ونقيم كل سنة:

دورات عالمية للأئمة والخطباء والمدرسين الدينيين، وقد وصل عدد الدول المشاركة- العام الماضي (١٩٩٧)- إلى ٤٢ دولة.

ودورات لتحفيظ القرآن الكريم، وقد وصل عدد المشاركين إلى ٧١٣٣ طالباً وطالبة.

وكذلك نقدم منحاً دراسية مجانية للطلبة من أنحاء العالم، وقد وصل عدد المنح إلى ١٨٥ منحة.

ونقيم اتفاقات ثقافية مع المراكز الإسلامية والإدارات الدينية في مختلف أنحاء العالم.

ويهتم المجمع بإعداد الطالب- من المراحل الأولى- روحياً وتربوياً، لأن طالب العلم يجب أن يتحقق في شخصه أربعة أمور ضرورية، ليحسن حمل الرسالة والدعوة الإسلامية، هي:

العلم الصحيح، مع التمكن.

العقل الحكيم الذي يوازن بين الأمور، ليضعها على الشكل الذي ينبغي.. والوقت الذي ينبغي.

القلب، الذي يملك الصلة بالله - تبارك وتعالى- ذكراً وحباً وطاعة وخشية.

التدريب العملي على مستلزمات الدعوة، من الخطابة والتدريس وفنون قيادة الناس نحو الإيمان بالله تعالى.

✍ **السؤال الرابع:** كيف يمكن للمسلمين تصحيح صورهم المشوهة؟ وفي رأيكم، مَن سبَّب هذا التشويه؟

الجواب: أجل، توجد هذه الصورة المشوهة في بعض قطاعات المسلمين، حيث الجهل والفقر والتخلف، ولكن كما أخبر **الرسول الكريم** ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»(١).

وأرى أن سبب هذا التشويه هو- أولاً- جهل المسلم بإسلامه، ثم وجود من يعملون في ساحة الدعوة وليسوا أهلاً لها؛ وأيضاً الدوائر المعادية، التي تعمل على إبراز هذا التشويه من خارج حدود الوطن الإسلامي، باستخدام المأجورين والانتهازيين في كتاباتهم وتصرفاتهم.

✍ **السؤال الخامس:** يلجأ بعض العاملين في مجال الدعوة إلى شحن الشبيبة بالحماسة السياسية.. وبروح العنف ضد إخوانهم في المجتمع. فهل هذا هو المنهج الصحيح في معالجة الأمور؟ وما الطريق الفضلى في رأيكم؟

(١) أخرجه مسلم عن ثوبان ﷺ، في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، برقم ٥,٥٩.

الجواب: إن الذين يستغلون عواطف الشباب للقيام بأعمال العنف في الوطن والعالم الإسلامي، يخطئون بحق الإسلام ويسيئون إليه؛ لأن الإسلام جاء ليبني لا ليهدم، وليحيي لا ليقتل، وليعمر لا ليدمر. والدارس لحياة الدعوة الإسلامية- من خلال سِيَر رسول الله ﷺ والصحابة الكرام- يرى أن الإسلام ما دعا إلى القتل والعنف، بل كان دائماً يسعى إلى الوصول إلى الحقيقة من خلال مراحل ثلاث:

بالمنطق العقلي، ثم بالكلمة الطيبة، ثم بالحوار الإيجابي.

وحينما رفع الإسلام سيفه، فإنما كان ذلك دفاعاً عن النفس والعقيدة ضد المعتدين المتكبرين.

✍ **السؤال السادس:** المسلمون يعانون تخلفاً كبيراً في جميع المجالات. ولمّا كنتم من مفكري هذه الأمة، فما أبرز مظاهر تخلف المسلمين؟ وكيف السبيل إلى الخروج منها؟.

الجواب: إن ظاهرة التخلف في العالم الإسلامي أمر عارض؛ فليس الإنسان المسلم بأقل كفاءة ومعرفة من الإنسان غير المسلم في الغرب أو الشرق، حيث الإبداع والاختراع. ولكن الغرب الذي استطاع أن يسيطر على مقدرات المسلمين في أرضهم وثرواتهم في حال ضعفهم؛ ما زال يضغط بكل ما أوتي من قوة- في جميع المجالات:

السياسية والاقتصادية والعلمية- كي يمنع أهل البلاد من استغلال إمكاناتهم، وثرواتهم المادية والبشرية؛ وصار يملك الوسائل الهائلة، التي تجعل المنظمات الدولية- على اختلاف اختصاصاتها- أداة ضغط على العالم الإسلامي واستغلال له، والواقع شاهد على ذلك.. نراه ونعيشه.

وهذا لا يمنعنا من تأكيد وجود تقصير ذاتي على المستويات كافة.

وللخروج من التخلف، يجب أن نعمل على نشر مبادئ العلم والمعرفة والعمل والتضحية وكل ما يستلزم التنمية البشرية؛ فالانسان هو أساس النهضة. ولذا، علينا أن نقوم بتربية الإنسان المسلم وإعداده إعداداً صحيحاً، ليكون قادراً على الإسهام في الحضارة الإنسانية بالروح الإسلامية.

✍ **السؤال السابع**: هناك نظريات تتحدث عن صراع الحضارات، من خلال ما عصف بالمسلمين ويعصف. كيف تقيِّمون هذه النظريات؟ وهل المستقبل يخبئ صراعات للمسلمين مع الحضارات الأخرى؟.

الجواب: إنني أرى أن صراع الحضارات إنما يقوم على تحقيق المصالح؛ لأن الحضارة- التي تعني الثقافة والمعرفة، والعمل على الاستقرار والأمن والعطاء- إنما هي قاسم مشترك بين جميع الناس على اختلاف العصور والأزمان، ولو اختلفت مظاهر حضارات الشعوب، ولكن الصراع إنما تحركه المصالح والأطماع.

ولذلك، نحن نرى أن الحضارة الإسلامية قد أخذت من تجارب الشعوب في العلم والمعرفة، واستفادت مما ينفع الناس، ثم استطاعت هذه الحضارة أن تقدم للشعوب نظريات ومبادئ جديدة كان لها كبير الأثر في التقدم من النواحي العلمية والتقنية والأخلاقية. ومن هنا، شهد كثير من المهتمين بحركة الحضارات أن فتحَ الإسلام كان فتحاً إيجابياً من أجل نهضة الإنسان وخدمة الإنسانية كلها. ولذلك، قال أحدهم: "فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً مثل دينهم"[1].

✍ **السؤال الثامن**: عُرف عنكم أنكم من دعاة العودة إلى إسلام ما قبل المذاهب. فما السبل إلى تحقيق هذا المشروع؟.

الجواب: لست من دعاة إلغاء المذاهب لأن المذاهب في الفقه الإسلامي إنما هي آراء واجتهادات تفتح أبواباً واسعة لاحتواء قضايا الإنسان ومشكلاته، في معظم نواحي الحياة، وهي تراث الأمة الإسلامية، ولا يمكن إلغاؤها أو الاستغناء عنها، وإنما المطلوب هو عدم التعصب المذهبي، كما كان سائداً في أوقات مضت من التاريخ، وهذا دعا بعض علماء المذاهب إلى أن **يقولوا**: "كل نص يخالف مذهبنا فهو

(١) حضارة العرب لغوستاف لوبون، ص٦٠٥.

إما منسوخ أو مُؤَوَّل"[1]، بل نأخذ من المذاهب الاجتهاد الذي يوافق المصلحة العامة لجميع المسلمين. وقد ذكر العلماء أن "العامي لا مذهب له"، والعامي هو الذي لم يصل إلى مرتبة الاجتهاد أو ترجيح الدليل؛ وأما إلغاء أقوال المذاهب وما فيها من حلول لمشكلات الإنسان فهذا غير ممكن؛ لأن المذاهب هي مثل الصيدليات.. التي تحوي الدواء لحل المشكلات الإنسانية المرضية، وكذلك آراء الفقهاء السابقين والمعاصرين يمكن أن تتسع لمشكلات الإنسان في هذا الزمان.

وكي نستطيع أن نصل إلى الفهم الصحيح للإسلام، يجب أن ننبذ التعصب والتمزق، وأن نعود بالناس إلى مصطلحات القرآن والسنة الصحيحة، وأن نبتعد عن جميع ما يفرق هذه الأمة ويجعلها شيعاً.

✍ **السؤال التاسع**: الاعتدال والوسطية مطلوبان في مجال الإفتاء، ولا سيما أن بعضهم يصدر عنه آراء- لمجرد الظن- بتكفير المسلمين والدعوة إلى محاربتهم. فما الرد على مثل هذه الفتاوى؟.

(١) هي كلمة أبي حسن الكرخي، وبعضهم يفسرها على أن هذا الإمام المحقق يقصد معرفته- عن دراسة لا عناد- بمخالفة بعض ظواهر الآيات والأحاديث لما يقول به المذهب؛ ولكن آخرين يسألون: فما الرد في حال ثبوت الحديث ووجه الآية ورجحانه على الذي في مذهبهم؟!

الجواب: الإسلام هو دين الوسطية والاعتدال واليسر، وقد وردت الآيات القرآنية تدعو إلى هذه الحقيقة وتبينها، يقول تعالى: ﴿... يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ... ﴿١٨٥﴾﴾ [سورة البقرة]، ويقول تعالى: ﴿... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ...﴿٧٨﴾﴾ [سورة الحج]. وإن الذين يَصِلون في أقوالهم إلى تكفير المسلم ليس لهم دليل، وإنما هي أهواء أو جهل بحقائق الإسلام، فلا يجوز تكفير أحد من أهل القبلة، ومن نطق بالشهادتين واعتقد بهما كان مسلماً ولا يجوز تكفيره. وقد جاءت الأحاديث النبوية بأحداث متعددة تثبت هذه الحقيقة؛ فعن «**أسامة ابن زيد** قال: بعثنا رسول الله ﷺ سرية إلى الْحُرَقَاتِ، فَنَذِرُوا بنا، فهربوا، فأدركنا رجلاً. فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله، فضربناه حتى قتلناه. فذكرته للنبي ﷺ، فقال: من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟ فقلت: يا رسول الله إنما قالها مخافة السلاح. قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا؟ من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟ فما زال يقولها حتى وددت أني لم أسلم إلا يومئذ»[1]... وإن «رجلا أتى النبي ﷺ بجارية سوداء، فقال: يا رسول الله إن عليّ رقبة مؤمنة. فقال لها: أين الله؟ فأشارت إلى السماء

(١) أخرجه أبو داود عن أسامة رضي الله عنهما، في كتاب الجهاد، باب على ما يُقَاتَلُ المشركون، برقم ٢٦٤٥؛ وهو صحيح. ونذروا : علموا وأحسوا.

بإصبعها. فقال لها: فمن أنا؟ فأشارت إلى النبي ﷺ وإلى السماء، يعني أنت رسول الله. فقال: أعتقها فإنها مؤمنة»[1].

وقال بعض العلماء: "إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مئة وجه، ويحتمل الإيمان من وجه واحد، حُمل على الإيمان، ولا يجوز حمله على الكفر".[2]

ومع الأسف درج أناس على تكفير المسلمين على أبسط الذنوب أو الأمور، وهذا لا يجوز أبداً.

✍ **السؤال العاشر:** بعض علماء الدين لا ينظرون إلى فقه الواقع ولمتطلبات الحياة، فتصدر عنهم بعض الفتاوى الناقصة والبعيدة عن فهم الواقع؛ إذ لا تنظر إلى الحياة على أنها جزء من الدين. علماً أن الإسلام دين يشمل الحياة. وهم بذلك ينفّرون الناس من الدين. فما رأيكم بمثل هذه الفتاوى؟.

---

(١) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب الأيمان والنذور، باب في الرقبة المؤمنة، برقم ٣٢٨٦؛ وهو ضعيف.

(٢) مقالة الإسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده، نقلاً عن مجلة المنار لمحمد رضا (٥/ ٤٤١). ولقد أجمع العلماء على أن التكفير يجب أن يقف عند "المقولة" دون "القائل" وعند "الفعل" دون "الفاعل"، إذ ربما كان للقائل والفاعل للكفر تأويل، حتى لو كان تأويلاً فاسداً، فإنه شبهة، والحدود تدرأ بالشبهات، وبهذا بلغ الإسلام من السعة وأمانة المسؤولية ما لم يبلغه دين ولا نسق فكري خارج دائرة الإسلام.

الجواب: إن قضية الإفتاء وتقديم الآراء يجب أن تدعم بالدليل الشرعي وبأقوال العلماء من السلف والخلف. وما زالت الأمة الإسلامية تذخر بكثير من العلماء الأفاضل، الذين ملكوا زمام المعرفة والنظر في الدليل.

وإن الذين ابتعدوا عن الواقع في مسارات الحياة، إنما حصروا الإسلام في زوايا تاريخية مضت، وجهلوا أن الإسلام هو الدين الخاتم، الذي يسع جميع قضايا الإنسان والحياة. ومن أسس انتشار الإسلام في العالم: الواقعية؛ فالثوابت- التي قام عليها الإسلام من أمور العقيدة والعبادة- لا مجال للرأي فيها؛ وأما أمور الحياة، فقد فتح الإسلام الأبواب للبحث والاجتهاد في مسالكها للوصول إلى الحق.

وكلما ابتعد العلماء عن معالجة الواقع بالأحكام الشرعية المناسبة- من مصادرها الأصلية.. في القرآن والسنة والإجماع والقياس، وأصولها الفرعية.. من المصالح المرسلة والاستحسان- أظهروا التشريع الإسلامي بمظهر العجز والبعد عن الحياة، وهذا غلط، فإنما أنزل الله- تبارك وتعالى- الدين وأرسل الرسل والكتب السماوية لمصلحة الإنسان ولسعادته؛ لأن الله غني عن العالمين.

✍ **السؤال الحادي عشر**: كيف يمكن صياغة خطاب دعوي موحد، يعبر عن مرجعية واحدة للمسلمين، بدلاً من تضارب الأفكار والفتاوى التي تعصف بالأمة الإسلامية؟.

الجواب: هذا الموضوع يحتاج إلى جهود كبيرة؛ ولكن لو أن علماء المسلمين نظروا إلى القاعدة الرائعة في توحيد جهود العاملين، لما كان هناك اختلاف، وهذه القاعدة تقول: "لنعمل فيما اتفقنا عليه، ونعذر وننصح ونحاور بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه".

والاختلاف في الرأي ليس مشكلة، بل هو رحمة للأمة كما قلت سابقاً، بتوسيع أبواب العمل باختلاف ظروف الإنسان والزمان والمكان.

وهناك محاولات يجب أن تكون داعمة، وتتجلى بإقامة المجامع الفقهية ومجالس البحوث. وإذا ما توسعت لتشمل الجوانب الدعوية والبحث في مصالح الأمة الإسلامية، فسنكون قد خطونا خطوة في الاتجاه الصحيح.

✍ **السؤال الثاني عشر**: ما ضوابط التجديد في الدين الإسلامي، ولا سيما أن هناك من يدعو إلى تمييع الدين لمواكبة العصر، على حساب الكثير من أجزاء التراث الإسلامي، التي يطالب بعضهم بالتخلي عنها حلاً للخروج من تخلف المسلمين وتجزئتهم، التي يمرون بها في العصور الأخيرة؟

الجواب: إن كلمة التجديد في الإسلام لا تعني تغيير الأحكام الثابتة النابعة من الأصول التشريعية، بل يكون التجديد كما ورد في **الحديث**.. «إن الله يبعث لهذه الأمة- على رأس كل مِئة سنة- من يجدد لها دينها»[1].

والتجديد يعني التمسك بحقائق الإسلام وتبيينها وتمحيصها مما شابها من الأخطاء، ولا يعني التفريط بهذه الحقائق بأي ذريعة كانت.

والإسلام يدعو إلى الفضائل والحقائق الواضحة في حياة الإنسان والكون. ومن يجهل فيدعو إلى محاربة الفضائل والتخلي عن منهج البحث عن الحقائق.. التي يدعو إليها الإسلام، فقد جانب الصواب ودعا إلى الجهالة.

✍ **السؤال الثالث عشر:** الاجتهاد باب من أبواب الاستنباط والتجديد في الدين. هل علماء اليوم لديهم مؤهلات العالم المجتهد؟ وما ضوابط الاجتهاد في الإسلام؟

الجواب: نعم، فالأمة الإسلامية أمة ولود، وتملك- اليوم- من أهل العلم والفضل من يستطيع أن يقرر حكماً شرعياً؛ وأما أن نقول:

(١) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب الملاحم،، باب ما يذكر في قرن المِئة، برقم ٤٢٩١؛ وهو صحيح.

إن الأمة قد خلت من العلماء فهذا غير مقبول، ونكون بذلك قد عطلنا الأحكام الشرعية التي تقدم الحلول لمستجدات هذا العصر.

وما دام العالم على معرفة بـــ: القرآن وعلومه، والسنة وعلومها، واللغة العربية وعلومها، وبقية العلوم اللازمة للاستنباط.. مع الاطلاع على أقوال العلماء وآرائهم، يمكنه أن يصل إلى استنباط حكم شرعي. وإن وجود المجامع الفقهية العلمية- اليوم، في العالم الإسلامي- ضمين بإيجاد قاعدة راسخة للاجتهاد الجماعي، لبيان الأحكام الشرعية الطارئة في هذا العصر.

✍ **السؤال الرابع عشر**: ما دور رجال العلم والإفتاء في تحذير الأمة والمجتمعات الإسلامية من الأخطار التي تحدق بهم، ولا سيما عدوهم الأول.. الكيان الإسرائيلي، وتحفيزهم للتعاضد مع إخوانهم في الأراضي المحتلة؟.

الجواب: كان للعلماء من رجال الإسلام الدور الفاعل في جميع قضايا العالم الإسلامي، وقد استطاعوا أن يوجدوا الروح المعنوية في مقاومة جميع أعداء الأمة الإسلامية.. في الحروب الصليبية، والهجوم المغولي التَتَري، ومعارك العصر الحديث ضد المستعمرين.. وشاركوا في تأهيل الأمة للجهاد ضد الأعداء. ويمكن أن نذكر منهم: **ابن تيمية**، والعز **بن عبد السلام**، **والأمير عبد القادر الجزائري**.. وشيوخ الطرق الصوفية **كالسنوسية** في ليبية و**المهدية** في السودان والشيخ **شاميل**

الداغستاني النقشبندي، والقائمة تطول. وهناك مراجع كثيرة تتحدث عن هذا الموضوع.. واليوم، هناك الشيخ **أحمد ياسين**، والسيد **حسن نصر الله**.. وكثير غيرهم.

✍ **السؤال الخامس عشر**: لكم جهود كبيرة في مجال إيجاد سبل إلى التفاهم بين أبناء الرسالات السماوية، لمحاربة الإلحاد في العالم. فما أبرز أنشطتكم في هذا المجال، وأهم المناصب التي نلتموها عالمياً؟.

الجواب: إن الحوار بين الإسلام وأتباع الرسالات السماوية صار- الآن- ضرورة يفرضها الواقع، لمعرفة وجهات نظرها، والتعاون فيما بينها، من أجل قضايا الإنسان والسلام في العالم.

ولقد دعا القرآن الكريم إلى هذا الحوار والتفاهم، والآيات- في هذا الصدد- ليست بالقليلة، يقول تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**...﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران]. وعلّم الإسلام أتباعه أدب الحوار، يقول تعالى: ﴿ **ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ**...﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة النحل]؛ فالحكمة هي المنطق العقلاني بداية، ويكون هذا المنطق بالموعظة الحسنة، وهي الكلمة الطيبة الجميلة، البعيدة عن التعصب والتشنج، والتطرف والعنف؛ ثم جادلهم بالتي هي أحسن، وهي الحوار الإيجابي.. لا بالشكل الحسن، بل الأحسن.

ومن هنا، كانت لي لقاءات- من أربعينيات القرن العشرين- في هذا الاتجاه، وهو العمل على الحوار والتعاون بين أبناء الرسالات السماوية، وقد كانت لي مشاركات فاعلة في هذا السبيل...

ففي مؤتمر الرسالات السماوية العالمي- في الاتحاد السوفييتي سابقاً، في عام ١٩٨٢- كنت أحد أعضاء اللجنة الدائمة للمؤتمر، ونائبَ الرئيس... وكان لي لقاء مع سيادة البابا في الفاتيكان، وامتد اللقاء قريباً من الساعة وربع الساعة...

وكانت لي- في ألمانية الشرقية سابقاً- لقاءات مع: رئيس المحكمة الدستورية العليا، ورئيس الكنيسة البروتستانتية، ومجموعة من الأساقفة، صدر بعدها بيان ختامي، أذيع في إذاعتها وتلفازها، وقد نص على الاعتراف بنبوة سيدنا محمد ﷺ ...

ولي مجموعة محاضرات- في أربع عشرة جامعة في الولايات المتحدة- عن الإسلام وسيرة النبي محمد ﷺ. وبناء على تلك الرحلة، دعيت إلى إلقاء محاضرات عن الإسلام- في قسم الدراسات العليا- ثلاثة أشهر من كل سنة...

وشاركت في مؤتمر القاهرة، الذي دعا إليه شيخ الأزهر لتأصيل الحوار بين الإسلام والمسيحية...

هذا إلى جانب لقاءاتي برؤساء الطوائف المسيحية في سورية، في كثير من المجالات والمناسبات الوطنية والدينية.

(٩)

شهر رمضان المبارك ويوم القدس[١]

(١) حوار مع سماحته، أجراه مراسل مجلة العالم اللندنية في دمشق، في ١٠/ ١٢/ ١٩٩٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- أهمية رمضان للأمة الإسلامية في يومها الحاضر، وفيه:

أ- التقوى هي الحكمة من شهر رمضان المبارك للأمة.

ب- شهر رمضان شهر اتصلت فيه السماء بالأرض لّما نزل القرآن.

ج- رمضان يفرض وجوده على المسلمين في المجالات كلها.

د- رمضان شهر التغيير في شؤون الحياة كلها.

ه- رمضان شهر الإرادة، التي توصل الإنسان إلى أي مطلب دنيوي أو أخروي.

و- العالم الإسلامي في حاجة إلى تلك الإرادة لتغيير واقعه وتحقيق نهضته.

٢- التساؤل عن اختلاف حكمة رمضان اليوم عنها بالأمس، وفيه:

أ- التشريعات من الخالق لا تختلف من زمن إلى زمن، ولكن تتسع لكل زمان ومكان.

ب- التكاليف الشرعية مدارس تخرج الإنسان عضواً نافعاً في المجتمع، يعيش فيه الفرد من أجل الجميع، ويحيا الجميع من أجل الفرد.

ج- أداء العبادة لتحقيق الغاية منها فرض على كل مسلم ومسلمة.

د- بيان غاية العبادات، وتتلخص في ضمان سعادة الإنسان سعادة دائمة.

٣- الترتيبات الدعوية لمجلس الإفتاء السوري الأعلى في رمضان، وفيه:

أ- وضع الإدارة برنامجاً للمدرسين في المساجد للتعليم والوعظ والإجابة عن الأسئلة.

ب-تنفيذ نشاطات إعلامية مختلفة.

٤- من توجيهات سماحته بمناسبة يوم القدس في شهر رمضان:

أ- عرض تاريخي لأحداث القدس.

ب-مكانة القدس في القرآن.

ج- واقع القدس اليوم.. ولا بد أن تنتهي مأساته الحالية كما انتهت سابقاتها.

د- الشعب الفلسطيني ما زال يناضل ويقدم الشهداء.

هـ - نفتخر بهذا الشعب المقاوم. وعلينا أن ندعمه بالمال وبالسلاح وبكافة الوسائل الممكنة سياسياً وإعلامياً.

و- لا بد من التعاون والإخلاص وصدق الجهاد لتحقيق النصر.

ز-عملية استشهادية هزت العالم، ولقاء شرم الشيخ جاء ردّاً عليها.

ح-صاحب الحق لا ينهزم، وما زالت الطريق أمامه ممتدة...

٥- حكمة هذا الشهر من سماحته للأمة، وفيه:

أ- وجوب إصلاح الأنفس بداية.

ب-صلاح الفرد صلاح للأسرة والمجتمع.

ج- الإسلام هو الطريق الأسلم والأقرب إلى تحقيق الأهداف النبيلة كلها.

د- نريد إسلام العلم والحكمة وتزكية النفس من غير تطرف أو تعصب.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ثانياً: نص الحوار

✍ **السؤال الأول**: تستقبل الأمة الإسلامية كل عام شهر رمضان المبارك. فما الذي يعنيه هذا الشهر لهذه الأمة في حاضرها؟.

الجواب: إن رمضان للأمة الإسلامية شهر مبارك، ذكره الله في القرآن الكريم مرة لبيان أنه شهر الصيام، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [سورة البقرة]. وأظهرت هذه الآية الحكمة من الصيام حين ذكرت ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ ، والتقوى هي مراقبة الله في السر والعلن، مع الخشية التي تجعل المؤمن يقف عند حدود الله في الأمر والنهي.

وذكر القرآن رمضان مرة أخرى، حين أخبر أنه الشهر الذي اتصلت فيه السماء بالأرض، وبدأ الوحي يترل على سيدنا محمد رسول الله ﷺ، يقول تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ...﴿١٨٥﴾ ﴾ [سورة البقرة].

ويأتي رمضان ليفرض وجوده على عالم المسلمين في جميع المجالات.. على الفرد والأسرة والمجتمع والإعلام المسموع والمنظور. ولهذا فشهر رمضان هو شهر التغيير والتبديل في كل شأن من شؤون الحياة؛ فمواعيد الطعام والشراب والنوم تتغير، والطاعات والعبادات والإقبال على الله تظهر على نحو واضح، والبر والإحسان والصدقات توزع على الفقراء والمساكين والمحتاجين، وهنا **أقول**: إن رمضان هو شهر الإرادة التي تستطيع أن تحقق كل شيء، ولا يمكن أن يصل الإنسان إلى أي هدف أو مطلب في الدنيا والآخرة إلا بالإرادة، ونحن- اليوم- أحوج ما نحتاج إليه هو هذه الإرادة، لتغيير واقع العالم الإسلامي- وتحقيق نهضته- إلى واقع أفضل وأحسن في بناء الحياة.. من إنتاج وتصنيع وثروة وبناء الإنسان على الأخلاق الفاضلة، ليعمَّ الخير والعدل والمحبة والعطاء في بناء المجتمع عامة.

✍ **السؤال الثاني**: هل اختلفت حكمة رمضان اليوم عنها بالأمس؟ وهل تقتصر هذه الحكمة على إقامة شعائر العبادة فقط؟

الجواب: التشريعات والتكاليف- التي فرضها الخالق العظيم على الناس- لا تختلف في هدفها وحكمتها من زمن إلى زمن، بل تتسع لكل زمان ومكان؛ لأن الإنسان هو الإنسان في نوازعه ومتطلبات حياته، وما التكاليف الشرعية إلا مدارس يتخرج فيها المسلم ليكون إنساناً عضواً في مجتمع سليم، يعيش فيه الفرد من أجل الجميع، ويحيا الجميع من أجل الفرد؛ فالمؤمنون بعضهم لبعض كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

من هنا، **أقول:** إن العبادات فرض لازم على كل مسلم ومسلمة، عليهما أداؤها لتحقيق الغاية منها، وقد ذُكر هذا في القرآن المجيد صراحة، فقال ربنا - جل وعلا- عن الصلاة: ﴿ ... وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ ... ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة العنكبوت]، وقال تعالى عن الصيام: ﴿ ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [سورة البقرة]، وعن الزكاة: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ... ﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة التوبة].. فهي طهارة من الصفات السلبية، مثل: البخل والطمع وحب الذات والأنانية وحب الدنيا، التي تبعد عن الحق والعدالة والمساواة.. وقال تعالى عن الحج: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ ... ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الحج]، وهذه المنافع دنيوية.. من تجارة وغيرها، وأخروية.. من كسب الأجر والثواب.. والحصول على رضاء الله تعالى، ثم يكون كل شيء لله وفي سبيل الله. فالمقصود من أحكام الإسلام هو سعادة الإنسان دائماً.

✍ **السؤال الثالث:** ما الترتيبات التي يتخذها مجلس الإفتاء الأعلى استعداداً لاستقبال شهر رمضان الكريم على صعيد الدعوة؟.

الجواب: في رمضان، يتحرك الإنسان المؤمن لِيُعوِّضَ تقصيره، فيصلي الفرائض، ويؤدي النوافل.. من سنن وتراويح، وغيرها قبل الفجر في السَّحَر، ويحاول أن يقف عند حدود الله؛ فلا غيبة ولا نميمة، ولا تناول للناس بالكلام أو التجريح؛ لأن الصيام امتناع عن المفطرات المادية والمعنوية. وهنا تضع إدارة الإفتاء برنامجاً للمدرسين الدينيين لزيادة المحاضرات واللقاءات في المساجد.. للتعليم والإرشاد، وتلقِّي أسئلة الصائمين بما يعترضهم من أمور.. لبيان حكم الشريعة في ذلك، ونشاطات أخرى إعلامية وغيرها.

✍ **السؤال الرابع:** هل عرف العالم الصيام قبل شهر رمضان الكريم؟

الجواب: نعم لقد عرفت الرسالات كلها- السماوية منها وغير السماوية- عبادة الصيام، وقد ذكر القرآن العظيم ذلك صراحة حين قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [سورة البقرة]؛ فهناك صيام في رسالتي موسى وعيسى عليهما السلام، ووجد في ديانة الإسلام، ولكن كيفية الصيام ربما تختلف من شريعة إلى شريعة.

✍ **السؤال الخامس:** تمر ذكرى يوم القدس خلال هذا الشهر الفضيل، وبيت المقدس لا يزال يرزح تحت نير الاحتلال، فما توجهاتكم وتوجيهاتكم في هذا المجال؟.

الجواب: القدس الشريف هو المكان الذي ذكره الله صراحة في القرآن الكريم، فقال عز من قائل: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ...﴿١﴾﴾ [سورة الإسراء]. وقد مرت أحداث كثيرة على القدس أهمها الحروب الصليبية، حين بقيت القدس تحت الاحتلال الصليبـــي مدة ٩٠ سنة. واليوم، يدنس الكيان الإسرائيلي أرض القدس.

لقد تحررت القدس- بداية- على يد عمر **بن الخطاب** ﷺ وجند المسلمين، ثم تحررت على يد **صلاح الدين** في حطين، وانتهت الحروب الصليبية- التي دامت قرنين من الزمن- بصدق جهاد المؤمنين أصحاب الحق. واليوم، يخيم الظلام والظلم على القدس، وستنتهي هذه المأساة كما انتهت سابقاتها لا محالة. وها نحن نرى الشعب الفلسطيني المؤمن بحقه- منذ عام ١٩١٧م، مروراً بعام ١٩٤٨م، وإلى الآن- ما زال يناضل ويجاهد ويقدم الشهداء.

وكم نرفع الرأس عالياً بهذا الشعب، حين نرى الأطفال يقاومون

الاحتلال بالحجارة فقط، يجابهون الرصاص والقنابل والدبابات بأجسامهم الغضّة، ولكن أرواحهم وإرادتهم أقوى من وسائل القتل التي يقذفهم بها عدوهم. ولذلك، مهما طال الزمن، فلا بد من أن يتحقق النصر. ولكن لا بد من دعم المقاومين بالمال والسلاح ودعمهم سياسياً وإعلامياً وبكافة الوسائل الممكنة مع إخلاص العمل لله تعالى. والذين يجاهدون من داخل الأرض المقدسة هم أبطال، لا يوازي جهادهم أي عمل اليوم. وقد رأينا أن عملية استشهادية واحدة هزت أركان العالم كله، فكان لقاء شرم الشيخ للرد عليها. والحقيقة، إن صاحب الحق لا ينهزم.. والله معنا، إذا كنا نحن مع أنفسنا، نعمل من أجل قضيتنا ومستقبلنا.

✍ **السؤال السادس**: هل من حكمة توجهونها إلى الأمة الإسلامية في هذا الشهر الكريم من خلال مجلة العالم؟.

الجواب: أقول للأمة العربية الإسلامية في هذا الشهر الكريم: إننا يجب أن نسعى إلى إصلاح أنفسنا بداية، من خلال الالتزام بأمر الله ونهيه؛ فإذا صلح الفرد، صلحت الأسرة وصلح المجتمع.. ويجب أن نعلم أن الإسلام هو أسلم الطرق وأقربها إلى تحقيق الأهداف الشريفة والغايات النبيلة كلها، التي تجعل من أمتنا خير أمة، كما كانت. ولكن أي إسلام؟! إنه إسلام العلم والحكمة وتزكية النفس، من غير تطرف أو تعصب، بل بالتعاون والحوار والإيثار.

(١٠)

الإفتاء وشهر رمضان[١]

(١) حوار مع سماحته، أجراه مراسل وكالة أنباء الشرق الأوسط في دمشق، في ٢٠/ ١٢/ ١٩٩٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- قيمة شهر رمضان ومظاهر الاحتفال به، وفيه:

أ- حكمة نزول القرآن في شهر رمضان.

ب- اغتنام المسلمين هذا الشهر في تلاوة القرآن ومراجعته وتدبره، لأنه مصدر عزهم ورفعتهم.

ج- إهمال دراسة القرآن وعدم تطبيق أحكامه سبب الهوان في العالم الإسلامي.

د- أثر رمضان في تراجع المنكرات وخفض مستوى الجريمة.

هـ- رمضان شهر تظهر فيه معالم البهجة في المجالات كلها.

و- زيادة مجالس العلم والبرامج التلفازية والندوات والحوارات في شهر رمضان.

ز- شهر صلة الرحم، ومواساة الفقراء وإدخال السرور على قلوبهم.

ح- رمضان دورة روحانية تسمو بالفرد والمجتمع.

ط- الرد الصحيح على إذكاء الغرائز وتسلط الشهوات يكون في إحياء المجال الروحاني والمدارك العاقلة للأمة، ولشهر رمضان دور كبير في هذا المجال.

ي- بعض الفضائيات تفسد روحانيات رمضان بعرضها برامج تثير الغرائز.

٢- إن تعاون مجالس الإفتاء في الدول العربية لتوحيد الفتاوى المتعلقة بالقضايا العربية والإسلامية يتمثل في كثرة نقاط الاتفاق وقلة نقاط الاختلاف.

٣- تشجيع العلماء والخطباء الناسَ على أعمال البر لمساعدة الجمعيات الخيرية.

٤- العمل الخيري والنشاط الديني يلقيان الدعم والمساندة في سورية.

٥- قضية "موائد الرحمن"، وفيها:

أ- مهمتنا تشجيع أعمال البر مهما كان مصدرها، وليس التشكيك في النوايا؛ لأن الله يتولى السرائر ونحن نحكم بالظاهر.

ب- تأكيد أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

٦- موقف الإسلام من الإرهاب والعمليات الاستشهادية بقصد تحرير الأرض، وفيه:

أ- العنف الذي تشهده الساحة الدولية والساحة الإسلامية على أنواع.

ب- رد الفعل ومقاومة العدوان الذي سببه ظلم الدول المستعمرة لا يجوز أن نسميه عنفاً، بل هو دفاع مشروع.

ج- الشيء الخطِر هو ممارسة المسلمين العنف بعضهم ضد بعض.

د- مصدر العنف جاءنا من البلدان الغربية، من خلال حروبهم وبرامجهم التلفازية وأفلامهم البوليسية.

هـ- هناك إرهاب دولة يمارسه الكيان الإسرائيلي وأمريكة وبريطانية والدول الحليفة معهم.

و- الحرب في أفغانستان غرضها تشويه صورة الإسلام ونَهْب ثروات هذا الشعب الفقير.

ز- على المسلمين إدراك مخططات أعدائهم حتى لا يكونوا ألعوبة في أيديهم.

ح- العنف والإرهاب نتيجة طبيعة لغياب العلم والتربية.. وأيضا وانتشار الجهل والفقر.. وسيطرة الاستبداد.

ط- الحل يكمن في اعتماد منهج الإسلام بصفائه وشموله.

ي- أجاز الفقهاء العمليات الاستشهادية- بشروط- من أجل التحرير.

٧- الحديث عن العلاقات الزوجية في برامج مكشوفة في الفضائيات بعنوان "فتاوى إسلامية"، وفيه:

ا- من مقاصد الشريعة رفع الحرج والضيق عن الناس.

ب- الجهل بأحكام شرع الله سبب البؤس والشقاء.

ج- لا حياء في الاستفسار عن أحكام الدين ضمن الضوابط الشرعية، والجهل بها إثم نحاسب عليه.

د- الإسلام أعطى العلاقة الزوجية الأهمية التي تستحقها، والمشكلة تكمن في التعتيم لا في التبيين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص الحوار

✍ **السؤال الأول:** ما المعنى والقيمة لشهر رمضان المبارك؟ وهل برأيكم تغيرت المفاهيم والقيم ومظاهر الاحتفال بشهر رمضان؟ وإذا كان هناك تغيير، فهل هو نحو الأفضل.. أم العكس؟ وما السبب في ذلك؟.

الجواب: يقول تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ...﴿١٨٥﴾ ﴾ [سورة البقرة]، ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة الدخان]، ويقول جل وعلا: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة القدر].. وهذه الآيات تفيد أن الله- تبارك وتعالى- أنزل القرآن في شهر رمضان، وتحديداً في ليلة القدر، ليكون للناس بياناً وهدى.. وموعظة ورحمة.. وشفاء لما في

الصدور.. وليخرج الناس من الظلمات إلى النور.. وليهدي الناس إلى صراط العزيز الحميد.. وليهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام.

مما سبق يتبين لنا أن شهر رمضان هو شهر القرآن، ومما ورد أن سيدنا جبريل كان في رمضان يراجع القرآن أكثر من مرة مع رسول الله ﷺ. ولذا، فإن على المسلمين أن يغتنموا شهر رمضان في مراجعة القرآن وتلاوته وتدبره مرات كثيرة، يقول تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة محمد].

وبالقرآن الكريم عُز المسلمون وصار لهم مجد ورفعةٌ، يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة الزخرف]. ولقد عَرف هذه الحقيقة **غلادستون** [رئيس وزراء بريطانية في نهاية القرن التاسع عشر]، فوقف في مجلس العموم البريطاني رافعاً المصحف بيده قائلاً: «ما دام هذا القرآن في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوربة السيطرة على الشرق»(١).

ويقول تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الأنبياء]، أي: فيه عِزُكم ومجدكم. ولكننا عندما أهملنا دراسة القرآن وتدبره وتطبيق أحكامه، أصابنا هذا الهوان الذي يخيم على العالم

(١) الإسلام على مفترق الطرق، لمحمد أسد، ص٤١.

الإسلامي، الذي صار تحت هيمنة المظلة النووية الإسرائيلية الأمريكية، وحلّ به البؤس والشقاء، يقول تعالى: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ ﴾ [سورة طه]. عندما أخذ آباؤنا القرآن الكريم بقوة.. ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ۝١٢ ﴾ [سورة مريم].. صارت لهم العزّة والمجد والكرامة والسيادة، يقول تعالى: ﴿ ... وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ...۝٨ ﴾ [سورة المنافقون]، ويقول تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٣٩ ﴾ [سورة آل عمران].

وفي شهر رمضان تتراجع الأعمال الشائنة والمنكرة، وتقل المعاصي الموبقة المهلكة، وينخفض معدل الجريمة إلى أدنى مستوى؛ لأنه في هذا الشهر تفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران، وتصفد الشياطين.

وفي شهر رمضان تبدو معالم البهجة والفرح في جميع المجالات: الرسمية والشعبية والإعلامية، ويتمثل ذلك في البرامج والندوات والحوارات واللقاءات على جميع المستويات، للتعاون على البرّ والتقوى.

وفي رمضان تضاء المساجد وتبدو في أحلى زينة، وتمتلئ بالمصلين والمعتكفين، وتقام مجالس العلم والعرفان والرشاد؛ وكذلك تقام صلاة التراويح، لتدبر القرآن والتقرب إلى الله.

ويتزاور الأهل والأقارب والمعارف، لتعزيز صلة الرحم، ومواساة

الفقراء والمساكين، وإسعاف المحتاجين والأرامل والأيتام.. ويجتهد المحسنون لإدخال الفرح والسرور على قلوب أولئك.

والحقيقة إن دورة رمضان- وما في برنامجها من فيوضات وتجليات روحانية- لتسمو بالفرد، وتحيي المجتمع، وتجعل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد. وفي تقديري، إذا أردنا التحول نحو الأفضل، فإن علينا أن نغتنم شهر رمضان لإحياء المجال الروحاني والمدارك العاقلة للأمة، وهذا هو الرد الصحيح على ما نراه من إذكاءٍ للغرائز وتأجيج، وتسلط الشهوات على المدارك العاقلة، وهذا يتسبب في تدمير القيم الإنسانية.. قيم الحياة المزدهرة، قيم الجمال والنماء. وكذلك مما يُفسد روحانيات شهر رمضان تلك الموجات الإعلامية الاستعراضية، التي تثير الغرائز، ولا سيما عند ساعة الإفطار.. ساعة نزول الرحمات والنفحات واستجابة الدعاء؛ فتُشْغِلُ الناس عن الإنابة إلى الله- تعالى- والالتجاء إليه بالدعاء والرجاء! .

✍ **السؤال الثاني**: كيف يتعاون مجلس الإفتاء في سورية مع مجالس الإفتاء في الدول العربية لتوحيد الفتاوى المتعلقة بالقضايا العربية والإسلامية الأساس؟ .

الجواب: يقوم مجلس الإفتاء في سورية- منذ زمن بعيد- بالتواصل مع مجالس الإفتاء في البلدان العربية والإسلامية، والاطلاع على الفتاوى

الصادرة عنها. وكذلك يتم التنسيق معها لتوحيد الجهود والمفاهيم، من خلال المؤتمرات والندوات وتبادل المطبوعات والنشرات. وأستطيع أن أقرر- بحمد الله- أن موضوعات الاتفاق صارت أكثر من موضوعات الاختلاف، وأن تباشير التوحد في الآراء والمواقف- انطلاقاً من الكتاب والسنة- تتعاظم. وهذا ليس بالغريب، فأمة الإسلام هي أمة التوحيد، وهي المؤهلة لنشر التوحيد، لأنه بالتوحيد يدخل الإنسان عالم الآخرة.. عالم النعيم المقيم، وبالتوحيد تدخل الإنسانية دار السلام على الأرض.

✍ **السؤال الثالث:** ما الدور الذي يقوم به علماء الدين ومجلس الإفتاء بشأن رعاية الأسر الفقيرة؟ وهل هناك دور موازٍ للجمعيات الخيرية الدينية في ذلك؟.

الجواب: يقوم علماء الدين- من خطباء وأئمة ومدرسين دينيين ومفتين- بتشجيع المحسنين على أعمال البرّ والإحسان، والتواصل معهم لمساعدتهم على إسعاف الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، من خلال الجمعيات الخيرية. وعلى حسب القوانين الناظمة لهذه الأعمال الإسعافية والخيرية، أستطيع أن أقرر أن بلدنا سورية تنعم- بحمد الله- بأجواء التعاون والتآخي والتراحم والمواساة، وأن الأعمال الدينية والخيرية والإصلاحية تلقى الدعم والمساندة، وهي- بدورها- تقوم بعمل رائد متميز.

السؤال الرابع: ما رأي فضيلتكم بمشروعية موائد الرحمن، ولا سيما إذا كانت مصادرها المالية مشكوكاً بنظافتها؟ .

الجواب: **قال رسول الله** ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[1]، ونص القاعدة المأثورة: "نحن نحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر"[2]. ولذا، علينا تشجيع أعمال الخير والبرّ والإحسان من أي جهة كانت. وليست مهمتنا صدّ الناس عن أعمال البرّ والإحسان والتشكيك في نواياهم ودوافعهم، وإنما مهمتنا تشجيعهم وتنمية دوافع الخير لديهم. ولكن يجب مع ذلك تذكيرهم بأن الله لا يقبل إلا الكسب الطيب الحلال، وأن من أعظم العبادات طلب الرزق الحلال. والإسلام يقبل العمل الصالح من جميع من يشهد: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. ومما ورد عنه ﷺ: «غُفر لامرأة مومسة، مرت بكلب على رأس رَكِيٍّ يلهث، كاد يقتله العطش، فنزعت خفّها، فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فغُفِرَ لها بذلك»[3]، وقال ﷺ: «دخلت النار امرأة في هرة ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»[4].

(١) أخرجه أبو داود من حديث ابن الخطاب رضي الله عنه، في كتاب الطلاق، باب فيما عنى به الطلاق والنيات، برقم ٢٢٠٣؛ وهو صحيح.

(٢) انظر البدر المنير (٥/ ٥٩٠)، وفي معناه، قوله ﷺ للعباس يوم بدر: «كان ظاهرُك علينا».

(٣) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب بدء الخلق، برقم ٣١٤٣. والركي هو البئر.

(٤) أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب المساقاة والشرب، باب فضل سقي الماء، برقم ٢٢٣٦.

والخلاصة، أن أمر العباد عائد إلى الله، والله وحده المطلع على نواياهم وأعمالهم، إن شاء غفر، وإن شاء عذب، يقول تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الغاشية]. فهذا من شأن الله، وليس لنا أن نكون أوصياء على العباد. ولكننا- من ناحية أخرى- نؤكد ما ورد في حديث **رسول الله** ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً»[1].

✍ **السؤال الخامس:** كيف يرى الإسلام مسألة الإرهاب بكل أشكاله الموصوفة دولياً؟ وما رأي الشريعة بشأن التفجيرات والأعمال الانتحارية الهادفة إلى تحرير الأرض؟.

الجواب: إن قضية العنف- التي تشهدها الساحة الدولية والساحة الإسلامية- على أنواع: منها عنف سببه الظلم والعدوان، حين تقوم به الدول غير الإسلامية، فتهاجم المسلمين في بلادهم وتغتصب حقوقهم، كما هي الحال في فلسطين والجولان وجنوب لبنان والبوسنة والشيشان والعراق والسودان. فعندما يقوم المسلمون بمواجهة هذا العدوان، لا يجوز- بأي حال من الأحوال- أن نسمي هذه المواجهة عنفاً؛ لأنها حق مشروع للدفاع عن المقدسات والنفس والأرض؛ بل هذا عنف يحمد عليه الإنسان، لأنه جهاد ومقاومة للعدو. فعندما واجهت دول أوربة

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ، في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، برقم ٢٣٩٣.

النازيين لإيقافهم عند حدّهم.. ولمنعهم من الظلم والعدوان، لم يسمِّ أحدٌ هذه المواجهة عنفاً أو تطرفاً.

ولكن الشيء الخطِر هو أن يمارس المسلمون هذا العنف بعضهم مع بعض. والحقيقة إن العنف والإرهاب جاءَنا من البلدان غير الإسلامية، ودليل ذلك ما حدث في الحربين العالميتين الأولى والثانية، وإن استخدام السلاح الذري في اليابان خير شاهد ودليل، وأيضاً ما جرى في الثورات الأمريكية والشيوعية والفرنسية- وغيرها- من سفك للدماء كالأنهار.

وما يُعرض من الأفلام البوليسية وما فيها من جريمة ورعب وفوضى وإباحية جنسية، تعد من الأسباب المهمة والمباشرة في إشاعة هوس العنف من أجل إفساد طبائع الأجيال، وما ينتج من ذلك من عدوان وعنف ودماء، وإن معظمها من إنتاج أمريكي وأوربي.

والأهم من ذلك كله إرهاب الدولة، الذي يمارسه الكيان الإسرائيلي وأمريكة وبريطانية وحلفاؤهم ضد العرب عامة والفلسطينيين واللبنانيين خاصة. وإن الحرب في أفغانستان إنما تتم بإدارة وتمويل جهات أجنبية غايتها تشويه صورة الإسلام المشرقة، وبغرض نهب ثروات هذا الشعب الفقير، إذ إنَّ هذه الأحداث الدامية في أوطاننا لا تخدم إلا الاحتكارات الاستعمارية. وإني لأُهيب بالمسلمين في جميع

مواقعهم أن يدركوا مخططات أعدائهم كي لا يكونوا ألعوبة بأيديهم.

وإن ما نراه من تطرف وعنف وإرهاب هو نتيجة طبيعية لغياب العلم والتربية الإسلامية المتصلة بعهد النبوة والخلفاء الراشدين، وما ترتب على ذلك من انتشار الأوبئة الاجتماعية المتمثلة في: اتساع دائرة الجهل والفقر ، وسيطرة التسلط والاستبداد على السلوك العام، وما ينتج من ذلك من فوضى اجتماعية وتَرَدٍّ في العلاقات الإنسانية والدولية، بدل الحوار واحترام الآخر. وإني لأجد الحلّ في اعتماد منهج الإسلام بصفائه ونقائه وشموله.. كما أنزل على قلب الرسول الأمين ﷺ منهجاً تاماً لصيانة الحياة.

وأما العمليات الاستشهادية من أجل تحرير الأرض المغتصبة، فقد أجازها بعض من الفقهاء بشروط يمكن الرجوع إليها في مصادرها.

✍ **السؤال السادس**: ما رأيكم بخصوص الحديث المكشوف عبر القنوات العربية الفضائية ضمن عناوين فتاوى إسلامية، ولا سيما ما يتعلق بالعلاقات الزوجية؟.

الجواب: يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النحل]، ويقول

تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة النحل].

والحقيقة الثابتة إن من مقاصد الشريعة رفع الحرج والشدة والضيق عن الناس، يقول تعالى: ﴿ ... يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ... ﴿١٨٥﴾ ﴾ [سورة البقرة]، ويقول تعالى: ﴿ ... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ... ﴿٧٨﴾ ﴾ [سورة الحج].

وإذا بحثنا عن أسباب البؤس- الذي حلّ بالمسلمين- عرفنا أن من أهمها جهلهم بأحكام شرع الله تعالى، وما فيه من تعاليم ووصايا وأحكام وآداب تعود عليهم بالحياة السعيدة والرغيدة، يقول تعالى: ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة طه].

ولا حياء في الاستفسار عن أحكام الدين وتكاليفه وأموره، إذا كانت تبيَّن للناس وفق المنهج القرآني والأسلوب النبوي؛ بل إن الجهل بها وعدم الإلمام بتفاصيلها إثم يحاسب عليه المسلم ويعاقب. والحقيقة إن الإسلام أعطى العلاقة الزوجية الأهمية التي تستحقها، ونظمها، ووضع لها سلوكات وأخلاقيات وآداباً فريدة متميّزة. ولعل المشكلة ليست في البيان والتبيين، ولكنها في الجهل والتعتيم.

(١١)

حوار عن رمضان

وعن الأحداث المعاصرة[١]

(١) حوار مع سماحته، أجراه مراسل وكالة جريدة الأهرام العربي المصرية في دمشق، في ١٩٩٨/١٢/١٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الأفكار الرئيسة

١- قدوم شهر رمضان مع تجدد المذابح في الجزائر وبيان سبل الخروج من الأزمة، وفيه:

أ- كثيرة هي الإساءات التي يصنعها مغرضون، ثم يلقونها على عاتق الإسلام والمسلمين، ومن ذلك ما جرى من أحداث ضمن خطة خبيثة لإضعاف الشعب الجزائري.

ت- هناك تصرفات غير حكيمة من بعض السياسيين، مع فهم قاصر من بعض مراهقي الإسلام.

ج- يوجد في الجزائر جماعات إسلامية واعية حكيمة تفهم واقعها وتسهم في بناء الجزائر وتحاور الجميع، وتستمع للرأي المخالف،

وتمارس نشاطها بأسلوب ديمقراطي، وهناك من يريد التعتيم على هذه الجماعات لإظهار الوجه القبيح على أنه وجه الإسلام.

د- اقتراح سماحته بتشكيل لجنة من العلماء الحكماء يجمعون الحكومة مع تلك الجماعات الواعية للعمل على الخروج من الأزمة.

٢- شهر رمضان وبرامج الفضائيات التي تقضي على وقت المسلم، وفيه:

أ- الإسلام حض على اغتنام الوقت وكسب الفرصة لانتصار الحق وتحقيق الإبداعات.

ب- الإسلام هو الحياة، والحياة عقيدة وجهاد، والجهاد له ثلاثة أبعاد: أكبرها جهاد النفس الأمارة بالسوء.

ج- يذم القرآن الساهين اللاهين.. ويتعجب العقلاء ممن يستطيع اللهو والعدوّ على بابه.

د- لزوم تحمل كل منا مسؤوليته في مواجهة الإعلام السلبي العبثي.

هـ - حياة المسلم جد واجتهاد مع ترفيه من غير معصية.

٣- درجة الاستجابة لمطلب سماحته بقناة تلفازية إسلامية، وفيه:

أ- الإسلام دين البلاغ المبين.. ونشر الهدى والفضائل. ولذا، لا بد لكل منا تحمل مسؤوليته الإعلامية والتبليغ لمواجهة التحديات المختلفة.

ب- عدم تحمل مسؤولية الإصلاح يعرضنا للمساءلة والجزاء من الله.

ج- الإعلام الهادف الملتزم يدعو إلى التفاؤل.

د- العمل بالتبليغ هو عمل الأنبياء، ومن يقوم به يحشر معهم.

هـ - يجب استثمار كل قنواتنا لبناء مستقبل أمتنا.

٤- سورية مثال يحتذى في الوحدة الوطنية، وتوحيد الكلمة.

٥- المجمع الإسلامي يقوم بواجب الأخوة الإسلامية، بتأهيل طلبة دول العالم دعاةً معتدلين، ويدعو الجميع إلى تقديم الدعم لزيادة العمل وتوسيع تأثيره.

٦- لا بد من العمل بصدق لإيقاف نزيف الحروب التي يصنعها أعداء الإنسانية، ولا سيما بين أهل البلد الواحد، كما في أفغانستان.

٧- هناك قوى تتبع سياسة فرق تسد وسياسة اللاغالب واللامغلوب من أجل إطالة زمن الحرب والاستفادة من خيرات العالم الإسلامي واستنزاف قدراته.

٨- حرب العراق عمل إرهابي دولي حقير، يناقض شرائع هيئة الأمم وحقوق الإنسان ويُنَفَّذ بيد تجار حقوق الإنسان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: نص الحوار

✍ **السؤال الأول**: يأتي شهر رمضان الكريم هذا وقد تجددت المذابح في الجزائر المسلمة. فما سبل الخروج من المأزق الجزائري من النظرة الإسلامية، ولا سيما أنه يتم الربط بين ما يجري وبين الإسلام والمسلمين؟.

الجواب: لم يعد يخفى على عقول المنصفين أن إساءات كثيرة يصنعُها مُغرضون، ثم يُلقون تَبِعاتها على كاهل الإسلام والمسلمين، ومذابح الجزائر واحدة من هذه الإساءات؛ فلا الإسلام ولا المسلمون يرضون أن يُذْبح صغير أو تقتل امرأة أو يُراق دم بريء.

إن الذي يجري على أرض الجزائر المسلمة ما هو إلا خطة خبيثة لإضعاف الشعب الجزائري، بل للإساءة إلى الإسلام والمسلمين في العالم

قاطبة. وعلى الرغم من هذا، فإني أرى تصرفات غير حكيمة من بعض السياسيين، مع فهمٍ قاصر من بعض مراهقي الإسلام، وهذا يهيئ جواً مناسباً لدخول المُغرضين وارتكاب جرائمهم المخالفة للدين والإنسانية.

ومن المؤكد أن في الجزائر جماعات إسلامية متطرفة، ولكن- بالمقابل- يجب أن يعلم الجميع أن في الجزائر جماعات إسلامية واعية متنورة حكيمة، وتمارس الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وهي فاهمة لظروف الجزائر الداخلية والخارجية، وتسهم إيجاباً في بناء مستقبل الجزائر، وتنفتح على جميع أبناء الجزائر، وتحاور الجميع، وتستمع للرأي المخالف، وتمارس نشاطاتها بأسلوب الشورى والديمقراطية، من دون أن تفرض وصاياها على أحد.

وإنني أقترح لحل المشكلة في الجزائر أن تُشكل لجنة من علماء المسلمين الذين يتصفون بحكمة عالية. تشارك هذه اللجنة في عقد لقاء بين الحكومة الجزائرية والجماعات الإسلامية التي ترضى الحوار، وتُتدارس الآراء والاقتراحات في جو من الأخوة والحكمة والروية، للعمل على إخراج الجزائر من محنتها نحو المستقبل الزاهر الذي يتسع لجميع أبنائها.

✍ **السؤال الثاني:** جاء رمضان في فصل الشتاء المعروف بليله الطويل. فكيف يقضي المسلم وقته للحصول على حسنات كثيرة، في الوقت الذي تقدم البرامج الفضائية العربية مغريات كثيرة للقضاء على وقت المشاهد؟.

الجواب: «**قال رسول الله** ﷺ لرجل وهو يعظه: اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»[1]. ومما يدل عليه هذا التوجيه النبوي أن الحياة فرصة سانحة سرعان ما تنقضي، وأنها صراع بين الحق والباطل، ولا بد من أن ينتهي الصراع بانتصار الحق، وهذا مرهون بحسن الاستفادة من الوقت في مواجهة التحديات لتحقيق إنجازات تتلاءم مع طبيعة الحياة القائمة على الإبداع والتحديات.

وإذا ما أدركنا أن الإسلام هو روح الحياة، وأن الحياة عقيدة وجهاد، وأن **الجهاد له أبعاد ثلاثة:** الجهاد الأكبر.. وهو جهاد النفس الأمارة بالسوء وتسلط الغرائز والشهوات على المدارك العاقلة، والجهاد الكبير.. وهو جهاد تعلم العلوم النافعة وتعليمها، والجهاد الأصغر.. وهو جهاد الدفاع عن المقدسات والأوطان. والله- تعالى- يقول:

(١) أخرجه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما، في كتاب الرقاق، برقم ٧٨٤٦؛ وقال: صحيح على شرط الشيخين.

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ [سورة الإسراء]، ويقول جل وعلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا ...١٦ ﴾ [سورة السجدة]، ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ ﴾ [سورة المزمل]، ويقول تعالى: ﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ ﴾ [سورة الذاريات]. وقد ورد في حديث **رسول الله** ﷺ **قوله**: «الشتاء ربيع المؤمن، قصر نهاره فصام، وطال ليله فقام»[1].

ومن النصوص القرآنية- التي تذم الجاهلين والكفار الساهين اللاهين- قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١ ﴾ [سورة فصلت]. وفي هذا **قال الشاعر**:

عجباً لقوم والعدو ببابهم كيف استطاعوا اللهو واللعبا

وإذا ما أدركنا أن العالم الإسلامي يعيش تحت هيمنة المظلة النووية الإسرائيلية والغربية، عرفنا مقدار الهوان، الذي حلّ بنا نتيجة اللهو واللعب والعبث.. والهروب من حمل الأمانة وأدائها في ميادين الجهاد والرباط.

(١) أخرجه البيهقي في سننه، عن أبي سعيد الخدري ﷺ، في كتاب الصيام، باب ما ورد في صوم الشتاء، برقم ٨٢٣٩؛ وهو ضعيف.

ولقد آن الأوان ليتحمل كل منا مسؤولياته وواجباته في مواجهة الإعلام السلبي العبثي، الذي يستهلك الأوقات والطاقات والثروات، ويدمر القيم والروحانيات للإنسان والمجتمع، ويكرس الضعف فينا، ويعمق هوة التخلف والتردي.

إن حياة المسلم جد واجتهاد.. وعمل بالخير، في رمضان أو في غير رمضان. ولا مانع من الراحة، ولكن يجب أن تكون في غير معصية. ورمضان هو موسم كبير لعمل الخيرات وجمع الحسنات وبذل الصدقات، وما ينبغي فيه لمسلم أن يضيع وقته الثمين الغالي.

✍ **السؤال الثالث:** طالبتم كثيراً بقناة تلفازية إسلامية، فما درجة الاستجابة لهذا المطلب؟.

الجواب: يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ... ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة المائدة]، ويقول سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة الأحزاب]، ويقول جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [سورة البقرة]، **وقال**

ﷺ: «بلغوا عني ولو آية» [1]، **وقال** ﷺ: «نضر الله امرأ سمع مقالتي، فوعاها وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[2].

فالإسلام دين البيان والبلاغ المبين لنشر العلوم والفضائل والهدى والنور، وهو الوحيد الذي انفرد بالأذان.. وهو نوع من الإعلام والبلاغ. وإذا كان العالم يعاني سيطرة الصهيونية على مقدراته، فإن ذلك بسبب سيطرتها على الإعلام العالمي.

ولقد آن الأوان لأن يتحمل كل منا قسطه من مسؤولية الإعلام والبيان والبلاغ المبين، في مواجهة التحديات المصيرية المتمثلة في اتساع رقعة: الجهل، والفقر، وانتشار المخدرات، والجريمة، والعنف، وتلوث البيئة. وإذا لم نتحمل المسؤولية بأمانة في إصلاح ما يمكن إصلاحه وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من عناصر البيئة والحياة، فإننا سوف نتعرض إلى المساءلة والجزاء من رب العالمين، يقول تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة الصافات].

وإن ما يدعو إلى التفاؤل هو ما نراه من بعض المحاولات الجادة

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما، في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم ٣٢٧٤.

(٢) أخرجه الترمذي من حديث ابن مسعود ﷺ، في كتاب العلم، باب الحث على تبليغ السماع، برقم ٢٦٥٨؛ وهو صحيح.

والبناءة في الإعلام العربي الإسلامي، بعنوان متعة الإعلام الهادف والملتزم، وهذا أول الغيث الذي هو قطر ثم ينهمر. وإننا لنرجو لهذا الخير أن ينمو ويتعاظم، ليشمل جميع مناحي الحياة.. وليصل إلى كل قرية وبيت. وإن من الثابت أن من يعمل بعمل الأنبياء يحشر معهم في عالم الخلود والنعيم المقيم، **قال** ﷺ: «ألا أخبركم عن الأجود؟ الله الأجود الأجود، وأنا أجود ولد آدم، وأجودهم من بعدي رجل علم علماً فنشر علمه، يبعث يوم القيامة أمة وحده»[1].

إن المسلمين عامة- والعرب خاصة- يحتاجون إلى أكثر من قناة فضائية. فما الذي يمنع أن نُوظِّف جميع قنواتنا الفضائية لنشر العلوم والنظام والأخلاق والعبادات، واستثمار الوقت والآداب، وبناء الإنسان وتنمية مواهبه، كي نتمكن من بناء مستقبل أمتنا وعزتها وازدهارها؟ أليس الإسلام- بجوهره وحقيقته- يدعو إلى ذلك؟.

إنني أدعو- من خلال مجلتكم- جميع من يملكون الإمكانات المالية والإعلامية والعلمية والسياسية إلى العمل في صف واحد لنشر دين الله بحكمة ومحبة.

(١) أخرجه أبو يعلى، من حديث أنس ﷺ، مسند أنس، ما أسنده الحسن بن أبي الحسن عن أنس بن مالك، برقم ٢٧٩٠؛ وهو ضعيف.

✍ **السؤال الرابع**: يبدأ الفصل التشريعي الجديد في سورية مع قدوم شهر رمضان المبارك، وقد دخله عدد من النواب المعتدلين إسلامياً. فما تقديركم للعلاقة بين الإسلام والسياسة في سورية؟ وهل يجوز للداعية الإسلامي أن يستفيد من قبوله الجماهيري في الترشيح للانتخابات أو التوصية بانتخاب مرشح معين أو أكثر؟.

الجـــواب: قال ﷺ: «الإسلام والسلطان أخوان، لا يصلح واحدٌ منهما إلا بصاحبه، فالإسلام أمين والسلطان حارس، وما لا أمين له مُنهدم، وما لا حارس له ضائع»[1]. ونحن في سورية نعمل- منذ عقود، وبكل جهد ممكن، وبتوفيق الله وحمده- على رص الصفوف وتوحيد الكلمة والتعاون البنّاء، ونقدم كل جهد صادق مخلص خيّر لمواجهة تحديات العصر، انطلاقاً من أمر الله تعالى: ﴿... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ...﴿٢﴾﴾ [سورة المائدة]، وأمره تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ...﴿١٠٣﴾﴾ [سورة آل عمران]. ولقد باتت سورية مثالاً يُحتذى في الوحدة الوطنية والعمل الجاد لتحقيق التقدم والازدهار في جميع مجالات الحياة.

(١) أخرجه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما، باب الهمزة، فصل في الإسلام، برقم ٣٩٦، وسنده ضعيف [انظر: الفردوس (١/١١٧)]. وفي رواية: الإسلام أمير والسلطان حارس.

✍ **السؤال الخامس:** تسهمون في تدريب الكثير من الدعاة من دول آسية الوسطى. فما تقديركم للتطور الإسلامي في هذه الدول؟.

الجـــواب: منذ سنوات بعيدة، يقوم مجمعنا الإسلامي باستقبال أعداد كبيرة من الطلبة من مختلف دول العالم، ومنها آسية الوسطى وقفقازية، لإعدادهم وتأهيلهم وفق منهج الوسطية والاعتدال.. علمياً وفكرياً وروحياً، على حسب توجيه الآية الكريمة.. ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... ﴿١٤٣﴾ ﴾ [سورة البقرة] والآية الكريمة..﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [سورة الأنبياء]، **وقول رسول الله** ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس»[1].. و«الإنسان أخو الإنسان أَحَبَّ أم كره»[2].

ولقد بدأ الطلبة يعودون إلى بلدانهم ليفتتحوا مساجد ومعاهد ومدارس ودورات، لتعليم علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية. ونحن نهيب بجميع القادرين لتقديم كل دعم ممكن، لزيادة وتائر العمل البنَّاء، ورفع معدلات العطاء والإنجاز، لملء الفراغ الكبير المهيمن على معظم مجالات الحياة.

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٢٢٣)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو حسن لطرقه.

(٢) أخرجه ابن حبان عن أنس في البر والإحسان، برقم ٢٥١٠، بإسناد صحيح على شرط مسلم.

✍ **السؤال السادس**: ما تقديركم لما تقوم به حركة طالبان في أفغانستان؟ وكيف يمكن الخروج من المأزق الأفغاني؟.

الجواب: من المحزن أن ما يجري في العالم الإسلامي من حروب بشعة، تدمر القيم الإنسانية، وتستترف موارد الشعوب الإسلامية وثرواتها، وتشيع الفوضى والبؤس؛ وتقدم خدمات جليلة لقوى البغي والاستعمار والعدوان، لتشويه صورة الإسلام والمسلمين المشرقة. ولقد آن الأوان لأن يعمل كل منا في موقعه- بكل الصدق- لإيقاف هذا الترف، وتفويت الفرصة على أعداء الإنسانية ومخططاتهم التخريبية.

إن ما يجري من حرب مأساوية بشعة في أفغانستان لا يقبل بها شرع ولا عقل ولا عرف، قال ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. فقلت: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»[1].

وإن من الواضح أن هناك قوى مستفيدة من هذه الحرب، وهي تتبع سياسة فرق تسد.. وسياسة اللاغالب واللامغلوب، من أجل إطالة زمن الحرب.. واستتراف قدرات العالم الإسلامي.. وتكريس التناقضات والفرقة والتخلف فيه.

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي بكرة ﷺ، في كتاب الإيمان، باب {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما} [سورة الحجرات: الآية ٩]، برقم ٣١.

✍ **السؤال السابع:** تقوم أمريكة بضرب العراق لعدم التزامه بالتفسير الأمريكي لقرارات الأمم المتحدة الخاصة بحرب الخليج الثانية. فهل يجوز إسلامياً ذلك؟ وما الحل الإسلامي لمثل هذا الأمر؟.

الجواب: هذه المجزرة أقل ما توصف به أنها إرهاب دولي وعمل حقير غير أخلاقي، يخالف- على نحو فاضح- مبادئ هيئة الأمم المتحدة، ويناقض شرائع حقوق الإنسان، بيد أدعياء حقوق الإنسان وتجارها في العالم.

إن **كلينتون** أضاف إلى فضيحته اللاأخلاقية فضيحةً أكبر منها، بهدره دماء المدنيين والأطفال الأبرياء.. وقتلهم بصواريخ وقنابل أمريكية. وهكذا، يذهب الناس الأبرياء وأوطانهم الآمنة- في عصر نظام الكذب والتدجيل العالمي- ضحية التروات السياسية!

لماذا يضرب العراق لحجج واهية، على حين يسرح الكيان الإسرائيلي ويمرح بالأسلحة الكيميائية والجرثومية والنووية؟! لماذا يمتنع الكيان الإسرائيلي عن تنفيذ عشرات القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة ومجلس الأمن، ويتمرد، ويوجه الإهانات المتتالية إلى أمريكة والعالم؛ ثم يكافئ بشحنات الأسلحة الحديثة ومليارات الدولارات؟! هل هذه هي مبادئ حقوق الإنسان التي يتشدقون بها؟!

يجب إيقاف هذا العدوان من فوره، لأنه مناقض لشرعة الأمم المتحدة. وليست هذه الجريمة الأولى ضد الإنسانية، التي يرتكبها الأمريكيون؛ فقد قاموا- قبل أشهر- بقصف معمل للأدوية في السودان، وأدى ذلك إلى قتل عدد كبير من المدنيين والأبرياء. وكذلك قامت أمريكة وبريطانية بمحاصرة ليبية ولا تزالان، وقد سبق أن قصفت الطائرات الأمريكية المناطق السكنية فيها، وقتلت عدداً من الأبرياء!!

وإنني أدعو الشعوب والحكومات العربية الإسلامية إلى بذل جميع الجهود لمساعدة الشعب العراقي بكل الطاقات، وإرسال المساعدات الطبية والغذائية والمالية، وتشكيل لجان الدعم، وجمع التبرعات على المستويات كافة. وكذلك أدعوهم إلى فك الحصار عن الشعوب العراقية والليبية والسودانية، وعدم الالتزام بالقرارات الظالمة المفروضة عليهم وعلى بقية الدول الإسلامية.

ثانياً

الدراسة والتحليل

حوارات مع الصحافة العالمية

عن موضوعات السّاعة في الساحتين الإسلامية والعالمية

- **محور القضايا الدعوية:**
  - **الدعوة الإسلامية المعاصرة:**
    - تجربة مديدة ناجحة، مستمدة من الداعية الأول.
    - الدعوة أساسات وبناء وأسلوب.
    - ما يجب ان يميز علاقة العلماء بعضهم مع بعض.
    - ترشيد الصحوة الإسلامية.
    - الإسلام يتسع للزمان والمكان ومشكلات العالم.
  - **مدرسة شهر رمضان المبارك:**
    - يوم القدس وشهر رمضان.
    - الإفتاء وشهر رمضان.
- **محور القضايا الإعلامية:**
  - **الإسلام والإعلام وتقنيات الاتصالات:**
    - البرامج الفضائية العبثية وقضايانا المصيرية .
    - قناة تلفازية إسلامية.
    - المسؤولية مسؤولية الجميع.

- **محور القضايا المعاصرة:**
  - **الإسلام والعلمانية:**
    - دراسة الإسلام ومعاداة الدين الخاطئ.
    - تاريخنا وتاريخهم.
  - **الإسلام والتحدي الحضاري:**
    - موقعنا من صدام الحضارات!
- **محور قضايا التخلف والنهوض:**
  - **تخلف المسلمين وأسبابه:**
    - من الأسباب الخارجية.
    - من الأسباب الداخلية:
      * انتشار الجهل.
      * ضعف التربية السلوكية.
      * التعصب المذهبي.
      * إغلاق باب الاجتهاد.
      * التفريط وإهمال التجديد.
      * إهمال فقه الحياة.
  - **من عوامل نهوضنا:**
    * النهوض يبدأ من دواخلنا.

* النهوض بمعرفة نقاط القوة والضعف.

* النهوض بتصحيح المنهج.

* مسؤولية النهوض وأدواته العصرية.

❑ **محور القضايا الاقتصادية:**

- **الوقف الإسلامي والتنمية الاقتصادية:**
  - o دور الوقف في عملية التنمية الاقتصادية.
  - o الوقف بين اجتهادات القدامى ومستجدات العصر.
  - o اقتصار الأوقاف على المعاهد الشرعية وفقد الكفاءات.
  - o واقع الوقف وسبب اختفاء دوره التنموي.
  - o الدعوة والدعاة في مصارف الوقف.
  - o تجديد الدور التنموي للوقف بتعاون أهل الاختصاص.

❑ **محور القضايا السياسية:**

- **الغارة على العالم الإسلامي:**
  - o الموقف من أسلحة التدمير الشامل.
  - o العدوان المستمر للكيان الإسرائيلي على الأمة.
  - o التطبيع مع الكيان الصهيوني.

- فاعلية منظمة المؤتمر الإسلامي.

- **خلط بين الإرهاب والمقاومة وتشويه الإسلام:**
  - عنف بعض الإسلاميين وأسبابه الخارجية.
  - التطرف والتكفير والعنف.
  - دور الحكومات في نشوء ومعالجة التطرف.
  - مشكلة العنف في الجزائر.
  - حق المقاومة ضد الاحتلال ودور العلماء.
  - مشروعية العمليات الاستشهادية.
  - بناء علاقة **وطنية متوازنة بين العلماء والحكام.**

حوارات مع الصحافة العالمية

عن موضوعات الساعة في الساحتين الإسلامية والعالمية

شملت موضوعات الحوار بين عدد من مراسلي الصحف العالمية وسماحته- رحمه الله تعالى- ستة محاور رئيسة: دعوية عالمية وتعبدية رمضانية، إعلامية ربانية، حضارية معاصرة، اقتصادية تنموية، سياسية تهم العالمين العربي والإسلامي...

❑ محور القضايا الدعوية

يذكر فيه سماحته نقاطاً عدة.. تبدأ من بيان واجب الدعوة.. وبيان صفات العالم المرشد.. وأثر الفضائيات والوقف في نشر الدعوة.. وتنتهي بعلاقة الداعية مع الحاكم.. والجامع بين هذه الأفكار في عرض سماحته هو الفهم الواعي لكل مسألة لنخرج بنتيجة مفادها: "**الدعوة بناء وعلم وحكمة.. وفهم للواقع.. وتعاون مع جميع فئات المجتمع لتحقيق المصلحة العامة**".

وفي خضم مسيرة الدعوة الإسلامية، يبرز دعاة حقيقيون يصبحون مدرسة في الدعوة، لهم منهج يُحْتذَى وخبرات يستفاد منها.

- **الدعوة الإسلامية المعاصرة**
  - **تجربة مديدة ناجحة، مستمدة من الداعية الأول**

في نقطة "قدرة الداعية على المسير بوتيرة عالية زمناً مديداً"، حرص مراسل جريدة البيان- لّما تمثلت أمام ناظريه قدوة عملية، خاضت مسيرة دعوية مديدة قوية بلا ملل ولا فتور- أن يسأل سماحته عن سر نجاح تجربته وديمومتها، عسى أن يكون قدوة للآخرين في حقل الدعوة... فيأتي الجواب بعيداً عن الأنا ومدح الذات... ويكون سماحته موضوعياً في طرحه، مستمداً **جوابه من القرآن والسنة**.. ولعل من يقرأ الأسس- التي يضعها سماحته لطريق الدعوة المستديمة المنتجة- يجد أنه لا تعقيد في فحواها ولا تشديد.. بل هي **مستمدة من الداعية الأول سيدنا "محمد"** ﷺ، الذي أعطى جميع الدعاة كنوزاً رائعة.. ولكن هل كل من يتصدر مقام العلم والدعوة يستطيع كشفها والإفادة منها؟.

  - **الدعوة أساسات وبناء وأسلوب**

إن الأفكار التي يطرحها سماحته تأخذنا إلى نتيجة مفادها أن "الدعوة أساسات وبناء وأسلوب". والأساسات هي **المعرفة بالله** عن طريق العقل والقلب **والموهبة، والبناء** هو الأخلاق والإخلاص والخبرة، **والأسلوب** هو الحكمة والحوار الإيجابي البنّاء...

وبهذه الأمور يستطيع الداعية مواصلة العمل وسط الأجواء المناقضة لدعوته، اقتداءً بالرسول ﷺ.. الداعية الأول.

ويؤكد سماحته أن عمل الداعي يجب أن يكون بعيداً عن المصالح الشخصية وأن لا يكون لشخص أو جماعة أو فئة، بل دعوة تنفتح على الجميع وتنسق معهم وتتعاون معهم.

ويستطيع الداعي الوصول- بالأسلوب الحكيم- إلى قلوب الناس وقناعاتهم.. وإن الناس بحاجة إلى الداعي القدوة أكثر من حاجتهم إلى الشعارات والنظريات والكلام المنمق.. وإن قوة الدعوة الإسلامية هي قوة ذاتية؛ لأن الإسلام منسجم مع العقل والعلم والفطرة.. وإن الناس ينجذبون إليه إذا توفر العرض الحسن الحكيم. ولذا، فإن الإسلام هو الدين الأسرع انتشاراً في عالمنا المعاصر. ويشير سماحته إلى أن الدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم ومسلمة.. وعلى الداعي أن يتحلى بالصبر والشجاعة والتلطف بالناس والرحمة بهم.. وأن يحاور الناس بالتي هي أحسن، مستعملاً وسائل الجذب والإقناع.. وأن يتحرك ضمن دائرة الممكن وليس بحصول ما يتمناه.

وكذلك على الداعي أن يرث من رسول الله ﷺ الأخلاق العظيمة، والصفات الحميدة، والعلم الصحيح، والعقل الحكيم، وعدم التطلع إلى حظوظ الدنيا ومكاسبها، وأن يخدم الناس ويساعدهم، ولا

يعيش في برج عاجي يتطلع إلى تعظيم الناس له وخدمته وتحصيل الأجر والجاه منهم.

○ ما يجب أن يميز علاقة العلماء بعضهم مع بعض

ويحث سماحته الدعاة والعلماء على التعاون وأن لا يتنافسوا على كسب ولاء الناس لهم، بل يتنافسوا على كسب رضاء الله تعالى، وعليهم أن ينسقوا فيما بينهم ليتكامل العمل بين الجميع على جبهة دعوية واحدة.

○ ترشيد الصحوة الإسلامية

ويتحدث سماحته عن الصحوة الإسلامية واندفاع الشباب نحو الإسلام، بسبب ازدياد الوعي من جهة.. وتوفر جهود دعوية مخلصة من جهة أخرى، قام بها عدد من الدعاة المؤهلين، الذين قدموا الإسلام للناس بطريقة حسنة مقنعة؛ لأن الإسلام كماء الحياة تزدهر به الحياة أينما حل، ولأن الناس وجدوا في الإسلام- عامة- حبل نجاتهم من التوحش المادي والخواء الروحي إلى حياة متوازنة تستجيب لمتطلبات الفطرة ولا تقهرها.

ويؤكد سماحته أن الصحوة الإسلامية تحتاج إلى ترشيد، لأن بعض الشباب المتحمس لم يتعرف إلى حقيقة الإسلام بدقة وعمق، وهو

بحاجة إلى تعميق دراسته عن الإسلام ومعرفته به.. وهم أيضا لم يتقنوا الحكمة، بل يتسرعون في قطف الثمار قبل نضجها، فيحرمون من خيرها، وهذا يؤثر سلباً في العمل الإسلامي. **ويرى سماحته أن الخطأ بالصبر خير من الخطأ في النتائج.**

○ الإسلام يتسع للزمان والمكان ومشكلات العالم

ويبين سماحته أن التكاليف الشرعية تتسع لكل زمان ومكان، لأنها من خالق حي قيوم... وما تأكيده ذلك إلا رسالة لجميع المسلمين- على اختلاف مستويات التزامهم بدينهم- أن الإسلام دين سعادة لكل شخص مستمسك بمبادئه الحقيقية السمحة، البعيدة عن الجهل أو التزييف أو المغالطة أو التطرف.

والدعوة إلى الله وتعريف العالم بالإسلام باب لإنقاذ العالم من مشكلاته المستعصية.. والحل لبناء أهدافه النبيلة... فالحروب والقوة لم تعد تحل شيئاً.. ولا بد من استعمال سلاح الدعوة لزرع الثقة بالإسلام في نفوس المسلمين من جديد، ثم زرعها في نفوس جميع البشر ليعم الأمن والسلام والرخاء في العالم.

ولذا، **يبشر سماحته بالمستقبل الزاهر للإسلام**، إذا عمل الجميع وفق المخطط الإلهي القائم على العلم والعقل والعمل المدروس المخلص.. مع تهييء الدعاة الأكفاء كماً وكيفاً.

• مدرسة شهر رمضان المبارك

الحديث عن شهر رمضان حديث روحاني، يخرج من قلب الشيخ وعقله.. شيخ يعرج في فضاء الأولياء وسماء المعرفة بالله، فيعبر سماحته عن أهمية رمضان للأمة الإسلامية في يومها الحاضر... ويؤكد عمق مكانة الشهر في نفوس المسلمين، الذين جعلوا هواهم في هوى رسول الله ﷺ.. وربطوا قلوبهم بروح الهداية النابعة من حكمة الصيام.. المذكورة في القرآن.. ألا وهي "تقوى الله"...

ثم ينبه سماحته إلى لزوم إصلاح أبناء الأمةِ نفوسهم وصولاً إلى تبني الإسلام الحقيقي طريقاً إلى النصر والتفوق وتحقيق جميع الأهداف النبيلة.. ولعل أهمها "سعادة البشرية".

ويشير سماحته إلى أن شهر رمضان دورة سنوية للتنمية الروحية والنفسية والصحية والاجتماعية، وأنه يفرض وجوده على مستوى كل من الفرد والأسرة والمجتمع، وهو شهر التغيير والتصحيح، وهو شهر تنمية الإرادة الصلبة، التي تحتاج إليها الأمة لتغيير واقعها المتخلف وتحقيق نهضتها على المستويات كافة.

○ يوم القدس وشهر رمضان

ويعلي سماحته دور الشعب الفلسطيني في الدفاع عن بلدهم ومقدساتهم.. ولا سيما القدس.. حين يتزامن يوم القدس مع شهر رمضان، وكأنه يعطي حكمة رائعة وغاية سامية من صيام رمضان.. وهو تحقيق الجهاد الأكبر، جهاد النفس وتقوية الإرادة.. كي نضمن النصر في الجهاد الأصغر، جهاد العدو، الذي يبشر سماحته بمجيئه، وإن كانت الطريق بعيدة... لأن صاحب الحق المدافع عنه لا يهزم...

○ الإفتاء وشهر رمضان

عندما يأتي شهر الخير يتنوع الخير في بلادنا شكلاً ومضموناً، ومن ذلك كثرة اللقاءات والحوارات مع العلماء العاملين، ليسهموا في نشر العلم والهدى والإجابة عن تساؤلات المجتمع وقضاياه المتجددة..

ففي هذا الشهر، تُطرح قضايا من وحي روحانيته والعبادة والإحسان والبر فيه، وتُطرح قضايا أخرى متجددة.. تغتنم حلول هذا الشهر.. إذ تكون النفوس- من مختلف المستويات الإيمانية- جاهزة لتقبل النصح والإرشاد.

❑ محور القضايا الإعلامية

• الإسلام والإعلام وتقنيات الاتصالات

يحث سماحته على التخطيط للبرامج الإعلامية خاصة وللرسالة الإعلامية عامة؛ فلا يوجد عاقل يقبل القيام بعمل من دون تخطيط ودراسة... فكيف بالعمل الإعلامي، الذي يخاطب العقل والوجدان.. ويؤثر في مقدرات الأمة.. ويسهم في بناء الحضارة الإنسانية جميعها؟!

○ البرامج الفضائية العبثية وقضايانا المصيرية

وفي موضوع اغتنام الإنسان وقته.. وعدم هدره على مشاهدة البرامج الإعلامية صباح مساء، ولا سيما الهابطة منها، المتنافية مع الأدب والخلق والقيم، يوضح سماحته مسؤوليتين: إحداهما تقع على الفرد، في جهاده للنفس وتجنب إضاعة الوقت، والأخرى تقع على الإعلام.. ولزوم تحمل كل جهة مسؤوليتها في مواجهة الإعلام العبثي.

ويثير سماحته- صراحة- الأثر السلبي لبعض البرامج في بعض الفضائيات، مع بيانه أن **الإسلام لا يمانع في جعل حيز من الوقت للبرامج الترفيهية.**

ويتساءل عن نسبة البرامج الموجهة إلى معالجة المشكلات التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية مقارنةً ببرامج الرقص والغناء أو

الموضوعات التافهة، التي لا يحصل منها الإنسان على أي فائدة! ويقول سماحته: إذا ما لا حظنا الميزانيات الهائلة، التي تنفق على صناعة الإعلام مقارنة بالناتج الإعلامي في مختلف المجالات، وجدنا أن الحاجة إلى إعادة النظر في سياستنا الإعلامية باتت ماسة.

وينبه سماحته إلى **خطورة الكلمة**، في كونها صوتاً ومعنى يتحول إلى فعل في سلوك الإنسان، وفي كونها أساس البيان والخطاب الإعلامي؛ فبالكلمة نهدم.. وبها نبني صروح مجد الأمة، وهذا ينبهنا إلى عظيم المسؤولية الإعلامية وخطرها.

ولذا، يوجه سماحته إلى سد الحلقة الفارغة والوصلة الضائعة في سياسة الإعلام والبرامج الإعلامية، ألا وهي دور الخبراء في جميع التخصصات.. ويتساءل عن مقدار تفعيل خبراتهم في وضع الخطط اللازمة لمنهج السياسة الإعلامية العربية الإسلامية.

ثم يختم سماحته بإثارة التساؤل والتعجب من عرض ما يذيب شخصيتنا ويضر بمجتمعنا.. في وقت تتربص بنا الأعداء وتسلب خيراتنا وتحارب عقول شبابنا!! قاصداً- من تساؤله وتعجبه- حث الهمم والمروءة والشهامة العربية.. فضلاً على الوازع الديني الأخلاقي.. في مواجهة **الغزو الإعلامي والحفاظ على هوية مجتمعنا** وعلى **الأجيال من الانحراف والفوضى والضياع....**

ثم واعجباً لمجتمع يرقص ويغني وأرضه ومقدساته وأهله مستباحون!!

- **قناة تلفازية إسلامية**

ويبَيَّن سماحته حرص الإسلام على الخطاب الإعلامي وأهمية الكلمة ودورها من خلال عرضه للآيات والأحاديث والمفاهيم المتعلقة ببناء الفرد والمجتمع والأمة وقضاياها... وفي توجيهه هذا توجيه للقائمين على الإعلام لدراسة الإسلام من الناحية الإعلامية، وعدم الاكتفاء بما يردنا من الخارج... فإنتاجنا المحلي أولى من الخارجي، وما يصدر من ثقافتنا وعاداتنا وقيمنا أحق مما يصدره الآخرون إلينا من ثقافاتهم وعاداتهم..

ولذا، دعوة سماحته إلى إنشاء قناة تلفازية إسلامية تعمل على نشر الإصلاح الديني والفكري والتربوي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وتسهم في رفع الحالة المعرفية في المجتمعات الإسلامية.. بل يذهب بعيداً فيقول: إنه عندما نفهم أجواء الإسلام الحقيقي، فسنجعل جميع قنواتنا تسهم في عملية الإصلاح والتنمية، لبناء مستقبل زاهر لبلادنا وأمتنا.

ويتساءل سماحته: ما الذي يمنع أن نوظف جميع قنواتنا الفضائية لنشر العلوم والنظام والأخلاق وتحقيق التنمية البشرية الشاملة وبناء الإنسان المتميز بمواهبه مع نشر ثقافة الاستثمار الصحيح للوقت!

○ المسؤولية مسؤولية الجميع

ويؤكد هنا سماحته أن على كل أصحاب القدرة أن يتحملوا مسؤوليتهم في صناعة إعلام هادف، والمسلمون في حاجة إلى أكثر من قناة فضائية، ثم يدعو جميع الذين يملكون الإمكانات السياسية والعلمية والمالية والإعلامية للعمل معاً على تحقيق هذه الأهداف الإسلامية الإعلامية.

❑ محور القضايا المعاصرة

تحتاج بعض القضايا في عصرنا إلى تداول بين العلماء، لأخذ آرائهم وبيان موقف الإسلام منها، لما للإسلام من أهمية في حياتنا الشخصية وحياتنا العامة... من هذا المنطلق يطرح سماحته آراءه- المنبثقة من جوهر الإسلام وحقيقته- في بعض القضايا المعاصرة التي تمس الأمة الإسلامية...

- **الإسلام والعلمانية**

لعل منهج الحوار يُعَدّ من أنجح الوسائل لعرض الأفكار وتصحيح الرؤى.. ولا سيما إن كان بين من يتقن أسلوبه، ويعرف مبادئه وأحكامه، ويتمتع بنظرة عالمية وحضارية للفكر الذي يريد أن يتكلم عنه..

بهذه الروح وهذه المنطقية كان الحوار بين سماحته وصحيفة تمثل فكر العالم الغربي اليساري.. حوار دار حول موضوعات عدة، منها موضوع الإسلام والعلمانية...

يضع سماحته النقاط على الحروف، عندما يبيَّن **حقيقة العلمانية ومنشأها**... لأن اختلاف المفاهيم والمصطلحات من أهم مشكلات الحوار في هذا العصر... فلا يجوز الحوار في قضية يختلف المتحاوران في مفهومها الأساس، إلا بعد الاتفاق على تعريف مشترك أو متقارب لتلك القضية...

ومن هذا المنطلق، يبيّن سماحته أنه لا تناقض بين العلمانية والإسلام.. إذ لا يمكن للعلمانية أن ترفض الإسلام الحقيقي، الذي يدعو إلى العلم وينمي العقل ويطلق التفكير ويبحث عن الحقائق.. وإن سوء تطبيق الإسلام من بعض المسلمين ليس مبرراً لفصل الدين عن الدولة في البلاد العربية والإسلامية..

وهذه دعوة من سماحته للعلمانيين إلى الكف عن الدعوة لفصل الدولة عن الدين الأصيل... ومن جهة أخرى إلى الكف عن لصق الأفكار الغربية بديننا ومجتمعاتنا.. لمجرد التشابه في الألفاظ.. أو الممارسات الخاطئة؛ فالغرب أدار ظهره لدين لا يحترم العقل والعلم، بل احرق العلماء الذين اكتشفوا حركة الأرض وأنها غير ثابتة، لأن ذلك يخالف ما ورد في كتابهم المقدس.

○ دراسة الإسلام ومعاداة الدين الخاطئ

ويركز سماحته- **في موضوع تحريف الدين-** ، فيبين أن التحريف هو الذي جعل أوربة وروسية تثور على الدين عندهم على حسب ما وجدوه من صدام بين نصوصه وبين العلم والعقل .

وهنا، يدعو سماحته العالم إلى دراسة الدين الإسلامي دراسة موضوعية، لجعله نبراساً ودليلاً ينقذه من مشكلاته.. علماً بأن القرآن لم ينتابه أي تحريف أو تغيير كما أثبتت الدراسات والتحقيقات العلمية.

ويدعو- على نحو خاص- المسلمين إلى العودة إلى دينهم، وتحمل مسؤولية التعريف به.. لأن الإسلام لا يناقض العلم والعقل والعدل وحقوق الإنسان ويعطي حرية الاعتقاد لكل الناس. فلا توجد مشكلة بين الإسلام والعلم ولا تناقض بينهما؛ فالإسلام يشجع العلوم والعلماء ويدعو إلى التقدم العلمي والتقني (التكنولوجي) ويجعل من طلب العلم

فريضة على كل مسلم ومسلمة.. فهل يمكن للعلمانية أن ترفض هذه الحقائق الإسلامية؟!

لقد نشأت العلمانية في الغرب بسبب ما تعرض له العلم والعلماء على يد الكنيسة، فحصلت ثورات ضد الكنيسة في دول أوربية كروسية من اجل التحرر والتقدم العلمي وتم رفع الشعار العلماني "فصل الدين عن الدولة"، في حين كان الإسلام يعطي العلماء بمقدار وزن كتبهم ذهبا تشجيعا لهم..

- **الإسلام والتحدي الحضاري**

ينبه سماحته إلى الفارق الهائل بين حضارة الغرب وحضارة الإسلام في التعاطي مع البناء.. فبناء الغرب مادي.. وبناء الإسلام ماديٌّ وروحي.. بناؤهم يخالف طبيعة هذه الحياة... وبناء الإسلام منسجم مع فطرة هذه الحياة... الإسلام يلقح القيم الحضارية المادية بالقيم الحضارية الروحية والأخلاقية؛ فالحضارة الإسلامية ماديةٌ روحيةٌ أخلاقية.

ولذا، يرى أن التحدي الحضاري في عالم اليوم يحتاج إلى أخذ المسلمين زمام المبادرة والعمل.. من دعاة أكفاء موهوبين.. على ترميم ما نقص في حضارة الغرب... لا أن يصطدم معها.. بالتوازي مع قيام المسلمين بترقية حضارتهم المادية الموجَّهة بمقود روحانيةِ دينهم.. فلن يقبل الغرب أن يتتلمذ على أيدينا إن لم يرَ العقلية المتناسبة مع حضارته المادية.. والروحانية التي يفتقدها... إن الإسلام يملك الطاقات الفكرية

والروحية والأخلاقية لإخراج الحضارة المادية من مأزقها، وتحويلها إلى حضارة إنسانية يشارك فيها الجميع.

○ موقعنا من صدام الحضارات!

لا أحد يستطيع أن ينكر قوة الإسلام وتأثيره في حياة الإنسان في هذا العالم.. ولذا، قام الغرب جاهداً- ولا يزال- في منافسة الإسلام وتأثيره.. إما بالحروب وإما بالفكر.. ومن يحاول أن يشوه حقيقة الإسلام ويجعله في موقع التحدي والخصام، يُبعد الإسلام عن جوهره وحقيقته... ويؤكد سماحته هذه النتيجة... ويدعو إلى تحقيق الذات مادياً وروحياً... وبهذه الاستراتيجية نعيد مجد الإسلام... ولا سيما أن لنا تجربة في فتح نصف العالم القديم ونشر حضارة متكاملة على امتداده.. يشهد بها التاريخ، ويشهد بها الأعداء..

❑ محور قضايا التخلف والنهوض

• تخلف المسلمين وأسبابه

يؤكد سماحته أن ظاهرة التخلف طارئة على المسلمين، لأن الإنسان المسلم يمتلك ناصية الإبداع والتميز وهو ليس أقل كفاءة من بقية الناس، وقد أثبت ذلك عبر التاريخ؛ فصنع حضارة متميزة شهد لها القريب والبعيد. ولكن ثمة أسباب كان لها الأثر الكبير في تخلف العالم

الإسلامي وحياة المسلمين في الماضي والحاضر. ويرى سماحته أن منها أسباباً خارجية، وأخرى ذاتية داخلية.

- **الأسباب الخارجية**

ومن الأسباب الخارجية لتخلفنا تسلط المستعمرين على مقدرات الشعوب الإسلامية، وتسخير الغرب للمنظمات الدولية للضغط على العالم الإسلامي، والعمل على تمزيق كيانات الدول الإسلامية وتفكيكها، وإثارة النعرات الطائفية والعرقية الإثنية وتغذيتها وإشعالها، ودعم الأنظمة الديكتاتورية التي تحقق لها مصالحها.

- **الأسباب الداخلية**

ومن الأسباب الداخلية لتخلف الأمة: انتشار الجهل وثقافة الزهد والتوكل بمفاهيم خاطئة، والتحول من الحوار وقبول الآخر إلى التعصب. ومن ذلك أيضاً إغلاق باب الاجتهاد وتعطيل العقل والتفكير في مصالح الأمة وحل مشكلاتها، وفقدان العلماء المبدعين والمجددين لفهم الإسلام والواقع المعيش للمسلمين.

* انتشار الجهل

ويوضح سماحته أن من أسباب تخلف المسلمين هو انتشار الجهل بينهم حول حقائق دينهم وضعف فهمهم للإسلام وأهدافه ومقاصده، ومن ذلك التقصير الكبير في ميدان العلوم والتقدم في كل من الاقتصاد والصناعة والتقنيات (التكنولوجية). علما أن من مقاصد الإسلام فرضية التعلم والتعليم. فعلى العالم أن يعلّم وعلى الجاهل أن يتعلم بغير اختيار، والتعليم مجاني، ولا يحده زمان، فهو من المهد إلى اللحد، ولا يحده مكان ، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها واطلبوا العلم ولو بالصين وهكذا يتخلف المسلمون كلما ابتعدوا عن قيم الإسلام التي قامت بها حضارته العظيمة كالعلم والحكمة والتنمية البشرية التي أولاها الإسلام اهتماما عظيما.

* ضعف التربية السلوكية

ويرى سماحته أن من أسباب التخلف ضعف التربية السلوكية وتغلب القيم السياسية على الإسلامية، وتحول الولاء من الإسلام إلى الجماعة، ومحاولة إلغاء الرأي الآخر.

* التعصب المذهبي

ويؤكد سماحته أن الإسلام يحارب التعصب، لأنه أحد أسباب التخلف، ويرحب بالحوار ولو اختلفت الآراء، وهذه ظاهرة صحية وحضارية. ويشير إلى أننا يجب أن نتعامل مع المذاهب على أنها مدارس فكرية فقهية، وهي غنية جداً بالآراء والاجتهادات التي تفتح أبواباً واسعة لمعالجة قضايا الإنسان ومشكلاته في معظم نواحي الحياة، وهي من أهم العلوم التي أنتجتها الأمة ولا يمكن الاستغناء عنها، ولكن يجب أن نحذر من التعصب والتشدد كما كان سائداً في عصور ماضية، أو أن نجعل المذهب هو الدين وحده. علينا أن نختار من الاجتهادات ما يوافق المصلحة العامة للمسلمين.

والتعصب يفضي إلى التطرف، ثم إلى التكفير، ثم إلى العنف.

* إغلاق باب الاجتهاد

يؤكد سماحته أن إغلاق باب الاجتهاد وتعطيل العقل والتفكير في مصالح الأمة كان أحد أسباب التخلف. ولذا، يدعو سماحته إلى بقاء باب الاجتهاد مفتوحاً، كي توضع الحلول لكل ما يستجد في حياة الأمة؛ فطبيعة الحياة قائمة على التغيير والتطوير، وعلى الفقه الإسلامي أن يواكب حركة تطور المجتمعات الإسلامية. ولكن الاجتهاد ليس

مفتوحا لكل مدع، بل يجب أن تتوفر شروط الاجتهاد التي نص عليها الفقهاء والأصوليون في من يتصدر للاجتهاد، بل يجب أن يتطور الاجتهاد من الاجتهاد الفردي إلى الاجتهاد الجماعي عبر المجمعات الفقهية للإحاطة بكل التخصصات ذات العلاقة واتساع مساحة الموضوعات التي تحتاج إلى الاجتهاد، فمنها الطبية والفلكية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية..

* التفريط وإهمال التجديد

وهنا يشير سماحته إلى الفارق بين التجديد والتفريط.. فالتجديد مطلوب في الإسلام كما نصت التوجيهات النبوية كي ننفي عن الإسلام تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.. والتجديد هو تجديد مفاهيم الإسلام وأهدافه في المسلمين، وليس تجديد الإسلام نفسه؛ فالله تعالى أكمل هذا الدين وأتمه ولا يحتاج إلى إضافة أو حذف.. فالتجديد يعني التمسك بحقائق الإسلام وبيانها وإزالة ما شابها من الأخطاء.. وأما الذين يفرطون بالدين تحت ستار التجديد ومواكبة العصر فهم يشوهون حقائق الإسلام ويجترئون على الله ودين الله..

*** إهمال فقه الحياة**

ويؤكد سماحته أن من أهم أسباب التخلف ترك الأمة الإسلامية لفقه الحياة، علما أن هذا من أهم ما قدمه الإسلام للعرب والمسلمين لبناء مجدهم وحضارتهم الدنيوية التي تفوقوا بها على أهم الحضارات في زمانهم، وجعلوا من تقدمهم في شؤون الحياة المختلفة- من علوم وفنون واقتصاد وتنمية اجتماعية وعلوم إدارية وسياسية- قبلة لشعوب العالم وبخاصة للغرب الذي استفاد من ذلك في بناء حضارته المادية المتقدمة المعاصرة.. ثم مر على المسلمين زمان وما زال مستمرا إلى الآن أهملوا فيه فقه الحياة وكأن قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ..﴿٦٠﴾﴾ [سورة الأنفال] وقوله تعالى: ﴿.. رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً ..﴿٢٠١﴾﴾ [سورة البقرة] نزلا على غيرهم، فتواكلوا، وتركوا الأخذ بالأسباب، وأشاعوا ثقافة الاعتزاز بالفقر والضعف بدل القوة.

•من عوامل النهوض

ولذا يرى سماحته أن خروج أمتنا من دائرة التخلف والعمل على نهوضها يبدأ بإعادة قراءة تاريخنا قراءة صحيحة للتعرف إلى نقاط الضعف ونقاط القوة فنأخذ من دروسه كيف تنجح الأمم وكيف

تنهض وكيف تبنى الحضارات وكيف تسقط لنتجنب الأخطاء ونعمل بقواعد النهوض والنجاح.. ولا بد من البدء بإعداد جيل النهوض.

- **النهوض يبدأ من دواخلنا**

وكي يحصل التغيير لا بد من البدء بالتغيير الداخلي الذاتي.. فالتغيير الخارجي لا يخرج إلى العَيان إلا بعد حصول التغيير الذاتي.. والتغيير مثله كمثل الشجرة الجميلة المثمرة، التي لا يمكن أن تصير إلى هذه الحال إلا بعد حسن تربية.. وجهد في رعاية "النواة"- التي تحت الأرض- مدة من الزمن.

- **النهوض بمعرفة نقاط القوة والضعف**

ويوجه سماحته دعوة إلى جميع الشعوب الإسلامية- التي ما زالت ترزح تحت جناح السيطرة الغربية فكراً وسياسة- أن تعرف ما لديها من نقاط القوة، وتتدارك ما أصابها من نقاط الضعف... لتغير من استراتيجيتها، وتكوِّن شخصيتها المستقلة.. والمنتجة لا الآخذة المستهلكة.. "**فما ينقصنا لا يستحيل أن نكمله بأنفسنا، وما ينقصهم يستحيل أن يكملوه إلا بما عندنا**"...

○ النهوض بتصحيح المنهج

لا بد للمسلمين كي يخرجوا من دائرة التخلف إلى دائرة التقدم من أن يغيروا مناهجهم ويتقنوا من جديد فقه الحياة الذي وجههم إليه الإسلام.

وكذلك عليهم أن يعودوا إلى الإسلام الحق وأن يقدموا الإسلام الحي بأسلوب مشوق للشعوب الغربية لتطلع على جماله وكماله، ففيها منصفون يقبلون الحقيقة... ولكن لا أحد يقبل أن تعطيه الحقيقة وأنت تخاصمه أو تريد طعنه.. بل لا بد أن نقدم الحقيقة كعروس حية جميلة.. فالإنسان عبد للإحسان.

○ مسؤولية النهوض وأدواته العصرية

ويرى سماحته أن مسؤولية النهوض تقع على ثلاثة أصناف في الأمة وهم: الحكام والعلماء والأغنياء..

ولا بد لتحقيق النهوض السليم والسريع من استعمال احدث الوسائل والأساليب في التعليم والتدريب والتأهيل؛ وكذلك الاستفادة من وسائل الإعلام في الإعداد والتثقيف والتوعية على أوسع نطاق.

❑ محور القضايا الاقتصادية

• الوقف الإسلامي والتنمية الاقتصادية

تتميز إجابات سماحته عن تساؤلات الصحافة العالمية بالوضوح والكلام المباشر المعتدل من غير إفراط ولا تفريط.

ما أعظم تشريعات دين الله الخالد، الذي يتضمن جميع شؤون الحياة الدنيوية والأخروية.. ومن ذلك مسألة الوقف.. الذي جمع فيه الإسلام فوائد دنيوية وأخروية.. ولعل هذا لم يجتمع في تشريع أو دين آخر..

وليس المهم تسليط الضوء على عظمة الإسلام في هذا الجانب فحسب... بل **لا بد من دراسة عميقة لكل حكم أو تشريع شرعه الإسلام.. كي يؤتي ثماره، ويحقق الغاية المرجوة منه على نحو كامل...** لهذا يجيب سماحته عن المحاور التي طرحت عليه فيما يتعلق بالوقف في الإسلام.. من ناحية دوره التنموي في العملية الاقتصادية.. ومن ناحية دور الاجتهاد في تحقيق دور الوقف التنموي.. وكذلك واقع الوقف وإداراته وتطويره.. وأخيراً مهمة الوقف وكيفية إعادة دوره التنموي.

○ دور الوقف في عملية التنمية الاقتصادية

يبين سماحته أهمية الوقف في تنمية المجتمع اقتصادياً، من خلال بيانه حكمة الإسلام في تنويع مصادر الإنفاق، على النحو الذي يحقق

المصلحة العامة، مستدلاً بحادثة سيدنا عمر الموضحة لبعض شروط الوقف؛ وبسعة قاعدة المستهدفين.. التي لم تقتصر على الفقراء والمساكين، ما يسهم في توثيق علاقات أبناء المجتمع؛ وكذلك ببعض الأمثلة التاريخية عن أنواع الوقف، التي أوصلت المجتمع- في مسيرة التنمية الاقتصادية- إلى تحقيق الكماليات، فضلاً على الحاجات..

o الوقف بين اجتهادات القدامى ومستجدات العصر

يعرض سماحته عمل الفقهاء القدامى في دراسة أحكام الوقف، بين شروط ثابتة في النصوص وأخرى مستنبطة بالاجتهاد.. ما يدل على **عدم وقف باب الاجتهاد** في هذا التشريع ما دام يتصدر له من هو أهل... لأن الأمور المستجدة لا تنتهي. ولذا، لا يجوز التوقف عن تطوير أحكام الوقف بما يتناسب مع تحقيق الغاية التي شُرع لأجلها..

o اقتصار الأوقاف على المعاهد الشرعية وفقد الكفاءات

يؤكد سماحته بأن الوقف لم يقتصر على المعاهد الشرعية، بل شمل جميع جوانب الخير، مثل المساجد والمشافي ودور الأيتام وغيرها .. وهناك أوقاف ظهرت في مجالات عدة، حتى للحيوانات..

ويجب العمل على **تطوير كفاءات من يديره** بما يتناسب مع واقع الاستثمارات المعاصرة في المجالات كافة التي تتوافق مع الضوابط

الشرعية، ويجب تنمية أنشطة الوقف، وجعلها **أنشطة وقفية استهلاكية وإنتاجية**.. لأن متطلبات الحياة تتطور.. ولا بد لوسائل تأمينها أن تتطور.. فالنشاطات الإنتاجية تسهم في تمويل مشروعات مرتبطة بالوقف وتطويره...

○ واقع الوقف وسبب اختفاء دوره التنموي

يؤكد سماحته أن واقع الوقف لا ينفصل عن واقع المسلمين عامة، والنهوض بواقع الوقف مرتبط بواقع النهوض بالأمة الإسلامية، والأمر يتطلب العودة إلى تطبيق شريعة الله ... وسبب التخلف في أداء الوقف لدوره التنموي في المجتمعات الإسلامية هو البعد عن منهج الله، الذي عندما تحقق في تاريخنا الإسلامي حقق رخاء اقتصادياً في جميع المجالات؛ لأن تحقيق شرع الله ينعكس على إنتاجية جميع الموارد.. التي وضعها الإسلام.. وضمنها الوقف..

ولا يكتمل تطبيق الإسلام إلا إذا استغنى المسلمون بأنفسهم عن الغرباء وأقاموا نهضتهم بأيديهم وقامت مآذن المساجد إلى جانب مداخن المصانع في بناء الدين والحياة، فالصناعة والاقتصاد الحسن- في نظر الإسلام - كالعبادة الحسنة.

○ الدعوة والدعاة في مصارف الوقف

ويلقي سماحته الضوء على مسألة نشر الدعوة، من خلال تخصيص قسم من **عائدات الأوقاف لمصاريف إرسال الدعاة إلى العالم الغربي** من جهة... وتحسين أوضاع الأئمة والخطباء من جهة أخرى.. لما في ذلك من تعزيز لدور العالِم في إنقاذ العالَم.. من خلال تعريفهم برسالة الخير والمحبة.. وهدايتهم...

○ تجديد الدور التنموي للوقف بتعاون أهل الاختصاص

في ختام هذه الفقرة يوضح سماحته إمكان تجدد ذلك الدور الوقفي في عصرنا، إذا وجدت النية الصادقة.. والتعاون الوثيق بين فئتي الاقتصاديين والفقهاء.

وهذه النظرة- من سماحته- تعكس سعة فهم المجتهد المسلم وحكمته، حين يعطي كل أهل اختصاص حقه في هذا العصر؛ فهذا العصر تنوعت فيه العلوم وازداد تعقيدها. ولذا، لا بد من أن يطلع الفقيه المجتهد على خبرة غيره من أصحاب الاختصاصات، الذين تفرغوا للعلوم الحياتية.. ولا سيما في موضوعاتهم المتصلة بأحكام الدين... فيأتي تعاون الاقتصاديين والفقهاء في تطوير الوسائل- في هذا الجانب- أفضل ما يكون لمصلحة المجتمع وتنميته...

ويوسع سماحته هذه الفكرة في الدعوة إلى تضافر الجهود بين فئات المجتمع.. ولا سيما "السياسيون والإعلاميون والاقتصاديون والحكماء من المجتهدين والفقهاء".. كي لا يصطدم المشروع بأي عائق يمنع تحقيق أهداف الوقف...

❑ محور القضايا السياسية

تناول سماحته- في حواراته مع الصحافة العالمية- قضايا سياسية عدة تهم العالم الإسلامي، تبدأ بموقفنا من العدوان المستمر للكيان الإسرائيلي على الأمة.. وتنتهي بالتفريق بين الإرهاب والجهاد... وتغرس فقرات هذه الحوارات غرسات من الفكر النير، والرأي الحكيم، المدعَّم بالحجج والبراهين النقلية والعقلية.

• الغارة على العالم الإسلامي

ويتحدث سماحته عن تداعي حكومات الغرب والقوى المعادية فيها للعرب والمسلمين لجعل الإسلام العدو الأول لها بعد سقوط الشيوعية في عام ١٩٩٠. وبدا هذا العداء السافر بحصار العراق ثم بالحربين الأولى والثانية عليه بذرائع مختلفة، منها امتلاكه أسلحة التدمير الشامل.. ويتساءل سماحته: أليس الغرب نفسه يملك ترسانات من هذه الأسلحة؟! .. لماذا يضرب العراق بحجج واهية كاذبة، على حين يسرح الكيان الصهيوني ويمرح بأسلحة التدمير الشامل كافة، من الجرثومية إلى الكيميائية إلى النووية؟! وكل ذلك بعلم الغرب بل ومساعدته!.. لماذا يطالب العراق بتنفيذ فوري لقرارات مجلس الأمن، على حين يمتنع الكيان الصهيوني من تنفيذ عشرات القرارات الصادرة بحقه من المجلس نفسه؟! بل يتحدى المجتمع الدولي ويزدريه!.. وبعد كل هذا لماذا تشن

الحروب التدميرية على العراق، وبالمقابل يكافئ الكيان الصهيوني بشحنات الأسلحة القاتلة المتطورة جداً.. ومليارات الدولارات التي لا تنقطع؟!.. ثم يسأل: هل هذه هي مبادئ العدل والسلام وحقوق الإنسان التي يتشدقون بها؟!

ويتسائل سماحته: لماذا تقصف معامل الأدوية في السودان؟! ولماذا هذه الحرب المجنونة في أفغانستان؟! ولماذا حصار ليبية.. والعقوبات على سورية؟!.. ولماذا أكثر دول العالم في سلام وأكثر الحروب في العالم تجري على الأرض العربية الإسلامية؟!..

إنها الغارة على العالم الإسلامي التي بدأت منذ الحروب الصليبية الأولى وما زالت مستمرة في حروب صليبية لا تنقطع حتى يومنا هذا !!..

○ الموقف من أسلحة التدمير الشامل المحرمة

ويقرر سماحته استنادا إلى أحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها أن الإسلام يدعو إلى عالم خال من أسلحة التدمير الشامل، أياً كان نوعها.. لان هذه الأسلحة تقتل أعداداً هائلة من المدنيين الأبرياء وتهلك الحرث والنسل وهذا لا يتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية.. ويشير سماحته إلى أن العالم العربي والإسلامي يعيش تحت هيمنة المظلة النووية الإسرائيلية الغربية وهذا يعبر عن مقدار الهوان الذي حل بنا نتيجة عبثنا

وتخلفنا!! وبالمقابل فان المسلمين مطالبون بإعداد القوة الرادعة لأعدائهم، وعلى المسلمين أن يمتلكوا القوة التي تدفع عنهم الظلم وتحمي أرضهم وعقيدتهم ومصالحهم وليساعدوا على إقامة العدل في العالم.. ويناصروا المظلومين المستضعفين في الأرض.

○ العدوان المستمر للكيان الإسرائيلي على الأمة

ما يعرضه سماحته في قضية "الكيان الإسرائيلي".. هو انعكاس لتصورات الشعوب العربية والإسلامية، وترجمان حقيقي لمشاعرها.. فكل عاقل في العالمين العربي والإسلامي يقبل هذه الأفكار... ولعل أهم نتيجة تُؤْخذ من عرض سماحته هي أن الكيان الإسرائيلي قام على العدوان واغتصب الحقوق واستولى على المقدسات والقدس، فأين العرب والمسلمون وعددهم يتجاوز المليار ونصف المليار؟! إن كان أصحاب الحق نائمين أو متكاسلين، فإن أصحاب الباطل ماضون في تحقيق أهدافهم.. ما داموا يرون أن أهل الحق غافلون وفي شهواتهم غارقون..

○ التطبيع مع الكيان الصهيوني

ويحرم سماحته التطبيع مع الكيان الصهيوني بأي ذريعة كانت، لان هذا الكيان قام على العدوان والإرهاب والقتل والتدمير واغتصاب

الحقوق وما زالت هذه سياسته لم تتبدل فهو يقصف المدنيين الأبرياء بالطائرات وكافة الأسلحة الفتاكة..

والتطبيع مع الكيان الإسرائيلي هو عون ودعم للكيان الصهيوني في عدوانه المستمر على الأمة العربية الإسلامية واحتلال القدس واغتصاب المقدسات

○ فاعلية منظمة المؤتمر الإسلامي

في قضية منظمة المؤتمر الإسلامي، يعطي سماحته إرشادات تجعل فاعلية هذه المنظمة أقوى من مجرد التقاء أعضائها وإن كان مفيداً... وهذه الإرشادات عظيمة في فحواها، يسيرة في تطبيقها، عظيمة التأثير في نتائجها، ليس فيها تعقيد أو تضييق، بل هدفها العمل على رعاية مصالح الأمة من جهة.. وإرضاء الله الذي سيسألنا يوم القيامة عما فعلنا وقدمنا من جهة أخرى.

• خلطٌ بين الإرهاب والمقاومة وتشويه الإسلام

وينبه سماحته إلى أن الغرب يستخدم مصطلح التطرف والإرهاب في كثير من الأحيان ليلصقه بالإسلام وحتى بالفكر المعتدل للإسلام، ضمن خطته في حربه على الإسلام عامة، لتشويه صورته وحقيقته، ولا يتورع في بعض الأحيان من تنفيذ عمليات إرهابية بأيدٍ خفية عبر

استخباراته وعملائه، ثم يقوم بلصق هذه الأعمال بالإسلام بقصد تشويهه ونشر الكراهية في قلوب الناس اتجاهه، ليحجب نور الإسلام عنهم، وما الممارسات القمعية التي يتعرض لها المسلمون في الغرب تحت ذريعة محاربة الإرهاب بخافية على احد من الناس.. وهذا العنف والإرهاب المفتعل الذي ينسبونه إلى الإسلام زوراً وبهتاناً ليس له صلة بسماحة الإسلام ورحمته.

ويجب أن لا يقابل العالم بعنف كل ظاهرة ايجابية باسم محاربة العنف والإرهاب؛ لان سد جميع المنافذ والأبواب في وجه العمل الإسلامي المعتدل هو الذي يذكي ينابيع التطرف والعنف والإرهاب.

•عنف بعض الإسلاميين وأسبابه الخارجية

ويشير سماحته إلى أن العنف والتطرف تسرب إلينا من الخارج، حيث نشأ وترعرع في الغرب ثقافة وإعلاماً عبر الأفلام والمسلسلات التي تنشر ثقافة العنف، وعبر ممارسات الحروب المدمرة التي شنها الغرب واستأصل فيها شعوب أمريكة واسترالية الأصليين، وانهار الدماء التي سفكت في الثورات الفرنسية والشيوعية، وعشرات ملايين القتلى التي خلفتها الحروب العالمية واستخدام أسلحة التدمير الشامل المحرمة ومنها القنابل الذرية التي ألقيت على اليابان.

ويؤكد سماحته وجود الأسباب الخارجية للعنف، وأهمها الظلم والعدوان المستمران منذ أكثر من ستين عاماً على الشعب الفلسطيني، وعمليات القتل والتهجير واغتصاب الأراضي وحرمان الناس من العيش آمنين في بيوتهم ومزارعهم. إن هذا العدوان المستمر المتغوّل على فلسطين وعلى عدد من دول العالم الإسلامي- مثل: أفغانستان والعراق ولبنان وسورية و ليبية والسودان- من أهم أسباب نشوء ظاهرة العنف بين بعض المسلمين.

ويؤكد سماحته أن المشتكي من ظاهرة العنف هو مسببها.. وأن العنف خارجي الفكر والوسيلة لا محلي الصنع وإلا لكان الحوار كفيلاً بحل المشكلة، فما كان داخليا يحل بإمكانات داخلية منطقية.. وبناء على هذا يعلن سماحته البراءة من كل عنف ينسب إلى الإسلام مهما كان مصدره؛ فالإسلام دين الرحمة والسلام.. وما يروج له الغرب بتنامي الحركات الإسلامية الأصولية ليس صحيحاً، والصحيح إن العالم يشهد تنامي صحوة إسلامية مباركة تحتاج إلى التوجيه والترشيد والتأصيل.

○ التطرف والتكفير والعنف

ويتوقف سماحته مطولا عند موضوع التطرف والتكفير والعنف؛ فيؤكد أن انتشار الجهل بالإسلام بين كثير من الناس، وأن اعتماد الشباب المتحمس على العواطف والاندفاع بدلاً من العلم وفهم حقائق

الإسلام ومقاصد الشرع، وأن عدم التزامهم بمرجعية إسلامية ربانية حكيمة متعمقة بعلوم الشريعة ومقاصدها وسياستها.. كل ذلك يدفعهم باتجاه التطرف والتكفير والعنف.. وهذا يشوه صورة الإسلام عند غير المسلمين. وهؤلاء المتطرفون يخطئون بحق الإسلام ويسيئون إليه، بل هناك أيدٍ خفية تستغل أوضاع هؤلاء الشباب وتدفعهم باتجاه العنف لإيقاع الفتنة في المجتمعات الإسلامية وهدمها وتخريبها، وتحويل وجهتها عن عدوها الذي يحتل أرضها ويغتصب حقوقها إلى عدو داخلي يصنعونه بأيديهم.. وتكون النتيجة خراب الدولة الإسلامية بحروبها الداخلية، ونجاة عدوها وإطلاق يده ليزداد استكباراً وتسلطاً وظلماً واحتلالاً..

ويشير سماحته إلى وجود أناس يعملون في ساحة الدعوة الإسلامية وهم غير مؤهلين. وهؤلاء يلجؤون إلى شحن الشباب بالحماسة وروح العنف ضد إخوانهم الذين يخالفونهم الرأي في مجتمعاتهم، وهذا أحد أسباب انتشار العنف. والإسلام جاء ليبني لا ليهدم، وليعمر لا ليدمر، وليحمي حياة الإنسان لا ليقتل، وهذا واضح جلي في منهج الدعوة النبوية.

○ دور الحكومات في نشوء ومعالجة التطرف

تتحمل الحكومات الجزء الأكبر من المسؤولية في نشوء ظاهرة العنف، وذلك بسبب تصرفاتها غير الحكيمة والاستفزازية لمشاعر الشباب المسلم، كمنع الحجاب ومخالفة نصوص الشريعة في الأحوال الشخصية كما حصل في تونس، أو التحالف مع اسرائيل ضد المقاومة كما حصل في مصر، أو من خلال التهجم على القيم والرموز الإسلامية ونشر الإباحية عبر وسائل الإعلام المختلفة كما يحصل في كثير من الدول الإسلامية ...

وكذلك بسبب ما تقوم به هذه الحكومات من التضييق على العمل الإسلامي المعتدل، مما يجعل الساحة خالية لصالح المتطرفين، فينشروا أفكارهم ...والفكر لا يعالج إلا بالفكر والحجة والدليل ...

وينَبَّه سماحته إلى أنه على الحكومات العربية والإسلامية أن تستوعب المندفعين بتفهم مشاعرهم.. وفتح الأبواب للعمل الإسلامي الإيجابي لاستيعابهم وترشيدهم..

موضحاً أن العمل على **معالجة هذه المسألة يكون من الجانبين**.. من جانب الحكومات، ومن جانب المسلمين المندفعين.. فالجانب الأول عليه فتح باب الحوار وإعطاؤهم حق التعبير عن آرائهم... والجانب

الآخر عليه الترفع عن استعمال القوة، والالتزام بالمنهج الإسلامي في رد الفعل، والتعاون مع الحكومات الوطنية، وعدم التصادم معها واستعجال النتائج منها...

○ مشكلة العنف في الجزائر

ويبين سماحته الحل في مشكلة الجزائر.. في أثناء موجة العنف التي ضربتها، والتي لم توقفها حتى روحانية شهر رمضان.. وما ذاك إلا لعدم فهم بعض المسلمين دروس الإسلام المتمثلة في الفهم الصحيح لمشكلاتهم والعمل على حلها بالحكمة... ولذا، يقترح سماحته التسريع بإقامة الحوار بين الحكومة والجماعات الإسلامية الواعية الحكيمة التي تكثر في الجزائر... ولكن لا أحد يذكرها.. ويُظهر- فقط- المتطرفة منها، لأغراض دنيئة أبرزها الإساءة إلى الإسلام والمسلمين.. وهذه دعوة من سماحته إلى تعميق الحكمة في عمل كل من السياسيين والإسلاميين، وتغليب لغة الحوار، وتقبل رأي الآخر... ما دام الهدفُ البناءَ لا التخريب.

○ حق المقاومة ضد الاحتلال ودور العلماء

ويؤكد سماحته أن دور العلماء كان وما زال كبيراً مؤثراً في تحذير الأمة من الأخطار المحدقة بها وقد استطاعوا إيقاد الروح المعنوية

العالية في مقاومة أعداء الأمة الإسلامية.. بل شاركوا في قيادة المسلمين في عمليات المقاومة ضد الاحتلال أمثال السنوسيين في ليبيا والمهديين في السودان والنقشبنديين في القوقاز.. وبرز فيهم الأمير عبد القادر الجزائري والشيخ عمر المختار في شمال افريقية والشيخ شاميل في القوقاز.. وفي عصرنا برز الشيخ السوري عز الدين القسام والشيخ احمد ياسين في فلسطين والسيد حسن نصر الله في لبنان وغيرهم كثير مما لا يتسع المجال لحصرهم.. ودور العلماء في دعم المقاومة ضد المحتلين وتأهيل المسلمين للجهاد ضد الأعداء كان بارزا في الحروب الصليبية والهجوم المغولي التتري ومعارك العصر الحديث ضد المستعمرين.

ويفرق سماحته بين العنف وحق المقاومة للشعوب. فمقاومة الاحتلال أمر تقره الشرائع الدولية والسماوية. ويحذر سماحته من وصف المقاومة بالإرهاب، لان هذا يزيد من انتشار العنف والتطرف في إنحاء العالم. فعندما لا نعطي الشعوب حقوقها ولا نسمح لها بتقرير مصيرها ونسد كافة الأبواب في وجهها، لا يجد الشباب مخرجاً لهم إلا بممارسة العنف والتطرف.

○ مشروعية العمليات الاستشهادية

ويتحدث سماحته عن العمليات الاستشهادية في مناسبات عدة؛ فيرفض إلصاق فعل الانتحار بالعمليات الاستشهادية كما يروج لهذا

الإعلام العربي السائر في ركاب الإعلام الغربي.. ويجيز سماحته العمليات الاستشهادية بشروط ومنها:

١-أن تكون موجهة ضد المحاربين المعتدين على العالم الإسلامي .

٢-أن لا توجه ضد المدنيين.

٣-أن لا يتم االلجوء إليها إلا عند الضرورة الشديدة، ومنها فقد الوسائل البديلة التي تحقق ذات الأهداف.

٤-أما العمليات التي توجه ضد المسلمين، وما نشاهده من تفجيرات انتحارية في المساجد وأماكن تجمع المسلمين تحت أي ذريعة كانت، فهي حرام حرمة شديدة وفاعلها منتحر قاتل ومساعدوه قتلة للمسلمين .

وهناك شروط أخرى شرحها بعض الفقهاء ويمكن الرجوع إليها في مصادرها.

ثم يحذر سماحته من الانجرار وراء فتن الغرب، الهادفة إلى جعل المسلمين ألعوبة بيده... ومصححاً المصطلحات التي أطلقها الغرب، فهذه العمليات هي استشهادية وليست انتحارية ما دامت وفق الضوابط الشرعية، ومقاومة المحتلين جهاد في سبيل الله وليست إرهابا ..

- **بناء علاقة وطنية متوازنة بين العلماء والحكام**

ويوضح سماحته بمناسبات مختلفة أن مصلحة العمل الإسلامي تقتضي عدم الصدام مع الحاكم الوطني، وان تكون العلاقة بين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية والحاكم الوطني علاقة تكاملية لتأمين سلامة الأوطان ووحدتها ونهضتها، والوقوف بقوة في وجه الأعداء.. إن أي عملية صدام أو صراع ستؤدي إلى إضعاف الوطن أمام أعدائه ويجب أن تكون الأولوية لحسم الصراع مع العدو لصالح الأمة.. وعلى الحاكم أن يتجاوب مع العلماء ومع مصالح الشعوب، وأن يكون راعياً لها لا متسلطاً عليها، وأن يستفيد من أبناء الأمة في الإسهام الفعلي في بناء وطنهم، وأن ييسر لهم سبل التعبير عن آرائهم بحرية وعدالة، وأن يستوعب حماسة الشباب، وأن يوجهها إلى حيث تكون مصلحة الأمة، وأن يقيم حواراً مع العلماء ويهيئ لهم الوسائل اللازمة، وأن يعطيهم الفرصة ليعبروا عن آرائهم، وأن يوفر لهم ولأبناء الأمة الوسائل المساعدة على التعبير، وأن يجعل العدل أساس الحكم؛ فبه تنهض الأوطان وترتقي...

ويؤكد سماحته أن في التعاون بين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية والحاكم الوطني تحقيق أحد مقاصد الدين في سلامة المجتمع وأمنه ونهضته، ويقطع الطريق على أعداء الأمة الذين يعملون على بث الفرقة وتشجيع الصدام في المجتمعات الإسلامية.. لتوهينها وتمزيقها والسيطرة عليها وعلى مقدراتها.

خاتمة الكتاب

وإذ نأتي إلى خاتمة الكتاب بجزءيه، نلحظ أننا عشنا مع شخصية إسلامية عالمية استثنائية، جمعت بين العمل الحركي والعلمي والتجديدي والعمل الوطني، والحوار بين الثقافات والحضارات ونشر السلام من أجل الإنسان في العالم..

فعلى **الصعيد الحركي**، أنشأ سماحته جماعة إسلامية وسطية ذات نشاط دعوي واسع، وربى الآلاف من العلماء والدعاة والداعيات والمريدين الذين انتشر نشاطهم في المحافظات السورية كافة وفي عدد كبير من بلدان العالم: من اليابان والصين شرقاً إلى الولايات المتحدة غرباً، مروراً بجنوب شرق آسية وأستراليا وروسية والقفقاز والبلقان وأوربة بشرقها وغربها..

وعلى **الصعيد العلمي**، أنشأ سماحته مركزاً إسلامياً ضخماً، أحاط بالتعليم الشرعي، بدءاً من المرحلة الإعدادية وانتهاء بالدراسات العليا لشهادتي الماجستير والدكتوراه في تخصصات عدة؛ إلى جانب نشاطات ودورات تعليمية وتأهيلية مختلفة..

وعلى **الصعيد التجديدي**، قام سماحته بإعادة العمل الصوفي التزكوي إلى قواعد القرآن والسنة المطهرة؛ وكذلك جدد مفهوم العمل بفقه الحياة والحكمة على حسب المنهج الإسلامي، لنعيد بناء مجد الأمة الإسلامية وقوتها وازدهارها على كافة الصعد العلمية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية..

وعلى **الصعيد الوطني وقضايا الأمة**، أسهم سماحته في إحياء الحس الوطني والانتصار لقضايا الأمة إقليمياً وعالمياً، وجعل من الوحدة الإسلامية هدفاً رئيساً في حياته، وكان أحد أهم رموز حركة التقريب بين مذاهب المسلمين، وكان لقضية فلسطين والقدس المكان الأبرز في عمله وطنياً وسياسياً. وكذا كان الانشغال بكافة قضايا الأمة- من أفغانستان إلى العراق فالسودان فليبية- دَيْدنُه الذي لا ينقطع ولا يهدأ.. وكان من أهم ميزات عمله الوطني التأسيس لمفهوم التعاون والتكامل والنصح للحاكم الوطني بالإصلاح بديلاً عن التصادم. وكذلك وقف في وجه العنف والتطرف والإرهاب. وبالمقابل، كان نصيراً قوياً لحركات المقاومة ضد المحتلين في فلسطين والعراق وغيرهما، ومؤصلاً فكرياً لشرعيتها ودعمها، وتميز بعلاقات قوية مع حركات المقاومة الإسلامية...

وعلى **صعيد الحوار بين الثقافات والحضارات ونشر السلام في العالم**، تميز نشاط سماحته، وغطى معظم دول العالم على اختلاف

أيديولوجياتها. وعلى ضوء هذا التميز والنشاط، انتخب رئيساً لمؤتمر قادة أديان العالم، وأسس لمدرسة حوارية، تميزت بانفتاحها على الآخر أياً كان.. وبأسلوبها وفكرها المؤثر. وبهذا كان سبباً مؤثراً في دخول شخصيات شرقية وغربية في الإسلام، وصارت هذه المدرسة معلماً بارزاً في العالم بأسره، وكنت تتعرف إلى أتباعها فور استماعك إلى حوارهم مع الآخرين، الذي بات سمة تميز منهج أهل هذه المدرسة الإسلامية الفكرية الحوارية الحضارية الإنسانية العالمية..

ولم يمنعه الانفتاح على الغرب ومحاورته من أن يقف في وجه السياسات الظالمة لبعض الحكومات هناك، وتفنيد ادعاءاتها، وفضح كذبها وكيلها بمكيالين في القضايا العالمية، وإظهار زيف دعاويها في موضوعات حقوق الإنسان والحريات والديمقراطية!!

رحم الله الشيخ الداعية، المربي الرباني، المعلم المجدد، صاحب المواقف الوطنية الشجاعة، المحاور العالمي الحكيم.. وجعله في أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.. وجمع أحبابه وإخوانه به تحت لواء سيد المرسلين في ظلال نعيم رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين

الفهارس

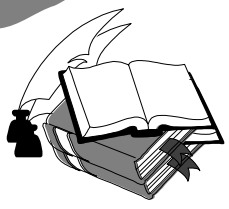


فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات:

للجزأين : الأول والثاني



فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

تسلسل	طرف الحديث	الصفحة
١	«أبغض الحلال إلى الله الطلاق»	١٢٧٣
٢	«ابني هذا سيد، ولعل...»	٧٢١
٣	«اتقوا الملاعن الثلاث..»	١٥٠١
٤	«أتى رجل النبي ﷺ بجارية سوداء..»	١٦٥٧
٥	«أدِّ الأمانة إلى من...»	١١٧٣
٦	«إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه...»	١٢٧٧
٧	«إذا التقى المسلمان بسيفيهما..»	١٧٠٧
٨	«إذا حكم الحاكم، فاجتهد...»	٣٤٨- ٣٨٤- ٦٧٦
٩	«إذا رأيتَ أمتي تهابُ الظالم أن..»	٩٢٨
١٠	«إذا سمعتم بالطاعون بأرض...»	١٢٧٨
١١	«إذا كان العالم ..»	١٢٦
١٢	«إذا مات الإنسان انقطع عنه..»	٣٥٦— ١٥٤٠
١٣	«ازهد في الدنيا يحبك الله..»	١٦٠٣
١٤	«استوصوا بالنساء خيراً»	١٣٤١- ١٥٦٦
١٥	«اطلبوا العلم ولو بالصّين»	١٤٠- ١٢٠٣- ١٥٧٦

تسلسل	طرف الحديث	الصفحة
١٦	«اغتنم خمساً قبل خمس...»	١٧٠٠
١٧	«اغدُ عالماً أو متعلماً أو...»	٦١٠- ٦٢٩- ١٥٥٩
١٨	«أفشوا السلام بينكم»	٨١٥
١٩	«أفلا كشفت عن قلبه ..»	١٦٥٧
٢٠	«أكمل المؤمنين إيماناً...»	١٢٠٣
٢١	«ألا أخبركم بأفضل من...»	١٢٨٠
٢٢	«ألا أخبركم عن الأجود...»	١٢٠٤- ١٧٠٤
٢٣	«ألا كلكم راعٍ...»	٢٩٧- ٩١٣- ١٠٩٨- ١١٩٩- ١٢٠٩- ١٢٧٢- ١٤٩٨
٢٤	«ألا من ظلم معاهداً...»	١٠٩٦- ١٢٢٨-
٢٥	«ألا وإن في الجسد مضغة...»	١٥٧- ١٦٢٩
٢٦	«الإسلام والسلطان أخوان...»	١٦٤- ٢٦٣- ٥٠٤- ٧٧٠- ٨٣٥- ١٣٤١- ١٦٠٦- ١٦٣٥- ١٧٠٥
٢٧	«الإنسان أخو الإنسان ..»	١٧٠٦
٢٨	«الإيمان بضع وسبعون...»	١٥٠١
٢٩	«الخالة بمنزلة الأم»	١٥٦٧
٣٠	«الخلق كلهم عيال الله...»	١٦٦- ٢٩٧- ٣٠٨-
٣١	«الدين النصيحة، قلنا: لمن؟...»	٨٣٤- ١٦٠٢
٣٢	«الراحمون يرحمهم الرحمن...»	٩١٢- ١٤٤٤- ١٦١٠

تسلسل	طرف الحديث	الصفحة
٣٣	«السمت الحسن والتؤدة...»	١٢٨١
٣٤	«الشام صفوة الله من بلاده...»	١٣٩
٣٥	«الشتاء ربيع المؤمن، قصر...»	١٧٠١
٣٦	«العلماء مصابيح الأرض...»	٩٠٨
٣٧	«الكلمة الحكمة ضالة المؤمن..»	١٤٦٢
٣٨	«الكلمة الطيبة صدقة»	١٢٨٠
٣٩	«اللهم أحيني مسكيناً...»	١١٧٠
٤٠	«اللهم أنت السلام ومنك السلام...»	٨١٤- ١٣٠٠-
٤١	«اللهم إني أعوذ بك من علم...»	١٥٦- ٢٩٦
٤٢	«اللهم ربنا ورب كل شيء...»	١٦٦- ١٢١٢- ١٢٢٥
٤٣	«اللهم قد رضيت عن عثمان...»	٣٤٥
٤٤	«ألم أجدكم ضلالاً فهداكم..»	٢٠٧- ٨٨٢
٤٥	«ألم أجدكم عالة ..»	٢٠٦
٤٦	«المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ... »	٣٦٨- ٨٨١
٤٧	«المؤمن للمؤمن كالبنيان...»	٢٩٨
٤٨	«المسلم أخو المسلم...»	١٢٠٥
٤٩	«اليد العليا خير من اليد..»	٣٤٥- ١٢٠٥

تسلسل	طرف الحديث	الصفحة
٥٠	«أمـــتي أمـــة مباركـــة، لا يُـــدرى..»	٥٠٣
٥١	«أمـــن العـــصبية أن يحـــب...»	٦٥٦
٥٢	«إن الرجـــل ليـــتكلم بالكلمـــة...»	١٦١٩
٥٣	«إن الرفـــق لا يكـــون في شـــيء...»	١٦٦- ٥٣٠
٥٤	«إن الـــشمس والقمـــر آيتـــان...»	٦٥٨
٥٥	«إن العلمـــاء ورثـــة الأنبيـــاء»	١٥٩- ٥٢٨- ١٦٠٢
٥٦	«إن الله أبـــدلنا بالرهبانيـــة...»	٦٧٤
٥٧	«إن الله ســـائل كـــل راع..»	٩١٤
٥٨	«إن الله طيـــب لا يقبـــل إلا...»	١٦٨٩
٥٩	«إن الله فـــرض علـــى أغنيـــاء ..»	٢٩٩
٦٠	«إنَّ الله كتـــب الإحـــسان..»	٥٣١- ٨٩٤- ١٢٧٠
٦١	«إن الله لا يجمـــع أمـــتي علـــى..»	٣١٠
٦٢	«إن الله لم يـــنزل داء إلا...»	٨٣٤- ١٢٧٨
٦٣	«إن الله يبعـــث لهـــذه الأمـــة...»	٣٨٦- ٥٣٠- ١٢٤٨-
٦٤	«إن الله يحـــب المـــؤمن المحتـــرف..»	٣٠٦- ١٢٠٥
٦٥	«إن الله يعـــذب الـــذين...»	١٢٢٥
٦٦	«إن الـــنّبي ﷺ مـــرت بـــه جنـــازة..»	٢٠٨- ٣٠٥- ٦٥٤-

تسلسل	طرف الحديث	الصفحة
٦٧	«أن تعبد الله كأنك تراه...»	١٥٦- ٤٤٥
٦٨	«إن ربكم واحد...»	١٦٦- ٦٥١- ١٢٢٤
٦٩	«إن رسول الله أُفْرِدَ يومَ أحد..»	٩٣٢
٧٠	«إنَّ شر الناس من تركه...»	١٢٨١
٧١	«إن فسطاط المسلمين يوم...»	١٥٣
٧٢	«إن في الجنة داراً، يقال لها...»	١٢٠٢
٧٣	«إن في المال لحقّاً سوى الزكاة»	١٤٤٧
٧٤	«إن قامت الساعة وبيد...»	٣٦٢- ٨٢٩- ١٢١٣-
٧٥	«إن لربك عليك حقاً...»	١٦١- ١٢٦٦
٧٦	«إن لصاحب الحق مقالة»	١٢٤٩- ١٤٨٧
٧٧	«إن مثلي ومثل الأنبياء من...»	٢١٠- ١٠٨٩- ١١٢٣- ١١٦٤- ١١٨٥- ١٢٤٦- ١٢٦٤- ١٣٠٠-
٧٨	«إن من تمام إسلامكم...»	١٢٠٨
٧٩	«إن هذا الدين يسر...»	٦٧٩
٨٠	«أنا أولى الناس بعيسى...»	١١٦٠- ١٢٤٧-
٨١	«أنا عند ظن عبدي بي»	٥٨٢
٨٢	«إنكم سترون بعدي أثرة..»	٦٦٦- ٩٠٩
٨٣	«إنما الأعمال بالنيات...»	٩٣٠- ١٦٨٨

تسلسل	طرف الحديث	الصفحة
٨٤	«إنما النساء شقائق الرجال»	١٣٤٠
٨٥	«إنما أنا رحمة مهداة»	٣٣٨- ١١٧٥
٨٦	«إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»	٥٠٠
٨٧	«إنما بعثت لأتمم مكارم...»	١٥٩١
٨٨	«إنما جنازة يهودي...»	٢٠٨- ٣٠٥- ٦٥٤-
٨٩	«إني حرمت على نفسي الظلم..»	١٢٤٥
٩٠	«إني قد تركت فيكم ما إن...»	٥٧٣- ٦٦٦
٩١	«أي الإسلام خير؟»	١٢٨١
٩٢	«إياك وكل أمر يعتذر منه ..»	١٩٥
٩٣	«إياكم أن تتخذوا ظهور...»	٨٩٤
٩٤	«بلغ النبي موت النجاشي...»	٨٦٠
٩٥	«بلغوا عني ولو آية»	١٧٠٣
٩٦	«تخرج الزكاة من...»	١٢٠٨
٩٧	«توفي رسول الله ﷺ ودرعه...»	٧١٧- ٨٦٠
٩٨	«ثلاث مهلكات: شح مطاع..»	٩٠٨
٩٩	«ثلاثة أنا خصمهم ..»	١٤٢٩
١٠٠	«جاء أعرابي إلى النبي فسأله...»	١٥٠٦

تسلسل	طرف الحديث	الصفحة
١٠١	«خـــــاب عبـــــد وخـــــسر...»	١١٧٦
١٠٢	«خيـــار أمـــتي أولهـــا وآخرهـــا...»	٧٧٢
١٠٣	«خـــير الأمـــور أوســـاطها»	٢٩٢
١٠٤	«خـــير النـــاس أقـــرؤهم...»	١٢٠٩
١٠٥	«خـــير النـــاس أنفعهـــم للنـــاس»	٦٥٠- ١١٢٩- ١١٣٩- ١١٤٤- ١١٧٦- ١١٩٧- ١٢٤٥- ١٢٦٣-
١٠٦	«خـــير أمـــتي أولهـــا وآخرهـــا...»	٢٦٤- ٣١٠- ٥٠٣-
١٠٧	«دخـــل رســـول الله ﷺ فـــرأى...»	١٥٤٧
١٠٨	«دخلـــت النـــار امـــرأة في هـــرة...»	١١٢٩- ١٦٨٨
١٠٩	«رأس العقـــل بعـــد الـــدين..»	١٥٥٨
١١٠	«رأى الـــنبي ﷺ رجـــلاً يـــده ..»	٣٠٦
١١١	«رأيـــتُ ليلـــة أُســـري بي...»	١٢٨٢
١١٢	«روّحـــوا القلـــوب ســـاعة بـــساعة»	١٦١٦
١١٣	«ســـئل ﷺ: مـــن آل محمـــد؟...»	٦٥٨
١١٤	«ســـلمان منـــا أهـــل البيـــت»	٦٥٨
١١٥	«صـــدقة تؤخـــذ مـــن أغنيـــائهم»	٢٠٦
١١٦	«صـــنفان مـــن أمـــتي إذا صـــلحا...»	٥٠٤- ١٤٦١
١١٧	«طـــف الـــصاع، طـــف الـــصاع...»	٦٥٧

تسلسل	طرف الحديث	الصفحة
١١٨	«طلب العلم فريضة على...»	٢٠٤- ٤٩٢- ١٢٠٣- ١٢٧٧- ١٤٤٦- ١٤٩٧- ١٥٥٧
١١٩	«عدل يومٍ واحد أفضل...»	١٢١٢
١٢٠	«عينان لا تمسهما النار، عين...»	١٩٠
١٢١	«غُفر لامرأة مومسة..»	١١٣٠- ١٦٨٨
١٢٢	«فأحببتُ أن يمسَّ جلدي...»	١٢٨٨
١٢٣	«فأعطِ كل ذي حقٍّ حقه»	٢٩٢
١٢٤	«فإن الجنة تحت رجليها»	١٣٤٠- ١٥٦٦
١٢٥	«فإن دماءكم وأموالكم..»	٩١٠
١٢٦	«فإن طالت بك حياةٌ...»	١٢٨٩
١٢٧	«فإن يد الله على الجماعة»	١٢٠٢
١٢٨	«فقهاء أدباء، كادوا...»	١٢٠- ٢١٣- ١٥٧٦
١٢٩	«فمن رغب عن سنتي فليس مني ..»	٢٩١
١٣٠	«فمن كنت أصبت من...»	٩٠٠
١٣١	«في كل كبد رطبة أجر ..»	٢٣٦
١٣٢	«قد تركتكم على البيضاء...»	٦١٤
١٣٣	«كاد الفقر أن يكون كفراً»	٢٠٥
١٣٤	«كان خُلُقُه القرآن»	١٥٥

تسلسل	طرف الحديث	الصفحة
١٣٥	«كتاب الله، فيه نبأ ما كان...»	٣٢٣
١٣٦	«كُتب على ابن آدم...»	١١٧٢
١٣٧	«كل المسلم على المسلم حرام..»	١٥٠٠
١٣٨	«كلكم من آدم»	١٣٩٤
١٣٩	«كنا مع رسول الله في سفر...»	١٥٠٢
١٤٠	«كيف أصبحت يا حارثة ؟...»	١٥٦
١٤١	«كيف يقدس الله أمة لا...»	١٤٨٧
١٤٢	«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين..»	١٦٥٢
١٤٣	«لا تشد الرحال إلا إلى...»	٧٨٦
١٤٤	«لا تقوم الساعة حتى تطلع...»	٥٦٨
١٤٥	«لا تقوم الساعة حتى يملك...»	٨٣٠
١٤٦	«لا حسد إلا في اثنتين...»	٣٥٧
١٤٧	«لا ضرر ولا ضرار»	١٤٩٤- ١٥٠٥
١٤٨	«لا يؤمن أحدكم حتى يحب...»	١١٤٨- ١١٧١- ١١٩٨- ١٢٤٤- ١٤٦٢
١٤٩	«لا يدخل الجنة إلا رحيم...»	٩١٢
١٥٠	«لا يدخل الجنة من كان...»	١٢٨٢
١٥١	«لا يزال من أمتي أمةٌ قائمةٌ...»	١٥٢

تسلسل	طرف الحديث	الصفحة
١٥٢	«لا يصلينّ أحد العصر إلا...»	٣٤٧
١٥٣	«لأن يهدي الله بك رجلاً...»	٦١٥
١٥٤	«لما أراد ﷺ أن يبعث معاذاً..»	٣٥١- ٣٨١
١٥٥	«لو أن فاطمة بنت محمد...»	٦٥٨- ٩٠٠- ١١٨٦-
١٥٦	«لو كان هذا في غير هذا..»	١٢٧٠
١٥٧	«ليأتينّ على الناس زمان لا...»	٩٠٩
١٥٨	«ليبلغن هذا الأمر ما بلغ...»	٥١٩- ٥٦٦- ٨٣٠
١٥٩	«ليس الإيمان بالتمنّي ولا...»	٨٣٧
١٦٠	«ليس بخيركم من ترك دنياه..»	٢٨٦- ٤٩١- ١٥٩٠
١٦١	«ليس منا من دعا إلى عصبية..»	٦٥٧
١٦٢	«ليس مني إلا عالم أو متعلم»	١٦٠- ٢٠٤- ٤٧٦- ٤٩٢- ٨٨١- ١٢٠٣- ١٢٠٤- ١٢٤٩- ١٢٧٧-
١٦٣	«ما أحسن القصد في الغنى...»	١٢١١
١٦٤	«ما أكل أحد طعاماً قط ..»	٢٨٥-٣٠٧
١٦٥	«ما آمن بي من بات شبعان...»	٢٠٦- ٢٩٩- ٨٨١- ١١٤٨- ١١٧٦- ١٢٠٠- ١٢٤٦- ١٢٤٩- ١٢٧٣-
١٦٦	«ما بال أقوام ..»	٢٠٤
١٦٧	«ما بال دعوى الجاهلية؟!...»	٤٨٠- ٦٥٧- ٧٠٠
١٦٨	«ما زال يوصيني جبريل بالجار..»	١٢٧٦

تسلسل	طرف الحديث	الصفحة
١٦٩	«ما ملأ آدمي شراً من...»	١٢٧٠
١٧٠	«ما من شيء أثقل في ميزان...»	١٢٧٩
١٧١	«ما من عبد يسترعيه الله رعية..»	٩١٤
١٧٢	«ما من مسلم يغرس غرساً...»	١٥٠٧
١٧٣	«ما هذا الإسراف؟ فقال...»	١٥٠٦
١٧٤	«مامن مولود يولد ..»	٣٣٥
١٧٥	«مثل الذي يذكر ربه ..»	٣٤٤
١٧٦	«مثل القائم على حدود الله...»	٢٩٨- ١٤٩٩
١٧٧	«مثل المؤمنين إذا التقيا...»	١٠٣٣
١٧٨	«مثل المؤمنين في توادّهم...»	١٦٢- ٢٠٧- ٢٩٨- ٦٥٢- ٨٧٩- ٩٨٦- ١٠٣٣- ١٢٨٥- ١٥٠٠- ١٥٧٧
١٧٩	«مَثَل أمتي مثل المطر، لا يُدرى..»	٥٢٧- ٥٣٢
١٨٠	«من أتى عرافاً...»	١٢١١
١٨١	«من آذى ذمياً...»	١٠٩٦
١٨٢	«من استطاع منكم البأءة...»	١٢٧١
١٨٣	«من استوى يوماه فهو مغبون..»	٨٨٢
١٨٤	«من أعان على خصومة بظلم..»	٩٢٨
١٨٥	«من أعانَ على قتلِ مؤمنٍ..»	٩١٠- ١٥٨٢

تسلسل	طرف الحديث	الصفحة
١٨٦	«من أعمر أرضاً ليست...»	١٥٠٧
١٨٧	«من أكل لقمة من حرام..»	١٢٠٦
١٨٨	«من الصدقة أن يتعلم...»	١٢٠٨
١٨٩	«من أمر بمعروف فليكن أمره..»	١٦٥
١٩٠	«من أمسى كالاً من عمل...»	١٤٤٩- ١٥٠٤
١٩١	«من سئل عن علم، ثم كتمه..»	٣٥٥٥
١٩٢	«من سرّه أن يُبسط له في... »	١٢٧٥
١٩٣	«من سلك طريقاً يلتمس فيه..»	٢٩٥
١٩٤	«من غش فليس مني»	١٥٠٤
١٩٥	«من قاتل لتكون كلمة الله..»	٩٣٠
١٩٦	«من كان عنده فضل...»	١٢٨٣
١٩٧	«من كان له ثلاث بنات..»	٢٠٩- ١٣٤٠- ١٥٦٦
١٩٨	«من كانت له أرض...»	١٥٠٧
١٩٩	«من كتم علماً عن...»	٢٩٥- ١٢٠٤
٢٠٠	«من لا يرحم الناس...»	١١٧٦
٢٠١	«من لم يدع قول الزور...»	١٦٤١
٢٠٢	«من يرد الله به خيراً يفقهه...»	٣٢٤

تسلسل	طرف الحديث	الصفحة
٢٠٣	«نـــزل أهـــل قريظـــة علـــى حكـــم..»	٣٨١
٢٠٤	«نـــضر الله امـــرأ سمـــع مقـــالتي...»	١٧٠٣
٢٠٥	«نـــضر الله امـــرأً سمـــع منـــا حـــديثاً..»	٣٥٥
٢٠٦	«نعمّـــا بالمـــالِ الـــصالحِ للرجـــلِ الـــصالحِ»	٣٦٨- ٨٨١
٢٠٧	«نهـــى ﷺ أن يبـــال في المـــاء الجـــاري»	١٥٠١
٢٠٨	«نهـــى ﷺ أن يُبـــال في المـــاء الراكـــد»	١٥٠١
٢٠٩	«هـــذا خـــير مـــن أن تجـــيء المـــسألة ..»	٣٠٧
٢١٠	«هلـــــــــك المتنطّعـــــــــون»	١٢١١
٢١١	«والأنبيـــاء إخـــوة لعَـــلاّت، أمهـــاتهم..»	١٦٤- ٢٧٦- ١١٢٢- ١١٤٣- ١١٦٢- ١٤٤٤
٢١٢	«والله لـــــــيعلّمَنّ أقـــــــوام...»	١٢٠٤
٢١٣	«وإن بـــــني إســـــرائيل تفرقـــــت...»	٦٦٠
٢١٤	«وإن لنـــــا في البـــــهائم أجـــــراً؟..»	١٥٠٣
٢١٥	«وإني لأرجـــــــو أن ألقـــــــى الله...»	١٤٤٩
٢١٦	«ولا تقتلـــــــــوا الولـــــــــدان...»	١١٠١
٢١٧	«ولا تـــــــــترع الرحمـــــــــة إلا...»	١١٧٦
٢١٨	«ولكـــــن الله يحـــــب مـــــن العامـــــل..»	١٥٠٤
٢١٩	«وهـــــل يكـــــب النـــــاس في...»	١١٧٣

تسلسل	طرف الحديث	الصفحة
٢٢٠	«يا رسول الله إني أصبت أرضاً ..»	١٥٤٠
٢٢١	«يا عائشة: ارْفُقِي؛ فإن الرفق...»	٨٩٤
٢٢٢	«يا عباد الله: تداووا. فإن الله..»	٤٧٥
٢٢٣	«يحمل هذا العلم من كلِّ خَلَفٍ..»	١٦١- ١٧٥- ١١٨٧-
٢٢٤	«يسروا ولا تعسِّروا...»	١٤٨- ١٦٥- ٧٣٦
٢٢٥	«يقال: ما شر شيء من البطالة..»	٢٨٦- ٣٠٦

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الأموال، حميد ابن زنجويه، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض (د.ت).

٣- الأمالي، ابن الشجري: تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٤- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي: على هامش الإصابة لابن حجر، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

٥- إيقاظ الهمم في شرح متن الحكم، ابن عجيبة، أحمد بن محمد: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٤٠٢هـ.

٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد: دار الفكر، بيروت، ١٣٧٢هـ.

٧- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.

٨- الأموال، أبو عبيد، القاسم بن سلام: دار الفكر، مصر (د.ت).

٩- أحكام القرآن، الجصاص، أبو بكر الرازي: تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٠- الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، الزركشي، محمد بن عبد الله: تحقيق: محمد سعيد الأفغاني، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

١١- الاعتصام، الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي: ضبطه أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٨٨م.
١٢- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله: تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر (جامع التراث)، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
١٣- أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، الصمدي، خالد، حلبي عبد الرحمن.دار الفكر ، ٢٠٠٧.
١٤- أصول الدين، الغزنوي، جمال الدين أحمد بن محمد الحنفي: تحقيق: الدكتور عمر وفيق الداعوق (جامع التراث)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٩/١٩٩٨.
١٥- أحاديث في ذم الكلام وأهله، المقري الرازي، أبو الفضل: تحقيق: د. ناصر الجديع، دار أطلس، الرياض، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
١٦- أثر العرب في الحضارة الأوربية، مظهر، جلال: دار الرائد، بيروت، ١٩٦٧.
١٧- الأناجيل المقدسة، المطبعة المرقصية الكاثوليكية، مصر، ١٩٠٢.
١٨- الإسلام على مفترق الطرق، أسد، محمد: دار العلم للملايين، ط٩، ١٩٧٧.
١٩- آداب الشافعي ومناقبه، ابن أبي حاتم: تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).
٢٠- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني الشافعي: تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٢١- البداية والنهاية، ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي الشافعي: مطبعة السعادة، مصر، ١٣٥١هـ.
٢٢- البر والصلة، ابن المبارك: برواية الحسين بن الحسن المروزي، تحقيق: الدكتور محمد سعيد البخاري، دار الوطن، ١٤١٩هـ.

٢٣- البعد الديني في السياسة الأمريكية اتجاه الصراع العربي الصهيوني، الحسن، يوسف: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠.
٢٤- بدعة التعصب المذهبي، عباسي، محمد عيد: دمشق، دار الوعي العربي (د. ت).
٢٥- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن: تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦.
٢٦- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، أبو زهرة، محمد: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٧.
٢٧- الدعوة إلى الإسلام، أرنولد، توماس: ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، ط٣، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٧٠.
٢٨- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت: دار الكتب العلمية (د. ت).
٢٩- التذكرة في الأحاديث المشتهرة (ويسمى اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة)، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر: المحقق: محمد ابن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي (د ت).
٣٠- تاريخ مصر في العصر البيزنطي، سليم، صبري أبو الخير: دار عين، القاهرة، ٢٠٠١.
٣١- تفسير الكتاب المقدس، سنفرانسس، الدكتور دافيد: تأليف جماعة من اللاهوتيين برئاسته، دار منشورات النفير، بيروت، ١٩٨٨.
٣٢- تاريخ الرسل والملوك الشهير بتاريخ الطبري، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المعارف، ١٣٨٦/ ١٩٦٣.
٣٣- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، فروخ، د. عمر و الخالدي، د. مصطفى: المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٦.
٣٤- التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف: مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣٥- تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، منتصر، عبد الحليم: ط٨، دار المعارف، القاهرة (د. ت).
٣٦- تاريخ التطور الفكري الأورُبي، دريبر، جون وليام: طبعة لندن، ١٨٧٥.
٣٧- تاريخ العرب العام، سديو، لويس: ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، ١٩٤٨.
٣٨- التذكرة في الوعظ، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي: تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٣٩- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي: اعتنى به: عز الدين ضلّي وآخرون، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
٤٠- الجامع، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: دار السلام، الرياض، ١٤٢٠هـ.
٤١- الجهاد والحقوق الدولية في الإسلام، القاسمي، ظافر بن محمد جمال الدين.
٤٢- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد اللّه محمَّد بن أبي بكر أحمد الأنصاري: تعليق: محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه: الدكتور محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤هـ.
٤٣- الجامع الصحيح، مسلم، أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: دار السلام، الرياض، ط٢، ٢٠٠٠.
٤٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
٤٥- حاشية السندي على النسائي، ومعها تقريرات من شرحي الإمامين: القسطلاني والأنصاري، السندي، أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.
٤٦- حضارة العرب، لوبون، غوستاف: ترجمة: عادل زعيتر، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٤٧- الخراج، أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم: المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٦هـ.
٤٨- دول الإسلام (المشهور بتاريخ الذهبي)، الذهبي، الحافظ: إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر (د. ت).
٤٩- الدر المنثور في التفسير المأثور، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣.
٥٠- رد المحتار على الدر المختار (المعروف باسم حاشية ابن عابدين)، ابن عابدين، محمد أمين: دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ.
٥١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين محمود: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.
٥٢- ربحت محمداً ولم أخسر المسيح، دالاتي، د. عبد المعطي: مؤسسة الرسالة والشركة المتحدة للتوزيع، دمشق (د. ت).
٥٣- الرسالة، الشافعي، محمد بن إدريس: تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٤- الروح، ابن القيم، محمد بن أبي بكر: دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٣.
٥٥- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٥هـ /١٩٩٤م
٥٦- السنن، ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.
٥٧- السيرة النبوية، ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري: تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ.
٥٨- السنن، أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتب أولاد الشيخ للتراث، مصر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٥٩- السلسلة الصحيحة، الألباني، محمد ناصر الدين: مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٩٦.

٦٠- السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، الحلبي، علي بن برهان الدين: دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٦١- السنن الكبرى، النسائي، أحمد بن شعيب: تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
٦٢- الشريعة، الآجُرّي، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي: تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٦٣- شعب الإيمان، البيهقي، أحمد بن الحسين: تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.
٦٤- شمس العرب تسطع على الغرب، هونكه، زيغريد: المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ١٩٦٤.
٦٥- صحيح سنن ابن ماجه، لابن ماجه، محمد بن يزيد: محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط٢، ١٤٠٨هـ.
٦٦- صحيح سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث: للألباني، بتعليق: زهير الشاويش، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، بيروت، ١٤٠٩هـ.
٦٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد: تحقيق: أحمد العطار، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٦٨- الصهيونية المسيحية، السماك، محمد: ١٩٩٠ (د. ن).
٦٩- صاحب التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، تاج الدين أبو سعد الحسن بن محمد بن حمدون: تحقيق: إحسان عباس، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٣.
٧٠- الطبقات الكبرى، ابن سعد، محمد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري: دار صادر، بيروت (د.ت).
٧١- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، ابن العربي، القاضي أبو بكر المالكي: تحقيق: محب الدين الخطيب، ومحمود مهدي الإسطنبولي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٤١٢هـ.

٧٢- عقد الدرر في أخبار المنتظر (وهو المهدي)، ابن علي المقدسي، يوسف بن يحيى الشافعي السلمي: تحقيق: مهيب البوريني، مكتبة المنار، الأردن، ط٢، ١٤١٠هـ.
٧٣- عبقرية المحدث وفقه الخطيب، الباني، د. محمد بشير: دار العروبة للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٧٠.
٧٤- الفرق بين الفرق، البغدادي، عبد القادر بن طاهر: تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٧٥- فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرّج على كتاب الشهاب للمؤلف، ومعه: تسديد القوس لابن حجر ومسند الفردوس للمؤلف، الديلمي، أبو منصور شيرويه بن شهردار بن شيرويه: تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٧٦- الفقه الإسلامي وأدلته، الزحيلي، وهبة: دار الفكر، دمشق. الطَّبعة الرَّابعة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٧٧- فيض القدير بشرح الجامع الصغير، المناوي، عبد الرؤوف: دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ/١٩٧٢.
٧٨- الفكر التوراتي والحرب النووية، هالسل، غريس: ترجمة عبد الهادي عبلة (د. ن) (د. ت).
٧٩- فضائل الشام ودمشق، المكتب الإسلامي، الربعي، أبو الحسن: دمشق، ١٣٧٩هـ.
٨٠- فلسطين وقضيتها، مكتب منظمة التحرير، سورية، ١٩٦٠.
٨١- القرآن والتفكير، الحوفي، د. أحمد: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دراسات في الإسلام، القاهرة، ١٩٧٥.
٨٢- قصة الحضارة، ديورانت، وِل: ترجمة: زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر (د. ت).
٨٣- قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، العالِم، جلال: ط٢، طرابلس الشام، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٨٤- القدس فوق أي تفاوض، منشورات القيادة الشعبية الإسلامية.
٨٥- الكامل في ضعفاء الرجال (في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الأحاديث)، ابن عدي، أبو أحمد عبد الله: تحقيق: الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨.
٨٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، الزمخشري، محمود بن عمر: المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٥٤هـ.
٨٧- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، العجلوني، إسماعيل بن محمد: تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٨٨- الكتاب المقدس، الطبعة البروتستانتية، دار الكتاب المقدس، بيروت، ١٩٨٤.
٨٩- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد: تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٠هـ.
٩٠- مدارج السالكين، ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٢.
٩١- معرفة الصحابة، أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني: تحقيق: محمد راضي حاج عثمان، مكتبة الدار، المدينة (د.ت).
٩٢- المسند، أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي: تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٩٣- المستدرك على الصحيحين في الحديث، ومعه تعليقات الذهبي في التلخيص، الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
٩٤- المتفق والمفترق، الخطيب، أحمد بن علي بن ثابت: تحقيق: الدكتور محمد صادق الحامدي، دار القادري، ١٤١٧هـ.
٩٥- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، السَّخاوي، محمد بن عبد الرحمن: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٩٦- الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد: تحقيق: عبد الله دراز وإبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٩٧- المعجم الأوسط، الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب: دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
٩٨- المعجم الكبير، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب: تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
٩٩- مجمع البيان في تفسير القرآن. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن
١٠٠· المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (وهو بهامش إحياء علوم الدين للغزالي)، العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الكردي: دار الوعي، حلب، ١٩٩٨.
١٠١· مسند الشهاب، القضاعي، الإمام أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر: تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ.
١٠٢· مآثر الإنافة في معالم الخلافة، القلقشندي، أحمد بن عبد الله: تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٣٨٠ هـ.
١٠٣· الموطأ، برواية محمد بن الحسن، مالك بن أنس: مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٣٩هـ.
١٠٤· ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ الندوي، أبو الحسن: دار السلام، ط١١، ١٩٧٨.
١٠٥· مذكرات سائح في الشرق العربي، الندوي، أبو الحسن: مكتبة وهبه، دمشق، ١٩٧٥.
١٠٦· المجتبى من السنن (المعروف بسنن النسائي أو المجتبى)، النسائي، الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب: تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦/١٩٨٦.

١٠٧- مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل، النّسفي، عبدالله بن أحمد: دار الكتب العربيّة الكبرى، القاهرة، ١٣٢٨هـ.

١٠٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر: دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

١٠٩- معجم البلدان، ياقوت الحموي، بن عبد الله الرومي: بيروت، ١٩٥٥.

١١٠- من هدي القرآن الكريم (محاضرات إذاعية)، كفتارو، أحمد: دمشق، ١٩٩٠ (د. ن).

١١١- موسوعة اليهود واليهودية، المسيري: دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩.

١١٢- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد: مطابع الرياض، ١٣٨١هـ.

١١٣- المسند، ابن حنبل، أحمد أبو عبد الله الشيباني: تحقيق: شعيب الأرنَؤوط، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١١٤- نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ﷺ، ويليه مرقاة الوصول حواشي نوادر الأصول، الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله: دار صادر، بيروت، ١٩٩٢.

١١٥- النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري: تحقيق: طاهر الزاوي محمود الطناجي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٣.

الندوات والمؤتمرات

- المؤتمر الإسلامي المسيحي الخاص بمدينة القدس، المنعقد في بيروت، من ١٤ إلى ١٦/ ٦/ ١٩٩٦.
- المؤتمر الإسلامي، المنعقد في بفالو في نيويورك، من ٢٣ إلى ٢٧/ ٥/ ١٩٩٧.
- المؤتمر الخامس للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، في القاهرة، من ١٩ إلى ٢١/ ١٢/ ١٩٩٣.
- المؤتمر الرابع للفكر الإسلامي، المنعقد في طهران في إيران، في أيار (مايو) ١٩٨٤.
- مؤتمر السيرة النبوية الشريفة، المنعقد في مكتبة الأسد الوطنية، في دمشق، بدعوة من المستشارية الثقافية الإيرانية، من ٢٠ إلى ٢١/ ١٢/ ١٩٩٥.
- مؤتمر القمة الإسلامي الثامن في طهران، من ٩ إلى ١١/١٢/ ١٩٩٧.
- مناسبة ذكرى الإسراء والمعراج في حرم المسجد الأقصى، المنعقدة في القدس الشريف في فلسطين، في ٢٧ رجب ١٣٨٥هـ / ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٥م.
- ندوة الاجتماع الدولي لـ "وضع استراتيجية مشتركة للتقريب بين المذاهب الإسلامية"، المنعقد في فندق إيبلا الشام، بدعوة من مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية، من ١٠ إلى ١٢/ ٤/ ١٩٩٩.

- ندوة التقريب بين المذاهب، بدعوة من المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، المنعقدة في الرباط، من ٢٧ إلى ٢٩/ ٨/ ١٩٩٦.
- الندوة العالمية، المنعقدة في جامعة الأزهر، في القاهرة، من ٢٩ إلى ٣٠/ ٤/ ١٩٩٧.
- ندوة القدس، القاهرة، ٨/ ٧/ ١٩٩٤، كلمتا: الأشعل، عبد الله- الدجاني، أحمد صدقي.

المطبوعات والوكالات الإعلامية

- جريدة الحياة، لندن، في عام ١٩٩٤.
- جريدة تشرين السوريِّة، في عام ١٩٩٧.
- مجلة الأهرام، العدد ٩٣، ٣/ ١/ ١٩٩٩.
- مجلة رسالة الجهاد الليبية، العدد ٦٩.
- مجلة منار الإسلام الإماراتية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، أبو ظبي، العدد ١٧/ ١٢/ ١٩٩٦.
- مجلة المنار، لصاحبها محمد رشيد رضا، القاهرة: بيطار، محمد بهجة: نداء للجنس اللطيف يوم ذكرى المولد، المحرم ١٣٥١هـ
- جريدة المسلمون، لندن، ١٩٩٦.
- مجلة الضياء، دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دبي، الإمارات، ١٨/٤/ ١٩٩٨.
-جريدة الأيام السورية، في عددها ٢٦٣٢، بتاريخ ٢٠/ ٦/ ١٩٥٥.

- جريدة الأنوار اللبنانية، ١٦/ ٨/ ١٩٦٧، سماحة، باسيليوس: الصهيونية وخطرها على الدين المسيحي.
- مجلة العالم اللندنية، ١٢/ ١٠/ ١٩٩٦.
- جريدة الخليج، الشارقة، العدد ١٧/ ١٢/ ١٩٩٦.
- جريدة القدس العربي، لندن، العدد ١٨/ ١/ ١٩٩٨.
- مجلة الشراع اللبنانية، في دمشق، في ١٨/ ١/ ١٩٩٨.
- وكالة أنباء الشرق الأوسط، القاهرة، في ١٢/ ١/ ١٩٩٧، وفي ١٢/٢٠/ ١٩٩٨.

أرشيف مجمع الشيخ أحمد كفتارو

ويضم الأرشيف المسموع والمرئي لسماحته، ومنه المحاضرات الأسبوعية التي كان يلقيها في المجمع أيام الجُمع منذ خمسينيات القرن العشرين.

المواقع الإلكترونية (الإنترنت):

- www.abunour.net
- www.kuftaro.org

فهرس موضوعات الجزء الأول

العنوان ---------- الصفحة
المقدمة ---------- ١٧
الباب الأول: الشيخ أحمد كفتارو ---------- ٣١
الفصل الأول: لمحة عن العلاّمة العارف بالله الشيخ أحمد كفتارو وأعماله وإنجازاته ---- ٣٢
الفصل الثاني: قالوا عن الشيخ المجدِّد وجهوده العلمية والدعوية والإنسانية
لعدد من العلماء والدعاة والمفكرين والسياسيين على المستويين المحلي والعالمي ------- ٨١
الفصل الثالث: منهج مجمع الشيخ أحمد كفتارو ---------- ١٥١
الباب الثاني : أفكار وأساليب في التجديد والإصلاح والدعوة الإسلامية ١٨١
الفصل الأول
التجديد والإصلاح ---------- ١٨٣
أولاً: الأفكار والنصوص ---------- ١٨٤
المبحث الأول: تجديد التصوف بإعادته إلى قواعد القرآن والسنة،
واقتراح ميثاق العمل الصوفي ---------- ١٨٥
المبحث الثاني: مفهوم الإسلام في حقيقته وجوهره---------- ١٩٧
المبحث الثالث: القرآن الكريم وموقعه في الحياتين العملية والدعوية عند المسلمين ---- ٢١٥
المبحث الرابع: القرآن الكريم وبناء الحضارة الإسلامية ---------- ٢٣٧
المبحث الخامس: القرآن الكريم وبناء الحياة المزدهرة على وجه الأرض---------- ٢٦٧
المبحث السادس: ضرورة الأخذ بفقه القرآن بمعناه الواسع في حياة المسلمين ------ ٣١٣
المبحث السابع: دور الاجتهاد في الفكر الإسلامي---------- ٣٧١
المبحث الثامن: إصلاح التعليم الديني ---------- ٣٩٩
المبحث التاسع: ضرورة تملُّك الأمة الإسلامية للثروة ووسائل التقدم الحضاري ----- ٤٢٧
ثانياً: الدراسة والتحليل ---------- ٤٣٧
الفصل الثاني
الدعوة الإسلامية العالمية ---------- ٤٦١
أولاً: الأفكار والنصوص---------- ٤٦٣
المبحث الأول: ترشيد جهود الدعوة وتوحيدها في العالم الإسلامي---------- ٤٦٥
المبحث الثاني: الدعوة الإسلامية مسؤوليات وأهداف ---------- ٤٨١
المبحث الثالث: الواقع المعاصر للأمتين العربية والإسلامية ومستقبل العمل الإسلامي -- ٥٠٩
المبحث الرابع: إعداد الشباب المسلم لتحمُّل مسؤولياتهم ---------- ٥٢٣

- **حوارات**
- الدعوة الإسلامية المعاصرة: طموحات ومشكلات (١) ---------- **٥٣٥**
- الدعوة الإسلامية المعاصرة: طموحات ومشكلات (٢) ---------- **٥٥٩**
- الدعوة الإسلامية المعاصرة: طموحات ومشكلات (٣) ---------- **٥٨٥**
- الدعوة الإسلامية المعاصرة: طموحات ومشكلات (٤) ---------- **٦٠٣**

ثانياً: الدراسة والتحليل ---------- **٦٢١**

الباب الثالث: الوحدة الإسلامية والقضايا الوطنية والسياسية

الفصل الأول

الوحدة الإسلامية ---------- **٦٤١**

المبحث الأول: الوحدة الإسلامية ومحاربة التعصب المذهبي ---------- **٦٤٣**

المبحث الثاني: من آثار التقريب بين المذاهب الإسلامية في الثقافة والاقتصاد والسياسة - **٦٦٧**

المبحث الثالث: دور السيرة النبوية في تحقيق الوحدة الإسلامية ---------- **٦٩٥**

المبحث الرابع: الوحدة الإسلامية والمذاهب الفقهية ---------- **٧٠٩**

المبحث الخامس: أدب الحوار والاختلاف في تحقيق الوحدة ---------- **٧٢٥**

ثانياً: الدراسة والتحليل ---------- ٧٣٩

الفصل الثاني

الإسلام والقضايا الوطنية والسياسية ---------- **٧٥٩**

المبحث الأول: نداء القدس ---------- **٧٦٣**

المبحث الثاني: نداء للعالمين الإسلامي والمسيحي من أجل القدس ---------- **٧٧٥**

المبحث الثالث: القدس محور السلام ---------- **٨٠١**

المبحث الرابع: واقع العالم الإسلامي اليوم وما يجب أن يُعمل لإعادته إلى أمجاده ---- **٨٢١**

المبحث الخامس: الأسلوب الأمثل للخروج من أزمة التطرف الديني ---------- **٨٤٥**

المبحث السادس: رسالة مفتوحة إلى ملوك ورؤساء بلدان العالم الإسلامي -------- **٨٦٣**

- **كلمات وحـــوارات**

١- واقع الأمة الإسلامية: مشكلات وحلول ---------- **٨٧٣**

٢- الجهاد والكفاح التحريري والعنف غير المشروع ---------- **٨٨٩**

٣- العنف في الجزائر ---------- **٩٠٣**

٤- موقف الإسلام من التطبيع مع الكيان الإسرائيلي ومن العمليات الاستشهادية ---- **٩١٧**

٥- رد سماحته على الدعوة الموجهة إليه للقاء الحاخام الأكبر في الكيان الإسرائيلي --- **٩٣٩**

٦- كلمة سماحته بمناسبة زيارة وفد حركة حماس- برئاسة المجاهد الشيخ أحمد ياسين- مجمعَ الشيخ أحمد كفتارو في دمشق ---------- **٩٤٥**

- **بـــيـــانـــات**

١- بيان المؤتمر الشعبي المنعقد في جامع يلبغا لنصرة الشعب الجزائري المسلم ------- ٩٥٣
٢- بيان موجه إلى السفارة الأمريكية استنكاراً للعدوان الثلاثي على مصر -------- ٩٥٩
٣- بيان بمناسبة قيام انتفاضة القدس رداً على فتح نفق تحت المسجد الأقصى ------ ٩٦٥
٤- بيان رداً على بناء المستوطنات في القدس---------- ٩٧٩
٥- بيان استنكاراً على الاعتداء على السياح الأجانب والمصريين في مدينة الأقصر --- ٩٨٩
٦- بيان رداً على التحضير الأمريكي البريطاني للعدوان على الشعب العراقي ------ ٩٩٧
٧- بيان بمناسبة مرور خمسين عاماً على نكبة الشعب الفلسطيني وتشريده ------- ١٠٠٥
ثانياً: الدراسة والتحليل ---------- ١٠١٣
الخاتمة

فهرس موضوعات الجزء الثاني

العنوان ---------- **الصفحة**

الباب الرابع: حوار الحضارات والطريق إلى السلام العالمي
الفصل الأول: الحوار مع غير المسلمين
أولاً: الأفكار والنصوص
المبحث الأول: موقف الإسلام من الرسالات السماوية ---------- ١٠٨١
المبحث الثاني: العمل المشترك بين أتباع الرسالات السماوية ---------- ١١١٣
المبحث الثالث: الحوار بين الإسلام والمسيحية: نهاية الحروب الصليبية أم بداية جديدة؟- ١١٣٣
المبحث الرابع: آفاق المستقبل ودعم الحوار بين المسلمين والغرب---------- ١١٥٣
المبحث الخامس: القواسم المشتركة بين الإسلام والمسيحية ---------- ١١٨١
المبحث السادس: عطاءات الدين للمجتمع---------- ١١٩١
المبحث السابع: الحوار الإسلامي المسيحي: حقيقة تاريخية وضرورة اجتماعية------ ١٢١٧
المبحث الثامن: العلاقات بين أبناء الرسالات السماوية ---------- ١٢٣٧
المبحث التاسع: الإسلام شفاء للإنسانية ورحمة للعالمين ---------- ١٢٥٥
المبحث العاشر: وجوب العمل المشترك من أجل نصرة المظلومين ---------- ١٢٩٥
- **كلمات وحوارات**
١- حوار مع وفد الكنيسة المصلحة في سويسرة ---------- ١٣٠٧
٢- حوار مع وفد مقاطعة جنوبي ألمانية---------- ١٣٢٧
٣- نظرة الإسلام إلى التعايش مع غير المسلمين ---------- ١٣٤٣
٤- بيان مشترك مع رابطة الكنائس البروتستانتية في ألمانية الديمقراطية (الشرقية) سابقاً ١٣٦٥
٥- كفتارو يتحدث عن ميلاد سيدنا عيسى المسيح عليه السلام ---------- ١٣٦٩

٦- احتفاء المسلمين والمسيحيين بميلاد سيدنا عيسى عليه السلام ---------- ١٣٧٧
ثانياً: الدراسة والتحليل
الفصل الثاني: السلام العالمي وإنقاذ الجنس الإنساني
أولاً: الأفكار والنصوص
المبحث الأول: السلام العالمي في الإسلام---------- ١٤٣٧
المبحث الثاني: نحو عالم تسوده روح الإخاء الإنساني والسلام---------- ١٤٥٥
المبحث الثالث: الطريق إلى السلام ---------- ١٤٦٣
المبحث الرابع: القيم الخالدة ---------- ١٤٧٧
المبحث الخامس: التربية البيئية في الإسلام---------- ١٤٩١
ثانياً: الدراسة والتحليل
الباب الخامس: حوارات مع الصحافة ووكالات الأنباء العالمية
- **أولاً: الأفكار والنصوص**

١- الوقف الإسلامي والتنمية الاقتصادية ---------- ١٥٣٣
٢- الإسلام والعلمانية ---------- ١٥٥١
٣- أسباب تخلف المسلمين في عالمنا المعاصر ---------- ١٥٦٩
٤- الإسلام والتحدي الحضاري المعاصر ---------- ١٥٨٣
٥- الإسلام والقضايا المعاصرة ---------- ١٥٩٥
٦- موقف الإسلام من القنوات الفضائية ---------- ١٦١١
٧- الدعوة الإسلامية المعاصرة ---------- ١٦٢٣
٨- الدعوة وأحداث معاصرة ---------- ١٦٤٣
٩- شهر رمضان المبارك ويوم القدس ---------- ١٦٦٥
١٠- الإفتاء وشهر رمضان ---------- ١٦٧٧
١١- حوار عن رمضان وعن الأحداث المعاصرة---------- ١٦٩٣
ثانياً: الدراسة والتحليل
الخاتمة ---------- ١٧٥٦